Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

١٢/٢

تفسير أبي السعود

محمد سعيد ...

المسمى

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم

لخاتمة المحققين وإمام المدققين قاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد العمادي

ولد رحمه الله تعالى سنة ٨٩٦ هجرية وتوفي سنة ٩٥١

الجزء الرابع

صححت هذه الطبعة بمعرفة بعض أفاضل العلماء وقوبلت على عدة نسخ
وقرئت في المرة الأخيرة على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير
الشيخ حسن محمد المسعودي

المدرس بالقسم العالي بالأزهر

الملتزم

محمد محمد عبد اللطيف
صاحب المكتبة الحسينية المصرية
بالأزهر الشريف بمصر

الطبعة الأولى
سنة ١٣٤٧ هجرية — سنة ١٩٢٨ ميلادية

المطبعة المصرية بالأزهر
إدارة محمد محمد عبد اللطيف

893.7K84
DI96
v.4-5

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحج

﴿ مكية الا ست آيات من هذان خصمان الى صراط الحميد . وهى ثمان وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾ خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم فى سلكهم بعد من الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك الى يوم القيامة وان كان خطاب المشافهة مختصا بالفريق الاول على الوجه الذى مر تقريره فى مطلع سورة النساء ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة وأما صيغة جمع المذكر فواردة على نهج التغليب لعدم تناولها للاناث حقيقة الا عند الحنابلة والمأمور به مطلق التقوى الذى هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك ويندرج فيه الايمان بالله واليوم الآخر حسبما وردبه الشرع اندراجا أوليا والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد الامر وتأكيد ايجاب الامتثال به ترهيبا وترغيبا أى احذروا عقوبة مالك أموركم ومربيكم وقوله تعالى ﴿ ان زلزلة الساعة شئ عظيم ﴾ تعليل لموجب الامر بذكر بعض عقوباته الهائلة فان ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هى من مباديه ومقدماته من الاحوال والاهوال التى لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والازعاج العنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الاشياء من مقارها ويخرجها عن مراكزها واضافتها الى الساعة اما اضافة المصدر الى فاعله على المجاز الحكمى كأنها هى التى تزلزل الاشياء أو اضافته الى الظرف اما باجرائه مجرى المفعول به اتساعا أو بتقدير فى كما فى قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهى الزلزلة المذكورة فى قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها عن الحسن انها تكون يوم القيامة وعن ابن عباس رضى الله عنهما زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة والشعبى أنها قبل طلوع الشمس من مغربها فاضافتها الى الساعة حينئذ لكونها من أشراطها وفى التعبير عنها بالشئ ايذان بأن العقول قاصرة عن ادراك كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها الا على وجه الابهام وقوله تعالى ﴿ يوم ترونها ﴾ منتصب بما بعده قدم عليه اهتماما به والضمير للزلزلة أى وقت رؤيتكم اياها ومشاهدتكم لهول مطلعها ﴿ تذهل كل مرضعة ﴾ أى مباشرة للارضاع ﴿ عما أرضعت ﴾ أى تغفل وتذهل مع دهشة عما هى بصدد ارضاعه من طفلها الذى ألقمته ثديها والتعبير عنه بما دون من لتأكيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها انه ماذا لا أنها تعرف شيئيته لكن لا تدرى من هو بخصوصه وقيل ما مصدرية أى تذهل عن ارضاعها والاول أدل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ تذهل من الاذهال مبنيا للمفعول أو مبنيا للفاعل مع نصب كل أى تذهلها الزلزلة ﴿ وتضع كل ذات حمل حملها ﴾ أى تلق جنينها لغير تمام كما أن المرضعة تذهل عن ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبى وأما على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فقد قيل انه تمثيل لتهويل الامر وفيه أن الامر حينئذ أشد من ذلك وأعظم وأهول مما وصف وأطم وقيل ان ذلك يكون عند النفخة الثانية فانهم يقومون على ما صعقوا فى النفخة الاولى فتقوم المرضعة على ارضاعها والحامل على حملها ولا ريب فى أن قيام الناس من قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر ﴿ وترى الناس ﴾ بفتح التاء والراء على خطاب كل أحد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف بالجمعية والافراد لما أن المرئى

فى الاول هى الزلزلة التى يشاهدها الجميع وفى الثانى حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من افراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة فان المراد بيان تأثير الزلزلة فى المرئى لا فى الرائى باختلاف مشاعره لان مداره حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها كانه قيل و يصير الناس سكارى الخ وانما أوثر عليه ما فى التنزيل للايذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم و بلوغها من الجلاء الى حد لا يكاد يخفى على أحد أى يراهم كل أحد ﴿سكارى﴾ أى كأنهم سكارى ﴿وماهم بسكارى﴾ حقيقة ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فيرهقهم هوله و يطير عقولهم ويسلب تمييزهم فهو الذى جعلهم كما وصفوا وقرئ ترى بضم التاء وفتح الراء مسندا الى المخاطب من أريتك قائما أو رؤيتك قائما والناس منصوب أى تظنهم سكارى وقرئ برفع الناس على اسناد الفعل المجهول اليه والتأنيث على تأويل الجماعة وقرئ ترى بضم التاء وكسر الراء أى ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرئ سكرى وسكرى كعطشى وجوعى اجراء للسكر مجرى العلل ﴿ومن الناس﴾ كلام مبتدأ جئ به اثر بيان عظم شأن الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحل الجار الرفع على الابتداء اما بحمله على المعنى أو بتقدير ما يتعلق به كما مر مرارا أى و بعض الناس أو و بعض كائن من الناس ﴿من يجادل فى الله﴾ أى فى شأنه تعالى و يقول فيه ما لا خير فيه من الأباطيل وقوله تعالى ﴿بغير علم﴾ حال من ضمير يجادل موضحة لما يشعر بها المجادلة من الجهل أى ملابسا بغير علم. روى انها نزلت فى النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهى عامة له ولأضرابه من العتاة المتمردين ﴿و يتبع﴾ أى فيما يتعاطاه من المجادلة أو فى كل ما يأتى وما يذر من الامور الباطلة التى من جملتها ذلك ﴿كل شيطان مريد﴾ عات متمرد متجرد للفساد وأصله العرى المنبئ عن التمحض له كالتشمر ولعله مأخوذ من تجرد المصارعين عند المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الاملس والمراد اما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تعالى ﴿كتب عليه﴾ أى على الشيطان صفة أخرى له وقوله تعالى ﴿أنه﴾ فاعل كتب والضمير للشأن أى رقم به لظهور ذلك من حاله أن الشأن ﴿من تولاه﴾ أى اتخذه وليا وتبعه ﴿فأنه يضله﴾ بالفتح على أنه خبر مبتدا محذوف أو مبتدأ خبره محذوف والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية وخبر لها ان جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط أى من تولاه فشأنه أنه يضله عن طريق الجنة أو طريق الحق أو فحق أنه يضله قطعا وقيل فأنه معطوف على أنه وفيه من التعسف ما لا يخفى وقيل وقيل مما لا يخلو عن التمحل والتأويل وقرئ فانه بالكسر على أنه خبر لمن أو جواب لها وقرئ بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو مثل ما فى قولك كتبت ان الله يأمر بالعدل والاحسان أو على اضمار القول أو تضمين الكتب معناه على رأى من يراه ﴿ويهديه الى عذاب السعير﴾ بحمله على مباشرة ما يؤدى اليه من السيئات ﴿يا أيها الناس﴾ اثر ما حكى أحوال المجادلين بغير علم وأشير الى ما يؤول اليه أمرهم أقيمت الحجة الدالة على تحقق ما جادلوا فيه من البعث ﴿ان كنتم فى ريب من البعث﴾ من امكانه وكونه مقدورا له تعالى أو من وقوعه وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب فى الجلب والتعبير عن اعتقادهم فى حقه بالريب مع التنكير المنبئ عن القلة مع أنهم جازمون باستحالته وايراد كلمة الشك مع تقرر حالهم فى ذلك وايثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال ان ارتبتم فى البعث فقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا ﴿فانا خلقناكم﴾ أى فانظروا الى مبدأ خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم أى خلقنا كل فرد منكم ﴿من تراب﴾ فى ضمن خلق آدم منه خلقا اجماليا فان خلق كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجا منطويا على فطرة

سائر أفراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه كما مر تحقيقه مرارا ﴿ثم من نطفة﴾ أى ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة أى من منى من النطف الذى هو الصب ﴿ثم من علقة﴾ أى قطعة من الدم جامدة متكونة من المنى ﴿ثم من مضغة﴾ أى قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهى فى الاصل مقدار ما يمضغ ﴿مخلقة﴾ بالجر صفة مضغة أى مستبينة الخلق مصورة ﴿وغير مخلقة﴾ أى لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولا قطعة لم يظهر فيها شئ من الاعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئا فشيئا وكان مقتضى الترتيب السابق المبنى على التدرج من المبادئ البعيدة الى القريبة أن يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما أخرت عنها لانها عدم الملكة هذا وقد فسرتا بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والساقطة وليس بذاك وفى جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدأ لخلقهم لا لخلق ما بعدها من المراتب كما فى قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الآية مزيد دلالة على عظيم قدرته تعالى وكسر لسورة استبعادهم ﴿لنبين لكم﴾ متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفا أى خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره العبارة من الحقائق والدقائق التى من جملتها سر البعث فان من تأمل فيما ذكر من الخلق التدريجى تأملا حقيقيا جزم جزما ضروريا بأن من قدر على خلق البشر أولا من تراب لم يشم رائحة الحياة قط وانشائه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد أخرى بتصريفه فى أطوار الخلقة وتحويله من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على اعادته بل هو أهون فى القياس نظرا الى الفاعل والقابل وقرئ ليبين بطريق الالتفات وقوله تعالى ﴿ونقر فى الارحام ما نشاء﴾ استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظم هذا وما عطف عليه فى سلك الخلق المعلل بالتبيين مع كونهما من متماته ومن مبادى التبيين أيضا لما أن دلالة الاول على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التى من جملتها البعث المبحوث عنه أجلى وأظهر أى ونحن نقر فى الارحام بعد ذلك ما نشاء أن نقره فيها ﴿الى أجل مسمى﴾ هو وقت الوضع وأدناه ستة أشهر وأقصاه سنتان وقيل أربع سنين وفيه اشارة الى أن بعض ما فى الارحام لا يشاء الله تعالى اقراره فيها بعد تكامل خلقه فتسقطه والتعرض للازلاق لا يناسب المقام لان الكلام فيما جرى عليه أطوار الخلق وهذا صريح فى أن المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصا أو معيبا وأن ما فصل الى هنا هى الاطوار المتواردة على المولود قبل الولادة وقرئ يقر بالياء ونقر و يقر بضم القاف من قررت الماء اذا صببته ﴿ثم نخرجكم﴾ أى من بطون أمهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى ﴿طفلا﴾ أى حال كونكم أطفالا والافراد باعتبار كل واحد منهم أو بارادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد وقرئ يخرجكم بالياء وقوله تعالى ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ علة لنخرجكم معطوفة على علة أخرى له مناسبة لها كأنه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم فى القوة والعقل والتميز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا الخ وما قيل انه معطوف على نبين مخل بجزالة النظم الكريم هذا وقد قرئ ما قبله من الفعلين بالنصب حكاية وغيبة فهو حينئذ عطف على نبين مثلهما والمعنى خلقناكم على التدريج المذكور لغايتين مترتبتين عليه احداهما أن نبين شؤوننا والثانية أن نقركم فى الارحام ثم نخرجكم صغارا ثم لتبلغوا أشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع أن حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بأنه غاية الغايات ومقصود بالذات واعادة اللام ههنا مع تجريد الأولين عنها للاشعار بأصالته فى الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه يدور التكليف المؤدى الى السعادة والشقاوة وايثار البلوغ مسندا الى المخاطبين على التبليغ مسندا اليه تعالى كالأفعال السابقة لأنه المناسب لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبدئية الآثار والأفعال والأشد من ألفاظ الجموع التى لم يستعمل لها واحد كالأسدة والقتود وكأنها حين كانت شدة فى غير شئ

بنيت على لفظ الجمع ﴿ ومنكم من يتوفى ﴾ أى بعد بلوغ الأشد أو قبله وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل أى يتوفاه الله تعالى ﴿ ومنكم من يرد الى أرذل العمر ﴾ وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم وايراد الرد والتوفى على صيغة المبنى للمفعول للجرى على سنن الكبرياء لتعين الفاعل ﴿ لكيلا يعلم من بعد علم ﴾ أى علم كثير ﴿ شيئاً ﴾ أى شيئا من الأشياء أو شيئاً من العلم مبالغة فى انتقاص علمه وانتكاس حاله أى ليعود الى ما كان عليه فى أوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ماعلمه وينكر ماعرفه و يعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لايخفى ﴿ وترى الارض هامدة ﴾ حجة أخرى على صحة البعث والخطاب لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وهى بصرية وهامدة حال من الارض أى ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا ﴿ فاذا أنزلنا عليها الماء ﴾ أى المطر ﴿ اهتزت ﴾ تحركت بالنبات ﴿ وربت ﴾ انتفخت وازدادت وقرئ ربأت أى ارتفعت ﴿ وأنبتت من كل زوج ﴾ أى صنف ﴿ بهيج ﴾ حسن رائق يسر ناظره ﴿ ذلك بأن الله هو الحق ﴾ كلام مستأنف جئ به اثر تحقيق حقية البعث واقامة البرهان عليه من العالمين الانسانى والنباتى لبيان أن ذلك من آثار ألوهيته تعالى وأحكام شئونه الذاتية والوصفية والفعلية وأن ماينكرون وجوده بل امكانه من اتيان الساعة والبعث من أسباب تلك الآثار العجيبة التى يشاهدونها فى الأنفس والآفاق ومبادى صدورها عنه تعالى وفيه من الايذان بقوة الدليل وأصالة المدلول فى التحقق واظهار بطلان انكاره مالايخفى فان انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضى ببطلانه بديهة العقول والمراد بالحق هو الثابت الذى يحق ثبوته لامحالة لكونه لذاته لاالثابت مطلقا وذلك اشارة الى ماذكر من خلق الانسان على أطوار مختلفة وتصريفه فى أحوال متباينة واحياء الارض بعد موتها ومافيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته فى الكمال وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور أى ذلك الصنع البديع حاصل بسبب أنه تعالى هو الحق وحده فى ذاته وصفاته وأفعاله المحقق لما سواه من الأشياء ﴿ وأنه يحيى الموتى ﴾ أى شأنه وعادته احياؤها وحاصله أنه تعالى قادر على احيائها بدءاً واعادة والا لما أحيا النطفة والارض الميتة مرارا بعد مرار وماتفيده صيغة المضارع من التجدد انما هو باعتبار تعلق القدرة ومتعلقها لاباعتبار نفسها ﴿ وأنه على كل شئ قدير ﴾ أى مبالغ فى القدرة والا لما أوجد هذه الموجودات الفائتة للحصر التى من جملتها ماذكر وأما الاستدلال على ذلك بأن قدرته تعالى لذاته الذى نسبته الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الأموات لزم اقتداره على احياء كلها فمنشأه الغفول عما سيق له النظم الكريم من بيان كون الآثار الخاصة المذكورة من فروع القدرة العامة التامة ومسبباتها وتخصيص احياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الأشياء المقدور عليها للتصريح بما فيه النزاع والدفع فى نحور المنكرين وتقديمه لابراز الاعتناء به ﴿ وأن الساعة آتية ﴾ أى فيما سيأتى وايثار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق اتيانها وتقرره البتة لاقتضاء الحكمة اياه لامحالة وتعليله بأن التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه مبنى على ماذكر من الغفول وقوله تعالى ﴿ لاريب فيها ﴾ اما خبر ثان لأن أو حال من ضمير الساعة فى الخبر ومعنى نفى الريب عنها أنها فى ظهور أمرها ووضوح دلائلها التكوينية والتنزيلية بحيث ليس فيها مظنة أن يرتاب فى اتيانها حسبما مر فى مطلع سورة البقرة والجملة عطف على المجرور بالباء كما قبلها من الجملتين داخلة مثلهما فى حيز السببية وكذا قوله عز وجل ﴿ وأن الله يبعث من فى القبور ﴾ لكن لا من حيث ان اتيان الساعة و بعث الموتى مؤثران فيما ذكر من أفاعيله تعالى تأثير القدرة فيها بل من حيث ان كلا منهما سبب داع له عز وجل بموجب رأفته بالعباد المبنية على الحكم البالغة الى ما ذكر من خلقهم ومن احياء الارض الميتة على نمط بديع صالح للاستشهاد به على مكانهما ليتأملوا فى ذلك و يستدلوا به على وقوعهما لا محالة و يصدقوا بما ينطق بهما من الوحى

المبين و ينالوا به السعادة الابدية، ولولا ذلك لما فعل تعالى مافعل بل لما خلق العالم رأسا وهذا كما ترى من أحكام حقيته تعالى فى أفعاله وابتنائها على الحكم الباهرة كما أن ما قبله من أحكام حقيته تعالى فى صفاته وكونها فى غاية الكمال وقد جعل اتيان الساعة و بعث من فى القبور لكونهما من روادف الحكمة كناية عن كونه تعالى حكيما كأنه قيل ذلك بسبب أنه تعالى قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه حكيم لا يخاف ميعاده وقد وعد بالساعة والبعث فلا بد أن يفى بما وعد وأنت خبير بأن مآله الاستدلال بحكمته تعالى على اتيان الساعة والبعث وليس الكلام فى ذلك بل انما هو فى سببيتهما لما مر من خلق الانسان واحياء الارض فتأمل وكن على الحق المبين وقيل قوله تعالى وأن الساعة آتية ليس معطوفا على المجرور بالباء ولا داخلا فى حيز السببية بل هو خبر والمبتدأ محذوف لفهم المعنى والتقدير والامر أن الساعة آتية وأن الثانية معطوفة على الاولى وقيل المعنى ذلك لتعلموا بأن الله هو الحق الآيتين ﴿ومن الناس من يجادل فى الله﴾ هو أبو جهل بن هشام حسبما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل هو من يتصدى لاضلال الناس واغوائهم كائنا من كان كما أن الاول من يقلدهم على أن الشيطان عبارة عن المضل المغوى على الاطلاق ﴿بغير علم﴾ متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير يجادل أى كائنا بغير علم والمراد بالعلم العلم الضرورى كما أن المراد بالهدى فى قوله تعالى ﴿ولا هدى﴾ هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادى الى المعرفة ﴿ولا كتاب منير﴾ وحى مظهر للحق أى يجادل فى شأنه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعى كما فى قوله تعالى و يعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وأما ما قيل من أن المراد به المجادل الاول والتكرير للتأكيد والتمهيد لما بعده من بيان أنه لا سند له من استدلال أو وحى فلا يساعده النظم الكريم كيف لا وأن وصفه باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر يغنى عن وصفه بالعراء عن الدليل العقلى والسمعى ﴿ثانى عطفه﴾ حال أخرى من فاعل يجادل أى عاطفا لجانبه وطاويا كشحه معرضا متكبرا فان ثنى العطف كناية عن التكبر وقرئ بفتح العين أى مانعا لتعطفه ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ متعلق بيجادل فان غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف بأنه اضلال والمراد به اما الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين أو الناس جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم واما التثبيت على الضلال أو الزيادة عليه مجازا فالمفعول هم الكفرة خاصة وقرئ بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث ان المراد به الضلال المبين الذى لاهداية له بعده مع تمكنه منها قبل ذلك ﴿له فى الدنيا خزى﴾ جملة مستأنفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة أى يثبت له فى الدنيا بسبب ما فعله خزى وهو ما أصابه يوم بدر من القتل والصغار ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ أى النار المحرقة ﴿ذلك﴾ أى ما ذكر من العذاب الدنيوى والاخروى وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه فى الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿بما قدمت يداك﴾ أى بسبب مااقترفته من الكفر والمعاصى واسناده الى يديه لما أن الاكتساب عادة يكون بالايدى والالتفات لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحل أن فى قوله عز وعلا ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى والامر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفى الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه فى سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبلها وأما ما قيل من أن محل أن هو الجر بالعطف على ماقدمت فقد عرفت حاله فى سورة الانفال ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ شروع فى بيان حال المذبذبين اثر بيان حال المجاهرين أى ومنهم من يعبده تعالى على طرف من الدين لاثبات له فيه كالذى ينحرف الى طرف الجيش فان أحس بظفر قر والا فر ﴿فان أصابه خير﴾ أى دنيوى

من الصحه والسعة ﴿اطمأن به﴾ أى ثبت على ما كان عليه ظاهراً لا أنه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذين لايلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عاطف ﴿وان أصابته فتنة﴾ أى شئ يفتتن به من مكروه يعتريه فى نفسه أو أهله أو ماله ﴿انقلب على وجهه﴾ روى أنها نزلت فى أعاريب قدموا المدينة و كان أحدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته ولدا سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت فى دينى هذا الا خيرا واطمأن وان كان الأمر بخلافه قال ما أصبت الاشرا وانقلب وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان يهوديا أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فأتى النبى عليه الصلاة والسلام فقال أقلنى فقال عليه السلام ان الاسلام لايقال فنزلت وقيل نزلت فى المؤلفة قلوبهم ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ فقدهما وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه أو على أنه خبر مبتدا محذوف ﴿ذلك﴾ أى ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه فى غاية ما يكون ﴿هو الخسران المبين﴾ الواضح كونه خسرانا اذلا خسران مثله ﴿يدعو من دون الله﴾ استئناف مبين لعظم الخسران أى يعبد متجاوزا عبادة الله تعالى ﴿ما لا يضره﴾ اذا لم يعبده ﴿وما لا ينفعه﴾ ان عبده أى جمادا ليس من شأنه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما ﴿ذلك﴾ الدعاء ﴿هو الضلال البعيد﴾ عن الحق والهدى مستعار من ضلال من أبعد فى التيه ضالا عن الطريق ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضلالا بعيدا مع ازاحة ما عسى يتوهم من نفى الضرر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه بطريق التسبيب أيضا فالدعاء بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره أقرب والجملة صلة للمبتدأ الأول وقوله تعالى ﴿لبئس المولى ولبئس العشير﴾ جواب لقسم مقدر هو وجوابه خبر للمبتدأ الأول وايثار من على ما مع كون معبوده جمادا وايراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة فى تقبيح حاله والامعان فى ذمه أى يقول ذلك الكافر يوم القيامة بدعاء وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه أثر النفع أصلا لمن ضره أقرب من نفعه والله لبئس الناصر هو ولبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز أن يكون يدعو الثانى اعادة للاول لا تأكيدا له فقط بل وتمهيدا لما بعده من بيان سوء حال معبوده اثر بيان سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كأنه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره أقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير لام أى يعبد من ضره أقرب من نفعه وايراد كلمة من وصيغة التفضيل تهكم به أيضا والجملة القسمية مستأنفة ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات﴾ استئناف جئ به لبيان كمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى وأن الله عز وجل يتفضل عليهم بما لا غاية وراءه من أجل المنافع وأعظم الخيرات اثر بيان غاية سوء حال الكفرة وما لهم من فريق المجاهرين والمذبذبين وأن معبودهم لايجديهم شيئا من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وأنهم يعترفون بسوء ولايته وعشرته ويذمونه مذمة تامة وقوله تعالى ﴿تجرى من تحتها الانهار﴾ صفة لجنات فان أريد بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان أريد بها الارض فلا بد من تقدير مضاف أى من تحت أشجارها وان جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله فى أوائل سورة البقرة وقوله تعالى ﴿ان الله يفعل ما يريد﴾ تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق أى يفعل البتة كل

ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة التى من جملتها اثابة من آمن به وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعقاب من أشرك به وكذب برسوله عليه السلام ولما كان هذا من آثار نصرته تعالى له عليه السلام عقب بقوله عز وعلا ﴿ من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة ﴾ تحقيقا لها وتقريرا لثبوتها على أبلغ وجه وآكده وفيه ايجاز بارع واختصار رائع والمعنى أنه تعالى ناصر لرسوله فى الدنيا والآخرة لامحالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من اعاديه وحساده ويظن أن لن يفعله تعالى بسبب مدافعته ببعض الأمور ومباشرة مايرده من المكايد فليبالغ فى استفراغ المجهود وليجاوز فى الجد كل حد معهود فقصارى أمره وعاقبة مكره أن يختنق حنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومباديه ﴿ فليمدد بسبب الى السماء ﴾ فليمدد حبلا الى سقف بيته ﴿ ثم ليقطع ﴾ أى ليختنق من قطع اذا اختنق لأنه يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل ليقطع الحبل بعد الاختناق على أن المراد به فرض القطع وتقديره كما أن المراد بالنظر فى قوله تعالى ﴿ فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ﴾ تقدير النظر وتصويره أى فليصور فى نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك الذى هو أقصى ماانتهت اليه قدرته فى باب المضادة والمضارة مايغيظه من النصرة كلا ويجوز أن يراد فلينظر الآن أنه ان فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلا الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحى وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد فى دفع نصره ويأباه أن مساق النظم الكريم بيان أن الامور المفروضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل من اذهاب ما يغيظ ومن البين أن لا معنى لفرض وقوع الامور الممتنعة وترتيب الامر بالنظر عليه لاسيما قطع الوحى فان فرض وقوعه مخل بالمرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ماوعد الله رسوله عليه الصلاة والسلام من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه عليه السلام ويخشون أن لايثبت أمره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان الأرزاق بيد الله تعالى لاتنال الا بمشيئته تعالى فلا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن الله تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لايغلب القسمة ولا يرده مرزوقا ﴿ وكذلك ﴾ أى مثل ذلك الانزال البديع المنطوى على الحكم البالغة ﴿ أنزلناه ﴾ أى القرآن الكريم كله وقوله تعالى ﴿ آيات بينات ﴾ أى واضحات الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما أشير اليه بذلك ﴿ وان الله يهدى ﴾ به ابتداء أو يثبت على الهدى أو يزيد فيه ﴿ من يريد ﴾ هدايته أو تثبيته أو زيادته فيها ومحل الجملة اما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر أى ولان الله يهدى من يريد أنزله كذلك أو الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى والامر أن الله يهدى من يريد هدايته ﴿ ان الذين آمنوا ﴾ أى بما ذكر من الآيات البينات بهداية الله تعالى أو بكل مايجب أن يؤمن به فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا ﴿ والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس ﴾ قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل أخذوا من دين النصارى شيأ ومن دين اليهود شيأ وهم القائلون بأن للعالم أصلين نورا وظلمة ﴿ والذين أشركوا ﴾ هم عبدة الاصنام وقوله تعالى ﴿ ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ﴾ فى حيز الرفع على أنه خبر لان السابقة وتصدير طرفى الجملتين بحرف التحقيق لزيادة التقرير والتأكيد أى يقضى بين المؤمنين وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء باثابة الاول وعقاب الثانى بحسب استحقاق أفراد كل منهما وقوله تعالى ﴿ ان الله على كل شئ شهيد ﴾ تعليل لما قبله من الفصل أى عالم بكل شئ من الاشياء ومراقب لاحواله ومن قضيته الاحاطة بتفاصيل ماصدر عن كل فرد من أفراد الفرق المذكورة واجراء جزائه اللائق به عليه وقوله تعالى ﴿ ألم تر أن الله يسجد له

من فى السموات ومن فى الارض ﴾ الخ بيان لما يوجب الفصل المذكور من أعمال الفرق المذكورة مع الاشارة الى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام والاهانة اثر بيان ما يوجبه من كونه تعالى شهيدا على جميع الاشياء التى من جملتها أحوالهم وأفعالهم والمراد بالرؤية العلم عبر عنه بها اشعارا بظهور المعلوم والخطاب لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية بناء على أنه من الجلاء بحيث لا يخفى على أحد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيه بأكمل أفعال المكلف فى باب الطاعة ايذانا بكونه فى أقصى مراتب التسخر والتذلل لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء جعلت كلمة من عامة لغيرهم أيضا وهو الانسب بالمقام لافادته شمول الحكم لكل مافيهما بطريق القرار فيهما أو بطريق الجزئية منهما فيكون قوله تعالى ﴿ والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ﴾ افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة أو جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجود الطاعة لكلهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿ وكثير من الناس ﴾ فانه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه المذكور أى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ومن قضيته انتفاء ذلك عن بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء حذف خبره ثقة بدلالة خبر قسيمه عليه نحو حق له الثواب والاول هو الاولى لما فيه من الترغيب فى السجود والطاعة وقد جوز أن يكون من الناس خبرا له أى من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون وأن يكون قوله تعالى ﴿ وكثير ﴾ معطوفا على كثير الاول للايذان بغاية الكثرة ثم يخبر عنهم باستحقاق العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس ﴿ حق عليه العذاب ﴾ أى بكفره واستعصائه وقرئ حق بالضم وحقا أى حق عليه العذاب حقا ﴿ ومن يهن الله ﴾ بأن كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره الى الشر ﴿ فماله من مكرم ﴾ يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على أنه مصدر ميمى ﴿ ان الله يفعل مايشاء ﴾ من الاشياء التى من جملتها الاكرام والاهانة ﴿ هذان ﴾ تعيين لطرفى الخصام وازاحة لما عسى يتبادر الى الوهم من كونه بين كل واحدة من الفرق الست وبين البواقى وتحرير لمحله أى فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم الى الفرق الخمس ﴿ خصمان ﴾ أى فريقان مختصمان وانما قيل ﴿ اختصموا فى ربهم ﴾ حملا على المعنى أى اختصموا فى شأنه عز وجل وقيل فى دينه وقيل فى ذاته وصفاته والكل من شؤنه تعالى فان اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء أقواله وأفعاله عليه خصومة للفريق الآخر وان لم يجر بينهما التحاور والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن أحق بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله منكم آمنا بمحمد وبنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت ﴿ فالذين كفروا ﴾ تفصيل لما أجمل فى قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيامة ﴿ قطعت لهم ﴾ أى قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ﴿ ثياب من نار ﴾ أى نيران هائلة تحيط بهم احاطة الثياب بلابسها ﴿ يصب من فوق رؤسهم الحميم ﴾ أى الماء الحار الذى انتهت حرارته قال ابن عباس رضى الله عنهما لو قطرت قطرة منها على جبال الدنيا لاذابتها والجملة مستأنفة أو خبر ثان للموصول أو حال من ضمير لهم ﴿ يصهر به ﴾ أى يذاب ﴿ ما فى بطونهم ﴾ من الامعاء والأحشاء وقرئ يصهر بالتشديد ﴿ والجلود ﴾ عطف على ما وتأخيره عنه اما لمراعاة الفواصل أو للاشعار بغاية شدة الحرارة بايهام أن تأثيرها فى الباطن أقدم من تأثيرها فى الظاهر مع أن ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم ﴿ ولهم ﴾ للكفرة أى لتعذيبهم وأجلهم ﴿ مقامع من حديد ﴾ جمع مقمعة وهى آلة القمع ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها ﴾ أى أشرفوا على الخروج من النار ودنوا منه حسبما روى أنها تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا فى أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا ﴿ من غم ﴾ أى من غم شديد من غمومها وهو بدل اشتمال من الهاء

باعادة الجار والرابط محذوف كما أشير اليه أو مفعول له للخروج ﴿أعيدوا فيها﴾ أى فى قعرها بان ردوا من أعاليها الى أسافلها من غير أن يخرجوا منها ﴿وذوقوا﴾ على تقدير قول معطوف على أعيدوا أى وقيل لهم ذوقوا ﴿عذاب الحريق﴾ أى الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة وقد غير الاسلوب فيه باسناد الادخال الى الله عز وجل وتصدير الجملة بحرف التحقيق ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة واظهاراً لمزيد العناية بأمر المؤمنين ودلالة على تحقق مضمون الكلام ﴿يحلون فيها﴾ على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية وقرىء بالتخفيف من الاحلاء بمعنى الالباس أى يحليهم الملائكة بأمره تعالى وقرىء يحلون من حلية المرأة اذا لبست حليتها ومن فى قوله تعالى ﴿من أساور﴾ اما للتبعيض أى بعض أساور وهى جمع اسورة جمع سوار أو للبيان لما أن ذكر التحلية مما ينبىء عن الحلى المبهم وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون فانه بمعنى يلبسون ﴿من ذهب﴾ بيان للاساور ﴿ولؤلؤا﴾ عطف على محل من أساور أو على المفعول المحذوف أو منصوب بفعل مضمر يدل عليه يحلون أى يؤتون وقرىء بالجر عطفا على أساور وقرىء لؤلوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبها ياء بعد قلبهما واوا وليليا بقلبهما ياء ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ غير الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا لكن للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة أو لمجرد المحافظة على هيئة الفواصل بل للايذان بأن ثبوت اللباس لهم أمر محقق غنى عن البيان اذلا يمكن عراؤهم عنه وانما المحتاج الى البيان أن لباسهم ماذا بخلاف الأساور واللؤلؤ فانها ليست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصودا بالذات ولعل هذا هو الباعث الى تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس ﴿وهدوا الى الطيب من القول﴾ وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة الآية ﴿وهدوا الى صراط الحميد﴾ أى المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة ووجه تأخير هذه الهداية عن ذكر الهداية الى القول المذكور المتأخر عن دخول الجنة المتأخر عن الهداية الى طريقها لرعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الاسلام ووجه التأخير حينئذ أن ذكر الحمد يستدعى ذكر المحمود ﴿ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾ ليس المراد به حالا ولا استقبالا وانما هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضى كما فى قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل كفروا أى وهم يصدون وخبر ان محذوف لدلالة آخر الآية الكريمة عليه فان من ألحد فى الحرم حيث عوقب بالعذاب الأليم فلأن يعاقب من جمع اليه الكفر والصد عن سبيل الله بأشد من ذلك أحق وأولى ﴿والمسجد الحرام﴾ عطف على سبيل الله قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى ﴿الذى جعلناه للناس﴾ أى كائنا من كان من غير فرق بين مكى وآفاقى ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ أى المقيم والطارىء وسواء أى مستويا مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرتفع به واللام متعلق به ظرف له وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين عنه وقرىء سواء بالرفع على أنه خبر مقدم والعاكف مبتدأ والجملة مفعول ثان للجعل وقرىء العاكف بالجر على أنه بدل من الناس ﴿ومن يرد فيه﴾ مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول كأنه قيل ومن يرد فيه مرادا ما ﴿بالحاد﴾ بعدول عن القصد ﴿بظلم﴾ بغير حق وهما حالان مترادفان أو الثانى بدل من الأول باعادة الجار أو صلة له أى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام ﴿نذقه من عذاب أليم﴾ جواب لمن ﴿واذ بوأنا﴾ يقال بوأه منزلا أى أنزله فيه ولما لزمه جعل الثانى مباءة للأول قيل ﴿لابراهيم مكان البيت﴾ وعليه مبنى قول ابن عباس رضى الله عنهما جعلناه أى اذكر وقت جعلنا مكان البيت مباءة له عليه السلام أى مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وتوجيه الأمر

بالذكر الى الوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف كما فى أصل الاستعمال أى أنزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله تعالى ابراهيم عليه السلام مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على أسه القديم روى أن الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احداها بناء الملائكة وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت أيام الطوفان والثانية بناء ابراهيم عليه السلام والثالثة بناء قريش فى الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير والخامسة بناء الحجاج وقد أوردنا ما فى هذا الشأن من الأقاويل فى تفسير قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وأن فى قوله تعالى ﴿أن تشرك بى شيئا﴾ مفسرة لبوأنا من حيث أنه متضمن لمعنى تعبدنا لأن التبوئة للعبادة أو مصدرية موصولة بالنهى وقد مر تحقيقه فى أوائل سورة هود أى فعلنا ذلك لئلا تشرك بى فى العبادة شيئا ﴿وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود﴾ أى وطهر بيتى من الأوثان والأقذار لمن يطوف به ويصلى فيه ولعل التعبير عن الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت وقرىء يشرك بالياء ﴿وأذن فى الناس﴾ أى ناد فيهم وقرىء آذن ﴿بالحج﴾ بدعوة الحج والأمر به روى أنه عليه السلام صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأسمعه الله تعالى من فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق فى علمه تعالى أن يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بذلك فى حجة الوداع ويأباه كون السورة مكية ﴿يأتوك﴾ جواب للامر ﴿رجالا﴾ أى مشاة جمع راجل كقيام جمع قائم وقرىء بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده ورجالى كعجالى ﴿وعلى كل ضامر﴾ عطف على رجالا أى وركبانا على كل بعير مهزول أتعبه بعد الشقة فهزله أو زاد هزاله ﴿يأتين﴾ صفة لضامر محمولة على المعنى وقرىء يأتون على أنه صفة للرجال والركبان أو استئناف فيكون الضمير للناس ﴿من كل فج﴾ طريق واسع ﴿عميق﴾ بعيد وقرىء معيق يقال بئر بعيدة العمق وبعيدة المعق بمعنى كالجذب والجبذ ﴿ليشهدوا﴾ متعلق بيأتوك لا بأذن أى ليحضروا ﴿منافع﴾ عظيمة الخطر كثيرة العدد أو نوعا من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام فى قوله تعالى ﴿لهم﴾ متعلق بمحذوف هو صفة لمنافع أى منافع كائنة لهم ﴿ويذكروا اسم الله﴾ عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وفى جعله غاية للاتيان ايذان بانه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه ﴿فى أيام معلومات﴾ هى أيام النحر كما ينبىء عنه قوله تعالى ﴿على ما رزقهم من بهيمة الانعام﴾ فان المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل هى عشر ذى الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على الذكر ﴿فكلوا منها﴾ التفات الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر قد حذف للاشعار بانه أمر محقق غير محتاج الى التصريح به كما فى قوله تعالى فانفجرت أى فاذكروا اسم الله على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر للاباحة وازاحة ما كانت عليه أهل الجاهلية من التحرج فيه أو للندب الى مواساة الفقراء ومساواتهم ﴿وأطعموا البائس﴾ أى الذى أصابه بؤس وشدة ﴿الفقير﴾ المحتاج وهذا الامر للوجوب وقد قيل به فى الاول أيضا ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ أى ليؤدوا ازالة وسخهم او ليحكموها بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال ﴿وليوفوا نذورهم﴾ ما ينذرون من البر فى حجهم وقيل مواجب الحج وقرىء بفتح الواو وتشديد الفاء ﴿وليطوفوا﴾ طواف الركن الذى به يتم التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع ﴿بالبيت العتيق﴾ أى القديم فانه أول بيت وضع للناس أو المعتق من تسلط الجبابرة فكأين من جبار سار اليه ليهدمه فقصمه الله عز وجل وأما الحجاج الثقفى

فاءنما قصد اخراج ابن الزبير رضي الله عنهما منه لا التسلط عليه ﴿ذلك﴾ أى الامر ذلك وهذا وأمثاله يطلق للفصل بين الكلامين أو بين وجهى كلام واحد ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ أى أحكامه وسائر مالا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم ومايتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام ﴿فهو خير له﴾ أى فالتعظيم خير له ثوابا ﴿عند ربه﴾ أى فى الآخرة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره من لتشريفه والاشعار بعلة الحكم ﴿وأحلت لكم الأنعام﴾ وهى الأزواج الثمانية على الاطلاق فقوله تعالى ﴿الا ما يتلى عليكم﴾ أى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه استثناء متصل منها على أن ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جىء به تقريرا لما قبله من الأمر بالأكل والاطعام ودفعا لما عسى يتوهم أن الاحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونها من ذلك القبيل بحمل الأنعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج الى الاستثناء المذكور اذ ليس فيها ماحرم لعارض قطعا لمراعاة حسن التخلص الى ما بعده من قوله تعالى ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ فانه مترتب على ما يفيده قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل الأنعام من دواعى التعاطى لا من مبادىء الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب عنه من المحرمات ثم أمر بالاجتناب عما هو أقصى الحرمات كأنه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والأنعام ليست من الحرمات فانها محللة لكم الا ما يتلى عليكم آية تحريمه فانه مما يجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الأمور التى يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ تعميم بعد تخصيص فان عبادة الأوثان رأس الزور كأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب ونحوهما والافتراء على الله تعالى بأنه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى أنه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى ثلاثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كالافك المأخوذ من الافك الذى هو القلب والصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل هو قول أهل الجاهلية فى تلبيتهم لبيك لاشريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك ﴿حنفاء لله﴾ مائلين عن كل دين زائغ الى الدين الحق مخلصين لله تعالى ﴿غير مشركين به﴾ أى شيئا من الأشياء فيدخل فى ذلك الأوثان دخولا أوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا ﴿ومن يشرك بالله﴾ جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب عن الاشراك واظهار الاسم الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك ﴿فكأنما خر من السماء﴾ لأنه مسقط من أوج الايمان الى حضيض الكفر ﴿فتخطفه الطير﴾ فان الأهواء المردية توزع أفكاره وقرىء فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وأصلهما تختطفه ﴿أو تهوى به الريح﴾ أى تسقطه وتقذفه ﴿فى مكان سحيق﴾ بعيد فان الشيطان قد طوح به فى الضلالة وأو للتخيير كما فى أو كصيب أو للتنويع ويجوز أن يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا شبيها بهلاك أحد الهالكين ﴿ذلك﴾ أى الأمر ذلك أو امتثلوا ذلك ﴿ومن يعظم شعائر الله﴾ أى الهدايا فانها من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبىء عنه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وهو الأوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد أن التقرب بها من أجل القربات وأن يختارها حسانا سمانا غالية الأثمان روى أنه عليه الصلاة والسلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لأبى جهل فى أنفه برة من ذهب وأن عمر رضى الله عنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار ﴿فانها﴾ أى فان تعظيمها ﴿من تقوى القلوب﴾ أى من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من أو فان تعظيمها ناشىء من تقوى القلوب وتخصيصها بالاضافة لانها

مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الاعضاء ﴿لكم فيها﴾ أي في الهدايا ﴿منافع﴾ هي درها ونسلها وصوفها وظهرها ﴿الى أجل مسمى﴾ هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والأكل منه ﴿ثم محلها﴾ أي وجوب نحرها أو وقت نحرها منتهية ﴿الى البيت العتيق﴾ أي الى مايليه من الحرم وثم للتراخي الزماني أو الرتبي أي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت نحرها ثم منافع دينية أعظمها في النفع محلها أي وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها الى البيت العتيق أي منتهية اليه هذا وقد قيل المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك واقامة شعائر الحج الى أجل مسمى هو انقضاء أيام الحج ثم محلها أي محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق أي منته اليه بأن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك فاضافة المحل اليها لأدنى ملابسة ﴿ولكل أمة﴾ أي لكل أهل دين ﴿جعلنا منسكا﴾ أي متعبدا وقربانا يتقربون به الى الله عز وجل وقرئ بكسر السين أي موضع نسك وتقديم الجار والمجرور على الفعل للتخصيص أي لكل أمة من الأمم جعلنا منسكا لا لبعض دون بعض ﴿ليذكروا اسم الله﴾ خاصة دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على أن المقصود الأصلي من المناسك تذكر المعبود ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ عند ذبحها وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون من الأنعام والخطاب في قوله تعالى ﴿فالهكم اله واحد﴾ للكل تغليبا والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان جعله تعالى لكل أمة من الأمم منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى وانما قيل اله واحد ولم يقل واحد لما أن المراد بيان أنه تعالى واحد في ذاته كما أنه واحد في الهيته للكل والفاء في قوله تعالى ﴿فله أسلموا﴾ لترتيب ما بعدها من الأمر بالاسلام على وحدانيته تعالى وتقديم الجار والمجرور على الأمر للقصر أي فاذا كان الهكم الها واحدا فأخلصوا له التقرب أو الذكر واجعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك ﴿وبشر المخبتين﴾ تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المتواضعين أو المخلصين فان الاخبات من الوظائف الخاصة بهم ﴿الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ منه تعالى لاشراق أشعة جلاله عليها ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من مشاق التكاليف ومؤنات النوائب ﴿والمقيمي الصلوة﴾ في أوقاتها وقرئ بنصب الصلاة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلاة على الأصل ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في وجوه الخيرات ﴿والبدن﴾ بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمها وهما جمعا بدنة وقيل الأصل ضم الدال كخشب وخشبة والتسكين تخفيف منه وقرئ بتشديد النون على لفظ الوقف وانما سميت بها الابل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة وحيث شاركها البقرة في الاجزاء عن سبعة بقوله صلى الله عليه وسلم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جعلا في الشريعة جنسا واحدا وانتصابه بمضمر يفسره ﴿جعلناها لكم﴾ وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ والجملة خبره وقوله تعالى ﴿من شعائر الله﴾ أي من أعلام دينه التي شرعها الله تعالى مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تعالى ﴿لكم فيها خير﴾ أي منافع دينية ودنيوية جملة مستأنفة مقررة لما قبلها ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ بأن تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر اللهم منك واليك ﴿صواف﴾ أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وعلى طرف سنبك الرابعة لأن البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وقرئ صوافي أي خوالص لوجه الله عز وجل وصواف على لغة من يسكن الياء على الاطلاق كما في قوله

لعلي أرى باق على الحدثان ﴿فاذا وجبت جنوبها﴾ سقطت على الأرض وهو كناية عن الموت ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع﴾ الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده أنه قرئ القنع أو السائل من قنع اليه قنوعا اذا خضع له في السؤال

﴿والمعتر﴾ أى المتعرض للسؤال وقرىء المعترى يقال عره وعراه واعتره واعتراه ﴿كذلك﴾ مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تعالى صواف ﴿سخرناها لكم﴾ مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصى عليكم حتى تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون فى لباتها ﴿لعلكم تشكرون﴾ لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص ﴿لن ينال الله﴾ أى لن يبلغ مرضاته ولن يقع منه موقع القبول ﴿لحومها﴾ المتصدق بها ﴿ولا دماؤها﴾ المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ ولكن يصيبه تقوى قلوبكم التى تدعوكم الى الامتثال بأمره تعالى وتعظيمه والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان أهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدماء قرابينهم فهم به المسلمون فنزلت ﴿كذلك سخرها لكم﴾ تكرير للتذكير والتعليل بقوله تعالى ﴿لتكبروا الله﴾ أى لتعرفوا عظمته باقتداره على مالا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح ﴿على ماهداكم﴾ أى أرشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما مصدرية أو موصولة أى على هدايته اياكم أو على ماهداكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر ﴿وبشر المحسنين﴾ أى المخلصين فى كل ما يأتون ومايذرون فى أمور دينهم ﴿ان الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان أن الله تعالى ناصرهم على أعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم عن الحج ليتفرغوا الى أداء مناسكهم وتصديره بكلمة التحقيق لابراز الاعتناء التام بمضمونه وصيغة المفاعلة اما للمبالغة أو للدلالة على تكرر الدفع فانها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما فى الممارسة أى يبالغ فى دفع غائلة المشركين وضررهم الذى من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه او يدفعها عنهم مرة بعد أخرى حسبما تجدد منهم القصد الى الاضرار بالمسلمين كما فى قوله تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله وقرىء يدفع والمفعول محذوف وقوله تعالى ﴿ان الله لا يحب كل خوان كفور﴾ تعليل لما فى ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين وايذان بأن دفعهم بطريق القهر والخزى ونفى المحبة كناية عن البغض أى ان الله يبغض كل خوان فى أماناته تعالى وهى أوامره ونواهيه أو فى جميع الامانات التى هى معظمها كفور لنعمته وصيغة المبالغة فيهما لبيان أنهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية الخيانة والكفر أو للمبالغة فى نفى المحبة على اعتبار النفى أولا وايراد معنى المبالغة ثانيا ﴿أذن﴾ أى رخص وقرىء على البناء للفاعل أى أذن الله تعالى ﴿للذين يقاتلون﴾ أى يقاتلهم المشركون والمأذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين اياهم دالة على مقاتلتهم اياهم دلالة نيرة وقرىء على صيغة المبنى للفاعل أى يريدون أن يقاتلوا المشركين فيما سيأتى ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف أظهر ﴿بأنهم ظلموا﴾ أى بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه عليه السلام بين مضروب ومشجوج ويتظلمون اليه فيقول عليه السلام لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال حتى هاجروا فأنزلت وهى أول آية نزلت فى القتال بعد مانهى عنه فى نيف وسبعين آية ﴿وان الله على نصرهم لقدير﴾ وعد لهم بالنصر وتأكيد لما مر من العدة الكريمة بالدفع وتصريح بأن المراد به ليس مجرد تخليصهم من أيدى المشركين بل تغليبهم واظهارهم عليهم والاخبار بقدرته تعالى على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتأكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين وقوله تعالى ﴿الذين أخرجوا من ديارهم﴾ فى حيز الجر على أنه صفة للموصول الاول أو بيان له أو بدل منه أو فى محل النصب على المدح أو فى محل الرفع باضمار مبتدأ والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة ﴿بغير حق﴾ متعلق بأخرجوا أى أخرجوا بغير ما يوجب اخراجهم وقوله تعالى ﴿الا أن يقولوا ربنا الله﴾ بدل من حق أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجبا للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على

الظاهر بل على طريقة قول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وقيل الاستثناء منقطع ﴿ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ بتسليط المؤمنين على الكافرين فى كل عصر وزمان وقرئ دفاع ﴿لهدمت﴾ لخربت باستيلاء المشركين على أهل الملل وقرئ هدمت بالتخفيف ﴿صوامع﴾ للرهابنة ﴿وبيع﴾ للنصارى ﴿وصلوات﴾ أى وكنائس لليهود سميت بها لأنها يصلى فيها وقيل أصلها صلوتا بالعبرية فعربت ﴿ومساجد﴾ للمسلمين ﴿يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ أى ذكرا كثيرا أو وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل أهلها وقيل صفة للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز وجل فى الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الأفهام ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ أى وبالله لينصرن الله من ينصر أولياءه أو من ينصر دينه ولقد أنجز الله عز سلطانه وعده حيث سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرة الروم وأورثهم أرضهم وديارهم ﴿ان الله لقوى﴾ على كل ما يريده من مراداته التى من جملتها نصرهم ﴿عزيز﴾ لا يمانعه شئ ولا يدافعه ﴿الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ وصف من الله عز وجل للذين أخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى اياهم فى الأرض واعطائه اياهم زمام الأحكام منبئ عن عدة كريمة على أبلغ وجه وألطفه وعن عثمان رضى الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أنه تعالى أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا قالوا وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لأنه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ فى ذلك للأنصار والطلقاء وعن الحسن رحمه الله هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين بدل من قوله من ينصره ﴿ولله﴾ خاصة ﴿عاقبة الأمور﴾ فان مرجعها الى حكمه وتقديره فقط وفيه تأكيد للوعد باظهار أوليائه واعلاء كلمته ﴿وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة للوعد الكريم باهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع عاقبة الأمور اليه تعالى وصيغة المضارع فى الشرط مع تحقق التكذيب لما أن المقصود تسليته عليه السلام عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع أى وان تحزن على تكذيبهم اياك فاعلم أنك لست بأوحدى فى ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك اياك قوم نوح ﴿وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين﴾ أى رسلهم من ذكر ومن لم يذكر وانما حذف لكمال ظهور المراد أو لأن المراد نفس الفعل أى فعلت التكذيب قوم نوح الى آخره ﴿وكذب موسى﴾ غير النظم الكريم بذكر المفعول وبناء الفعل له لا لأن قومه بنو اسرائيل وهم لم يكذبوه وانما كذبه القبط لما أن ذلك انما يقتضى عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا بعنوان آخر على أن بنى اسرائيل أيضا قد كذبوه مرة بعد أخرى حسبما ينطق به قوله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك من الآيات الكريمة بل للايذان بأن تكذيبهم له كان فى غاية الشناعة لكون آياته فى كمال الوضوح وقوله تعالى ﴿فأمليت للكافرين﴾ أى أمهلتهم حتى انصرمت حبال آجالهم والفاء لترتيب امهال كل فريق من فرق المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب امهال الكل على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير العائد الى المكذبين لذمهم بالكفر والتصريح بمكذبى موسى عليه السلام حيث لم يذكروا فيما قبل صريحا ﴿ثم أخذتهم﴾ أى أخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة املائه وامهاله ﴿فكيف كان نكير﴾ أى انكارى عليهم بالاهلاك أى فكان ذلك فى غاية ما يكون من الهول والفظاعة

وقوله تعالى ﴿فكأين من قرية﴾ منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى ﴿أهلكناها﴾ أى فأهلكنا كثيرا من القرى باهلاك أهلها والجملة بدل من قوله تعالى فكيف كان نكير أو مرفوع على الابتداء وأهلكناها خبره أى فكثير من القرى أهلكناها وقرئ أهلكتها على وفق قوله تعالى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير ﴿وهى ظالمة﴾ جملة حالية من مفعول أهلكنا وقوله تعالى ﴿فهى خاوية﴾ عطف على أهلكناها لا على وهى ظالمة لأنها حال والاهلاك ليس فى حال خوائها فلى الأول لا محل له من الاعراب كالمعطوف عليه وعلى الثانى فى محل الرفع لعطفه على الخبر والخواء اما بمعنى السقوط من خوى النجم اذا سقط فالمعنى فهى ساقطة حيطانها ﴿على عروشها﴾ أى سقوفها بأن تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف واسناد السقوط على العروش اليها لتنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه واما بمعنى الخلو من خوى المنزل اذا خلا من أهله فالمعنى فهى خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فتكون على بمعنى مع ويجوز أن يكون على عروشها خبرا بعد خبر أى فهى خالية وهى على عروشها أى قائمة مشرفة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت الى الارض وبقيت الحيطان قائمة فهى مشرفة على السقوف الساقطة واسناد الاشراف الى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر آنفا ﴿وبئر معطلة﴾ عطف على قرية أى وكم بئر عامرة فى البوادى تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها وقرئ بالتخفيف من أعطله بمعنى عطله ﴿وقصر مشيد﴾ مرفوع البنيان أو مجصص أخليناه عن ساكنيه وهذا يؤيد كون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبئر بئر بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه أهلكهم الله تعالى وعطلهما ﴿أفلم يسيروا فى الارض﴾ حث لهم أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فحثوا على ذلك والفاء لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام أى أغفلوا فلم يسيروا فيها ﴿فتكون لهم﴾ بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار ﴿قلوب يعقلون بها﴾ ما يجب أن يعقل من التوحيد ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ ما يجب أن يسمع من الوحى أو من أخبار الامم المهلكة ممن يجاورهم من الناس فانهم أعرف منهم بحالهم ﴿فانها لا تعمى الابصار﴾ الضمير للقصة أو مبهم يفسره الابصار وفى تعمى ضمير راجع اليه وقد أقيم الظاهر مقامه ﴿ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾ أى ليس الخلل فى مشاعرهم وانما هو فى عقولهم باتباع الهوى والانهماك فى الغفلة وذكر الصدور للتأكيد ونفى توهم التجوز وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقى ليس المتعارف الذى يختص بالبصر قيل لما نزل قوله تعالى ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى قال ابن أم مكتوم يا رسول الله أنا فى الدنيا أعمى أفأكون فى الآخرة أعمى فنزلت ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ كانوا منكرين لمجئ العذاب المتوعد به أشد الانكار وانما كانوا يستعجلون به استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجيزا له على زعمهم فحكى عنهم ذلك بطريق التخطئة والاستنكار فقوله تعالى ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ اما جملة حالية جئ بها لبيان بطلان انكارهم لمجيئه فى ضمن استعجالهم به واظهار خطائهم فيه كأنه قيل كيف ينكرون مجئ العذاب الموعود والحال أنه تعالى لا يخلف وعده أبدا وقد سبق الوعد فلابد من مجيئه حتما أو اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى ﴿وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ جملة مستأنفة ان كانت الأولى حالية ومعطوفة عليها ان كانت اعتراضية سيقت لبيان خطائهم فى الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره واظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مدداطوالا عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة الى انكاره ويجترئون على

الاستعجال به ولا يدرون أن معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا ما عنده تعالى من المقدار وقراءة يعدون على صيغة الغيبة أى يعده المستعجلون أوفق لهذا المعنى وقد جعل الخطاب فى القراءة المشهورة لهم أيضا بطريق الالتفات لكن الظاهر أنه للرسول عليه السلام ومن معه من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى ماجعل لهلاك كل أمة من موعد معين وأجل مسمى كما فى قوله تعالى و يستعجلونك بالعذاب ولو لا أجل مسمى لجاءهم العذاب فتكون الجملة الاولى حالية كانت أو اعتراضية مبينة لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود والجملة الاخيرة بيانا لبطلانه ببيان ابتناء على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذى مر بيانه فلايكون فى النظم الكريم حينئذ تعرض لانكارهم الذى دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم ويكتفى فى رد انكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من أمثالهم هذا وحمل المستعجل به على عذاب الآخرة وجعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته أو عن أيام الآخرة الطويلة حقيقة أو المستطالة لشدة عذابها مما لا يساعده سباق النظم الجليل ولا سياقه فان كلا منهما ناطق بأن المراد هو العذاب الدنيوى وأن الزمان الممتد هو الذى مر عليهم قبل حلوله بطريق الاملاء والامهال لاالزمان المقارن له ألا يرى الى قوله تعالى ﴿ وكأين من قرية ﴾ الخ فانه كما سلف من قوله تعالى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم صريح فى أن المراد هو الأخذ العاجل الشديد بعد الاملاء المديد أى وكم من أهل قرية فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فى الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة فى التعميم والتهويل ﴿ أمليت لها ﴾ كما أمليت لهؤلاء حتى أنكروا مجىء ما وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء ﴿ وهى ظالمة ﴾ جملة حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين أى أمليت لها والحال أنها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء ﴿ ثم أخذتها ﴾ بالعذاب والنكال بعد طول الاملاء والامهال وقوله تعالى ﴿ والى المصير ﴾ اعتراض تذييلى مقرر لما قبله ومصرح بما أفاده ذلك بطريق التعريض من أن مآل أمر المستعجلين أيضا ما ذكر من الاخذ الوبيل أى الى حكمى مرجع الكل جميعا لا الى أحد غيرى لا استقلالا ولا شركة فأفعل بهم ما أفعل مما يليق بأعمالهم ﴿ قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين ﴾ أنذركم انذارا بينا بما أوحى من أنباء الأمم المهلكة من غير أن يكون لى دخل فى اتيان ماتوعدونه من العذاب حتى تستعجلونى به والاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين بعده لما أشير اليه من أن مساق الحديث للمشركين وعقابهم وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة فى غيظهم ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ﴾ لما ندر منهم من الذنوب ﴿ ورزق كريم ﴾ هى الجنة والكريم من كل نوع مايجمع فضائله ويحوز كمالاته ﴿ والذين سعوا فى آياتنا معاجزين ﴾ أى سابقين أو مسابقين فى زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم الاسلام يتم لهم وأصله من عاجزه وعجزه فأعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يريد اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرىء معجزين أى مثبطين الناس عن الايمان على انه حال مقدرة ﴿ أولئك ﴾ الموصوفون بما ذكر من السعى والمعاجزة ﴿ أصحاب الجحيم ﴾ أى ملازمو النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ﴾ الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس اليها والنبى يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كأنبياء بنى اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ولذلك شبه عليه السلام علماء أمته بهم فالنبى أعم من الرسول ويدل عليه أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر جماء غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبى غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحى والنبى يقال له ولمن يوحى اليه فى المنام ﴿ الا اذا تمنى ﴾ أى هيأ فى نفسه مايهواه ﴿ ألقى الشيطان

فى أمنيته ﴾ فى تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام وانه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة ﴿ فينسخ الله ما يلقى الشيطان ﴾ فيبطله و يذهب به بعصمته عن الركون اليه وارشاده الى مايزيحه ﴿ ثم يحكم الله آياته ﴾ أى يثبت آياته الداعية الى الاستغراق فى شئون الحق وصيغة المضارع فى الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددى واظهار الجلالة فى موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بأن الالوهية من موجبات أحكام آياته الباهرة ﴿ والله عليم ﴾ مبالغ فى العلم بكل ما من شأنه أن يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول وفعل عمدا أو خطأ ﴿ حكيم ﴾ فى كل ما يفعل والاظهار ههنا أيضا لما ذكر مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلى قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه أن ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان فى ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فأخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى أن قال تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد فى آخرها بحيث لم يبق فى المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم به فعزاه الله عز وجل بهذه الآية وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله

تمنى كتاب الله أول ليلة تمنى داود الزبور على رسل

وأمنيته قراءته والقاء الشيطان فيها أن يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبى عليه السلام وقد رد بأنه أيضا يخل بالوثوق بالقرآن و لا يندفع بقوله تعالى فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه أيضا يحتمله و فى الآية دلالة على جواز السهو من الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة اليهم ﴿ ليجعل ما يلقى الشيطان ﴾ علة لما ينبئ عنه ما ذكر من القاء الشيطان من تمكينه تعالى اياه من ذلك فى حق النبى عليه السلام خاصة كما يعرب عنه سياق النظم الكريم لما أن تمكينه تعالى اياه من الالقاء فى حق سائر الأنبياء عليهم السلام لايمكن تعليله بما سيأتى وفيه دلالة على أن ما يلقيه أمر ظاهر يعرفه المحق والمبطل ﴿ فتنة للذين فى قلوبهم مرض ﴾ أى شك ونفاق كما فى قوله تعالى فى قلوبهم مرض الآية ﴿ والقاسية قلوبهم ﴾ أى المشركين ﴿ وان الظالمين ﴾ أى الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة ﴿ لفى شقاق بعيد ﴾ أى عداوة شديدة ومخالفة تامة و وصف الشقاق بالبعد مع أن الموصوف به حقيقة هو معروضه للمبالغة والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ماقبله ﴿ وليعلم الذين أوتوا العلم أنه ﴾ أى القرآن ﴿ الحق من ربك ﴾ أى هو الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا أن تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجميلة لأنه مما جرت به عادته فى جنس الانس من لدن آدم عليه السلام فحينئذ لاحاجة الى تخصيص التمكين فيما سبق بالالقاء فى حقه عليه السلام لكن يأباه قوله تعالى ﴿ فيؤمنوا به ﴾ أى بالقرآن أى يثبتوا على الايمان به أو يزدادوا ايمانا برد مايلقى الشيطان فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية والاذعان لما فيه من الأوامر والنواهى و رجع الضميرين لاسيما الثانى الى تمكين الشيطان من الالقاء مما لا وجه له ﴿ وان الله لهادى الذين آمنوا ﴾ أى فى الأمور الدينية خصوصا فى المداحض والمشكلات التى من جملتها ما ذكر ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ هو النظر الصحيح الموصل الى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله ﴿ و لا يزال الذين كفروا فى مرية ﴾ أى فى شك وجدال ﴿ منه ﴾ أى من القرآن وقيل من الرسول صلى الله عليه وسلم والأول هو الأظهر بشهادة ماسبق من قوله تعالى ثم يحكم الله آياته وقوله تعالى أنه الحق من ربك فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى و كذبوا بآياتنا وأما تجويز كون الضمير لما ألقى الشيطان فى أمنيته فمما لا مساغ له لأن ذلك ليس من هناتهم التى تستمر الى الأمد المذكور بل انما هى مريتهم

فى شأن القرآن ولا يجدى حمل من على السببية دون الابتدائية لما أن مريتهم المستمرة كما أنها ليست مبتدأة من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة أنها مستمرة منهم من لدن نزول القرآن الكريم ﴿حتى تأتيهم الساعة﴾ أى القيامة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى ﴿بغتة﴾ أى فجأة فانها الموصوفة بالاتيان كذلك لا أشراطها وقيل الموت ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ أى يوم لا يوم بعده كأن كل يوم يلد ما بعده من الأيام فما لا يوم بعده يكون عقيما والمراد به الساعة أيضا كأنه قيل أو يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل ولا سبيل الى حمل الساعة على أشراطها لما عرفته وأما ما قيل من أن المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمى به لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو لأن المقاتلين أبناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما أى ثكلى فوصف اليوم بوصفها اتساعا أو لأنه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم ينشئ مطرا ولم يلقح شجرا أو لأنه لا مثل له لقتال الملائكة عليهم السلام فيه فمما لا يساعده سياق النظم الكريم أصلا كيف لا وان تخصيص الملك والتصرف الكلى فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الأخروى يقضى بأن المراد به يوم القيامة قضاء بينا لا ريب فيه ﴿الملك﴾ أى السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الاطلاق ﴿يومئذ﴾ وحده بلا شريك أصلا بحيث لا يكون فيه لأحد تصرف من التصرفات فى أمر من الأمور لا حقيقة ولا مجازا ولا صورة ولا معنى كما فى الدنيا فان للبعض فيها تصرفا صوريا فى الجملة وليس التنوين نائبا عما تدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا عما يستلزمه ذلك من ايمانهم كما قيل لما أن القيد المعتبر مع اليوم حيث وسط بين طرفى الجملة يجب أن يكون مدارا لحكمها أعنى كون الملك لله عز وجل وما يتفرع عليه من الاثابة والتعذيب ولا ريب فى أن ايمانهم أو زوال مريتهم ليس مما له تعلق ما بما ذكر فضلا عن المدارية له فلا سبيل الى اعتبار شىء منهما مع اليوم قطعا وانما الذى يدور عليه ما ذكر اتيان الساعة التى هى منتهى تصرفات الخلق ومبدأ ظهور أحكام الملك الحق جل جلاله فاذن هو نائب عن نفس الجملة الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك يوم اذ تأتيهم الساعة أو عذابها لله تعالى وقوله تعالى ﴿يحكم بينهم﴾ جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار بكون الملك يومئذ لله كأنه قيل فماذا يصنع بهم حينئذ فقيل يحكم بين فريق المؤمنين به والمارين فيه بالمجازاة وقوله تعالى ﴿فالذين آمنوا﴾ الخ تفسير للحكم المذكور وتفصيل له أى فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يماروا فيه ﴿وعملوا الصالحات﴾ امتثالا بما أمروا فى تضاعيفه ﴿فى جنات النعيم﴾ أى مستقرون فيها ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ أى أصروا على ذلك واستمروا ﴿فأولئك﴾ اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الشر والفساد أى أولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿لهم عذاب﴾ جملة اسمية من مبتدا وخبر مقدم عليه وقعت خبرا لأولئك أو لهم خبر لأولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار فى الجار والمجرور لاعتماده على المبتدا وأولئك مع خبره على الوجهين خبر للموصول وتصديره بالفاء للدلالة على أن تعذيب الكفار بسبب أعمالهم السيئة كما أن تجريد خبر الموصول الأول عنها للايذان بأن اثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لايجاب الأعمال الصالحة اياها وقوله تعالى ﴿مهين﴾ صفة لعذاب مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى ﴿والذين هاجروا فى سبيل الله﴾ أى فى الجهاد حسبما يلوح به قوله تعالى ﴿ثم قتلوا أو ماتوا﴾ أى فى تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى ﴿ليرزقنهم الله﴾ جواب لقسم محذوف والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها خبرا للمبتدا يضمر قولا هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى ﴿رزقا حسنا﴾ اما مفعول ثان على أنه من باب الرعى والذبح أى مرزوقا حسنا

أومصدر مؤكد والمراد به مالا ينقطع أبدا من نعيم الجنة وانما سوى بينهما فى الوعد لاستوائهما فى القصد وأصل العمل على أن مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الارزاق الحسنة و روى أن بعض أصحاب النبى عليه السلام قالوا يانبى الله هؤلاء الذين قتلوا فى سبيل الله قد علمنا ما أعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت وقيل نزلت فى طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم ﴿وان الله لهو خير الرازقين﴾ فانه يرزق بغير حساب مع أن مايرزقه لايقدر عليه أحد غيره والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله وقوله تعالى ﴿ليدخلنهم مدخلا يرضونه﴾ بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله أو استئناف مقرر لمضمونه ومدخلا اما اسم مكان أريد به الجنة فهو مفعول ثان للادخال أو مصدر ميمى أكد به فعله قال ابن عباس رضى الله عنهما انما قيل يرضونه لما أنهم يرون فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر فيرضونه ﴿وان الله لعليم﴾ بأحوالهم وأحوال معاديهم ﴿حليم﴾ لايعاجلهم بالعقوبة ﴿ذلك﴾ خبر مبتدا محذوف أى الامر ذلك والجملة لتقرير ماقبله والتنبيه على أن مابعده كلام مستأنف ﴿ومن عاقب بمثل ماعوقب به﴾ أى لم يزد فى الاقتصاص وانما سمى الابتداء بالعقاب الذى هو جزاء الجناية للمشاكلة أو لكونه سببا له ﴿ثم بغى عليه﴾ بالمعاودة الى العقوبة ﴿لينصرنه الله﴾ على من بغى عليه لامحالة ﴿ان الله لعفو غفور﴾ أى مبالغ فى العفو والغفران فيعفو عن المنتصر و يغفر له ماصدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المندوب اليهما بقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك أى ماذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور فان فيه حثا بليغا على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو و يغفر فغيره أولى بذلك وتنبيها على أنه تعالى قادر على العقوبة اذ لايوصف بالعفو الا القادر على ضده ﴿ذلك﴾ اشارة الى النصر ومافيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى ﴿بأن الله يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل﴾ أى بسبب أنه تعالى من شأنه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين الاشياء المتضادة وعبر عن ذلك بادخال أحد الملوين فى الآخر بأن يزيد فيه ماينقص عن الآخر أو بتحصيل أحدهما فى مكان الآخر لكونه أظهر المواد وأوضحها ﴿وان الله سميع﴾ بكل المسموعات التى من جملتها قول المعاقب ﴿بصير﴾ بجميع المبصرات ومن جملتها أفعاله ﴿ذلك﴾ أى الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم ومافيه من معنى البعد لما مر آنفا وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿بأن الله هو الحق﴾ الواجب لذاته الثابت فى نفسه وصفاته وأفعاله وحده فان وجوب وجوده و وحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل مايوجد من الموجودات عالما بكل المعلومات أو الثابت الهيته فلا يصلح لها الا من كان عالما قادرا ﴿وأن مايدعون من دونه﴾ الها وقرىء على البناء للمفعول على أن الواو لما فانه عبارة عن الآلهة وقرىء بالتاء على خطاب المشركين ﴿هو الباطل﴾ أى المعدوم فى حد ذاته أو الباطل الوهيته ﴿وأن الله هو العلى﴾ على جميع الاشياء ﴿الكبير﴾ عن أن يكون له شريك لاشىء أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾ استفهام تقرير كما يفصح عنه الرفع فى قوله تعالى ﴿فتصبح الارض مخضرة﴾ بالعطف على أنزل وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بتجدد أثر الانزال واستمراره أو لاستحضار صورة الاخضرار ﴿ان الله لطيف﴾ يصل لطفه أو علمه الى كل ماجل ودق ﴿خبير﴾ بما يليق من التدابير الحسنة ظاهرا و باطنا ﴿له مافى السموات ومافى الارض﴾ خلقا وملكا وتصرفا ﴿وان الله لهو الغنى﴾ عن كل شىء ﴿الحميد﴾ المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله ﴿ألم تر أن الله سخر لكم مافى الارض﴾ أى جعل مافيها من الاشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا أصلب من الحجر ولا أشد من الحديد ولا أهيب من النار وهى مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم

لتعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ﴿والفلك﴾ عطف على ما أو على اسم أن وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿تجرى فى البحر بأمره﴾ حال من الفلك على الاول وخبر على الاخيرين ﴿ويمسك السماء أن تقع على الارض﴾ أى من أن تقع أو كراهة أن تقع بأن خلقها على هيئة متداعية الى الاستمساك ﴿الا باذنه﴾ أى بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية فى الجسمية لسائر الاجسام القابلة للميل الهابط فتقبله كقبول غيرها ﴿ان الله بالناس لرؤف رحيم﴾ حيث هيأ لهم أسباب معاشهم وفتح عليهم أبواب المنافع وأوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية ﴿وهو الذى أحياكم﴾ بعد أن كنتم جمادا عناصر ونطفا حسبما فصل فى مطلع السورة الكريمة ﴿ثم يميتكم﴾ عند مجئ آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ عند البعث ﴿ان الانسان لكفور﴾ أى جحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض أفراده ﴿لكل أمة﴾ كلام مستأنف جئ به لزجر معاصريه عليه السلام من أهل الأديان السماوية عن منازعته عليه السلام ببيان حال ما تمسكوا به من الشرائع واظهار خطائهم فى النظر أى لكل أمة معينة من الامم الخالية والباقية ﴿جعلنا﴾ أى وضعنا وعينا ﴿منسكا﴾ أى شريعة خاصة لا لأمة أخرى منهم على معنى عينا كل شريعة لامة معينة من الأمم بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة أخرى لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى ﴿هم ناسكوه﴾ صفة لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل أمة باعتبار خصوصها أى تلك الامة المعينة ناسكوه والعاملون به لا أمة أخرى فالامة التى كانت من مبعث موسى عليه السلام الى مبعث عيسى عليه السلام منسكهم التوراة هم ناسكوها والعاملون بها لا غيرهم والتى كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبى عليهما السلام منسكهم الانجيل هم ناسكوه والعاملون به لا غيرهم وأما الامة الموجودة عند مبعث النبى عليه السلام ومن بعدهم من الموجودين الى يوم القيامة فهم أمة واحدة منسكهم الفرقان ليس الا كما مر فى تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والفاء فى قوله تعالى ﴿فلا ينازعنك فى الامر﴾ لترتيب النهى أو موجبه على ماقبلها فان تعيينه تعالى لكل أمة من الامم التى من جملتهم هذه الامة شريعة مستقلة بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم منازعتهم اياه فى أمر الدين زعما منهم أن شريعتهم ماعين لآبائهم الأولين من التوراة والانجيل فانهما شريعتان لمن مضى من الامم قبل انتساخهما وهؤلاء أمة مستقلة منسكهم القرآن المجيد فحسب والنهى اما على حقيقته أو كناية عن نهيه عليه السلام عن الالتفات الى نزاعهم المبنى على زعمهم المذكور وأما جعله عبارة عن نهيه عليه السلام عن منازعتهم فلا يساعده المقام وقرئ فلا ينزعنك على تهييجه عليه السلام والمبالغة فى تثبيته وأياما كان فمحل النزاع ماذكرناه وتخصيصه بأمر النسائك وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين مالكم تأكلون ماقتلتم ولا تأكلون ماقتله الله تعالى مما لا سبيل اليه أصلا كيف لا وأنه يستدعى أن يكون أكل الميتة وسائر مايدينونه من الاباطيل من جملة المناسك التى جعلها الله تعالى لبعض الامم ولا يرتاب فى بطلانه عاقل ﴿وادع﴾ أى وادعهم أو وادع الناس كافة على أنهم داخلون فيهم دخولا أوليا ﴿الى ربك﴾ الى توحيده وعبادته حسبما بين لهم فى منسكهم وشريعتهم ﴿انك لعلى هدى مستقيم﴾ أى طريق موصل الى الحق سوى والمراد به اما الدين والشريعة أو أدلتها ﴿وان جادلوك﴾ بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق ولزوم الحجة عليهم ﴿فقل﴾ لهم على سبيل الوعيد ﴿الله أعلم بما تعملون﴾ من الأباطيل التى من جملتها المجادلة ﴿الله يحكم بينكم﴾ يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين ﴿يوم القيامة﴾ بالثواب والعقاب كما فصل فى الدنيا بالحجج والآيات ﴿فيما كنتم فيه تختلفون﴾ من أمر الدين ﴿ألم تعلم﴾ استئناف مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام للتقرير أى قد علمت ﴿ان الله

يعلم ما فى السماء والأرض ﴾ فلا يخفى عليه شىء من الأشياء التى من جملتها مايقوله الكفرة وما يعملونه ﴿ ان ذلك ﴾
أى ما فى السماء والارض ﴿ فى كتاب ﴾ هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك أمرهم مع علمنا به وحفظنا له
﴿ ان ذلك ﴾ أى ما ذكر من العلم والاحاطة به واثباته فى اللوح أو الحكم بينكم ﴿ على الله يسير ﴾ فان علمه وقدرته
مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شىء ولا يعسر عليه مقدور ﴿ ويعبدون من دون الله ﴾ حكاية لبعض أباطيل المشركين
وأحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم من بناء أمر دينهم على غير مبنى من دليل سمعى أو عقلى واعراضهم عما
ألقى عليهم من سلطان بين هو أساس الدين وقاعدته أشد اعراض أى يعبدون متجاوزين عبادة الله ﴿ مالم ينزل به ﴾ أى
بجواز عبادته ﴿ سلطانا ﴾ أى حجة ﴿ وماليس لهم به ﴾ أى بجواز عبادته ﴿ علم ﴾ من ضرورة العقل أو استدلاله
﴿ وما للظالمين ﴾ أى الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذى يقضى ببطلانه وكونه ظلما بديهة العقول ﴿ من نصير ﴾
يساعدهم بنصرة مذهبهم وتقرير رأيهم أو بدفع العذاب الذى يعتريهم بسبب ظلمهم ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا ﴾ عطف على
يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددى ﴿ بينات ﴾ أى حال كونها واضحات الدلالة
على العقائد الحقة والاحكام الصادقة أو على بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام أو على كونها من عند الله عز وجل ﴿ تعرف
فى وجوه الذين كفروا المنكر ﴾ أى الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام أو الفظيع من التجهم والبسور أو الشر الذى يقصدونه
بظهور مخايله من الاوضاع والهيئات وهو الانسب بقوله تعالى ﴿ يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ﴾ أى يثبون
ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لاباطيل أخذوها تقليدا وهل جهالة أعظم وأطم من أن يعبدوا ما لا يوهم صحة عبادته
شىء ما أصلا بل يقضى ببطلانها العقل والنقل ويظهروا لمن يهديهم الى الحق البين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا
ولهذا وضع الذين كفروا موضع الضمير ﴿ قل ﴾ ردا عليهم واقناطا عما يقصدونه من الاضرار بالمسلمين ﴿ أفأنبئكم ﴾ أى
أأخاطبكم فأخبركم ﴿ بشر من ذلكم ﴾ الذى فيكم من غيظكم على التالين وسطوتكم بهم أو مما تبغونهم من الغوائل أو مما
أصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم ﴿ النار ﴾ أى هو النار على أنه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماهو وقيل هو مبتدأ خبره
قوله تعالى ﴿ وعدها الله الذين كفروا ﴾ وقرىء النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة الفعلية
استئنافا كالوجه الاول أو حالا من النار باضمار قد ﴿ وبئس المصير ﴾ النار ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل ﴾ أى بين
لكم حال مستغربة أو قصة بديعة رائعة حقيقة بأن تسمى مثلا وتسير فى الامصار والاعصار أو جعل لله مثل أى مثل
فى استحقاق العبادة وأريد بذلك ما حكى عنهم من عبادتهم للاصنام ﴿ فاستمعوا له ﴾ أى للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر
أو فاستمعوا لأجله ما أقول فقوله تعالى ﴿ ان الذين تدعون من دون الله ﴾ الخ بيان للمثل وتفسير له على الاول وتعليل
لبطلان جعلهم الاصنام مثل الله سبحانه فى استحقاق العبادة على الثانى وقرىء بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول
والراجع الى الموصول على الاولين محذوف ﴿ لن يخلقوا ذبابا ﴾ أى لن يقدروا على خلقه أبدا مع صغره وحقارته
فان لن بما فيها من تأكيد النفى دالة على منافاة ما بين المنفى والمنفى عنه ﴿ ولو اجتمعوا له ﴾ أى لخلقه وجواب لو
محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على شرطية أخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها أى لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه
ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه مرارا وهما فى موضع الحال كأنه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال ﴿ وان يسلبهم
الذباب شيئا ﴾ بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه أى ان يأخذ الذباب منهم شيأ
﴿ لا يستنقذوه منه ﴾ مع غاية ضعفه ولقد جهلوا غاية التجهيل فى اشراكهم بالله القادر على جميع المقدورات المتفرد
بايجاد كافة الموجودات تماثيل هى أعجز الاشياء وبين ذلك بأنها لا تقدر على أقل الاحياء وأذلها ولو اتفقوا عليه بل

لاتقوى على مقاومة هذا الأقل الأذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ مايختطفه منها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ أي عابد الصنم ومعبوده أو الذباب الطالب لما يسلبه من الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك أو الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه مايسلبه ولو حققت وجدت الصنم أضعف من الذباب بدرجات وعابده أجهل من كل جاهل وأضل من كل ضال ﴿ماقدروا الله حق قدره﴾ أي ماعرفوه حق معرفته حيث أشركوا به وسموا باسمه ماهو أبعد الاشياء عنه مناسبة ﴿ان الله لقوى﴾ على خلق الممكنات بأسرها وافناء الموجودات عن آخرها ﴿عزيز﴾ غالب على جميع الاشياء وقد عرفت حال آلهتهم المقهورة لاذلها العجزة عن أقلها والجملة تعليل لما قبلها من نفي معرفتهم له تعالى ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلا﴾ يتوسطون بينه تعالى وبين الأنبياء عليهم السلام بالوحي ﴿ومن الناس﴾ وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق فيدعونهم اليه تعالى بما أنزل عليهم ويعلمونهم شرائعه وأحكامه كأنه تعالى لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى أن يشاركه فيها شيء من الاشياء بين أن له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادته عز وجل وهو أعلى الدرجات وأقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شاء الله لأنزل ملائكة وقولهم مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله وغير ذلك من الاباطيل ﴿ان الله سميع بصير﴾ عليم بجميع المسموعات والمبصرات فلايخفى عليه شيء من الأقوال والأفعال ﴿يعلم مابين أيديهم وماخلفهم والى الله ترجع الأمور﴾ لا الى أحد غيره لا اشتراكا ولا استقلالا ﴿ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ أي في صلواتكم أمرهم بهما لما أنهم ماكانوا يفعلونهما أول الاسلام أو صلوا عبر عن الصلاة بهما لانهما أعظم أركانها أو اخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا ﴿واعبدوا ربكم﴾ بسائر ماتعبدكم به ﴿وافعلوا الخير﴾ وتحروا ماهو خير وأصلح في كل ماتأتون وماتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي افعلوا هذه كلها وأنتم راجون بها الفلاح غير متيقنين له واثقين بأعمالكم والآية آية سجدة عند الشافعي رحمه الله لظاهر مافيها من الأمر بالسجود ولقوله عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها ﴿وجاهدوا في الله﴾ أي لله تعالى ولاجله أعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلاة والسلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر ﴿حق جهاده﴾ أي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس وأضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم وأضيف الجهاد الى الضمير اتساعا أو لانه مختص به تعالى من حيث انه مفعول لوجهه ومن أجله ﴿هو اجتباكم﴾ أي هو اختاركم لدينه ونصرته لا لغيره وفيه تنبيه على مايقتضي الجهاد ويدعو اليه ﴿وماجعل عليكم في الدين من حرج﴾ أي ضيق بتكليف مايشق عليكم اقامته اشارة الى أنه لامانع لهم عنه ولاعذر لهم في تركه أو الى الرخصة في اغفال بعض ماأمرهم به حيث يشق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام اذا أمرتكم بشيء فأتوا منه مااستطعتم وقيل ذلك بأن جعل لهم من كل ذنب مخرجا بأن رخص لهم في المضايق وفتح لهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والأروش والديات في حقوق العباد ﴿ملة أبيكم ابراهيم﴾ نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ماقبله بحذف المضاف أي وسع عليكم دينكم توسعة ملة أبيكم أو على الاغراء أو على الاختصاص وانما جعله أباهم لانه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالأب لأمته من حيث انه سبب لحياتهم الأبدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة أو لان أكثر العرب كانوا من ذريته عليه الصلاة والسلام فغلبوا على غيرهم

﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ فى الكتب المتقدمة ﴿وفى هذا﴾ أى فى القرآن والضمير لله تعالى ويؤيده أنه قرئ الله سماكم أو لابراهيم وتسميتهم بالمسلمين فى القرآن وان لم تكن منه عليه الصلاة والسلام كانت بسبب تسميته من قبل فى قوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وقيل وفى هذا تقديره وفى هذا بيان تسميته اياكم المسلمين ﴿ليكون الرسول﴾ يوم القيامة متعلق بسماكم ﴿شهيدا عليكم﴾ بأنه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته أو بطاعة من أطاع وعصيان من عصى ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ بتبليغ الرسل اليهم ﴿فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة﴾ أى فتقربوا الى الله بأنواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما ﴿واعتصموا بالله﴾ أى ثقوا به فى مجامع أموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه ﴿هو مولاكم﴾ ناصركم ومتولى أموركم ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ هو اذ لا مثل له فى الولاية والنصرة بل لا ولى ولا نصير فى الحقيقة سواه عز وجل. عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطى من الأجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

سورة المؤمنون

(مكية وهى عند البصريين مائة وتسع عشرة آية وعند الكوفيين مائة وثمانى عشرة آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قد أفلح المؤمنون﴾ الفلاح الفوز بالمرام والنجاة من المكروه وقيل البقاء فى الخير والافلاح الدخول فى ذلك كالابشار الذى هو الدخول فى البشارة وقد يجئ متعديا بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول وكلمة قد ههنا لافادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لا لتوقع الاخبار به ضرورة أن المتوقع من حال المؤمنين ثبوت الفلاح لهم لا الاخبار بذلك فالمعنى قد فازوا بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقعا من حالهم فان ايمانهم وما تفرع عليه من أعمالهم الصالحة من دواعى الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا أنه ان أريد بالافلاح حقيقة الدخول فى الفلاح الذى لا يتحقق الا فى الآخرة فالاخبار به على صيغة الماضى للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت وان أريد كونهم بحال تستتبعه البتة فصيغة الماضى فى محلها وقرئ أفلحوا على الابهام والتفسير أو على أكلونى البراغيث وقرئ أفلح بضمة اكتفى بها عن الواو كما فى قول من قال ولو أن الأطبا كان حولى والمراد بالمؤمنين اما المصدقون بما علم ضرورة أنه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها فقوله تعالى ﴿الذين هم فى صلوتهم خاشعون﴾ وما عطف عليه صفات مخصصة لهم وأما الآتون بفروعه أيضا كما ينبئ عنه اضافة الصلاة اليهم فهى صفات موضحة أو مادحة لهم حسب اعتبار ما ذكر فى حيز الصلة من المعانى مع الايمان اجمالا أو تفصيلا كما مر فى أوائل سورة البقرة والخشوع الخوف والتذلل أى خائفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون أبصارهم مساجدهم روى أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وأنه رأى مصليا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ﴿والذين هم عن اللغو﴾ أى عما لا يعنيهم من الأقوال والأفعال ﴿معرضون﴾ أى فى عامة أوقاتهم كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل فى ذلك اعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلاة دخولا أوليا ومدار اعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية الى الاعراض عنه لا مجرد الاشتغال بالجد فى أمور الدين كما قيل فان ذلك ربما يوهم أن لا يكون فى اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيه وهو أبلغ من أن يقال لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام

التزك ليدل على تباعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان أصله أن يكون فى عرض غير عرضه ﴿ والذين هم للزكوة فاعلون ﴾ وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلاة للدلالة على أنهم بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروءة اجتنابه وتوسيط حديث الاعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع فى الصلاة والزكاة مصدر لانه الأمر الصادر عن الفاعل لا المحل الذى هو موقعه ومعنى الفعل قد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ويجوز أن يراد بها العين على تقدير المضاف ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ﴾ ممسكون لها فالاستثناء فى قوله تعالى ﴿ الا على أزواجهم ﴾ من نفى الارسال الذى ينبىء عنه الحفظ أى لا يرسلونها على أحد الا على أزواجهم وفيه ايذان بأن قوتهم الشهوية داعية لهم الى مالا يخفى وأنهم حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة ويجوز أن تكون على بمعنى من واليه ذهب الفراء كما فى قوله تعالى اذا اكتالوا على الناس أى حافظون لها من كل أحد الا من أزواجهم وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير حافظون أى حافظون لها فى جميع الاحوال الا حال كونهم والين أو قوامين على أزواجهم وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون على كل مباشر الا على ما أطلق لهم فانهم غير ملومين وحمل الحفظ على القصر عليهن ليكون المعنى حافظون فروجهم على الأزواج لا يتعداهن ثم يقال غير حافظين الا عليهن تأكيدا على تأكيد تكلف على تكلف ﴿ أوماملكت أيمانهم ﴾ أى سراريهم عبر عنهن بما اجراء لهن لمملوكيتهن مجرى غير العقلاء أو لانوثتهن المنبئة عن القصور وقوله تعالى ﴿ فانهم غير ملومين ﴾ تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم منهن أى فانهم غير ملومين على عدم حفظها منهن ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك ﴾ الذى ذكر من الحد المتسع وهو أربع من الحرائر وماشاء من الاماء ﴿ فأولئك هم العادون ﴾ الكاملون فى العدوان المتناهون فيه وليس فيه مايدل حتما على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فانه قال انها ليست زوجة له فوجب أن لا تحل له أما أنها ليست زوجة له فلانهما لا يتوارثان بالاجماع ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله تعالى ولكم نصف ماترك أزواجكم فوجب أن لا تحل لقوله تعالى الا على أزواجهم لأن لهم أن يقولوا انها زوجة له فى الجملة وأما ان كل زوجة ترث فهم لا يسلمونها وأما ماقيل من أنه ان أريد لو كانت زوجة حال الحياة لم يفدوان أريد بعد الموت فالملازمة ممنوعة فليس له معنى محصل نعم لو عكس لكان له وجه ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم ﴾ لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق ﴿ راعون ﴾ أى قائمون عليها حافظون لها على وجه الاصلاح وقرىء لأمانتهم ﴿ والذين هم على صلواتهم ﴾ المفروضة عليهم ﴿ يحافظون ﴾ يواظبون عليها ويؤدونها فى أوقاتها ولفظ الفعل فيه لما فى الصلاة من التجدد والتكرر وهو السر فى جمعها وليس فيه تكرير لما أن الخشوع فى الصلاة غير المحافظة عليها وفصلهما للايذان بأن كلا منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولو قرنا فى الذكر لربما توهم أن مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة ﴿ أولئك ﴾ اشارة الى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وايثارها على الاضمار للاشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار اليه حسا ومافيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد درجتهم فى الفضل والشرف أى أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة ﴿ هم الوارثون ﴾ أى الاحقاء بأن يسموا وراثا دون من عداهم ممن ورث رغائب الأموال والذخائر وكرائمها ﴿ الذين يرثون الفردوس ﴾ بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد ابهامها تفخيما لشأنها ورفعا لمحلها وهى استعارة لاستحقاقهم الفردوس بأعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لأنه تعالى خلق لكل انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار ﴿ هم فيها ﴾ أى فى

الفردوس والتأنيث لأنه اسم للجنة أو لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لأصناف الثمر روى أنه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفى رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان ﴿خالدون﴾ لايخرجون منها أبدا والجملة امامستأنفة مقررة لماقبلها واماحال مقدرة من فاعل يرثون أومفعوله اذفيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لايموتون ولايخرجون منها ﴿ولقد خلقنا الانسان﴾ شروع فى بيان مبدأ خلق الانسان وتقلبه فى أطوار الخلقة وأدوار الفطرة بيانا اجماليا اثربيان حال بعض أفراده السعداء واللام جواب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ماقبلها والمراد بالانسان الجنس أى وبالله لقد خلقنا جنس الانسان فى ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا حسبما تحققته فى سورة الحج وغيرها وأما كونه مخلوقا من سلالات جعلت نطفا بعد أدوار وأطوار فبعيد ﴿من سلالة﴾ السلالة ماسل من الشىء واستخرج منه فان فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة تكون مقصودا منه كالخلاصة وأخرى غير مقصود منه كالقلامة والكناسة والسلالة من قبيل الاول فانها مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق ومن فى قوله تعالى ﴿من طين﴾ بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة أى خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز أن تتعلق بسلالة على أنها بمعنى مسلولة فهى ابتدائية كالاولى وقيل المراد بالانسان آدم عليه السلام فانه الذى خلق من صفوة سلت من الطين وقد وقفت على التحقيق ﴿ثم جعلناه﴾ أى الجنس باعتبار أفراده المغايرة لآدم عليه السلام أوجعلنا نسله على حذف المضاف ان أريد بالانسان آدم عليه السلام ﴿نطفة﴾ بأن خلقناه منها اوثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتأويل الجوهر أوالمسلول أوالماء ﴿فى قرار﴾ أى مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذى هو مصدر مبالغة وقوله تعالى ﴿مكين﴾ وصف لها بصفة مااستقر فيها مثل طريق سائر أو بمكانتها فى نفسها فانها مكنت بحيث هى وأحرزت ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ أى دما جامدا بأن أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء ﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ أى قطعة لحم لااستبانة ولاتمايز فيها ﴿فخلقنا المضغة﴾ أى غالبها ومعظمها أو كلها ﴿عظاما﴾ بأن صلبناها وجعلناها عمودا للبدن على هيئات وأوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة ﴿فكسونا العظام﴾ المعهودة ﴿لحما﴾ من بقية المضغة أومما أنبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها أى كسونا كل عظم من تلك العظام مايليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد فيهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الأول فقط وبتوحيد الثانى فحسب ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر﴾ هى صورة البدن أوالروح أوالقوى بنفخه فيه أوالمجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به أبو حنيفة رحمه الله على أن من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لأنه خلق آخر ﴿فتبارك الله﴾ فتعالى شأنه فى علمه الشامل وقدرته الباهرة والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بأن ماذكر من الافاعيل العجيبة من أحكام الالوهية وللايذان بأن حق كل من سمع مافصل من آثار قدرته عزوعلا أو لاحظه أن يسارع الى التكلم به اجلالا واعظاما لشؤونه تعالى ﴿أحسن الخالقين﴾ بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على أن الاضافة ليست لفظية وقيل خبر مبتدا محذوف أى هو أحسن الخالقين خلقا أى المقدرين تقديرا حذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه فى قوله تعالى أذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه أى أحسن الخالقين خلقا فالحسن للخلق قيل نظيره قوله عليه الصلاة والسلام ان الله جميل يحب الجمال أى جميل فعله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن روى أن عبد الله بن أبى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى فلما انتهى عليه الصلاة والسلام الى قوله خلقا آخر سارع عبد الله الى النطق به قبل املائه عليه الصلاة

والسلام فقال اكتبه هكذا نزلت فشك عبدالله فقال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر رضى الله عنه فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا نزل يا عمر وكان رضى الله عنه يفتخر بذلك و يقول وافقت ربى فى أربع الصلاة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولى لهن أوليبدله الله خيرا منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن أن يبدله الآية والرابع فتبارك الله أحسن الخالقين انظر كيف وقعت هذه الواقعة سببا لسعادة عمر رضى الله عنه وشقاوة ابن أبى سرح حسبما قال تعالى يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا لا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك قادح فى اعجازه لما أن الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار أقصر السور على أن اعجاز هذه الآية الكريمة منوط بما قبلها كما تعرب عنه الفاء فانها اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله ﴿ثم انكم بعد ذلك﴾ أى بعد ماذكر من الامور العجيبة حسبما ينبئ عنه مافى اسم الاشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار اليه و بعد منزلته فى الفضل والكمال و كونه بذلك ممتازا منزلا منزلة الامور الحسية ﴿لميتون﴾ لصائرون الى الموت لامحالة كما تؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذى تفيده صيغة الفاعل وقد قرئ لمائتون ﴿ثم انكم يوم القيامة﴾ أى عند النفخة الثانية ﴿تبعثون﴾ من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب ﴿ولقد خلقنا فوقكم﴾ بيان لخلق ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم أى خلقنا فى جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لأن تلك النسبة انما تعرض لها بعد خلقهم ﴿سبع طرائق﴾ هى السموات السبع سميت بها لأنها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كل مافوقه مثله فهو طريقه أو لانها طرائق الملائكة أو الكواكب فيها مسيرها ﴿وما كنا عن الخلق﴾ عن ذلك المخلوق الذى هو السموات أو عن جميع المخلوقات التى هى من جملتها أو عن الناس ﴿غافلين﴾ مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ماقدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة و يصل الى مافى الارض منافعها كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿وأنزلنا من السماء ماء﴾ هو المطر أو الانهار النازلة من الجنة قيل هى خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهر العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فى فنون معايشهم ومن ابتدائية متعلقة بأنزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والعدول عن الاضمار لان الانزال لايعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو ﴿بقدر﴾ بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم أو بمقدار ماعلمنا من حاجاتهم ومصالحهم ﴿فأسكناه فى الارض﴾ أى جعلناه ثابتا قارا فيها ﴿وانا على ذهاب به﴾ أى ازالته بالافساد أو التصعيد أو التغوير بحيث يتعذر استنباطه ﴿لقادرون﴾ كما كنا قادرين على انزاله وفى تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة فى الايعاد به ولذلك جعل أبلغ من قوله تعالى قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين ﴿فأنشأنا لكم به﴾ أى بذلك الماء ﴿جنات من نخيل وأعناب لكم فيها﴾ فى الجنات ﴿فواكه كثيرة﴾ تتفكهون بها ﴿ومنها﴾ من الجنات ﴿تأكلون﴾ تغذيا أو ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز أى يعود الضميران للنخيل والاعناب أى لكم فى ثمراتها أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه ﴿وشجرة﴾ بالنصب عطف على جنات وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف دل عليه ماقبله أى ومما أنشئ لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين سائر الاشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل هى أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تعالى ﴿تخرج من طور سيناء﴾ وهو جبل موسى عليه السلام بين مصر وأيلة

وقيل بفلسطين و يقال له طور سينين فاما أن يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة أضيف اليها أو المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه على قراءة من كسر السين للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور أو ملحق بفعلال كعلباء من السين اذلا فعلاء بألف التأنيث بخلاف سيناء فانه فيعال ككيسان أو فعلاء كصحراء اذلا فعلال فى كلامهم وقرئ بالكسر والقصر والجملة صفة لشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع أيضا لتعظيمها و لانه المنشأ الاصلى لها وقوله تعالى ﴿تنبت بالدهن﴾ صفة أخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا منها أى تنبت ملتبسة به و يجوز كونها صلة معدية أى تنبته بمعنى تتضمنه وتحصله فان النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن وقرئ تنبت من الافعال وهو اما من الانبات بمعنى النبات كما فى قول زهير   رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم   قطينا لهم حتى اذا أنبت البقل

أو على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان ﴿وصبغ للآكلين﴾ معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف أحد وصفى الشئ على الآخر أى تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به و يسرج منه و كونه اداما يصبغ فيه الخبز أى يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ فى دبغ ﴿وان لكم فى الانعام لعبرة﴾ بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء والنبات وقد بين أنها مع كونها فى نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لابد من أن يعتبروا بها و يستدلوا بأحوالها على عظيم قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته و يشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالحيوان لما أن محل العبرة فيه أظهر مما فى النبات وقوله تعالى ﴿نسقيكم مما فى بطونها﴾ تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما فى بطونها عبارة اما عن الالبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف أو عن العلف الذى يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرئ بفتح النون و بالتاء أى تسقيكم الانعام ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ غير ماذكر من أصوافها وأشعارها ﴿ومنها تأكلون﴾ فتنتفعون بأعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها ﴿وعليها﴾ أى على الانعام فان الحمل عليها لايقتضى الحمل على جميع أنواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالابل ونحوها وقيل المراد هى الابل خاصة لانها هى المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة   سفينة بر تحت خدى زمامها   فالضمير فيه كما فى قوله تعالى و بعولتهن أحق بردهن ﴿وعلى الفلك تحملون﴾ أى فى البر والبحر وفى الجمع بينها و بين الفلك فى ايقاع الحمل عليها مبالغة فى تحملها للحمل وهو الداعى الى تأخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من المنافع الحاصلة منها عن ذكر منفعة الاكل المتعلقة بعينها ﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه﴾ شروع فى بيان اهمال الامم السابقة وتركهم النظر والاعتبار فيما عددمن النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب تحذيرا للمخاطبين وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لايخفى وجهه و فى ايرادها اثر قوله تعالى وعلى الفلك تحملون من حسن الموقع مالا يوصف والواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها أى و بالله لقد أرسلنا نوحا الخ ونسبه الكريم و كيفية بعثه ولبثه فيما بينهم قد مر تفصيله فى سورة الاعراف وسورة هود ﴿فقال﴾ متعطفا عليهم ومستميلا لهم الى الحق ﴿ياقوم اعبدوا الله﴾ أى اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى فى سورة هود أن لاتعبدوا الا الله وترك التقييد به للايذان بأنها هى العبادة فقط وأما العبادة بالاشراك فليست من العبادة فى شئ رأسا وقوله تعالى ﴿مالكم من اله غيره﴾ استئناف مسوق لتعليل العبادة المأمور بها أو تعليل الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذى هو الرفع على أنه فاعل أو مبتدأ خبره لكم أو محذوف ولكم للتخصيص

والتبيين أى مالكم فى الوجود أو فى العالم اله غيره تعالى وقرئ بالجر باعتبار لفظه ﴿أفلا تتقون﴾ أى أفلا تقون أنفسكم عذابه الذى يستوجبه ما أنتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه قوله تعالى انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقوله تعالى عذاب يوم أليم وقيل أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذى هو ربكم الخ وليس بذاك وقيل أفلا تخافون أن يزيل عنكم نعمه الخ وفيه مافيه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أتعرفون ذلك أى مضمون قوله تعالى مالكم من اله غيره فلا تتقون عذابه بسبب اشراككم به فى العبادة ما لا يستحق الوجود لولا ايجاد الله تعالى اياه فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه او ألا تلاحظون ذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة حينئذ فى الكمية وفى الاول فى الكيفية ﴿فقال الملأ﴾ أى الاشراف ﴿الذين كفروا من قومه﴾ وصف الملأ بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم فى الكفر وشدة شكيمتهم فيه أى قالوا لعوامهم ﴿ما هذا الا بشر مثلكم﴾ أى فى الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة فى وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة ﴿يريد أن يتفضل عليكم﴾ أى يريد أن يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم وصفوه بذلك اغضابا للمخاطبين عليه عليه السلام واغراء لهم على معاداته عليه السلام وقوله تعالى ﴿ولو شاء الله لأنزل ملائكة﴾ بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام أى لو شاء الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال فمفعول المشيئة مطلق الارسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما فى قوله تعالى ولو شاء لهداكم ونظائره ﴿ما سمعنا بهذا﴾ أى بمثل هذا الكلام الذى هو الامر بعبادة الله خاصة وترك عبادة ما سواه وقيل بمثل نوح عليه السلام فى دعوى النبوة ﴿فى آبائنا الاولين﴾ أى الماضين قبل بعثته عليه السلام قالوه اما لكونهم وآبائهم فى فترة متطاولة واما لفرط غلوهم فى التكذيب والعناد وانهماكهم فى الغى والفساد وأياما كان فقولهم هذا ينبغى أن يكون هو الصادر عنهم فى مبادى دعوته عليه السلام كما تنبئ عنه الفاء فى قوله تعالى فقال الملأ الخ وقيل معناه ما سمعنا به عليه السلام أنه نبى فالمراد بآبائهم الاولين الذين مضوا قبلهم فى زمن نوح عليه السلام وقولهم المذكور هو الذى صدر عنهم فى أواخر أمره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه عليه السلام وقولهم ﴿ان هو﴾ أى ما هو ﴿الا رجل به جنة﴾ أى جنون أو جن يخبلونه ولذلك يقول ما يقول ﴿فتربصوا به﴾ أى احتملوه واصبروا عليه وانتظروا ﴿حتى حين﴾ لعله يفيق مما فيه محمول حينئذ على ترامى أحوالهم فى المكابرة والعناد واضرابهم عما وصفوه عليه السلام به من البشرية وارادة التفضل الى وصفه عليه السلام بما ترى وهم يعرفون أنه عليه السلام أرجح الناس عقلا وأرزنهم قولا وعلى الاول على تناقض مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴿قال﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية كلام الكفرة كأنه قيل فماذا قال عليه السلام بعد ما سمع منهم هذه الاباطيل فقيل قال لما رآهم قد أصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا فى الغواية والضلال حتى يئس من ايمانهم بالكلية وقد أوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ﴿رب انصرنى﴾ باهلاكهم بالمرة فانه حكاية اجمالية لقوله عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الخ ﴿بما كذبون﴾ أى بسبب تكذيبهم اياى أو بدل تكذيبهم ﴿فأوحينا اليه﴾ عند ذلك ﴿أن اصنع الفلك﴾ أن مفسرة لما فى الوحى من معنى القول ﴿بأعيننا﴾ ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا كأن معه عليه السلام منه عز وعلا حفاظا وحراسا يكلؤنه بأعينهم من التعدى أو من الزيغ فى الصنعة ﴿ووحينا﴾ وأمرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء فى قوله تعالى ﴿فاذا جاء أمرنا﴾ لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك

والمراد بالأمر العذاب كما فى قوله تعالى لاعاصم اليوم من أمر الله لا الأمر بالركوب كما قيل و بمجيئه كمال اقترابه أو ابتداء ظهوره أى اذا جاء اثر تمام الفلك عذابنا وقوله تعالى ﴿وفار التنور﴾ عطف بيان لمجئ الأمر روى انه قيل له عليه السلام اذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك وكان تنور آدم عليه السلام فصار الى نوح عليه السلام فلما نبع منه الماء أخبرته امرأته فركبوا واختلف فى مكانه فقيل كان فى مسجد الكوفة أى فى موضعه عن يمين الداخل من باب كندة اليوم وقيل كان فى عين وردة من الشام وقد مر تفصيله فى تفسير سورة هود عليه السلام ﴿فاسلك فيها﴾ أى أدخل فيها يقال سلك فيه أى دخل فيه وسلكه فيه أى أدخله فيه ومنه قوله تعالى ماسلككم فى سقر ﴿من كل﴾ أى من كل أمة ﴿زوجين﴾ أى فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿اثنين﴾ فانه نص فى الفردين دون الجمعين أو الفريقين وقرئ بالاضافة على أن المفعول اثنين أى من كل أمتى زوجين وهما أمة الذكر وأمة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك وهذا صريح فى أن الأمر كان قبل صنعة الفلك و فى سورة هود حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين فالوجه أن يحمل اما على أنه حكاية لأمر آخر تنجيزى ورد عند فوران التنور الذى نيط به الأمر التعليقى اعتناء بشأن المأمور به أو على أن ذلك هو الأمر السابق بعينه لكن لما كان الأمر التعليقى قبل تحقق المعلق به فى حق ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه انما حدث عند تحققه فحكى على صورة التنجيز وقد مر فى تفسير قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴿وأهلك﴾ منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف على زوجين أو اثنين على القراءتين لادائه الى اختلال المعنى أى واسلك اهلك والمراد به امرأته وبنوه وتأخير الأمر بادخالهم عما ذكر من ادخال الازواج فيها لكونه عريقا فيما أمر به من الادخال فانه محتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام بل الى معاونة من أهله وأتباعه وأما هم فانما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان فى المؤخر ضرب تفصيل بذكر الاستثناء وغيره فتقديمه يؤدى الى الاخلال بتجاوب أطراف النظم الكريم ﴿الا من سبق عليه القول منهم﴾ أى القول باهلاك الكفرة وانما جئ بعلى لكون السابق ضارا كما جئ باللام فى قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى لكونه نافعا ﴿ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا﴾ بالدعاء لانجائهم ﴿انهم مغرقون﴾ تعليل للنهى أو لما ينبئ عنه من عدم قبول الدعاء أى انهم مقضى عليهم بالاغراق لامحالة لظلمهم بالاشراك وسائر المعاصى ومن هذا شأنه لايشفع له ولايشفع فيه كيف لا وقد أمر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله تعالى ﴿فاذا استويت أنت ومن معك﴾ أى من اهلك وأشياعك ﴿على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين﴾ على طريقة قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴿وقل رب أنزلنى﴾ فى السفينة أو منها ﴿منزلا مباركا﴾ أى انزالا أو موضع انزال يستتبع خيرا كثيرا وقرئ منزلا أى موضع نزول ﴿وأنت خير المنزلين﴾ أمر عليه السلام بأن يشفع دعاءه بما يطابقه من ثنائه عز وجل توسلا به الى الاجابة وافراده عليه السلام بالأمر مع شركة الكل فى الاستواء والنجاة لاظهار فضله عليه السلام والاشعار بان فى دعائه وثنائه مندوحة عما عداه ﴿ان فى ذلك﴾ الذى ذكر مما فعل به عليه السلام وبقومه ﴿لآيات﴾ جليلة يستدل بها أولو الابصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار ﴿وان كنا لمبتلين﴾ ان مخففة من ان واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف أى وان الشأن كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر ﴿ثم أنشأنا من بعدهم﴾ أى من بعد اهلاكهم ﴿قرنا آخرين﴾ هم عاد حسبما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعليه أكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود فى سائر السور الكريمة من ايراد قصتهم اثر قصة قوم نوح وقيل هم ثمود ﴿فأرسلنا فيهم﴾ جعلوا موضعا للارسال كما

فى قوله تعالى كذلك أرسلناك فى أمة ونحوه لاغاية له كما فى مثل قوله تعالى ولقد أرسلنا نوحا الى قومه للايذان من اول الأمر بأن من أرسل اليهم لم يأتهم من غير مكانهم بل انما نشأ فيما بين أظهرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿رسولا منهم﴾ أى من جملتهم نسبا فانهما عليهما السلام كانا منهم وأن فى قوله تعالى ﴿أن اعبدوا الله﴾ مفسرة لأرسلنا لتضمنه معنى القول أى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله تعالى وقوله تعالى ﴿مالكم من اله غيره﴾ تعليل للعبادة المأمور بها أو للامر بها أو لوجوب الامتثال به ﴿أفلا تتقون﴾ أى عذابه الذى يستدعيه ماأنتم عليه من الشرك والمعاصى والكلام فى العطف كالذى مر فى قصة نوح عليه السلام ﴿وقال الملأ من قومه﴾ حكاية لقولهم الباطل اثر حكاية القول الحق الذى ينطق به حكاية ارسال الرسول بطريق العطف على أن المراد حكاية مطلق تكذيبهم له عليه السلام اجمالا لاحكاية ماجرى بينه عليه السلام وبينهم من المحاورة والمقاولة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستئناف المبنى على السؤال كما ينبئ عنه ماسيأتى من حكاية سائر الامم أى وقال الاشراف من قومه ﴿الذين كفروا﴾ فى محل الرفع على أنه صفة للملأ وصفوا بذلك ذمالهم وتنبيها على غلوهم فى الكفر وتأخيره عن من قومه لعطف قوله تعالى ﴿وكذبوا بلقاء الآخرة﴾ وما عطف عليه على الصلة الاولى أى كذبوا بلقاء مافيها من الحساب والثواب والعقاب أو بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث ﴿وأترفناهم﴾ ونعمناهم ﴿فى الحيوة الدنيا﴾ بكثرة الاموال والاولاد أى قالوا لاعقابهم مضلين لهم ﴿ماهذا الا بشر مثلكم﴾ أى فى الصفات والاحوال وايثار مثلكم على مثلنا للمبالغة فى تهوين أمره عليه السلام وتوهينه ﴿يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثانى منصوب محذوف أو مجرور قد حذف مع الجار لدلالة ماقبله عليه ﴿ولئن أطعتم بشرا مثلكم﴾ أى فيما ذكر من الاحوال والصفات أى ان امتثلتم بأوامره ﴿انكم اذا﴾ أى على تقدير الاتباع ﴿لخاسرون﴾ عقولكم ومغبونون فى آرائكم حيث أذللتم أنفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذى يوصلهم الى سعادة الدارين خسرانا دون عبادة الاصنام التى لاخسران وراءها قاتلهم الله أنى يؤفكون واذا واقع بين اسم ان وخبرها لتأكيد مضمون الشرط والجملة جواب لقسم محذوف قبل ان الشرطية المصدرة باللام الموطئة أى وبالله لئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ﴿أيعدكم﴾ استئناف مسوق لتقرير ماقبله من زجرهم عن اتباعه عليه السلام بانكار وقوع مايدعوهم الى الايمان به واستبعاده ﴿أنكم اذا متم﴾ بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها من مات يموت ﴿وكنتم ترابا وعظاما﴾ نخرة مجردة عن اللحوم والاعصاب أى كان بعض أجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية أو كان متقدموكم ترابا صرفا ومتأخروكم عظاما وقوله تعالى ﴿أنكم﴾ تأكيد للاول لطول الفصل بينه وبين خبره الذى هو قوله تعالى ﴿مخرجون﴾ أى من القبور أحياء كما كنتم وقيل أنكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبره على معنى اخراجكم اذا متم ثم أخبر بالجملة عن أنكم وقيل رفع أنكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كأنه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم أوقعت الجملة الشرطية خبرا عن أنكم والذى تقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول وقرئ أيعدكم اذا متم الخ ﴿هيهات هيهات﴾ تكرير لتأكيد البعد أى بعد الوقوع أو الصحة ﴿لما توعدون﴾ وقيل اللام لبيان المستبعد ماهو كما فى هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لماذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على أنه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وابدال التاء هاء ﴿ان هى الا حياتنا الدنيا﴾ أصله ان الحياة الا حياتنا فأقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرار واشعارا باغنائها عن التصريح كما فى هى النفس

تحمل ماحملت وهي العرب تقول ماشاءت وحيث كان الضمير بمعنى الحياة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تعالى ﴿ نموت ونحيا ﴾ جملة مفسرة لما ادعوه من أن الحياة هي الحياة الدنيا أي يموت بعضنا و يولد بعض الى انقراض العصر ﴿ ومانحن بمبعوثين ﴾ بعد الموت ﴿ ان هو ﴾ أي ماهو ﴿ الا رجل افترى على الله كذبا ﴾ فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من أن الله يبعثنا ﴿ ومانحن له بمؤمنين ﴾ بمصدقين فيما يقوله ﴿ قال ﴾ أي هود عليه السلام عند يأسه من ايمانهم بعد ماسلك في دعوتهم كل مسلك متضرعا الى الله عز وجل ﴿ رب انصرني ﴾ عليهم وانتقم لي منهم ﴿ بما كذبون ﴾ أي بسبب تكذيبهم اياي واصرارهم عليه ﴿ قال ﴾ تعالى اجابة لدعائه وعدة بالقبول ﴿ عما قليل ﴾ أي عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد معنى القلة كما زيدت في قوله تعالى فبما رحمة من الله أو نكرة موصوفة أي عن شيء قليل ﴿ ليصبحن نادمين ﴾ على مافعلوه من التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب ﴿ فأخذتهم الصيحة ﴾ لعلهم حين أصابتهم الريح العقيم أصيبوا في تضاعيفها بصيحة هائلة أيضا وقد روي أن شداد بن عاد حين أتم بناء ارم سار اليها بأهله فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب والموت وقيل هي العذاب المصطلم قال قائلهم

صاح الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها على الأذقان

﴿ بالحق ﴾ متعلق بالأخذ أي بالأمر الثابت الذي لادفاع له أو بالعدل من الله تعالى أو بالوعد الصدق ﴿ فجعلناهم غثاء ﴾ أي كغثاء السيل وهو حميله ﴿ فبعدا للقوم الظالمين ﴾ اخبار أو دعاء و بعدا من المصادر التي لايكاد يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا أي هلكوا واللام لبيان من قيل له بعدا و وضع الظاهر موضع الضمير للتعليل ﴿ ثم أنشأنا من بعدهم ﴾ أي بعد هلاكهم ﴿ قرونا آخرين ﴾ هم قوم صالح ولوط وشعيب عليهم السلام وغيرهم ﴿ ماتسبق من أمة أجلها ﴾ أي ماتتقدم أمة من الأمم المهلكة الوقت الذي عين لهلاكهم أي ماتهلك أمة قبل مجيء أجلها ﴿ ومايستأخرون ﴾ ذلك الأجل بساعة وقوله تعالى ﴿ ثم أرسلنا رسلنا ﴾ عطف على أنشأنا لكن لاعلى معنى أن ارسالهم متراخ عن انشاء القرون المذكورة جميعا بل على معنى أن ارسال كل رسول متأخر عن انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كأنه قيل ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين قد أرسلنا الى كل قرن منهم رسولا خاصا به والفصل بين المعطوفين بالجملة المعترضة الناطقة بعدم تقدم الأمم أجلها المضروب لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه اجمالي ﴿ تترى ﴾ أي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كما في تولج و يتقوا والألف للتأنيث باعتبار أن الرسل جماعة وقرىء بالتنوين على أنه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا وقوله تعالى ﴿ كلما جاء أمة رسولها كذبوه ﴾ استئناف مبين لمجيء كل رسول لأمته ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد بالمجيء اما التبليغ واما حقيقة المجيء للايذان بأنهم كذبوه في أول الملاقاة واضافة الرسول الى الأمة مع اضافة كلهم فيما سبق الى نون العظمة لتحقيق أن كل رسول جاء أمته الخاصة به لا أن كلهم جاؤا كل الأمم والاشعار بكمال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت كل واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل لأن الارسال لائق بالمرسل والمجيء بالمرسل اليهم ﴿ فأتبعنا بعضهم بعضا ﴾ في الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضا في مباشرة أسبابه التي هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي ﴿ وجعلناهم أحاديث ﴾ لم يبق منهم الا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهو اسم جمع للحديث أو جمع أحدوثة وهي مايتحدث به تلهيا كأعاجيب جمع أعجوبة وهي مايتعجب منه أي جعلناهم أحاديث يتحدث بها تلهيا وتعجبا ﴿ فبعدا لقوم لايؤمنون ﴾ اقتصر ههنا على وصفهم بعدم الايمان حسبما اقتصر على حكاية تكذيبهم اجمالا وأما القرون الأولون فحيث نقل عنهم مامر من الغلو وتجاوز الحد في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم ﴿ ثم أرسلنا موسى

وأخاه هرون بآياتنا ﴾ هى الآيات التسع من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ لعد فلق البحر منها اذ المراد هى الآيات التى كذبوها واستكبروا عنها ﴿ وسلطان مبين ﴾ أى حجة واضحة ملزمة للخصم وهى اما العصا وإفرادها بالذكر مع اندراجها فى الآيات لما أنها أم آياته عليه الصلاة والسلام وأولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها ثعبانا وتلقفها لما أفكته السحرة حسبما فصل فى تفسير سورة طه وأما التعرض لانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد فى غير مشهد فرعون وقومه فغير ملائم لمقتضى المقام واما نفس الآيات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام الخ عبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيها على جمعها العنوانين جليلين وتنزيلا لتغايرهما منزلة التغاير الذاتى ﴿ الى فرعون وملئه ﴾ أى أشراف قومه خصوا بالذكر لأن ارسال بنى اسرائيل منوط بآرائهم لا بآراء أعقابهم ﴿ فاستكبروا ﴾ عن الانقياد وتمردوا ﴿ وكانوا قوما عالين ﴾ متكبرين متمردين ﴿ فقالوا ﴾ عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار أى كانوا قوما عادتهم الاستكبار والتمرد أى قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة ﴿ أنؤمن لبشرين مثلنا ﴾ ثنى البشر لأنه يطلق على الواحد كقوله تعالى بشرا سويا كما يطلق على الجمع كما فى قوله تعالى فإما ترين من البشر أحدا ولم يثن المثل نظرا الى كونه فى حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تدل على أن مدار شبه المنكرين للنبوة قياس حال الأنبياء على أحوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شؤون الحقيقة البشرية وتباين طبقات أفرادها فى مراقى الكمال ومهاوى النقصان بحيث يكون بعضها فى أعلى عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين الروحانى والجسمانى يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق وبعضها فى أسفل سافلين كأولئك الجهلة الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴿ وقومهما ﴾ يعنون بنى اسرائيل ﴿ لنا عابدون ﴾ أى خادمون منقادون لنا كالعبيد وكأنهم قصدوا بذلك التعريض بشأنهما عليهما الصلاة والسلام وحط رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه آخر غير البشرية واللام فى لنا متعلقة بعابدون قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل نؤمن مؤكدة لانكار الايمان لهما بناء على زعمهم الفاسد المؤسس على قياس الرياسة الدينية على الرياسات الدنيوية الدائرة على التقدم فى نيل الحظوظ الدنية من المال والجاه كدأب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بأن مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق فى حيازة ما ذكر من النعوت العلية واحراز الملكات السنية جبلة واكتسابا ﴿ فكذبوهما ﴾ أى فتموا على تكذيبهما وأصروا واستكبروا استكبارا ﴿ فكانوا من المهلكين ﴾ بالغرق فى بحر قلزم ﴿ ولقد آتينا ﴾ أى بعد اهلاكهم وانجاء بنى اسرائيل من ملكتهم ﴿ موسى الكتاب ﴾ أى التوراة وحيث كان ايتاؤه عليه الصلاة والسلام اياها لارشاد قومه الى الحق كما هو شأن الكتب الالهية جعلوا كأنهم أوتوها فقيل ﴿ لعلهم يهتدون ﴾ أى الى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والأحكام وقيل أريد آتينا قوم موسى فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه كما فى قوله تعالى على خوف من فرعون وملئهم أى من آل فرعون وملئهم ولا سبيل الى عود الضمير الى فرعون وقومه لظهور أن التوراة انما نزلت بعد اغراقهم لبنى اسرائيل وأما الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى فمما لا سبيل اليه ضرورة أن ليس المراد بالقرون الأولى ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم من الأمم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما سيأتى فى سورة القصص ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ﴾ وأية آية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالآية أمر

واحد نسب اليهما أو جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم فى المهد فظهرت منه معجزات جمة وأمه آية بأنها ولدته من غير مسيس فحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وهما كونه عليه الصلاة والسلام ابنها وكونها أمه عليه الصلاة والسلام للايذان من أول الأمر بحيثية كونهما آية فان نسبته عليه الصلاة والسلام اليها مع أن النسب الى الآباء دالة على أن لا أب له أى جعلنا ابن مريم وحدها من غير أن يكون له أب وأمه التى ولدته خاصة من غير مشاركة الأب آية وتقديمه عليه الصلاة والسلام لاصالته فيما ذكر من كونه آية كما أن تقديم أمه فى قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين لاصالتها فيما نسب اليها من الاحصان والنفخ ﴿وآويناهما الى ربوة﴾ أى أرض مرتفعة قيل هى ايليا أرض بيت المقدس فانها مرتفعة وانها كبد الأرض وأقرب الأرض الى السماء بثمانية عشر ميلا على ما يروى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فان قراها على الربا وقرئ بكسر الراء وضمها ورباوة بالكسر والضم ﴿ذات قرار﴾ مستقر من أرض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع لأجلها يستقر فيها ساكنوها ﴿ومعين﴾ أى وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى وأصله الابعاد فى المشى أو من الماعون وهو النفع لانه نفاع أو مفعول من عانه اذا أدركه بالعين فانه لظهوره يدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك للايذان بكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب وسقى ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره المونق ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الاجمال لما خوطب به كل رسول فى عصره جىء بها اثر حكاية ايواء عيسى عليه السلام وأمه الى الربوة ايذانا بأن ترتيب مبادى التنعم لم يكن من خصائصه عليه السلام بل اباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به أى وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا فعبر عن تلك الأوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهابنة من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عليه السلام وأمه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل فى تناول ما رزقا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدى والكلبى رحمهم الله تعالى أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده على دأب العرب فى مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل فى حيازة كمالاتهم والطيبات ما يستطاب ويستلذ من مباحات المأكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم فالأمر للترفيه ﴿واعملوا صالحا﴾ أى عملا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم ﴿انى بما تعملون﴾ من الأعمال الظاهرة والباطنة ﴿عليم﴾ فأجازيكم عليه ﴿وان هذه﴾ استئناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على الوجه المذكور مسوق لبيان أن ملة الاسلام والتوحيد مما أمر به كافة الرسل عليهم السلام والأمم وانما أشير اليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور أمرها فى الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك فى سلك الأمور المشاهدة ﴿أمتكم﴾ أى ملتكم وشريعتكم أيها الرسل ﴿أمة واحدة﴾ أى ملة وشريعة متحدة فى أصول الشرائع التى لا تتبدل بتبدل الاعصار وقيل هذه اشارة الى الأمم المؤمنة للرسل والمعنى ان هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة ﴿وأنا ربكم﴾ من غير أن يكون لى شريك فى الربوبية وضمير المخاطب فيه وفى قوله تعالى ﴿فاتقون﴾ أى فى شق العصا والمخالفة بالاخلال بمواجب ما ذكر من اختصاص الربوبية بى للرسل والأمم جميعا على أن الأمر فى حق الرسل للتهييج والالهاب وفى حق الأمم للتحذير والايجاب والفاء لترتيب الأمر أو وجوب الامتثال به على ما قبله من اختصاص الربوبية به تعالى واتحاد الأمة فان كلا منهما موجب للاتقاء حتما وقرئ وأن هذه بفتح الهمزة على حذف اللام أى ولان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون أى ان تتقون فاتقون كما مر فى قوله تعالى واياى فارهبون وقيل على العطف على ما أى انى عليم بأن أمتكم

أمة الخ وقيل على حذف فعل عامل فيه أى واعلموا أن هذه أمتكم الخ وقرئ وان هذه على انها مخففة من ان ﴿ فتقطعوا أمرهم ﴾ حكاية لما ظهر من أمم الرسل بعدهم من مخالفة الأمر وشق العصا والضمير لما دل عليه الأمة من أربابها أولها على التفسيرين والفاء لترتيب عصيانهم على الأمر لزيادة تقبيح حالهم أى تقطعوا أمر دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعا متفرقة وأديانا مختلفة ﴿ بينهم زبرا ﴾ أى قطعا جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبرا بفتح الباء جمع زبرة وهو حال من أمرهم أومن واو تقطعوا أو مفعول ثان له فانه متضمن لمعنى جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانيا أو حالا من أمرهم على تقدير المضاف أى مثل زبر وقرئ بتخفيف الباء كرسل فى رسل ﴿ كل حزب ﴾ من أولئك المتحزبين ﴿ بما لديهم ﴾ من الدين الذى اختاروه ﴿ فرحون ﴾ معجبون معتقدون أنه الحق ﴿ فذرهم فى غمرتهم ﴾ شبه ماهم فيه من الجهالة بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرئ غمراتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب الأمر بالترك على ماقبله من كونهم فرحين بما لديهم فان انهماكهم فيما هم فيه واصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعا على قلوبهم أى اتركهم على حالهم ﴿ حتى حين ﴾ هو حين قتلهم أو موتهم على الكفر أو عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والآخرة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره وفى التنكير والابهام مالايخفى من التهويل ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به ﴾ أى نعطيهم اياه ونجعله مددا لهم فما موصولة وقوله تعالى ﴿ من مال وبنين ﴾ بيان لها وتقديم المال على البنين مع كونهم أعز منه قد مر وجهه فى سورة الكهف لاخبر لان وانما الخبر قوله تعالى ﴿ نسارع لهم فى الخيرات ﴾ على حذف الراجع الى الاسم أى أيحسبون أن الذى نمدهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم على أن الهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقوله تعالى ﴿ بل لايشعرون ﴾ عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى كلا لانفعل ذلك بل هم لايشعرون بشىء أصلا كالبهائم لافطنة لهم ولاشعور ليتأملوا ويعرفوا أن ذلك الامداد استدراج لهم واستجرار الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل أن يكون فيهما ضمير الممد به وقرئ يسارع مبنيا للمفعول ﴿ ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴾ استئناف مسوق لبيان من له المسارعة فى الخيرات اثر اقناط الكفار عنها وابطال حسبانهم الكاذب أى من خوف عذابه حذرون ﴿ والذين هم بآيات ربهم ﴾ المنصوبة والمنزلة ﴿ يؤمنون ﴾ بتصديق مدلولها ﴿ والذين هم بربهم لايشركون ﴾ شركا جليا ولاخفيا ولذلك أخر عن الايمان بالآيات والتعرض لعنوان الربوبية فى المواقع الثلاثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان وعدم الاشراك ﴿ والذين يؤتون ما آتوا ﴾ أى يعطون ما أعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا أى يفعلون مافعلوه من الطاعات وأياما كان فصيغة الماضى فى الصلة الثانية للدلالة على التحقق كما أن صيغة المضارع فى الأولى للدلالة عن الاستمرار ﴿ وقلوبهم وجلة ﴾ حال من فاعل يؤتون أو يأتون أى يؤتون ما آتوه أو يفعلون من العبادات مافعلوه والحال أن قلوبهم خائفة أشد الخوف ﴿ أنهم الى ربهم راجعون ﴾ أى من أن رجوعهم اليه عز وجل على أن مناط الوجل أن لايقبل منهم ذلك وأن لايقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم اليه تعالى وقيل لأن مرجعهم اليه تعالى والموصولات الاربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر فى حيز صلاتها من الاوصاف الاربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة بواحد من الاوصاف المذكورة كأنه قيل ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون الخ وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها ﴿ أولئك ﴾ اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بها وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتهم فى الفضل أى أولئك المنعوتون

بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم ﴿يسارعون فى الخيرات﴾ أى فى نيل الخيرات التى من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الاعمال الصالحة كما فى قوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وقوله تعالى وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين فقد أثبت لهم ما نفى عن أضدادهم خلا أنه غير الاسلوب حيث لم يقل أولئك نسارع لهم فى الخيرات بل أسند المسارعة اليهم ايماء الى كمال استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن أعمالهم وايثار كلمة فى على كلمة الى للايذان بأنهم متقلبون فى فنون الخيرات لا أنهم خارجون عنها متوجهون اليها بطريق المسارعة كما فى قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآية ﴿وهم لها سابقون﴾ أى اياها سابقون واللام لتقوية العمل كما فى قوله تعالى هم لها عاملون أى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا وقيل المراد بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون فى الطاعات والعبادات أشد الرغبة وهم لاجلها فاعلون السبق أو لاجلها سابقون الناس والاول هو الاولى ﴿ولا نكلف نفسا الا وسعها﴾ جملة مستأنفة سيقت للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدى الى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة أى عادتنا جارية على أن لا نكلف نفسا من النفوس الا ما فى وسعها على أن المراد استمرار النفى بمعونة المقام لا نفى الاستمرار كما مر مرارا أو للترخيص فيما هو قاصر عن درجة أعمال أولئك الصالحين ببيان أنه تعالى لا يكلف عباده الا ما فى وسعهم فان لم يبلغوا فى فعل الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم بعد أن يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع القعود فليوم ايماء وقوله تعالى ﴿ولدينا كتاب﴾ الخ تتمة لما قبله ببيان أحوال ما كلفوه من الاعمال وأحكامها المترتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب والمراد بالكتاب صحائف الاعمال التى يقرؤنها عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله تعالى ﴿ينطق بالحق﴾ كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون أى عندنا كتاب قد أثبت فيه أعمال كل أحد على ما هى عليه أو أعمال السابقين والمقتصدين جميعا لأنه أثبت فيه أعمال الاولين وأهمل أعمال الآخرين ففيه قطع معذرتهم أيضا وقوله بالحق متعلق بينطق أى يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتا ووصفا ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل أعمالهم ودقائقها ويرتب عليها أجزيتها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى ﴿وهم لا يظلمون﴾ بيان لفضله تعالى وعدله فى الجزاء اثر بيان لطفه فى التكليف وكتب الاعمال أى لا يظلمون فى الجزاء بنقص ثواب أو زيادة عذاب بل يجزون بقدر أعمالهم التى كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق وقد جوز أن يكون تقريرا لما قبله من التكليف وكتب الاعمال أى لا يظلمون بتكليف ما ليس فى وسعهم ولا بعدم كتب بعض أعمالهم التى من جملتها أعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة أعمال السابقين بل يكتب كل منها على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم مع أن شيئا منها ليس بظلم على ما تقرر من أن الاعمال الصالحة لا توجب أصل الثواب فضلا عن ايجاب مرتبة معينة منه حتى تعد الاثابة بما دونها نقصا وكذلك الاعمال السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب بما فوقها زيادة وكذا تكليف ما فى الوسع وكتب الاعمال ليسا مما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركهما ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه وقوله تعالى ﴿بل قلوبهم فى غمرة من هذا﴾ اضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قيل أى بل قلوب الكفرة فى غفلة غامرة لها من هذا الذى بين فى القرآن من أن لديه تعالى كتابا ينطق بالحق ويظهر لهم أعمالهم السيئة على رؤس الاشهاد فيجزون بها كما ينبئ عنه ما سيأتى من قوله تعالى قد كانت آياتى تتلى عليكم الخ وقيل عما عليه أولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة ﴿ولهم أعمال﴾ سيئة كثيرة ﴿من دون ذلك﴾

الذي ذكر من كون قلوبهم فى غفلة عظيمة مما ذكر وهى فنون كفرهم ومعاصيهم التى من جملتها ما سيأتى من طعنهم فى القرآن حسبما ينبئ عنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون وقيل متخطية لما وصف به المؤمنون من الاعمال الصالحة المذكورة وفيه أنه لا مزية فى وصف أعمالهم الخبيثة بالتخطى للاعمال الحسنة للمؤمنين وقيل متخطية عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره ﴿هم لها عاملون﴾ مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون يبرحونها ﴿حتى اذا أخذنا مترفيهم﴾ أى متنعميهم وهم الذين أمدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية لاعمالهم المذكورة مبدأ لما بعدها من مضمون الشرطية أى لا يزالون يعملون أعمالهم الى حيث اذا أخذنا رؤساهم ﴿بالعذاب﴾ قيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذى أصابهم حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فقحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والاولاد والحق أنه العذاب الاخروى اذ هو الذى يفاجئون عنده الجؤار فيجابون بالرد والاقناط عن النصر وأما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جؤار حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فان المراد بهذا العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والاسر حتما وأما عذاب الجوع فان أبا سفيان وان تضرع فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لم يرد عليه بالاقناط حيث روى أنه عليه الصلاة والسلام قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك ﴿اذا هم يجأرون﴾ أى فاجئوا الصراخ بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تعالى فاليه تجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الاخذ بالعذاب ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم أيضا لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس أمرهم وكون ذلك أشق عليهم ولانهم مع كونهم متمنعين محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلأن يلقاها من عداهم من الحماة والخدم أولى وأقدم ﴿لا تجأروا اليوم﴾ على اضمار القول مسوقا لردهم وتبكيتهم واقناطهم مما علقوا به أطماعهم الفارغة من الاغاثة والاعانة من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله والايذان بتفويتهم وقت الجؤار وقد جوز كونه جواب الشرط وأنت خبير بأن المقصود الاصلى فى الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدى ذلك الى أن يكون مفاجأتهم الى الجؤار غير مقصود أصلى وقوله تعالى ﴿انكم منا لا تنصرون﴾ تعليل للنهى عن الجؤار ببيان عدم افادته ونفعه أى لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سياق النظم الكريم لان جؤارهم ليس الى غيره تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فان قوله تعالى ﴿قد كانت آياتى تتلى عليكم﴾ الخ صريح فى أنه تعليل لما ذكرنا من عدم لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم بالآيات ولو كان النصر المنفى متوهما من الغير لعلل بعجزه وذله أو بعزة الله تعالى وقوته أى قد كانت آياتى تتلى عليكم فى الدنيا ﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ أى تعرضون عن سماعها أشد الاعراض فضلا عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى ﴿مستكبرين به﴾ أى بالبيت الحرام أو بالحرم والاضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم بأنهم خدامه وقوامه أو بكتابى الذى عبر عنه بآياتى على تضمين الاستكبار معنى التكذيب أو لان استكبارهم على المسلمين قد حدث بسبب استماعه ويجوز أن تتعلق الباء بقوله تعالى ﴿سامرا﴾ أى تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه حيث كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا والسامر كالحاضر فى الاطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء على لفظ الفاعل وقرئ سمرا وسمارا وأن تتعلق بقوله تعالى ﴿تهجرون﴾ من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان أو الترك أى تهذون فى شأن القرآن أو تتركونه أو من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة تهجرون من أهجر فى منطقه اذا أفحش فيه

وقرئ تهجرون من هجر الذى هو مبالغة فى هجر اذا هذى ﴿أفلم يدبروا القول﴾ الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى أفعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من اعجاز النظم وصحة المدلول والاخبار عن الغيب أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلا عما فعلوا فى شأنه من القبائح وأم فى قوله تعالى ﴿أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين﴾ منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بآخر والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع أى بل أجاءهم من الكتاب مالم يأت آباءهم الأولين حتى استبدعوه واستبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعنى أن مجىء الكتب من جهته تعالى الى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا يكاد يتسنى انكاره وأن مجىء القرآن على طريقته فمن أين ينكرونه وقيل أم جاءهم من الأمن من عذابه تعالى مالم يأت آباءهم الأولين كاسماعيل عليه السلام وأعقابه من عدنان وقحطان ومضر وربيعة وقس والحرث بن كعب وأسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن أد فآمنوا به تعالى وبكتبه ورسله وأطاعوه ﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر والهمزة لانكار الوقوع أيضا أى بل ألم يعرفوه عليه السلام بالأمانة والصدق وحسن الأخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من أحد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة بالأنبياء عليهم السلام ﴿فهم له منكرون﴾ أى جاحدون بنبوته فجحودهم بها مترتب على عدم معرفتهم بشأنه عليه السلام ومن ضرورة انتفاء المبنى بطلان ما بنى عليه أى فهم غير عارفين له عليه السلام فهو تأكيد لما قبله ﴿أم يقولون به جنة﴾ انتقال الى توبيخ آخر والهمزة لانكار الواقع كالأولى أى بل أيقولون به جنة أى جنون مع أنه أرجح الناس عقلا وأثقبهم ذهنا وأتقنهم رأيا وأوفرهم رزانة ولقد روعى فى هذه التوبيخات الأربعة التى اثنان منها متعلقان بالقرآن والباقيان به عليه السلام الترقى من الأدنى الى الأعلى حيث وبخوا أولا بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القول غير متعرض له بوجه من الوجوه ثم وبخوا بشئ لو اتصف به القول لكان سببا لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول عليه الصلاة والسلام من عدم معرفتهم به عليه الصلاة والسلام وذلك يتحقق بعدم المعرفة بخير ولا ولا شر ثم بما لو كان فيه عليه الصلاة والسلام ذلك لقدح فى رسالته عليه الصلاة والسلام ﴿بل جاءهم بالحق﴾ اضراب عما يدل عليه ما سبق أى ليس الأمر كما زعموا فى حق القرآن والرسول عليه الصلاة والسلام بل جاءهم عليه الصلاة والسلام بالحق أى الصدق الثابت الذى لا محيد عنه أصلا ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه ﴿وأكثرهم للحق﴾ من حيث هو حق أى حق كان لا لهذا الحق فقط كما ينبئ عنه الاظهار فى موقع الاضمار ﴿كارهون﴾ لما فى جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الأبلج وزاغوا عن الطريق الأنهج وتخصيص أكثرهم بهذا الوصف لا يقتضى الا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافى كراهتهم لهذا الحق المبين فتأمل وقيل تقييد الحكم بالأكثر لأن منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه أو لقلة فطنته وعدم تفكره لا لكراهته الحق وأنت خبير بأن التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام أصلا ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾ استئناف مسوق لبيان أن أهواءهم الزائغة التى ما كرهوا الحق الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة أى لو كان ما كرهوه من الحق الذى من جملته ما جاء به عليه السلام موافقا لأهوائهم الباطلة ﴿لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لأن مناط النظام ليس الا ذلك وفيه من تنويه شأن الحق والتنبيه على سمو مكانه مالا يخفى وأما ماقيل لو اتبع الحق الذى جاء به عليه السلام أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله تعالى بالقيامة ولأهلك العالم ولم يؤخر ففيه أنه لا يلائم فرض مجيئه عليه السلام به وكذا ماقيل لو كان فى الواقع الهان لا يناسب المقام وأما ماقيل لو

اتبع الحق أهواءهم لخرج عن الالهية فما لا احتمال له أصلا ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذى به يقوم العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذى هو فخرهم وشرفهم حسبما ينطق به قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك أى بل أتيناهم بفخرهم وشرفهم الذى كان يجب عليهم أن يقبلوا عليه أكمل اقبال ﴿فهم﴾ بما فعلوه من النكوص ﴿عن ذكرهم﴾ أى فخرهم وشرفهم خاصة ﴿معرضون﴾ لا عن غير ذلك مما لا يوجب الاقبال عليه والاعتناء به وفى وضع الظاهر موضع الضمير مزيد تشنيع لهم وتقريع والفاء لترتيب مابعدها من اعراضهم عن ذكرهم على ماقبلها من ايتاء ذكرهم لا لترتيب الاعراض على الايتاء مطلقا فان المستتبع لكون اعراضهم اعراضا عن ذكرهم هو ايتاء ذكرهم لا الايتاء مطلقا وفى اسناد الاتيان بالذكر الى نون العظمة بعد اسناده الى ضميره عليه الصلاة والسلام تنويه لشأن النبى عليه الصلاة والسلام وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل وفى ايراد القرآن الكريم عند نسبته اليه عليه السلام بعنوان الحقية وعند نسبته اليه تعالى بعنوان الذكر من النكتة السرية والحكمة العبقرية مالا يخفى فان التصريح بحقيته المستلزمة لحقية من جاء به هو الذى يقتضيه مقام حكاية ماقاله المبطلون فى شأنه وأما التشريف فانما يليق به تعالى لاسيما رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد المشرفين وقيل المراد بالذكر ماتمنوه بقولهم لو أن عندنا ذكرا من الاولين وقيل وعظهم وأيد ذلك بأنه قرئ بذكراهم والتشنيع على الاولين أشد فان الاعراض عن وعظهم ليس فى مثابة اعراضهم عن شرفهم أوعن ذكرهم الذى يتمنونه فى الشناعة والقباحة ﴿أم تسألهم﴾ انتقال من توبيخهم بما ذكر من قوله أم يقولون به جنة الى التوبيخ بوجه آخر كأنه قيل أم يزعمون أنك تسألهم على أداء الرسالة ﴿خرجا﴾ أى جعلا فلأجل ذلك لا يؤمنون بك وقوله تعالى ﴿فخراج ربك خير﴾ أى رزقه فى الدنيا وثوابه فى الآخرة تعليل لنفى السؤال المستفاد من الانكار أى لاتسألهم ذلك فان مارزقك الله تعالى فى الدنيا والعقبى خير لك من ذلك وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تعليل الحكم وتشريفه عليه الصلاة والسلام مالايخفى والخرج بازاء الدخل يقال لكل ماتخرجه الى غيرك والخراج غالب فى الضريبة على الارض وقيل الخرج ماتبرعت به والخراج مالزمك وقيل الخرج أخص من الخراج ففى النظم الكريم اشعار بالكثرة واللزوم وقرئ خرجا فخرج وخراجا فخراج ﴿وهو خير الرازقين﴾ تقرير لخيرية خراجه تعالى ﴿وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم﴾ تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توجب اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد ألزمهم الله عز وعلا وأزاح عللهم فى هذه الآيات حيث حصر أقسام مايؤدى الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ماعدا كراهتهم للحق وقلة فطنتهم ﴿وان الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ وصفوا بذلك تشنيعا لهم بما هم عليه من الانهماك فى الدنيا وزعمهم أن لاحياة الا الحياة الدنيا واشعارا بعلة الحكم فان الايمان بالآخرة وخوف مافيها من الدواهى من أقوى الدواعى الى طلب الحق وسلوك سبيله ﴿عن الصراط﴾ أى عن جنس الصراط ﴿لناكبون﴾ لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم أوعن الصراط المستقيم الذى تدعوهم اليه والاول أدل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما أنه ينبئ عن كون ماذهبوا اليه مما لايطلق عليه اسم الصراط ولوكان معوجا ﴿ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر﴾ أى قحط وجدب ﴿للجوا﴾ لتمادوا ﴿فى طغيانهم﴾ افراطهم فى الكفر والاستكبار وعداوة الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ﴿يعمهون﴾ أى عامهين عن الهدى روى أنه لما أسلم ثمامة بن اثال الحنفى ولحق باليمامة ومنع الميرة عن أهل مكة وأخذهم الله تعالى بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبوسفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت والمعنى

لو كشفنا عنهم ما أصابهم من القحط والهزال برحمتنا اياهم و وجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الافراط فى الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس وقد كان كذلك وقوله تعالى ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ استئناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية والمراد بالعذاب ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر وما أصابهم من فنون العذاب التى من جملتها القحط المذكور واللام جواب قسم محذوف أى و بالله لقد أخذناهم بالعذاب ﴿فما استكانوا لربهم﴾ بذلك أى لم يخضعوا ولم يتذللوا على أنه اما استفعال من الكون لان الخاضع ينتقل من كون الى كون أو افتعال من السكون قد أشبعت فتحته لنتزاح فى منترح بل أقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله تعالى ﴿وما يتضرعون﴾ اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أى وليس من عادتهم التضرع اليه تعالى ﴿حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد﴾ هو عذاب الآخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتحنا بالتشديد ﴿اذا هم فيه مبلسون﴾ أى متحيرون آيسون من كل خير أى محناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع وغير ذلك فما رؤى منهم لين مقادة وتوجه الى الاسلام قط وأما ما أظهره أبو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع اليه تعالى فى شئ وانما هو نوع خنوع الى أن يتم غرضه فحاله كما قيل اذا جاع ضغا واذا شبع طغا وأكثرهم مستمرون على ذلك الى أن يروا عذاب الآخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فانه أشد وأعم من القتل والاسر والمعنى أخذناهم أولا بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذى هو أطم وأتم فأبلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاءك أعتاهم وأشدهم شكيمة فى العناد يستعطفك والوجه هو الاول ﴿وهو الذى أنشأ لكم السمع والابصار﴾ لتشاهدوا بها الآيات التنزيلية والتكوينية ﴿والأفئدة﴾ لتتفكروا بها ما تشاهدونه وتعتبروا اعتبارا لائقا ﴿قليلا ما تشكرون﴾ أى شكرا قليلا غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة لما أن العمدة فى الشكر صرف تلك القوى التى هى فى أنفسها نعم باهرة الى ما خلقت هى له وأنتم تخلون بذلك اخلالا عظيما ﴿وهو الذى ذرأكم فى الارض﴾ أى خلقكم وبثكم فيها بالتناسل ﴿واليه تحشرون﴾ أى تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم لا الى غيره فما لكم لا تؤمنون به و لا تشكرونه ﴿وهو الذى يحيي ويميت﴾ من غير أن يشاركه فى ذلك شئ من الاشياء ﴿وله﴾ خاصة ﴿اختلاف الليل والنهار﴾ أى هو المؤثر فى اختلافهما أى تعاقبهما أو اختلافهما ازديادا وانتقاصا أو لأمره وقضائه اختلافهما ﴿أفلا تعقلون﴾ أى ألا تتفكرون فلا تعقلون أو أتتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتأمل أن الكل منا وأن قدرتنا تعم جميع الممكنات التى من جملتها البعث وقرئ يعقلون على أن الالتفات الى الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم وقيل على أن الخطاب الاول لتغليب المؤمنين وليس بذاك ﴿بل قالوا﴾ عطف على مضمر يقتضيه المقام أى فلم يعقلوا بل قالوا ﴿مثل ما قال الأولون﴾ أى آباؤهم ومن دان بدينهم ﴿قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الاجمال وقد مر الكلام فيه ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا﴾ أى البعث ﴿من قبل﴾ متعلق بالفعل من حيث اسناده الى آبائهم لا اليهم أى و وعد آباؤنا من قبل أو بمحذوف وقع حالا من آباؤنا أى كائنين من قبل ﴿ان هذا﴾ أى ما هذا ﴿الا أساطير الاولين﴾ أى أكاذيبهم التى سطروها جمع أسطورة كأحدوثة وأعجوبة وقيل جمع أسطار جمع سطر ﴿قل لمن الارض ومن فيها﴾ من المخلوقات تغليبا للعقلاء على غيرهم ﴿ان كنتم تعلمون﴾ جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه أى ان كنتم تعلمون شيأ ما فأخبرونى به فان ذلك كاف فى الجواب وفيه من المبالغة فى وضوح الامر وفى تجهيلهم ما لا يخفى أو ان كنتم تعلمون ذلك فأخبرونى وفيه استهانة بهم وتقرير لجهلهم ولذلك أخبر بجوابهم قبل أن يجيبوا حيث قيل ﴿سيقولون

لله﴾ لان بديهة العقل تضطرهم الى الاعتراف بأنه تعالى خالقها ﴿قل﴾ أى عند اعترافهم بذلك تبكيتا لهم ﴿أفلا تذكرون﴾ أى أتعلمون ذلك أو أتقولون ذلك فلا تذكرون أن من فطر الارض ومافيها ابتداء قادر على اعادتها ثانيا فان البدء ليس بأهون من الاعادة بل الامر بالعكس فى قياس العقول وقرىء تتذكرون على الاصل ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ أعيد الرب تنويها بشأن العرش ورفعا لمحله عن أن يكون تبعا للسموات وجودا وذكرا ولقد روعى فى الامر بالسؤال الترقى من الادنى الى الاعلى ﴿سيقولون لله﴾ باللام نظرا الى معنى السؤال فان قولك من ربه ولمن هو فى معنى واحد وقرىء هو ومابعده بغير لام نظرا الى لفظ السؤال ﴿قل﴾ الحاما لهم وتوبيخا ﴿أفلا تتقون﴾ أى أتعلمون ذلك ولا تقون أنفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكا فى الربوبية ﴿قل من بيده ملكوت كل شىء﴾ مما ذكر ومالم يذكر أى ملكه التام القاهر وقيل خزائنه ﴿وهو يجير﴾ أى يغيث غيره اذا شاء ﴿ولا يجار عليه﴾ أى ولا يغيث أحد عليه أى لا يمنع أحد منه بالنصر عليه ﴿ان كنتم تعلمون﴾ أى شيئا ما أو ذلك فأجيبونى على ماسبق ﴿سيقولون لله﴾ أى لله ملكوت كل شىء وهو الذى يجير ولا يجار عليه ﴿قل فأنى تسحرون﴾ أى فمن أين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به الى ما أنتم عليه من الغى فان من لا يكون مسحورا مختل العقل لا يكون كذلك ﴿بل أتيناهم بالحق﴾ الذى لا محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث ﴿وانهم لكاذبون﴾ فيما قالوا من الشرك وانكار البعث ﴿ما اتخذ الله من ولد﴾ كما يقوله النصارى والقائلون ان الملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ﴿وما كان معه من اله﴾ يشاركه فى الالوهية كما يقوله عبدة الأوثان وغيرهم ﴿اذن لذهب كل اله بما خلق﴾ جواب لمحاجتهم وجزاء لشرط قد حذف لدلالة ماقبله عليه أى لو كان معه آلهة كما يزعمون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التغالب والتحارب كما هو الجارى فيما بين الملوك ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شىء وهو باطل لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب الوجود واحد بالذات ﴿سبحان الله عما يصفون﴾ أى يصفونه من أن يكون له أندادا وأولاد ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ بالجر على أنه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرىء بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وأياما كان فهو دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم فى تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى ﴿فتعالى عما يشركون﴾ فان تفرده تعالى بذلك موجب لتعاليه عن أن يكون له شريك ﴿قل رب إما تريني﴾ أى ان كان لابد من أن تريني ﴿ما يوعدون﴾ من العذاب الدنيوى المستأصل وأما العذاب الأخروى فلا يناسبه المقام ﴿رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين﴾ أى قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه ايذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب أن يستعيذ منه من لا يكاد يمكن أن يحيق به ورد لانكارهم اياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء به وقيل أمر به عليه الصلاة والسلام هضما لنفسه وقيل لأن شؤم الكفرة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وروى أنه تعالى أخبر نبيه عليه الصلاة والسلام بأن له فى أمته نقمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل من الشرط والجزاء به لابراز كمال الضراعة والابتهال ﴿وانا على أن نريك ما نعدهم﴾ من العذاب ﴿لقادرون﴾ ولكنا نؤخره لعلمنا بأن بعضهم أو بعض أعقابهم سيؤمنون أو لانا لا نعذبهم وأنت فيهم وقيل قد أراه ذلك وهو ما أصابهم يوم بدر أو فتح مكة ولا يخفى بعده فان المتبادر أن يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عذابا هائلا مستأصلا لا يظهر على يديه عليه الصلاة والسلام للحكمة الداعية اليه ﴿ادفع بالتى هى أحسن السيئة﴾ وهو الصفح عنها والاحسان فى مقابلتها لكن لا بحيث يؤدى الى وهن فى الدين وقيل هى كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الأمر بالمعروف

والسيئة المنكر وهو أبلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقديم الجار والمجرور على المفعول في الموضعين للاهتمام ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ أى بما يصفونك به أو بوصفهم اياك على خلاف ما أنت عليه وفيه وعيدلهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وارشاد له عليه السلام الى تفويض أمره اليه تعالى ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾ أى وساوسهم المغرية على خلاف ما أمرت به من المحاسن التى من جملتها دفع السيئة بالحسنة وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم للناس على المعاصى بهمز الرائض الدواب على الاسراع أو الوثب والجمع للمرات أو لتنوع الوساوس أو لتعدد المضاف اليه ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ أمر عليه السلام بأن يعوذ به تعالى من حضورهم بعد ما أمر بالعوذ به من همزاتهم للمبالغة فى التحذير من ملابستهم واعادة الفعل مع تكرير النداء لاظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض نهاية الابتهال فى الاستدعاء أى أعوذ بك من أن يحضرونى ويحوموا حولى فى حال من الأحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وحال حلول الأجل كما روى عن عكرمة رحمه الله لانها أحرى الأحوال بالاستعاذة منها ﴿حتى اذا جاء أحدهم الموت﴾ حتى هى التى يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهى مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وما بينهما اعتراض مؤكد للاغضاء بالاستعاذة به تعالى من الشياطين أن يزلوه عليه الصلاة والسلام عن الحلم ويغروه على الانتقام لكن لا بمعنى أنه العامل فيه لفساد المعنى بل بمعنى أنه معمول لمحذوف يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون فى غاية البعد لفظا ومعنى أى يستمرون على الوصف المذكور حتى اذا جاء أحدهم أى أحدكان الموت الذى لا مرد له وظهرت له أحوال الآخرة ﴿قال﴾ تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة ﴿رب ارجعون﴾ أى ردنى الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعنى كما قيل فى قفا نبك ونظائره ﴿لعلى أعمل صالحا فيما تركت﴾ أى فى الايمان الذى تركته لمنتظمه فى سلك الرجاء كسائر الاعمال الصالحة بأن يقول لعلى أومن فأعمل الخ للاشعار بأنه أمر مقرر الوقوع غنى عن الاخبار بوقوعه قطعا فضلا عن كونه مرجو الوقوع أى لعلى أعمل فى الايمان الذى آتى به البتة عملا صالحا وقيل فيما تركته من المال أو من الدنيا وعنه عليه الصلاة والسلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا أنرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تبارك وتعالى وأما الكافر فيقول ارجعونى ﴿كلا﴾ ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها ﴿انها﴾ أى قوله رب ارجعون الخ ﴿كلمة هو قائلها﴾ لا محالة لتسلط الحسرة عليه ﴿ومن ورائهم﴾ أى أمامهم والضمير لاحدهم والجمع باعتبار المعنى لانه فى حكم كلهم كما أن الافراد فى الضمائر الاول باعتبار اللفظ ﴿برزخ﴾ حائل بينهم وبين الرجعة ﴿الى يوم يبعثون﴾ يوم القيامة وهو اقناط كلى عن الرجعة الى الدنيا لما علم أنه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجعة يومئذ الى الحياة الاخروية ﴿فاذا نفخ فى الصور﴾ لقيام الساعة وهى النفخة الثانية التى يقع عندها البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ فى الاجساد أرواحها على أن الصور جمع الصورة لا القرن ويؤيده القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد ﴿فلا أنساب بينهم﴾ تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه أو لا أنساب يفتخرون بها ﴿يومئذ﴾ كما هى بينهم اليوم ﴿ولا يتساءلون﴾ أى لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله تعالى فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذلك بعد ذلك ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ موزونات حسناته من العقائد والاعمال أى فمن كانت له عقائد صحيحة وأعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مهروب ﴿ومن

خفت موازينه﴾ أى ومن لم يكن له من العقائد والاعمال ما له وزن وقدر عنده تعالى وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وقد مر تفصيل ما فى هذا المقام من الكلام فى تفسير سورة الاعراف ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة فى الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما أن افراد الضميرين فى الصلتين باعتبار لفظه ﴿فى جهنم خالدون﴾ بدل من الصلة أو خبر ثان لأولئك ﴿تلفح وجوههم النار﴾ تحرقها واللفح كالنفح الا أنه أشد تأثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لانها أشرف الاعضاء فبيان حالها أزجر عن المعاصى المؤدية الى النار وهو السر فى تقديمها على الفاعل ﴿وهم فيها كالحون﴾ من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون ﴿ألم تكن آياتى تتلى عليكم﴾ على اضمار القول أى يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب ألم تكن آياتى تتلى عليكم فى الدنيا ﴿فكنتم بها تكذبون﴾ حينئذ ﴿قالوا ربنا غلبت علينا﴾ أى ملكتنا ﴿شقوتنا﴾ التى اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبئ عنه اضافتها الى أنفسهم وقرئ شقوتنا بالفتح وشقاوتنا أيضا بالفتح والكسر ﴿وكنا﴾ بسبب ذلك ﴿قوما ضالين﴾ عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف منهم بأن ما أصابهم قد أصابهم بسوء صنيعهم وأما ماقيل من أنه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الازلية فمع أنه باطل فى نفسه لما أنه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة الا ما علم الله تعالى أنهم يفعلونه باختيارهم ضرورة أن العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى ﴿ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون﴾ أى أخرجنا من النار وارجعنا الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا عليه من الكفر والمعاصى فانا متجاوزون الحد فى الظلم ولو كان اعتقادهم أنهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سألوا الرجعة الى الدنيا ولما وعدوا الايمان والطاعة بل قولهم فان عدنا صريح فى أنهم حينئذ على الايمان والطاعة وانما الموعود على تقدير الرجعة الى الدنيا الثبات عليهما لا احداثهما ﴿قال اخسؤا فيها﴾ أى اسكتوا فى النار سكوت هوان وذلوا وانزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت من خسأت الكلب اذا زجرته خسأ أى ازجر ﴿ولا تكلمون﴾ أى باستدعاء الاخراج من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون فى رفع العذاب ويرده التعليل الآتى وقيل لا تكلمون رأسا وهو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الآتية قطعا وقوله تعالى ﴿انه﴾ تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء أى ان الشأن وقرئ بالفتح أى لأن الشأن ﴿كان فريق من عبادى﴾ وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل أهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ﴿يقولون﴾ فى الدنيا ﴿ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا﴾ أى اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا الخ لأنكم كنتم تستهزؤن بالداعين بقولهم ربنا آمنا الخ وتتشاغلون باستهزائهم ﴿حتى أنسوكم﴾ أى الاستهزاء بهم ﴿ذكرى﴾ من فرط اشتغالكم باستهزائهم ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ وذلك غاية الاستهزاء وقوله تعالى ﴿انى جزيتهم اليوم﴾ استئناف لبيان حسن حالهم وأنهم انتفعوا بما آذوهم ﴿بما صبروا﴾ بسبب صبرهم على أذيتكم وقوله تعالى ﴿أنهم هم الفائزون﴾ ثانى مفعولى الجزاء أى جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وقرئ بكسر الهمزة على أنه تعليل للجزاء وبيان لكونه فى غاية ما يكون من الحسن ﴿قال﴾ أى الله عز وجل أو الملك المأمور بذلك تذكيرا لما لبثوا فيما سألوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله اخسؤا فيها الخ وقرئ قل على الامر للملك ﴿كم لبثتم فى الارض﴾ التى تدعون أن ترجعوا اليها ﴿عدد سنين﴾ تمييز لكم ﴿قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم﴾ استقصارا لمدة لبثهم فيها ﴿فاسأل العادين﴾ أى المتمكنين من العد فانا بما دهمنا

من العذاب بمعزل من ذلك أو الملائكة العادين لاعمار العباد وأعمالهم وقرىء العادين بالتخفيف أى المتعدين فانهم أيضا يقولون ماتقول كأنهم الاتباع يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم وقرىء العاديين أى القدماء المعمرين فانهم أيضا يستقصرون مدة لبثهم ﴿قال﴾ أى الله تعالى أو الملك وقرىء قل كما سبق ﴿ان لبثتم الاقليلا﴾ تصديقا لهم فى ذلك ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ أى تعلمون شيئا أو لو كنتم من أهل العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ماسبق عليه أى لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم واعملتم بموجبه ولم تخلدوا اليها ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا﴾ أى ألم تعلموا شيئا فحسبتم أنما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى أنكرتم البعث فعبثا حال من نون العظمة أى عابثين أو مفعول له أى أنما خلقناكم للعبث ﴿وأنكم الينا لاترجعون﴾ عطف على أنما فان خلقكم بغير بعث من قبيل العبث وانما خلقناكم لنعيدكم ونجازيكم على أعمالكم وقرىء ترجعون بفتح التاء من الرجوع ﴿فتعالى الله﴾ استعظام له تعالى ولشؤنه التى تصرف عليها عباده من البدء والاعادة والاثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة أى ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين فى ذاته وصفاته وأحواله وأفعاله وعن خلو أفعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة ﴿الملك الحق﴾ الذى يحق له الملك على الاطلاق ايجادا واعداما بدأ واعادة احياء واماتة عقابا واثابة وكل ماسواه مملوك له مقهور تحت ملكوته ﴿لا اله الا هو﴾ فان كل ماعداه عبيده ﴿رب العرش الكريم﴾ فكيف بما تحته ومحاط به من الموجودات كائنا ماكان ووصفه بالكرم اما لانه منه ينزل الوحى الذى منه القرآن الكريم أو الخير والبركة والرحمة أو لنسبته الى أكرم الأكرمين وقرىء الكريم بالرفع على أنه صفة الرب كما فى قوله تعالى ذو العرش المجيد ﴿ومن يدع مع الله الها آخر﴾ يعبده افرادا أو اشراكا ﴿لا برهان له به﴾ صفة لازمة لالها كقوله تعالى يطير بجناحيه جىء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على أن التدين بما لادليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول بخلافه أو اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن الى زيد لا أحق منه بالاحسان فالله مثيبه ﴿فانما حسابه عند ربه﴾ فهو مجازله على قدر مايستحقه ﴿انه لا يفلح الكافرون﴾ أى ان الشأن الخ وقرىء بالفتح على أنه تعليل أو خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والأصل حسابه أنه لايفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لأن من يدع فى معنى الجمع وكذلك حسابه أنه لايفلح فى معنى حسابهم انهم لايفلحون . بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفى الفلاح عن الكافرين ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ ايذانا بأنهما من أهم الامور الدينية حيث أمر به من قد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر فكيف بمن عداه . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وماتقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى أن أولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وأفلح

سورة النور

(مدنية وهى اثنتان أو أربع وستون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سورة﴾ خبر مبتدأ محذوف أى هذه سورة وانما أشير اليها مع عدم سبق ذكرها لأنها باعتبار كونها فى شرف الذكر فى حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى ﴿أنزلناها﴾ مع ماعطف عليه صفات لها مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة

من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات وأما كونها مبتدأ محذوف الخبر على أن يكون التقدير فيما أوحينا اليك سورة أنزلناها فيأباه أن مقتضى المقام بيان شأن هذه السورة الكريمة لا أن فى جملة ما أوحى الى النبى عليه الصلاة والسلام سورة شأنها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوهم أن غيرها من السور الكريمة ليست على تلك الصفات وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره أنزلناها فلا محل له حينئذ من الاعراب أو على تقدير اقرأ ونحوه أو دونك عند من يسوغ حذف أداة الاغراء فمحل أنزلنا النصب على الوصفية ﴿وفرضناها﴾ أى أوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه من الايذان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى وقرئ فرضناها بالتشديد لتأكيد الايجاب أو لتعدد الفرائض أو لكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف ﴿وأنزلنا فيها﴾ أى فى تضاعيف السورة ﴿آيات بينات﴾ ان أريد بها الآيات التى نيطت بها الاحكام المفروضة وهو الاظهر فكونها فى السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالتها على أحكامها لا على معانيها على الاطلاق فانها أسوة لسائر الآيات فى ذلك وتكرير أنزلنا مع استلزام انزال السورة لانزالها لابراز كمال العناية بشأنها وان أريد جميع الآيات فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من أجزائه وتكرير أنزلنا مع أن جميع الآيات عين السورة وانزالها عين انزالها لاستقلالها بعنوان رائق داع الى تخصيص انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعا لمحلها كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ بعد قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ﴿لعلكم تذكرون﴾ بحذف احدى التاءين وقرئ بادغام الثانية فى الذال أى تتذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية الى اجراء أحكامها وفيه ايذان بأن حقها أن تكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة اليها استحضروها ﴿الزانية والزانى﴾ شروع فى تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان أحكامها والزانية هى المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما تنبئ عنه الصيغة لا المزنية كرها وتقديمها على الزانى لأنها الاصل فى الفعل لكون الداعية فيها أوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى ﴿فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التى زنت والذى زنى كما فى قوله تعالى واللذان يأتيانها منكم فآذوهما وقيل الخبر محذوف أى فيما أنزلنا أو فيما فرضنا الزانية والزانى أى حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا الخ بيان لذلك الحكم وكان هذا عاما فى حق المحصن وغيره وقد نسخ فى حق المحصن قطعا ويكفينا فى تعيين الناسخ القطع بأنه عليه الصلاة والسلام قد رجم ماعزا وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفى الايضاح الرجم حكم ثبت بالسنة المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب وروى عن على رضى الله عنه جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ بآية منسوخة التلاوة هى الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ويأباه ما روى عن على رضى الله عنه ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ وقرئ بفتح الهمزة وبالمد أيضا على فعالة أى رحمة ورقة ﴿فى دين الله﴾ فى طاعته واقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ﴿ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ من باب التهييج والالهاب فان الايمان بهما يقتضى الجد فى طاعته تعالى والاجتهاد فى اجراء أحكامه وذكر اليوم الآخر لتذكير ما فيه من العقاب فى مقابلة المسامحة والتعطيل ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ أى لتحضره زيادة فى التنكيل فان التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول شئ من الطوف وأقلها ثلاثة كما روى عن قتادة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أربعة الى أربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير والزجر ﴿الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك﴾ حكم مؤسس على الغالب المعتاد

جيء به لزجر المؤمنين عن نكاح الزوانى بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب بعض من ضعفة المهاجرين فى نكاح موسرات كانت بالمدينة من بغايا المشركين فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فنفروا عنه ببيان أنه من أفعال الزناة وخصائص المشركين كأنه قيل الزانى لا يرغب الا فى نكاح احداهما والزانية لا يرغب فى نكاحها الا أحدهما فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا فى سلكهما أو تتسموا بسمتهما فايراد الجملة الاولى مع أن مناط التنفير هى الثانية اما للتعريض بقصرهم الرغبة عليهن حيث استأذنوا فى نكاحهن أو لتأكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة فى الزجر والتنفير وعدم التعرض فى الجملة الثانية للمشركة للتنبيه على أن مناط الزجر والتنفير هو الزنا لا مجرد الاشراك وانما تعرض لها فى الاولى اشباعا فى التنفير عن الزانية بنظمها فى سلك المشركة ﴿وحرم ذلك﴾ أى نكاح الزوانى ﴿على المؤمنين﴾ لما أن فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء القالة والطعن فى النسب واختلال أمر المعاش وغير ذلك من المفاسد مالا يكاد يليق بأحد من الأدانى والاراذل فضلا عن المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة فى الزجر وقيل النفى بمعنى النهى وقد قرئ به والتحريم على حقيقته والحكم اما مخصوص بسبب النزول أو منسوخ بقوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم فانه متناول للمسافحات ويؤيده ماروى انه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وما قيل من أن المراد بالنكاح هو الوطء بين البطلان ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ بيان لحكم العفائف اذا نسبن الى الزنا بعد بيان حكم الزوانى ويعتبر فى الاحصان ههنا مع مدلوله الوضعى الذى هو العفة عن الزنا الحرية والبلوغ والاسلام وفى التعبير عن التفوه بما قالوا فى حقهن بالرمى المنبئ عن صلابة الآلة وايلام المرمى وبعده عن الرامى ايذان بشدة تأثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد به رميهن بالزنا لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء بايرادهن عقيب الزوانى ووصفهن بالاحصان الدال بالوضع على نزاهتهن عن الزنا خاصة فان ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهن به لا محالة ولا حاجة فى ذلك الى الاستشهاد باعتبار الاربعة من الشهداء على أن فيه مؤنة بيان تأخر نزول الآية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن أربعة ولا بعدم وجوب الحد بالرمى بغير الزنا على أن فيه شبهة المصادرة كأنه قيل والذين يرمون العفائف المنزهات عما رمين به من الزنا ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ يشهدون عليهن بما رموهن به وفى كلمة ثم اشعار بجواز تأخير الاتيان بالشهود كما أن فى كلمة لم اشارة الى تحقق العجز عن الاتيان بهم وتقرره خلا أن اجتماع الشهود لا بد منه عند الاداء خلافا للشافعى رحمه الله تعالى فانه جوز التراخى بين الشهادات كما بين الرمى والشهادة ويجوز أن يكون أحدهم زوج المقذوفة خلافا له أيضا وقرئ بأربعة شهداء ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الاتيان بالشهداء لقوله تعالى فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن بهذا الحكم مع أن حكم رمى المحصنين أيضا كذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمى فيهن ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة﴾ عطف على اجلدوا داخل فى حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لأنه مؤلم للقلب كما أن الجلد مؤلم للبدن وقد آذى المقذوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه جزاء وفاقا واللام فى لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها نكرة ولو تأخرت عنها لكانت صفة لها وفائدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن أهليتهم الثابتة لهم عند الرمى وهو السر فى قبول شهادة الكافر المحدود فى القذف بعد التوبة والاسلام لأنها ليست ناشئة عن أهليته السابقة بل عن أهلية حدثت له بعد اسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ماقيل من أن المسلمين لا يعبأون بسب الكفار فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف المسلم فان ذلك بدون ما مر من الاعتبار تعليل فى مقابلة النص ولا يخفى حاله فالمعنى لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمى

﴿أبدا﴾ أى مدة حياتهم وان تابوا وأصلحوا لما عرفت من أنه تتمة للحد كأنه قيل فاجلدوهم و ردوا شهادتهم أى فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبق كأصله ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾ كلام مستأنف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الشر والفساد أى أولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود الكاملون فيه كأنهم هم المستحقون لاطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة وقوله تعالى ﴿الا الذين تابوا﴾ استثناء من الفاسقين كما ينبىء عنه التعليل الآتى ومحل المستثنى النصب لأنه من موجب وقوله تعالى ﴿من بعد ذلك﴾ لتهويل المتوب عنه أى من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل ﴿وأصلحوا﴾ أى أصلحوا أعمالهم التى من جملتها ما فرط منهم بالتلافى والتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف ﴿فان الله غفور رحيم﴾ تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن المؤاخذة بموجب الفسق كأنه قيل حينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم فى سلك الفاسقين لانه تعالى مبالغ فى المغفرة والرحمة هذا وقد علق الشافعى رحمه الله الاستثناء بالنهى فحل المستثنى حينئذ الجر على البدلية من الضمير فى لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونه قاذفا فتنتهى بالتوبة فتقبل شهادته بعدها ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ بيان لحكم الرامين لازواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن لكن لا بأن يكون هذا مخصصا للمحصنات بالاجنبيات ليلزم بقاء الآية السابقة ظنية فلا يثبت بها الحد فان من شرائط التخصيص أن لا يكون المخصص متراخى النزول بل بكونه ناسخا لعمومها ضرورة تراخى نزولها كما سيأتى فتبقى الآية السابقة قطعية الدلالة فيما بقى بعد النسخ لما بين فى موضعه أن دليل النسخ غير معلل ﴿ولم يكن لهم شهداء﴾ يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرىء بتأنيث الفعل ﴿الا أنفسهم﴾ بدل من شهداء أو صفة لها على أن الا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء ايذانا من أول الامر بعدم الغاء قولهم بالمرة ونظمه فى سلك الشهادة فى الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة الشهادة اليهم فى قوله تعالى ﴿فشهادة أحدهم﴾ أى شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿أربع شهادات﴾ خبره أى فشهادتهم المشروعة أربع شهادات ﴿بالله﴾ متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها وقرىء أربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على أنه اما خبر لمبتدا محذوف أى فالواجب شهادة أحدهم واما مبتدأ محذوف الخبر أى فشهادة أحدهم واجبة ﴿انه لمن الصادقين﴾ أى فيما رماها به من الزنا وأصله على أنه الخ فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنها للتأكيد ﴿والخامسة﴾ أى الشهادة الخامسة للاربع المتقدمة أى الجاعلة لها خمسا بانضمامها اليهن وافرادها عنهن مع كونها شهادة أيضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها فى افادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر واظهار الصدق وهى مبتدأ خبره ﴿أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين﴾ فيما رماها به من الزنا فاذا لاعن الزوج حبست الزوجة حتى تعترف فترجم أو تلاعن ﴿ويدرأ عنها العذاب﴾ أى العذاب الدنيوى وهو الحبس المغيا على أحد الوجهين بالرجم الذى هو أشد العذاب ﴿أن تشهد أربع شهادات بالله انه﴾ أى الزوج ﴿لمن الكاذبين﴾ أى فيما رمانى به من الزنا ﴿والخامسة﴾ بالنصب عطفا على أربع شهادات ﴿أن غضب الله عليها ان كان﴾ أى الزوج ﴿من الصادقين﴾ أى فيما رمانى به من الزنا وقرىء والخامسة بالرفع على الابتداء وقرىء أن بالتخفيف فى الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرىء أن غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما أنها مادة الفجور ولأن النساء كثيرا ما يستعملن اللعن فربما يجترئن على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روى أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدى الانصارى رضى الله عنه فقال جعلنى الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فأخبر جلد ثمانين وردت

شهادته وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى أن يجىء بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر فقال ماوراءك قال شر وجدت على امرأتى خولة وهى بنت عاصم شريك بن سحماء فقال والله هذا سؤالى ما أسرع ما ابتليت به فرجعا فأخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فانكرت فنزلت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان فى حكم التطليقة البائنة عند أبى حنيفة ومحمد رحمهما الله ولا يتأبد حكمها حتى اذا أكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز له أن يتزوجها وعند أبى يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعى رحمهم الله هى فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما اجتماع بعد ذلك أبدا ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم ﴾ التفات الى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتهويله والاشعار بضيق العبارة عن حصره كأنه قيل ولولا تفضله تعالى عليكم ورحمته وأنه تعالى مبالغ فى قبول التوبة حكيم فى جميع أفعاله وأحكامه التى من جملتها ماشرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته أنه تعالى لولم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع أن الظاهر صدقه لأنه أعرف بحال زوجته وأنه لا يفترى عليها لاشتراكهما فى الفضاحة وبعد ماشرع لهم ذلك لوجعل شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولوجعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له ولا ريب فى خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب أحدهما حتما دارئة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلى الكاذب منهما فى تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو أتم مما درأته عنه وأطم وفى ذلك من أحكام الحكم البالغة وآثار التفضل والرحمة مالا يخفى أما على الصادق فظاهر وأما على الكاذب فهو امهاله والستر عليه فى الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبىء عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته وأدق حكمته ﴿ ان الذين جاؤا بالافك ﴾ أى بأبلغ مايكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لاتشعر به حتى يفجأك وأصله الافك وهو القلب لأنه مأفوك عن وجهه وسننه والمراد به ماأفك به الصديقة أم المؤمنين رضى الله عنها وفى لفظ المجىء اشارة الى أنهم أظهروه من عند أنفسهم من غير أن يكون له أصل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عائشة رضى الله عنها فأقرع بيننا فى غزوة غزاها قيل غزوة بنى المصطلق فخرج سهمى فخرجت معه عليه السلام بعد نزول آية الحجاب فحملت فى هودج فسرنا حتى اذا قفلنا ودنونا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودى بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقدى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسنى ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى وهم يحسبون أنى فيه لخفتى فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدى بعد مااستمرت الجيش فجئت منازلهم وليس فيها داع ولا مجيب فتيممت منزلى وظننت أنى سيفقدوننى ويعودون فى طلبى فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى من وراء الجيش فلما رآنى عرفنى فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهى بجلبابى ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطىء على يديها فقمت اليها فركبتها وانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين فى نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدنى الناس حين نزلوا وماج القوم فى ذكرى فبينا الناس كذلك اذ هجمت عليهم فخاض الناس فى حديثى فهلك من هلك وقوله تعالى ﴿ عصبة منكم ﴾ خبر ان أى جماعة وهى من العشرة الى الأربعين وكذا العصابة وهم عبد الله بن أبى وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى ﴿ لاتحسبوه شرا لكم ﴾

استئناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعائشة وصفوان رضى الله عنهم تسلية لهم من أول الأمر والضمير للافك ﴿بل هو خير لكم﴾ لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بانزال ثمانى عشرة آية فى نزاهة ساحتكم وتعظيم شأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا ﴿لكل امرىء منهم﴾ أى من أولئك العصبة ﴿ما اكتسب من الاثم﴾ بقدر ما خاض فيه ﴿والذى تولى كبره﴾ أى معظمه وقرىء بضم الكاف وهى لغة فيه ﴿منهم﴾ من العصبة وهو ابن أبى فانه بدأ به وأذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به فافراد الموصول حينئذ باعتبار الفوج أو الفريق أو نحوهما ﴿له عذاب عظيم﴾ أى فى الآخرة أو فى الدنيا أيضا فانهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن أبى مطرودا مشهودا عليه بالنفاق وحسان أعمى وأشل اليدين ومسطح مكفوف البصر وفى التعبير عنه بالذى وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى ﴿لولا اذ سمعتموه﴾ تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذويه الى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد ما فى لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه الى الغيبة فى قوله تعالى ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا﴾ لتأكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه المباثة بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم عن ضده زجرا بليغا فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان الظن ويكفهم عن اساءته بأنفسهم أى بأبناء جنسهم النازلين منزلة أنفسهم كقوله تعالى ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وقوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم مما لا ريب فيه فاخلالهم بموجب ذلك الوصف أقبح وأشنع والتوبيخ عليه أدخل مع ما فيه من التوسل به الى التصريح بتوبيخ الخائضات ثم ان كان المراد بالايمان الايمان الحقيقى فايجابه لما ذكر واضح والتوبيخ خاص بالمؤمنين وان كان مطلق الايمان الشامل لما يظهره المنافقون أيضا فايجابه له من حيث انهم كانوا يحترزون عن اظهار ما ينافى مدعاهم فالتوبيخ حينئذ متوجه الى الكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض بأول زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تأخير الاتيان بالمحضض عليه عن ذلك الآن والتردد فيه ليفيد أن عدم الاتيان به رأسا فى غاية ما يكون من القباحة والشناعة أى كان الواجب أن يظن المؤمنون والمؤمنات أول ما سمعوه ممن اخترعه بالذات أو بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيرا ﴿وقالوا﴾ فى ذلك الآن ﴿هذا افك مبين﴾ أى ظاهر مكشوف كونه افكا فكيف بالصديقة ابنة الصديق أم المؤمنين حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء﴾ اما من تمام القول المحضض عليه مسوق لحث السامعين على الزام المسمعين وتكذيبهم اثر تكذيب ما سمعوه منهم بقولهم هذا افك مبين وتوبيخهم على تركه أى هلا جاء الخائضون بأربعة شهداء يشهدون على ما قالوا ﴿فاذ لم يأتوا﴾ بهم وانما قيل ﴿بالشهداء﴾ لزيادة التقرير ﴿فأولئك﴾ اشارة الى الخائضين وما فيه من معنى البعد للايذان بغلوهم فى الفساد وبعد منزلتهم فى الشر أى أولئك المفسدون ﴿عند الله﴾ أى فى حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة ﴿هم الكاذبون﴾ الكاملون فى الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة واما كلام مبتدأ مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولا لا يساعده الدليل أصلا ﴿ولولا فضل الله عليكم﴾ خطاب للسامعين والمسمعين جميعا ﴿ورحمته فى الدنيا﴾ من فنون النعم التى من جملتها الامهال للتوبة ﴿والآخرة﴾ من ضروب الآلاء التى من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة ﴿لمسكم﴾ عاجلا ﴿فيما أفضتم فيه﴾ بسبب ما خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل أمره والاستهجان بذكره يقال أفاض فى الحديث

وخاض واندفع وهضب بمعنى ﴿عذاب عظيم﴾ يستحقر دونه التوبيخ والجلد ﴿اذ تلقونه﴾ بحذف احدى التاءين ظرف
للمس أى لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم اياه من المخترعين ﴿بألسنتكم﴾ والتلقى والتلقف والتلقن معان متقاربة
خلا أن فى الأول معنى الاستقبال وفى الثانى معنى الخطف والأخذ بسرعة وفى الثالث معنى الحذق والمهارة وقرئ تتلقونه
على الأصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاء بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه
من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه أى تتبعونه ﴿وتقولون بأفواهكم
ماليس لكم به علم﴾ أى تقولون قولا مختصا بالافواه من غير أن يكون له مصداق ومنشأ فى القلوب لانه ليس بتعبير عن علم به
فى قلوبكم كقوله تعالى يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم ﴿وتحسبونه هينا﴾ سهلا لاتبعة له أوليس له كثير عقوبة ﴿وهو
عند الله﴾ والحال أنه عنده عز وجل ﴿عظيم﴾ لايقادر قدره فى الوزر واستجرار العذاب ﴿ولولا اذ سمعتموه﴾ من
المخترعين أو المشايعين لهم ﴿قلتم﴾ تكذيبا لهم وتهويلا لما ارتكبوه ﴿مايكون لنا﴾ مايمكننا ﴿أن نتكلم بهذا﴾ ومايصدر
عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفى وجود التكلم به لا نفى وجوده على وجه الصحة والاستقامة والانبغاء وهذا
اشارة الى ماسمعوه وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم لما مر من تخصيص التحضيض بأول وقت السماع وقصر التوبيخ
واللوم على تأخير القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد أنه المحتمل للوقوع المفتقر الى التحضيض على تركه وأما ترك
القول نفسه رأسا فمما لا يتوهم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغى أن يحمل ما قيل ان المعنى
انه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم وأما ماقيل
من أن ظروف الأشياء منزلة منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع فى غيرها فهى
ضابطة ربما تستعمل فيما اذا وضع الظرف موضع المظروف بأن جعل مفعولا صريحا لفعل مذكور كما فى قوله تعالى
واذكروا اذ جعلكم خلفاء أو مقدر كعامة الظروف المنصوبة باضمار اذكر وأما ههنا فلا حاجة اليها أصلا لما تحققت
أن مناط التقديم توجيه التحضيض اليه وذلك يتحقق فى جميع متعلقات الفعل كما فى قوله تعالى فلولا ان كنتم غير
مدينين ترجعونها ﴿سبحانك﴾ تعجب ممن تفوه به وأصله أن يذكر عند معاينة العجيب من صنائعه تعالى تنزيها له
سبحانه عن أن يصعب عليه أمثاله ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه أو تنزيه له تعالى عن أن تكون حرمة نبيه
فاجرة فان فجورها تنفير عنه ومخل بمقصود الزواج فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله تعالى ﴿هذا بهتان عظيم﴾
لعظمة المبهوت عليه واستحالة صدقه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها ﴿يعظكم الله﴾ أى ينصحكم
﴿أن تعودوا لمثله﴾ أى كراهة أن تعودوا أو يزجركم من أن تعودوا أو فى أن تعودوا من قولك وعظته فى كذا فتركه
﴿أبدا﴾ أى مدة حياتكم ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ فان الايمان وازع عنه لا محالة وفيه تهييج وتقريع ﴿ويبين
الله لكم الآيات﴾ الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتتعظوا وتتأدبوا بها أى ينزلها كذلك أى مبينة
ظاهرة الدلالة على معانيها لا أنه يبينها بعد أن لم تكن كذلك وهذا كما فى قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل
أى خلقهما صغيرا وكبيرا ومنه قولك ضيق فم الركية ووسع أسفلها واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتفخيم
شأن البيان ﴿والله عليم﴾ بأحوال جميع مخلوقاته جلائلها ودقائقها ﴿حكيم﴾ فى جميع تدابيره وأفعاله فأنى يمكن
صدق ما قيل فى حق حرمة من اصطفاه لرسالته وبعثه الى كافة الخلق ليرشدهم الى الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيرا
واظهار الاسم الجليل ههنا لتأكيد استقلال الاعتراض التذييلى والاشعار بعلة الالوهية للعلم والحكمة ﴿ان الذين
يحبون﴾ أى يريدون ويقصدون ﴿أن تشيع الفاحشة﴾ أى تنتشر الخصلة المفرطة فى القبح وهى الفرية والرمى

بالزنا أو نفس الزنا فالمراد بشيوعها شيوع خبرها أى يحبون شيوعها و يتصدون مع ذلك لاشاعتها وانما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فانها مستتبعة له لا محالة ﴿ فى الذين آمنوا ﴾ متعلق بتشيع أى تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنين لانهم العمدة فيهم أو بمضمر هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن المؤمنين خاصة أى يحبون أن تشيع الفاحشة كائنة فى حق المؤمنين وفى شأنهم ﴿ لهم ﴾ بسبب ما ذكر ﴿ عذاب أليم فى الدنيا ﴾ من الحد وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبى وحسانا ومسطحا حد القذف وضرب صفوان حسانا ضربة بالسيف وكف بصره ﴿ والآخرة ﴾ من عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل ﴿ والله يعلم ﴾ جميع الأمور التى من جملتها ما فى الضمائر من المحبة المذكورة ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ ما يعلمه تعالى بل انما تعلمون ما ظهر لكم من الأقوال والأفعال المحسوسة فابنوا أموركم على ما تعلمونه وعاقبوا فى الدنيا على ما تشاهدونه من الأحوال الظاهرة والله سبحانه هو المتولى للسرائر فيعاقب فى الآخرة على ما تكنه الصدور هذا اذا جعل العذاب الأليم فى الدنيا عبارة عن حد القذف أو متناولا له كما أطبق عليه الجمهور أما اذا بقى على اطلاقه يراد بالمحبة نفسها من غير أن يقارنها التصدى للاشاعة وهو الأنسب بسياق النظم الكريم فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيها على أن عذاب من باشر الاشاعة و يتولاها أشد وأعظم و يكون الاعتراض التذييلى أعنى قوله تعالى والله يعلم وأنتم لا تعلمون تقريرا لثبوت العذاب الأليم لهم وتعليلا له ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريرة ﴿ وأن الله رؤف رحيم ﴾ عطف على فضل الله واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار باستتباع صفة الالوهية للرأفة والرحمة وتغيير سبكه وتصديره بحرف التحقيق لما أن المراد بيان اتصافه تعالى فى ذاته بالرأفة التى هى كمال الرحمة والرحيمية التى هى المبالغة فيها على الدوام والاستمرار لا بيان حدوث تعلق رأفته ورحمته بهم كما أنه المراد بالمعطوف عليه وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ أى لا تسلكوا مسالكه فى كل ما تأتون وما تذرون من الأفاعيل التى من جملتها اشاعة الفاحشة وحبها وقرىء خطوات بسكون الطاء وبفتحها أيضا ﴿ ومن يتبع خطوات الشيطان ﴾ وضع الظاهران موضع ضميريهما حيث لم يقل ومن يتبعها أو ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة فى التنفير والتحذير ﴿ فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ علة للجزاء وضعت موضعه كأنه قيل فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لأن دأبه المستمر أن يأمر بهما فمن اتبع خطواته فقد امتثل بأمره قطعا والفحشاء ما أفرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع وضمير انه للشيطان وقيل للشأن على رأى من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية الى اسم الشرط أو على أن الأصل يأمره وقيل هو عائد الى من أى فان ذلك المتبع يأمر الناس بهما لأن شأن الشيطان هو الاضلال فمن اتبعه يترقى من رتبة الضلال والفساد الى رتبة الاضلال والافساد ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ بما من جملته هاتيك البيانات والتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ﴿ ما زكا ﴾ أى ما طهر من دنسها وقرىء ما زكى بالتشديد أى ما طهر الله تعالى ومن فى قوله تعالى ﴿ منكم ﴾ بيانية وفى قوله تعالى ﴿ من أحد ﴾ زائدة وأحد فى حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الأولى وفى محل النصب على المفعولية على القراءة الثانية ﴿ أبدا ﴾ لا الى نهاية ﴿ ولكن الله يزكى ﴾ يطهر ﴿ من يشاء ﴾ من عباده بافاضة آثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم ﴿ والله سميع ﴾ مبالغ فى سمع الأقوال التى من جملتها ما أظهروه من التوبة ﴿ عليم ﴾ بجميع المعلومات التى من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الاخلاص فى التوبة واظهار الاسم الجليل للايذان باستدعاء الالوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تأكيد استقلال

الاعتراض التذييلى ﴿ ولا يأتل ﴾ أى لا يحلف افتعال من الالية وقيل لا يقصر من الالو والأول هو الأظهر لنزوله فى شأن الصديق رضى الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ينفق عليه لكونه ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ويعضده قراءة من قرأ ولا يتأل ﴿ أولو الفضل منكم ﴾ فى الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضى الله تعالى عنه ﴿ والسعة ﴾ فى المال ﴿ أن يؤتوا ﴾ أى على أن لا يؤتوا وقرىء بتاء الخطاب على الالتفات ﴿ أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ﴾ صفات لموصوف واحد جىء بها بطريق العطف تنبيها على أن كلا منها علة مستقلة لاستحقاقه الايتاء وقيل لموصوفات أقيمت هى مقامها وحذف المفعول الثانى لغاية ظهوره أى على أن لا يؤتوهم شيئا ﴿ وليعفوا ﴾ ما فرط منهم ﴿ وليصفحوا ﴾ بالاغضاء عنه وقد قرىء الأمران بتاء الخطاب على وفق قوله تعالى ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ أى بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من أساء اليكم ﴿ والله غفور رحيم ﴾ مبالغ فى المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية اليها وفيه ترغيب عظيم فى العفو ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل ألا تحبون أن يغفر الله لكم فهذا من موجباته روى أنه عليه الصلاة والسلام قرأها على أبى بكر رضى الله عنه فقال بلى أحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح نفقته وقال والله لا أنزعها أبدا ﴿ ان الذين يرمون المحصنات ﴾ أى العفائف مما رمين به من الفاحشة ﴿ الغافلات ﴾ عنها على الاطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شىء منها ولا من مقدماتها أصلا ففيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس فى المحصنات أى السليمات الصدور النقيات القلوب عن كل سوء ﴿ المؤمنات ﴾ أى المتصفات بالايمان بكل ما يجب أن يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها ايمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبىء عنه تأخير المؤمنات عما قبلها مع أصالة وصف الايمان فانه للايذان بأن المراد بها المعنى الوصفى المعرب عما ذكر لا المعنى الاسمى المصحح لاطلاق الاسم فى الجملة كما هو المتبادر على تقدير التقديم والمراد بها عائشة الصديقة رضى الله عنها والجمع باعتبار أن رميها رمى لسائر أمهات المؤمنين لاشتراك الكل فى العصمة والنزاهة والانتساب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ونظائره وقيل أمهات المؤمنين فيدخل فيهن الصديقة دخولا أوليا وأما ما قيل من أن المراد هى الصديقة والجمع باعتبار استتباعها للمتصفات بالصفات المذكورة من نساء الامة فيأباه أن العقوبات المترتبة على رمى هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ولا ريب فى أن رمى غير أمهات المؤمنين ليس بكفر فيجب أن يكون المراد اياهن على أحد الوجهين فانهن قد خصصن من بين سائر المؤمنات فجعل رميهن كفرا ابرازا لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحمى الرسالة من أن يحوم حوله أحد بسوء حتى أن ابن عباس رضى الله عنهما جعله أغلظ من سائر أفراد الكفر حين سئل عن هذه الآيات فقال من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض فى أمر عائشة رضى الله عنها وهل هو منه رضى الله عنه الا لتهويل أمر الافك والتنبيه على أنه كفر غليظ ﴿ لعنوا ﴾ بما قالوه فى حقهن ﴿ فى الدنيا والآخرة ﴾ حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملائكة أبدا ﴿ ولهم ﴾ مع ما ذكر من اللعن الابدى ﴿ عذاب عظيم ﴾ هائل لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى ﴿ يوم تشهد عليهم ﴾ الخ اما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جناياتهم الموجبة له مع سائر جناياتهم المستتبعة لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف لما فى الجار والمجرور المتقدم من معنى الاستقرار لا لعذاب وان أعضينا عن وصفه لاخلاله بجزالة المعنى واما منقطع عنه مسوق لتهويل اليوم بتهويل ما يحويه على أنه ظرف لفعل مؤخر قد ضرب عنه الذكر صفحا للايذان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع فيه من الطامة التامة والداهية العامة كأنه قيل يوم تشهد عليهم ﴿ ألسنتهم

وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ يكون من الاحوال والاهوال مالا يحيط به حيطة المقال على أن الموصول المذكور عبارة عن جميع أعمالهم السيئة وجناياتهم القبيحة لا عن جناياتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة بها أنه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من أفاعيل صاحبها لا أن كلا منها يخبر بجناياتهم المعهودة فحسب والموصول المحذوف عبارة عنها وعن فنون العقوبات المترتبة عليها كافة لا عن احداها خاصة ففيه من ضروب التهويل بالاجمال والتفصيل مالا مزيد عليه وجعل الموصول المذكور عبارة عن خصوص جناياتهم المعهودة وحمل شهادة الجوارح على اخبار الكل بها فقط تحجير للواسع وتهوين لامر الوازع والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها في الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل المسارعة الى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع مافيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وقوله تعالى ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ أى يوم اذ تشهد جوارحهم بأعمالهم القبيحة يعطيهم الله تعالى جزاءهم الثابت الذي يحق أن يثبت لهم لا محالة وافيا كاملا كلام مبتدأ مسوق لبيان ترتيب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الاجمال ويجوز أن يكون يوم تشهد ظرفا ليوفيهم و يومئذ بدلا منه وقيل هو منصوب على أنه مفعول لفعل مضمر أى اذكر يوم تشهد وقرئ يوم يشهد بالتذكير للفصل ﴿ويعلمون﴾ عند معاينتهم الاهوال والخطوب حسبما نطق به القرآن الكريم ﴿أن الله هو الحق﴾ الثابت الذي يحق أن يثبت لا محالة في ذاته وصفاته وأفعاله التي من جملتها كلماته التامات المنبئة عن الشؤن التي يشاهدونها منطبقة عليها ﴿المبين﴾ المظهر للاشياء كما هي في أنفسها أو الظاهر أنه هو الحق وتفسيره بظهور ألوهيته تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ماسواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام كما أن تفسير الحق بذي الحق البين أى العادل الظاهر عدله كذلك ولو تتبعت ما في القرآن المجيد من آيات الوعيد الواردة في حق كل كفار مريد وجبار عنيد لا تجد شيأ منها فوق ما تلك القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذاك الا لاظهار منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في علو الشأن والنباهة وابراز رتبة الصديقة رضي الله عنها في العفة والنزاهة وقوله تعالى ﴿الخبيثات﴾ الخ كلام مستأنف مسوق على قاعدة السنة الالهية الجارية فيما بين الخلق على موجب أن لله تعالى ملكا يسوق الاهل الى الاهل أى الخبيثات من النساء ﴿للخبيثين﴾ من الرجال أى مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم الى غيرهم على أن اللام للاختصاص ﴿والخبيثون﴾ أيضا ﴿للخبيثات﴾ لان المجانسة من دواعي الانضمام ﴿والطيبات﴾ منهن ﴿للطيبين﴾ منهم ﴿والطيبون﴾ أيضا ﴿للطيبات﴾ منهن بحيث لا يكادون يجاوزونهن الى من عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الاطيبين وخيرة الاولين والآخرين تبين كون الصديقة رضي الله عنها من أطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ماقيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى ﴿أولئك مبرؤن مما يقولون﴾ على أن الاشارة الى أهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاما أوليا وقيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديقة وصفوان وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم و بعد منزلتهم في الفضل أى أولئك الموصوفون بعلو الشان مبرؤن مما تقوله أهل الافك في حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والنساء أى مختصة ولائقة بهم لا ينبغي أن تقال في حق غيرهم و كذا الخبيثون من الفريقين أحقاء بأن يقال في حقهم خبائث القول والطيبات من الكلم للطيبين من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم أحقاء بأن يقال في شأنهم طيبات الكلم أولئك الطيبون مبرؤن مما يقول الخبيثون في حقهم فماله تنزيه الصديقة أيضا وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريق الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين مختصون بخبائث القول متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين

أى مختصة بهم لاتصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام لايصدر عنهم غيرها أولئك الطيبون مبرؤن مما يقوله الخبيثون من الخبائث أى لا يصدر عنهم مثل ذلك فمآله تنزيه القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم ﴿لهم مغفرة﴾ عظيمة لما لايخلو عنه البشر من الذنوب ﴿و رزق كريم﴾ هو الجنة ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم﴾ اثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمى العفائف عنه شرع فى تفصيل الزواجر عما عسى يؤدى الى أحدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن فى أوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والافاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين و وصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التى هى سكنى كل أحد فى ملكه والا فالآجر والمعير أيضا منهيان عن الدخول بغير اذن وقرئ بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لاجل الياء ﴿حتى تستأنسوا﴾ أى تستأذنوا من يملك الاذن من أصحابها من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشئ اذا أبصره فان المستأنس مستعلم للحال مستكشف أنه هل يؤذن له أو من الاستئناس الذى هو خلاف الاستيحاش لما أن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فاذا أذن له استأنس ﴿وتسلموا على أهلها﴾ عند الاستئذان روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن التسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان أذن له دخل والا رجع ﴿ذلكم﴾ أى الاستئذان مع التسليم ﴿خير لكم﴾ من أن تدخلوا بغتة أو على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا أراد أن يدخل بيتا غير بيته يقول حييتم صباحا حييتم مساء فيدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف و روى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمى قال له نعم قال ليس لها خادم غيرى أأستأذن عليها كلما دخلت قال عليه الصلاة والسلام أتحب أن تراها عريانة قال لا قال عليه الصلاة والسلام فاستأذن ﴿لعلكم تذكرون﴾ متعلق بمضمر أى أمرتم به أو قيل لكم هذا كى تذكروا وتتعظوا وتعملوا بموجبه ﴿فان لم تجدوا فيها أحدا﴾ أى ممن يملك الاذن على أن من لايملكه من النساء والولدان وجدانه كفقدانه أو أحدا أصلا على أن مدلول النص الكريم عبارة هو النهى عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس اخفاءه مع أن التصرف فى ملك الغير محظور مطلقا وأما حرمة دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة النص لان الدخول حيث حرم مع ما ذكر من العلة فلأن يحرم عند انضمام ما هو أقوى منه اليه أعنى الاطلاع على العورات أولى ﴿فلا تدخلوها﴾ واصبروا ﴿حتى يؤذن لكم﴾ أى من جهة من يملك الاذن عند اتيانه ومن فسره بقوله حتى يأتى من يأذن لكم أو حتى تجدوا من يأذن لكم فقد ابرز القطعى فى معرض الاحتمال ولما كان جعل النهى مغيا بالاذن مما يوهم الرخصة فى الانتظار على الابواب مطلقا بل فى تكرير الاستئذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى ﴿وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا﴾ أى ان أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع سواء كان الامر ممن يملك الاذن أولا فارجعوا و لاتلحوا بتكرير الاستئذان كما فى الوجه الاول و لا تلجوا بالاصرار على الانتظار الى أن يأتى الآذن كما فى الثانى فان ذلك مما يجلب الكراهة فى قلوب الناس و يقدح فى المروءة أى قدح ﴿هو﴾ أى الرجوع ﴿أزكى لكم﴾ أى أطهر مما لايخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الابواب من دنس الدناءة والرذالة ﴿والله بما تعملون عليم﴾ فيعلم ماتأتون وماتذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا﴾ أى بغير استئذان ﴿بيوتا غير مسكونة﴾ أى غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر اليها كائنا من كان من غير أن يتخذها سكنا كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿فيها متاع لكم﴾ فانه صفة للبيوت أو استئناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح أى فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الأمتعة والرحال والشراء والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت

وداخليها فلا بأس بدخولها بغير استئذان من داخليها من قبل ولا ممن يتولى أمرها ويقوم بتدبيرها من قوام الرباطات والخانات وأصحاب الحوانيت ومتصرفى الحانات ونحوهم ويروى أن أبا بكر رضى الله عنه قال يارسول الله ان الله تعالى قد أنزل عليك آية فى الاستئذان وانا نختلف فى تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هى الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر أنها من جملة ماينتظمه البيوت لا أنها المرادة فقط وقوله تعالى ﴿ والله يعلم ماتبدون وماتكتمون ﴾ وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد أواطلاع على عورات ﴿ قل للمؤمنين ﴾ شروع فى بيان أحكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجا أوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض مافى حيزه من الأوامر والنواهى الى رأيه عليه الصلاة والسلام لانها تكاليف متعلقة بأمور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بأن يكون الآمر بها والمتصدى لتدبيرها حافظا ومهيمنا عليهم ومفعول الأمر أمر آخر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه أى قل لهم غضوا ﴿ يغضوا من أبصارهم ﴾ عما يحرم ويقتصروا به على مايحل ﴿ ويحفظوا فروجهم ﴾ الا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما فى أمر النظر من السعة وقيل المراد بالحفظ ههنا خاصة هو الستر ﴿ ذلك ﴾ أى ماذكر من الغض والحفظ ﴿ أزكى لهم ﴾ أى أطهر لهم من دنس الريبة ﴿ ان الله خبير بما يصنعون ﴾ لايخفى عليه شئ مما يصدر عنهم من الأفاعيل التى من جملتها اجالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك الجوارح ومايقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه فى كل مايأتون ومايذرون ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ﴾ فلا ينظرن الى مالايحل لهن النظر اليه ﴿ ويحفظن فروجهن ﴾ بالتستر أو التصون عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ورائد الفساد ﴿ ولايبدين زينتهن ﴾ كالحلى وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة فى النهى عن ابداء مواضعها مالايخفى ﴿ الا ماظهر منها ﴾ عند مزاولة الامور التى لابد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فان فى سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف أو مايعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ ارشاد الى كيفية اخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهى عن ابدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعها فأمرن بارسال خمرهن الى جيوبهن سترا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقاء فعدى بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم ﴿ ولايبدين زينتهن ﴾ كرر النهى لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعد مااستثنى عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور ﴿ الا لبعولتهن ﴾ فانهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود ﴿ أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن ﴾ لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما فى طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهن مايبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما أن الاحوط أن يتسترن عنهم حذارا من أن يصفوهن لابنائهم ﴿ أو نسائهن ﴾ المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فان الكوافر لايتحرجن عن وصفهن للرجال ﴿ أو ماملكت أيمانهن ﴾ أى من الاماء فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبى منها وقيل من الاماء والعبيد لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أتى فاطمة رضى الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه الصلاة والسلام انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك ﴿ أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال ﴾ أى أولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفى المجبوب والخصى خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولايعرفون شيئا من

أمور النساء وقرئ غير بالنصب على الحالية ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين﴾ أى ما يخفينه من الرؤية ﴿من زينتهن﴾ أى ولا يضربن بأرجلهن الارض ليتقعقع خلخالهن فيعلم أنهن ذوات خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم أن لهن ميلا اليهم وفى النهى عن ابداء صوت الحلى بعد النهى عن ابداء عينها من المبالغة فى الزجر عن ابداء مواضعها مالا يخفى ﴿وتوبوا الى الله جميعا﴾ تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكل بطريق التغليب لابراز كمال العناية بما فى حيزه من أمر التوبة وأنها من معظمات المهمات الحقيقية بأن يكون سبحانه وتعالى هو الآمر بها لما أنه لا يكاد يخلو أحد من المكلفين عن نوع تفريط فى اقامة مواجب التكاليف كما ينبغى وناهيك بقوله عليه السلام شيبتنى سورة هود لما فيها من قوله عز وجل فاستقم كما أمرت لاسيما اذا كان المأمور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفى تكرير الخطاب بقوله تعالى ﴿أيها المؤمنون﴾ تأكيد للايجاب وايذان بأن وصف الايمان موجب للامتثال حتما وقرئ أيه المؤمنون ﴿لعلكم تفلحون﴾ تفوزون بذلك بسعادة الدارين ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ بعدما زجر تعالى عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة أمر بالنكاح فانه مع كونه مقصودا بالذات من حيث كونه مناطا لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك وأيامى مقلوب أيايم جمع أيم وهو من لا زوج له من الرجال والنساء بكرا كان أو ثيبا كما يفصح عنه قول من قال

فان تنكحى أنكح وان تتأيمى وان كنت أفتى منكم أتأيم

أى زوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر ﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ على أن الخطاب للأولياء والسادات واعتبار الصلاح فى الارقاء لان من لا صلاح له منهم بمعزل من أن يكون خليقا بأن يعتنى مولاه بشأنه ويشفق عليه ويتكلف فى نظم مصالحه بما لابد منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه أن لا يستبقيه عنده وأما عدم اعتبار الصلاح فى الاحرار والحرائر فلأن الغالب فيهم الصلاح على أنهم مستبدون فى التصرفات المتعلقة بأنفسهم وأموالهم فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الاولياء لهم اذ ليس عليهم فى ذلك غرامة حتى يعتبر فى مقابلتها غنيمة عائدة اليهم عاجلة أو آجلة وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه ﴿ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ ازاحة لما عسى يكون وازعا من النكاح من فقر أحد الجانبين أى لا يمنعن فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة فان فى فضل الله عز وجل غنية عن المال فانه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب أو وعد منه سبحانه بالاغناء لقوله عليه الصلاة والسلام اطلبوا الغنى فى هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة كما فى قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ﴿والله واسع﴾ غنى ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق اذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك ﴿عليم﴾ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ﴿وليستعفف﴾ ارشاد للعاجزين عن مبادى النكاح وأسبابها الى ما هو أولى لهم وأحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء أى ليجتهد فى العفة وقمع الشهوة ﴿الذين لا يجدون نكاحا﴾ أى أسباب نكاح أو لا يتمكنون مما ينكح به من المال ﴿حتى يغنيهم الله من فضله﴾ عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى ولطف لهم فى استعفافهم وتقوية لقلوبهم وايذان بأن فضله تعالى أولى بالاعفاء وأدنى من الصلحاء ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ بعدما أمر بانكاح صالحى المماليك الاحقاء بالانكاح أمر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة أى الذين يطلبون المكاتبة ﴿مما ملكت أيمانكم﴾ عبدا كان أو أمة وهى أن يقول المولى لمملوكه كاتبتك على

كذا درهما تؤديه الى و تعتق و يقول المملوك قبلته أو نحو ذلك فان أداه اليه عتق قالوا معناه كتبت لك على نفسى أن تعتق منى اذا وفيت بالمال و كتبت لى على نفسك أن تفى بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال و كتبت على العتق عنده والتحقيق أن المكاتبة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة بالايجاب والقبول و لا ريب فى أن ذلك لا يصدر حقيقة الامن المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما فى الحقيقة الا الاتيان بأحد شطريه معربا عما يتم من قبله و يصدر عنه من الفعل الخاص به من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه و يصدر عنه من فعله الخاص به الا أن كلا من ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه فى نفسه الا منوطا بتحقق الآخر ضرورة أن التزام العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله الا بالتزام البدل من طرف العبد كما أن عقد البيع الذى هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه الا بتملكه به من جانب المشترى لم يكن بد من تضمين أحدهما الآخر وقت الانشاء فكما أن قول البائع بعت انشاء لعقد البيع على معنى أنه ايقاع لما يتم من قبله أصالة ولما يتم من قبل المشترى ضمنا ايقاعا متوقفا على رأيه توقفا شبيها بتوقف عقد الفضولى كذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشاء لعقد الكتابة أى ايقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل أصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا ايقاعا متوقفا على قبوله فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره ﴿فكاتبوهم﴾ والفاء لتضمنه معنى الشرط أو النصب على أنه مفعول لمضمر يفسره هذا والأمر فيه للندب لأن الكتابة عقد يتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها و يجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وعند الشافعى رحمه الله لا يجوز الامؤجلا منجما وقد فصل فى موضعه ﴿ان علمتم فيهم خيرا﴾ أى أمانة و رشدا وقدرة على أداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا لا يؤذى الناس بعد العتق واطلاق العنان ﴿وآتوهم من مال الله الذى آتاكم﴾ أمر للموالى ببذل شىء من أموالهم وفى حكمه حط شىء من مال الكتابة و يكفى فى ذلك أقل ما يتمول وعن على رضى الله عنه حط الربع وعن ابن عباس رضى الله عنهما الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعى للوجوب ويرده قوله عليه الصلاة والسلام المكاتب عبد ما بقى عليه درهم اذ لو وجب الحط لسقط عنه الباقى حتما وأيضا لو وجب الحط لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا ومسقطا معا وأيضا فهو عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى آتوهم أقرضوهم وقيل هو أمر لهم بأن ينفقوا عليهم بعد أن يؤدوا و يعتقوا واضافة المال اليه تعالى ووصفه بايتائه اياهم للحث على الامتثال بالأمر بتحقيق المأمور به كما فى قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فان ملاحظة وصول المال اليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقى له من أقوى الدواعى الى صرفه الى الجهة المأمور بها وقيل هو أمر باعطاء سهمهم من الصدقات فالأمر للوجوب حتما والاضافة والوصف لتعيين المأخذ وقيل هو أمر ندب لعامة المسلمين باعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل ذلك للمولى وان كان غنيا لتبدل العنوان حسبما ينطق بقوله عليه الصلاة والسلام فى حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ﴿و لا تكرهوا فتياتكم﴾ أى امائكم فان كلا من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والامة وعلى ذلك مبنى قوله عليه الصلاة والسلام ليقل أحدكم فتاى وفتاتى و لا يقل عبدى وأمتى ولهذه العبارة فى هذا المقام باعتبار مفهومها الاصلى حسن موقع ومزيد مناسبة لقوله تعالى ﴿على البغاء﴾ وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لأنهن اللاتى يتوقع منهن ذلك غالبا دون من عداهن من العجائز والصغائر وقوله تعالى ﴿ان أردن تحصنا﴾ ليس لتخصيص النهى بصورة ارادتهن التعفف عن الزنا واخراج ما عداها من حكمه كما اذا كان الاكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزانى أو لخصوص الزمان أو لخصوص المكان أو لغير ذلك من الامور

المصححة للاكراه فى الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن فى معرفة الامور الداعية الى المحاسن الزاجرة عن تعاطى القبائح فان عبد الله بن أبى كانت له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا عليه من القبائح مالا يخفى فان من له أدنى مروءة لايكاد يرضى بفجور من يحويه حرمه من امائه فضلا عن أمرهن به أو اكراههن عليه لاسيما عند ارادتهن التعفف فتأمل ودع عنك ماقيل من أن ذلك لأن الاكراه لايتأتى الامع ارادة التحصن وماقيل من أنه ان جعل شرطا للنهى لايلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز أن يكون ارتفاع النهى لامتناع المنهى عنه فانهما بمعزل من التحقيق وايثار كلمة ان على اذا مع تحقق الارادة فى مورد النص حتما للايذان بوجوب الانتهاء عن الاكراه عند كون ارادة التحصن فى حيز التردد والشك فكيف اذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليله بأن الارادة المذكورة منهن فى حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى بالكلية يأباه اعتبار تحققها اباء ظاهرا وقوله تعالى ﴿لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا﴾ قيد للاكراه لكن لاباعتبار أنه مدار للنهى عنه بل باعتبار أنه المعتاد فيما بينهم كما قبله جىء به تشنيعا لهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لأجل النزر الحقير أى لاتفعلوا ماأنتم عليه من اكراههن على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفائه بالفعل اذهو الصالح لكونه غاية للاكراه مترتبا عليه لا المطلق المتناول للطلب السابق الباعث عليه ﴿ومن يكرههن﴾ الخ جملة مستأنفة سيقت لتقرير النهى وتأكيد وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات عن عقوبة المكره عليه عبارة ورجوع غائلة الاكراه الى المكرهين اشارة أى ومن يكرههن على ماذكر من البغاء ﴿فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم﴾ أى لهن كما وقع فى مصحف ابن مسعود وعليه قراءة ابن عباس رضى الله تعالى عنهم وكما ينبىء عنه قوله تعالى من بعد اكراههن أى كونهن مكرهات على أن الاكراه مصدر من المبنى للمفعول فان توسيطه بين اسم ان وخبرها للايذان بأن ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصرى رحمه الله اذا قرأ هذه الآية يقول لهن والله لهن والله وفى تخصيصهما بهن وتعيين مدارهما مع سبق ذكر المكرهين أيضا فى الشرطية دلالة بينة على كونهم محرومين منهما بالكلية كأنه قيل لا للمكره ولظهور هذا التقدير اكتفى به عن العائد الى اسم الشرط فتجويز تعلقهما بهم بشرط التوبة استقلالا أومعهن اخلال بجزالة النظم الجليل وتهوين لأمر النهى فى مقام التهويل وحاجتهن الى المغفرة المنبئة عن سابقة الاثم اما باعتبار أنهن وان كن مكرهات لايخلون فى تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة مابحكم الجبلة البشرية واما باعتبار أن الاكراه قد يكون قاصرا عن حد الالجاء المزيل للاختيار بالمرة واما الغاية تهويل أمر الزنا وحث المكرهات على التثبت فى التجافى عنه والتشديد فى تحذير المكرهين ببيان أنهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا أن تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر فى حقهن فما حال من يكرههن فى استحقاق العذاب ﴿ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات﴾ كلام مستأنف جىء به فى تضاعيف ماورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شؤنها المستوجبة للاقبال الكلى على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذى تعرب عنه اللام لابراز كمال العناية بشأنه أى وبالله لقد أنزلنا اليكم فى هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل مابكم حاجة الى بيانه من الحدود وسائر الاحكام والآداب وغير ذلك مما هو من مبادى بيانها على أن اسناد التبيين اليها مجازى أو آيات واضحات تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة على أن مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذى عينين وقرىء على صيغة المفعول أى التى بينت وأوضحت فى هذه السورة من معانى الاحكام والحدود وقد جوز أن يكون الاصل مبينا فيها الاحكام

فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول ﴿ومثلا من الذين خلوا من قبلكم﴾ عطف على آيات أى وأنزلنا مثلا كائنا من قبيل أمثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والأمثال المضروبة لهم فى الكتب السابقة والكلمات الجارية على ألسنة الأنبياء عليهم السلام فينتظم قصة عائشة رضى الله عنها المحاكية لقصة يوسف عليه السلام وقصة مريم رضى الله عنها وسائر الامثال الواردة فى السورة الكريمة انتظاما واضحا وتخصيص الآيات المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة فقط يأباه تعقيب الكلام بما سيأتى من التمثيلات ﴿وموعظة﴾ تتعظون به وتنزجرون عما لاينبغى من المحرمات والمكروهات وسائر مايخل بمحاسن الآداب فهى عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونها من المواعظ بالمعنى المذكور ومدار العطف هو التغاير العنوانى المنزل منزلة التغاير الذاتى وقد خصت الآيات بما بين الحدود والاحكام والموعظة بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات الواردة فى شأن الآداب وانما قيل ﴿للمتقين﴾ مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الانزال لقوله تعالى أنزلنا اليكم حثا للمخاطبين على الاعتناء بالانتظام فى سلك المتقين ببيان أنهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من أنوارها فحسب وقيل المراد بالآيات المبينات والمثل والموعظة جميع مافى القرآن المجيد من الآيات والامثال والمواعظ فقوله تعالى ﴿الله نور السموات والارض﴾ الخ حينئذ استئناف مسوق لتقرير مافيها من البيان مع الاشعار بكونه فى غاية الكمال على الوجه الذى ستعرفه وأما على الأول فلتحقيق أن بيانه تعالى ليس مقصورا على ما ورد فى السورة الكريمة بل هو شامل لكل مايحق بيانه من الأحكام والشرائع ومباديها وغاياتها المترتبة عليها فى الدنيا والآخرة وغير ذلك بما له مدخل فى البيان وأنه واقع منه تعالى على أتم الوجوه وأكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذى هو أقوى مراتب البيان وأجلاها وعبر عن المنور بنفس النور تنبيها على قوة التنوير وشدة التأثير وايذانا بأنه تعالى ظاهر بذاته وكل ماسواه ظاهر باظهاره كما أن النور نير بذاته وما عداه مستنير به وأضيف النور الى السموات والأرض للدلالة على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل مايليق به من الأمور التى لها مدخل فى ارشاد الناس بوساطة بيان شمول المستعار منه لجميع مايقبله ويستحقه من الاجرام العلوية والسفلية فانهما قطران للعالم الجسمانى الذى لامظهر للنور الحسى سواه أو على شمول البيان لاحوالها وأحوال مافيهما من الموجودات اذ مامن موجود الا وقد بين من أحواله مايستحق البيان اما تفصيلا أو اجمالا كيف لا ولا ريب فى بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته وشاهدا بصحة البعث أو على تعلق البيان بأهلهما كما قال ابن عباس رضى الله عنهما هادى أهل السموات والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون هذا وأما حمل التنوير على اخراجه تعالى للماهيات من العدم الى الوجود اذ هو الاصل فى الاظهار كما أن الاعدام هو الاصل فى الاخفاء أو على تزيين السموات بالنيرين وسائر الكواكب ومايفيض عنها من الانوار أو بالملائكة عليهم السلام وتزيين الارض بالأنبياء عليهم السلام والعلماء والمؤمنين أو بالنبات والاشجار أو على تدبيره تعالى لامورهما وأمور مافيهما فما لايلائم المقام ولا يساعده حسن النظام ﴿مثل نوره﴾ أى نوره الفائض منه تعالى على الاشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ماقبله من وصف آياته بالانزال والتبيين وقد صرح بكونه نورا أيضا فى قوله تعالى وأنزلنا اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس رضى الله عنهما والحسن وزيد بن أسلم رحمهم الله تعالى وجعله عبارة عن الحق وان شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل يأباه مقام بيان شأن الآيات ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولان المعتبر فى مفهوم النور هو الظهور والاظهار كما هو شأن القرآن الكريم وأما الحق فالمعتبر فى مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الاظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة أى صفة نوره العجيبة ﴿كمشكاة﴾

أى كصفة كوة غير نافذة فى الجدار فى الانارة والتنوير ﴿فيها مصباح﴾ سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة فى وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة ﴿المصباح فى زجاجة﴾ أى قنديل من الزجاج الصافى الازهر وقرئ بفتح الزاى وكسرها فى الموضعين ﴿الزجاجة كأنها كوكب درى﴾ متلألئ وقاد شبيه بالدر فى صفائه وزهرته ودرارى الكواكب عظامها المشهورة وقرئ درئ بدال مكسورة وراء مشددة وياء ممدودة بعدها همزة على أنه فعيل من الدرء وهو الدفع أى مبالغ فى دفع الظلام بضوئه أو فى دفع بعض أجزاء ضيائه لبعض عند البريق واللمعان وقرئ بضم الدال والباقى على حاله وفى اعادة المصباح والزجاجة معرفين اثر سبقهما منكرين والاخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بأن يقال كمشكاة فيها مصباح فى زجاجة كأنها كوكب درى من تفخيم شأنهما ورفع مكانهما بالتفسير اثر الابهام والتفصيل بعد الاجمال وباثبات ما بعدهما لهما بطريق الاخبار المنبئ عن القصد الاصلى دون الوصف المبنى على الاشارة الى الثبوت فى الجملة ما لا يخفى ومحل الجملة الاولى الرفع على أنها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على أنها صفة لزجاجة واللام مغنية عن الرابط كأنه قيل فيها مصباح هو فى زجاجة هى كأنها كوكب درى ﴿يوقد من شجرة﴾ أى يبتدأ ايقاد المصباح من شجرة ﴿مباركة﴾ أى كثيرة المنافع بأن رويت ذبالته بزيتها وقيل انما وصفت بالبركة لانها تنبت فى الارض التى بارك الله تعالى فيها للعالمين ﴿زيتونة﴾ بدل من شجرة وفى ابهامها ووصفها بالبركة ثم الابدال منها تفخيم لشأنها وقرئ توقد بالتاء على أن الضمير القائم مقام الفاعل للزجاجة دون المصباح وقرئ توقد على صيغة الماضى من التفعل أى ابتداء ثقوب المصباح منها وقرئ توقد بحذف احدى التاءين من تتوقد على اسناده الى الزجاجة ﴿لاشرقية ولا غربية﴾ تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى على قلة أو صحراء واسعة فتقع الشمس عليها حالتى الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وقتادة وقال الفراء والزجاج لاشرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية وغربية أى تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الأمرين فيكون زيتها أضوأ وقيل لانابتة فى شرق المعمورة ولا فى غربها بل فى وسطها وهو الشام فان زيوتها أجود ما يكون وقيل لافى مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها ولا فى مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها نيأ وفى الحديث لاخير فى شجرة ولا فى نبات فى مقنأة ولا خير فيهما فى مضحى ﴿يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار﴾ أى هو فى الصفاء والانارة بحيث يكاد يضئ بنفسه من غير مساس نار أصلا وكلمة لو فى أمثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء شئ فى الزمان الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفى على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له اجمالا بادخالها على أبعدها منه اما لوجود المانع كما فى قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة واما لعدم الشرط كما فى هذه الآية الكريمة ليظهر بثبوته أو انتفائه معه ثبوته أو انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما أن الشئ متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع أو عدم الشرط فلأن يتحقق بدون ذلك أولى ولذلك لا يذكر معه شئ آخر من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا أمر مطرد فى الخبر الموجب والمنفى فانك اذا قلت فلان جواد يعطى ولو كان فقيرا أو بخيل لا يعطى ولو كان غنيا تريد بيان تحقق الاعطاء فى الاول وعدم تحققه فى الثانى فى جميع الاحوال المفروضة والتقدير يعطى لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا ولا يعطى لو لم يكن غنيا ولو كان غنيا فالجملة مع ما عطفت هى عليه فى حيز النصب على الحالية من

المشكى فى الفعل الموجب أو المنفى أى يعطى أو لا يعطى كائنا على جميع الاحوال وتقدير الآية الكريمة يكاد زيتها يضىء لو مسته نار ولو لم تمسسه نار أى يضىء كائنا على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الاولى حسبما هو المطرد فى الباب لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة ﴿نور﴾ خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى ﴿على نور﴾ متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة والجملة فذلكة للتمثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه أى ذلك النور الذى عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشان بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم كائن على نور كذلك لا على أنه عبارة عن نور واحد معين أو غير معين فوق نور آخر مثله ولا عن مجموع نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين وتحديد مراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه أقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح اذا كان فى مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه الى أصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل أعون شىء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وليس وراء هذه المراتب مما يزيد نورها اشراقا ويمده باضاءة مرتبة أخرى عادة هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه به مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل ﴿يهدى الله لنوره﴾ أى يهدى هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشأن واظهاره فى مقام الاضمار لزيادة تقريره وتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية الناشئة من اضافته الى ضميره عز وجل ﴿من يشاء﴾ هدايته من عباده بأن يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيته وكونه من عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الايمان به وفيه ايذان بأن مناط هذه الهداية وملاكها ليس الا مشيئته تعالى وأن تظاهر الاسباب بدونها بمعزل من الافضاء الى المطالب ﴿ويضرب الله الامثال للناس﴾ فى تضاعيف الهداية حسبما يقتضى حالهم فان له دخلا عظيما فى باب الارشاد لانه ابراز للمعقول فى هيئة المحسوس وتصوير لاوابد المعانى بصورة المأنوس ولذلك مثل نوره المعبر به عن القرآن المبين بنور المشكاة واظهار الاسم الجليل فى مقام الاضمار للايذان باختلاف حال ما أسند اليه تعالى من الهداية الخاصة وضرب الامثال الذى هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعليق الاولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة ﴿والله بكل شىء عليم﴾ معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو باطنا ومن قضيته أن تتعلق مشيئته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداهم لمخالفته الحكمة التى عليها مبنى التكوين والتشريع وأن تكون هدايته العامة على فنون مختلفة وطرائق شتى حسبما تقتضيه أحوالهم والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل لتأكيد استقلال الجملة والاشعار بعلة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتا وتعلقا ﴿فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾ لما ذكر شأن القرآن الكريم فى بيانه للشرائع والأحكام ومباديها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من أحوال الآخرة وأهوالها وأشير الى كونه فى غاية ما يكون من التوضيح والاظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة وأشير الى أن ذلك النور مع كونه فى أقصى مراتب الظهور انما يهتدى بهداه من تعلقت مشيئة الله تعالى بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض أعمالهم المعربة عن كيفية حالهم فى الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل هى المساجد التى بناها نبى من أنبياء الله تعالى الكعبة التى بناها ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وبيت المقدس الذى بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قباء اللذان بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن فى رفعها الامر ببنائها رفيعة لا كسائر البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل العطف التفسيرى وأيا ما كان ففى التعبير عنه بالاذن تلويح بأن اللائق بحال المأمور أن

يكون متوجها الى المأمور به قبل ورود الامر به ناويا التحقيقه كأنه مستاذن فى ذلك فيقع الامر به موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع أذكاره تعالى وكلمة فى متعلقة بقوله تعالى ﴿يسبح له﴾ وقوله تعالى ﴿فيها﴾ تكرير لها للتأكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة وللايذان بأن التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع فى البيوت فقط وأصل التسبيح التنزيه والتقديس يستعمل باللام وبدونها أيضا كما فى قوله تعالى سبح اسم ربك الأعلى قالوا أريد به الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه تعيين الاوقات بقوله تعالى ﴿بالغدو والآصال﴾ أى بالغدوات والعشايا على أن الغدو اما جمع غداة كقنى فى جمع قناة كما قيل أو مصدر أطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالآصال وهو جمع أصيل وهو العشى وهو شامل لأوقات ماعدا صلاة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز أن يراد به نفس التنزيه على أنه عبارة عما يقع منه فى أثناء الصلوات وأوقاتها لزيادة شرفه وانافته على سائر أفراده أو عما يقع فى جميع الاوقات وافراد طرفى النهار بالذكر لقيامهما مقام كلها لكونهما العمدة فيها بكونهما مشهودين وكونهما أشهر مايقع فيه المباشرة للاعمال والاشتغال بالاشغال وقرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل وقوله تعالى ﴿رجال﴾ فاعل يسبح وتأخيره عن الظروف لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان فى وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرئ يسبح على البناء للمفعول باسناده الى أحد الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة كأنه قيل من يسبح له فقيل يسبح له رجال وقرئ تسبح بتأنيث الفعل مبنيا للفاعل لان جمع التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنيا للمفعول على أن يسند الى أوقات الغدو والآصال بزيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة مع كونها مسبحا فيها أو يسند الى ضمير التسبيحة أى تسبح له التسبيحة على المجاز المسوغ لاسناده الى الوقتين كما خرجوا قراءة أبى جعفر ليجزى قوما أى ليجزى الجزاء قوما بل هذا أولى من ذلك اذ ليس هنا مفعول صريح ﴿لا تلهيهم تجارة﴾ صفة لرجال مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة مفيدة لكمال تبتلهم الى الله تعالى واستغراقهم فيما حكى عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم كائنا ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها أقوى الصوارف عندهم وأشهرها أى لا يشغلهم نوع من أنواع التجارة ﴿ولا بيع﴾ أى ولا فرد من أفراد البياعات وان كان فى غاية الربح وافراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للايذان بانافته على سائر أنواعها لان ربحه متيقن ناجز وربح ما عداه متوقع فى ثانى الحال عند البيع فلم يلزم من نفى إلهاء ما عداه نفى إلهائه ولذلك كررت كلمة لا لتذكير النفى وتأكيده وقد نقل عن الواقدى أن المراد بالتجارة هو الشراء لانه أصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر فى كذا أى جلبه ﴿عن ذكر الله﴾ بالتسبيح والتحميد ﴿وإقام الصلاة﴾ أى اقامتها لمواقيتها من غير تأخير وقد أسقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال وعوض عنها الاضافة كما فى قوله

وأخلفوك عد الامر الذى وعدوا أى عدة الأمر ﴿وإيتاء الزكاة﴾ أى المال الذى فرض اخراجه للمستحقين وايراده ههنا وان لم يكن مما يفعل فى البيوت لكونه قرينة لاتفارق اقامة الصلاة فى عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على أن محاسن أعمالهم غير منحصرة فيما يقع فى المساجد وكذلك قوله تعالى ﴿يخافون﴾ الخ فانه صفة ثانية لرجال أو حال من مفعول لا تلهيهم وأياما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم فى المساجد وقوله تعالى ﴿يوما﴾ مفعول ليخافون لا ظرف له وقوله تعالى ﴿تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ صفة ليوما أى تضطرب وتتغير فى أنفسها من الهول والفزع وتشخص كما فى قوله تعالى واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر أو تتغير أحوالها وتتقلب فتتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها وتبصر الأبصار بعد أن كانت عمياء أو تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والأبصار من أى

ناحية يؤخذ بهم و يؤتى كتابهم ﴿ ليجزيهم الله ﴾ متعلق بمحذوف يدل عليه ماحكى من أعمالهم المرضية أى يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وايتاء الزكاة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى ﴿ أحسن ما عملوا ﴾ أى أحسن جزاء أعمالهم حسبما وعدلهم بمقابلة حسنة واحدة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ أى يتفضل عليهم بأشياء لم توعد لهم بخصوصياتها أو بمقاديرها ولم تخطر ببالهم كيفياتها و لا كمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال فى مثل قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى و زيادة وقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عنه عز وجل أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التى من جملتها قوله تعالى ﴿ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ فانه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بأنه تعالى يعطيهم غير أجزية أعمالهم من الخيرات مالا يفى به الحساب وأما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فيأباه نظمها فى سلك الغاية والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجليلة كأنه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضعه موضع ضميرهم للتنبيه بما فى حيز الصلة على أن مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا أعمالهم المحكية كما أنها المناط لما سبق من الهداية لنوره تعالى لا لتظاهر الأسباب وللايذان بأنهم ممن شاء الله تعالى أن يرزقهم كما أنهم ممن شاء الله تعالى أن يهديهم لنوره حسبما يعرب عنه مافصل من أعمالهم الحسنة فان جميع ماذكر من الذكر والتسبيح واقام الصلاة وايتاء الزكاة وخوف اليوم الآخر وأهواله ورجاء الثواب مقتبس من القرآن العظيم الذى هو المعنى بالنور وبه يتم بيان أحوال من اهتدى بهداه على أوضح وجه وأجلاه هذا وقد قيل قوله تعالى فى بيوت الخ من تتمة التمثيل وكلمة فى متعلقة بمحذوف هى صفة لمشكاة أى كائنة فى بيوت وقيل لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بيوقد والكل مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل كيف لاوان مابعد قوله تعالى ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق أو ما بعد قوله تعالى نور على نور على ماقيل الى قوله تعالى بكل شىء عليم كلام متعلق بالممثل قطعا فتوسيطه بين أجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالأجنبى يؤدى الى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المهديين نور القرآن الكريم بطريق الاستتباع والاستطراد مع كون بيان حال أضدادهم مقصودا بالذات ومثل هذا مما لا عهد به فى كلام الناس فضلا أن يحمل عليه الكلام المعجز ﴿ والذين كفروا ﴾ عطف على ما ينساق اليه ما قبله كأنه قيل الذين آمنوا أعمالهم حالا ومآلا كما وصف والذين كفروا ﴿ أعمالهم ﴾ أى أعمالهم التى هى من أبواب البر كصلة الأرحام وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة البيت واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب كما فى قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم رماد الآية ﴿ كسراب ﴾ وهو مايرى فى الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن أنه ماء يسرب أى يجرى ﴿ بقيعة ﴾ متعلق بمحذوف هو صفة لسراب أى كائن فى قاع وهى الأرض المنبسطة المستوية وقيل هى جمع قاع كجيرة جمع جار وقرىء بقيعات بتاء ممدودة كديمات اما على أنها جمع قيعة أو على أن الأصل قيعة قد أشبعت فتحة العين فتولد منها ألف ﴿ يحسبه الظمآن ماء ﴾ صفة أخرى لسراب وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائنا من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه فى وجه الشبه الذى هو المطلع المطمع والمقطع المؤيس ﴿ حتى اذا جاءه ﴾ أى اذا جاء العطشان ماحسبه ماء وقيل موضعه ﴿ لم يجده ﴾ أى ما حسبه ماء وعلق به رجاءه ﴿ شيئا ﴾ أصلا لا محققا ، ولا متوهما كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه ماء و به تم بيان أحوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى ﴿ و وجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ﴾ بيان لبقية أحوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم أن قصارى أمرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمآن و يظهر أنه يعتريهم بعد ذلك

من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة أصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم المذكورة عينا ولا أثرا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وأن الحكم بأن أعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا حكم بأنها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم في الآخرة حتى اذا جاؤها لم يجدوها شيئا كأنه قيل حتى اذا جاء الكفرة يوم القيامة أعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئا و وجدوا الله أي حكمه وقضاءه عند المجيء وقيل عند العمل فوفاهم أي أعطاهم وافيا كاملا حسابهم أي حساب أعمالهم المذكورة وجزاءها فان اعتقادهم لنفعها بغير ايمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا وافراد الضميرين الراجعين الى الذين كفروا اما لارادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل واما للحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى أعمالهم هذا وقد قيل نزلت في عتبة ابن ربيعة بن أمية كان قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر ﴿أو كظلمات﴾ عطف على كسراب وكلمة أو للتنويع اثر ما مثلت أعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها أقوى اعتماد و يفتخرون بها في كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت أعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خيرية يغتر بها المغترون بظلمات كائنة ﴿في بحر لجي﴾ أي عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وقيل الى اللجة وهي أيضا معظمه ﴿يغشاه﴾ صفة أخرى للبحر أي يستره و يغطيه بالكلية ﴿موج﴾ وقوله تعالى ﴿من فوقه موج﴾ جملة من مبتدا وخبر محلها الرفع على أنها صفة لموج أو الصفة هي الجار والمجرور وموج الثاني فاعل له لاعتماده على الموصوف والكلام فيه كما مر في قوله تعالى نور على نور أي يغشاه أمواج متراكمة متراكب بعضها على بعض وقوله تعالى ﴿من فوقه سحاب﴾ صفة لموج الثاني على أحد الوجهين المذكورين أي من فوق ذلك الموج سحاب ظلماني ستر أضواء النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الأمواج وتضاعفها حتى كأنها بلغت السحاب ﴿ظلمات﴾ خبر مبتدا محذوف أي هي ظلمات ﴿بعضها فوق بعض﴾ أي متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما أن قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا أن ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على الابدال من الأولى وقرئ باضافة السحاب اليها ﴿اذا أخرج﴾ أي من ابتلى بها واضماره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة ﴿يده﴾ وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر اليها ﴿لم يكد يراها﴾ وهي أقرب شيء منه فضلا عن أن يراها ﴿ومن لم يجعل الله له نورا﴾ الخ اعتراض تذييلي جيء به لتقرير ما أفاده التمثيل من كون أعمال الكفرة كما فصل وتحقيق أن ذلك لعدم هدايته تعالى إياهم لنوره وايراد الموصول للاشارة بما في حيز الصلة الى علة الحكم وأنهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم أي ومن لم يشأ الله أن يهديه لنوره الذي هو القرآن هداية خاصة مستتبعة للاهتداء حتما ولم يوفقه للايمان به ﴿فماله من نور﴾ أي فماله هداية ما من أحد أصلا وقوله تعالى ﴿ألم تر﴾ الخ استئناف خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام للايذان بأنه تعالى قد أفاض عليه عليه الصلاة والسلام أعلى مراتب النور وأجلاها و بين له من أسرار الملك والملكوت أدقها وأخفاها والهمزة للتقرير أي قد علمت علما يقينيا شبيها بالمشاهدة في القوة والرصانة بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح ﴿أن الله يسبح له﴾ أي ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته وأفعاله عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل من نقص أو خلل ﴿من في السموات والأرض﴾ أي ما فيهما اما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم كائنا ما كان أو بطريق الجزئية منهما تنزيها معنويا تفهمه العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات الممكنة مركبا كان أو بسيطا فهو من حيث ماهيته و وجوده وأحواله

يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل مالا يليق بشأن من شؤنه الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو أقوى مراتب التنزيه وأظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال وأكد ذلك بإيثار كلمة من على ما كأن كل شىء مما عزوها وكل فرد من أفراد الاعراض والأعيان عاقل ناطق ومخبر صادق بعلو شأنه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى بنعوت الكمال أيضا لما أن مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة فى اخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له فى الألوهية ونسبتهم اياه الى اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من أنواع المخلوقات بأن يراد به معنى مجازى شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه يرده أن بعضا من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وانما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التى يشاركهم فيها غير العقلاء أيضا وفيه مزيد تخطئة لهم وتعيير ببيان أنهم يسبحونه تعالى باعتبار أخس جهاتهم التى هى الجمادية والجسمية والحيوانية ولا يسبحونه باعتبار أشرفها التى هى الانسانية ﴿والطير﴾ بالرفع عطفا على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى جملة ما فى الأرض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وانشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح انبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى ﴿صافات﴾ أى تسبحه تعالى حال كونها صافات أجنحتها فان اعطاءه تعالى للاجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف فى الجو والحركة كيف تشاء من الأجنحة والأذناب الخفيفة وارشادها الى كيفية استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدئ المعيد وقوله تعالى ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ بيان لكمال عراقة كل واحد مما ذكر فى التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من الأفاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد أدمج فى تضاعيفه الاشارة الى أن لكل واحد من الأشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية اليه تعالى واستفاضة منه لما يهمه بلسان استعداده وتحقيقه أن كل واحد من الموجودات الممكنة فى حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود لكنه مستعد لأن يفيض عليه منه تعالى ما يليق بشأنه من الوجود وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه فى كل آن من فيوض الفنون المتعلقة بذاته وصفاته مالا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلاة التى هى الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وافادة المزايا المذكورة فيما مر على التفصيل وتقديمها على التسبيح فى الذكر لتقدمها عليه فى الرتبة هذا ويجوز أن يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الادراك وبما ناب عنه التنوين فى كل أنواع الطير وأفرادها وبالصلاة والتسبيح ما ألهمه الله تعالى كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين به لكن لا على أن يكون الطير معطوفا على كلمة من مرفوعا برافعها فانه يؤدى الى أن يراد بالتسبيح معنى مجازى شامل للتسبيح المقالى والحالى من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمر أريد به التسبيح المخصوص بالطير معطوف على المذكور كما مر فى قوله تعالى وكثير من الناس أى وتسبح الطير تسبيحا خاصا بها حال كونها صافات أجنحتها وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه أى دعاءه وتسبيحه اللذين ألهمهما الله عز وجل اياه لبيان كمال رسوخه فيهما وأن صدورهما عنه ليس بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم وايقان من غير اخلال بشىء منهما حسبما ألهمه الله تعالى فان الهامه تعالى لكل نوع من أنواع المخلوقات علوما دقيقة لا يكاد يهتدى

اليه جهابذة العقلاء مما لا سبيل الى انكاره أصلا كيف لا وأن القنفذ مع كونه أبعد الأشياء من الادراك قالوا انه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبهما فيغير المدخل الى جحره حتى روى انه كان بقسطنطينية قبل الفتح الاسلامى رجل قد أثرى بسبب أنه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها و ينتفعون بانذاره بتدارك أمور سفائنهم وغيرها وكان السبب فى ذلك انه كان يقتنى فى داره قنفذا يستدل بأحواله على ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما أن أصواتها أظهر وجودا وأقرب حملا على التسبيح وقوله تعالى ﴿ والله عليم بما يفعلون ﴾ أى ما يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه الأول عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مسندا الى ضمير العقلاء لما مر غير مرة وعلى الثانى اما عبارة عنها وعن التسبيح الخاص بالطير معا أو عن تسبيح الطير فقط فالفعل على حقيقته واسناده الى ضمير العقلاء لما مر والاعتراض حينئذ مقرر لتسبيح الطير فقط وعلى الاولين لتسبيح الكل هذا وقد قيل ان الضمير فى قوله تعالى قد علم لله عز وجل وفى صلاته وتسبيحه لكل أى قد علم الله تعالى صلاة كل واحد مما فى السموات والارض وتسبيحه فالاعتراض حينئذ مقرر لمضمونه على الوجهين لكن لا على أن تكون ما عبارة عما تعلق به علمه تعالى من صلاته وتسبيحه بل عن جميع أحواله العارضة له وأفعاله الصادرة عنه وهما داخلتان فيها دخولا أوليا ﴿ ولله ملك السموات والارض ﴾ لا لغيره لأنه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف فى جميعها ايجادا واعداما بدءا واعادة وقوله تعالى ﴿ والى الله ﴾ أى اليه تعالى خاصة لا الى غيره ﴿ المصير ﴾ أى رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملك به تعالى فى المعاد اثر بيان اختصاصه به تعالى فى المبدا واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم ﴿ ألم تر أن الله يزجى سحابا ﴾ الازجاء سوق الشئ برفق وسهولة غلب فى سوق شئ يسير أو غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه ايماء الى أن السحاب بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به ﴿ ثم يؤلف بينه ﴾ أى بين أجزائه بضم بعضها الى بعض وقرئ يولف بغير همزة ﴿ ثم يجعله ركاما ﴾ أى متراكما بعضه فوق بعض ﴿ فترى الودق ﴾ أى المطر اثر تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى ﴿ يخرج من خلاله ﴾ أى من فتوقه حال من الودق لأن الرؤية بصرية وفى تعقيب الجعل المذكور برؤيته خارجا لا بخروجه من المبالغة فى سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ومن الاعتناء بتقرير الرؤية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده أنه قرئ من خلله ﴿ وينزل من السماء ﴾ من الغمام فان كل ما علاك سماء ﴿ من جبال ﴾ أى من قطع عظام تشبه الجبال فى العظم كائنة ﴿ فيها ﴾ وقوله تعالى ﴿ من برد ﴾ مفعول ينزل على أن من تبعيضية والاوليان لابتداء الغاية على أن الثانية بدل اشتمال من الاولى باعادة الجار أى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف ومن برد بيان للجبال أى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من جنس البرد بردا والأول أظهر لخلوه عن ارتكاب الحذف والتصريح ببعضية المنزل وقيل المفعول من جبال على أن من تبعيضية ومن برد بيان للجبال أى ينزل من السماء بعض جبال كائنة فيها من برد أى مشبهة بالجبال فى الكثرة وأيا ما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما أن فى الارض جبالا من حجر وليس فى العقل ما ينفيه من قاطع والمشهور أن الأبخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد اجتمع هناك وصار سحابا وان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر أو الثلج وكل ذلك مستند

الى ارادة الله تعالى ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح ﴿ فيصيب به ﴾ أى بما ينزله من البرد ﴿ من يشاء ﴾ أن يصيبه به فيناله ما يناله من ضرر فى نفسه وماله ﴿ و يصرفه عمن يشاء ﴾ أن يصرفه عنه فينجو من غائلته ﴿ يكاد سنا برقه ﴾ أى ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الازجاء والتأليف وغيرهما واضافة البرق اليه قبل الاخبار بوجوده فيه للايذان بظهور أمره واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة والعلو و بادغام الدال فى السين و برقه بفتح الراء على أنه جمع برقة وهى مقدار من البرق كالغرفة و بضمها للاتباع لضمة الباء ﴿ يذهب بالابصار ﴾ أى يخطفها من فرط الاضاءة وسرعة ورودها و فى اطلاق الابصار مزيد تهويل لأمره و بيان لشدة تأثيره فيها كأنه يكاد يذهب بها و لو عند الاغماض وهذا من أقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث انه توليد للضد من الضد وقرئ يذهب من الاذهاب على زيادة الباء ﴿ يقلب الله الليل والنهار ﴾ بالمعاقبة بينهما أو بنقص أحدهما و زيادة الآخر أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الامور التى من جملتها ما ذكر من ازجاء السحاب وما ترتب عليه ﴿ ان فى ذلك ﴾ اشارة الى ما فصل آنفا وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان بعلو رتبته و بعد منزلته ﴿ لعبرة ﴾ أى لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم و وحدته وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع الاشياء ونفاذ مشيئته وتنزهه عما لا يليق بشأنه العلى ﴿ لأولى الابصار ﴾ لكل من له بصر ﴿ والله خلق كل دابة ﴾ أى كل حيوان يدب على الارض وقرئ خالق كل دابة بالاضافة ﴿ من ماء ﴾ هو جزء مادته أو ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل لأن من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليست صلة لخلق ﴿ فمنهم من يمشى على بطنه ﴾ كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونها زحفا بطريق الاستعارة أو المشاكلة ﴿ ومنهم من يمشى على رجلين ﴾ كالانس والطير ﴿ ومنهم من يمشى على أربع ﴾ كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشى على أكثر من أربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها وتذكير الضمير فى منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بكلمة من ليوافق التفصيل الاجمال والترتيب لتقديم ما هو أعرف فى القدرة ﴿ يخلق الله ما يشاء ﴾ مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان أو مركبا على ما يشاء من الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافاعيل مع اتحاد العنصر واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لتفخيم شأن الخلق المذكور والايذان بأنه من أحكام الالوهية ﴿ ان الله على كل شئ قدير ﴾ فيفعل ما يشاء كما يشاء واظهار الجلالة لما ذكر مع تأكيد استقلال الاستئناف التعليلى ﴿ لقد أنزلنا آيات مبينات ﴾ أى لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية ﴿ والله يهدى من يشاء ﴾ أن يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التامل فى مطاويها ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ موصل الى حقيقة الحق والفوز بالجنة ﴿ ويقولون آمنا بالله و بالرسول ﴾ شروع فى بيان أحوال بعض من لم يشأ الله هدايته الى الصراط المستقيم قال الحسن نزلت فى المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان و يسرون الكفر وقيل نزلت فى بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف واليهودى يدعوه الى النبى عليه الصلاة والسلام وقيل فى المغيرة ابن وائل خاصم عليا رضى الله عنه فى أرض وماء فأبى أن يحاكم الى الرسول عليه الصلاة والسلام وأيا ما كان فصيغة الجمع للايذان بأن للقائل طائفة يساعدونه و يشايعونه فى تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم ﴿ وأطعنا ﴾ أى أطعناهما فى الامر والنهى ﴿ ثم يتولى ﴾ عن قبول حكمه ﴿ فريق منهم من بعد ذلك ﴾ أى من بعد ما صدر عنهم ما صدر من ادعاء الايمان بالله و بالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما فى ذلك من معنى البعد للايذان بكونه أمرا معتدا به واجب المراعاة ﴿ وما أولئك ﴾ اشارة الى القائلين لا الى الفريق المتولى منهم فقط لعدم اقتضاء نفى الايمان عنهم نفيه عن الاولين بخلاف العكس فان نفيه عن القائلين مقتض لنفيه

عنهم على أبلغ وجه وآكده ومافيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم فى الكفر والفساد أى وما أولئك الذين يدعون الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم فى العقد والعمل ﴿ بالمؤمنين ﴾ أى المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام أى ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالاخلاص فى الايمان والثبات عليه ﴿ واذا دعوا الى الله و رسوله ليحكم ﴾ أى الرسول ﴿ بينهم ﴾ لأنه المباشر حقيقة للحكم وان كان ذلك حكم الله حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه عليه السلام والايذان بجلالة محله عنده تعالى ﴿ اذا فريق منهم معرضون ﴾ أى فاجأ فريق منهم الاعراض عن المحاكمة اليه عليه السلام لكون الحق عليهم وعلمهم بأنه عليه السلام يحكم بالحق عليهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه ﴿ وان يكن لهم الحق ﴾ لا عليهم ﴿ يأتوا اليه مذعنين ﴾ منقادين لجزمهم بأنه عليه السلام يحكم لهم والى صلة ليأتوا فان الاتيان والمجىء يعديان بالى أو لمذعنين على تضمين معنى الاسراع والاقبال كما فى قوله تعالى فأقبلوا اليه يزفون والتقديم للاختصاص ﴿ أفى قلوبهم مرض ﴾ انكار واستقباح لاعراضهم المذكور وبيان لمنشئه بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد المنشئية بينها فمدار الاستفهام ليس نفس ماوليته الهمزة وأم من الامور الثلاثة بل هو منشئيتها له كأنه قيل أذلك أى اعراضهم المذكور لأنهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم ﴿ أم ﴾ لأنهم ﴿ ارتابوا ﴾ فى أمر نبوته عليه السلام مع ظهور حقيتها ﴿ أم ﴾ لانهم ﴿ يخافون أن يحيف الله عليهم و رسوله ﴾ ثم أضرب عن الكل وأبطلت منشئيته وحكم بأن المنشأ شىء آخر من شنائعهم حيث قيل ﴿ بل أولئك هم الظالمون ﴾ أى ليس ذلك لشىء مما ذكر أما الاولان فلأنه لو كان لشىء منهما لأعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما أتوا اليه عليه السلام مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ أيضا وأما الثالث فلانتفائه رأسا حيث كانوا لايخافون الحيف أصلا لمعرفتهم بتفاصيل أحواله عليه السلام فى الامانة والثبات على الحق بل لانهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم و يتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة اليه عليه الصلاة والسلام لعلمهم بأنه عليه الصلاة والسلام يقضى عليهم بالحق فمناط النفى المستفاد من الاضراب فى الأولين هو وصف منشئيتهما للاعراض فقط مع تحققهما فى نفسهما و فى الثالث هو الأصل والوصف جميعا هذا وقد خص الارتياب بما له منشأ مصحح لعروضه لهم فى الجملة والمعنى أم ارتابوا بأن رأوا منه عليه الصلاة والسلام تهمة فزالت ثقتهم و يقينهم به عليه الصلاة والسلام فمدار النفى حينئذ نفس الارتياب ومنشئيته معا فتأمل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك ماقيل وقيل حسبما يقتضيه النظر الجليل ﴿ انما كان قول المؤمنين ﴾ بالنصب على أنه خبر كان وأن مع مافى حيزها اسمها وقرىء بالرفع على العكس والأول أقوى صناعة لان الأولى للاسمية ماهو أوغل فى التعريف وذلك هو الفعل المصدر بأن اذ لاسبيل اليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فانه يحتمله كما اذا اعتزلت عنه الاضافة لكن قراءة الرفع أقعد بحسب المعنى وأوفى لمقتضى المقام لما أن مصب الفائدة وموقع البيان فى الجمل هو الخبر فالاحق بالخبرية ماهو أكثر افادة وأظهر دلالة على الحدوث وأوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع فى الخارج و فى ذهن السامع و لاريب فى أن ذلك ههنا فى أن مع مافى حيزها أتم وأكمل فاذا هو أحق بالخبرية وأما ماتفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية بحيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها أن تلاحظ ملاحظة مجملة وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى انما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين ﴿ اذا دعوا الى الله و رسوله ليحكم ﴾ أى الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ بينهم ﴾ أى وبين خصومهم سواء كانوا منهم أو من غيرهم ﴿ أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾ أى خصوصية هذا القول المحكى عنهم لاقولا آخر أصلا وأما قراءة النصب فمعناها انما كان قول المؤمنين أى انما كان قولا لهم عند الدعوة خصوصية قولهم المحكى عنهم ففيه من جعل أخص النسبتين

وأبعدهما وقوعا وحضورا فى الاذهان وأحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا للموضوع وابراز ماهو بخلافها فى معرض القصد الأصلى مالايخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا الى مصدره مجاوبا القوله تعالى اذا دعوا أى ليفعل الحكم كما فى قوله تعالى لقد تقطع بينكم أى وقع التقطع بينكم ﴿وأولئك﴾ اشارة الى المؤمنين باعتبار صدور القول المذكور عنهم ومافيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم فى الفضل أى أولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل ﴿هم المفلحون﴾ أى هم الفائزون بكل مطلب والناجون من كل محذور ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ استئناف جئ به لتقرير مضمون ماقبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم فى الانتظام فى سلكهم أى ومن يطعهما كائنا من كان فيما أمرا به من الأحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل فى الفرائض والسنن والأول هو الأنسب بالمقام ﴿ويخش الله ويتقه﴾ باسكان القاف المبنى على تشبيه بكتف وقرئ بكسر القاف والهاء وباسكان الهاء أى ويخش الله على مامضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل ﴿فأولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقاء ﴿هم الفائزون﴾ بالنعيم المقيم لامن عداهم ﴿وأقسموا بالله﴾ حكاية لبعض آخر من أكاذيبهم مؤكد بالأيمان الفاجرة وقوله تعالى ﴿جهد أيمانهم﴾ نصب على أنه مصدر مؤكد لفعله الذى هو فى حيز النصب على أنه حال من فاعل أقسموا أى أقسموا به تعالى يجهدون أيمانهم جهدا ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه اذا بلغ أقصى وسعها وطاقتها أى جاهدين بالغين أقصى مراتب اليمين فى الشدة والوكادة وقيل هو مصدر مؤكد لأقسموا أى أقسموا اقسام اجتهاد فى اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد فى اليمين ﴿لئن أمرتهم﴾ أى بالخروج الى الغزو لاعن ديارهم وأموالهم كما قيل لانه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وان أقمت أقمنا وان أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى ﴿ليخرجن﴾ جواب لأقسموا بطريق حكاية فعلهم لاحكاية قولهم وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة أمر عليه السلام بردها حيث قيل ﴿قل﴾ أى ردا عليهم وزجرا لهم عن التفوه بها واظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها ﴿لاتقسموا﴾ أى على ماينبئ عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى ﴿طاعة معروفة﴾ خبر مبتدا محذوف والجملة تعليل للنهى أى لاتقسموا على ماتدعون من الطاعة لان طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطأة من القلب وانما عبر عنها بمعروفة للايذان بأن كونها كذلك مشهور معروف لكل أحد وقرئ بالنصب والمعنى تطيعون طاعة معروفة هذا وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ماينا سبها من مبتدأ أو خبر أو فعل مثل الذى يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لانفاقية أوطاعة معروفة أمثل أوليكن طاعة معروفة أوأطيعوا طاعة معروفة مما لايساعده المقام ﴿ان الله خبير بما تعملون﴾ من الأعمال الظاهرة والباطنة التى من جملتها ما تظهرونه من الأكاذيب المؤكدة بالأيمان الفاجرة وما تضمرونه فى قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بأن طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بأن مدار شهرة أمرها فيما بين المؤمنين اخباره تعالى بذلك ووعيد لهم بأنه تعالى مجازيهم بجميع أعمالهم السيئة التى منها نفاقهم ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ كرر الأمر بالقول لابراز كمال العناية به والاشعار باختلافهما من حيث ان المقول فى الأول نهى بطريق الرد والتقريع كما فى قوله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون وفى الثانى أمر بطريق التكليف والتشريع واطلاق الطاعة المأمور بها عن وصف الصحة والاخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على أنها ليست من الطاعة فى شئ أصلا وقوله تعالى ﴿فان تولوا﴾ خطاب للمأمورين بالطاعة من جهته تعالى وارد لتأكيد الأمر بها والمبالغة فى ايجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما أن تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعانى وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد

بشانه من المتكلم و يستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما أشير اليه فى تفسير قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا لاسيما اذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة الى الخطاب بالذات فان فى خطابه تعالى اياهم بالذات بعد أمره تعالى اياهم بوساطته عليه السلام وتصديه لبيان حكم الامتثال بالامر والتولى عنه اجمالا وتفصيلا من افادة ما ذكر من التأكيد والمبالغة مالا غاية وراءه وتوهم أنه داخل تحت القول المأمور بحكايته من جهته تعالى وأنه أبلغ فى التبكيت تعكيس للامر والفاء لترتيب مابعدها على تبليغه عليه السلام للمأمور به اليهم وعدم التصريح به للايذان بغاية ظهور مسارعته عليه السلام الى تبليغ ما أمر به وعدم الحاجة الى الذكر أى ان تتولوا عن الطاعة اثر ما أمرتم بها ﴿فانما عليه﴾ أى فاعلموا أنما عليه عليه السلام ﴿ما حمل﴾ أى أمر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴿وعليكم ما حملتم﴾ أى ما أمرتم به من الطاعة ولعل التعبير عنه بالتحميل للاشعار بثقله و كونه مؤنة باقية فى عهدتهم بعد كأنه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة ﴿وان تطيعوه﴾ أى فيما أمركم به من الطاعة ﴿تهتدوا﴾ الى الحق الذى هو المقصد الأصلى الموصل الى كل خير والمنجى من كل شر وتأخيره عن بيان حكم التولى لمافى تقديم الترهيب من تأكيد الترغيب وتقريبه مما هو من بابه من الوعد الكريم وقوله تعالى ﴿وما على الرسول الا البلاغ المبين﴾ اعتراض مقرر لما قبله من أن غائلة التولى وفائدة الاطاعة مقصورتان عليهم واللام اما للجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما أوليا أو للعهد أى ما على جنس الرسول كائنا من كان أو ما عليه عليه السلام الا التبليغ الموضح لكل ما يحتاج الى الايضاح أو الواضح على أن المبين من أبان بمعنى بان وقد علمتم أنه قد فعله بما لا مزيد عليه وانما بقى ما حملتم وقوله تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم﴾ استئناف مقرر لما فى قوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما أجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية التى هى من آثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التى نيط بها الاهتداء والمراد بالذين آمنوا كل من اتصف بالايمان بعد الكفر على الاطلاق من أى طائفة كان وفى أى وقت كان لا من آمن من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة فحسب ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة فالخطاب فى منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية ﴿وعملوا الصالحات﴾ عطف على آمنوا داخل معه فى حيز الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التى أمر بها ورتب عليها ما نظم فى سلك الوعد الكريم كما أشير اليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين لاظهار أصالة الايمان وعراقته فى استتباع الآثار والاحكام وللايذان بكونه أول ما يطلب منهم وأهم ما يجب عليهم وأما تأخيره عنهما فى قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما فلأن من هناك بيانية والضمير للذين معه عليه السلام من خلص المؤمنين ولا ريب فى أنهم جامعون بين الايمان والاعمال الصالحة مثابرون عليها فلا بد من وروديانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة بكمالها هذا ومن جعل الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام وللامة عموما على أن من تبعيضية أوله عليه السلام ولمن معه من المؤمنين خصوصا على أنها بيانية فقد نأى عما يقتضيه سباق النظم الكريم وسياقه بمنازل وأبعد عما يليق بشأنه عليه السلام بمراحل ﴿ليستخلفنهم فى الارض﴾ جواب للقسم اما بالاضمار أو بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق انجازه لا محالة أى ليجعلنهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك فى ممالكهم أو خلفا من الذين لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال الصالحة ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ هم بنو اسرائيل استخلفهم الله عز وجل فى مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة أوهم ومن قبلهم من الامم المؤمنة التى أشير اليهم فى قوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الى قوله تعالى فأوحى اليهم ربهم

ليهلكن الظالمين ولتسكننكم الارض من بعدهم ومحل الكاف النصب على أنه مصدر تشبيهي مؤكد للفعل بعد تأكيده بالقسم وما مصدرية أي ليستخلفنهم استخلافا كائنا كاستخلافه تعالى للذين من قبلهم وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول فليس العامل في الكاف حينئذ الفعل المذكور بل مايدل هو عليه من فعل مبنى هو للمفعول جار منه مجرى المطاوع فان استخلافه تعالى اياهم مستلزم لكونهم مستخلفين لامحالة كأنه قيل ليستخلفنهم في الأرض فيستخلفن فيها استخلافا أى مستخلفية كائنة كمستخلفية من قبلهم وقد مر تحقيقه في قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى وأنبتها نباتا حسنا على أحد الوجهين أى فنبتت نباتا حسنا وعليه قول من قال

وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحت أو مجلف

أى فلم يبق الا مسحت الخ ﴿وليمكنن لهم دينهم﴾ عطف على ليستخلفنهم منتظم معه فى سلك الجواب وتأخيره عنه مع كونه أجل الرغائب الموعودة وأعظمها لما أن النفوس الى الحظوظ العاجلة أميل فتصدير المواعيد بها فى الاستمالة أدخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا مقررا بحيث يستمرون على العمل باحكامه و يرجعون اليه فى كل ما يأتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذى هو جعل الشئ مكانا لآخر يقال مكن له فى الأرض أى جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى انا مكنا له فى الأرض ونظائره وكلمة فى للايذان بأن ماجعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين و رصانة أحكامه وسلامته من التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيه بالأرض فى الثبات والقرار مع مافيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف فى الأرض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا لهم فى قبوله عند وروده ولأن فى توسيطها بينه وبين وصفه أعنى قوله تعالى ﴿الذى ارتضى لهم﴾ وفى تأخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم مالايخفى وفى اضافة الدين اليهم وهو دين الاسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه ﴿وليبدلنهم﴾ بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الابدال ﴿من بعد خوفهم﴾ أى من الأعداء ﴿أمنا﴾ حيث كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين بل أكثر خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون فى السلاح و يمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما يأتى علينا يوم نأمن فيه فقال عليه الصلاة والسلام لاتغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملا العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنزل الله عزوجل هذه الآية وأنجز وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا الى حال يخافهم كل من عداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار بالغيب على ماهو عليه قبل وقوعه مالايخفى وقيل المراد الخوف من العذاب والأمن منه فى الآخرة ﴿يعبدوننى﴾ حال من الموصول الأول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف ببيان المقتضى للاستخلاف وما انتظم معه فى سلك الوعد ﴿لايشركون بى شيئا﴾ حال من الواو أى يعبدوننى غير مشركين بى فى العبادة شيئا ﴿ومن كفر﴾ أى اتصف بالكفر بأن ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الترهيب والترغيب فان الاصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد على الأصل وقيل كفر بعد الايمان وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والأول هو الانسب بالمقام ﴿بعد ذلك﴾ أى بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعى الجميل فى حيازتها ﴿فأولئك﴾ البعداء عن الحق التائهون فى تيه الغواية والضلال ﴿هم الفاسقون﴾ الكاملون فى الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام و يستدعيه النظام فان خطابه تعالى للمأمورين بالطاعة على طريق الترهيب من التولى بقوله تعالى فان تولوا الخ وترغيبه تعالى اياهم فى الطاعة بقوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا الخ

ووعده تعالى اياهم على الايمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف وما يتلوه من الرغائب الموعودة ووعيده على الكفر بما يوجب الامر بالايمان والعمل الصالح والنهى عن الكفر فكانه قيل فآمنوا واعملوا صالحا وأقيموا أو فلا تكفروا وأقيموا وعطفه على أطيعوا الله عما لايليق بجزالة النظم الكريم ﴿وأطيعوا الرسول﴾ أمرهم الله سبحانه وتعالى بالذات بما أمرهم به بواسطة الرسول عليه الصلاة والسلام من طاعته التى هى طاعته تعالى فى الحقيقة تأكيد للامر السابق وتقريرا لمضمونه على أن المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة للآداب المرضية أيضا أى وأطيعوه فى كل ما يأمركم به وينهاكم عنه أو تكميلا لما قبله من الأمرين الخاصين المتعلقين بالصلاة والزكاة على أن المراد بما ذكر ماعداهما من الشرائع أى وأطيعوه فى سائر ما يأمركم به الخ وقوله تعالى ﴿لعلكم ترحمون﴾ متعلق على الاول بالامر الاخير المشتمل على جميع الاوامر وعلى الثانى بالاوامر الثلاثة أى افعلوا ماذكر من الاقامة والايتاء والاطاعة راجين أن ترحموا ﴿لاتحسبن الذين كفروا﴾ لما بين حال من أطاعه عليه الصلاة والسلام وأشير الى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان حال من عصاه عليه الصلاة والسلام ومآل أمره فى الدنيا والآخرة بعد بيان تناهيه فى الفسق تكميلا لأمر الترغيب والترهيب والخطاب اما لكل أحد ممن يصلح له كائنا من كان واما للرسول عليه الصلاة والسلام على منهاج قوله تعالى فلا تكونن من المشركين ونظائره للايذان بأن الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل الموصول النصب على أنه مفعول أول للحسبان وقوله تعالى ﴿معجزين﴾ ثانيهما وقوله تعالى ﴿فى الارض﴾ ظرف لمعجزين لكن لا لافادة كون الاعجاز المنفى فيها لافى غيرها فان ذلك مما لايحتاج الى البيان بل لافادة شمول عدم الاعجاز بجميع أجزائها أى لاتحسبنهم معجزين الله عز وجل عن ادراكهم واهلاكهم فى قطر من أقطار الارض بما رحبت وان هربوا منها كل مهرب وقرىء لايحسبن بياء الغيبة على أن الفاعل كل أحد والمعنى كما ذكر أى لايحسبن أحد الكافرين معجزين لله سبحانه فى الارض أو هو الموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عبارة عن أنفسهم كأنه قيل لايحسبن الكافرون أنفسهم معجزين فى الارض وأما جعل معجزين مفعولا أول وفى الارض مفعولا ثانيا فبمعزل من المطابقة لمقتضى المقام ضرورة أن مصب الفائدة هو المفعول الثانى ولا فائدة فى بيان كون المعجزين فى الارض وقد مر فى قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة وقوله تعالى ﴿ومأواهم النار﴾ معطوف على جملة النهى بتأويلها بجملة خبرية لأن المقصود بالنهى عن الحسبان تحقيق نفى الحسبان كأنه قيل ليس الذين كفروا معجزين ومأواهم الخ أو على جملة مقدرة وقعت تعليلا للنهى كأنه قيل لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض فانهم مدركون ومأواهم الخ وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون فتدبر ﴿ولبئس المصير﴾ جواب لقسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف أى وبالله لبئس المصير هى أى النار والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله وفى ايراد النار بعنوان كونها مأوى ومصيرا لهم اثر نفى فوتهم بالهرب فى الارض كل مهرب من الجزالة مالا غاية وراءه فلله در شأن التنزيل ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ رجوع الى بيان تتمة الاحكام السابقة بعد تمهيد مايوجب الامتثال بالاوامر والنواهى الواردة فيها وفى الاحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب والوعد والوعيد والخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات فى الحكم بدلالة النص أو للفريقين جميعا بطريق التغليب روى أن غلام الأسماء بنت أبى مرثد دخل عليها فى وقت كرهته فنزلت وقيل أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصارى وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر رضى الله عنه فدخل عليه وهو نائم قد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضى الله عنه لوددت أن الله تعالى نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لايدخلوا علينا هذه الساعات الاباذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجده وقد أنزلت عليه هذه الآية ﴿ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ من العبيد والجوارى ﴿والذين لم يبلغوا الحلم﴾ أى الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه بالحلم لكونه أظهر دلائله ﴿منكم﴾ أى من الأحرار ﴿ثلاث مرات﴾ أى ثلاثة أوقات فى اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للإيذان بأن مدار وجوب الاستئذان مقارنة تلك الأوقات لمرور المستأذنين بالمخاطبين لا أنفسها ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ لظهور أنه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب على أنه بدل من ثلاث مرات أو الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى أحدها من قبل الخ ﴿وحين تضعون ثيابكم﴾ أى ثيابكم التى تلبسونها فى النهار وتخلعونها لأجل القيلولة وقوله تعالى ﴿من الظهيرة﴾ وهى شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار الأمر أعنى وضع الثياب فى هذا الحين دون الأول والآخر لما أن التجرد عن الثياب فيه لأجل القيلولة لقلة زمانها كما ينبئ عنها ايراد الحين مضافا الى فعل حادث منقض ووقوعها فى النهار الذى هو مئنة لكثرة الورود والصدور ومظنة لظهور الأحوال وبروز الأمور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما فى الوقتين المذكورين فان تحقق التجرد واطراده فيهما أمر معروف لا يحتاج الى التصريح به ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ ضرورة أنه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما المتحقق فى الوقت الممتد المتخلل بين الصلاتين كما فى قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى بل ما يعرض منهما الطرفى ذلك الوقت الممتد المتصلين بالصلاتين المذكورتين اتصالا عاديا وقوله تعالى ﴿ثلاث عورات﴾ خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى ﴿لكم﴾ متعلق بمحذوف هو صفة ثلاث عورات أى كائنة لكم والجملة استئناف مسوق لبيان علة وجوب الاستئذان أى هن ثلاثة أوقات يختل فيها التستر عادة والعورة فى الأصل هو الخلل غلب فى الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويعتنى بستره أطلقت على الأوقات المشتملة عليها مبالغة كأنها نفس العورة وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا من ثلاث مرات ﴿ليس عليكم ولا عليهم﴾ أى على المماليك والصبيان ﴿جناح﴾ أى اثم فى الدخول بغير استئذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الأمر والاطلاع على العورات ﴿بعدهن﴾ أى بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث وهى الأوقات المتخللة بين كل اثنتين منهن وايرادها بعنوان البعدية مع أن كل وقت من تلك الأوقات قبل عورة من العورات كما أنها بعد أخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص الذى هو عبارة عن رفعه اذ الرخصة انما تتصور فى فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف والجملة على القراءتين مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس وقد جوز على القراءة الأولى كونها فى محل الرفع على أنها صفة أخرى لثلاث عورات وأما على القراءة الثانية فهى مستأنفة لا غير اذ لو جعلت صفة لثلاث عورات وهى بدل من ثلاث مرات لكان التقدير ليستأذنكم هؤلاء فى ثلاث عورات لا اثم فى ترك الاستئذان بعدهن وحيث كان انتفاء الاثم حينئذ مما لم يعلمه السامع الا بهذا الكلام لم يتسن ابرازه فى معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع فان انتفاء الاثم حينئذ معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى ﴿طوافون عليكم﴾ استئناف ببيان العذر المرخص فى ترك الاستئذان وهى المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الأحكام وكذا فى الفرق بين الأوقات الثلاثة وبين غيرها بكونها عورات ﴿بعضكم على بعض﴾ أى بعضكم طائف على بعض طوافا كثيرا أو بعضكم يطوف على بعض ﴿كذلك﴾ اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم شأن المشار اليه والايذان ببعد منزلته وكونه من الوضوح بمنزلة المشار اليه حسا أى مثل ذلك التبيين ﴿يبين الله لكم الآيات﴾ الدالة على الأحكام أى ينزلها بينة واضحة الدلالات عليها لا أنه تعالى يبينها بعد أن لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مر تفصيله فى قوله تعالى وكذلك

جعلناكم أمة وسطا ولكم متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل يبين علل الاحكام وليس بواضح مع أنه مؤد الى تخصيص الآيات بما ذكر ههنا ﴿والله عليم﴾ مبالغ فى العلم بجميع المعلومات فيعلم أحوالكم ﴿حكيم﴾ فى جميع أفاعيله فيشرع لكم مافيه صلاح أمركم معاشا ومعادا ﴿واذا بلغ الاطفال منكم الحلم﴾ لما بين فيما مر آنفا حكم الاطفال فى أنه لاجناح عليهم فى ترك الاستئذان فيما عدا الاوقات الثلاثة عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعا لما عسى يتوهم أنهم وان كانوا أجانب ليسوا كسائر الأجانب بسبب اعتيادهم الدخول أى اذا بلغ الأطفال الاحرار الأجانب ﴿فليستأذنوا﴾ اذا أرادوا الدخول عليكم وقوله تعالى ﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾ فى حيز النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق والموصول عبارة عمن قيل لهم لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية ووصفهم بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لاباعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لما أن المقصود بالتشبيه بيان كيفية استئذان هؤلاء وزيادة ايضاحه ولايتسنى ذلك الابتشبيهه باستئذان المعهودين عند السامع ولاريب فى أن بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لايخطر ببال أحد وان كان الأمر كذلك فى الواقع وانما المعهود المعروف ذكرهم قبل ذكرهم أى فليستأذنوا استئذانا كائنا مثل استئذان المذكورين قبلهم بأن يستأذنوا فى جميع الأوقات ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف ﴿كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾ الكلام فيه كالذى سبق والتكرير لتأكيد والمبالغة فى الأمر بالاستئذان واضافة الآيات الى ضمير الجلالة لتشريفها ﴿والقواعد من النساء﴾ أى العجائز اللاتى قعدن عن الحيض والحمل ﴿اللاتى لايرجون نكاحا﴾ أى لايطمعن فيه لكبرهن ﴿فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن﴾ أى الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء فيه لان اللام فى القواعد بمعنى اللاتى أو للوصف بها ﴿غير متبرجات بزينة﴾ غير مظهرات لزينة مما أمر باخفائه فى قوله تعالى ولايبدين زينتهن وأصل التبرج التكلف فى اظهار مايخفى من قولهم سفينة بارجة لاغطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله الا أنه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال ﴿وأن يستعففن﴾ بترك الوضع ﴿خير لهن﴾ من الوضع لبعده من التهمة ﴿والله سميع﴾ مبالغ فى سمع جميع مايسمع فيسمع مايجرى بينهن وبين الرجال من المقاولة ﴿عليم﴾ فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب مالايخفى ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ كانت هؤلاء الطوائف يتحرجون من مؤاكلة الأصحاء حذارا من استقذارهم اياهم وخوفا من تأذيهم بأفعالهم وأوضاعهم فان الأعمى ربما سبقت يده الى ماسبقت اليه عين أكيله وهو لايشعر به والأعرج يتفسح فى مجلسه فيأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لايخلو عن حالة تؤذى قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم فاذا لم يكن عنده مايطعمهم ذهب بهم الى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو الى بعض من سماهم الله عز وجل فى الآية الكريمة فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره ولعل أهله كارهون لذلك وكذا كانوا يتحرجون من الأكل من أموال الذين كانوا اذا خرجوا الى الغزو خلفوا هؤلاء الضعفاء فى بيوتهم ودفعوا اليهم مفاتيحها وأذنوا لهم أن يأكلوا مما فيها مخافة أن لايكون اذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير هؤلاء أيضا يتحرجون من الأكل فى بيوت غيرهم فقيل لهم ليس على الطوائف المعدودة ﴿ولا على أنفسكم﴾ أى عليكم وعلى من يماثلكم فى الاحوال من المؤمنين حرج ﴿أن تأكلوا﴾ أى تأكلوا أنتم وهم معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة أيضا يأباه ماقبله ومابعده فان الخطاب فيهما لغير أولئك الطوائف حتما ﴿من بيوتكم﴾ أى البيوت التى فيها أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الأولاد لان بيتهم كبيته لقوله عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لأبيك وقوله عليه الصلاة والسلام ان أطيب مال الرجل من كسبه وان ولده من كسبه ﴿أو بيوت آبائكم

أو بيوت أمهاتكم﴾ وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر الأولى وفتح الثانية ﴿أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ماملكتم مفاتحه﴾ من البيوت التى تملكون التصرف فيها باذن أربابها على الوجه الذى مر بيانه وقيل هى بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح وقرئ مفتاحه ﴿أو صديقكم﴾ أى أو بيوت صديقكم وان لم يكن بينكم و بينهم قرابة نسبية فانهم أرضى بالتبسط وأسر به من كثير من الاقرباء روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الصديق أكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمهات بل قالوا فما لنا من شافعين و لا صديق حميم والصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين وأضرابهما وهذا فيما اذا علم رضا صاحب البيت بصريح الاذن أو بقرينة دالة عليه و لذلك خصص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين كبنى ليث بن عمرو من كنانة يتحرجون أن يأكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا يأكل معه فان لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيأ وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فاذا أمسى ولم يجد أحدا أكل وقيل كان الغنى منهم يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول انى أتحرج أن آكل معك وأنا غنى وأنت فقير وقيل كان قوم من الانصار لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم فى أن يأكلوا كيف شاؤا وقيل كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى وأشباهه طعاما على حدة فبين الله تعالى أن ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعا حال من فاعل تأكلوا وأشتاتا عطف عليه داخل فى حكمه وهو جمع شت على أنه صفة كالحق يقال أمر شت أى متفرق أو على أنه فى الاصل مصدر وصف به مبالغة أى ليس عليكم جناح أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين ﴿فاذا دخلتم﴾ شروع فى بيان الآداب التى تجب رعايتها عند مباشرة ما رخص فيه اثر بيان الرخصة فيه ﴿بيوتا﴾ أى من البيوت المذكورة ﴿فسلموا على أنفسكم﴾ أى على أهلها الذين بمنزلة أنفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك ﴿تحية من عند الله﴾ أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه ويجوز أن يكون صلة للتحية فانها طلب الحياة التى هى من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لانها بمعنى التسليم ﴿مباركة﴾ مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامهما ﴿طيبة﴾ تطيب بها نفس المستمع وعن أنس رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال متى لقيت أحدا من أمتى فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ تكرير لتأكيد الاحكام المختتمة به وتفخيمها ﴿لعلكم تعقلون﴾ أى ما فى تضاعيفها من الشرائع والاحكام وتعملون بموجبها وتحوزون بذلك سعادة الدارين وفى تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الاولين بما يوجبهما من الجزالة ما لا يخفى ﴿انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله﴾ استئناف جئ به فى أواخر الاحكام السابقة تقريرا لها وتأكيدا لوجوب مراعاتها وتكميلا لها ببيان بعض آخر من جنسها وانما ذكر الايمان بالله ورسوله فى حيز الصلة للموصول الواقع خبرا للمبتدا مع تضمنه له قطعا تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وايذانا بأنه حقيق بأن يجعل قرينا للايمان بهما منتظما فى سلكه فقوله تعالى ﴿واذا كانوا معه على أمر جامع﴾ الخ معطوف على آمنوا داخل معه فى حيز الصلة أى انما الكاملون فى الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم وأطاعوهما فى جميع الاحكام التى من جملتها ما فصل من قبل من الاحكام المتعلقة بعامة أحوالهم المطردة فى الوقوع وأحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما اذا كانوا معه عليه الصلاة والسلام على أمر مهم يجب اجتماعهم فى شأنه كالجمعة والاعياد والحروب وغيرها من الامور الداعية الى اجتماع أولى الآراء والتجارب

و وصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ أمر جميع ﴿لم يذهبوا﴾ أى من المجمع مع كون ذلك الامر مما لا يوجب حضورهم لامحالة كما عند اقامة الجمعة ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه ﴿حتى يستأذنوه﴾ عليه الصلاة والسلام فى الذهاب لا على أن نفس الاستئذان غاية لعدم الذهاب بل الغاية هى الاذن المنوط برأيه عليه الصلاة والسلام والاقتصار على ذكره لأنه الذى يتم من قبلهم وهو المعتبر فى كمال الايمان لا الاذن و لا الذهاب المترتب عليه واعتباره فى ذلك لما أنه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل للفرار ولتعظيم مافى الذهاب بغير اذنه عليه الصلاة والسلام من الجناية وللتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى ﴿ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله و رسوله﴾ فقضى بأن المستأذنين هم المؤمنون بالله و رسوله كما حكم فى الأول بأن الكاملين فى الايمان هم الجامعون بين الايمان بهما و بين الاستئذان و فى أولئك من تفخيم شأن المستأذنين مالا يخفى ﴿فاذا استأذنوك﴾ بيان لما هو وظيفته عليه الصلاة والسلام فى هذا الباب اثر بيان ماهو وظيفة المؤمنين وأن الاذن عند الاستئذان ليس بأمر محتوم بل هو مفوض الى رأيه عليه الصلاة والسلام والفاء لترتيب مابعدها على ماقبلها أى بعد ماتحقق أن الكاملين فى الايمان هم المستأذنون فاذا استأذنوك ﴿لبعض شأنهم﴾ أى لبعض أمرهم المهم وخطبهم الملم ﴿فأذن لمن شئت منهم﴾ لما علمت فى ذلك من حكمة ومصلحة ﴿واستغفر لهم الله﴾ فان الاستئذان وان كان لعذر قوى لايخلو عن شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة ﴿ان الله غفور﴾ مبالغ فى مغفرة فرطات العباد ﴿رحيم﴾ مبالغ فى افاضة آثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة فى ضمن الامر بالاستغفار لهم ﴿لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم﴾ استئناف مقرر لمضمون ماقبله والالتفات لابراز مزيد الاعتناء بشأنه أى لاتجعلوا دعوته عليه الصلاة والسلام اياكم فى الاعتقاد والعمل بها ﴿كدعاء بعضكم بعضا﴾ أى لاتقيسوا دعاءه عليه الصلاة والسلام اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى حال من الأحوال وأمر من الامور التى من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه عليه الصلاة والسلام بغير استئذان فان ذلك من المحرمات وقيل لاتجعلوا دعاءه عليه الصلاة والسلام ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة و يرده أخرى فان دعاءه مستجاب لامرد له عند الله عزوجل وتقرير الجملة حينئذ لما قبلها اما من حيث ان استجابته تعالى لدعائه عليه الصلاة والسلام مما يوجب امتثالهم بأوامره عليه الصلاة والسلام ومتابعتهم له فى الورود والصدور أكمل إيجاب واما من حيث انها موجبة للاحتراز عن التعرض لسخطه عليه الصلاة والسلام المؤدى الى مايوجب هلاكهم من دعائه عليه الصلاة والسلام عليهم وأما ماقيل من أن المعنى لاتجعلوا نداءه عليه الصلاة والسلام كنداء بعضكم بعضا باسمه و رفع الصوت والنداء من و راء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يارسول الله يانبى الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام فان قوله تعالى ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم﴾ الخ وعيد للمخالفين أمره عليه الصلاة والسلام فيما ذكر من قبل فتوسيط ماذكر بينهما مما لاوجه له والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية وقد للتحقيق كما أن رب تجئ للتكثير حسبما بين فى مطلع سورة الحجر أى يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية ﴿لواذا﴾ أى ملاوذة بأن يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج أو بأن يلوذ بمن يخرج بالاذن اراءة أنه من أتباعه وقرئ بفتح اللام وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون أى ملاوذين أو على أنه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال فى الحقيقة أى يلوذون لواذا والفاء فى قوله تعالى ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ لترتيب الحذر أو الامر به على ماقبلها من علمه تعالى بأحوالهم فانه مما يوجب الحذر البتة أى يخالفون أمره بترك مقتضاه و يذهبون سمتا خلاف سمته وعن اما لتضمنه معنى الاعراض أو حمله على معنى يصدون عن أمره دون المؤمنين من

خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لما أن المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى لانه الآمر حقيقة أو للرسول عليه الصلاة والسلام لانه المقصود بالذكر ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ أى محنة فى الدنيا ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ أى فى الآخرة وكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع واعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد والتحذير واستدل به على أن الامر للايجاب فان ترتيب العذابين على مخالفته كما يعرب عنه التحذير عن اصابتهما يوجب وجوب الامتثال به حتما ﴿ألا ان لله ما فى السموات والارض﴾ من الموجودات بأسرها خلقاً وملكا وتصرفا ايجادا واعداما بدءاً واعادة ﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾ أيها المكلفون من الاحوال والاوضاع التى من جملتها الموافقة والمخالفة والاخلاص والنفاق ﴿ويوم يرجعون اليه﴾ عطف على ما أنتم عليه أى يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للامر اليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق علمه تعالى بيوم رجوعهم لا برجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقريره لما أن العلم بوقت وقوع الشىء مستلزم للعلم بوقوعه على أبلغ وجه وآكده وفيه اشعار بأن علمه تعالى لنفس رجوعهم من الظهور بحيث لا يحتاج الى البيان قطعا ويجوز أن يكون الخطاب أيضا خاصا بالمنافقين على طريقة الالتفات وقرىء يرجعون مبنيا للفاعل ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من الاعمال السيئة التى من جملتها مخالفة الامر فيرتب عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء وقد مر وجه التعبير عن الجزاء بالتنبئة فى قوله تعالى انما بغيكم على أنفسكم الآية ﴿والله بكل شىء عليم﴾ لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء. عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى والله سبحانه وتعالى أعلم

سورة الفرقان

(مكية وهى سبع وسبعون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿تبارك الذى نزل الفرقان﴾ البركة النماء والزيادة حسية كانت أو معنوية وكثرة الخير ودوامه أيضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته وصفاته وأفعاله التى من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شأنه تعالى وسمو صفاته وابتناء أفعاله على أساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فان ما لا يتصور نسبته اليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا تنسب اليه تعالى الا باعتبار غايتها وعلى المعنى الثانى باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته لا سيما على الانسان من فنون الخيرات التى من جملتها تنزيل القرآن المنطوى على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والصيغة حينئذ يجوز أن تكون لافادة نماء تلك الخيرات وتزايدها شيأ فشيأ وآنا فآنا بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وتحققها بالفعل والاشعار بالتعجب المناسب للانشاء والانباء عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها فى حق غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ فى حقه تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين أى فصل بينهما سمى به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل بأحكامه أو بين المحق والمبطل باعجازه أو لكونه مفصولا بعضه من بعض فى نفسه أو فى انزاله ﴿على عبده﴾ محمد صلى الله عليه وسلم وايراده عليه الصلاة والسلام بذلك العنوان لتشريفه والايذان بكونه عليه الصلاة والسلام فى أقصى مراتب العبودية والتنبيه على أن الرسول لا يكون الا عبدا للمرسل ردا على النصارى ﴿ليكون﴾ غاية للتنزيل أى نزله عليه ليكون هو عليه الصلاة والسلام أو الفرقان ﴿للعالمين﴾ من الثقلين ﴿نذيرا﴾ أى منذرا أو انذارا مبالغة أو ليكون تنزيله انذارا وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على

أحوال الكفرة وتقديم اللام على عاملها لمراعاة الفواصل وابراز تنزيل الفرقان فى معرض الصلة التى حقها أن تكون معلومة الثبوت للموصول عند السامع مع انكار الكفرة له لاجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيها على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لايكاد يجهله أحد كقوله تعالى لاريب فيه ﴿الذى له ملك السموات والارض﴾ أى له خاصة دون غيره لااستقلالا ولا اشتراكا السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان للقدرة التامة والتصرف الكلى فيهما وفيما فيهما ايجاداً واعداما واحياء وامانة وأمرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ومحله الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها أو على أنه نعت للموصول الاول أو بيان له أو بدل منه ومابينهما ليس بأجنبى لانه من تمام صلته ومعلومية مضمونه للكفرة مما لاريب فيه لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ونظائره أومدح له تعالى بالرفع أو بالنصب ﴿ولم يتخذ ولدا﴾ كما يزعم الذين يقولون فى حق المسيح والملائكة مايقولون فسبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ماقبله من الجملة الظرفية ونظمه فى سلك الصلة للايذان بأن مضمونه من الوضوح والظهور بحيث لايكاد يجهله جاهل لاسيما بعد تقرير ماقبله ﴿ولم يكن له شريك فى الملك﴾ أى ملك السموات والارض وهو أيضا عطف على الصلة وافراده بالذكر مع أن ماذكر من اختصاص ملكهما به تعالى مستلزم له قطعا للتصريح ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الآلهة والدرء فى نحورهم وتوسيط نفى اتخاذ الولد بينهما للتنبيه على استقلاله وأصالته والاحتراز عن توهم كونه تتمة للاول ﴿وخلق كل شئ﴾ أى أحدث كل موجود من الموجودات احداثا جاريا على سنن التقدير حسبما اقتضته ارادته المبنية على الحكم البالغة بأن خلق كلا منها من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الآثار والاحكام ﴿فقدره﴾ أى هيأه لما أراد به من الخصائص والافعال اللائقة به ﴿تقديرا﴾ بديعا لايقادر قدره ولايبلغ كنهه كتهيئة الانسان للفهم والادراك والنظر والتدبر فى أمور المعاش والمعاد واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة وهكذا أحوال سائر الانواع وقيل أريد بالخلق مطلق الايجاد والاحداث مجازا من غير ملاحظة معنى التقدير وان لم يخل عنه فى نفس الامر فالمعنى أوجد كل شئ فقدره فى ذلك الايجاد تقديرا وأما ماقيل من أنه سمى احداثه تعالى خلقا لانه تعالى لايحدث شيئا الا على وجه التقدير من غير تفاوت ففيه أن ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الاحداث لتجريده عن معنى التقدير فاعتباره فيه بوجه من الوجوه مخل بالمرام قطعا وقيل المراد بالتقدير الثانى هو التقدير للبقاء الى الاجل المسمى وأياما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل المنتظمة مثلها فى سلك الصلة فان خلقه تعالى لجميع الاشياء على ذلك النمط البديع كما يقتضى استقلاله تعالى باتصافه بصفات الالوهية يقتضى انتظام كل ماسواه كائنا ما كان تحت ملكوته القاهرة بحيث لايشذ عنها شئ من ذلك قطعا وما كان كذلك كيف يتوهم كونه ولدا له سبحانه أو شريكا فى ملكه ﴿واتخذوا من دونه آلهة﴾ بعدما بين حقيقة الحق فى مطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله تعالى الفرقان العظيم على رسوله صلى الله عليه وسلم ووصفه تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عما لايليق بشأنه الجليل عقب ذلك بحكاية أباطيل المشركين فى حق المنزل سبحانه والمنزل والمنزل عليه على الترتيب واظهار بطلانها والاضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ماقبله من نفى الشريك عليهم أى اتخذوا لانفسهم متجاوزين الله تعالى الذى ذكر بعض شئونه الجليلة من اختصاص ملك السموات والارض به تعالى وانتفاء الولد والشريك عنه وخلق جميع الاشياء وتقديرها أبدع تقدير آلهة ﴿لايخلقون شيئا﴾ أى لايقدرون على خلق شئ من الاشياء أصلا ﴿وهم يخلقون﴾ كسائر المخلوقات وقيل لايقدرون على أن يخلقوا شيئا وهم يخلقون حيث تختلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى ﴿ولايملكون

لأنفسهم ضرا ولا نفعا﴾ لبيان مالم يدل عليه ماقبله من مراتب عجزهم وضعفهم فان بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع فى الجملة كالحيوان وهؤلاء لايقدرون على التصرف فى ضرما ليدفعوه عن أنفسهم ولا فى نفع ما حتى يجلبوه اليهم فكيف يملكون شيئا منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر لان دفعه مع كونه أهم فى نفسه أول مراتب النفع وأقدمها والتنصيص على قوله تعالى ﴿ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا﴾ أى لايقدرون على التصرف فى شىء منها باماتة الأحياء واحياء الموتى وبعثهم بعد بيان عجزهم عما هو أهون من هذه الامور من دفع الضر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل والتنبيه على أن الاله يجب أن يكون قادرا على جميع ذلك وفيه ايذان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كأنهم غير عارفين بانتفاء مانفى عن آلهتهم من الامور المذكورة مفتقرون الى التصريح بذلك ﴿وقال الذين كفروا ان هذا الا افك﴾ شروع فى حكاية أباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معا وابطالها والموصول اما عبارة عن غلاتهم فى الكفر والطغيان وهم النضر بن الحرث وعبد الله بن أمية ونوفل ابن خويلد ومن ضامهم وروى عن الكلبى ومقاتل أن القائل هو النضر بن الحرث والجمع لمشايعة الباقين له فى ذلك وأما عن كلهم ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز الصلة والايذان بأن ماتفوهوا به كفر عظيم وفى كلمة هذا حط لرتبة المشار اليه أى ماهذا الا كذب مصروف عن وجهه ﴿افتراه﴾ يريدون أنه اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وأعانه عليه﴾ أى على اختلاقه ﴿قوم آخرون﴾ يعنون اليهود بأن يلقوا اليه أخبار الامم الدارجة وهو يعبر عنها بعبارته وقيل هما جبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وقيل هو عابس وقد مر تفصيله فى سورة النحل ﴿فقد جاؤا ظلما﴾ منصوب بجاؤا فان جاء وأتى يستعملان فى معنى فعل فيعديان تعديته أو بنزع الخافض أى بظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم أى جاؤا بما قالوا ظلما هائلا عظيما لايقادر قدره حيث جعلوا الحق البحت الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه افكا مفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق بحيث لو اجتمعت الانس والجن على مباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية والاحكام المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية والامور الغيبية بحيث لاتناله عقول البشر ولا يفى بفهمه القوى والقدر ﴿وزورا﴾ أى كذبا كبيرا لايبلغ غايته حيث نسبوا اليه عليه الصلاة والسلام ماهو برىء منه والفاء لترتيب مابعدها على ماقبلها لكن لاعلى أنهما أمران متغايران حقيقة يقع أحدهما عقيب الآخر أو يحصل بسببه بل على أن الثانى هو عين الاول حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتبارى وقد لتحقيق ذلك المعنى فان ماجاؤه من الظلم والزور هو عين ما حكى عنهم لكنه لما كان مغايرا له فى المفهوم وأظهر منه بطلانا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا للامر ﴿وقالوا أساطير الاولين﴾ بعدما جعلوا الحق الذى لامحيد عنه افكا مختلقا باعانة البشر بينوا على زعمهم الفاسد كيفية الاعانة والاساطير جمع أسطار أو أسطورة كأحدوثة وهى ماسطره المتقدمون من الخرافات ﴿اكتتبها﴾ أى كتبها لنفسه على الاسناد المجازى أو استكتبها وقرىء على البناء للمفعول لانه عليه الصلاة والسلام أمى وأصله اكتتبها له كاتب فحذف اللام وأفضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمى بخصوصه وبنى الفعل للضمير المنفصل فاستتر فيه ﴿فهى تملى عليه﴾ أى تلقى عليه تلك الأساطير بعد اكتتابها ليحفظها من أفواه من يمليها عليه من ذلك المكتتب لكونه أميا لايقدر على أن يتلقاها منه بالقراءة أو تملى على الكاتب على أن معنى اكتتبها أراد اكتتابها أو استكتابها ورجع الضمير المجرور اليه عليه الصلاة والسلام لاسناد الكتابة فى ضمن الاكتتاب اليه عليه الصلاة والسلام ﴿بكرة وأصيلا﴾ أى دائما أو خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون الى مساكنهم انظر الى

هذه الرتبة من الجراءة العظيمة قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴿قل﴾ لهم ردا عليهم وتحقيقا للحق ﴿أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض﴾ وصفه تعالى باحاطة علمه بجميع المعلومات الجلية والخفية للايذان بانطواء ما أنزله على أسرار مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية التى هى من جملة معلوماته تعالى أى ليس ذلك مما يفترى و يفتعل باعانة قوم و كتابة آخرين من الأحاديث الملفقة وأساطير الأولين بل هو أمر سماوى أنزله الله الذى لا يعزب عن علمه شئ من الأشياء وأودع فيه فنون الحكم والأسرار على وجه بديع لا يحوم حوله الافهام حيث أعجزكم قاطبة بفصاحته و بلاغته وأخبركم بمغيبات مستقبلة وأمور مكنونة لا يهتدى اليها و لا يوقف عليها الا بتوفيق العليم الخبير وقد جعلتموه افكا مفترى من قبيل الأساطير واستوجبتم بذلك أن يصب عليكم سوط العذاب صبا فقوله تعالى ﴿انه كان غفورا رحيما﴾ تعليل لما هو المشاهد من تأخير العقوبة أى انه تعالى ازلا وأبدا مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعين للتأخير فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون فى حقه مع كمال استيجابه اياها وغاية قدرته تعالى عليها ﴿وقالوا مال هذا الرسول﴾ شروع فى حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوصية المنزل عليه وما استفهامية بمعنى انكار الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء خبرها ما بعدها من الجار والمجرور و فى هذا تصغير لشأنه عليه الصلاة والسلام وتسميته عليه الصلاة والسلام رسولا بطريق الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام كما قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم وقوله تعالى ﴿يأكل الطعام﴾ حال من الرسول والعامل فيها ما عمل فى الجار من معنى الاستقرار أى أى شئ وأى سبب حصل لهذا الذى يدعى الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل ﴿ويمشى فى الأسواق﴾ لابتغاء الأرزاق كما نفعله على توجيه الانكار والنفى الى السبب فقط مع تحقق المسبب الذى هو مضمون الجملة الحالية كما فى قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا فكما أن كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر واستبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب نقيضه كذلك كل من الأكل والمشى أمر محقق قد استبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه خلا أن استبعاد المسبب وانكار السبب ونفيه فى عدم الايمان وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفى الأكل والمشى بطريق التهكم والاستهزاء فانهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجودهما وتحقق سببهما وانما الذى يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون أنه ان صح ما يدعيه فما باله لم يخالف حاله حالنا وهل هو الا لعمههم و ركاكة عقولهم وقصور أنظارهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بأمور جسمانية وانما هو بأمور نفسانية كما أشير اليه بقوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد ﴿لولا أنزل اليه ملك﴾ أى على صورته وهيئته ﴿فيكون معه نذيرا﴾ تنزل منهم من اقتراح أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والشرب الى اقتراح أن يكون معه ملك يصدقه و يكون ردءا له فى الانذار وهو يعبر عنه و يفسر ما يقوله للعامة وقوله تعالى ﴿أو يلقى اليه كنز﴾ تنزل من تلك المرتبة الى اقتراح أن يلقى اليه من السماء كنز يستظهر به و لا يحتاج الى طلب المعاش و يكون دليلا على صدقه وقوله تعالى ﴿أو تكون له جنة يأكل منها﴾ تنزل من ذلك الى اقتراح ما هو أيسر منه وأقرب من الوقوع وقرئ نأكل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تحكم ﴿وقال الظالمون﴾ هم القائلون الأولون وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوه لكونه اضلالا خارجا عن حد الضلال مع ما فيه من نسبته عليه الصلاة والسلام الى المسحورية أى قالوا للمؤمنين ﴿ان تتبعون﴾ أى ما تتبعون ﴿الا رجلا مسحورا﴾ قد سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهى الرئة أى بشرا لا ملكا على أن الوصف لزيادة التقرير والأول هو الانسب بحالهم ﴿أنظر كيف ضربوا لك الامثال﴾ استعظام للاباطيل التى اجترؤا على التفوه بها وتعجيب منها أى انظر

كيف قالوا فى حقك تلك الأقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الأمثال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال الشاذة البعيدة من الوقوع ﴿فضلوا﴾ أى عن طريق المحاجة حيث لم يأتوا بشىء يمكن صدوره عمن له أدنى عقل وتمييز فبقوا متحيرين ﴿فلا يستطيعون سبيلا﴾ الى القدح فى نبوتك بأن يجدوا قولا يستقرون عليه وان كان باطلا فى نفسه أو فضلوا عن الحق ضلالا مبينا فلا يجدون طريقا موصلا اليه فان من اعتاد استعمال أمثال هذه الاباطيل لا يكاد يهتدى الى استعمال المقدمات الحقة ﴿تبارك الذى﴾ أى تكاثر وتزايد خير الذى ﴿ان شاء جعل لك﴾ فى الدنيا عاجلا شيئا ﴿خيرا﴾ لك ﴿من ذلك﴾ الذى اقترحوه من أن يكون لك جنة تأكل منها بأن يعجل لك مثل ماوعدك فى الآخرة وقوله تعالى ﴿جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ بدل من خيرا ومحقق لخيريته مما قالوا لأن ذلك كان مطلقا عن قيد التعدد وجريان الأنهار ﴿ويجعل لك قصورا﴾ عطف على محل الجزاء الذى هو جعل وقرىء بالرفع عطفا على نفسه لأن الشرط اذا كان ماضيا جاز فى جزائه الرفع والجزم كما فى قول القائل

وان أتاه خليل يوم مسئلة ... يقول لا غائب مالى ولا حرم

ويجوز أن يكون استئنافا بوعد ما يكون له فى الآخرة وقرىء بالنصب على أنه جواب بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى للايذان بأن عدم جعلها بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح وعدم التعرض لجواب الاقتراحين الأولين للتنبيه على خروجهما عن دائرة العقل واستغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما للحكمة التشريعية وانما الذى له وجه فى الجملة هو الاقتراح الاخير فانه غير مناف للحكمة بالكلية فان بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أوتوا فى الدنيا مع النبوة ملكا عظيما ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ اضراب عن توبيخهم بحكاية جنايتهم السابقة وانتقال منه الى توبيخهم بحكاية جنايتهم الأخرى للتخلص الى بيان مالهم فى الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى ﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا﴾ الخ أى أعتدنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال شأنها كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها على مايشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم أو لكل من كذب بها كائنا من كان وهم داخلون فى زمرتهم دخولا أوليا ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة فى التشنيع ومدار اعتاد السعير لهم وان لم يكن مجرد تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر ماجاء به الشريعة الشريفة لكن الساعة لما كانت هى العلة القريبة لدخولهم السعير أشير الى سببية تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على وقالوا ما لهذا الخ على معنى بل أتوا بأعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة وأنكروها والحال أنا قد أعتدنا لكل من كذب بها سعيرا فان جراءتهم على التكذيب بها وعدم خوفهم عما أعد لمن كذب بها من أنواع العذاب أعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبنى على التحقيق المنبىء عن الوعد بالجنات فى الآخرة مسوق لبيان أن ذلك لا يجدى نفعا ولا يحلى بطائل على طريقة قول من قال

عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار ... ماذا تحيون من نؤى وأحجار

والمعنى انهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ماوعدك فى الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت أنظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا أن الكرامة ليست الا بالمال وجعلوا فقرك ذريعة الى تكذيبك وقوله تعالى ﴿اذا رأتهم﴾ الخ صفة للسعير أى اذا كانت منهم بمرأى الناظر فى البعد كقوله عليه الصلاة والسلام لا تتراءى ناراهما أى لا تتقاربان بحيث تكون احداهما بمرأى من الأخرى على المجاز كأن بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية اليها لا اليهم للايذان بأن التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها اياهم حقيقة أو تمثيلا ومن فى قوله تعالى ﴿من مكان بعيد﴾ اشعار بأن بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج عن حدود البعد المعتاد فى المسافات المعهودة وفيه مزيد

تهويل لأمرها قال الكلبي والسدى من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة ﴿سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾ أى صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ و زفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية أمكن أن يخلق الله تعالى فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف ﴿واذا ألقوا منها مكانا﴾ نصب على الظرفية ومنها حال منه لانه فى الأصل صفة له ﴿ضيقا﴾ صفة لمكانا مفيدة لزيادة شدة فان الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة وهو السر فى وصف الجنة بأن عرضها السموات والأرض وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله تعالى عنهم تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبى عليه الصلاة والسلام عن ذلك فقال والذى نفسى بيده انهم ليستكرهون فى النار كما يستكره الوتد فى الحائط قال الكلبى الأسفلون يرفعهم اللهب والأعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيقا بسكون الياء ﴿مقرنين﴾ حال من مفعول ألقوا أى اذا ألقوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت أيديهم الى أعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين مع الشياطين فى السلاسل كل كافر مع شيطان و فى أرجلهم الاصفاد ﴿دعوا هنالك﴾ أى فى ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة ﴿ثبورا﴾ أى يتمنون هلاكا و ينادونه يا ثبوراه تعال فهذا حينك وأوانك ﴿لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا﴾ على تقدير قول اما منصوب على أنه حال من فاعل دعوا أى دعوه مقولا لهم ذلك حقيقة بأن يخاطبهم الملائكة به لتنبيهم على خلود عذابهم وأنهم لا يجابون الى ما يدعونه و لا ينالون ما يتمنونه من الهلاك المنجى أو تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير أن يكون هناك قول و لا خطاب أى دعوه حال كونهم أحقاء بأن يقال لهم ذلك واما مستأنف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا يكون عند دعائهم المذكور فقيل يقال لهم ذلك اقناطا مما علقوا به أطماعهم من الهلاك وتنبيها على أن عذابهم الملجئ لهم الى استدعاء الهلاك بالمرة أبدى لا خلاص لهم منه أى لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد ﴿وادعوا ثبورا كثيرا﴾ أى بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته فى نفسه فان ما يدعونه ثبور واحد فى حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاء من تلك الأدعية الكثيرة صار كأنه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر منها وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحدا وادعوه أدعية كثيرة فان ما أنتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء فى كل آن وهذا أدل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجدده لتعدد العذاب بتعدد أنواعه وألوانه أو لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى وأما ما قيل من أن المعنى انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف لا وهم انما يدعون هلاكا ينهى عذابهم وينجيهم منه فلا بد أن يكون الجواب اقناطا لهم من ذلك ببيان استحالته ودوام ما يوجب استدعاءه من العذاب الشديد وتقييد النهى والأمر باليوم لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه على أنه ليس كسائر الأيام المعهودة ﴿قل﴾ تقريعا لهم وتهكما بهم وتحسيرا على ما فاتهم ﴿أذلك﴾ اشارة الى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافها بما فصل من الاحوال الهائلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونها فى الغاية القاصية من الهول والفظاعة أى قل لهم أذلك الذى ذكر من السعير التى أعتدت لمن كذب بالساعة وشأنها كيت وكيت وشأن أهلها ذيت وذيت ﴿خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون﴾ أى وعدها المتقون واضافة الجنة الى الخلد للمدح وقيل للتمييز عن جنات الدنيا والمراد بالمتقين المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية أو الثالثة منها فقط ﴿كانت﴾ تلك الجنة ﴿لهم﴾ فى علم الله تعالى أو فى اللوح المحفوظ أو لان ما وعده الله تعالى فهو كائن لا محالة فحكى تحققه و وقوعه ﴿جزاء﴾ على أعمالهم حسبما مر من الوعد الكريم ﴿ومصيرا﴾ ينقلبون اليه ﴿لهم فيها ما يشاؤن﴾ أى ما يشاؤنه من فنون الملاذ والمشتهيات

وأنواع النعيم كما فى قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولعل كل فريق منهم يقتنع بما أتيح له من درجات النعيم ولا تمتد أعناق هممهم الى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا يلزم الحرمان ولا تساوى مراتب أهل الجنان ﴿خالدين﴾ حال من الضمير المستكن فى الجار والمجرور لاعتماده على المبتدا وقيل من فاعل يشاؤن ﴿كان﴾ أى ما يشاؤنه وقيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعد المتقون ﴿على ربك وعدا مسئولا﴾ أى موعودا حقيقا بأن يسأل ويطلب لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون أو مسؤلا يسأله الناس فى دعائهم بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو الملائكة بقولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم وما فى على من معنى الوجوب لامتناع الخلف فى وعده تعالى ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تشريفه والاشعار بأنه عليه الصلاة والسلام هو الفائز آثر ذى أثير بمغانم الوعد الكريم ما لا يخفى ﴿ويوم يحشرهم﴾ نصب على أنه مفعول لمضمر مقدم معطوف على قوله تعالى قل أذلك الخ أى واذكر لهم بعد التقريع والتحسير يوم يحشرهم الله عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث الهائلة قد مر وجهه غير مرة أو على أنه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله وفظاعة ما فيه والايذان بقصور العبارة عن بيانه أى يوم يحشرهم يكون من الأحوال والأهوال ما لا يفى ببيانه المقال وقرئ بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وبكسر الشين أيضا ﴿وما يعبدون من دون الله﴾ أريد به ما يعم العقلاء وغيرهم اما لان كلمة ما موضوعة للكل كما ينبئ عنه أنك اذا رأيت شبحا من بعيد تقول ما هو أو لانه أريد به الوصف لا الذات كأنه قيل ومعبوديهم أو لتغليب الاصنام على غيرها تنبيها على أنهم مثلها فى السقوط عن رتبة المعبودية أو اعتبارا لغلبة عبدتها أو أريد به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب أو الاصنام ينطقها الله تعالى أو تكلم بلسان الحال كما قيل فى شهادة الايدى والارجل ﴿فيقول﴾ أى الله عز وجل للمعبودين اثر حشر الكل تقريعا للعبدة وتبكيتا لهم وقرئ بالنون كما عطف عليه وقرئ هذا بالياء والأول بالنون على طريق الالتفات الى الغيبة ﴿أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء﴾ بأن دعوتموهم الى عبادتكم كما فى قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ﴿أم هم ضلوا السبيل﴾ أى عن السبيل بأنفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد فحذف الجار وأوصل الفعل الى المفعول كقوله تعالى وهو يهدى السبيل والأصل الى السبيل أو للسبيل وتقديم الضميرين على الفعلين لان المقصود بالسؤال هو المتصدى للفعل لا نفسه ﴿قالوا﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية السؤال كأنه قيل فماذا قالوا فى الجواب فقيل قالوا ﴿سبحانك﴾ تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة معصومون أو جمادات لا قدرة لها على شئ أو اشعارا بأنهم الموسومون بتسبيحه تعالى وتوحيده فكيف يتأتى منهم اضلال عباده أو تنزيها له تعالى عن الانداد ﴿ما كان ينبغى لنا﴾ أى ما صح وما استقام لنا ﴿أن نتخذ من دونك﴾ أى متجاوزين اياك ﴿من أولياء﴾ نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له فأنى يتصور أن نحمل غيرنا على أن يتخذ وليا غيرك فضلا أن يتخذنا وليا أو أن نتخذ من دونك أولياء أى اتباعا فان الولى كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الأعلى والاسفل ومنه أولياء الشيطان أى أتباعه وقرئ على البناء للمفعول من المتعدى الى مفعولين كما فى قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثانى من أولياء على أن من للتبعيض أى أن نتخذ بعض أولياء وهى على الأول مزيدة وتنكير أولياء من حيث انهم أولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ استدراك مسوق لبيان أنهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن اضلالهم وقد نعى عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا أسباب الهداية أسبابا للضلالة أى ما أضللناهم ولكنك متعتهم وآباءهم بأنواع النعم ليعرفوا حقها

ويشكروها فاستغرقوا فى الشهوات وانهمكوا فيها ﴿حتى نسوا الذكر﴾ أى غفلوا عن ذكرك أو عن التذكر فى آلائك والتدبر فى آياتك فجعلوا أسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية ﴿وكانوا﴾ أى فى قضائك المبنى على علمك الازلى المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لايزال باختيارهم من الأعمال السيئة ﴿قوما بورا﴾ أى هالكين على أن بورا مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع أو جمع بائر كعوذ فى جمع عائذ والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ماقبله وقوله تعالى ﴿فقد كذبوكم﴾ حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة فى تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب أى فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبوكم المعبودون أيها الكفرة ﴿بما تقولون﴾ أى فى قولكم انهم آلهة وقيل فى قولكم هؤلاء أضلونا وبأباه أن تكذيبهم فى هذا القول لاتعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر أصلا وانما الذى يستتبعه تكذيبهم فى زعمهم أنهم آلهتهم وناصروهم وأيا ما كان فالباء بمعنى فى أو هى صلة للتكذيب على أن الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء أى كذبوكم بقولهم سبحانك الآية ﴿فما تستطيعون﴾ أى ماتملكون ﴿صرفا﴾ أى دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير أى لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف فى أموره أى يحتال فيها وقيل توبة ﴿ولا نصرا﴾ أى فردا من أفراد النصر لامن جهة أنفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ماقبلها من التكذيب لكن لاعلى معنى أنه لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة بل فى زعمهم حيث كانوا يزعمون أنهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة أى مايستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو يحتالوا لكم ولا أن ينصروكم وترتب مابعد الفاء على ماقبلها كما مر بيانه ﴿ومن يظلم منكم﴾ أيها المكلفون كدأب هؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ماهم عليه من الفساد وتجاوزوا فى اللجاج كل حد معتاد ﴿نذقه﴾ فى الآخرة ﴿عذابا كبيرا﴾ لايقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على أن الضمير لله سبحانه وتعالى وقيل لمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لايستلزم اشتراك الفاسق للكافر فى اذاقة العذاب الكبير فان الشرط فى اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق﴾ جواب عن قولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق والجملة الواقعة بعد الاصفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه وأقيمت هى مقامه كما فى قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم والمعنى ماأرسلنا أحدا قبلك من المرسلين الا آكلين وماشين وقيل هى حال والتقدير الا وأنهم ليأكلون الخ وقرئ يمشون على البناء للمفعول أى يمشيهم حوائجهم أو الناس ﴿وجعلنا بعضكم﴾ تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لأن يعدوا بعضا منهم وبما فى قوله تعالى ﴿لبعض﴾ رسلهم لكن لاعلى معنى جعلنا مجموع البعض الاول ﴿فتنة﴾ أى ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثانى ولا على معنى جعلنا كل فرد من أفراد البعض الاول فتنة لكل فرد من أفراد البعض الثانى ولا على معنى جعلنا بعضا مبهما من الاولين فتنة لبعض مبهم من الآخرين ضرورة أن مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتون بمجموع الامم ولا كل فرد منهم بكل فرد من الامم ولا بعض مبهم من الاولين ببعض مبهم من الآخرين بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل كأنه قيل وجعلنا كل أمة مخصوصة من الامم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث اليها وانما لم يصرح بذلك تعويلا على شهادة الحال هذا وأما تعميم الخطاب لجميع المكلفين وابقاء البعضين على العموم والابهام على معنى وجعلنا بعضكم

أيها الناس فتنة لبعض آخر منكم فيأباه قوله تعالى ﴿أتصبرون﴾ فانه غاية للجعل المذكور ومن البين أن ليس ابتلاء كل
احد من آحاد الناس مغيا بالصبر بل بما يناسب حاله على أن الاقتصار على ذكره من غير تعرض لما عداه مما يدل على
أن اللائق بحال المفتونين والمتوقع صدوره عنهم هو الصبر لا غير فلا بد أن يكون المراد بهم الرسل فيحصل به تسلية
عليه الصلاة والسلام فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين بأممهم وبمناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم
وأقاويلهم الخارجة عن حدود الانصاف لنعلم صبركم وقوله تعالى ﴿وكان ربك بصيرا﴾ وعد كريم للرسول عليه
الصلاة والسلام بالاجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له عليه الصلاة والسلام بالالتفات الى اسم الرب
مضافا الى ضميره صلى الله عليه وسلم ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ شروع فى حكاية بعض آخر من أقاويلهم
الباطلة وبيان بطلانها اثر ابطال أباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا مالهذا الرسول الخ ووضع الموصول
موضع الضمير للتنبيه بما فى حيز الصلة على أن ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عمن يعتقد المصير الى الله عز وجل
ولقاء الشىء عبارة عن مصادفته من غير أن يمنع مانع من ادراكه بوجه من الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع
اليه تعالى بالبعث والحشر أو لقاء حسابه تعالى كما فى قوله تعالى انى ظننت أنى ملاق حسابيه وبعدم رجائهم اياه عدم
توقعهم له أصلا لانكارهم البعث والحساب بالكلية لا عدم أملهم حسن اللقاء ولا عدم خوفهم سوء اللقاء لان عدمهما
غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وانكار البعث والحساب رأسا أى وقال الذين لا يتوقعون الرجوع الينا
أو حسابنا المؤدى الى سوء العذاب الذى تستوجبه مقالتهم ﴿لولا أنزل علينا الملائكة﴾ أى هلا أنزلوا علينا ليخبرونا
بصدق محمد عليه الصلاة والسلام وقيل هلا أنزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الانسب لقولهم ﴿أو نرى ربنا﴾ من حيث
أن كلا القولين ناشىء عن غاية غلوهم فى المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله تعالى ﴿لقد استكبروا فى أنفسهم﴾ أى
فى شأنها حتى اجترؤا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء ﴿وعتوا﴾ أى تجاوزوا الحد فى الظلم والطغيان ﴿عتوا
كبيرا﴾ بالغا أقصى غاياته حيث أملوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا
الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التى تخر لها صم الجبال فذهبوا فى الاقتراح كل مذهب حتى منتهم أنفسهم
الخبيثة أمانى لا تكاد ترنو اليها أحداق الامم ولا تمتد اليها أعناق الهمم ولا ينالها الا أولو العزائم الماضية من الانبياء
عليهم الصلاة والسلام واللام جواب قسم محذوف أى والله لقد استكبروا الآية وفيه من الدلالة على غاية قبح ماهم عليه
والاشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم مالا يخفى ﴿يوم يرون الملائكة﴾ استئناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم
لما اقترحوه من نزول الملائكة عليهم السلام بعد استعظامه وبيان كونه فى غاية ما يكون من الشناعة وانما قيل يوم
يرون دون أن يقال يوم ينزل الملائكة ايذانا من أول الامر بأن رؤيتهم لهم ليست على طريق الاجابة الى ما اقترحوه بل
على وجه آخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى ﴿لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾ فانه فى
معنى لا يبشر يومئذ المجرمون والعدول الى نفى الجنس للمبالغة فى نفى البشرى وما قيل من أنه بمعنى يمنعون البشرى
أو يعدمونها تهوين للخطب فى مقام التهويل فان منع البشرى وفقدانها مشعران بأن هناك بشرى يمنعونها أو يفقدونها
وأين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها كناية عن اثبات ضدها كما أن نفى المحبة فى مثل قوله تعالى والله لا يحب
الكافرين كناية عن البغض والمقت دل على ثبوت النذرى لهم على أبلغ وجه وآكده وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكده
بشرى على أن لا غير نافية للجنس وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه أى اذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ
على كل حال تكرير للتأكيد والتهويل مع ما فيه من الايذان بأن تقديم الظرف للاهتمام لا لقصر نفى البشرى على ذلك

الوقت فقط فان ذلك مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين تبيين على أنه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالاجرام مع ماهم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الالتجاء فى اخراجهم عن الحرمان الكلى الى أن نفى البشرى حينئذ لايستلزم نفيه فى جميع الأوقات فيجوز أن يبشروا بالعفو والشفاعة فى وقت آخر بمعزل عن الحق بعيد ﴿ ويقولون ﴾ عطف على ماذكر من الفعل المنفى المنبئ عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من الشر وغاية هول مطلعه ببيان أنهم يقولون عند مشاهدتهم له ﴿ حجرا محجورا ﴾ وهى كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور وهجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى أن يمنع المكروه فلا يلحقهم فكان المعنى نسأل الله تعالى أن يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما فى قعدك وعمرك وقد قرئ حجرا بالضم والمعنى أنهم يطلبون نزول الملائكة عليهم السلام ويقترحونه وهم اذا رأوهم كرهوا لقاءهم أشد كراهة وفزعوا منهم فزعا شديدا وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول بأس شديد فظيع ومحجورا صفة لحجرا وارادة للتأكيد كما قالوا ذيل ذائل وليل أليل وقيل يقولها الملائكة اقناطا للكفرة بمعنى حراما محرما عليكم الغفران أو الجنة أو البشرى أى جعل الله تعالى ذلك حراما عليكم وليس بواضح ﴿ وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾ بيان لحال ما كانوا يعملونه فى الدنيا من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التى لو كانوا عملوها مع الايمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال أعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى أشيائهم وقصد ماتحت أيديهم فأنحى عليها بالافساد والتحريق ومزقها كل تمزيق بحيث لم يدع لها عينا ولا أثرا أى عمدنا اليها وأبطلناها أى أظهرنا بطلانها بالكلية من غير أن يكون هناك قدوم ولا شئ يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى فى شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهى الغبار ومنثورا صفته شبه به أعمالهم المحبطة فى الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه فى الانتشار بحيث لايمكن نظمه أو مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما فى قوله تعالى كونوا قردة خاسئين ﴿ أصحاب الجنة ﴾ هم المؤمنون المشار اليهم فى قوله تعالى قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون الخ ﴿ يومئذ ﴾ أى يوم اذ يكون ماذكر من عدم التبشير وقولهم حجرا محجورا وجعل أعمالهم هباء منثورا ﴿ خير مستقرا ﴾ المستقر المكان الذى يستقر فيه فى أكثر الاوقات للتجالس والتحادث ﴿ وأحسن مقيلا ﴾ المقيل المكان الذى يؤوى اليه للاسترواح الى الازواج والتمتع بمغازلتهن سمى بذلك لما أن التمتع به يكون وقت القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب فى منتصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وفى وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز الى أنه مزين بفنون الزين والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما اما لارادة الزيادة على الاطلاق أى هم فى أقصى مايكون من خيرية المستقر وحسن المقيل واما بالاضافة الى ماللكفرة المتنعمين فى الدنيا أو الى مالهم فى الآخرة بطريق التهكم بهم كما مر فى قوله تعالى قل أذلك خير الآية هذا وقد جوز أن يراد بأحدهما المصدر أو الزمان اشارة الى أن مكانهم وزمانهم أطيب مايتخيل من الأمكنة والأزمنة ﴿ ويوم تشقق السماء ﴾ أى تتفتح وأصله تتشقق فحذفت احدى التاءين كما فى تلظى وقرئ بادغام التاء فى الشين ﴿ بالغمام ﴾ بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذى ذكر فى قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة قيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبنى اسرائيل ﴿ ونزل الملائكة تنزيلا ﴾ أى تنزيلا عجيبا غير معهود قيل تنشق سماء سماء وينزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد وقرئ ونزلت الملائكة وننزل وننزل على صيغة المتكلم من الانزال والتنزيل ونزل الملائكة وأنزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذى هو فاء الفعل من تنزل ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ﴾ أى السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلى العام الثابت صورة

ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له أصلا ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدا وفائدة التقييد أن ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ وأما فيما عداه من أيام الدنيا فيكون لغيره أيضا تصرف صوري في الجملة وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق أو بمحذوف على التبيين أو بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ماذكر وأياما كان فالجملة بمعناها عاملة في الظرف أي ينفرد الله تعالى بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب بما ذكر فالجملة حينئذ استئناف مسوق لبيان أحواله وأهواله وإيراده تعالى بعنوان الرحمانية للإيذان بأن اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في قوله تعالى يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم والمعنى أن الملك الحقيقي يومئذ للرحمن ﴿وكان﴾ ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله تعالى المبالغ في الرحمة لعباده ﴿يوما على الكافرين عسيرا﴾ شديدا لهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل وأما للمؤمنين فيكون يسيرا بفضل الله تعالى وقد جاء في الحديث أنه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ عض اليدين والأنامل وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفهما والمراد بالظالم إما عقبة بن أبي معيط على ما قيل من أنه كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه عليه الصلاة والسلام يوما إلى ضيافته فأبى عليه الصلاة والسلام أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه فقال صبأت فقال لا ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال إني لا أرضى منك إلا أن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فأتاه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الأنصاري وطعن عليه الصلاة والسلام أبيا يوم أحد في المبارزة فرجع إلى مكة ومات وإما جنس الظالم وهو داخل فيه دخولا أوليا وقوله تعالى ﴿يقول﴾ الخ حال من فاعل يعض وقوله تعالى ﴿ياليتني﴾ الخ محكي به ويا إما لمجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه أو المنادى محذوف أي يا هؤلاء ليتني ﴿اتخذت مع الرسول سبيلا﴾ أي طريقا واحدا منجيا من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة أو حصلت في صحبته عليه الصلاة والسلام طريقا ولم أكن ضالا لا طريق لي قط ﴿ياويلتا﴾ بقلب ياء المتكلم ألفا كما في صحارى ومدارى وقرئ على الأصل يا ويلتي أي هلكتي تعالي واحضري فهذا أوانك ﴿ليتني لم أتخذ فلانا خليلا﴾ يريد من أضله في الدنيا فإن فلانا كناية عن الأعلام كما أن الهن كناية عن الأجناس وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم إناثهم وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عمن يعقل من الإناث والفلان والفلانة من غير العاقل ويختص فل بالنداء إلا في ضرورة كما في قوله في لجة أمسك فلانا عن فل وقوله خذا حدثاني عن فل وفلان وليس فل مرخما من فلان خلافا للفراء واختلفوا في لام فل وفلان فقيل واو وقيل ياء هذا فإن أريد بالظالم عقبة ففلان كناية عن أبي وإن أريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضله كائنا من كان من شياطين الإنس والجن وهذا التمني منه وإن كان مسوقا لإبراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنايته إلى الغير وقوله تعالى ﴿لقد أضلني عن الذكر﴾ تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطئه وإظهار ندمه وحسرته أي والله لقد أضلني عن ذكر الله تعالى أو عن القرآن أو عن موعظة الرسول عليه الصلاة والسلام أو كلمة الشهادة ﴿بعد إذ جاءني﴾ وتمكنت منه وقوله تعالى ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾ أي مبالغا في الخذلان حيث يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله إما من جهته تعالى أو من تمام كلام الظالم على

أنه سمى خليله شيطانا بعد وصفه بالاضلال الذى هو أخص الاوصاف الشيطانية أو على أنه أراد بالشيطان ابليس لانه الذى حمله على مخالة المضلين ومخالفة الرسول الهادى عليه الصلاة والسلام بوسوسته واغوائه لكن وصفه بالخذلان يشعر بأنه كان يعده فى الدنيا ويمنيه بأنه ينفعه فى الآخرة وهو أوفق بحال ابليس ﴿وقال الرسول﴾ عطف على قوله تعالى وقال الذين لايرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ماقالوه وبيان مايحيق بهم فى الآخرة من الاهوال والخطوب وايراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على نحورهم حيث كان ماحكى عنهم قدحا فى رسالته عليه الصلاة والسلام أى قالوا كيت وكيت وقال الرسول اثر ماشاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث الى ربه عز وجل ﴿يارب ان قومى﴾ يعنى الذين حكى عنهم ماحكى من الشنائع ﴿اتخذوا هذا القرآن﴾ الذى من جملته هذه الآيات الناطقة بما يحيق بهم فى الآخرة من فنون العقاب كما ينبئ عنه كلمة الاشارة ﴿مهجورا﴾ أى متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا اليه رأسا ولم يتأثروا بوعيده وفيه تلويح بأن من حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فانه روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من تعلم القرآن وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب العالمين عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى أى جعلوه مهجورا فيه اما على زعمهم الباطل واما بأن هجروا فيه اذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وقد يجوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول فالمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف مالا يخفى فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى ﴿وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى كما جعلنا لك أعداء من المشركين يقولون مايقولون ويفعلون مايفعلون من الاباطيل جعلنا لكل نبى من الانبياء الذين هم أصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مجرمى قومهم فاصبر كما صبروا وقوله تعالى ﴿وكفى بربك هاديا ونصيرا﴾ وعد كريم له عليه الصلاة والسلام بالهداية الى كافة مطالبه والنصر على أعدائه أى كفاك مالك أمرك ومبلغك الى الكمال هاديا لك الى ما يوصلك الى غاية الغايات التى من جملتها تبليغ الكتاب أجله واجراء أحكامه فى أكناف الدنيا الى يوم القيامة ونصيرا لك على جميع من يعاديك ﴿وقال الذين كفروا﴾ حكاية لاقتراحهم الخاص بالقرآن الكريم بعد حكاية اقتراحهم فى حقه عليه الصلاة والسلام والقائلون هم القائلون أولا وايرادهم بعنوان الكفر لذمهم به والاشعار بعلة الحكم ﴿لولا نزل عليه القرآن﴾ التنزيل ههنا مجرد عن معنى التدريج كما فى قوله تعالى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ويجوز أن يراد به الدلالة على كثرة المنزل فى نفسه أى هلا أنزل كله ﴿جملة واحدة﴾ كالكتب الثلاثة وبطلان هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على أحد فان الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها من عند الله تعالى اعجازها وأما القرآن الكريم فبينة صحته وآية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقى على مر الدهور المتحقق فى كل جزء من أجزائه المقدرة بمقدار أقصر السور حسبما وقع به التحدى ولا ريب فى أن مايدور عليه فلك الاعجاز هو المطابقة لما تقتضيه الاحوال ومن ضرورة تغيرها وتجددها تغير مايطابقها حتما على أن فيه فوائد جمة قد أشير الى بعض منها بقوله تعالى ﴿كذلك لنثبت به فؤادك﴾ فانه استئناف وارد من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة وبيان الحكمة فى التنزيل التدريجى ومحل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر مؤكد لمضمر معلل بما بعده وذلك اشارة الى مايفهم من كلامهم أى مثل ذلك التنزيل المفرق الذى قدحوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه لاتنزيلا مغايرا له لنقوى بذلك التنزيل المفرق فؤادك فان فيه تيسيرا لحفظ النظم وفهم المعانى وضبط الاحكام

والوقوف على تفاصيل ماروعي فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة على أنها منوطة بأسبابها الداعية الى شرعها ابتداء أو تبديلا بالنسخ من أحوال المكلفين وكذلك عامة ماورد فى القرآن المجيد من الأخبار وغيرها متعلقة بأمور حادثة من الاقاويل والافاعيل ومن قضية تجددها تجددما يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية الى حكايتها وابطالها وبيان مايؤول اليه حالهم فى الآخرة على أنهم فى هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث أمروا بالاتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فكيف لو تحدوا بكلمة وقوله تعالى ﴿ورتلناه ترتيلا﴾ عطف على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم أى كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لايقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه آية بعد آية قاله النخعى والحسن وقتادة وقال ابن عباس رضى الله عنهما بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبيت وقال السدى فصلناه تفصيلا وقال مجاهد جعلنا بعضه فى اثر بعض وقيل هو الامر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقيل قرأناه عليك بلسان جبريل عليه السلام شيئاً فشيئاً فى عشرين أو فى ثلاث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل ﴿ولا يأتونك بمثل﴾ من الامثال التى من جملتها ماحكى من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دائرة العقول الجارية لذلك مجرى الامثال أى لايأتونك بكلام عجيب هو مثل فى البطلان يريدون به القدح فى حقك وحق القرآن ﴿الا جئناك﴾ فى مقابلته ﴿بالحق﴾ أى بالجواب الحق الثابت الذى ينحى عليه بالابطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الاجوبة الحقة القالعة لعروق أسئلتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى ﴿وأحسن تفسيرا﴾ عطف على الحق أى جئناك بأحسن تفسيرا أو على محل بالحق أى آتيناك الحق وأحسن تفسيرا أى بيانا وتفصيلا على معنى أنه فى غاية مايكون من الحسن فى حد ذاته لاأن مايأتون به له حسن فى الجملة وهذا أحسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية أى لايأتونك بمثل الا حال ايتائنا اياك الحق الذى لامحيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة الى ابطال ماأتوا به وتثبيت فؤاده عليه الصلاة والسلام مالا يخفى وهذا بعبارته ناطق ببطلان جميع الاسئلة وبصحة جميع الاجوبة وباشارته منبئ عن بطلان السؤال الاخير وصحة جوابه اذ لولا أن تنزيل القرآن على التدريج لما أمكن ابطال تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت فؤاده عليه الصلاة والسلام من تلك الحيثية هذا وقد جوز أن يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التى كانوا يقترحون كونه عليه الصلاة والسلام عليها من مقارنة الملك والاستغناء عن الاكل والشرب وحيازة الكنز والجنة ونزول القرآن عليه جملة واحدة على معنى لايأتونك بحال عجيبة يقترحون اتصافك بها قائلين هلا كان على هذه الحالة الا أعطيناك نحن من الأحوال الممكنة مايحق لك فى حكمتنا ومشيئتنا أن تعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذى أنت عليه فى الذات والصفات ويأباه الاستثناء المذكور فان المتبادر منه أن يكون ماأعطاه الله تعالى من الحق مترتبا على ماأتوا به من الاباطيل دامغا لها ولا ريب فى أن ما آتاه الله تعالى من الملكات السنية اللائقة بالرسالة قد أتاه من أول الامر لامقابلة ماحكى عنهم من الاقتراحات لاجل دمغها وابطالها ﴿الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم﴾ أى يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون الى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم على قفاهم وأرجلهم الى فوق. روى عنه عليه الصلاة والسلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلا وأما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها فبعيد لان هول ذلك اليوم ليس بحيث يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات أو توجه اليها فى الجملة ومحل الموصول اما النصب أو الرفع على الذم أو الرفع على الابتداء وقوله تعالى ﴿أولئك﴾ بدل منه أو بيان له وقوله تعالى ﴿شر مكانا وأضل سبيلا﴾ خبر له أو اسم الاشارة

مبتدأ ثان وشر خبره والجملة خبر للموصول ووصف السبيل بالضلال من باب الاسناد المجازي للمبالغة والمفضل عليه الرسول عليه الصلاة والسلام على منهاج قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل ان حاملهم على هذه الاقتراحات تحقير مكانه عليه الصلاة والسلام بتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا أنهم شر مكانا وأضل سبيلا وقيل هو متصل بقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ جملة مستأنفة سيقت لتأكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية والنصر فى قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبين قومهم حكاية اجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف أى والله لقد آتينا موسى التوراة أى أنزلناها عليه بالآخرة ﴿وجعلنا معه﴾ الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى ﴿أخاه﴾ مفعول أول له وقوله تعالى ﴿هرون﴾ بدل من أخاه أو عطف بيان له على عكس ما وقع فى سورة طه وقوله تعالى ﴿وزيرا﴾ مفعول ثان له وقد مر ثمة معنى الوزير أى جعلناه فى أول الامر وزيرا له ﴿فقلنا﴾ لهما حينئذ ﴿اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ هم فرعون وقومه والآيات هى المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يدى موسى عليه السلام ولم يوصف القوم لهما عند ارسالهما اليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن اظهارها المتأخر عن ذهابهما المتأخر عن الأمر به بل انما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لعلة استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير أى فذهبا اليهم فأرياهم آياتنا كلها فكذبوها تكذيبا مستمرا ﴿فدمرناهم﴾ اثر ذلك التكذيب المستمر ﴿تدميرا﴾ عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقتصر على حاشيتى القصة اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له اذ لا فائدة يعتد بها فى حكاية الحكم بتدمير قد وقع وانقضى والتعرض فى مطلع القصة لايتاء الكتاب مع أنه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل فى هلاكهم كسائر الآيات للايذان من أول الأمر ببلوغه عليه الصلاة والسلام غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التى هى انجاء بنى اسرائيل من ملكة فرعون وارشادهم الى طريق الحق بما فى التوراة من الأحكام اذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه الذى مر بيانه وقرىء فدمرتهم وفدمراهم وفدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة ﴿وقوم نوح﴾ منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم أى ودمرنا قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة ترتب تدميرهم على ماقبله ترتب تدمير هؤلاء عليه لاسيما وقد بين سببه بقوله تعالى ﴿لما كذبوا الرسل﴾ أى نوحا ومن قبله من الرسل أو نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والاسلام وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى ﴿أغرقناهم﴾ وانما يتسنى ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان وأما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لأنه حينئذ جواب لها وجواب لما لا يفسر ماقبله مع أنه مخل بعطف المنصوبات الآتية على قوم نوح لما أن اهلاكهم ليس بالاغراق فالوجه ماتقدم وقوله تعالى أغرقناهم استئناف مبين لكيفية تدميرهم ﴿وجعلناهم﴾ أى جعلنا اغراقهم أو قصتهم ﴿للناس آية﴾ أى آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها أو سمعها وهى مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغو له أو متعلق بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر عنها لكان صفة لها ﴿وأعتدنا للظالمين﴾ أى لهم والاظهار فى موقع الاضمار للايذان بتجاوزهم الحد فى الكفر والتكذيب ﴿عذابا أليما﴾ هو عذاب الآخرة اذ لا فائدة فى الاخبار باعتاد العذاب الذى قد أخبر بوقوعه من قبل أو لجميع الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل فى زمرتهم قريش دخولا أوليا ويحتمل العذاب الدنيوى والأخروى ﴿وعادا﴾ عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الأول لجعلناهم وقيل على محل الظالمين اذ هو فى معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد ﴿وثمود﴾

الكلام فيه وفيما بعده كما في اقبله وقرئ وثمود اعلى تأويل الحي أو على أنه اسم الاب الاقصى ﴿ وأصحاب الرس ﴾ هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبيناهم حول الرس وهي البئر التي لم تطو بعد اذ انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل هو الأخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي عليه السلام ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ أو دمخ فتنقض على صبيانهم فتخطفهم ان أعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عليه السلام فأصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه عليه السلام فأهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم فرسوه أي دسوه في بئر ﴿ وقرونا ﴾ أي أهل قرون قيل القرن أربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وقيل مائة وعشرون ﴿ بين ذلك ﴾ أي بين ذلك المذكور من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب أعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك المحسوب ﴿ كثيرا ﴾ لا يعلم مقدارها الا العليم الخبير ولعل الاكتفاء في شئون تلك القرون بهذا البيان الاجمالي لما أن كل قرن منها لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة الامم المذكورة ﴿ وكلا ﴾ منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده فان ضرب المثل في معنى التذكير والتحذير والمحذوف الذي عوض عنه التنوين عبارة اما عن الامم التي لم يذكر أسباب اهلاكهم واما عن الكل فان ما حكى عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم للآيات والرسل لا عدم التأثر من الامثال المضروبة أي ذكرنا وأنذرنا كل واحد من المذكورين ﴿ ضربنا له الأمثال ﴾ أي بيناله القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل ﴿ وكلا ﴾ أي كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض ﴿ تبرنا تتبيرا ﴾ عجيبا هائلا لما أنهم لم يتأثروا بذلك ولم يرفعوا له رأسا وتمادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان وأصل التتبير التفتيت قال الزجاج كل شئ كسرته وفتتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات الذهب والفضة ﴿ ولقد أتوا ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لبيان مشاهدتهم لآثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها أي وبالله لقد أتى قريش في متاجرهم الى الشام ﴿ على القرية التي أمطرت ﴾ أي أهلكت بالحجارة وهي قرى قوم لوط وكانت خمس قرى ما نجت منها الا واحدة كان أهلها لا يعملون العمل الخبيث وأما البواقي فأهلكها الله تعالى بالحجارة وهي المرادة بقوله تعالى ﴿ مطر السوء ﴾ وانتصابه اما على أنه مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل في أنبته الله تعالى نباتا حسنا أي امطار السوء أو على أنه مفعول ثان اذ المعنى أعطيت أو أوليت مطر السوء ﴿ أفلم يكونوا يرونها ﴾ توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة ما يوجبه والهمزة لانكار نفي استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها حسب استمرار ما يوجبها من اتيانهم عليها لا لانكار استمرار نفي رؤيتهم وتقرير رؤيتهم لها في الجملة والفاء لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام أي ألم يكونوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها أو أكانوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر وعدم الرؤية معا وفي الثاني عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى ﴿ بل كانوا لا يرجون نشورا ﴾ اما اضراب عما قبله من عدم رؤيتهم لآثار ما جرى على أهل القرى من العقوبة وبيان لكون عدم اتعاظهم بسبب انكارهم لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لآثارها خلا أنه اكتفى عن التصريح بانكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من انكارهم للجزاء الاخروي الذي هو الغاية من خلق العالم وقد كنى عن ذلك بعدم رجاء النشور أي عدم توقعه كانه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الاخروي ولا يرون لنفس من النفوس نشورا أصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه

وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وانما يحملونه على الاتفاق وأما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو أعظم منه من عدم توقع النشور ﴿ وإذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا ﴾ أي ما يتخذونك الا هزوا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه الصلاة والسلام على اتخاذهم اياه عليه الصلاة والسلام هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان أتبع الا ما يوحى الي من سورة الانعام وقوله تعالى ﴿ أهذا الذي بعث الله رسولا ﴾ محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك أي يستهزؤن بك قائلين أهذا الذي الخ والاشارة للاستحقار وابراز بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفته عليه الصلاة السلام مع كونهم في غاية النكير لبعثه عليه الصلاة والسلام بطريق التهكم والاستهزاء والا لقالوا أبعث الله هذا رسولا أو أهذا الذي يزعم أنه بعثه الله رسولا ﴿ ان كاد ﴾ ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف أي انه كاد ﴿ ليضلنا عن آلهتنا ﴾ أي ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا بحيث يبعدنا عنها لا عن عبادتها فقط والعدول الى الاضلال لغاية ضلالهم بادعاء أن عبادتها طريق سوى ﴿ لولا أن صبرنا عليها ﴾ ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في أمثال هذا الكلام تجرى مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى كما أشير اليه في قوله تعالى ولقد همت به الخ وهذا اعتراف منهم بأنه عليه الصلاة والسلام قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة الى الحق واظهار المعجزات واقامة الحجج والبينات الى حيث شارفوا أن يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم . يروى أنه من قول أبي جهل ﴿ وسوف يعلمون ﴾ جواب من جهته تعالى لآخر كلامهم ورد لما ينبئ عنه من نسبته عليه الصلاة والسلام الى الضلال في ضمن الاضلال أي سوف يعلمون البتة وان تراخى ﴿ حين يرون العذاب ﴾ الذي يستوجبه كفرهم وعنادهم ﴿ من أضل سبيلا ﴾ وفيه ما لا يخفى من الوعيد والتنبيه على أنه تعالى لا يهملهم وان أمهلهم ﴿ أرأيت من اتخذ الهه هواه ﴾ تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم من الاقوال والافعال وبيان ما لهم من المصير والمآل وتنبيه على أن ذلك من الغرابة بحيث يجب أن يرى ويتعجب منه والهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول للاعتناء به لانه الذي يدور عليه أمر التعجيب ومن توهم أنهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد زل منه أن المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة أي أرأيت من جعل هواه الها لنفسه من غير أن يلاحظه وبنى عليه أمر دينه معرضا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر اليه وتعجب منه وقوله تعالى ﴿ أفأنت تكون عليه وكيلا ﴾ انكار واستبعاد لكونه عليه الصلاة والسلام حفيظا عليه يزجره عما هو عليه من الضلال ويرشده الى الحق طوعا أو كرها والفاء لترتيب الانكار على ما قبله من الحالة الموجبة له كأنه قيل أبعد ما شاهدت غلوه في طاعة الهوى وعتوه عن اتباع الهدى تقسره على الايمان شاء أو أبى وقوله تعالى ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ﴾ اضراب وانتقال عن الانكار المذكور الى انكار حسبانه عليه الصلاة والسلام لهم ممن يسمع أو يعقل حسبما ينبئ عنه جده عليه الصلاة والسلام في الدعوة واهتمامه بالارشاد والتذكير لكن لا على أنه لا يقع كالاول بل على أنه لا ينبغي أن يقع أي بل أتحسب أن أكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم من الآيات حق السماع أو يعقلون ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية الى المحاسن فتعتني بشأنهم وتطمع في ايمانهم وضمير أكثرهم لمن وجمعه باعتبار معناها كما أن الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها وضمير الفعلين لأكثر لا لما أضيف هو اليه وقوله تعالى ﴿ ان هم الا كالأنعام ﴾ الخ جملة مستأنفة مسوقة لتقرير النكير وتأكيده وحسم مادة الحسبان بالمرة أي ما هم في عدم الانتفاع بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات وانتفاء

التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات الا كالبهائم التى هى مثل فى الغفلة وعلم فى الضلالة ﴿ بل هم أضل ﴾ منها ﴿ سبيلا ﴾ لما أنها تنقاد لصاحبها الذى يعلفها و يتعهدها وتعرف من يحسن اليها من يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها وتأوى الى معاطنها وهؤلاء لا ينقادون لربهم وخالقهم و رازقهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذى هو أعدى عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذى هو المشرع الهنى والمورد العذب الروى ولانها ان لم تعتقد حقا مستتبعا لاكتساب الخير لم تعتقد باطلا مستوجبا لاقتراف الشر بخلاف هؤلاء حيث مهدوا قواعد الباطل وفرعوا عليها أحكام الشرور ولان أحكام جهالتها وضلالتها مقصورة على أنفسها لا تتعدى الى أحد وجهالة هؤلاء مؤدية الى ثوران الفتنة والفساد وصد الناس عن سنن السداد وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد ولانها غير معطلة لقوة من القوى المودعة بل صارفة لها الى ما خلقت هى له فلاتقصير من قبلها فى طلب الكمال وأماهؤلاء فهم معطلون لقواهم العقلية مضيعون للفطرة الاصلية التى فطر الناس عليها مستحقون بذلك أعظم العقاب وأشد النكال ﴿ ألم تر الى ربك ﴾ بيان لبعض دلائل التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين عنها وضلالتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة للتقرير والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه عليه الصلاة والسلام وللايذان بأن مايعقبه من آثار ربوبيته و رحمته تعالى أى ألم تنظر الى بديع صنعه تعالى ﴿ كيف مد الظل ﴾ أى كيف أنشأ ظل أى مظل كان من جبل أو بناء أو شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتدا لا أنه تعالى مده بعد أن لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الى غروبها فان ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بانشائه تعالى واحداثه يأباه سياق النظم الكريم وأما ماقيل من أن المراد بالظل مابين طلوع الفجر وطلوع الشمس وأنه أطيب الاوقات فان الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فى قوله تعالى وظل ممدود فغير سديد اذ لاريب فى أن المراد تنبيه الناس على عظيم قدرة الله عزوجل و بالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد أن يراد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها فى موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما فى جوانبه من مواقع ضح الشمس وماذكر وان كان فى الحقيقة ظلا للافق الشرقى لكنهم لايعدونه ظلا ولا يصفونه بأوصافه المعهودة ولعل توجيه الرؤية اليه سبحانه وتعالى مع أن المراد تقرير رؤيته عليه الصلاة والسلام لكيفية مد الظل للتنبيه على أن نظره عليه الصلاة والسلام غير مقصور على مايطالعه من الآثار والصنائع بل مطمح أنظاره معرفة شؤن الصانع المجيد وقوله تعالى ﴿ ولو شاء لجعله ساكنا ﴾ جملة اعترضت بين المعطوفين للتنبيه من أول الأمر على أنه لامدخل فيما ذكر من المد للاسباب العادية وانما المؤثر فيه المشيئة والقدرة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا و كون مفعولها مضمون الجزاء أى ولو شاء سكونه لجعله ساكنا أى ثابتا على حاله من الطول والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون لما أن مقابله الذى هو تغير حاله حسب تغير الاوضاع بين المظل وبين الشمس يرى رأى العين حركة وانتقالا وحاصله أنه لا يعتريه اختلاف حال بأن لاتنسخه الشمس وأما التعليل بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فمداره الغفول عما سيق له النظم الكريم ونطق به صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة جميع الامور الحادثة اليه تعالى بالذات واسقاط الاسباب العادية عن رتبة السببية والتأثير بالكلية وقصرها على مجرد الدلالة على وجود المسببات لابذكر قدرته تعالى على بعض الخوارق كاقامة الشمس فى مقام واحد على أنها أعظم من ابقاء الظل على حاله فى الدلالة على ماذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها فهى أولى وأحق

بالايراد فى معرض البيان وقوله تعالى ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلا﴾ عطف على مد داخل فى حكمه أى جعلناها علامة يستدل بأحوالها المتغيرة على أحواله من غير أن يكون بينهما سببية وتأثير قطعا حسبما نطق به الشرطية المعترضة والالتفات الى نون العظمة لما فى الجعل المذكور العارى عن التأثير مع مايشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبىء عن السببية من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر فى ايراد كلمة التراخى وقوله تعالى ﴿ثم قبضناه﴾ عطف على مد داخل فى حكمه وثم للتراخى الزمانى لما أن فى بيان كون القبض والمد مرتبين دائرين على قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية ويجوز أن تكون للتراخى الرتبى أى أزلناه بعد ما أنشأناه ممتدا ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند ايقاع شعاع الشمس موقعه من غير أن يكون له تأثير فى ذلك أصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبىء عن جمع المنبسط وطيه لما أنه قد عبر عن احداثه بالمد الذى هو البسط طولا وقوله تعالى ﴿الينا﴾ للتنصيص على كون مرجعه اليه تعالى كما أن حدوثه منه عز وجل ﴿قبضا يسيرا﴾ أى على مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع دليله على وتيرة معينة مطردة مستتبعة لمصالح المخلوقات ومرافقها وقيل ان الله تعالى حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها ألقت القبة ظلها على الارض لعدم النير وذلك مده تعالى اياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أى سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل فى الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير أو قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهى الاجرام التى تلقى الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام أسبابه كما ذكر انشاؤه بانشائها ووصفه باليسر على طريقة قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع ﴿وهو الذى جعل لكم الليل لباسا﴾ بيان لبعض بدائع آثار قدرته تعالى وحكمته وروائع أحكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعوليه للاعتناء ببيان كون ما يعقبه من منافعهم وفى تعقيب بيان أحوال الظل ببيان أحكام الليل الذى هو ظل الارض من لطف المسلك مالامزيد عليه أى هو الذى جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ﴿والنوم سباتا﴾ أى وجعل النوم الذى يقع فى الليل غالبا قطعا عن الأفاعيل المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذى هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة فى انقطاع أحكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ﴿وجعل النهار نشورا﴾ أى زمان بعث من ذلك السبات كبعث الموتى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه أو نفس البعث على طريق المبالغة وفيه اشارة الى أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يابنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر ﴿وهو الذى أرسل الرياح﴾ وقرىء بالتوحيد على أن المراد هو الجنس ﴿بشرا﴾ تخفيف بشر جمع بشور أى مبشرين وقرىء بشرى وقرىء نشرا بالنون جمع نشور أى ناشرات للسحاب وقرىء بالتخفيف وبفتح النون أيضا على أنه مصدر وصف به مبالغة وقوله تعالى ﴿بين يدى رحمته﴾ استعارة بديعة أى قدام المطر والالتفات الى نون العظمة فى قوله تعالى ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهورا﴾ لابراز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة ماذكر من ارسال الرياح أى أنزلنا بعظمتنا بما رتبنا من ارسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغا فى الطهارة وماقيل انه مايكون طاهرا فى نفسه ومطهرا لغيره فهو شرح لبلاغته فى الطهارة كما ينبىء عنه قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فان الطهور فى العربية اما صفة كما تقول ماء طهور أو اسم كما فى قوله عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن وقد جاء بمعنى الطهارة كما فى قولك تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لاصلاة الا بطهور ووصف الماء به اشعار بتمام النعمة فيه وتتميم للنعمة فيما بعده

فان الماء الطهور أهنأ وأنفع مما خالطه مايزيل طهوريته وتنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغى أن يطهروها فبواطنهم أحق بذلك وأولى ﴿ لنحيي به ﴾ أى بما أنزلنا من الماء الطهور ﴿ بلدة ميتا ﴾ بانبات النبات والتذكير لان البلدة بمعنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة فأجرى مجرى الجامد والمراد به القطعة من الارض عامرة كانت أو غامرة ﴿ ونسقيه ﴾ أى ذلك الماء الطهور عند جريانه فى الاودية أو اجتماعه فى الحياض والمناقع أو الآبار ﴿ مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا ﴾ أى أهل البوادى الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الأنعام والأناسى وتخصيصهم بالذكر لان أهل القرى والامصار يقيمون بقرب الأنهار والمنابع فبهم وبما لهم من الأنعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع أن مساق الآيات الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد أنواع النعمة والأنعام حيث كانت قنية للانسان وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرىء نسقيه وأسق وسق لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا وأناسى جمع انسى أو انسان كظرابى فى ظربان على أن أصله أناسين فقلبت نونه ياء وقرىء أناسى بالتخفيف بحذف ياء أفاعيل كأناعم فى أناعيم ﴿ ولقد صرفناه ﴾ أى وبالله لقد كررنا هذا القول الذى هو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر لما مر من الغايات الجليلة فى القرآن وغيره من الكتب السماوية ﴿ بينهم ﴾ أى بين الناس من المتقدمين والمتأخرين ﴿ ليذكروا ﴾ ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته فى ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق قيام وقيل الضمير للمطر وتصريفه بينهم انزاله فى بعض البلاد دون غيرها أو فى بعض الأوقات دون بعض أو جعله تارة وابلا وأخرى طلا وحينا ديمة ووقتا رهمة والاول هو الأظهر ﴿ فأبى أكثر الناس ﴾ ممن سلف وخلف ﴿ الا كفورا ﴾ أى لم يفعل الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها أو الا جحودها بأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الامطار الامن الانواء فهو كافر بخلاف من يرى أن الكل بخلق الله تعالى والانواء أمارات بجعله تعالى ﴿ ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا ﴾ نبيا ينذر أهلها فيخف عليك أعباء النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم نفعله بل قصرنا الأمر عليك حسبما ينطق به قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا اجلالا لك وتعظيما وتفضيلا لك على سائر الرسل ﴿ فلا تطع الكافرين ﴾ أى فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة واظهار الحق والتشدد معهم كأنه نهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المداراة معهم والتلطف فى الدعوة لما أنه عليه الصلاة والسلام كان يود أن يدخلوا فى الاسلام ويجتهد فى ذلك بتأليف قلوبهم أشد الاجتهاد ﴿ وجاهدهم به ﴾ أى بالقرآن بتلاوة ما فى تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير أحوال الامم المكذبة ﴿ جهادا كبيرا ﴾ فان دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر قدره كما وكيفا وقيل الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهى عن الطاعة وأنت خبير بأن مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة أصلا وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم الا أن تجعل الباء للملابسة ليكون المعنى وجاهدهم بما ذكر من أحكام القرآن الكريم ملابسا بترك طاعتهم كأنه قيل جاهدهم بالشدة والعنف لا بالملاءمة والمداراة كما فى قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا من كونه عليه الصلاة والسلام نذير كافة القرى لانه لو بعث فى كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر من أجل ذلك جهاده وعظم فقيل له عليه الصلاة والسلام وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وأنت خبير بأن بيان سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد فائدة فانه بين بنفسه وانما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها وعظمها فى الكيفية ﴿ وهو الذى مرج البحرين ﴾ أى خلاهما متجاورين

متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها ﴿هذا عذب فرات﴾ قامع للعطش لغاية عذوبته ﴿وهذا ملح أجاج﴾ بليغ الملوحة وقرىء ملح فلعله تخفيف مالح كبرد فى بارد ﴿وجعل بينهما برزخا﴾ حاجزا غير مرئى من قدرته كما فى قوله تعالى بغير عمد ترونها ﴿وحجرا محجورا﴾ وتنافرا مفرطا كأن كلا منهما يتعوذ من الآخر بتلك المقالة وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه وتجرى فى خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم و بالمالح البحر الكبير و بالبرزخ ما بينهما من الارض فيكون أثر القدرة فى الفصل واختلاف الصفة مع أن مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق والتشابه فى الكيفية ﴿وهو الذى خلق من الماء بشرا﴾ هو الماء الذى خمر به طينة آدم عليه السلام أو جعله جزء من مادة البشر ليجتمع و يسلس و يستعد لقبول الاشكال والهيئات بسهولة أو هو النطفة ﴿فجعله نسبا وصهرا﴾ أى قسمه قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينتسب اليهم وذوات صهر أى اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ﴿وكان ربك قديرا﴾ مبالغا فى القدرة حيث قدر على أن يخلق من مادة واحدة بشرا ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين و ربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وأنثى ﴿و يعبدون من دون الله﴾ الذى شأنه ماذكر ﴿مالا ينفعهم و لا يضرهم﴾ أى ماليس من شأنه النفع والضر أصلا وهو الاصنام أو كل ما يعبد من دونه تعالى اذ مامن مخلوق يستقل بالنفع والضر ﴿وكان الكافر على ربه﴾ الذى ذكرت آثار ربوبيته ﴿ظهيرا﴾ يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس أو أبو جهل وقيل هينا مهينا لا اعتداد به عنده تعالى من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله تعالى و لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ﴿وما أرسلناك الا مبشرا﴾ للمؤمنين ﴿ونذيرا﴾ للكافرين ﴿قل﴾ لهم ﴿ما أسألكم عليه﴾ أى على تبليغ الرسالة الذى ينبىء عنه الارسال ﴿من أجر﴾ من جهتكم ﴿الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا﴾ أى الا فعل من يريد أن يتقرب اليه تعالى و يطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة حسبما أدعوهم اليهما فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود الاتيان به واستثنى منه قلعا كليا لشائبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه عائدا اليهم عائدا اليه عليه الصلاة والسلام وقيل الاستثناء منقطع أى لكن من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل ﴿وتوكل على الحى الذى لا يموت﴾ فى الاستكفاء عن شرورهم والاغناء عن أجورهم فانه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الاحياء الذين من شأنهم الموت فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم ﴿وسبح بحمده﴾ ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه ﴿وكفى به بذنوب عباده﴾ ما ظهر منها وما بطن ﴿خبيرا﴾ أى مطلعا عليها بحيث لا يخفى عليه شىء منها فيجزيهم جزاء وافيا ﴿الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ قدسلف تفسيره ومحل الموصول الجر على أنه صفة أخرى للحى وصف بالصفة الفعلية بعد وصفه بالابدية التى هى من الصفات الذاتية والاشارة الى اتصافه بالعلم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتأكيده فان من أنشأ هذه الاجرام العظام على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتدبير متين وترتيب رصين فى أوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة لحكم جليلة وغايات جميلة لا تقف على تفاصيلها العقول أحق من يتوكل عليه وأولى من يفوض الامر اليه ﴿الرحمن﴾ مرفوع على المدح أى هو الرحمن وهو فى الحقيقة وصف آخر للحى كما قرىء بالجر مفيد لزيادة تأكيد ماذكر من وجوب التوكل عليه تعالى وان لم يتبعه فى الاعراب لما تقرر من أن المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه فى الاعراب و بذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة ألا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدا فى النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات

ماقبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق فى تفسير قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب الآية وقيل الموصول مبتدأ والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن فى استوى ﴿فاسأل به﴾ أى بتفاصيل ماذكر اجمالا من الخلق والاستواء لابنفسيهما فقط اذ بعد بيانهما لايبقى الى السؤال حاجة ولا فى تعديته بالباء فائدة فانها مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعى لكون المسؤل أمرا خطيرا مهتما بشأنه غير حاصل للسائل وظاهر أن نفس الخلق والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من أن التقدير ان شككت فيه فاسأل به خبيرا على أن الخطاب له عليه الصلاة والسلام والمراد غيره بمعزل من السداد بل التقدير ان شئت تحقيق ماذكر أو تفصيل ماذكر فاسأل معتنيا به ﴿خبيرا﴾ عظيم الشأن محيطا بظواهر الامور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الامر وقيل فاسأل به من وجده فى الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة حينئذ الى ماذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان أنكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا مجيء مايرادفه فى كتبهم وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ وما بعده خبرا وقرىء فسل ﴿واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ قالوه لما أنهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى أو لانهم ظنوا أن المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا ﴿أنسجد لما تأمرنا﴾ أى للذى تأمرنا بسجوده أو لامرك ايانا من غير أن نعرف أن المسجود ماذا وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرىء يأمرنا بياء الغيبة على أنه قول بعضهم لبعض ﴿وزادهم﴾ أى الامر بسجود الرحمن ﴿نفورا﴾ عن الايمان ﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجا﴾ هى البروج الاثنا عشر سميت به وهى القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره ﴿وجعل فيها سراجا﴾ هى الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرىء سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار ﴿وقمرا منيرا﴾ مضيئا بالليل وقرىء قمرا أى ذاقمر وهى جمع قمراء ولما أن الليالى بالقمر تكون قمراء أضيف اليها ثم حذف وأجرى حكمه على المضاف اليه القائم مقامه كما فى قول حسان رضى الله عنه بردى يصفق بالرحيق السلسل أى ماء بردى ويحتمل أن يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب ﴿وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة﴾ أى ذوى خلفة يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغى أن يعمل فيه أو بأن يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهى اسم للحالة من خلف كالركبة والجلسة من ركب وجلس ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ أى يتذكر آلاء الله عز وجل ويتفكر فى بدائع صنعه فيعلم أنه لابد لها من صانع حكيم واجب الذات رحيم للعباد ﴿أو أراد شكورا﴾ أى أن يشكر الله تعالى على مافيهما من النعم أو ليكونا وقتين للذاكرين من فاته ورده فى أحدهما تداركه فى الآخر وقرىء أن يذكر من ذكر بمعنى تذكر ﴿وعباد الرحمن﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان أوصاف خاص عباد الرحمن وأحوالهم الدنيوية والاخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له والاضافة للتشريف وهو مبتدأ خبره مابعده من الموصول وما عطف عليه وقيل هو مافى آخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة باسم الاشارة وقرىء عباد الرحمن أى عباده المقبولون ﴿الذين يمشون على الارض هونا﴾ أى بسكينة وتواضع وهونا مصدر وصف به ونصبه اما على أنه حال من فاعل يمشون أو على أنه نعت لمصدره أى يمشون هينين لينى الجانب من غير فظاظة أو مشيا هينا وقوله تعالى ﴿واذا خاطبهم الجاهلون﴾ أى السفهاء كما فى قول من قال

ألا لايجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

﴿قالوا سلاما﴾ بيان لحالهم فى المعاملة مع غيرهم اثر بيان حالهم فى أنفسهم أى اذا خاطبوهم بالسوء قالوا تسليما منكم ومتاركة لاخير بيننا وبينكم ولاشر وقيل سدادا من القول يسلمون به من الاذية والاثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع

الكفرة حتى يقال نسختها آية القتال كما نقل عن أبي العالية وقوله تعالى ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾ بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم أي يكونون ساجدين لربهم وقائمين أي يحيون الليل كلا أو بعضا بالصلاة وقيل من قرأ شيأ من القرآن في صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل ﴿والذين يقولون﴾ أي في أعقاب صلواتهم أو في عامة أوقاتهم ﴿ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما﴾ أي شرا دائما وهلاكا لازما وفيه مزيد مدح لهم ببيان أنهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون الى الله تعالى في صرفه عنهم غير محتفلين باعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون ﴿انها ساءت مستقرا ومقاما﴾ تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في نفسها اثر تعليله بسوء حال عذابها وقد جوز أن يكون تعليلا ثانيا للاولى وليس بذاك وساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها قيل ويجوز أن يكون ساءت بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أو تمييز وهو بعيد خال عما في الاول من المبالغة في بيان سوء حالها وكذا جعل التعليلين من جهته تعالى ﴿والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا﴾ لم يجاوزوا حد الكرم ﴿ولم يقتروا﴾ ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المعاصي والقتر منع الواجبات والقرب وقرئ بكسر التاء مع فتح الياء وبكسرها مخففة ومشددة مع ضم الياء ﴿وكان بين ذلك﴾ أي بين ماذكر من الاسراف والقتر ﴿قواما﴾ وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي به سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو مايقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان أو حال مؤكدة أو هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز أن يكون اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن ولا يخفى ضعفه فانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بشيء عن نفسه ﴿والذين لايدعون مع الله الها آخر﴾ شروع في بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان اتيانهم بالطاعات وذكر نفي الاسراف والقتر لتحقيق معنى الاقتصاد والتصريح بوصفهم بنفي الاشراك مع ظهور ايمانهم لاظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والاخلاص وتهويل أمر القتل والزنا بنظمهما في سلكه وللتعريض بما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم أي لا يعبدون معه تعالى الها آخر ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله﴾ أي حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه مبالغة في التحريم ﴿الا بالحق﴾ أي لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها أو لا يقتلون قتلا ما الا قتلا متلبسا بالحق أو لا يقتلونها في حال من الاحوال الا حال كونهم متلبسين بالحق ﴿ولا يزنون﴾ أي الذين لا يفعلون شيأ من هذه العظائم القبيحة التي جمعهن الكفرة حيث كانوا مع اشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها الموءودة مكبين على الزنا لا يرعوون عنه أصلا ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي ماذكر كما هو دأب الكفرة المذكورين ﴿يلق﴾ في الآخرة وقرئ يلقى وقرئ يلق بالتشديد مجزوما ﴿أثاما﴾ وهو جزاء الاثم كالوبال والنكال وزنا ومعنى وقيل هو الاثم أي يلق جزاء الاثم والتنوين على التقديرين للتفخيم وقرئ أياما أي شدائد يقال يوم ذو أيام لليوم الصعب ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة﴾ بدل من يلق لاتحادهما في المعنى كقوله

متى تأتنا تلم بنا في ديارنا ... تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وقرئ بالرفع على الاستئناف أو على الحالية وكذا ماعطف عليه وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب ﴿ويخلد فيه﴾ أي في ذلك العذاب المضاعف ﴿مهانا﴾ ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني وقرئ يخلد ويخلد مبنيا للمفعول من الاخلاد والتخليد وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات المنبئ عن شدة الغضب ومضاعفة

العذاب لانضمام المعاصي الى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى ﴿الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا﴾ وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته للاعمال السابقة ﴿فأولئك﴾ اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما أن الافراد في الافعال الثلاثة باعتبار لفظه أي أولئك الموصوفون بالتوبة والايمان والعمل الصالح ﴿يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعتهم أو يبدل بملكة المعصية ودواعيها في النفس ملكة الطاعة بأن يزيل الاولى ويأتي بالثانية وقيل بأن يوفقه لاضداد ماسلف منه أو بأن يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من المحو والاثبات ﴿ومن تاب﴾ أي عن المعاصي بتركها بالكلية والندم عليها ﴿وعمل صالحا﴾ يتلافى به مافرط منه أو خرج عن المعاصي ودخل في الطاعات ﴿فانه﴾ بما فعل ﴿يتوب الى الله﴾ أي يرجع اليه تعالى ﴿متابا﴾ أي متابا عظيم الشأن مرضيا عنده تعالى ماحيا للعقاب محصلا للثواب أو يتوب متابا الى الله تعالى الذي يحب التوابين ويحسن اليهم أو فانه يرجع اليه تعالى أو الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص ﴿والذين لايشهدون الزور﴾ لايقيمون الشهادة الكاذبة أو لايحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل مشاركة فيه ﴿واذا مروا﴾ على طريق الاتفاق ﴿باللغو﴾ أي مايجب أن يلغى ويطرح مما لاخير فيه ﴿مروا كراما﴾ معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به ﴿والذين اذا ذكروا بآيات ربهم﴾ المنطوية على المواعظ والاحكام ﴿لم يخروا عليها صما وعميانا﴾ أي أكبوا عليها سامعين بآذان واعية مجتلين لها بعيون راعية وانما عبر عن ذلك بنفي الضد تعريضا بما يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللغو ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا ساعده أهله في طاعة الله عز وجل وشاركوه فيها يسر بهم قلبه وتقر بهم عينه لما يشاهده من مشايعتهم له في مناهج الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة حسبما وعد بقوله تعالى ألحقنا بهم ذريتهم ومن ابتدائية أو بيانية وقرئ وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لأن المراد أعين المتقين ولاريب في قلتها نظرا الى غيرها ﴿واجعلنا للمتقين اماما﴾ أي اجعلنا بحيث يقتدون بنا في اقامة مراسم الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالتباس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا أو لأن المراد واجعل كل واحد منا اماما أو لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا وأنت خبير بأن مدار الكل صدور هذا الدعاء اما عن الكل بطريق المعية وأنه محال لاستحالة اجتماعهم في عصر واحد فما ظنك باجتماعهم في مجلس واحد واتفاقهم على كلمة واحدة واما عن كل واحد منهم بطريق تشريك غيره في استدعاء الامامة وأنه ليس بثابت جزما بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وأن عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلني للمتقين اماما خلا أنه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد الى الايجاز على طريقة قوله تعالى ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وأبقى اماما على حاله وقيل الامام جمع آم بمعنى قاصد كصيام جمع صائم ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم واعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الأول للايذان بأن كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله له شأن خطير حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولايجعل شئ من ذلك تتمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي كما في قوله

الى الملك القرم وابن الهمام   وليث الكتائب فى المزدحم

﴿أولئك﴾ اشارة الى المتصفين بما فصل فى حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكمل تميز منتظمون بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿يجزون الغرفة﴾ والجملة مستأنفة لامحل لها من الاعراب مبينة لما لهم فى الآخرة من السعادة الابدية اثر بيان مالهم فى الدنيا من الاعمال السنية والغرفة الدرجة العالية من المنازل وكل بناء مرتفع عال أى يثابون أعلى منازل الجنة وهى اسم جنس أريد به الجمع كقوله تعالى وهم فى الغرفات آمنون وقيل هى اسم من أسماء الجنة ﴿بما صبروا﴾ أى بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات و رفض الشهوات وتحمل المجاهدات ﴿ويلقون فيها﴾ من جهة الملائكة ﴿تحية وسلاما﴾ أى يحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات أو يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة وقيل يحيي بعضهم بعضا و يسلم عليه وقرىء يلقون من لقى ﴿خالدين فيها﴾ لايموتون و لا يخرجون ﴿حسنت مستقرا ومقاما﴾ الكلام فيه كالذى مر فى مقابله ﴿قل﴾ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبين للناس أن الفائزين بتلك النعماء الجليلة التى يتنافس فيها المتنافسون انما نالوها بما عدد من محاسنهم و لولاها لم يعتد بهم أصلا أى قل لهم كافة مشافها لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر ﴿مايعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم﴾ أى أى عبء يعبأ بكم وأى اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى حسبما مر تفصيله فان ماخلق له الانسان معرفته تعالى وطاعته والا فهو وسائر البهائم سواء وقال الزجاج معناه أى وزن يكون لكم عنده وقيل معناه مايصنع بكم ربى لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل مايصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة ويجوز أن تكون ما نافية وقوله تعالى ﴿فقد كذبتم﴾ بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما أن ماقبله بيان لحال المؤمنين منهم أى فقد كذبتم بما أخبرتكم به وخالفتموه أيها الكفرة ولم تعملوا عمل أولئك المذكورين وقيل فقد قصرتم فى العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرىء فقد كذب الكافرون أى الكافرون منكم لعموم الخطاب للفريقين وفائدته الايذان بأن مناط فوز أحدهما وخسران الآخر مع الاتحاد الجنسى المصحح للاشتراك فى الفوز ليس الا اختلافهما فى الأعمال ﴿فسوف يكون لزاما﴾ أى يكون جزاء التكذيب أو أثره لازما يحيق بكم لامحالة حتى يكبكم فى النار كما تعرب عنه الفاء الدالة على لزوم مابعدها لما قبلها وانما أضمر من غير ذكر للايذان بغاية ظهوره وتهويل أمره وللتنبيه على أنه مما لايكتنهه البيان وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رحمه الله هو القتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى وقرىء لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقى الله تعالى وهو مؤمن بأن الساعة آتية لاريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء

(مكية الا قوله والشعراء الى آخرها وهى مائتان وست أو سبع وعشرون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿طسم﴾ بتفخيم الالف وبامالتها واظهار النون وبادغامها فى الميم وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدى على أحد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف وهو أظهر من الرفع على الابتداء وقد مر وجهه فى مطلع سورة يونس عليه

السلام أو النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر أو اقرأ وتلك فى قوله تعالى ﴿ تلك آيات الكتاب المبين ﴾ اشارة الى السورة سواء كان طسم مسرودا على نمط التعديد أو اسما للسورة حسبما مر تحقيقه هناك وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار اليه فى الفخامة ومحله الرفع على أنه مبتدأ خبره مابعده وعلى تقدير كون طسم مبتدأ هو مبتدأ ثان أو بدل من الأول والمراد بالكتاب القرآن وبالمبين الظاهر اعجازه على أنه من أبان بمعنى بان أو المبين للاحكام الشرعية ومايتعلق بها أو الفاصل بين الحق والباطل والمعنى هى آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمراد بيان كونها بعضا منه ووصفها بما اشتهر به الكل من النعوت الفاضلة ﴿ لعلك باخع نفسك ﴾ أى قاتل وأصل البخع أن يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذبح وقرىء باخع نفسك على الاضافة ولعل للاشفاق أى اشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على مافاتك من اسلام قومك ﴿ أن لا يكونوا مؤمنين ﴾ أى لعدم ايمانهم بذلك الكتاب المبين أو خيفة أن لا يؤمنوا به وقوله تعالى ﴿ ان نشأ ﴾ الخ استئناف مسوق لتعليل مايفهم من الكلام من النهى عن التحسر المذكور ببيان أن ايمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله تعالى حتما فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء أعنى قوله تعالى ﴿ ننزل عليهم من السماء آية ﴾ أى ملجئة لهم الى الايمان قاسرة عليه وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ﴿ فظلت أعناقهم لها خاضعين ﴾ أى منقادين وأصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت الاعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم فى الصيغة أيضا كما فى قوله تعالى رأيتهم لى ساجدين وقيل أريد بها الرؤساء والجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس أى فوج منهم وقرىء خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على ننزل باعتبار محله وقوله تعالى ﴿ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين ﴾ بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب بغير ماذكر من الآية الملجئة لصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرص على اسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم أو بمحذوف هو صفة لذكر وأياما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة مافعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فان الاعراض عما يأتيهم من جنابه عز وجل على الاطلاق شنيع قبيح وعما يأتيهم بموجب رحمته تعالى لمحض منفعتهم أشنع وأقبح أى ما يأتيهم من موعظة من المواعظ القرآنية أو من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم أكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة أتم تنبيه كأنها نفس الذكر من جهته تعالى بمقتضى رحمته الواسعة مجدد تنزيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الا جددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب والاستهزاء واصرارا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال محله النصب على الحالية من مفعول يأتيهم باضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور أى ما يأتيهم من ذكر فى حال من الأحوال الا حال كونهم معرضين عنه ﴿ فقد كذبوا ﴾ أى كذبوا بالذكر الذى يأتيهم تكذيبا صريحا مقارنا للاستهزاء به ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا وأخرى أساطير وأخرى شعرا والفاء فى قوله تعالى ﴿ فسيأتيهم ﴾ لترتيب مابعدها على ماقبلها والسين لتأكيد مضمون الجملة وتقريره أى فسيأتيهم البتة من غير تخلف أصلا ﴿ أنباء ما كانوا به يستهزؤن ﴾ عدل عما يقتضيه سائر ماسلف من الاعراض والتكذيب للايذان بأنهما كانا مقارنين للاستهزاء كما أشير اليه حسبما وقع فى قوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن وأنباؤه ما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة والآجلة عبر عنها بذلك اما لكونها مما أنبأ بها القرآن

الكريم واما لأنهم بمشاهدتها يقفون على حقيقة حال القرآن كما يقفون على الاحوال الخافية عنهم باستماع الانباء وفيه تهويل له لان النبأ لا يطلق الا على خبر خطير له وقع عظيم أى فسيأتيهم لامحالة مصداق ما كانوا يستهزؤن به قبل من غير أن يتدبروا فى أحواله و يقفوا عليها ﴿أولم يروا﴾ الهمزة للانكار التوبيخى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أفعلوا مافعلوا من الاعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا ﴿الى الارض﴾ أى الى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الاقبال على ماأعرضوا عنه والى الايمان به وقوله تعالى ﴿كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ استئناف مبين لما فى الارض من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية الى الايمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لافادة الاحاطة والكثرة معا ومن كل زوج أى صنف تميز والكريم من كل شىء مرضيه ومحموده أى كثيرا من كل صنف مرضى كثير المنافع أنبتنا فيها وتخصيص انباته بالذكر دون ماعداه من الأصناف لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معا ويحتمل أن يراد به جميع أصناف النبات نافعها وضارها و يكون وصف الكل بالكرم للتنبيه على أنه تعالى ما أنبت شيأ الاوفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا فان الحكيم لايكاد يفعل فعلا الا وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون ﴿ان فى ذلك﴾ اشارة الى مصدر أنبتنا أو الى كل واحد من تلك الازواج وأياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته فى الفضل ﴿لآية﴾ أى آية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للايمان وازعة عن الكفر ﴿وما كان أكثرهم﴾ أى أكثر قومه عليه الصلاة والسلام ﴿مؤمنين﴾ قيل أى فى علم الله تعالى وقضائه حيث علم أزلا أنهم سيصرفون فيما لا يزال اختيارهم الذى عليه يدور أمر التكليف الى جانب الشر و لايتدبرون فى هذه الآيات العظام وقال سيبويه كان صلة والمعنى وما أكثرهم مؤمنين وهو الأنسب بمقام بيان عتوهم وغلوهم فى المكابرة والعناد مع تعاضد موجبات الايمان من جهته تعالى وأما نسبة كفرهم الى علمه تعالى وقضائه فربما يتوهم منها كونهم معذورين فيه بحسب الظاهر لان ماأشير اليه من التحقيق مما خفى على مهرة العلماء المتقنين كأنه قيل ان فى ذلك لآية باهرة موجبة للايمان وما أكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية تماديهم فى الكفر والضلالة وانهماكهم فى الغى والجهالة ونسبة عدم الايمان الى أكثرهم لان منهم من سيؤمن ﴿وان ربك لهو العزيز﴾ الغالب على كل مايريده من الأمور التى من جملتها الانتقام من هؤلاء ﴿الرحيم﴾ المبالغ فى الرحمة ولذلك يمهلهم ولايؤاخذهم بغتة بما اجترؤا عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات وفى التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام من الكفرة مالايخفى ﴿واذ نادى ربك موسى﴾ كلام مستأنف مسوق لتقرير ماقبله من اعراضهم عن كل ما يأتيهم من الآيات التنزيلية وتكذيبهم بها اثر بيان اعراضهم عما يشاهدونه من الآيات التكوينية واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى عليه الصلاة والسلام أى واذكر لأولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى اياه عليه الصلاة والسلام وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجرا لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيرا من أن يحيق بهم مثل ماحاق بأضرابهم المكذبين الظالمين حتى يتضح لك أنهم لايؤمنون بما يأتيهم من الآيات لكن لابقياس حال هؤلاء بحال أولئك فقط بل بمشاهدة اصرارهم على ماهم عليه بعد سماع الوحى الناطق بقصتهم وعدم اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله تعالى ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين عقيب كل قصة وتوجيه الأمر بالذكر الى الوقت مع أن المقصود تذكير ماوقع فيه من الحوادث قد مر سره مرارا ﴿أن ائت﴾ بمعنى أى ائت على أن أن مفسرة أو بأن ائت على أنها مصدرية حذف منها الجار ﴿القوم الظالمين﴾ أى بالكفر والمعاصى واستعباد بنى اسرائيل وذبح أبنائهم

وليس هذا مطلع ماورد فى حيز النداء وانما هو ما فصل فى سورة طه من قوله تعالى انى أنا ربك الى قوله لنريك من آياتنا الكبرى وايراد ماجرى فى قصة واحدة من المقالات بعبارات شتى وأساليب مختلفة قد مر تحقيقه فى أوائل سورة الأعراف عند قوله تعالى قال أنظرنى ﴿قوم فرعون﴾ بدل من الأول أو عطف بيان له جئ به للايذان بأنهم علم فى الظلم كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون والاقتصار على ذكر قومه للايذان بشهرة أن نفسه أول داخل فى الحكم ﴿ألا يتقون﴾ استئناف جئ به اثر ارساله عليه الصلاة والسلام اليهم للانذار تعجيبا من غلوهم فى الظلم وافراطهم فى العدوان وقرئ بتاء الخطاب على طريقة الالتفات المنبئ عن زيادة الغضب عليهم كأن ذكر ظلمهم أدى الى مشافهتهم بذلك وهم وان كانوا حينئذ غيبا لكنهم قد أجروا مجرى الحاضرين فى كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبتدأ اسماعهم مع مافيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتأمل وقرئ بكسر النون اكتفاء به عن ياء المتكلم وقد جوز أن يكون بمعنى ألا ياناس اتقون نحو أن لا يسجدوا ﴿قال﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية مامضى كأنه قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل قال متضرعا الى الله عز وجل ﴿رب انى أخاف أن يكذبون﴾ من أول الأمر ﴿و يضيق صدرى و لا ينطلق لسانى﴾ معطوفان على أخاف ﴿فأرسل﴾ أى جبريل عليه السلام ﴿الى هرون﴾ ليكون معى وأتعاضد به فى تبليغ الرسالة رتب عليه الصلاة والسلام استدعاءه ذلك على الأمور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وازدياد ما كان فيه عليه الصلاة والسلام من حبسة اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت تمس الحاجة الى معين يقوى قلبه و ينوب منابه اذا اعتراه حبسة حتى لا تختل دعوته و لا تنقطع حجته وليس هذا من التعلل والتوقف فى تلقى الأمر فى شئ وانما هو استدعاء لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذر فيه وقرئ و يضيق و لا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما يخاف منه ﴿ولهم على ذنب﴾ أى تبعة ذنب فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أو سمى باسمه والمراد به قتل القبطى وتسميته ذنبا بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله لهم وهذا اشارة الى قصة مبسوطة فى غير موضع ﴿فأخاف﴾ أى ان أتيتهم وحدى ﴿أن يقتلون﴾ بمقابلته قبل أداء الرسالة كما ينبغى وليس هذا أيضا تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالى ﴿قال كلا فاذهبا بآياتنا﴾ حكاية لاجابته تعالى الى الطلبتين الدفع المفهوم من الردع عن الخوف وضم أخيه المفهوم من توجيه الخطاب اليهما بطريق التغليب فانه معطوف على مضمر ينبئ عنه الردع كأنه قيل ارتدع ياموسى عما تظن فاذهب أنت ومن استدعيته وفى قوله بآياتنا رمز الى أنها تدفع ما تخافه وقوله تعالى ﴿انا معكم مستمعون﴾ تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى اننى معكما أسمع وأرى وحيث كان الموعود بمحضر من فرعون اعتبر ههنا فى المعية وقيل أجريا مجرى الجماعة و يأباه ما قبله وما بعده من ضمير التثنية أى سامعون مايجرى بينكما و بينه فنظهركما عليه مثل حاله تعالى بحال ذى شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجرى بينهم ليمد أولياءه و يظهرهم على أعدائهم مبالغة فى الوعد بالاعانة أو استعير الاستماع الذى هو بمعنى الاصغاء للسمع الذى هو العلم بالحروف والاصوات وهو خبر ثان أو خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء فى قوله تعالى ﴿فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين﴾ لترتيب ما بعدها على ماقبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تأكيد للامر بالذهاب لان معناه الوصول الى المأتى لا مجرد التوجه اليه كالذهاب وافراد الرسول اما باعتبار رسالة كل منهما أو لاتحاد مطلبهما أو لانه مصدر وصف به وأن فى قوله تعالى ﴿أن أرسل معنا بنى اسرائيل﴾ مفسرة لتضمن الارسال المفهوم من الرسول معنى القول ومعنى ارسالهم تخليتهم وشأنهم ليذهبوا معهما الى الشأم ﴿قال﴾ أى فرعون لموسى

عليه السلام بعد ما أتياه وقالا له ما أمرا به يروى أنهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك فأديا اليه الرسالة فعرف موسى عليه السلام فقال عند ذلك ﴿ألم نربك فينا﴾ فى حجرنا ومنازلنا ﴿وليدا﴾ أى طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده بالولادة ﴿ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين وأقام بها عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله عز وجل ثلاثين سنة ثم بقى بعد الغرق خمسين سنة وقيل وكز القبطى وهو ابن اثنتى عشرة سنة وفر منهم على اثر ذلك والله أعلم ﴿وفعلت فعلتك التى فعلت﴾ يعنى قتل القبطى بعد ما عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه وقرئ فعلتك بكسر الفاء لانها كانت نوعا من القتل ﴿وأنت من الكافرين﴾ أى بنعمتى حيث عمدت الى قتل رجل من خواصى أو أنت حينئذ ممن تكفرهم الآن وقد افترى عليه عليه الصلاة والسلام أو جهل أمره عليه الصلاة والسلام حيث كان يعايشهم بالتقية والا فأين هو عليه الصلاة والسلام من مشاركتهم فى الدين فالجملة حينئذ حال من احدى التاءين و يجوز أن يكون حكما مبتدأ عليه بأنه من الكافرين بالهيته أو ممن يكفرون فى دينهم حيث كانت لهم آلهة يعبدونها أو من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لايكون مثل هذه الجناية بدعا منه ﴿قال﴾ مجيبا له مصدقا له فى القتل ومكذبا فيما نسبه اليه من الكفر ﴿فعلتها اذا وأنا من الضالين﴾ أى من الجاهلين وقد قرئ كذلك لا من الكافرين كما زعمت افتراء أى من الفاعلين فعل الجهلة والسفهاء أو من المخطئين لانه لم يتعمد قتله بل أراد تأديبه أو الذاهبين عما يؤدى اليه الوكز أو الناسين كقوله تعالى أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ﴿ففررت منكم﴾ الى ربى ﴿لما خفتكم﴾ أن تصيبونى بمضرة وتؤاخذونى بما لا أستحقه بجنايتى من العقاب ﴿فوهب لى ربى حكما﴾ أى حكمة أو نبوة ﴿وجعلنى من المرسلين﴾ رد أولا بذلك ما وبخه به قدحا فى نبوته ثم كر على ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح فى دعواه بل نبه على أن ذلك كان فى الحقيقة نقمة فقال ﴿وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل﴾ أى تلك التربية نعمة تمن بها على ظاهرا وهى فى الحقيقة تعبيدك بنى اسرائيل وقصدك اياهم بذبح أبنائهم فانه السبب فى وقوعى عندك وحصولى فى تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار أى أو تلك نعمة تمنها على وهى أن عبدت بنى اسرائيل ومحل أن عبدت الرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أو بدل من نعمة أو الجر باضمار الباء أو النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وأن عبدت عطف بيان لها والمعنى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على وتوحيد الخطاب فى تمنها وجمعه فيما قبله لان المنة منه خاصة والخوف والفرار منه ومن ملئه ﴿قال فرعون﴾ لما سمع منه عليه الصلاة والسلام تلك المقالة المتينة وشاهد تصلبه فى أمره وعدم تأثره بما قدمه من الابراق والارعاد شرع فى الاعتراض على دعواه عليه الصلاة والسلام فبدأ بالاستفسار عن المرسل فقال ﴿ومارب العالمين﴾ حكاية لما وقع فى عبارته عليه الصلاة والسلام أى أى شئ رب العالمين الذى ادعيت أنك رسوله منكرا لأن يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله أنا ربكم الأعلى وقوله ماعلمت لكم من اله غيرى وينطق به وعيده عند تمام أجوبته عليه الصلاة والسلام ﴿قال﴾ موسى عليه السلام مجيبا له ﴿رب السموات والأرض ومابينهما﴾ بتعيين ما أراد بالعالمين وتفصيله لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة تزوير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين على ماتحت مملكته ﴿ان كنتم موقنين﴾ أى ان كنتم موقنين بالاشياء محققين لها علمتم ذلك أو ان كنتم موقنين بشئ من الأشياء فهذا أولى بالايقان لظهوره وانارة دليله ﴿قال﴾ أى فرعون عند سماع جوابه عليه الصلاة والسلام خوفا من تأثيره فى قلوب قومه واذعانهم له ﴿لمن حوله﴾ من أشراف قومه قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا خمسمائة عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة ﴿ألا تستمعون﴾ مرائيا لهم

أن ماسمعوه من جوابه عليه الصلاة والسلام مع كونه مما لايليق بأن يعتد به أمر حقيق بأن يتعجب منه كأنه قال ألا تستمعون مايقوله فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعي خلاف أمر محقق لااشتباه فيه يريد به ربوبية نفسه ﴿قال﴾ عليه الصلاة والسلام تصريحا بما كان مندرجا تحت جوابه السابقين ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ وحطا له من ادعاء الربوبية الى مرتبة المربوبية ﴿قال﴾ أى فرعون لما واجهه موسى عليه السلام بما ذكر غاظه ذلك وخاف من تأثر قومه منه فأراهم أن ماقاله عليه الصلاة والسلام مما لايصدر عن العقلاء صدا لهم عن قبوله فقال مؤكدا لمقالته الشنعاء بحرفي التأكيد ﴿ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون﴾ ليفتنهم بذلك ويصرفهم عن قبول الحق وسماه رسولا بطريق الاستهزاء وأضافه الى مخاطبيه ترفعا من أن يكون مرسلا الى نفسه ﴿قال﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿رب المشرق والمغرب ومابينهما﴾ قاله عليه الصلاة والسلام تكميلا لجوابه الأول وتفسيرا له وتنبيها على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته فان بيان ربوبيته تعالى للسموات والأرض ومابينهما وان كان متضمنا لبيان ربوبيته تعالى للخافقين ومابينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات السموات ومافيها وتغيرات أحوالها وأوضاعها وكون الأرض تارة مظلمة وأخرى منورة الى الله تعالى أرشدهم الى طريق معرفة ربوبيته تعالى لما ذكر فان ذكر المشرق والمغرب منبئ عن شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركات السموات ومافيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع الرصينة وكل ذلك أمور حادثة مفتقرة الى محدث قادر عليم حكيم لا كذوات السموات والأرض التى ربما يتوهم جهلة المتوهمين باستمرارها استغناءها عن الموجد المتصرف ﴿ان كنتم تعقلون﴾ أى ان كنتم تعقلون شيئا من الأشياء أو ان كنتم من أهل العقل علمتم أن الأمر كما قلته وفيه ايذان بغاية وضوح الأمر بحيث لايشتبه على من له عقل فى الجملة وتلويح بأنهم بمعزل من دائرة العقل وأنهم المتصفون بما رموه عليه الصلاة والسلام به من الجنون ﴿قال﴾ لما سمع اللعين منه عليه الصلاة والسلام تلك المقالات المبنية على أساس الحكم البالغة وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية أمره وأنه ممن لايجارى فى حلبة المحاورة ضرب صفحا عن المقاولة بالانصاف ونأى بجانبه الى عدوة الجور والاعتساف فقال مظهرا لما كان يضمره عند السؤال والجواب ﴿لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين﴾ لم يقتنع منه عليه الصلاة والسلام بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض له حتى كلفه عليه الصلاة والسلام أن يتخذه الها لغاية عتوه وغلوه فيما فيه من دعوى الالوهية وهذا صريح فى أن تعجبه وتعجيبه من الجواب الأول ونسبته عليه الصلاة والسلام الى الجنون فى الجواب الثانى كان لنسبته عليه الصلاة والسلام الربوبية الى غيره وأما ماقيل من أن سؤاله كان عن حقيقة المرسل وتعجبه من جوابه كان لعدم مطابقته له لكونه بذكر أحواله فلا يساعده النظم الكريم ولا حال فرعون ولا مقاله واللام فى المسجونين للعهد أى لأجعلنك ممن عرفت أحوالهم فى سجونى حيث كان يطرحهم فى هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لأسجننك ﴿قال أولو جئتك بشئ مبين﴾ أى أتفعل بى ذلك ولو جئتك بشئ مبين أى موضح لصدق دعواى يريد به المعجزة فانها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده والتعبير عنها بالشئ للتهويل قالوا الواو فى أولو جئتك للحال دخلت عليها همزة الاستفهام أى جائيا بشئ مبين وقد سلف منا مرارا أنها للعطف وأن كلمة لو ليست لانتفاء الشئ فى الزمان الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ماقبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هى لبيان تحقق مايفيده الكلام السابق من الحكم الموجب أو المنفى على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على أبعدها منه وأشدها منافاة له ليظهر بثبوته أو انتفائه معه ثبوته وانتفاؤه مع ماعداه من الاحوال بطريق

الاولوية لما أن الشيء متى تحقق مع المنافى القوى فلأن يتحقق مع غيره أولى ولذلك لايذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر العاطف للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها ليظهر ماذكر من تحقق الحكم على جميع الاحوال فانك اذا قلت فلان جواد يعطى ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الاعطاء منه على كل حال من أحواله المفروضة فتعلق الحكم بأبعدها منه ليظهر بتحققه معه تحققه مع ماعداه من الاحوال التى لامنافاة بينها وبين الحكم بطريق الأولوية المصححة للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كأنك قلت فلان جواد يعطى لولم يكن فقيرا ولوكان فقيرا أى يعطى حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال فى الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين لاالمذكورة على أن الواو للحال وتصدير المجيء بماذكر من كلمة لو دون ان ليس لبيان استبعاده فى نفسه بل بالنسبة الى فرعون والمعنى أتفعل بى ذلك حال عدم مجيئى بشيء مبين وحال مجيئى به ﴿قال فأت به ان كنت من الصادقين﴾ أى فيما يدل عليه كلامك من أنك تأتى بشيء مبين موضح لصدق دعواك أو فى دعوى الرسالة وجواب الشرط المحذوف لدلالة ماقبله عليه ﴿فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين﴾ أى ظاهر ثعبانيته لا أنه شيء يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب أى فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال فى سورة الاعراف وسورة طه ﴿ونزع يده﴾ من جيبه ﴿فاذا هى بيضاء للناظرين﴾ قيل لما رأى فرعون الآية الاولى وقال هل لك غيرها فأخرج يده فقال ماهذه قال فرعون يدك فما فيها فأدخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق ﴿قال للملأ حوله﴾ أى مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ﴿ان هذا لساحر عليم﴾ فائق فى فن السحر ﴿يريد أن يخرجكم﴾ قسرا ﴿من أرضكم بسحره فماذا تأمرون﴾ بهره سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده فى زعمه والامتثال بأمرهم أو الى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعد ما كان مستقلا فى الرأى والتدبير وأظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم لتنفيرهم عن موسى عليه السلام ﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ أخر أمرهما وقيل احبسهما ﴿وابعث فى المدائن حاشرين﴾ أى شرطا يحشرون السحرة ﴿يأتوك﴾ أى الحاشرون ﴿بكل سحار عليم﴾ فائق فى فن السحر وقرىء بكل ساحر ﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ هو ماعينه موسى عليه السلام بقوله موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ﴿وقيل للناس هل أنتم مجتمعون﴾ قيل لهم ذلك استبطاء لهم فى الاجتماع وحثا لهم على المبادرة اليه ﴿لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين﴾ اى نتبعهم فى دينهم ان كانوا هم الغالبين لاموسى عليه السلام وليس مرادهم بذلك أن يتبعوا دينهم حقيقة وانما مرادهم أن لايتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام والجد فى المغالبة ﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا﴾ أى أجرا عظيما ﴿ان كنا نحن الغالبين﴾ لاموسى عليه السلام ﴿قال نعم﴾ لكم ذلك ﴿وانكم﴾ مع ذلك ﴿اذا لمن المقربين﴾ عندى قيل قال لهم تكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج عنى وقرىء نعم بكسر العين وهما لغتان ﴿قال لهم موسى﴾ أى بعد ماقال له السحرة اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى ﴿ألقوا ماأنتم ملقون﴾ ولم يرد به الامر بالسحر والتمويه بل الاذن فى تقديم ماهم فاعلوه البتة توسلا به الى اظهار الحق وابطال الباطل ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا﴾ أى وقد قالوا عند الالقاء ﴿بعزة فرعون انا لنحن الغالبون﴾ قالوا ذلك لفرط اعتقادهم فى أنفسهم واتيانهم بأقصى مايمكن أن يؤتى به من السحر ﴿فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف﴾ أى تبتلع بسرعة وقرىء تلقف بحذف احدى التاءين من تتلقف ﴿ما يأفكون﴾ أى مايقلبونه من وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى أو افكهم تسمية للمأفوك بمبالغة ﴿فألقى السحرة ساجدين﴾ أى اثر ماشاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد غير

من الكين كأن ملقيا ألقاهم لعلمهم بأن مثل ذلك خارج عن حدود السحر وأنه أمر الهى قد ظهر على يده عليه الصلاة والسلام لتصديقه وفيه دليل على أن قصارى ما ينتهى اليه همم السحرة هو التمويه والتزوير وتخييل شئ لاحقيقة له ﴿قالوا آمنا برب العالمين﴾ بدل اشتمال من ألقى أو حال باضمار قد وقوله تعالى ﴿رب موسى وهرون﴾ بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم ارادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك وللاشعار بأن الموجب لايمانهم به تعالى ما أجراه على أيديهما من المعجزة القاهرة ﴿قال﴾ أى فرعون للسحرة ﴿آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ أى بغير أن آذن لكم كما فى قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى لا أن الاذن منه ممكن أو متوقع ﴿انه لكبيركم الذى علمكم السحر﴾ فتواطأتم على مافعلتم أو علمكم شيئا دون شئ فلذلك غلبكم أراد بذلك التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرئ أآمنتم بهمزتين ﴿فلسوف تعلمون﴾ أى وبال مافعلتم وقوله ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين﴾ بيان لما أوعدهم به ﴿قالوا﴾ أى السحرة ﴿لاضير﴾ لاضرر فيه علينا وقوله تعالى ﴿إنا الى ربنا منقلبون﴾ تعليل لعدم الضير أى لاضير فى ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم أو لاضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لابد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهونها وأرجاها وقوله تعالى ﴿انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا﴾ أى لأن كنا ﴿أول المؤمنين﴾ أى من أتباع فرعون أو من أهل المشهد تعليل ثان لنفى الضير أى لاضير علينا فى ذلك انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا لكوننا أول المؤمنين وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة أو على طريقة قول المدل بأمره كقول العامل لمستأجر أخر أجرته ان كنت عملت لك فوفنى حقى ﴿وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى﴾ وذلك بعد بضع سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الاعتوا وعنادا حسبما فصل فى سورة الاعراف بقوله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين الآيات وقرئ بكسر النون ووصل الألف من سرى وقرئ أن سر من السير ﴿انكم متبعون﴾ تعليل للأمر بالاسراء أى يتبعكم فرعون وجنوده مصبحين فأسر بمن معك حتى لايدركوكم قبل الوصول الى البحر فيدخلوا مداخلكم فأطبقه عليهم فأغرقهم ﴿فأرسل فرعون﴾ حين أخبر بمسيرهم ﴿فى المدائن حاشرين﴾ جامعين للعساكر ليتبعوهم ﴿ان هؤلاء﴾ يريد بنى اسرائيل ﴿لشرذمة قليلون﴾ استقلهم وهم ستمائة ألف وسبعون ألفا بالنسبة الى جنوده اذ روى أنه أرسل فى أثرهم ألف ألف وخمسمائة ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون فى جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما خرج فرعون فى ألف ألف حصان سوى الاناث ﴿وانهم لنا لغائظون﴾ أى فاعلون مايغيظنا ﴿وانا لجميع حاذرون﴾ يريد أنهم لقلتهم لايبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الأمور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى اطفاء نائرة فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى أهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون فالأول دال على التجدد والثانى على الثبات وقيل الحاذر المؤدى فى السلاح وقرئ حادرون بالدال المهملة أى أقوياء وأشداء وقيل مدججون فى السلاح قد كسبهم ذلك حدارة فى أجسامهم ﴿فأخرجناهم﴾ بأن خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه ﴿من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم﴾ كانت لهم جملة ذلك ﴿كذلك﴾ اما مصدر تشبيهى لأخرجنا أى مثل ذلك الاخراج العجيب أخرجناهم أو صفة لمقام كريم أى من مقام كريم كائن كذلك أو خبر لمبتدا محذوف أى الأمر كذلك ﴿وأورثناها بنى اسرائيل﴾ أى ملكناها اياهم على طريقة تمليك مال المورث للوارث كأنهم ملكوها من حين خروج أربابها منها قبل

أن يقبضوها و يتسلوها ﴿فأتبعوهم﴾ أى فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم ﴿مشرقين﴾ داخلين فى وقت شروق الشمس أى طلوعها ﴿فلما تراءى الجمعان﴾ تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان ﴿قال أصحاب موسى انا لمدركون﴾ جاؤا بالجملة الاسمية مؤكدة بحرفى التأكيد للدلالة على تحقق الادراك واللحاق وتنجزهما وقرئ لمدركون بتشديد الدال من ادرك الشئ اذا تتابع ففنى أى لمتابعون فى الهلاك على أيديهم ﴿قال كلا﴾ ارتدعوا عن ذلك فانهم لايدركونكم ﴿ان معى ربى﴾ بالنصرة والهداية ﴿سيهدين﴾ البتة الى طريق النجاة منهم بالكلية روى أن يوشع عليه السلام قال ياكليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا قال عليه السلام ههنا فخاض يوشع عليه السلام الماء وضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فكان ماكان وروى أن مؤمنا من آل فرعون كان بين يدى موسى عليه السلام فقال أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال عليه السلام أمرت بالبحر ولعلى أومر بما أصنع فأمر بما أمر به وذلك قوله تعالى ﴿فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر﴾ القلزم أو النيل ﴿فانفلق﴾ الفاء فصيحة أى فضرب فانفلق فصار اثنى عشر فرقا بعدد الاسباط بينهن مسالك ﴿فكان كل فرق﴾ حاصل بالانفلاق ﴿كالطود العظيم﴾ كالجبل المنيف الثابت فى مقره فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب منها ﴿وأزلفنا﴾ أى قربنا ﴿ثم الآخرين﴾ أى فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم ﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾ بحفظ البحر على تلك الهيئة الى أن عبروا الى البر ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ باطباقه عليهم ﴿ان فى ذلك﴾ أى فى جميع مافصل مما صدر عن موسى عليه السلام وظهر على يديه من المعجزات القاهرة وبما فعل فرعون وقومه من الأقوال والأفعال وما فعل بهم من العذاب والنكال وما فى اسم الاشارة من معنى البعد لتهويل أمر المشار اليه وتفظيعه كتنكير الآية فى قوله تعالى ﴿لآية﴾ أى آية آية أو آية عظيمة لاتكاد توصف موجبة لأن يعتبر بها المعتبرون ويقيسوا شأن النبى عليه الصلاة والسلام بشأن موسى عليه السلام وحال أنفسهم بحال أولئك المهلكين ويجتنبوا تعاطى ماكانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصى ومخالفة الرسول ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ماحل بأولئك أو ان فيما فصل من القصة من حيث حكايته عليه الصلاة والسلام اياها على ماهى عليه من غير أن يسمعها من أحد لآية عظيمة دالة على أن ذلك بطريق الوحى الصادق موجبة للايمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿وما كان أكثرهم﴾ أى أكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عليه الصلاة والسلام ﴿مؤمنين﴾ لابأن يقيسوا شأنه بشأن موسى عليهما السلام وحال أنفسهم بحال أولئك المكذبين المهلكين ولابأن يتدبروا فى حكايته عليه الصلاة والسلام لقصتهم من غير أن يسمعها من أحد مع كون كل من الطريقين مما يؤدى الى الايمان قطعا ومعنى ما كان أكثرهم مؤمنين وما أكثرهم مؤمنين على أن كان زائدة كما هو رأى سيبويه فيكون كقوله تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهو اخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعدما سمعوا الآيات الناطقة بالقصة تقريرا لما مر من قوله تعالى ومايأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الخ وايثار الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الايمان واستمرارهم عليه ويجوز أن يجعل كان بمعنى صار كما فعل ذلك فى قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وماصار أكثرهم مؤمنين مع ماسمعوا من الآية العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقين فيكون الاخبار بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة على كمال تحققه وتقرره كقوله تعالى أتى أمر الله الآية ﴿وان ربك لهو العزيز﴾ الغالب على كل مايريده من الأمور التى من جملتها الانتقام من المكذبين ﴿الرحيم﴾ المبالغ فى الرحمة ولذلك يمهلهم ولايعجل عقوبتهم بعدم ايمانهم بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة بطريق الوحى مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذى يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة الكريمة

الى آخر القصص السبع بل الى آخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لاريب فيه وأما ماقيل من أن ضمير أكثرهم لأهل عصر فرعون من القبط وغيرهم وأن المعنى وما كان أكثر أهل مصر مؤمنين حيث لم يؤمن منهم الا آسية وحزقيل ومريم ابنة ياموشا التى دلت على تابوت يوسف عليه السلام وبنو اسرائيل بعد مانجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبمعزل من التحقيق كيف لا ومساق كل قصة من القصص الواردة فى السورة الكريمة سوى قصة ابراهيم عليه السلام انما هو لبيان حال طائفة معينة قد عتوا عن أمر ربهم وعصوا رسله عليهم الصلاة والسلام كما يفصح عنه تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين بعد ماشاهدوا بأيديهم من الآيات العظام مايوجب عليهم الايمان ويزجرهم عن الكفر والعصيان وأصروا على ماهم عليه من التكذيب فعاقبهم الله تعالى لذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن أن يعبر عنهم بعدم ايمان أكثرهم لاسيما بعد الاخبار باهلاكهم وعد المؤمنين من جملتهم أولا واخراجهم منها آخرا مع عدم مشاركتهم لهم فى شئ مما حكى عنهم من الجنايات أصلا مما يوجب تنزيه التنزيل عن أمثاله فتدبر ﴿واتل عليهم﴾ عطف على المضمر المقدر عاملا لاذنادى الخ أى واتل على المشركين ﴿نبأ ابراهيم﴾ أى خبره العظيم الشأن حسبما أوحى اليك لتقف على ماذكر من عدم ايمانهم بما يأتيهم من الآيات بأحد الطريقين ﴿اذ قال﴾ منصوب اما على الظرفية للنبأ أى نبأه وقت قوله ﴿لأبيه وقومه﴾ أو على المفعولية لاتل على أنه بدل من نبأ أى واتل عليهم وقت قوله لهم ﴿ماتعبدون﴾ على أن المتلو ماقاله لهم فى ذلك الوقت سألهم عليه الصلاة والسلام عن ذلك ليبنى على جوابهم أن مايعبدونه بمعزول من استحقاق العبادة بالكلية ﴿قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين﴾ لم يقتصروا على الجواب الكافى بأن يقولوا أصناما كما فى قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ماذا أنزل ربكم قالوا الحق ونظائرهما بل أطنبوا فيه باظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على أصنامهم قصدا الى ابراز مافى نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وصلة العكوف كلمة على وايراد اللام لافادة معنى زائد كأنهم قالوا فنظل لاجلها مقبلين على عبادتها أو مستديرين حولها وهذا أيضا من جملة اطنابهم ﴿قال﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من تفصيل جوابهم ﴿هل يسمعونكم﴾ أى هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف أو يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا يقول كيت وكيت فحذف لدلالة قوله تعالى ﴿اذ تدعون﴾ عليه وقرئ هل يسمعونكم من الاسماع أى هل يسمعونكم شيئا من الاشياء أو الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وصيغة المضارع مع اذ على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها كأنه قيل لهم استحضروا الاحوال الماضية التى كنتم تدعونها فيها وأجيبوا هل سمعوا أو أسمعوا قط ﴿أو ينفعونكم﴾ بسبب عبادتكم لها ﴿أو يضرون﴾ أى يضرونكم بترككم لعبادتها اذ لابد للعبادة لاسيما عند كونها على ماوصفتم من المبالغة فيها من جلب نفع أو دفع ضر ﴿قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾ اعترفوا بأنها بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا الى اظهار أن لاسند لهم سوى التقليد أى ماعلمنا أو مارأينا منهم ماذكر من الامور بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون أى مثل عبادتنا يعبدون فاقتدينا بهم ﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون﴾ أى أنظرتم فأبصرتم أو تأملتم فعلمتم أما كنتم تعبدونه ﴿أنتم وآباؤكم الأقدمون﴾ حق الابصار أو حق العلم وقوله ﴿فانهم عدو لى﴾ بيان لحال مايعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك أى فاعلموا أنهم أعداء لعابديهم الذين يحبونهم كحب الله تعالى لما أنهم يتضررون من جهتهم فوق مايتضرر الرجل من جهة عدوه أو لأن من يغريهم على عبادتهم ويحملهم عليها هو الشيطان الذى هو أعدى عدو الانسان لكنه عليه الصلاة والسلام صور الامر فى نفسه تعريضا بهم فانه أنفع فى النصيحة

من التصريح واشعارا بأنها نصيحة بدأبها نفسه ليكون أدعى الى القبول والعدو والصديق يجيئان فى معنى الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل ﴿الا رب العالمين﴾ استثناء منقطع أى لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو وليى فى الدنيا والآخرة لايزال يتفضل على بمنافعهما حسبما يعرب عنه ماوصفه تعالى به من أحكام الولاية وقيل متصل وهو قول الزجاج على أن الضمير لكل معبود وكان من آبائهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى ﴿الذى خلقنى﴾ صفة لرب العالمين وجعله مبتدأ وما بعده خبرا غير حقيق بجزالة التنزيل وانما وصفه تعالى بذلك وبما عطفه عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته تعالى للعالمين تصريحا بالنعم الخاصة به عليه الصلاة والسلام وتفصيلا لها لكونها أدخل فى اقتضاء تخصيص العبادة به تعالى وقصر الالتجاء فى جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة عليه تعالى ﴿فهو يهدين﴾ أى هو يهدينى وحده الى كل مايهمنى ويصلحنى من أمور الدين والدنيا هداية متصلة بحين الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبىء عنه الفاء وصيغة المضارع فانه تعالى يهدى كل ماخلقه لما خلق له من أمور المعاش والمعاد هداية متدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى أجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره اما طبعا واما اختيارا مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين لامتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بنعيمها المقيم ﴿والذى هو يطعمنى و يسقين﴾ عطف على الصفة الاولى وتكرير الموصول فى المواقع الثلاثة مع كفاية عطف ماوقع فى حيز الصلة من الجمل الست على صلة الموصول الاول للايذان بأن كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل له تعالى مستقل فى استيجاب الحكم حقيق بأن تجرى عليه تعالى بحيالها ولا تجعل من روادف غيرها ﴿واذا مرضت فهو يشفين﴾ عطف على يطعمنى و يسقين نظم معهما فى سلك الصلة لموصول واحد لما أن الصحة والمرض من متفرعات الاكل والشرب غالبا ونسبة المرض الى نفسه والشفاء الى الله تعالى مع أنهما منه تعالى لمراعاة حسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فأردت أن أعيبها وقال فأراد ربك أن يبلغا أشدهما وأما الاماتة فحيث كانت من معظم خصائصه تعالى كالاحياء بدءا واعادة وقد نيطت أمور الآخرة جميعا بها وبما بعدها من البعث نظمهما فى سمط واحد فى قوله تعالى ﴿والذى يميتنى ثم يحيين﴾ على أن الموت لكونه ذريعة الى نيله عليه الصلاة والسلام للحياة الابدية بمعزل من أن يكون غير مطبوع عنده عليه الصلاة والسلام ﴿والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين﴾ ذكره عليه الصلاة والسلام هضما لنفسه وتعليما للامة أن يجتنبوا المعاصى ويكونوا على حذر وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافيا لما عسى يندر منه عليه الصلاة والسلام من الصغائر وتنبيها لابيه وقومه على أن يتأملوا فى أمرهم فيقفوا على أنهم من سوء الحال فى درجة لايقادر قدرها فان حاله عليه الصلاة والسلام مع كونه فى طاعة الله تعالى وعبادته فى الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال أولئك المغمورين فى الكفر وفنون المعاصى والخطايا وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث انى سقيم بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هى أختى مما لاسبيل اليه لانها مع كونها معاريض لامن قبيل الخطايا المفتقرة الى الاستغفار انما صدرت عنه عليه الصلاة والسلام بعد هذه المقاولة الجارية بينه و بين قومه أما الثالثة فظاهرة لوقوعها بعد مهاجرته عليه الصلاة والسلام الى الشأم وأما الأوليان فلانهما وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن البين أن جريان هذه المقالات فيما بينهم كان فى مبادى الامر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع أنها انما تغفر فى الدنيا لان أثرها يومئذ يتبين ولان فى ذلك تهويلا له واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان لم تغفر ﴿رب هب لى حكما﴾ بعد ماذكر عليه الصلاة والسلام لهم فنون الالطاف الفائضة عليه من الله عز وجل من مبدأ خلقه الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم الحكمة التى هى الكمال فى العلم

والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق ﴿ وألحقني بالصالحين ﴾ و وفقني من العلوم والاعمال والملكات لما يرشحني للانتظام في زمرة الكاملين الراسخين في الصلاح المنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها أو اجمع بيني وبينهم في الجنة ولقد أجابه تعالى حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين ﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾ أي جاها وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى أثره الى يوم الدين ولذلك لاترى أمة من الامم الاوهي محبة له ومثنية عليه أو صادقا من ذريتي يجدد أصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت أدعوهم اليه من التوحيد وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام أنادعوة أبي ابراهيم ﴿ واجعلني ﴾ في الآخرة ﴿ من ورثة جنة النعيم ﴾ وقد مر معنى الوراثة في سورة مريم ﴿ واغفر لأبي ﴾ بالهداية والتوفيق للايمان كما يلوح به تعليله بقوله ﴿ انه كان من الضالين ﴾ أي طريق الحق وقد مر تحقيق المقام في تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما لامزيد عليه ﴿ ولاتخزني ﴾ بمعاتبتي على ما فرطت أو بنقص رتبتي عن بعض الوراث أو بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا كل ذلك مبني على هضم النفس منه عليه الصلاة والسلام أو بتعذيب والدي أو ببعثه في عداد الضالين بعدم توفيقه للايمان وهو من الخزي بمعنى الهوان أو من الخزاية بمعنى الحياء ﴿ يوم يبعثون ﴾ أي الناس كافة والاضمار قبل الذكر لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية عنه وتخصيصه بالضالين مما يخل بتهويل اليوم ﴿ يوم لاينفع مال ولا بنون ﴾ بدل من يوم يبعثون جيء به تأكيدا للتهويل وتمهيدا لما يعقبه من الاستثناء وهو من أعم المفاعيل أي لاينفع مال وان كان مصروفا في الدنيا الى وجوه البر والخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء مستأهلين للشفاعة أحدا ﴿ الا من أتى الله بقلب سليم ﴾ أي عن مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالايمان وفيه تأييد لكون استغفاره عليه الصلاة والسلام لابيه طلبا لهدايته الى الايمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافرا مع علمه عليه الصلاة والسلام بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة وقيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف أي الامال من أو بنو من أتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ليس من جنس المستثنى منه حقيقة بل بضرب من الاعتبار كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع أي الا حال من أتى الله بقلب سليم على أنها عبارة عن سلامة القلب كأنه قيل الاسلامة قلب من أتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف مادل عليه المال والبنون من الغنى وهو المستثنى منه كأنه قيل يوم لاينفع غنى الاغنى من أتى الله الآية لأن غنى المرء في دينه بسلامة قلبه وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن سلامة قلبه تنفعه ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين ﴾ عطف على لاينفع وصيغة الماضي فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره كما أن صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه مقام التهويل والتفظيع أي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على مافيها من فنون المحاسن فيبتهجون بأنهم المحشورون اليها ﴿ وبرزت الجحيم للغاوين ﴾ الضالين عن طريق الحق الذي هو الايمان والتقوى أي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع مافيها من أنواع الأحوال الهائلة ويوقنون بأنهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا ﴿ وقيل لهم أينما كنتم ﴾ في الدنيا ﴿ تعبدون من دون الله ﴾ أي أين آلهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شفعاؤكم في هذا الموقف ﴿ هل ينصرونكم ﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿ أو ينتصرون ﴾ بدفعه عن أنفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لايتوقع له جواب ولذلك قيل ﴿ فكبكبوا فيها ﴾ أي ألقوا في الجحيم على وجوههم مرة بعد أخرى الى أن يستقروا في قعرها ﴿ هم ﴾ أي آلهتهم ﴿ والغاوون ﴾ الذين كانوا يعبدونهم وفي تأخير ذكرهم عن ذكر آلهتهم رمز الى أنهم يؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غما الى غمهم ﴿ وجنود ابليس ﴾ أي شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون

اليهم و يسولون لهم ماهم عليه من عبادة الاصنام وسائر فنون الكفر والمعاصى ليجتمعوا فى العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل متبعوه من عصاة الثقلين والأول هو الوجه ﴿أجمعون﴾ تأكيد للضمير وما عطف عليه وقوله تعالى ﴿قالوا﴾ الخ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم مافعل فقيل قال العبدة ﴿وهم فيها يختصمون﴾ أى قالوا معترفين بخطئهم فى انهماكهم فى الضلالة متحسرين معيرين لانفسهم والحال أنهم فى الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوديهم على أن الله تعالى يجعل الاصنام صالحة للاختصام بأن يعطيها القدرة على الفهم والنطق ﴿تالله ان كنا لفى ضلال مبين﴾ ان مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذى هو ضمير الشان واللام فارقة بينها و بين النافية أى ان الشأن كنا فى ضلال واضح لاخفاء فيه و وصفهم له بالوضوح للاشباع فى اظهار ندمهم وتحسرهم و بيان عظم خطئهم فى رأيهم مع وضوح الحق كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة بالتعجب وقوله تعالى ﴿اذ نسويكم برب العالمين﴾ ظرف لكونهم فى ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام أى ضللنا وقيل للضلال المذكور وان كان فيه ضعف صناعى من حيث ان المصدر الموصوف لايعمل بعد الوصف وقيل ظرف لمبين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية أى تالله لقد كنا فى غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم أيها الأصنام فى استحقاق العبادة برب العالمين الذى أنتم أدنى مخلوقاته وأذلهم وأعجزهم وقولهم ﴿وما أضلنا الا المجرمون﴾ بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لاعلى معنى قصر الاضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى قصر ضلالهم على كونه بسبب اضلالهم من غير أن يستقلوا فى تحققه أو يكون بسبب اضلال الغير كأنه قيل وما صدر عنا ذلك الضلال الفاحش الا بسبب اضلالهم والمراد بالمجرمين الذين أضلوهم رؤساؤهم و كبراؤهم كما فى قوله تعالى ربنا انا أطعنا سادتنا و كبراءنا فأضلونا السبيلا وعن السدى رحمه الله الأولون الذين اقتدوا بهم وأياما كان ففيه أوفر نصيب من التعريض للذين قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه أول من سن القتل وأنواع المعاصى ﴿فما لنا من شافعين﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ولا صديق حميم﴾ كما نرى لهم أصدقاء أو فما لنا من شافعين و لاصديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء على أن عدمهما كناية عن عداوتهما كما أن عدم المحبة فى مثل قوله تعالى والله لايحب الفساد كناية عن البغض حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أو وقعنا فى مهلكة لايخلصنا منها شافع و لا صديق على أن المراد بعدمهما عدم أثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما أن افراد الصديق لقلته أو لصحة اطلاقه على الجمع كالعدو تشبيها لهما بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لو فى قوله تعالى ﴿فلو أن لنا كرة﴾ للتمنى كليت لما أن بين معنييهما تلاقيا فى معنى الفرض والتقدير كأنه قيل فليت لنا كرة أى رجعة الى الدنيا وقيل هى على أصلها من الشرط وجوابه محذوف كأنه قيل فلو أن لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت و يأباه قوله تعالى ﴿فنكون من المؤمنين﴾ لتحتم كونه جوابا للتمنى مفيد الترتب ايمانهم على وقوع الكرة البتة بلاتخلف كما هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريقة للبس عباءة وتقر عينى كما يستدعيه كون لو على أصلها انما يفيد تحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق كرتهم وايمانهم معا من غير دلالة على استلزام الكرة للايمان أصلا مع أنه المقصود حتما ﴿ان فى ذلك﴾ أى فيما ذكر من نبأ ابراهيم عليه السلام المشتمل على بيان بطلان ما كان عليه أهل مكة من عبادة الاصنام وتفصيل ما يؤول اليه أمر عبدتها يوم القيامة من اعترافهم بخطئهم الفاحش وندمهم وتحسرهم على مافاتهم من الايمان وتمنيهم الرجعة الى الدنيا ليكونوا من المؤمنين عند مشاهدتهم لما أزلفت لهم جنات النعيم و برزت لانفسهم الجحيم وغشيهم ماغشيهم من

ألوان العذاب وأنواع العقاب ﴿لآية﴾ أى آية عظيمة لا يقادر قدرها موجبة على عبدة الاصنام كافة لاسيما على أهل مكة الذين يدعون أنهم على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام أن يجتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها خوفا أن يحيق بهم مثل ما حاق بأولئك من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجبه أو ان فى ذكر نبئه وتلاوته عليهم على ما هو عليه من غير أن تسمعه من أحد لآية عظيمة دالة على أن ما تتلوه عليهم وحى صادق نازل من جهة الله تعالى موجبة للايمان به قطعا ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ أى أكثر هؤلاء الذين تتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصرون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال وأما أن ضمير أكثرهم لقوم ابراهيم عليه السلام كما توهموا فمما لا سبيل اليه أصلا لظهور أنهم ما ازدادوا بما سمعوا منه عليه الصلاة والسلام الا طغيانا وكفرا حتى اجترؤا على تلك العظيمة التى فعلوها به عليه الصلاة والسلام فكيف يعبر عنهم بعدم ايمان أكثرهم وانما آمن له لوط فنجاهما الله عز وجل الى الشأم وقد مر بقية الكلام فى آخر قصة موسى عليه السلام ﴿وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ أى هو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم أو من ذرياتهم ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الأمة وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار اجماع الكل على التوحيد وأصول الشرائع التى لا تختلف باختلاف الازمنة والاعصار واما لأن المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة وبردة واذ فى قوله تعالى ﴿اذ قال لهم﴾ ظرف للتكذيب على أنه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين الى تمام الامر كما أن تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين ابتداء دعوته عليه الصلاة والسلام الى انتهائها ﴿أخوهم﴾ أى نسيبهم ﴿نوح ألا تتقون﴾ الله حيث تعبدون غيره ﴿انى لكم رسول﴾ من جهته تعالى ﴿أمين﴾ مشهور بالامانة فيما بينكم ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى ﴿وما أسألكم عليه﴾ أى على ما أنا متصد له من الدعاء والنصح ﴿من أجر﴾ أصلا ﴿ان أجرى﴾ فيما أتولاه ﴿الا على رب العالمين﴾ والفاء فى قوله تعالى ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها من تنزهه عليه الصلاة والسلام عن الطمع كما أن نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على أمانته والتكرير للتأكيد والتنبيه على أن كلا منهما مستقل فى ايجاب التقوى والطاعة فكيف اذا اجتمعا وقرىء ان أجرى بسكون الياء ﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ أى الأقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة فانه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر وقيل جمع أرذل جمع رذل كالكالب وأكلب وكلب وقرىء وأتباعك وهو جمع تابع كشاهد وأشهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال يعنون أنه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصابة رأى وقد كان ذلك منهم فى بادىء الرأى كما ذكر فى موضع آخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم أنظارهم على حطام الدنيا وكون الاشرف عندهم من هو أكثر منها حظا والارذل من حرمها وجهلهم بأنها لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة وأن النعيم هو نعيم الآخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه ﴿قال وما علمى بما كانوا يعملون﴾ جواب عما أشير اليه من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة أى وما وظيفتى الا اعتبار الظواهر وبناء الاحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم ﴿ان حسابهم﴾ أى ما محاسبة أعمالهم والتنقير عن كيفياتها البارزة والكامنة ﴿الا على ربى﴾ فانه المطلع على السرائر والضمائر ﴿لو تشعرون﴾ أى بشىء من الاشياء أو لو كنتم من أهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون ﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ جواب عما أوهمه كلامهم من استدعاء طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعا عنه وقوله ﴿ان أنا الا نذير مبين﴾ كالعلة له أى ما أنا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصى سواء كانوا من الاعزاء أو الاذلاء

فكيف يتسنى لى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء أو ماعلى الا انذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته وما على استرضاء بعضكم
بطرد الآخرين ﴿قالوا لئن لم تنته يانوح﴾ عما تقول ﴿لتكونن من المرجومين﴾ من المشتومين أو المرميين بالحجارة
قالوه قاتلهم الله تعالى فى أواخر الامر ومعنى قوله تعالى ﴿قال رب ان قومى كذبون﴾ تموا على تكذيبى وأصروا على
ذلك بعد مادعوتهم هذه الازمنة المتطاولة ولم يزدهم دعائى الا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله ﴿فافتح بينى وبينهم فتحا﴾
أى احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه حكاية اجمالية لدعائه المفصل فى سورة نوح عليه السلام ﴿ونجنى ومن
معى من المؤمنين﴾ أى من قصدهم أومن شؤم أعمالهم ﴿فأنجيناه ومن معه﴾ حسب دعائه ﴿فى الفلك المشحون﴾
أى المملوء بهم وبما لابدلهم منه ﴿ثم أغرقنا بعد﴾ أى بعد انجائهم ﴿الباقين﴾ أى من قومه ﴿ان فى ذلك لآية وما
كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ الكلام فيه كالذى مر خلا أن حمل أكثرهم على أكثر قوم نوح أبعد
من السداد وأبعد ﴿كذبت عاد المرسلين﴾ انث عاد باعتبار القبيلة وهو اسم أبيهم الاقصى ﴿اذ قال لهم أخوهم هود
ألا تتقون﴾ الكلام فى أن المراد بتكذيبهم وبما وقع فيه من الزمان ماذا كما مر فى صدر قصة نوح عليه السلام أى الاتتقون
الله تعالى فتفعلون ماتفعلون ﴿انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب
العالمين﴾ الكلام فيه كالذى مر وتصدير القصص به للتنبيه على أن مبنى البعثة هو الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب
المدعو الى الثواب ويبعده من العقاب وأن الانبياء عليهم الصلاة والسلام مجمعون على ذلك وان اختلفوا فى بعض فروع
الشرائع المختلفة باختلاف الازمنة والاعصار وأنهم متنزهون عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية بالكلية ﴿أتبنون
بكل ريع﴾ أى مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها ﴿آية﴾ علما للمارة ﴿تعبثون﴾ أى ببنائها اذ كانوا
يهتدون بالنجوم فى أسفارهم فلا يحتاجون اليها أو بروج الحمام أو بنيانا يجتمعون اليه ليعبثوا بمن مر عليهم أو قصورا عالية
يفتخرون بها ﴿وتتخذون مصانع﴾ أى مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا ﴿لعلكم تخلدون﴾ أى راجين
أن تخلدوا فى الدنيا أى عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنيانها ﴿واذا بطشتم﴾ بسوط أو سيف ﴿بطشتم
جبارين﴾ متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ولا نظر فى العاقبة ﴿فاتقوا الله﴾ واتركوا هذه الافعال ﴿وأطيعون﴾
فيما أدعوكم اليه فانه أنفع لكم ﴿واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون﴾ من أنواع النعماء وأصناف الآلاء أجملها أولا ثم
فصلها بقوله ﴿أمدكم بأنعام وبنين﴾ باعادة الفعل لزيادة التقرير فان التفصيل بعد الاجمال والتفسير اثر الابهام أدخل
فى ذلك ﴿وجنات وعيون انى أخاف عليكم﴾ ان لم تقوموا بشكر هذه النعم ﴿عذاب يوم عظيم﴾ فى الدنيا والآخرة
فان كفران النعمة مستتبع للعذاب كما أن شكرها مستلزم لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان
عذابى لشديد ﴿قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ فانا لن نرعوى عما نحن عليه وتغيير الشق الثانى
عن مقابله للمبالغة فى بيان قلة اعتدادهم بوعظه كأنهم قالوا أم لم تكن من أهل الوعظ ومباشريه أصلا ﴿ان هذا﴾
ما هذا الذى جئتنا به ﴿الا خلق الاولين﴾ أى عادتهم كانوا يلفقون مثله ويسطرونه أو ماهذا الذى نحن عليه من
الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون أو ماهذا الذى نحن عليه من الموت والحياة الا عادة قديمة لم يزل الناس
عليها وقرئ خلق الأولين بفتح الخاء أى اختلاق الأولين كما قالوا أساطير الأولين أو ماخلقنا هذا الا خلقهم نحيا كما
حيوا ونموت كما ماتوا ولابعث ولاحساب ﴿وما نحن بمعذبين﴾ على مانحن عليه من الأعمال ﴿فكذبوه﴾ أى
أصروا على ذلك ﴿فأهلكناهم﴾ بسببه بريح صرصر ﴿ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون﴾ الله تعالى ﴿انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون

وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين﴾ انكار ونفى لأن يتركوا فيما هم فيه من النعمة أو تذكير للنعمة فى تخليته تعالى اياهم وأسباب تنعمهم آمنين وقوله تعالى ﴿فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم﴾ تفسير لما قبله من المبهم والهضيم اللطيف اللين للطف الثمر أو لأن النخل أنثى وطلع الاناث ألطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو أو متدل متكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر أشجار الجنات أو لأن المراد بها غيرها من الأشجار ﴿وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين﴾ بطرين أو حاذقين من الفراهة وهى النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو أبلغ ﴿فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ استعير الطاعة التى هى انقياد الآمر لامتثال الأمر وارتسامه أو نسب حكم الآمر الى أمره مجازا ﴿الذين يفسدون فى الأرض﴾ وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ﴿ولا يصلحون﴾ على يفسدون لبيان خلوص افسادهم عن مخالطة الاصلاح ﴿قالوا انما أنت من المسحرين﴾ أى الذين سحروا حتى غلب على عقولهم أو من ذوى السحر أى الرئة أى من الانس فيكون قوله تعالى ﴿ما أنت الا بشر مثلنا﴾ تأكيدا له ﴿فأت بآية ان كنت من الصادقين﴾ أى فى دعواك ﴿قال هذه ناقة﴾ أى بعد ما أخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه عليه الصلاة والسلام حسبما مر تفصيله فى سورة الأعراف وسورة هود ﴿لها شرب﴾ أى نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ بالضم ﴿ولكم شرب يوم معلوم﴾ فاقتنعوا بشربكم ولا تزاحموا على شربها ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ كضرب وعقر ﴿فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾ وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو أبلغ من تعظيم العذاب ﴿فعقروها﴾ أسند العقر الى كلهم لما أن عاقرها عقرها برأيهم ولذلك عمهم العذاب ﴿فأصبحوا نادمين﴾ خوفا من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينتهم لبباديه ولذلك لم ينفعهم الندم وان كان بطريق التوبة ﴿فأخذهم العذاب﴾ أى العذاب الموعود ﴿ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ قيل فى نفى الايمان عن أكثرهم فى هذا المعرض ايماء الى أنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم وأنت خبير بأن قريشا هم المشهورون بعدم ايمان أكثرهم ﴿كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين﴾ أى أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم أو أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة النساء فيهم مع كونهن أليق بالاستمتاع فالمراد بالعالمين على الأول كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثانى الناس ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم﴾ لأجل استمتاعكم وكلمة من فى قوله تعالى ﴿من أزواجكم﴾ للبيان ان أريد بما جنس الاناث وهو الظاهر وللتبعيض ان أريد بها العضو المباح منهن تعريضا بأنهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم أيضا ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ متعدون متجاوزون الحد فى جميع المعاصى وهذا من جملتها وقيل متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات ﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط﴾ أى عن تقبيح أمرنا أو نهينا عنه أو عن دعوى النبوة التى من جملة أحكامها التعرض لنا ﴿لتكونن من المخرجين﴾ أى من المنفيين من قريتنا وكأنهم كانوا يخرجون من أخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال ﴿قال انى لعملكم من القالين﴾ أى من المبغضين غاية البغض كأنه يقلى الفؤاد والكبد لشدته وهو أبلغ من أن يقال انى لعملكم قال لدلالته على أنه عليه الصلاة والسلام من زمرة الراسخين فى بغضه المشهورين فى قلاه ولعله عليه الصلاة والسلام أراد اظهار الكراهة فى مساكنتهم والرغبة فى الخلاص من سوء جوارهم ولذلك أعرض عن محاورتهم وتوجه الى الله تعالى قائلا ﴿رب نجنى وأهلى مما يعملون﴾ أى من شؤم عملهم وغائلته

﴿فنجيناه وأهله أجمعين﴾ أى أهل بيته ومن اتبعه فى الدين باخراجهم من بينهم عند مشارفة حلول العذاب بهم ﴿الا عجوزا﴾ هى امرأة لوط استثنيت من أهله فلا يضره كونها كافرة لأن لها شركة فى الأهلية بحق الزواج ﴿فى الغابرين﴾ أى مقدرا كونها من الباقين فى العذاب لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقد أصابها الحجر فى الطريق فأهلكها كما مر فى سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فيمن بقى فى القرية ولم تخرج مع لوط عليه السلام ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أهلكناهم أشد اهلاك وأفظعه ﴿وأمطرنا عليهم مطرا﴾ أى مطرا غير معهود وقيل أمطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فأهلكتهم ﴿فساء مطر المنذرين﴾ اللام فيه للجنس وبه يتسنى وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ﴿ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾ الأيكة الغيضة التى تنبت ناعم الشجر وهى غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة وكانوا ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وكان أجنبيا منهم ولذلك قيل ﴿اذ قال لهم شعيب ألا تتقون﴾ ولم يقل أخوهم وقيل الأيكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهى اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفى ص بغير ألف اتباعا للفظ اللافظ ﴿انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أوفوا الكيل﴾ أى أتموه ﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ أى حقوق الناس بالتطفيف ﴿وزنوا﴾ أى الموزونات ﴿بالقسطاس المستقيم﴾ بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرئ بضم القاف ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ أى لا تنقصوا شيئا من حقوقهم أى حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المواد بالذكر لغاية انهماكهم فيها ﴿ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾ بالقتل والغارة وقطع الطريق ﴿واتقوا الذى خلقكم والجبلة الأولين﴾ أى وذوى الجبلة الأولين وهم من تقدمهم من الخلائق وقرئ بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء كالخلقة ﴿قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا﴾ ادخال الواو بين الجملتين للدلالة على أن كلا من التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة فى التكذيب ﴿وان نظنك لمن الكاذبين﴾ أى فيما تدعيه من النبوة ﴿فأسقط علينا كسفا من السماء﴾ أى قطعا وقرئ بسكون السين وهو أيضا جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهى القطعة والمراد بالسماء اما السحاب أو المظلة ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد ﴿ان كنت من الصادقين﴾ فى دعواك ولم يكن طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب والا لما أخطروه ببالهم فضلا أن يطلبوه ﴿قال ربى أعلم بما تعملون﴾ من الكفر والمعاصى وبما تستحقون بسببه من العذاب فسينزله عليكم فى وقته المقدر له لا محالة ﴿فكذبوه﴾ أى فتموا على تكذيبه وأصروا عليه ﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ حسبما اقترحوا أما ان أرادوا بالسماء السحاب فظاهر وأما ان أرادوا المظلة فلأن نزول العذاب من جهتها وفى اضافة العذاب الى يوم الظلة دون نفسها ايذان بأن لهم يومئذ عذابا آخر غير عذاب الظلة وذلك بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام ولياليها فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى أن خرجوا الى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا . روى أن شعيبا عليه السلام بعث الى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الأيكة فأهلكت مدين بالصيحة والرجفة وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة ﴿انه كان عذاب يوم عظيم﴾ أى فى الشدة والهول وفظاعة ما وقع فيه من الطامة والداهية التامة ﴿ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ هذا آخر القصص السبع التى أوحيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصرفه عليه الصلاة والسلام عن الحرص على اسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحسره على فواته تحقيقا لمضمون ما مر فى مطلع

السورة الكريمة من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا بالحق الآية فان كل واحدة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول قد أتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة وما كان أكثرهم مؤمنين بعد ما سمعوها على التفصيل قصة بعد قصة لا بأن يتدبروا فيها و يعتبروا بما فى كل واحدة منها من الدواعى الى الايمان والزواجر عن الكفر و الطغيان و لا بأن يتأملوا فى شأن الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هى عليه مع علمهم بأنه عليه الصلاة والسلام لم يسمع شيئا منها من أحد أصلا واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال كأن لم يسمعوا شيئاً يزجرهم عن ذلك قطعا كما حقق فى خاتمة قصة موسى عليه السلام ﴿ وانه ﴾ أى ما ذكر من الآيات الكريمة الناطقة بالقصص المحكية أو القرآن الذى هى من جملته ﴿ لتنزيل رب العالمين ﴾ أى منزل من جهته تعالى سمى به مبالغة و وصفه تعالى بربوبية العالمين للايذان بأن تنزيله من أحكام تربيته تعالى و رأفته للكل كقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴿ نزل به ﴾ أى أنزله ﴿ الروح الأمين ﴾ أى جبريل عليه السلام فانه أمين وحيه تعالى وموصله الى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وقرىء بتشديد الزاى ونصب الروح والأمين أى جعل الله تعالى الروح الأمين نازلا به ﴿ على قلبك ﴾ أى روحك وان أريد به العضو فتخصيصه به لان المعانى الروحانية تنزل أولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تصعد الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة ﴿ لتكون من المنذرين ﴾ متعلق بنزل به أى أنزله لتنذرهم بما فى تضاعيفه من العقوبات الهائلة وايثار ما عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه عليه الصلاة والسلام فى سلك أولئك المنذرين المشهورين فى حقية الرسالة وتقرر وقوع العذاب المنذر ﴿ بلسان عربى مبين ﴾ واضح المعنى ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما وهو أيضا متعلق بنزل به وتأخيره للاعتناء بأمر الانذار والايماء الى أن مدار كونه من جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام مجرد انزاله عليه عليه الصلاة والسلام لا انزاله باللسان العربى وجعله متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدى الى أن غاية الانزال كونه عليه الصلاة والسلام من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب عليهم السلام ولا يخفى فساده كيف لا والطامة الكبرى فى باب الانذار ما أنذره نوح وموسى عليهما السلام وأشد الزواجر تأثيرا فى قلوب المشركين ما أنذره ابراهيم عليه السلام لانتمائهم وادعائهم أنهم على ملته عليه الصلاة والسلام ﴿ وانه لفى زبر الأولين ﴾ أى وان ذكره أو معناه لفى الكتب المتقدمة فان أحكامه التى لا تحتمل النسخ والتبديل بحسب تبدل الاعصار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما فى تضاعيفه من المواعظ والقصص وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بواضح ﴿ أو لم يكن لهم آية ﴾ الهمزة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل أغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة على أنه تنزيل من رب العالمين وأنه فى زبر الأولين على أن لهم متعلق بالكون قدم على اسمه وخبره للاهتمام به أو بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها لكونها نكرة وآية خبر للكون قدم على اسمه الذى هو قوله تعالى ﴿ أن يعلمه علماء بنى اسرائيل ﴾ لما مر مرارا من الاعتناء والتشويق الى المؤخر أى أن يعرفوه بنعوته المذكورة فى كتبهم و يعرفوا من أنزل عليه وقرىء تكن بالتأنيث وجعلت آية اسما وأن يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد قيل فى تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز أن يكون لهم آية هى جملة الشأن وأن يعلمه بدلا من آية ويجوز مع نصب آية تأنيث تكن كما فى قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا وقرىء تعلمه بالتاء ﴿ ولو نزلناه ﴾ كما هو بنظمه الرائق المعجز ﴿ على بعض الأعجمين ﴾ الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو جمع أعجمى على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وقرىء الأعجميين وفى لفظ البعض اشارة الى كون ذلك واحدا من عرض تلك الطائفة كائنا من كان ﴿ فقرأه عليهم ﴾ قراءة صحيحة خارقة

للعادات ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ مع انضمام اعجاز القراءة الى اعجاز المقروء لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم فى المكابرة وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الأعجمين بلغة العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذاك فانه بمعزل من المناسبة لمقام بيان تماديهم فى المكابرة والعناد ﴿كذلك سلكناه﴾ أى مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه أى أدخلنا القرآن ﴿فى قلوب المجرمين﴾ ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وأنه خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على تضمنها للبشارة بانزاله و بعثة من أنزل عليه بأوصافه فقوله تعالى ﴿لا يؤمنون به﴾ جملة مستأنفة مسوقة لبيان أنهم لا يتأثرون بأمثال تلك الأمور الداعية الى الايمان به بل يستمرون على ماهم عليه ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ الملجىء الى الايمان به حين لا ينفعهم الايمان ﴿فيأتيهم بغتة﴾ أى فجأة فى الدنيا والآخرة ﴿وهم لا يشعرون﴾ باتيانه ﴿فيقولوا هل نحن منظرون﴾ تحسرا على مافات من الايمان وتمنيا الامهال لتلافى ما فرطوه وقيل معنى كذلك سلكناه مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فى قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون به فى موقع الايضاح والتلخيص له أو فى موقع الحال أى سلكناه فيها غير مؤمن به والاول هو الانسب بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد أدلة الايمان وتآخذ مبادى الهداية والارشاد وانقطاع أعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله تعالى ما كانوا به مؤمنين ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما والحسن ومجاهد رحمهما الله تعالى أدخلنا الشرك والتكذيب فى قلوب المجرمين ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقولهم فأتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب كما وصف من طلب الانظار فالفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أيكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الأليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافى ما لا يخفى على أحد أو أيغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون الخ وانما قدم الجار والمجرور للايذان بأن مصب الانكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل ﴿أفرأيت﴾ لما كانت الرؤية من أقوى أسباب الاخبار بالشىء وأشهرها شاع استعمال أرأيت فى معنى أخبرنى والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون ومابينهما اعتراض للتوبيخ والتبكيت وهى متقدمة فى المعنى على الهمزة وتأخيرها عنها صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو رأى الجمهور أى فأخبرنى ﴿ان متعناهم سنين﴾ متطاولة بطول الاعمار وطيب المعايش ﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ من العذاب ﴿ما أغنى عنهم﴾ أى شىء أو أى اغناء أغنى عنهم ﴿ما كانوا يمتعون﴾ أى كونهم ممتعين ذلك التمتيع المديد على أن ما مصدرية أو ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا على أنها موصولة حذف عائدها وأياما كان فالاستفهام للانكار والنفى وقيل ما نافية أى لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول فى دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه أوفق لصورة الاستخبار وأدل على انتفاء الاغناء على أبلغ وجه وآكده كأن كل من من شأنه الخطاب قد كلف أن يخبر بأن تمتيعهم ماذا أفادهم وأى شىء أغنى عنهم فلم يقدر أحد على أن يخبر بشىء من ذلك أصلا وقرىء يمتعون من الامتاع ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ من القرى المهلكة ﴿الا لها منذرون﴾ قد أنذروا أهلها الزاما للحجة ﴿ذكرى﴾ أى تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لانها فى معنى الانذار كأنه قيل مذكرون ذكرى أو على أنه مصدر مؤكد لفعل هو صفة لمنذرون أى الا لها منذرون يذكرونهم ذكرى أو الرفع على أنها صفة منذرون باضمار ذوو أو بجعلهم ذكرى لامعانهم فى التذكرة أو خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراضية وضمير لها للقرى المدلول عليها بمفردها الواقع فى حيز النفى

على أن معنى أن للكل منذرين أعم من أن يكون لكل قرية منها منذر واحد أو أكثر ﴿وما كنا ظالمين﴾ فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار والتعبير عن ذلك بنفى الظالمية مع أن اهلاكهم قبل الانذار ليس بظلم أصلا على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم وقد مر فى سورة آل عمران عند قوله تعالى وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ رد لما زعمه الكفرة فى حق القرآن الكريم من أنه من قبيل ما يلقيه الشيطان على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان أنه نزل به الروح الامين ﴿وما ينبغى لهم﴾ أى وما يصح وما يستقيم لهم ذلك ﴿وما يستطيعون﴾ ذلك أصلا ﴿انهم عن السمع﴾ لكلام الملائكة ﴿لمعزولون﴾ لانتفاء المشاركة بينهم وبين الملائكة فى صفاء الذوات والاستعداد لقبول فيضان أنوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة الا لقبول ما لا خير فيه أصلا من فنون الشرور فمن أين لهم أن يحوموا حول القرآن الكريم المنطوى على الحقائق الرائقة الغيبية التى لا يمكن تلقيها الا من الملائكة عليهم الصلاة والسلام ﴿فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين﴾ خوطب به النبى عليه الصلاة والسلام مع ظهور استحالة صدور المنهى عنه عنه عليه الصلاة والسلام تهييجا وحثا على ازدياد الاخلاص ولطفا لسائر المكلفين ببيان أن الاشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه ﴿وأنذر﴾ العذاب الذى يستتبعه الشرك والمعاصى ﴿عشيرتك الأقربين﴾ الأقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم أهم . روى أنه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد وروى أنه قال يابنى عبد المطلب يابنى هاشم يابنى عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فانى لا أغنى عنكم شيأ ثم قال ياعائشة بنت أبى بكر وياحفصة بنت عمر ويافاطمة بنت محمد وياصفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فانى لا أغنى عنكن شيأ ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ أى لين جانبك لهم مستعار من حال الطائر فانه اذا أراد أن ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لأن من اتبع أعم ممن اتبع لدين أو غيره أو للتبعيض على أن المراد بالمؤمنين المشارفون للايمان أو المصدقون باللسان فحسب ﴿فان عصوك﴾ ولم يتبعوك ﴿فقل انى برىء مما تعملون﴾ أى مما تعملونه أو من أعمالكم ﴿وتوكل على العزيز الرحيم﴾ الذى يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرىء فتوكل على أنه بدل من جواب الشرط ﴿الذى يراك حين تقوم﴾ أى الى التهجد ﴿وتقلبك فى الساجدين﴾ وترددك فى تصفح أحوال المتهجدين كما روى أنه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه الصلاة والسلام تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا أممتهم وانما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله عليه الصلاة والسلام التى بها يستأهل ولايته بعد أن عبر عنه بما ينبىء عن قهر أعدائه ونصر أوليائه من وصفى العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتوطينا لقلبه عليه ﴿انه هو السميع﴾ لما تقوله ﴿العليم﴾ بما تنويه وتعمله ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين﴾ أى تتنزل بحذف احدى التاءين وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن ودخول حرف الجر على من الاستفهامية لما أنها ليست موضوعة للاستفهام بل الأصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والأصل أهل وقوله تعالى ﴿تنزل على كل أفاك أثيم﴾ قصر لتنزلهم على كل من اتصف بالافك الكثير والاثم الكبير من الكهنة والمتنبئة وتخصيص له بهم

بحيث لايتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم منزهة عن أن يحوم حولها شائبة شيء من تلك الأوصاف اتضح استحالة تنزلهم عليه عليه الصلاة والسلام ﴿يلقون﴾ أى الافاكون ﴿السمع﴾ الى الشياطين فيتلقون منهم أوهاما وأمارات لنقصان علمهم فيضمون اليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لايطابق أكثرها الواقع وذلك قوله تعالى ﴿وأكثرهم كاذبون﴾ أى فيما قالوه من الأقاويل وقد ورد فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة أو يلقون السمع أى المسموع من الشياطين الى الناس وأكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين مالم يوحوا اليهم والاظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجنى وأما فى أكثره فهم كاذبون وما له وأكثر أقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب الى أكثرهم كون أقلهم صادقين على الاطلاق وليس معنى الافاك من لا ينطق الا بالافك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الافك فلا ينافيه أن يصدق نادرا فى بعض الاحايين وقيل الضمير للشياطين أى يلقون السمع أى المسموع من الملأ الأعلى قبل أن رجموا من بعض المغيبات الى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذلا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم أولقصور فهمهم أو ضبطهم أو افهامهم ولا سبيل الى حمل القاء السمع على تسمعهم وانصاتهم الى الملأ الأعلى قبل الرجم كما جوزه الجمهور لما أن يلقون كما صرحوا به اما حال من ضمير تنزل مفيدة لمقارنة التنزل للالقاء أو استئناف مبين للغرض من التنزل مبنى على السؤال عنه ولاريب فى أن القاء السمع الى الملأ الأعلى بمعزل من احتمال أن يقارن التنزل أو يكون غرضا منه لتقدمه عليه قطعا وانما المحتمل لهما الالقاء بالمعنى الأول فالمعنى على تقدير كونه حالا تنزل الشياطين على الافاكين ملقين اليهم ما سمعوه من الملأ الاعلى وعلى تقدير كونه جوابا عن سؤال من قال لم تنزل عليهم وماذا يفعلون بهم يلقون اليهم ماسمعوه وحمله على استئناف الاخبار كما فعله بعضهم غير سديد لأن ذكر حالهم السابقة على تنزلهم المذكور قبله غير خليق بجزالة التنزيل وأما على تقدير كون ضمير يلقون للافاكين فهو صفة لكل أفاك لأنه فى معنى الجمع سواء أريد بالقاء السمع الاصغاء الى الشياطين أوالقاء المسموع الى الناس ويجوز أن يكون استئناف اخبار بحالهم على كلا التقديرين لما أن كلا من تلقيهم من الشياطين والقائهم الى الناس يكون بعد التنزيل وأن يكون استئنافا مبنيا على السؤال على التقدير الأول فقط كأنه قيل مايفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون اليهم أسماعهم ليحفظوا مايوحون به اليهم وقوله تعالى وأكثرهم كاذبون على التقدير الأول استئناف فقط وعلى الثانى يحتمل الحالية من ضمير يلقون أى يلقون ماسمعوه من الشياطين الى الناس والحال أنهم فى أكثر أقوالهم كاذبون فتدبر ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ استئناف مسوق لابطال ماقالوا فى حق القرآن العظيم من أنه من قبيل الشعر وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله عليه الصلاة والسلام بعد ابطال ماقالوا انه من قبيل مايلقى الشياطين على الكهنة من الاباطيل بما مر من بيان أحوالهم المضادة لاحواله عليه الصلاة والسلام والمعنى أن الشعراء يتبعهم أى يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون ومايذرون لايستمرون على وتيرة واحدة فى الافعال والاقوال والأحوال لاغيرهم من أهل الرشد المهتدين الى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى ﴿ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون﴾ استشهاد على أن الشعراء انما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب لكل من تتأتى منه الرؤية للقصد الى أن حالهم من الجلاء والظهور بحيث لاتختص برؤية راء دون راء أى ألم تر أن الشعراء فى كل واد من أودية القيل والقال وفى كل شعب من شعاب الوهم والخيال وفى كل مسلك من مسالك الغى والضلال يهيمون على وجوههم لايهتدون الى سبيل معين

من السبل بل يتحيرون فى فيافى الغواية والسفاهة وتتيهون فى تيه المجون والوقاحة ديهم تمزيق الأعراض المحمية والقدح فى الانساب الطاهرة السنية والنسيب بالحرام والغزل والابتهار والتردد بين طرفى الافراط والتفريط فى المدح والهجاء ﴿ وأنهم يقولون مالا يفعلون ﴾ من الأفاعيل غير مبالين بما يستتبعه من اللوائم فكيف يتوهم أن يتبعهم فى مسلكهم ذلك ويلتحق بهم وينتظم فى سلكهم من تنزهت ساحته عن أن يحوم حولها شائبة الاتصاف بشئ من الامور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الأخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة الملكات الأنسية مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على الصراط المستقيم ناطقا بكل أمر رشيد داعيا الى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وآيات ظاهرة مشحونة بفنون الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة مستقلة بنظم رائق أعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا وقد قيل فى تنزيهه عليه الصلاة والسلام عن أن يكون من الشعراء أن أتباع الشعراء الغاوون وأتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك ولا ريب فى أن تعليل عدم كونه عليه الصلاة والسلام منهم بكون أتباعه عليه الصلاة والسلام غير غاوين مما لا يليق بشأنه العالى وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحى ومن ثقيف أمية بن أبى الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد ﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا ﴾ استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون أكثر أشعارهم فى التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته والحكمة والموعظة والزهد فى الدنيا والترغيب عن الركون اليها والزجر عن الاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها الفانية ولو وقع منهم فى بعض الاوقات هجو وقع ذلك منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم وقيل المراد بالمستثنين عبدالله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير بن أبى سلمى والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾ تهديد شديد ووعيد أكيد لما فى سيعلم من تهويل متعلقه وفى الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفى أى منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد قاله أبو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد اليه وقرئ أى منفلت ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى أن الظالمين يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات. عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلاة والسلام

سورة النمل

(مكية وهى ثلاث أو أربع وتسعون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ طس ﴾ بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذى مر فى نظائره من الفواتح الشريفة ومحله على تقدير كونه اسما للسورة وهو الأظهر الأشهر الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف أى هذا طس أى مسمى به والاشارة اليه قبل ذكره فقد

مر وجهها فى فاتحة سورة يونس وغيرها و رفعه بالابتداء على أن مابعده خبر ضعيف لما ذكر هناك ﴿ تلك ﴾ اشارة الى نفس السورة لأنها التى نوهت بذكر اسمها لا الى آياتها لعدم ذكرها صريحا و لأن اضافتها اليها تأبى اضافتها الى القرآن كما سيأتى وما فى اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره ﴿ آيات القرآن ﴾ والجملة مستأنفة مقررة لما أفاده التسمية من نباهة شأن المسمى والقرآن عبارة عن الكل أو عن الجميع المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر فى فاتحة فاتحة الكتاب أى تلك السورة آيات القرآن المعروف بعلو الشأن أى بعض منه مترجم مستقل باسم خاص ﴿ وكتاب ﴾ أى كتاب عظيم الشأن ﴿ مبين ﴾ مظهر لما فى تضاعيفه من الحكم والأحكام وأحوال الآخرة التى من جملتها الثواب والعقاب أو لسبيل الرشد والغى أو فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام أو ظاهر الاعجاز على أنه من أبان بمعنى بان ولقد فخم شأنه الجليل بما جمع فيه من وصف القرآنية المنبئة عن كونه بديعا فى بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذى عوج و وصف الكتابية المعربة عن اشتماله على صفات كمال الكتب الالهية فكأنه كلها وقدم الوصف الأول ههنا نظرا الى تقدم حال القرآنية على حال الكتابية وعكس فى سورة الحجر نظرا الى ماذكر هناك من الوجه وما قيل من أن الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته أنه خط فيه ماهو كائن فهو يبينه للناظرين فيه لا يساعده اضافة الآيات اليه اذ لاعهد باشتماله على الآيات و لا وصفه بالهداية والبشارة اذهما باعتبار ابانته فلا بد من اعتبارها بالنسبة الى الناس الذين من جملتهم المؤمنون لا الى الناظرين فيه وقرىء و كتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه أى و آيات كتاب مبين ﴿ هدى و بشرى للمؤمنين ﴾ فى حيز النصب على الحالية من الآيات على أنهما مصدران أقيما مقام الفاعل للمبالغة كأنهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الاشارة أى هادية ومبشرة أو الرفع على أنهما بدلان من الآيات أو خبران آخران لتلك أو لمبتدأ محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون أنها تزيدهم هدى قال تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما معنى تبشيرها اياهم فظاهر لأنها تبشرهم برحمة من الله و رضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى ﴿ الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة ﴾ صفة مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لأنهما قرينتا الايمان وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعان لسائر الأعمال الصالحة وقوله تعالى ﴿ وهم بالآخرة هم يوقنون ﴾ جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون و يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الايقان لا من عداهم لأن تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب و رجاء الثواب أو هو من تتمة الصلة والواو حالية أو عاطفة له على الصلة الأولى وتغيير نظمه للدلالة على قوة يقينهم وثباته وأنهم أوحديون فيه ﴿ ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ بيان لأحوال الكفرة بعد بيان أحوال المؤمنين أى لا يؤمنون بها و بما فيها من الثواب على الأعمال الصالحة والعقاب على السيئات حسبما ينطق به القرآن ﴿ زينا لهم أعمالهم ﴾ القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبىء عنه قوله عليه الصلاة والسلام حفت النار بالشهوات أو الأعمال الحسنة ببيان حسنها فى أنفسها حالا واستتباعها لفنون المنافع مآلا واضافتها اليهم باعتبار أمرهم بها وايجابها عليهم ﴿ فهم يعمهون ﴾ يتحيرون و يترددون على التجدد والاستمرار فى الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من نفع وضر أو فى الضلال والاعراض عنها والفاء على الأول لترتيب المسبب على السبب وعلى الثانى لترتيب ضد المسبب على السبب كما فى قولك وعظته فلم يتعظ وفيه ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم فى الأمور ﴿ أولئك ﴾ اشارة الى المذكورين وهو مبتدأ خبره الموصول بعده أى أولئك الموصوفون بالكفر والعمه ﴿ الذين لهم سوء العذاب ﴾ أى فى الدنيا كالقتل والاسر يوم بدر ﴿ وهم فى الآخرة هم الأخسرون ﴾

أى أشد الناس خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العقاب ﴿ وانك لتلقى القرآن ﴾ كلام مستأنف قد سيق بعد بيان بعض شؤن القرآن الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص وتصديره بحرف التأكيد لابراز كمال العناية بمضمونه أى لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين ﴿ من لدن حكيم عليم ﴾ أى أى حكيم وأى عليم وفى تفخيمهما تفخيم لشأن القرآن وتنصيص على علو طبقته عليه الصلاة والسلام فى معرفته والاحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق فان من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علما فى رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما مع دخول العلم فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل وللاشعار بأن مافى القرآن من العلوم منها ماهو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ماليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية وقوله تعالى ﴿ اذ قال موسى لأهله ﴾ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم وأمر بتلاوة بعض من القرآن الذى يلقاه عليه الصلاة والسلام من لدنه عز وجل تقريرا لما قبله وتحقيقا له أى اذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام لأهله فى وادى طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فأصلد زنده فبدا له من جانب الطور نار ﴿ انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر ﴾ أى عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد فى المسافة وتأكيد الوعد والجمع ان صح أنه لم يكن معه عليه الصلاة والسلام الا امرأته لما كنى عنها بالأهل أو للتعظيم مبالغة فى التسلية ﴿ أو آتيكم بشهاب قبس ﴾ بتنوينهما على أن الثانى بدل من الأول أو صفة له لأنه بمعنى مقبوس أى بشعلة نار مقبوسة أى مأخوذة من أصلها وقرىء بالاضافة وعلى التقديرين فالمراد تعيين المقصود الذى هو القبس الجامع لمنفعتى الضياء والاصطلاء لأن من النار ماليس بقبس كالجمر وكلتا العدتين منه عليه الصلاة والسلام بطريق الظن كما يفصح عن ذلك مافى سورة طه من صيغة الترجى والترديد للايذان بأنه ان لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما بناء على ظاهر الأمر وثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لايكاد يجمع على عبده حرمانين ﴿ لعلكم تصطلون ﴾ رجاء أن تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة ﴿ فلما جاءها نودى ﴾ من جانب الطور ﴿ أن بورك ﴾ معناه أى بورك على أن أن مفسرة لما فى النداء من معنى القول أو بأن بورك على أنها مصدرية حذف عنها الجار جريا على القاعدة المستمرة وقيل مخففة من الثقيلة ولا ضير فى فقدان التعويض بلا أو قد أو السين أو سوف لما أن الدعاء يخالف غيره فى كثير من الأحكام ﴿ من فى النار ومن حولها ﴾ أى من فى مكان النار وهى البقعة المباركة المذكورة فى قوله سبحانه نودى من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة ومن حول مكانها وقرىء تباركت الأرض ومن حولها والظاهر عمومه لكل من فى ذلك الوادى وحواليه من أرض الشأم الموسومة بالبركات لكونها مبعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكفاتهم أحياء وأمواتا ولا سيما تلك البقعة التى كلم الله تعالى فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بأنه قد قضى له أمر عظيم دينى تنتشر بركاته فى أقطار الشأم وهو تكليمه تعالى اياه عليه الصلاة والسلام واستنباؤه له واظهار المعجزات على يده عليه الصلاة والسلام ﴿ وسبحان الله رب العالمين ﴾ تعجيب لموسى عليه الصلاة والسلام من ذلك وايذان بأن ذلك مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على أن الكائن من جلائل الأمور وعظائم الشؤن ومن أحكام تربيته تعالى للعالمين ﴿ ياموسى انه أنا الله ﴾ استئناف مسوق لبيان آثار البركة المذكورة والضمير اما للشأن وأنا الله جملة مفسرة له واما راجع الى المتكلم وأنا خبره والله بيان له وقوله تعالى ﴿ العزيز الحكيم ﴾ صفتان لله تعالى ممهدتان لما أريد اظهاره على يده من المعجزات أى أنا القوى القادر على مالا تناله الأوهام من الأمور العظام التى من جملتها أمر العصا واليد الفاعل كل ما أفعله بحكمة بالغة وتدبير رصين ﴿ وألق ﴾ عطف على بورك منتظم معه فى سلك تفسير النداء أى نودى أن بورك وأن ألق ﴿ عصاك ﴾ حسبما نطق به قوله تعالى وأن ألق عصاك بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت

اليه أن حج وأن اعتمر وان شئت أن حج واعتمر والفاء فى قوله تعالى ﴿ فلما رآها تهتز ﴾ فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما فى قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه بعد قوله تعالى اخرج عليهن كأنه قيل فألقاها فانقلبت حية تسعى فأبصرها فلما أبصرها متحركة بسرعة واضطراب وقوله تعالى ﴿ كأنها جان ﴾ أى حية خفيفة سريعة الحركة جملة حالية اما من مفعول رأى مثل تهتز كما أشير اليه أو من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ جأن على لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين ﴿ ولى مدبرا ﴾ من الخوف ﴿ ولم يعقب ﴾ أى لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل اذا كر بعد الفر وانما اعتراه الرعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿ ياموسى لاتخف ﴾ أى من غيرى ثقة بى أو مطلقا لقوله تعالى ﴿ انى لايخاف لدى المرسلون ﴾ فانه يدل على نفى الخوف عنهم مطلقا لكن لافى جميع الأوقات بل حين يوحى اليهم كوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون فى مطالعة شؤن الله عز وجل لايخطر ببالهم خوف من أحد أصلا وأما فى سائر الأحيان فهم أخوف الناس منه سبحانه أولا يكون لهم عندى سوء عاقبة ليخافوا منه ﴿ الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم ﴾ استثناء منقطع استدرك به ماعسى يختلج فى الخلد من نفى الخوف عن كلهم مع أن منهم من فرطت منه صغيرة مما يجوز صدوره عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم وان صدر عنهم شئ من ذلك فقد فعلوا عقيبه مايبطله ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد به التعريض بما وقع من موسى عليه الصلاة والسلام من وكزه القبطى والاستغفار وتسميتها ظلما لقوله عليه الصلاة والسلام رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له ﴿ وأدخل يدك فى جيبك ﴾ لأنه كان مدرعة صوف لاكم لها وقيل الجيب القميص لأنه يجاب أى يقطع ﴿ تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ أى آفة كبرص ونحوه ﴿ فى تسع آيات ﴾ فى جملتها أو معها على أن التسع هى الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع أن يعد الأخيرين واحدا ولايعد الفلق منها لأنه لم يبعث به الى فرعون أو اذهب فى تسع آيات على أنه استئناف بالارسال فيتعلق به ﴿ الى فرعون وقومه ﴾ وعلى الأولين يتعلق بنحو مبعوثا أو مرسلا ﴿ انهم كانوا قوما فاسقين ﴾ تعليل للارسال أى خارجين عن الحدود فى الكفر والعدوان ﴿ فلما جاءتهم آياتنا ﴾ وظهرت على يد موسى ﴿ مبصرة ﴾ بينة اسم فاعل أطلق على المفعول اشعارا بأنها لفرط وضوحها وانارتها كأنها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر أو ذات تبصر من حيث انها تهدى والعمى لاتهتدى فضلا عن الهداية أو مبصرة كل من ينظر اليها ويتأمل فيها وقرئ مبصرة أى مكانا يكثر فيه التبصر ﴿ قالوا هذا سحر مبين ﴾ واضح سحريته ﴿ وجحدوا بها ﴾ أى كذبوا بها ﴿ واستيقنتها أنفسهم ﴾ الواو للحال أى وقد استيقنتها أى علمتها أنفسهم علما يقينيا ﴿ ظلما ﴾ أى للآيات كقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد ظلموا بها أى ظلم حيث حطوها عن رتبتها العالية وسموها سحرا وقيل ظلما لأنفسهم وليس بذاك ﴿ وعلوا ﴾ أى استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما اما على العلة من جحدوا بها أو على الحالية من فاعله أى جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ من الاغراق على الوجه الهائل الذى هو عبرة للعالمين وانما لم يذكر تنبيها على أنه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علما ﴾ كلام مستأنف مسوق لتقرير ماسبق من أنه عليه الصلاة والسلام يلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان قصتهما عليهما الصلاة والسلام من جملة القرآن الكريم لقيه عليه الصلاة والسلام من لدنه تعالى كقصة موسى عليه الصلاة والسلام وتصديره بالقسم لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه أى آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والأحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما

كصنعة لبوس ومنطق الطير أو علما سنيا عزيزا ﴿ وقالا ﴾ أى قال كل واحد منهما شكرا لما أوتيه من العلم ﴿ الحمد لله الذى فضلنا ﴾ بما آتانا من العلم ﴿ على كثير من عباده المؤمنين ﴾ على أن عبارة كل منهما فضلنى الا أنه عبر عنهما عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير ايجازا فان حكاية الأقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن المتكلم أو عن غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس بعزيز ومن الأول قوله تعالى يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقد مر فى سورة قد أفلح المؤمنون و بهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو اذ المتبادر من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على ايتائهما أوتى كل منهما لا على ايتاء ما أوتى نفسه فقط وقيل فى العطف بالواو اشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما ايتاء العلم وشئ من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قيل ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الآية تأمل والكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما وقيل من لم يؤت علما و يأباه تبيين الكثير بالمؤمنين فان خلوهم من العلم بالمرة مما لايمكن وفى تخصيصهما الأكثر بالذكر رمز الى أن البعض مفضلون عليهما وفيه أوضح دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما أوتيا من الملك الذى لم يؤته غيرهما وتحريض للعلماء على أن يحمدوا الله تعالى على ما آتاهم من فضله و يتواضعوا و يعتقدوا أنهم وان فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذى علم عليم ولنعما قال أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه كل الناس أفقه من عمر ﴿ وورث سليمان داود ﴾ أى النبوة والعلم أو الملك بأن قام مقامه فى ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر ﴿ وقال ﴾ تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزات الباهرة التى أوتيها ﴿ يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ ﴾ المنطق فى المتعارف كل لفظ يعبر به عما فى الضمير مفردا كان أو مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال نطقت الحمامة وكل صنف من أصناف الطير يتفاهم أصواته والذى علمه سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه ويحكى أنه مر على بلبل فى شجرة يحرك رأسه و يميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول اذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح طيطوى فقال يقول كل حى ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاح قمرى فأخبر أنه يقول سبحان ربى الأعلى وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربى الأعلى ملء سمائه وأرضه وقال الحدأة تقول كل شئ هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب تقول فى البعد عن الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربى القدوس وأراد عليه الصلاة والسلام بقوله علمنا وأوتينا بالنون التى يقال لها نون الواحد المطاع بيان حاله وصفته من كونه ملكا مطاعا لكن لا تجبرا وتكبرا بل تمهيدا لما أراد منهم من حسن الطاعة والانقياد له فى أوامره ونواهيه حيث كان على عزيمة المسير و بقوله من كل شئ كثرة ما أوتيه كما يقال فلان يقصده كل أحد و يعلم كل شئ و يراد به كثرة قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى وأوتيت من كل شئ وقال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما يهمه من أمر الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعنى النبوة والملك وتسخير الجن والانس والشياطين والريح ﴿ ان هذا ﴾ اشارة الى ما ذكر من التعليم والايتاء ﴿ لهو الفضل ﴾ والاحسان من الله تعالى ﴿ المبين ﴾ الواضح الذى لا يخفى على أحد أو ان هذا الفضل الذى أوتيه لهو الفضل المبين على أنه عليه الصلاة والسلام قاله على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى أقول هذا القول شكرا لا فخرا ولعله عليه الصلاة والسلام رتب على كلامه ذلك دعوة الناس

الى الغزو فان اخبارهم بايتاء كل شيء من الأشياء التي من جملتها آلات الحرب وأسباب الغزو ومما ينبئ عن ذلك فعنى قوله تعالى ﴿وحشر لسليمان جنوده﴾ جمع له عساكره ﴿من الجن والانس والطير﴾ بمباشرة مخاطبيه فانهم كانوا رؤساء مملكته وعظماء دولته من الثقلين وغيرهم بتعميم الناس للكل تغليبا وتقديم الجن على الانس فى البيان للمسارعة الى الايذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه من أول الأمر لما أن الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتسخير ﴿فهم يوزعون﴾ أى يحبس أوائلهم على أواخرهم أى يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالى فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة ويجوز أن يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد فى العساكر وفيه اشعار بكمال مسارعتهم الى السير وتخصيص حبس أوائلهم بالذكر دون سوق أواخرهم مع أن التلاحق يحصل بذلك أيضا لما أن أواخرهم غير قادرين على مايقدر عليه أوائلهم من السير السريع وهذا اذا لم يكن سيرهم بتسيير الريح فى الجو روى أن معسكره عليه الصلاة والسلام كان مائة فرسخ فى مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له عليه الصلاة والسلام ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا فى فرسخ وكان يوضع منبره فى وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسى من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لاتقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك لايتكلم أحد بشيء الا ألقته الريح فى سمعك فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فألقته الريح فى أذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى مالاتقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتى آل داود ﴿حتى اذا أتوا على وادى النمل﴾ حتى هى التى يبتدأ بها الكلام ومع ذلك هى غاية لما قبلها كالتى فى قوله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل الآية وهى ههنا غاية لما ينبئ عنه قوله تعالى فهم يوزعون من السير كأنه قيل فساروا حتى اذا أتوا الخ ووادى النمل واد بالشام كثير النمل على ماقاله مقاتل رضى الله عنه وبالطائف على ماقاله كعب رضى الله عنه وقيل هو واد تسكنه الجن والنمل مراكبهم وتعدية الفعل اليه بكلمة على اما لان اتيانهم كان من فوق واما لان المراد بالاتيان عليه قطعه من قولهم أتى على الشيء اذا أنفده وبلغ آخره ولعلهم أرادوا أن ينزلوا عند منتهى الوادى اذ حينئذ يخافهم مافى الارض لاعند سيرهم فى الهواء وقوله تعالى ﴿قالت نملة﴾ جواب اذا كأنها لما رأتهم متوجهين الى الوادى فرت منهم فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمل لمرادها فتبعها فى الفرار فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فأجروا مجراهم حيث جعلت هى قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ مع أنه لا يمتنع أن يخلق الله تعالى فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم وقرئ نملة يا أيها النمل بضم الميم وهو الأصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع فى السبع وقرئ بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجاء تمشى وهى تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان عليه السلام كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاخية وقرئ مسكنكم وقوله تعالى ﴿لا يحطمنكم سليمان وجنوده﴾ نهى فى الحقيقة للنمل عن التأخر فى دخول مساكنهم وان كان بحسب الظاهر نهيا له عليه الصلاة والسلام ولجنوده عن الحطم كقولهم لا أرينك ههنا فهو استئناف أو بدل من الأمر كقول من قال فقلت له ارحل لا تقيمن عندنا لا جواب له فان النون لا تدخله فى السعة وقرئ لا يحطمنكم بالنون الخفيفة وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها وأصله لا يحتطمنكم وقوله تعالى ﴿وهم

لايشعرون﴾ حال من فاعل يحطمنكم مفيدة لتقييد الحطم بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وأرادت بذلك الايذان بأنها عارفة بشؤن سليمان وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من عصمتهم عن الظلم والايذاء وقيل هو استئناف أى فهم سليمان ماقالته والقوم لايشعرون بذلك ﴿فتبسم ضاحكا من قولها﴾ تعجبا من حذرها واهتدائها الى تدبير مصالحها ومصالح بنى نوعها وسرورا بشهرة حاله وحال جنوده فى باب التقوى والشفقة فيما بين أصناف المخلوقات التى هى أبعدها من ادراك أمثال هذه الأمور وابتهاجا بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم مرادها روى أنها أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم فى الهواء فأمر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ﴿وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك﴾ أى اجعلنى أزع شكر نعمتك عندى وأكفه وأرتبطه بحيث لاينفلت عنى حتى لاأنفك عن شكرك أصلا وقرئ بفتح ياء أوزعنى ﴿التى أنعمت على وعلى والدى﴾ أدرج فيه ذكرهما تكثيرا للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه مستوجب للشكر ﴿وأن أعمل صالحا ترضاه﴾ اتماما للشكر واستدامة للنعمة ﴿وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين﴾ فى جملتهم الجنة التى هى دار الصالحين ﴿وتفقد الطير﴾ أى تعرف أحوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها ﴿فقال مالى لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين﴾ كأنه قال أولا مالى لاأراه لساتر ستره أو لسبب آخر ثم بدا له أنه غائب فأضرب عنه فأخذ يقول أهو غائب ﴿لأعذبنه عذابا شديدا﴾ قيل كان تعذيبه للطير بنتف ريشه وتشميسه وقيل بجعله مع ضده فى قفص وقيل بالتفريق بينه وبين الفه ﴿أو لأذبحنه﴾ ليعتبر به أبناء جنسه ﴿أو ليأتينى بسلطان مبين﴾ بحجة تبين عذره والحلف فى الحقيقة على أحد الأولين على تقدير عدم الثالث وقرئ ليأتيننى بنونين أولاهما مفتوحة مشددة قيل انه عليه الصلاة والسلام لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم وأقام به ماشاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء أعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلى فلم يجد الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء فى الزجاجة فيجئ الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وقد كان حين نزل سليمان عليه السلام حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عليه السلام وما سخر له من كل شئ وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثنى عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك قوله تعالى ﴿فمكث غير بعيد﴾ أى زمانا غير مديد وقرئ بضم الكاف وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان عليه السلام فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذى قواك وأقدرك على الا رحمتنى فتركته وقالت ثكلتك أمك ان نبى الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال أو ليأتينى بعذر مبين فلما قرب من سليمان عليه السلام أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الأرض تواضعا له فلما دنا منه أخذ عليه السلام برأسه فمده اليه فقال يانبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله تعالى فارتعد سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم سأله ﴿فقال أحطت بما لم تحط به﴾ أى علما ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وقرئ أحطت بادغام الطاء فى التاء باطباق وبغير اطباق ولاخفاء فى أنه لم يرد بما ادعى الاحاطة به ماهو من حقائق العلوم ودقائق المعارف التى تكون معرفتها والاحاطة بها من وظائف أرباب العلم والحكمة حتى يكون اثباتها لنفسه بين يدى نبى الله سليمان عليه السلام تعديا عن طوره وتجاوزا عن دائرة قدره ونفيها عنه عليه الصلاة والسلام جناية على جناية فيحتاج الى الاعتذار عنه بأن ذلك كان منه بطريق الالهام فكافحه عليه

الصلاة والسلام بذلك مع ما أوتى عليه الصلاة والسلام من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عليه الصلاة والسلام فى علمه وتنبيها على أن فى أدنى خلقه تعالى وأضعفهم من أحاط علما بما لم يحط به لتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له فى ترك الاعجاب الذى هو فتنة العلماء بل أراد به ما هو من الامور المحسوسة التى لا تعد الاحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف ادراكها الا على مجرد احساس يستوى فيه العقلاء وغيرهم وقد علم أنه عليه الصلاة والسلام لم يشاهده ولم يسمع خبره من غيره قطعا فعبر عنه بما ذكر لترويج كلامه عنده عليه الصلاة والسلام وترغيبه فى الاصغاء الى اعتذاره واستمالة قلبه نحو قبوله فان النفس للاعتذار المنبئ عن أمر بديع أقبل والى تلقى ما لا تعلمه أميل ثم أيده بقوله ﴿وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾ حيث فسر ابهامه نوع تفسير وأراه عليه الصلاة والسلام أنه كان بصدد اقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبأ الذى هو الخبر الخطير والشأن الكبير ووصفه بما وصفه والا فماذا صدر عنه عليه الصلاة والسلام مع ما حكى عنه ما حكى من الحمد والشكر واستدعاء الايزاع حتى يليق بالحكمة الالهية تنبيهه عليه الصلاة والسلام على تركه وسبأ منصرف على أنه اسم لحى سموا باسم أبيهم الاكبر وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه أول من سبى وقرئ بفتح الهمزة غير منصرف على أنه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مأرب بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وعلى هذه القراءة يجوز أن يراد به القبيلة والمدينة وأما على القراءة الاولى فالمراد هو الحى لا غير وعدم وقوف سليمان عليه السلام على نبئهم قبل انباء الهدهد ليس بأمر بديع لابد له من حكمة داعية اليه البتة وان استحال خلو أفعاله تعالى من الحكم والمصالح لما أن المسافة بين محطه عليه الصلاة والسلام وبين مأرب وان كانت قصيرة لكن مدة ما بين نزوله عليه الصلاة والسلام هناك وبين مجئ الهدهد بالخبر أيضا قصيرة نعم اختصاص الهدهد بذلك مع كون الجن أقوى منه مبنى على حكم بالغة يستأثر بها علام الغيوب وقوله تعالى ﴿انى وجدت امرأة تملكهم﴾ استئناف لبيان ما جاء به من النبأ وتفصيل له اثر الاجمال وهى بلقيس بنت شراحيل بن مالك ابن ريان وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وورث الملك من أربعين أبا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها الامة وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس وايثار وجدت على رأيت لما أشير اليه من الايذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عليه الصلاة والسلام بابراز نفسه فى معرض من يتفقد أحوالها ويتعرفها كأنها طلبته وضالته ليعرضها على سليمان عليه السلام وضمير تملكهم لسبأ على أنه اسم الحى أو لاهلها المدلول عليهم بذكر مدينتهم على أنها اسم لها ﴿وأوتيت من كل شئ﴾ أى من الاشياء التى يحتاج اليها الملوك ﴿ولها عرش عظيم﴾ قيل كان ثلاثين ذراعا فى ثلاثين عرضا وسمكا وقيل ثمانين فى ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق واستعظام الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عليه السلام اما بالنسبة الى حالها أو الى عروش أمثالها من الملوك وقد جوز أن لا يكون لسليمان عليه السلام مثله وأيا ما كان فوصفه بذلك بين يديه عليه الصلاة والسلام لما مر من ترغيبه عليه الصلاة والسلام فى الاصغاء الى حديثه وتوجيه عزيمته عليه الصلاة والسلام نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما يوجب غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ أى يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ التى هى عبادة الشمس ونظائرها من أصناف الكفر والمعاصى ﴿فصدهم﴾ بسبب ذلك ﴿عن السبيل﴾ أى سبيل الحق والصواب فان تزيين أعمالهم لا يتصور بدون تقويم طرق كفرهم وضلالهم ومن ضرورته نسبة طريق الحق الى العوج

﴿فهم﴾ بسبب ذلك ﴿لايهتدون﴾ اليه وقوله تعالى ﴿أن لا يسجدوا لله﴾ مفعول له اما للصد أو للتزيين على حذف اللام منه أى فصدهم لأن لا يسجدوا لله تعالى أو زين لهم أعمالهم لأن لايسجدوا أو بدل على حاله من أعمالهم وما بينهما اعتراض أى زين لهم أن لا يسجدوا وقيل هو فى موقع المفعول ليهتدون باسقاط الخافض ولا مزيدة كما فى قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب والمعنى فهم لايهتدون الى أن يسجدوا له تعالى وقرىء ألا يا اسجدوا على التنبيه والنداء والمنادى محذوف أى ألا يا قوم اسجدوا كما فى قوله الا يا اسلمى يادارمى على البلى ونظائره وعلى هذا يحتمل أن يكون استئنافا من جهة الله عز وجل أو من سليمان عليه السلام ويوقف على لايهتدون ويكون أمرا بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة ذما على تركه وأياما كان فالسجود واجب وقرىء هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وقرىء هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب ﴿الذى يخرج الخبء فى السموات والارض﴾ أى يظهر ماهو مخبوء ومخفى فيهما كائنا ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده تعالى باستحقاق السجود له من بين سائر أوصافه الموجبة لذلك لما أنه أرسخ فى معرفته والاحاطة بأحكامه بمشاهدة آثاره التى من جملتها ما أودعه الله تعالى فى نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الارض وأشار بعطف قوله ﴿ويعلم ما تخفون وما تعلنون﴾ على يخرج الى أنه تعالى يخرج مافى العالم الانسانى من الخفايا كما يخرج ما فى العالم الكبير من الخبايا لما أن المراد يظهر ماتخفونه من الاحوال فيجازيكم بها وذكر ماتعلنون لتوسيع دائرة العلم أو للتنبيه على تساويهما بالنسبة الى العلم الالهى وقرىء ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة بلا التفات واخراج الخبء يعم اشراق الكواكب واظهارها من آفاقها بعد استتارها ورائها وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء الذى هو اخراج ما فى الشىء بالقوة الى الفعل والابداع الذى هو اخراج ما فى الامكان والعدم الى الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل وقرىء الخب بتخفيف الهمزة بالحذف وقرىء الخبا بتخفيفها بالقلب وقرىء ألا تسجدون لله الذى يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون ﴿الله لا اله الا هو رب العرش العظيم﴾ الذى هو أول الاجرام وأعظمها وقرىء العظيم بالرفع على أنه صفة الرب واعلم أن ما حكى من الهدهد من قوله الذى يخرج الخبء الى هنا ليس داخلا تحت قوله أحطت بما لم تحط به وانما هو من العلوم والمعارف التى اقتبسها من سليمان عليه السلام أورده بيانا لما هو عليه واظهار التصلبه فى الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه الصلاة والسلام نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته عليه السلام الى غزوها وتسخيرها ولايتها ﴿قال﴾ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية كلام الهدهد كأنه قيل فماذا فعل سليمان عليه السلام عند ذلك فقيل قال ﴿سننظر﴾ أى فيما ذكرته من النظر بمعنى التأمل والسين للتأكيد أى سنتعرف بالتجربة البتة ﴿أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾ كان مقتضى الظاهر أم كذبت وايثار ما عليه النظم الكريم للايذان بأن كذبه فى هذه المادة يستلزم انتظامه فى سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه فان مساق هذه الاقاويل الملفقة على ترتيب أنيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير أن يكون لها مصداق أصلا لاسيما بين يدى نبى عظيم الشأن لايكاد يصدر الا عمن له قدم راسخ فى الكذب والافك وقوله تعالى ﴿اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم﴾ استئناف مبين لكيفية النظر الذى وعده عليه الصلاة والسلام وقد قاله عليه الصلاة والسلام بعد ما كتب كتابه فى ذلك المجلس أو بعده وتخصيصه عليه الصلاة والسلام اياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من أمناء الجن الاقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من مخايل العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى له عذر أصلا ﴿ثم تول عنهم﴾ أى تنح الى مكان قريب تتوارى فيه ﴿فانظر﴾ أى تأمل وتعرف ﴿ماذا يرجعون﴾ أى ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول وجمع الضمائر لما أن مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل الى الاسلام ﴿قالت﴾

أى بعدما ذهب الهدهد بالكتاب فألقاه اليهم وتنحى عنهم حسبما أمر به وانما طوى ذكره ايذانا بكمال مسارعته الى اقامة ما أمر به من الخدمة واشعارا باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره . روى أنه عليه الصلاة والسلام كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه الى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة فى قصرها بمأرب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهى مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب فى حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع الحميرى كما مر فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت لاشراف قومها ﴿ياأيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم﴾ وصفته بالكرم لكرم مضمونه أو لكونه من عند ملك كريم أو لكونه مختوما أو لغرابة شأنه ووصوله اليها على منهاج غير معتاد ﴿انه من سليمان﴾ استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل ممن هو وماذا مضمونه فقالت انه من سليمان ﴿وانه﴾ أى مضمونه او المكتوب فيه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وفيه اشارة الى سبب وصفها اياه بالكرم وقرىء أنه وأنه بالفتح على حذف اللام كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدرا باسم الله تعالى وقيل على أنه بدل من كتاب وقرىء أن من سليمان وأن بسم الله الرحمن الرحيم على أن أن المفسرة ﴿أن لا تعلوا على﴾ أن مفسرة ولا ناهية أى لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية محلها الرفع على أنها بدل من كتاب او خبر لمبتدأ مضمر يليق بالمقام أى مضمونه أن لا تعلوا اوالنصب باسقاط الخافض أى بأن لا تعلوا على وقرىء أن لا تغلوا بالغين المعجمة أى لا تتجاوزوا حدكم ﴿وأتونى مسلمين﴾ أى مؤمنين وقيل منقادين والاول هو الاليق بشأن النبى عليه الصلاة والسلام على أن الايمان مستتبع للانقياد حتما. روى أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا على واتونى مسلمين وليس الامر فيه بالاسلام قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالة مرسلها دلالة بينة ﴿قالت﴾ كررت حكاية قولها للايذان بغاية اعتنائها بما فى حيزه من قولها ﴿ياأيها الملأ أفتونى فى أمرى﴾ أى أجيبونى فى أمرى الذى حزبنى وذكرت لكم خلاصته وعبرت عن الجواب بالفتوى التى هى الجواب فى الحوادث المشكلة غالبا تهويلا للامر ورفعا لمحلهم بالاشعار بأنهم قادرون على حل المشكلات الملمة وقولها ﴿ما كنت قاطعة أمرا﴾ أى من الامور المتعلقة بالملك ﴿حتى تشهدون﴾ أى الا بمحضركم وبموجب آرائكم استعطاف لهم واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها فى الرأى والتدبير ﴿قالوا﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية قولها كأنه قيل فماذا قالوا فى جوابها فقيل قالوا ﴿نحن أولو قوة﴾ فى الاجساد والآلات والعدد ﴿وأولو بأس شديد﴾ أى نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء فى الحرب ﴿والامر اليك﴾ أى هو موكول اليك ﴿فانظرى ماذا تأمرين﴾ ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نمتثل به ونتبع رأيك اوأرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأى والمشورة واليك الرأى والتدبير فانظرى ماذا ترين نكن فى الخدمة فلما أحست منهم الميل الى الحراب والعدول عن سنن الصواب شرعت فى تزييف مقالتهم المبنية على الغفلة عن شأن سليمان عليه السلام وذلك قوله تعالى ﴿قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية﴾ من القرى على منهاج المقاتلة والحراب ﴿أفسدوها﴾ بتخريب عماراتها واتلاف مافيها من الاموال ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ بالقتل والاسر والاجلاء وغير ذلك من فنون الاهانة والاذلال ﴿وكذلك يفعلون﴾ تأكيد لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلى وتقرير له بأن ذلك عادتهم المستمرة وقيل تصديق لها من جهة الله تعالى على طريقة قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا اثر قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد

كلمات رفق ﴿وانى مرسلة اليهم بهدية﴾ تقرير لرأيها بعدما زيفت آراءهم وأتت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق للايذان بأنها مزمعة على رأيها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف أى وانى مرسلة اليهم رسلا بهدية عظيمة ﴿فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ حتى أعمل بما يقتضيه الحال . روى أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك فى زى الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلا من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأى وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا فهو نبى فأقبل الهدهد فأخبر سليمان عليه السلام بذلك فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب فى البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسى من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ماوراءكم وقال أين الحق وأخبره جبريل عليهما السلام بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم أمر بالارضة فأخذت شعرة ونفذت فى الدرة فجعل رزقها فى الشجرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فى الجزعة فجعل رزقها فى الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى ﴿فلما جاء سليمان﴾ أى الرسول ﴿قال﴾ أى مخاطبا للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغائب وقيل للرسول ومن معه ويؤيده أنه قرئ فلما جاؤا والاول أولى لما فيه من تشديد الانكار والتوبيخ وتعميمهما لبلقيس وقومها ويؤيده الافراد فى قوله تعالى ارجع اليهم ﴿أتمدوننى بمال﴾ وهو انكار لامدادهم اياه عليه الصلاة والسلام بالمال مع علو شأنه وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير مال للتحقير وقوله تعالى ﴿فما آتانى الله﴾ أى مما رأيتم آثاره من النبوة والملك الذى لا غاية وراءه ﴿خير مما آتاكم﴾ أى من المال الذى من جملته ما جئتم به فلا حاجة لى الى هديتكم ولا وقع لها عندى تعليل للانكار ولعله عليه الصلاة والسلام انما قال لهم هذه المقالة الى آخرها بعد ما جرى بينه وبينهم ما حكى من قصة الحق وغيرها كما أشير اليه لا أنه عليه الصلاة والسلام خاطبهم بها أول ماجاؤه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء الخ وقرئ أتمدونى بالادغام وبنون واحدة وبنونين وحذف الياء وقوله تعالى ﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ اضراب عما ذكر من انكار الامداد بالمال الى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التى أهدوها اليه عليه الصلاة والسلام فرح افتخار وامتنان واعتداد بها كما ينبئ عنه ما ذكر من حديث الحق والجزعة وتغيير زى الغلمان والجوارى وغير ذلك وفائدة الاضراب التنبيه على أن امداده عليه الصلاة والسلام بالمال منكر قبيح وعد ذلك مع أنه لا قدر له عنده عليه الصلاة والسلام مما يتنافس فيه المتنافسون أقبح والتوبيخ به أدخل وقيل المضاف اليه المهدى اليه والمعنى بل أنتم بما يهدى اليكم تفرحون حبا لزيادة المال لما أنكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا ﴿ارجع﴾ أفرد الضمير هنا بعد جمع الضمائر الخمسة فيما سبق لاختصاص الرجوع بالرسول وعموم الامداد ونحوه للكل أى ارجع أيها الرسول ﴿اليهم﴾ أى الى بلقيس وقومها فلنأتينهم أى فوالله لنأتينهم ﴿بجنود لا قبل لهم بها﴾ أى لا طاقة

لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم ﴿ولنخرجنهم﴾ عطف على جواب القسم ﴿منها﴾ من سبأ ﴿أذلة﴾ أى حال كونهم أذلة بعد ما كانوا فيه من العز والتمكين وفى جمع القلة تأكيد لذلتهم وقوله تعالى ﴿وهم صاغرون﴾ أى أسارى مهانون حال أخرى مفيدة لكون اخراجهم بطريق الاسر لا بطريق الاجلاء وعدم وقوع جواب القسم لانه كان معلقا بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه كأنه قيل ارجع اليهم فليأتوا مسلمين والا فلنأتينهم الخ ﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها﴾ قاله عليه الصلاة والسلام لما دنا مجىء بلقيس اليه عليه الصلاة والسلام يروى أنه لما رجعت رسلها اليها بما حكى من خبر سليمان عليه السلام قالت قد علمت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمان عليه السلام انى قادمة اليك بملوك قومى حتى أنظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك ثم آذنت بالرحيل الى سليمان عليه السلام فشخصت اليه فى اثنى عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف ويروى أنها أمرت فجعل عرشها فى آخر سبعة أبيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله أوحى الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فأراد أن يريها بعض ما خصه الله عز سلطانه به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه الصلاة والسلام ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم لا وتقييد الاتيان به بقوله تعالى ﴿قبل أن يأتونى مسلمين﴾ لما أن ذلك أبدع وأغرب وأبعد من الوقوع عادة وأدل على عظم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه الصلاة والسلام وليكون اختبارها واطلاعها على بدائع المعجزات فى أول مجيئها وقيل لأنها اذا أتت مسلمة لم يحل له أخذ مالها بغير رضاها ﴿قال عفريت﴾ أى مارد خبيث ﴿من الجن﴾ بيان له اذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر لأقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخرا ﴿أنا آتيك به﴾ أى بعرشها ﴿قبل أن تقوم من مقامك﴾ أى من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وآتيك اما صيغة المضارع أو الفاعل وهو الانسب لمقام ادعاء الاتيان به لا محالة وأوفق لما عطف عليه من الجملة الاسمية أى أنا آت به فى تلك المدة البتة ﴿وانى عليه﴾ أى على الاتيان به ﴿لقوى﴾ لا يثقل على حمله ﴿أمين﴾ لا أختزل منه شيئا ولا أبدله ﴿قال الذى عنده علم من الكتاب﴾ فصل عما قبله للايذان بما بين القائلين ومقاليهما وكيفيتى قدرتهما على الاتيان به من كمال التباين أو لاسقاط الأول عن درجة الاعتبار قيل هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل رجل كان عنده اسم الله الاعظم الذى اذا سئل به أجاب وقيل الخضر أو جبريل أو ملك أيده الله عز وجل به عليهم السلام وقيل هو سليمان نفسه عليه السلام وفيه بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة أو اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز الى أنه علم غير معهود ومن ابتدائية ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك﴾ الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر الى شىء وارتداده انضمامها ولكونه أمرا طبيعيا غير منوط بالقصد أوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن بين هذا الوعد وانجازه مدة ما كما فى وعد العفريت استغنى عن التأكيد وطوى عند الحكاية ذكر الاتيان به للايذان بأنه أمر متحقق غنى عن الاخبار به وجىء بالفاء الفصيحة لا داخلة على جملة معطوفة على جملة مقدرة دالة على تحققه فقط كما فى قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ونظائره بل داخلة على الشرطية حيث قيل ﴿فلما رآه مستقرا عنده﴾ أى رأى العرش حاضرا لديه كما فى قوله عز وجل فلما رأينه أكبرنه للدلالة على كمال ظهور ما ذكر من تحققه واستغنائه عن الاخبار به ببيان ظهور ما يترتب عليه من رؤية سليمان عليه السلام اياه واستغنائه أيضا عن التصريح به اذ التقدير فأتاه به فرآه فلما رآه الخ فحذف ما حذف لما ذكر وللايذان بكمال سرعة الاتيان به كأنه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته عليه الصلاة والسلام اياه شىء ما أصلا وفى تقييد رؤيته باستقراره عنده عليه

الصلاة والسلام تأكيد لهذا المعنى لايهامه أنه لم يتوسط بينهما ابتداء الاتيان أيضا كأنه لم يزل موجودا عنده مع مافيه من الدلالة على دوام قراره عنده منتظما فى سلك ملكه ﴿قال﴾ أى سليمان عليه السلام تلقيا للنعمة بالشكر جريا على سنن أبناء جنسه من أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام وخلص عباده ﴿هذا﴾ أى حضور العرش بين يديه فى هذه المدة القصيرة أو التمكن من احضاره بالواسطة أو بالذات كما قيل ﴿من فضل ربى﴾ أى تفضله على من غير استحقاق له من قبلى ﴿ليبلونى أأشكر﴾ بأن أراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتى ولا قوة وأقوم بحقه ﴿أم أكفر﴾ بأن أجد لنفسى مدخلا فى البين أو أقصر فى اقامة مواجبه كما هو شأن سائر النعم الفائضة على العباد ﴿ومن شكر فانما يشكر لنفسه﴾ لأنه يرتبط به عتيدها ويستجلب به مزيدها ويحط به عن ذمته عبء الواجب ويتخلص عن وصمة الكفران ﴿ومن كفر﴾ أى لم يشكر ﴿فان ربى غنى﴾ عن شكره ﴿كريم﴾ بترك تعجيل العقوبة والانعام مع عدم الشكر أيضا ﴿قال﴾ أى سليمان عليه السلام كررت الحكاية مع كون المحكى سابقا ولاحقا من كلامه عليه الصلاة والسلام تنبيها على مابين السابق واللاحق من المخالفة لما أن الأول من باب الشكر لله تعالى والثانى أمر لخدمه ﴿نكروا لها عرشها﴾ أى غيروا هيئته بوجه من الوجوه ﴿ننظر﴾ بالجزم على أنه جواب الامر وقرىء بالرفع على الاستئناف ﴿أتهتدى﴾ الى معرفته أو الى الجواب اللائق بالمقام وقيل الى الايمان بالله تعالى ورسوله عند رؤيتها لتقدم عرشها من مسافة طويلة فى مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس والحجاب ويأباه تعليق النظر المتعلق بالاهتداء بالتنكير فان ذلك مما لادخل فيه للتنكير ﴿أم تكون﴾ أى بالنسبة الى علمنا ﴿من الذين لايهتدون﴾ أى الى ماذكر من معرفة عرشها أو الجواب الصواب فان كونها فى نفس الامر منهم وان كان أمرا مستمرا لكن كونها منهم عند سليمان عليه السلام وقومه أمر حادث يظهر بالاختبار ﴿فلما جاءت﴾ شروع فى حكاية التجربة التى قصدها سليمان عليه السلام أى فلما جاءت بلقيس سليمان عليه السلام وقد كان العرش بين يديه ﴿قيل﴾ أى من جهة سليمان عليه السلام بالذات أو بالواسطة ﴿أهكذا عرشك﴾ لم يقل أهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الامر بالتنكير من ابراز العرش فى معرض الاشكال والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عليه الصلاة والسلام بسخافة العقل ﴿قالت كأنه هو﴾ فأبانت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة فى الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الادب فى محاورته عليه الصلاة والسلام ﴿وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾ من تتمة كلامها كأنها ظنت أنه عليه الصلاة والسلام أراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت أوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التى شاهدناها بما سمعناه من المنذر من الآيات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة رأيها ورصانة فكرها ما لايخفى وقوله تعالى ﴿وصدها ما كانت تعبد من دون الله﴾ بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من اظهار ماادعته من الاسلام الى الآن أى صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى ﴿انها كانت من قوم كافرين﴾ تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد أى انها كانت من قوم راسخين فى الكفر ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهى بين ظهرانيهم الى أن دخلت تحت ملكة سليمان عليه السلام وقرىء أنها بالفتح على البدلية من فاعل صد أو على التعليل بحذف اللام هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى وأوتينا العلم الى قوله تعالى من قوم كافرين من كلام سليمان عليه السلام وملئه كأنهم لما سمعوا قولها كأنه هو تفطنوا لاسلامها فقالوا استحسانا لشأنها أصابت فى الجواب وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت من المنذر من الآيات المتقدمة

وبما عاينت من هذه الآية الباهرة من أمر عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا على ذلك قولهم وأوتينا العلم الخ أى وأوتينا نحن العلم بالله تعالى وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله تعالى والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهرانى الكفرة فما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف ﴿قيل لها ادخلى الصرح﴾ الصرح القصر وقيل صحن الدار . روى أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره فى صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضى اليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان عليه السلام الى ملك هو أشد وأفظع فقالوا ان فى عقلها شيئا وهى شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها ﴿فلما رأته﴾ وهو حاضر بين يديها كما يعرب عنه الأمر بدخولها وأحاطت بتفاصيل أحواله خبرا ﴿حسبته لجة وكشفت عن ساقيها﴾ وتشمرت لئلا تبتل أذيالها فاذا هى أحسن الناس ساقا وقدما خلا أنها شعراء قيل هى السبب فى اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها عليه الصلاة والسلام وأمر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها فى الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع وقرىء سأقيها حملا للمفرد على الجمع فى سؤق وأسؤق ﴿قال﴾ عليه الصلاة والسلام حين رأى ما اعتراها من الدهشة والرعب ﴿انه﴾ أى ما توهمته ماء ﴿صرح ممرد﴾ أى مملس ﴿من قوارير﴾ من الزجاج ﴿قالت﴾ حين عاينت تلك المعجزة أيضا ﴿رب انى ظلمت نفسى﴾ بما كنت عليه الى الآن من عبادة الشمس وقيل بظنى بسليمان حيث ظننت أنه يريد اغراقها فى اللجة وهو بعيد ﴿وأسلمت مع سليمان﴾ تابعة له مقتدية به وما فى قوله تعالى ﴿لله رب العالمين﴾ من الالتفات الى الاسم الجليل ووصفه بربوبية العالمين لاظهار معرفتها بألوهيته تعالى وتفرده باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التى من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس ﴿ولقد أرسلنا﴾ عطف على قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما مسوق لما سيق هو له من تقرير أنه عليه الصلاة والسلام يلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان هذه القصة أيضا من جملة القرآن الكريم الذى لقيه عليه الصلاة والسلام واللام جواب قسم محذوف أى وبالله لقد أرسلنا ﴿الى ثمود أخاهم صالحا﴾ وأن فى قوله تعالى ﴿أن اعبدوا الله﴾ مفسرة لما فى الارسال من معنى القول أو مصدرية حذف عنها الباء وقرىء بضم النون اتباعا لها للباء ﴿فاذا هم فريقان يختصمون﴾ ففاجؤا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين ﴿قال﴾ عليه الصلاة والسلام للفريق الكافر منهم بعد ما شاهد منهم ما شاهد من نهاية العتو والعناد حتى بلغوا من المكابرة الى أن قالوا له عليه الصلاة والسلام يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ﴿ياقوم لم تستعجلون بالسيئة﴾ أى بالعقوبة السيئة ﴿قبل الحسنة﴾ أى التوبة فتؤخرونها الى حين نزولها حيث كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون ان وقع ايعاده تبنا حينئذ والا فنحن على ما كنا عليه ﴿لولا تستغفرون الله﴾ هلا تستغفرونه تعالى قبل نزولها ﴿لعلكم ترحمون﴾ بقبولها اذ لا امكان للقبول عند النزول ﴿قالوا اطيرنا﴾ أصله تطيرنا والتطير التشاؤم عبر عنه بذلك لما أنهم كانوا اذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فان مر سانحا تيمنوا وان مر بارحا تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببا لهما من قدر الله تعالى وقسمته أو من عمل العبد أى تشاءمنا ﴿بك وبمن معك﴾ فى دينك حيث تتابعت علينا الشدائد وقد

كما قحطوا أو لم نزل فى اختلاف وافتراق مذ اخترعتم دينكم ﴿قال طائركم﴾ أى سببكم الذى منه ينالكم ما ينالكم من الشر ﴿عند الله﴾ وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده وقوله تعالى ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ أى تختبرون بتعاقب السراء والضراء أو تعذبون أو يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة اضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعى اليه ﴿وكان فى المدينة﴾ وهى الحجر ﴿تسعة رهط﴾ أى أشخاص وبهذا الاعتبار وقع تمييزا للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر أنه من الثلاثة أو من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة وأسماؤهم حسبما نقل عن وهب الهذيل ابن عبد رب وغنم بن غنم ورئاب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمير بن كردبة وعاصم بن مخرمة وسبيط بن صدقة وشمعان بن صفى وقدار بن سالف وهم الذين سعوا فى عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرافهم ﴿يفسدون فى الأرض﴾ لا فى المدينة فقط افسادا بحتا لا يخالطه شىء ما من الاصلاح كما ينطق به قوله تعالى ﴿ولا يصلحون﴾ أى لا يفعلون شيأ من الاصلاح او لا يصلحون شيأ من الاشياء ﴿قالوا﴾ استئناف لبيان بعض ما فعلوا من الفساد أى قال بعضهم لبعض فى أثناء المشاورة فى أمر صالح عليه الصلاة والسلام وكان ذلك غب ما أنذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام الخ ﴿تقاسموا بالله﴾ اما أمر مقول لقالوا أو ماض وقع بدلا منه أو حالا من فاعله باضمار قد وقوله تعالى ﴿لنبيتنه وأهله﴾ أى لنباغتن صالحا وأهله ليلا ونقتلنهم وقرىء بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرىء بياء الغيبة وضم التاء على أن تقاسموا فعل ماض ﴿ثم لنقولن لوليه﴾ أى لولى صالح وقرىء بالتاء والياء كما قبله ﴿ما شهدنا مهلك أهله﴾ أى ما حضرنا هلاكهم او وقت هلاكهم أو مكان هلاكهم فضلا أن تولى اهلاكهم وقرىء مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا ﴿وانا لصادقون﴾ من تمام القول أو حال أى نقول ما نقول والحال انا لصادقون فى ذلك لأن الشاهد للشىء غير المباشر له عرفا أو لأنا ما شاهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين ﴿ومكروا مكرا﴾ بهذه المواضعة ﴿ومكرنا مكرا﴾ أى أهلكناهم اهلاكا غير معهود ﴿وهم لا يشعرون﴾ أو جازيناهم مكرهم من حيث لا يحتسبون ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم﴾ شروع فى بيان ما ترتب على ما باشروه من المكر وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض أى فتفكر فى أنه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله تعالى ﴿أنا دمرناهم﴾ اما بدل من عاقبة مكرهم على أنه فاعل كان وهى تامة وكيف حال أى فانظر كيف حصل أى على أى وجه حدث تدميرنا اياهم واما خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لما فى عاقبة مكرهم من الابهام أى هى تدميرنا اياهم ﴿وقومهم﴾ الذين لم يكونوا معهم فى مباشرة التبييت ﴿أجمعين﴾ بحيث لم يشذ منهم شاذ واما تعليل لما ينبىء عنه الأمر بالنظر فى كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول والفظاعة بحذف الجار أى لأنا دمرناهم الخ وقيل كان ناقصة اسمها عاقبة مكرهم خبرها كيف كان فالاوجه حينئذ أن يكون قوله تعالى أنا دمرناهم الخ تعليلا لما ذكر وقرىء انا دمرناهم الخ بالكسر على الاستئناف . روى أنه كان لصالح عليه السلام مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم فى مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤا بالليل شاهرى سيوفهم وقد أرسل الله تعالى الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا ﴿فتلك بيوتهم﴾ جملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى ﴿خاوية﴾ أى خالية أو ساقطة متهدمة ﴿بما ظلموا﴾ أى بسبب ظلمهم المذكور حال من بيوتهم والعامل معنى الاشارة وقرىء خاوية بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف ﴿ان فى

ذلك﴾ أى فيما ذكر من التدمير العجيب بظلمهم ﴿لآية﴾ لعبرة عظيمة ﴿لقوم يعلمون﴾ أى ما من شانه أن يعلم من الاشياء أو لقوم يتصفون بالعلم ﴿وأنجينا الذين آمنوا﴾ صالحا ومن معه من المؤمنين ﴿وكانوا يتقون﴾ أى الكفر والمعاصى اتقاء مستمرا فلذلك خصوا بالنجاة ﴿ولوطا﴾ منصوب بمضمر معطوف على أرسلنا فى صدر قصة صالح داخل معه فى حيز القسم أى وأرسلنا لوطا وقوله تعالى ﴿اذ قال لقومه﴾ ظرف للارسال على أن المراد به أمر ممتد وقع فيه الارسال وماجرى بينه وبين قومه من الاقوال والاحوال وقيل انتصاب لوطا باضمار اذكر واذ بدل منه وقيل بالعطف على الذين آمنوا أى وأنجينا لوطا وهو بعيد ﴿أتأتون الفاحشة﴾ اى الفعلة المتناهية فى القبح والسماجة وقوله تعالى ﴿وأنتم تبصرون﴾ جملة حالية من فاعل تأتون مفيدة لتأكيد الانكار وتشديد التوبيخ فان تعاطى القبيح من العالم بقبحه أقبح وأشنع وتبصرون من بصر القلب أى أتفعلونها والحال أنكم تعلمون علما يقينيا بكونها كذلك وقيل يبصرها بعضكم من بعض لما كانوا يعلنون بها ﴿أئنكم لتأتون الرجال شهوة﴾ تثنية للانكار وتكرير للتوبيخ وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق التصريح وتحلية الجملة بحرفى التأكيد للايذان بأن مضمونها مما لا يصدق وقوعه أحد لكمال بعده من العقول وايراد المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التى علل بها الاتيان ﴿من دون النساء﴾ متجاوزين النساء اللاتى هن محال الشهوة ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ تفعلون فعل الجاهلين بقبحه أو تجهلون العاقبة أو الجهل بمعنى السفاهة والمجون اى بل أنتم قوم سفهاء ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة لقوم لكونهم فى حيز الخطاب ﴿فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون﴾ يتنزهون عن أفعالنا أو عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه استهزاء وقد مر فى سورة الأعراف أن هذا الجواب هو الذى صدر عنهم فى المرة الاخيرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام بالامر والنهى لا أنهم لم يصدر عنهم كلام آخر غيره ﴿فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها﴾ أى قدرنا أنها ﴿من الغابرين﴾ أى الباقين فى العذاب ﴿وأمطرنا عليهم مطرا﴾ غير معهود ﴿فساء مطر المنذرين﴾ قد مر بيان كيفية ماجرى عليهم من العذاب غير مرة ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ اثر ما قص الله تعالى على رسوله عليه الصلاة والسلام قصص الأنبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام وأخبارهم الناطقة بكمال قدرته تعالى وعظم شأنه وبما خصهم به من الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة أقدارهم وصحة أخبارهم وبين على ألسنتهم حقية الاسلام والتوحيد وبطلان الكفر والاشراك وأن من اقتدى بهم فقد اهتدى ومن أعرض عنهم فقد تردى فى مهاوى الردى وشرح صدره عليه الصلاة والسلام بما فى تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف الربانية ونور قلبه بأنوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس وقرر بذلك فحوى ما نطق به قوله عز وجل وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم أمره عليه الصلاة والسلام بأن يحمده تعالى على ما أفاض عليه من تلك النعم التى لا مطمع وراءها لطامع ولا مطمح من دونها لطامح ويسلم على كافة الأنبياء الذين من جملتهم الذين قصت عليه أخبارهم التى هى من جملة المعارف التى أوحيت اليه عليه الصلاة والسلام أداء لحق تقدمهم واجتهادهم فى الدين وقيل هو أمر للوط عليه السلام بأن يحمده تعالى على اهلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة عن الهلاك ولا يخفى بعده ﴿آلله خير أما يشركون﴾ أى آلله الذى ذكرت شئونه العظيمة خير أم ما يشركونه به تعالى من الأصنام ومرجع الترديد الى التعريض بتبكيت الكفرة من جهته تعالى وتسفيه آرائهم الركيكة والتهكم بهم اذ من البين أن ليس فيما أشركوه به تعالى شائبة خير ما حتى يمكن أن يوازن بينه وبين من لا خير الا خيره ولا اله غيره وقرئ تشركون بالتاء الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى الكفرة وهو الاليق بما بعده من سياق النظم الكريم المبنى على خطابهم

وجعله من جملة القول المأمور به يأباه قوله تعالى فأنبتنا الخ فانه صريح فى أن التبكيت من قبله عز وجل بالذات وحمله على أنه حكاية منه عليه الصلاة والسلام لما أمر به بعبارته كما فى قوله تعالى قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم تعسف ظاهر من غير داع اليه وأم فى قوله تعالى ﴿أم من خلق السموات والأرض﴾ منقطعة ومافيها من كلمة بل على القراءة الأولى للاضراب والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح به خطابا على وجه أظهر منه لمزيد التأكيد والتشديد وأما على القراءة الثانية فلتثنية التبكيت وتكرير الالزام كنظائرها الآتية والهمزة لتقريرهم أى حملهم على الاقرار بالحق على وجه الاضطرار فانه لايتمالك أحد ممن له أدنى تمييز ولا يقدر على أن لايعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات وأفاض على كل منها مايليق به من منافعه من أخس تلك المخلوقات وأدناها بل بأن لاخيرية فيه بوجه من الوجوه قطعا ومن مبتدأ خبره محذوف مع أم المعادلة للهمزة تعويلا على ماسبق فى الاستفهام الاول خلا أن تشركون ههنا بتاء الخطاب على القراءتين معا وهكذا فى المواضع الأربعة الآتية والمعنى بل أمن خلق قطرى العالم الجسمانى ومبدأى منافع مابينهما ﴿وأنزل لكم﴾ التفات الى خطاب الكفرة على القراءة الأولى لتشديد التبكيت والالزام أى أنزل لأجلكم ومنفعتكم ﴿من السماء ماء﴾ أى نوعا منه هو المطر ﴿فأنبتنا به حدائق﴾ أى بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط ﴿ذات بهجة﴾ أى ذات حسن ورونق يبتهج به النظار ﴿ما كان لكم﴾ أى ماصح وماأمكن لكم ﴿أن تنبتوا شجرها﴾ فضلا عن ثمرها وسائر صفاتها البديعة خير أم ماتشركون وقرئ أمن بالتخفيف على أنه بدل من الله وتقديم صلتى الانزال على مفعوله لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والالتفات الى التكلم فى قوله تعالى فأنبتنا لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والايذان بأن انبات تلك الحدائق المختلفة الأصناف والأوصاف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع مالها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماء واحد مما لايكاد يقدر عليه الا هو وحده حسبما ينبئ عنه تقييدها بقوله تعالى ما كان لكم الخ سواء كانت صفة لها أو حالا وتوحيد وصفها الأول أعنى ذات بهجة لما أن المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نهج قولهم النساء ذهبت وكذا الحال فى ضمير شجرها ﴿أإله مع الله﴾ أى أإله آخر كائن مع الله الذى ذكر بعض أفعاله التى لايكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى فى العبادة وهذا تبكيت لهم بنفى الألوهية عما يشركونه به تعالى فى ضمن النفى الكلى على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفى الخيرية عنه بما ذكر من الترديد فان أحدا ممن له تمييز فى الجملة كما لايقدر على انكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة لايكاد يقدر على انكار انتفاء الألوهية عنه رأسا لاسيما بعد ملاحظة انتفاء أحكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال فى المواقع الأربعة الآتية وقيل المراد نفى أن يكون معه تعالى اله آخر فيما ذكر من الخلق وماعطف عليه لكن لا على أن التبكيت بنفس ذلك النفى فقط كيف لاوهم لاينكرونه حسبما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله بل باشراكهم به تعالى فى العبادة مايعترفون بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم الألوهية كأنه قيل أإله آخر مع الله فى خواص الألوهية حتى يجعل شريكا له تعالى فى العبادة وقيل المعنى أغيره يقرن به ويجعل له شريكا فى العبادة مع تفرده تعالى بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقيق المنكر دون النفى كما فى الوجهين السابقين والأول هو الأظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من اله والأوفى بحق المقام لافادته نفى وجود اله آخر معه تعالى رأسا لانفى معيته فى الخلق وفروعه فقط وقرئ آإله بتوسيط مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ أإلها باضمار فعل يناسب المقام مثل أتدعون أو أتشركون ﴿بل هم قوم يعدلون﴾ اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب الى بيان سوء حالهم وحكايته لغيرهم أى بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة فى كل أمر من الأمور فلذلك يفعلون مايفعلون من العدول عن الحق الواضح

الذى هو التوحيد والعكوف على الباطل البين الذى هو الاشراك وقيل يعدلون به تعالى غيره وهو بعيد خال عن الافادة ﴿أم من جعل الأرض قرارا﴾ قيل هو بدل من أم من خلق السموات الخ وكذا مابعده من الجمل الثلاث وحكم الكل واحد والأظهر أن كل واحدة منها اضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها الى التبكيت بوجه آخر أدخل فى الالزام بجهة من الجهات أى جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب بابداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما تدور عليه منافعهم ﴿وجعل خلالها﴾ أوساطها ﴿أنهارا﴾ جارية ينتفعون بها ﴿وجعل لها رواسى﴾ أى جبالا ثوابت تمنعها أن تميد بأهلها ويتكون فيها المعادن وينبع فى حضيضها الينابيع ويتعلق بها من المصالح مالايحصى ﴿وجعل بين البحرين﴾ أى العذب والمالح أو خليجى فارس والروم ﴿حاجزا﴾ برزخا مانعا من الممازجة وقد مر فى سورة الفرقان والجعل فى المواقع الثلاثة الأخيرة ابداعى وتأخير مفعوله عن الظرف لما مر مرارا من التشويق ﴿أإله مع الله﴾ فى الوجود أو فى ابداع هذه البدائع على مامر ﴿بل أكثرهم لايعلمون﴾ أى شيئا من الأشياء ولذلك لايفهمون بطلان ماهم عليه من الشرك مع كمال ظهوره ﴿أم من يجيب المضطر اذا دعاه﴾ وهو الذى أحوجته شدة من الشدائد وألجأته الى اللجأ والضراعة الى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار الذى هو افتعال من الضرورة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو المجهود وعن السدى رحمه الله تعالى من لاحول له ولاقوة وقيل المذنب اذا استغفر واللام للجنس لاللاستغراق حتى يلزم اجابة كل مضطر ﴿ويكشف السوء﴾ وهو الذى يعترى الانسان مما يسوؤه ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ أى خلفاء فيها بأن ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الأمم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط ﴿أإله مع الله﴾ الذى يفيض على كافة الأنام هذه النعم الجسام ﴿قليلا ماتذكرون﴾ أى تذكرا قليلا أو زمانا قليلا تذكرون وما مزيدة لتأكيد معنى القلة التى أريد بها العدم أو مايجرى مجراه فى الحقارة وعدم الجدوى وفى تذييل الكلام بنفى التذكر عنهم ايذان بأن مضمونه مركوز فى ذهن كل ذكى وغبى وأنه من الوضوح بحيث لايتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقرىء تتذكرون على الأصل وتذكرون ويذكرون بالتاء والياء مع الادغام ﴿أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر﴾ أى فى ظلمات الليالى فيهما على أن الاضافة للملابسة أو فى مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتى لامنار بها ﴿ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته﴾ وهى المطر ولئن صح أن السبب الأكثرى فى تكون الريح معاودة الأدخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها فلاريب فى أن الأسباب الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وجل والفاعل للسبب فاعل للمسبب قطعا ﴿أإله مع الله﴾ نفى لأن يكون معه اله آخر وقوله تعالى ﴿تعالى الله عما يشركون﴾ تقرير وتحقيق له واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم أى تعالى وتنزه بذاته المنفردة بالألوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات مقهورا تحت قدرته عما يشركون أى عن وجود مايشركونه به تعالى لا مطلقا فان وجوده مما لا مرد له بل عن وجوده بعنوان كونه الها وشريكا له تعالى أو عن اشراكهم ﴿أم من يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ أى بل أمن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث ﴿ومن يرزقكم من السماء والارض﴾ أى بأسباب سماوية وأرضية قد رتبها على ترتيب بديع تقتضيه الحكمة التى عليها بنى أمر التكوين خير أم ماتشركونه به فى العبادة من جماد لايتوهم قدرته على شىء ما أصلا ﴿أإله﴾ آخر موجود ﴿مع الله﴾ حتى يجعل شريكا له فى العبادة وقوله تعالى ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ أمر له عليه الصلاة والسلام بتبكيتهم اثر تبكيت أى هاتوا برهانا عقليا أو نقليا يدل على أن معه تعالى الها لاعلى أن غيره تعالى يقدر على شىء مما ذكر من أفعاله تعالى كما قيل فانهم لايدعونه صريحا ولا يلتزمون كونه من لوازم الالوهية وان كان منها فى الحقيقة فمطالبتهم بالبرهان عليه لاعلى صريح دعواهم مما لاوجه له وفى اضافة البرهان

الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من ايهام أن لهم برهانا وأنى لهم ذلك ﴿ان كنتم صادقين﴾ أى فى تلك الدعوى ﴿قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله﴾ بعد ماحقق تفرده تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقبه بذكر ماهو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلا لما قبله وتمهيدا لما بعده من أمر البعث والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على استحالة علم الغيب من أهل السموات والارض بتعليقه بكونه سبحانه وتعالى منهم كأنه قيل ان كان الله تعالى من فيهما ففيهم من يعلم الغيب أو متصل على أن المراد بمن فى السموات والارض من تعلق علمه بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما فان ذلك معنى مجازى عام له تعالى ولأولى العلم من خلقه ومن موصولة أو موصوفة ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ أى متى ينشرون من القبور مع كونه مما لابد لهم منه ومن أهم الأمور عندهم وأيان مركبة من أى وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة وان كان عدم الشعور بما ذكر عاما لئلا يلزم التفكيك بينه وبين ماسيأتى من الضمائر الخاصة بهم قطعا وقيل الكل لمن واسناد خواص الكفرة الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم ﴿بل ادارك علمهم فى الآخرة﴾ لما نفى عنهم علم الغيب وأكد ذلك بنفى شعورهم بوقت ماهو مصيرهم لامحالة بولغ فى تأكيده وتقريره بأن أضرب عنه وبين أنهم فى جهل أفحش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لايعلمون أحوال الآخرة مطلقا مع تعاضد أسباب معرفتها على أن معنى ادارك علمهم فى الآخرة تدارك وتتابع علمهم فى شأن الآخرة التى ماذكر من البعث حال من أحوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشىء مما سيكون فيها قطعا لكن لا على معنى أنه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئا فشيئا بل على طريقة المجاز بتنزيل أسباب العلم ومباديه من الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه واجراء تساقطها عن درجة اعتبارهم كلما لاحظوها مجرى تتابعها الى الانقطاع ثم أضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها الى بيان ماهو أسوأ منه وهو حيرتهم فى ذلك حيث قيل ﴿بل هم فى شك منها﴾ أى فى شك مريب من نفس الآخرة وتحققها كمن تحير فى أمر لايجد عليه دليلا فضلا عن الأمور التى ستقع فيها ثم أضرب عن ذلك الى بيان أن ماهم فيه أشد وأفظع من الشك حيث قيل ﴿بل هم منها عمون﴾ بحيث لايكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية وقرئ بل أدرك علمهم بمعنى انتهى وفنى وقد فسره الحسن البصرى باضمحل علمهم وقيل كلتا الصيغتين على معناهما الظاهر أى تكامل واستحكم أو تم أسباب علمهم بأن القيامة كائنة لامحالة من الآيات القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون فى ذلك وقوله تعالى بل هم فى شك منها اضراب وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك وقوله تعالى بل هم منها عمون اضراب من وصفهم بالشك الى وصفهم بما هو أشد منه وأفظع من العمى وأنت خبير بأن تنزيل أسباب العلم منزلة العلم سنن مسلوك لكن دلالة النظم الكريم على جهلهم حينئذ ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهكم بهم فيكون وصفا لهم بالجهل مبالغة والاضرابان على ماذكر وأصل ادارك تدارك وبه قرأ أبى فأبدلت التاء دالا وسكنت فتعذر الابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك وقرئ بل ادرك وأصله افتعل وبل أأدرك بهمزتين وبل آادرك بألف بينهما وبل ادرك بالتخفيف والنقل وبل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل ادرك على الاستفهام وبلى ادرك وبلى أأدرك وأم تدارك وأم أدرك فهذه ثنتا عشرة قراءة ففيما فيه استفهام صريح أو مضمن من ذلك فهو انكار ونفى وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على وجه التهكم الذى هو أبلغ وجوه النفى والانكار وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة فى النفى ودلالة على أن شعورهم بها أنهم شاكون فيها بل أنهم منها عمون أو رد وانكار لشعورهم ﴿وقال الذين كفروا﴾ بيان لجهلهم بالآخرة وعمههم منها بحكاية انكارهم للبعث ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز صلته والاشعار بعلة حكمهم الباطل فى

قولهم ﴿أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون﴾ أى أنخرج من القبور اذا كنا ترابا كما ينبئ عنه مخرجون ولا مساغ لأن يكون هو العامل فى اذا لاجتماع موانع لو تفرد واحد منها لكفى فى المنع وتقييد الاخراج بوقت كونهم ترابا ليس لتخصيص الانكار بالاخراج حينئذ فقط فانهم منكرون للاحياء بعد الموت مطلقا وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج فى حالة منافية له وقوله تعالى وآباؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل مع الخبر مقام الفصل بالتأكيد وتكرير الهمزة فى أئنا للمبالغة والتشديد فى الانكار وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى قوله تعالى أفلا تعقلون ونظائره على رأى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ انا لمخرجون على الخبر ﴿لقد وعدنا هذا﴾ أى الاخراج ﴿نحن وآباؤنا من قبل﴾ أى من قبل وعده عليه الصلاة والسلام وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود بالذكر وحيث أخر قصد به المبعوث والجملة استئناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها بالقسم لمزيد التأكيد وقوله تعالى ﴿ان هذا الا أساطير الأولين﴾ تقرير اثر تقرير ﴿قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ بسبب تكذيبهم للرسل عليهم الصلاة والسلام فيما دعوهم اليه من الايمان بالله عز وجل وحده وباليوم الآخر الذى تنكرونه فان فى مشاهدة عاقبتهم مافيه كفاية لأولى الأبصار وفى التعبير عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين فى ترك الجرائم ﴿ولا تحزن عليهم﴾ لاصرارهم على الكفر والتكذيب ﴿ولا تكن فى ضيق﴾ فى حرج صدر ﴿مما يمكرون﴾ من مكرهم فان الله تعالى يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد وهو أيضا مصدر ويجوز أن يكون المفتوح مخففا من ضيق وقد قرئ كذلك أى لا تكن فى أمر ضيق ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ أى العذاب العاجل الموعود ﴿ان كنتم صادقين﴾ فى اخباركم باتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين فى الاخبار بذلك ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ أى تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد كالباء فى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام وقرئ بفتح الدال وهى لغة فيه ﴿بعض الذى تستعجلون﴾ وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف فى مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وانما يطلقونها اظهارا للوقار واشعارا بأن الرمز من أمثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك يجرى وعد الله تعالى ووعيده وايثار ماعليه النظم الكريم على أن يقال عسى أن يردفكم الخ لكونه أدل على تحقق الوعد ﴿وان ربك لذو فضل على الناس﴾ أى لذو افضال وانعام على كافة الناس ومن جملة انعاماته تأخير عقوبة هؤلاء على ماير تكبونه من المعاصى التى من جملتها استعجال العذاب ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء ﴿وان ربك ليعلم ماتكن صدورهم﴾ أى ماتخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت الشئ اذا سترته ﴿وما يعلنون﴾ من الأفعال والأقوال التى من جملتها ماحكى عنهم من استعجال العذاب وفيه ايذان بأن لهم قبائح غير مايظهرونه وأنه تعالى يجازيهم على الكل وتقديم السر على العلن قد مر سره فى سورة البقرة عند قوله تعالى أولا يعلمون أن الله يعلم مايسرون وما يعلنون ﴿وما من غائبة فى السماء والارض﴾ أى من خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء للمبالغة كما فى الرواية أو اسمان لما يغيب ويخفى والتاء للنقل الى الاسمية ﴿الا فى كتاب مبين﴾ أى بين أو مبين لما فيه لمن يطالعه وهو اللوح المحفوظ وقيل هو القضاء العدل بطريق الاستعارة ﴿ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون﴾ من جملته ما اختلفوا فى شأن المسيح وتحزبوا فيه أحزابا وركبوا متن العتو والغلو فى الافراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكد فى أشياء حتى بلغ المشاقة الى حيث لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الأمر لو كانوا فى حيز الانصاف ﴿وانه لهدى ورحمة

للمؤمنين﴾ على الاطلاق فيدخل فيهم من آمن من بنى اسرائيل دخولا أوليا ﴿ان ربك يقضى بينهم﴾ أى بين بنى اسرائيل ﴿بحكمه﴾ بما يحكم به وهو الحق أو بحكمته و يؤيده أنه قرئ بحكمه ﴿وهو العزيز﴾ فلا يرد حكمه وقضاؤه ﴿العليم﴾ بجميع الاشياء التى من جملتها مايقضى به والفاء فى قوله تعالى ﴿فتوكل على الله﴾ لترتيب الامر على ماذكر من شئونه عز وجل فانها موجبة للتوكل عليه وداعية الى الامر به أى فتوكل على الله الذى هذا شأنه فانه موجب على كل أحد أن يتوكل عليه و يفوض جميع أموره اليه وقوله تعالى ﴿انك على الحق المبين﴾ تعليل صريح للتوكل عليه تعالى بكونه عليه الصلاة والسلام على الحق البين أو الفاصل بينه و بين الباطل أو بين المحق والمبطل فان كونه عليه الصلاة والسلام كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرته وتأييده لامحالة وقوله تعالى ﴿انك لاتسمع الموتى﴾ الخ تعليل آخر للتوكل الذى هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر اليه والاعراض عن التشبث بما سواه وقد علل أولا بما يوجبه من جهته تعالى أعنى قضاءه بالحق وعزته وعلمه تعالى وثانيا بما يوجبه من جهته عليه الصلاة والسلام على أحد الوجهين أعنى كونه عليه الصلاة والسلام على الحق ومن جهته تعالى على الوجه الآخر أعنى اعانته تعالى وتأييده للمحق ثم علل ثالثا بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة ايجابه للاعراض عن التشبث بما سواه تعالى فان كونهم كالموتى والصم والعمى موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وداع الى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعنى بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا بالموتى لعدم تأثرهم بما يتلى عليهم من القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشئ من المسموعات ولعل المراد تشبيه قلوبهم بالموتى فيما ذكر من عدم الشعور فان القلب مشعر من المشاعر أشير الى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعرى الاذن والعين كما فى قوله تعالى لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها والا فبعد تشبيه أنفسهم بالموتى لايظهر لتشبيههم بالصم والعمى مزيد مزية ﴿ولاتسمع الصم الدعاء﴾ أى الدعوة الى أمر من الامور وتقييد النفى بقوله تعالى ﴿اذا ولوامدبرين﴾ لتكميل التشبيه وتأكيد النفى فانهم مع صممهم عن الدعاء الى الحق معرضون عن الداعى مولون على أدبارهم ولاريب فى أن الاصم لايسمع الدعاء مع كون الداعى بمقابلة صماخه قريبا منه فكيف اذا كان خلفه بعيدا منه وقرئ و لا يسمع الصم الدعاء ﴿وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم﴾ هداية موصلة الى المطلوب كما فى قوله تعالى انك لاتهدى من أحببت فان الاهتداء منوط بالبصر وعن متعلقة بالهداية باعتبار تضمنه معنى الصرف وقيل بالعمى يقال عمى عن كذا وفيه بعد وايراد الجملة الاسمية للمبالغة فى نفى الهداية وقرئ وما أنت تهدى العمى ﴿ان تسمع﴾ أى ماتسمع سماعا يجدى السامع نفعا ﴿الامن يؤمن بآياتنا﴾ أى من من شأنهم الايمان بها وايراد الاسماع فى النفى والاثبات دون الهداية مع قربها بأن يقال ان تهدى الا من يؤمن الخ لما أن طريق الهداية هو اسماع الآيات التنزيلية ﴿فهم مسلمون﴾ تعليل لايمانهم بها كأنه قيل فانهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله تعالى بلى من أسلم وجهه لله ﴿واذا وقع القول عليهم﴾ بيان لما أشير اليه بقوله تعالى بعض الذى تستعجلون من بقية مايستعجلونه من الساعة ومباديها والمراد بالقول مانطق من الآيات الكريمة بمجئ الساعة ومافيها من فنون الاهوال التى كانوا يستعجلونها و بوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك به للايذان بشدة وقعها وتأثيرها واسناده الى القول لما أن المراد بيان وقوعها من حيث انها مصداق للقول الناطق بمجيئها وقد أريد بالوقوع دنوه واقترابه كما فى قوله تعالى أتى أمر الله أى اذا دنا وقوع مدلول القول المذكور الذى لايكادون يسمعونه ومصداقه ﴿أخرجنا لهم دابة من الارض﴾ وهى الجساسة وفى التعبير عنها باسم الجنس وتأكيد ابهامه بالتنوين التفخيمي من الدلالة على غرابة شأنها

وخروج أوصافها عن طور البيان مالايخفى وقد ورد فى الحديث أن طولها ستون ذراعا لايدركها طالب ولا يفوتها هارب وروى أنها أربع قوائم ولها زغب وريش وجناحان وعن ابن جريج فى وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وقال وهب وجهها وجه الرجل وباقى خلقها خلق الطير وروى عن على رضى الله عنه أنه قال ليس بدابة لهاذنب ولكن لها لحية كأنه يشير الى أنه رجل والمشهور أنها دابة وروى لاتخرج الارأسها ورأسها يبلغ عنان السماء أو يبلغ السحاب وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه فيها كل لون مابين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضى الله عنه لايتم خروجها الا بعد ثلاثة أيام وعن على رضى الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج كل يوم الا ثلثها وعن النبى عليه الصلاة والسلام أنه سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعنى المسجد الحرام وروى أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس فى أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا وروى بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلى المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتضرب المؤمن فى مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضىء لها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم فى أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم أنت يافلان من أهل الجنة وأنت يافلان من أهل النار وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاى هذه وروى أبو هريرة عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال بئس الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذاك يارسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين فتكلم بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله تعالى ﴿تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون﴾ أى تكلمهم بأنهم كانوا لايوقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجىء الساعة ومباديها أو بجميع آياته التى من جملتها تلك الآيات وقيل بآياته التى من جملتها خروجها بين يدى الساعة والاول هو الحق كما ستحيط به علما وقرىء بأن الناس الآية واضافة الآيات الى نون العظمة لانها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها وقيل لانها حكاية منها لقول الله عز وجل وقيل لاختصاصها به تعالى واثرتها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا وانما الخيل والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف أى بآيات ربنا ووصفهم بعدم الايقان بها مع أنهم كانوا جاحدين بها للايذان بانه كان من حقهم أن يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرىء ان الناس بالكسر على اضمار القول أو اجراء الكلام مجراه والكلام فى الاضافة كالذى سبق وقيل هو استئناف مسوق من جهته تعالى لتعليل اخراجها أو تكليمها ويرده الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل فانه صريح فى كونه حكاية لعدم ايقانهم السابق فى الدنيا والمراد بالناس اما الكفرة على الاطلاق أو مشركو مكة وقد روى عن وهب أنها تخبر كل من تراه أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لايوقنون وقرىء تكلمهم من الكلم الذى هو الجرح والمراد به مانقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد جوز كون القراءة المشهورة أيضا منه لمعنى التكثير ولايخفى بعده ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجا﴾ بيان اجمالى لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان بعض مباديها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبى عليه الصلاة والسلام والمراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلى الشامل لكافة الخلق وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع أن المقصود تذكير

ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيان سره مرارا أى واذكر لهم وقت حشرنا أى جمعنا من كل أمة من أمم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو من أهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لان كل أمة منقسمة الى مصدق ومكذب وقوله تعالى ﴿ممن يكذب بآياتنا﴾ بيان للفوج أى فوجا مكذبين بها ﴿فهم يوزعون﴾ أى يحبس أولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا فى موقف التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد أطرافهم مالا يخفى وعن ابن عباس رضى الله عنهما أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدى أهل مكة وهكذا يحشر قادة سائر الامم بين أيديهم الى النار ﴿حتى اذا جاؤا﴾ الى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب ﴿قال﴾ أى الله عز وجل موبخا لهم على التكذيب والالتفات لتربية المهابة ﴿أكذبتم بآياتى﴾ الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله تعالى ﴿ولم تحيطوا بها علما﴾ جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للانكار والتوبيخ أى أكذبتم بها بادى الرأى غير ناظرين فيها نظرا يؤدى الى العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق حتما وهذا نص فى أن المراد بالآيات فيما سلف فى الموضعين هى الآيات القرآنية لانها هى المنطوية على دلائل الصحة وشواهد الصدق التى لم يحيطوا بها علما مع وجوب أن يتأملوا ويتدبروا فيها لا نفس الساعة وما فيها وقيل هو معطوف على كذبتم أى أجمعتم بين التكذيب وعدم التدبر فيها ﴿أم ماذا كنتم تعملون﴾ أى أم أى شئ كنتم تعملون بها أو أم أى شئ كنتم تعملون غير ذلك بمعنى أنه لم يكن لهم عمل غير ذلك كأنهم لم يخلقوا الا للكفر والمعاصى مع أنهم ما خلقوا الا للايمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتا ثم يكبون فى النار وذلك قوله تعالى ﴿ووقع القول عليهم﴾ أى حل بهم العذاب الذى هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله ﴿بما ظلموا﴾ بسبب ظلمهم الذى هو تكذيبهم بآيات الله ﴿فهم لا ينطقون﴾ لانقطاعهم عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الاليم ﴿ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه﴾ الرؤية قلبية لا بصرية لان نفس الليل والنهار وان كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات أى ألم يعلموا أنا جعلنا الليل بما فيه من الاظلام ليستريحوا فيه بالنوم والقرار ﴿والنهار مبصرا﴾ أى ليبصروا بما فيه من الاضاءة طرق التقلب فى أمور المعاش فبولغ فيه حيث جعل الابصار الذى هو حال الناس حالا له ووصفا من أوصافه التى جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك فى الليل هذا المسلك لما أن تأثير ظلام الليل فى السكون ليس بمثابة تأثير ضوء النهار فى الابصار ﴿ان فى ذلك﴾ أى فى جعلهما كما وصفا وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للاشعار ببعد درجته فى الفضل ﴿لآيات﴾ أى عظيمة كثيرة ﴿لقوم يؤمنون﴾ دالة على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وان من تأمل فى تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم رائقة تحار فى فهمها العقول ولا يحيط بها الا الله عز وجل وشاهد فى الآفاق تبدل ظلمة الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهى للحياة وعاين فى نفسه تبدل النوم الذى هو أخو الموت بالانتباه الذى هو مثل الحياة قضى بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور قضاء متقنا وجزم بأنه تعالى قد جعل هذا أنموذجا له ودليلا يستدل به على تحققه وأن الآيات الناطقة به وبكون حال الليل والنهار برهانا عليه وسائر الآيات كلها حق نازل من عند الله تعالى ﴿ويوم ينفخ فى الصور﴾ اما معطوف على يوم نحشر منصوب بناصبه أو بمضمر معطوف عليه والصور هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام. عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يؤمر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذى نفسى بيده ان عظم دارة فيه كعرض السماء والارض فيؤمر بالنفخ فيه

فينفخ نفخة لايبقى عندها فى الحياة أحد غير من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الامن شاء الله ثم يؤمر بأخرى فينفخ نفخة لايبقى معهاميت الابعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون والذى يستدعيه سياق النظم الكريم وسباقه أن المراد بالنفخ ههنا هى النفخة الثانية وبالفزع فى قوله تعالى ﴿ففزع من فى السموات ومن فى الارض﴾ مايعترى الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الامور الهائلة الخارقة للعادات فى الانفس والآفاق من الرعب والتهيب الضرورين الجبليين وايراد صيغة الماضى مع كون المعطوف عليه أعنى ينفخ مضارعا للدلالة على تحقق وقوعه اثر النفخ ولعل تأخير بيان الاحوال الواقعة عند ابتداء النفخة عن بيان مايقع بعدها من حشر المكذبين من كل أمة لتثنية التهويل بتكرير التذكير ايذانا بأن كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهياء حقيقة بالتذكير على حيالها ولوروعى الترتيب الوقوعى لربما توهم أن الكل داهية واحدة قد أمر بذكرها كما مر فى قصة البقرة ﴿الا من شاء الله﴾ أى أن لايفزع قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقيل الحور والخزنة وحملة العرش ﴿وكل﴾ أى كل واحد من المبعوثين عند النفخة ﴿أتوه﴾ حضروا الموقف بين يدى رب العزة جل جلاله للسؤال والجواب والمناقشة والحساب وقرىء أتاه باعتبار لفظ الكل كما أن القراءة الاولى باعتبار معناه وقرىء آتوه أى حاضروه ﴿داخرين﴾ أى صاغرين وقرىء دخرين وقوله تعالى ﴿وترى الجبال﴾ عطف على ينفخ داخل فى حكم التذكير وقوله عز وجل ﴿تحسبها جامدة﴾ أى ثابتة فى أماكنها اما بدل منه أو حال من ضمير ترى أو من مفعوله وقوله تعالى ﴿وهى تمر مر السحاب﴾ حال من ضمير الجبال فى تحسبها أو فى جامدة أى تراها رأى العين ساكنة والحال أنها تمر مر السحاب التى تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك أن الأجرام العظام اذا تحركت نحو سمت لاتكاد تتبين حركتها وعليه قول من قال

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج

وقد أدمج فى هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب فى تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما فى قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا أيضا مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيآتها ويسير الجبال عن مقارها على ماذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهى وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعى الذى هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لايكون الا بعد النفخة الثانية وقد قالوا فى تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم ان صيغة الماضى فى المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلا للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد قيل ان المراد هى النفخة الاولى والفزع هو الذى يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما فى قوله تعالى فصعق من فى السموات ومن فى الارض الآية فيختص أثرها بمن كان حيا عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من الامم وجوز أن يراد بالاتيان داخرين رجوعهم الى أمره تعالى وانقيادهم له ولا ريب فى أن ذلك مما ينبغى أن ينزه ساحة التنزيل عن أمثاله وأبعد من هذا ماقيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التى تكون قبل نفخة الصعق وهى التى أريدت بقوله تعالى ماينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترج الارض بأهلها رجا فتكون كالسفينة الموثقة فى البحر أو كالقنديل المعلق ترجحه الارواح

فانه مما لا ارتباط له بالمقام قطعا والحق الذى لامحيد عنه ماقدمناه ومما هو نص فى الباب ماسيأتى من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون ﴿صنع الله﴾ مصدر مؤكد لمضمون ماقبله أى صنع الله ذلك صنعا على أنه عبارة عما ذكر من النفخ فى الصور وما ترتب عليه جميعا قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الافاعيل وتهويل أمرها والايذان بأنها ليست بطريق اخلال نظام العالم وافساد أحوال الكائنات بالكلية من غير أن يدعو اليها داعية أو يكون لها عاقبة بل هى من قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على أساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التى لاجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادى الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿الذى أتقن كل شىء﴾ أى أحكم خلقه وسواه على ماتقتضيه الحكمة وقوله تعالى ﴿انه خبير بما تفعلون﴾ تعليل لكون ماذكر صنعا محكما له تعالى ببيان أن علمه تعالى بظواهر أفعال المكلفين وبواطنها مما يدعو الى اظهارها وبيان كيفياتها على ماهى عليه من الحسن والسوء وترتيب أجزيتها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض والجبال على وفق مانطق به التنزيل ليتحققوا بمشاهدة ذلك أن وعد الله حق لاريب فيه وقرىء خبير بما يفعلون وقوله تعالى ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ بيان لما أشير اليه باحاطة علمه تعالى بأفعالهم من ترتيب أجزيتها عليها أى من جاء منكم أو من أولئك الذين أتوه تعالى بالحسنة فله من الجزاء ماهو خير منها اما باعتبار أنه أضعافها واما باعتبار دوامه وانقضائها وقيل فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضى الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة ﴿وهم﴾ أى الذين جاؤا بالحسنات ﴿من فزع﴾ أى عظيم هائل لايقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات وهو الذى فى قوله تعالى لايحزنهم الفزع الاكبر وعن الحسن رحمه الله تعالى حين يؤمر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادى المنادى ياأهل الجنة خلود فلا موت و ياأهل النار خلود فلا موت ﴿يومئذ﴾ أى يوم اذ ينفخ فى الصور ﴿آمنون﴾ لايعتريهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره أصلا وأما الفزع الذى يعترى كل من فى السموات ومن فى الارض غير من استثناه الله تعالى فانما هو التهيب والرعب الحاصل فى ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهى والاهوال ولا يكاد يخلو منه أحد بحكم الجبلة وان كان آمنا من لحوق الضرر والأمن يستعمل بالجار وبدونه كما فى قوله تعالى أفأمنوا مكر الله وقرىء من فزع يومئذ بالاضافة مع كسر الميم وفتحها أيضا والمراد هو الفزع المذكور فى القراءة الاولى لاجميع الافزاع الحاصلة يومئذ ومدار الاضافة كونه أعظم الافزاع وأكبرها كأن ماعداه ليس بفزع بالنسبة اليه ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ قيل هو الشرك ﴿فكبت وجوههم فى النار﴾ أى كبوا فيها على وجوههم منكوسين أو كبت فيها أنفسهم على طريقة ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة ﴿هل تجزون الا ما كنتم تعملون﴾ على الالتفات للتشديد أو على اضمار القول أى مقولا لهم ذلك ﴿انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها﴾ أمر عليه الصلاة والسلام أن يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم أحوال المبدأ والمعاد وشرح أحوال القيامة تنبيها لهم على أنه قد أتم أمر الدعوة بما لامزيد عليه ولم يبق له عليه الصلاة والسلام بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله عز وجل والاستغراق فى مراقبته غير مبال بهم ضلوا أم رشدوا صلحوا أو فسدوا ليحملهم ذلك على أن يهتموا بأمور أنفسهم ولايتوهموا من شدة اعتنائه عليه الصلاة والسلام بأمر دعوتهم أنه عليه الصلاة والسلام يظهر لهم مايلجئهم الى الايمان لامحالة ويشتغلوا بتدارك أحوالهم ويتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه من الآيات الباهرة والبلدة هى مكة المعظمة وتخصيصها بالاضافة لتفخيم شأنها واجلال مكانها والتعرض لتحريمه تعالى اياها تشريف لها بعد تشريف وتعظيم اثر تعظيم مع ما فيه من الاشعار بعلة الامر وموجب الامتثال به كما فى قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذى

أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومن الرمز الى غاية شناعة ما فعلوا فيها ألا يرى أنهم مع كونها محرمة من أن تنتهك حرمتها باختلاء خلاها وعضد شجرها وتنفير صيدها وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطى أنجر أفراد الفجور وأشنع آحاد الالحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الاوثان وعكفوا على عبادتها قاتلهم الله أنى يؤفكون وقرئ حرمها بالتخفيف وقوله تعالى ﴿وله كل شئ﴾ أى خلقا وملكا وتصرفا من غير أن يشاركه شئ فى شئ من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على أن افرادمكة بالاضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ أى أثبت على ما كنت عليه من كونى من جملة الثابتين على ملة الاسلام والتوحيد أى الذين أسلموا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله ﴿وأن أتلو القرآن﴾ أى أواظب على تلاوته لتنكشف لى حقائقه الرائقة المخزونة فى تضاعيفه شيئا فشيئا أو على تلاوته على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنية الارشاد فيكون ذلك تنبيها على كفايته فى الهداية والارشاد من غير حاجة الى اظهار معجزة أخرى فعنى قوله تعالى ﴿فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه﴾ حينئذ فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما فيه من الشرائع والاحكام وعلى الاول فمن اهتدى باتباعه اياى فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة القرآن فانما منافع اهتدائه عائدة اليه لا الى ﴿ومن ضل﴾ بالكفر به والاعراض عن العمل بما فيه أو بمخالفتى فيما ذكر ﴿فقل﴾ فى حقه ﴿انما أنا من المنذرين﴾ وقد خرجت عن عهدة الانذار فليس على من وبال ضلاله شئ وانما هو عليه فقط ﴿وقل الحمد لله﴾ أى على ما أفاض على من نعمائه التى أجلها نعمة النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقنى لتحمل أعبائها وتبليغ أحكامها الى كافة الورى بالآيات البينة والبراهين النيرة وقوله تعالى ﴿سيريكم آياته﴾ من جملة الكلام المأمور به أى سيريكم البتة فى الدنيا آياته الباهرة التى نطق بها القرآن كخروج الدابة وسائر الاشراط وقد عد منها وقعة بدر ويأباه قوله تعالى ﴿فتعرفونها﴾ أى فتعرفون أنها آيات الله تعالى حين لا تنفعكم المعرفة لانهم لا يعترفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل سيريكم فى الآخرة وقوله تعالى ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ كلام مسوق من جهته تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبئ عنه اضافة الرب الى ضمير النبى عليه الصلاة والسلام وتخصيص الخطاب أولا به عليه الصلاة والسلام وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا أى وما ربك بغافل عما تعمل أنت من الحسنات وما تعملون أنتم أيها الكفرة من السيئات فيجازى كلا منكم بعمله لا محالة وقرئ عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك بغافل عن أعمالهم فسيعذبهم البتة فلا يحسبوا أن تأخير عذابهم لغفلته تعالى عن أعمالهم الموجبة له والله تعالى أعلم . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وهود وصالح وابراهيم وشعيب عليهم الصلاة والسلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

سورة القصص

(مكية وقيل الا قوله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين . وهى ثمان وثمانون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين﴾ قدمر ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل فى أشباهه ﴿نتلو عليك﴾ أى نقرأ بواسطة جبريل عليه السلام ويجوز أن تكون التلاوة مجازا من التنزيل ﴿من نبأ موسى وفرعون﴾ مفعول نتلو أى بعض نبئهما ﴿بالحق﴾ متعلق بمحذوف هو حال من فاعل نتلو أو من مفعوله أو صفة لمصدره أى نتلو عليك

بعض نبئهما ملتبسين أو ملتبسا بالحق أو تلاوة ملتبسة بالحق ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ متعلق بتتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لأنهم المنتفعون به ﴿ ان فرعون علا فى الارض ﴾ استئناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التأكيد للاعتناء بتحقيق مضمون مابعده أى انه تجبر وطغا فى أرض مصر وجاوز الحدود المعهودة فى الظلم والعدوان ﴿ وجعل أهلها شيعا ﴾ أى فرقا يشيعونه فى كل مايريده من الشر والفساد أو يشيع بعضهم بعضا فى طاعته أو أصنافا فى استخدامه يستعمل كل صنف فى عمل ويسخره فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم ﴿ يستضعف طائفة منهم ﴾ وهم بنو اسرائيل والجملة اما حال من فاعل جعل أو صفة لشيعا أو استئناف وقوله تعالى ﴿ يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ﴾ بدل منها وكان ذلك لما أن كاهنا قال له يولد فى بنى اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وماذاك الالغاية حمقه اذلو صدق فما فائدة القتل وان كذب فما وجهه ﴿ انه كان من المفسدين ﴾ أى الراسخين فى الافساد ولذلك اجترأ على مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من أولاد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ ونريد أن نمن ﴾ أى نتفضل ﴿ على الذين استضعفوا فى الارض ﴾ على الوجه المذكور بانجائهم من بأسه وصيغة المضارع فى نريد حكاية حال ماضية وهو معطوف على ان فرعون علا الخ لتناسبهما فى الوقوع فى حيز التفسير للنبأ أو حال من يستضعف بتقدير المبتدا أى يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لما أن تعلق الارادة للمن تعلق استقبالى على أن منة الله تعالى عليهم بالخلاص لما كانت فى شرف الوقوع جاز اجراؤها مجرى الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير لابانة قدر النعمة فى المنة بذكر حالتهم السابقة المباينة لها ﴿ ونجعلهم أئمة ﴾ يقتدى بهم فى أمور الدين بعد أن كانوا أتباعا مسخرين لآخرين ﴿ ونجعلهم الوارثين ﴾ لجميع ما كان منتظما فى سلك ملك فرعون وقومه وراثة معهودة فيما بينهم كما ينبىء عنه تعريف الوارثين وتأخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم أئمة مع تقدمها عليه زمانا لانحطاط رتبتها عن الامامة ولئلا ينفصل عنه مابعده مع كونه من روادفه أعنى قوله تعالى ﴿ ونمكن لهم فى الارض ﴾ الخ أى نسلطهم على مصر والشأم يتصرفون فيهما كيفما يشاؤن وأصل التمكين أن تجعل للشىء مكانا يتمكن فيه ﴿ ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ﴾ أى من أولئك المستضعفين ﴿ ما كانوا يحذرون ﴾ ويجتهدون فى دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم على يد مولود منهم وقرىء يرى بالياء ورفع مابعده على الفاعلية ﴿ وأوحينا الى أم موسى ﴾ بالهام أو رؤيا ﴿ أن أرضعيه ﴾ ما أمكنك اخفاؤه ﴿ فاذا خفت عليه ﴾ بأن يحس به الجيران عند بكائه وينموا عليه ﴿ فألقيه فى اليم ﴾ فى البحر وهو النيل ﴿ ولا تخافى ﴾ عليه ضيعة بالغرق ولا شدة ﴿ ولا تحزنى إنا رادوه اليك ﴾ عن قريب بحيث تأمنين عليه ﴿ وجاعلوه من المرسلين ﴾ والجملة تعليل للنهى عن الخوف والحزن وايثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها أى انا فاعلون لرده وجعله من المرسلين لامحالة روى أن بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بنى اسرائيل كانت مصافية لام موسى عليه السلام فقالت لها لينفعنى حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه فى قلبها ثم قالت ما جئتك الا لأقبل مولودك وأخبر فرعون ولكنى وجدت لابنك فى قلبى محبة ما وجدت مثلها لاحد فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته فى خرقة فألقته فى تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيأ فخرجوا وهى لاتدرى مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما فلما ألح فرعون فى طلب الولدان أوحى الله تعالى اليها ما أوحى وقد روى أنها أرضعته ثلاثة أشهر فى تابوت من بردى مطلى بالقار من داخله والفاء فى قوله تعالى

﴿ فالتقطه آل فرعون ﴾ فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مترتبة على ماقبلها من الامر بالالقاء قد حذفت تعويلا على دلالة الحال وايذانا بكمال سرعة الامتثال أى فألقته فى اليم بعد ماجعلته فى التابوت حسبما أمرت به فالتقطه آل فرعون أى أخذوه أخذ اعتناء به وصيانة له عن الضياع قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس اليه وكان بها برص شديد عجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لاتبرأ الا من قبل البحر يؤخذ منه شبه الانس يوم كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون فى مجلس له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذى كان فرعون مصر فى زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل كانت من بنى اسرائيل من سبط موسى عليه الصلاة والسلام وقيل كانت عمته حكاه السهيلى وأقبلت بنت فرعون فى جواريها حتى جلست على شاطىء النيل فاذا بتابوت فى النيل تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون ائتونى به فابتدروا بالسفن فأحضروه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فأعياهم فنظرت آسية فرأت نورا فى جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هى بصبى صغير فى مهده واذا نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فألقى الله تعالى محبته فى قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرأت من ساعته وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن أن هذا هو الذى تحذر منه رمى فى البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سيأتى واللام فى قوله تعالى ﴿ ليكون لهم عدوا وحزنا ﴾ لام العاقبة أبرز مدخولها فى معرض العلة لالتقاطهم تشبيها له فى الترتب عليه بالغرض الحامل عليه وقرىء حزنا وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عليه الصلاة والسلام نفس الحزن ايذانا بقوة سببيته لحزنهم ﴿ ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ أى فى كل مايأتون ومايذرون فلا غرو فى أن قتلوا لأجله ألوفا ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون . روى أنه ذبح فى طلبه عليه الصلاة والسلام تسعون الف وليد أو كانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوهم على أيديهم فالجملة اعتراضية لتأكيد خطئهم أو لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرىء خاطين على أنه تخفيف خاطئين أو على أنه بمعنى متعدين الصواب الى الخطأ ﴿ وقالت امرأة فرعون ﴾ أى لفرعون حين أخرجته من التابوت ﴿ قرة عين لى ولك ﴾ أى هو قرة عين لنا لما أنهما لما رأياه أحباه أو لما ذكر من برء ابنته من البرص بريقه وفى الحديث أنه قال لك لا لى ولو قال لى كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها ﴿ لاتقتلوه ﴾ خاطبته بلفظ الجمع تعظيما ليساعدها فيما تريده ﴿ عسى أن ينفعنا ﴾ فان فيه مخايل اليمن ودلائل النجابة وذلك لما رأت فيه من العلامات المذكورة ﴿ أو نتخذه ولدا ﴾ أى نتبناه فانه خليق بذلك ﴿ وهم لايشعرون ﴾ حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأته له كيت وكيت وهم لايشعرون بأنهم على خطأ عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبنى له وقوله تعالى ان فرعون الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتأكيد خطئهم وقيل حال من أحد ضميرى نتخذه على أن الضمير للناس أى وهم لايعلمون أنه لغيرنا وقد تبنيناه ﴿ وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ﴾ صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون لقوله تعالى وأفئدتهم هواء أى خلاء لاعقول فيها ويعضده أنه قرىء فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أى هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى أو لسماعها أن فرعون عطف عليه وتبناه وقرىء مؤسى بالهمز اجراء للضمة فى جارة الواو مجرى ضمتها فهمزت كما فى وجوه ﴿ ان كادت لتبدى به ﴾ أى انها كادت لتظهر بموسى أى بأمره وقصته من فرط الحيرة والدهشة أو الفرح بتبنيه ﴿ لولا أن ربطنا على قلبها ﴾ بالصبر والثبات ﴿ لتكون من المؤمنين ﴾ أى

المصدقين بوعد الله تعالى أو من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وتعطفه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة
ماقبله عليه ﴿وقالت لأخته﴾ مريم والتعبير عنها بأخوته عليه الصلاة والسلام دون أن يقال لبنتها للتصريح بمدار
المحبة الموجبة للامتثال بالأمر ﴿قصيه﴾ أى اتبعى أثره وتتبعى خبره ﴿فبصرت به﴾ أى أبصرته ﴿عن جنب﴾
عن بعد وقرئ بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى ﴿وهم لايشعرون﴾ أنها تقصه وتتعرف حاله أو أنها أخته
﴿وحرمنا عليه المراضع﴾ أى منعناه أن يرتضع من المرضعات والمراضع جمع مرضع وهى المرأة التى ترضع أو مرضع
وهو الرضاع أو موضعه أعنى الثدى ﴿من قبل﴾ أى من قبل قصها أثره ﴿فقالت﴾ عند رؤيتها لعدم قبوله الثدى
واعتناء فرعون بأمره وطلبهم من يقبل ثديها ﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾ أى لأجلكم ﴿وهم له ناصحون﴾
لا يقصرون فى ارضاعه وتربيته روى أن هامان لما سمعه منها قال انها لتعرفه وأهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما
أردت وهم للملك ناصحون فأمرها فرعون بأن تأتى بمن يكفله فأتت بأمه وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعلله فدفعه اليها
فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من أنت منه فقد أبى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن
لا أوتى بصبى الا قبلنى فقرره فى يدها وأجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وذلك قوله تعالى ﴿فرددناه الى أمه
كى تقر عينها﴾ بوصول ولدها اليها ﴿ولا تحزن﴾ بفراقه ﴿ولتعلم أن وعد الله﴾ أى جميع ماوعده من رده وجعله
من المرسلين ﴿حق﴾ لاخلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ أن الأمر
كذلك فيرتابون فيه أو أن الغرض الأصلى من الرد علمها بذلك وماسواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت
بوقوعه فى يد فرعون ﴿ولما بلغ أشده﴾ أى المبلغ الذى لايزيد عليه نشوه وذلك من ثلاثين الى أربعين سنة فان العقل
يكمل حينئذ وروى أنه لم يبعث نبى الا على رأس الاربعين ﴿واستوى﴾ أى اعتدل قده أو عقله ﴿آتيناه حكما﴾
أى نبوة ﴿وعلما﴾ بالدين أو علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل مايستجهل فيه وهو أوفق
لنظم القصة لأنه تعالى استنبأه بعد الهجرة فى المراجعة ﴿وكذلك﴾ ومثل ذلك الذى فعلنا بموسى وأمه ﴿نجزى
المحسنين﴾ على احسانهم ﴿ودخل المدينة﴾ أى مصر من قصر فرعون وقيل منف أو حابين أو عين شمس من نواحيها
﴿على حين غفلة من أهلها﴾ فى وقت لايعتاد دخولها أو لايتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين
﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته﴾ أى ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل ﴿وهذا من عدوه﴾ أى من
مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة على الحكاية ﴿فاستغاثه الذى من شيعته﴾ أى سأله أن يغيثه بالاعانة كما ينبئ عنه
تعديته بعلى وقرئ استعانه ﴿على الذى من عدوه فوكزه موسى﴾ أى ضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه أى
فضرب به صدره ﴿فقضى عليه﴾ فقتله وأصله أنهى حياته من قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الأمر ﴿قال هذا من عمل
الشيطان﴾ لأنه لم يكن مأمورا بقتل الكفار أو لأنه كان مأمونا فيما بينهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته
لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه جريا على سنن المقربين فى استعظام مافرط منهم
ولو كان من محقرات الصغائر ﴿انه عدو مضل مبين﴾ ظاهر العداوة والاضلال ﴿قال﴾ توسيطه بين كلاميه
عليه الصلاة والسلام لابانة مابينهما من المخالفة من حيث انه مناجاة ودعاء بخلاف الأول ﴿رب انى ظلمت نفسى﴾ أى
بقتله ﴿فاغفر لى﴾ ذنبى ﴿فغفر له﴾ ذلك ﴿انه هو الغفور الرحيم﴾ أى المبالغ فى مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم ﴿قال
رب بما أنعمت على﴾ اما قسم محذوف الجواب أى أقسم بانعامك على بالمغفرة لأتوبن ﴿فلن أكون﴾ بعد هذا
أبدا ﴿ظهيرا للمجرمين﴾ واما استعطاف أى بحق انعامك على اعصمنى فلن أكون معينا لمن تؤدى معاونته الى الجرم

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه عليه الصلاة والسلام لم يستثن فابتلي به مرة أخرى وهذا يؤيد الأول وقيل معناه بما أنعمت علي من القوة أعين أولياءك فلن أستعملها في مظاهرة أعدائك ﴿ فأصبح في المدينة خائفا يترقب ﴾ يترصد الاستقادة أو الاجناد ﴿ فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه ﴾ أي يستغيثه برفع الصوت من الصراخ ﴿ قال له موسى انك لغوي مبين ﴾ أي بين الغواية تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر ﴿ فلما أن أراد ﴾ موسى ﴿ أن يبطش بالذي هو عدو لهما ﴾ أي لموسى وللاسرائيلي اذ لم يكن على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء لبني اسرائيل على الاطلاق وقرئ يبطش بضم الطاء ﴿ قال ﴾ أي الاسرائيلي ظانا أنه عليه الصلاة والسلام يبطش به حسبما يوهمه تسميته اياه غويا ﴿ ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس ﴾ قالوا لما سمع القبطي قول الاسرائيلي علم أن موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني فانطلق الى فرعون فأخبره بذلك وأمر فرعون بقتل موسى عليه السلام وقيل قاله القبطي ﴿ ان تريد ﴾ أي ماتريد ﴿ الا أن تكون جبارا في الارض ﴾ وهو الذي يفعل كل ما يريده من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله تعالى ﴿ وماتريد أن تكون من المصلحين ﴾ بين الناس بالقول والفعل ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة ﴾ أي كائن من آخرها أو جاء من آخرها ﴿ يسعى ﴾ أي يسرع صفة لرجل أو حال منه على أن الجار والمجرور صفة له لا متعلق بجاء فان تخصصه يلحقه بالمعارف قيل هو مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل شمعان ﴿ قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ﴾ أي يتشاورون بسببك فان كلا من المتشاورين يأمر الآخرين ويأتمر ﴿ فاخرج ﴾ أي من المدينة ﴿ انى لك من الناصحين ﴾ اللام للبيان لما أن معمول الصلة لا يتقدمها ﴿ فخرج منها ﴾ أي من المدينة ﴿ خائفا يترقب ﴾ لحوق الطالبين ﴿ قال رب نجني من القوم الظالمين ﴾ خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ﴿ ولما توجه تلقاء مدين ﴾ أي نحو مدين وهي قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم تكن تحت سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام ﴿ قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ﴾ توكلا على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرائق فأخذ في الوسطى وجاء الطلاب فشرعوا في الاخريين وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاء ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به الى مدين ﴿ ولما ورد ماء مدين ﴾ أي وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها ﴿ وجد عليه ﴾ أي فوق شفيرها ﴿ أمة ﴾ جماعة كثيفة ﴿ من الناس يسقون ﴾ أي مواشيهم ﴿ ووجد من دونهم ﴾ أي في موضع أسفل منهم ﴿ امرأتين تذودان ﴾ أي تمنعان مامعهما من الاغنام عن التقدم الى البئر كيلا تختلط بأغنامهم مع عدم الفائدة في التقدم ﴿ قال ﴾ عليه السلام لهما حين رآهما على ماهما عليه من التأخر والذود ﴿ ماخطبكما ﴾ ماشأنكما فيما أنتما عليه من التأخر والذود ولم لا تباشران السقي كدأب هؤلاء ﴿ قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء ﴾ أي عادتنا أن لا نسقي حتى يصرف الرعاة مواشيهم بعد ريها عن الماء عجزا عن مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال لا أنا لا نسقي اليوم الى تلك الغاية وحذف مفعول السقي والذود والاصدار لما أن الغرض هو بيان تلك الأفعال أنفسها اذ هي التي دعت موسى عليه السلام الى ما صنع في حقهما من المعروف فانه عليه الصلاة والسلام انما رحمهما لكونهما على الذياد للعجز والعفة وكونهم على السقي غير مبالين بهما ومارحمهما لكون مذودهما غنما ومسقيهم ابلا مثلا وقرئ لا نسقي من الاسقاء ويصدر من الصدور والرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرخال وأما الرعاء فجمع قياسي كصيام وقيام وقوله تعالى ﴿ وأبونا شيخ كبير ﴾ ابلاء منهما للعذر اليه عليه السلام في توليهما للسقي بأنفسهما كأنهما قالتا انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم ومالنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ كبير السن قد أضعفه الكبر فلا بد لنا من تأخير

السقى الى أن يقضى الناس أوطارهم من الماء ﴿فسقى لهما﴾ رحمة عليهما والكلام فى حذف مفعوله كما مر آنفا روى أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل أربعون وقيل مائة فأقله وحده مع ما كان به من الوصب والجراحة والجوع ولعله عليه الصلاة والسلام زاحمهم فى السقى لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عليه الصلاة والسلام عن ذلك فان الظاهر أنه عليه الصلاة والسلام غب ما شاهد حالهما سارع الى السقى لهما وقد روى أنه دفعهم عن الماء الى أن سقى لهما وقيل كانت هناك بئر أخرى عليها الصخرة المذكورة وروى أنه عليه الصلاة والسلام سألهم دلوا من ماء فأعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا أربعون فاستقى بها وصبها فى الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما وأصدرهما ﴿ثم تولى الى الظل﴾ الذى كان هناك ﴿فقال رب انى لما أنزلت الى﴾ أى أى شىء أنزلته الى ﴿من خير﴾ جل أو قل وحمله الاكثرون على الطعام بمعونة المقام ﴿فقير﴾ أى محتاج ولتضمنه معنى السؤال والطلب جىء بلام الدعامة لتقوية العمل وقيل المعنى لما أنزلت الى من خير عظيم هو خير الدارين صرت فقيرا فى الدنيا لانه كان فى سعة من العيش عند فرعون قاله عليه الصلاة والسلام اظهارا للتبجح والشكر على ذلك ﴿فجاءته احداهما﴾ قيل هى كبراهما واسمها صفوراء أو صفراء وقيل صغراهما واسمها صفيراء أى جاءته عقيب ما رجعتا الى أبيهما روى أنهما لما رجعتا الى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبى فادعيه لى وقوله تعالى ﴿تمشى﴾ حال من فاعل جاءت وقوله تعالى ﴿على استحياء﴾ متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشى أى جاءته تمشى كائنة على استحياء فمعناه انها كانت على استحياء حالتى المشى والمجىء معا لا عند المجىء فقط وتنكير استحياء للتفخيم قيل جاءته متخفرة أى شديدة الحياء وقيل قد استترت بكم درعها ﴿قالت﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية مجيئها اياه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل فماذا قالت له عليه الصلاة والسلام فقيل قالت ﴿ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ أى جزاء سقيك لنا أسندت الدعوة الى أبيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة وفيه من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى روى أنه عليه الصلاة والسلام أجابها فانطلقا وهى أمامه فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشى خلفى وانعتى لى الطريق ففعلت حتى أتيا دار شعيب عليهما السلام ﴿فلما جاءه وقص عليه القصص﴾ أى ما جرى عليه من الخبر المقصوص فانه مصدر سمى به المفعول كالعلل ﴿قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ الذى يلوح من ظاهر النظم الكريم أن موسى عليه السلام انما أجاب المستدعية من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عليه السلام ويستظهر برأيه لا ليأخذ بمعروفه أجرا حسبما صرحت به ألا يرى الى ما روى أن شعيبا لما قدم اليه طعاما قال انا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا ولم يتناول حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فتناول بعد ذلك على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف لا وقد قص عليه قصصه وعرفه أنه من بيت النبوة من أولاد يعقوب عليه السلام ومثله حقيق بأن يضيف ويكرم لا سيما فى دار نبى من أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام وقيل ليس بمستنكر منه عليه الصلاة والسلام أن يقبل الاجر لاضطرار الفقر والفاقة وقد روى عن عطاء بن السائب أنه عليه السلام رفع صوته بدعائه ليسمعها ولذلك قيل له ليجزيك الخ ولعله عليه السلام انما فعله ليكون ذريعة الى استدعائه لا الى استيفاء الاجر ﴿قالت احداهما﴾ وهى التى استدعته الى أبيها وهى التى زوجها من موسى عليهما السلام ﴿يا أبت استأجره﴾ أى لرعى الغنم والقيام بأمرها ﴿ان خير من استأجرت القوى الامين﴾ تعليل جار مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فى ذلك جعل خير اسما لان وذكر الفعل على صيغة الماضى للدلالة على أنه أمين مجرب روى أن شعيبا عليه السلام قال لها وما أعلمك بقوته وأمانته فذكرت ما شاهدت منه عليه السلام من اقلال الحجر

وزع الدلو وأنه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وأمرها بالمشى خلفه ﴿قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى﴾ أى تكون أجيراً لى أو تثيبنى من أجرت كذا اذا أثبته اياه فقوله تعالى ﴿ثمانى حجج﴾ على الاول ظرف وعلى الثانى مفعول به على تقدير مضاف أى رعية ثمانى حجج ونقل عن المبرد أنه يقال أجرت دارى ومملوكى غير ممدود وآجرت ممدودا والاول أكثر فعلى هذا يكون المفعول الثانى محذوفا والمعنى على أن تأجرنى نفسك وقوله تعالى ثمانى حجج ظرف كالوجه الاول ﴿فان أتممت عشرا﴾ فى الخدمة والعمل ﴿فمن عندك﴾ أى فهو من عندك بطريق التفضل لا من عندى بطريق الالزام عليك وهذا من شعيب عرض لرأيه على موسى عليهما السلام واستدعاء منه للعقد لا انشاء وتحقيق له بالفعل ﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ بالزام اتمام العشر أو المناقشة فى مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان مايصعب عليك يشق عليك اعتقادك فى اطاقته ويوزع رأيك فى مزاولته ﴿ستجدنى ان شاء الله من الصالحين﴾ فى حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عليه الصلاة والسلام بالاستثناء التبرك به وتفويض أمره الى توفيقه تعالى لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى ﴿قال ذلك بينى وبينك﴾ مبتدأ وخبر أى ذلك الذى قلته وعاهدتنى فيه وشارطتنى عليه قائم وثابت بيننا جميعا لايخرج عنه واحد منا لا أنا عما شرطت على ولا أنت عما شرطت على نفسك وقوله تعالى ﴿أيما الأجلين﴾ أى أكثرهما أو أقصرهما ﴿قضيت﴾ أى وفيتك بأداء الخدمة فيه ﴿فلا عدوان على﴾ تصريح بالمراد وتقرير لامر الخيرة أى لا عدوان على بطلب الزيادة على ما قضيته من الاجلين وتعميم انتفاء العدوان لكلا الاجلين بصدد المشارطة مع عدم تحقق العدوان فى أكثرهما رأسا للقصد الى التسوية بينهما فى الانتفاء أى كما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثمان أو أيما الأجلين قضيت فلا اثم على يعنى كما لا اثم على فى قضاء الاكثر لا اثم على فى قضاء الاقصر فقط وقرىء أى الأجلين ماقضيت فما مزيدة لتأكيد القضاء كما أنها فى القراءة الأولى مزيدة لتأكيد ابهام أى وشياعها وقرىء أيما بسكون الياء كقول من قال

تنظرت نصرا والسماكين أيهما على من الغيث استهلت مواطره

﴿والله على ما نقول﴾ من الشروط الجارية بيننا ﴿وكيل﴾ شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحد منا الى الخروج عنه أصلا وليس ماحكى عنهما عليهما الصلاة والسلام تمام ماجرى بينهما من الكلام فى انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة وايقاعهما بل هو بيان لما عزما عليه واتفقا على ايقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين فى تلك الشريعة تفصيلا روى أنهما لما أتما العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى وكانت عنده عصى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فأخذ عصا هبط بها آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه السلام فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع فى يده الاهى سبع مرات فعلم أن له شأنا وقيل أخذها جبريل عليه السلام بعد موت آدم عليه السلام فكانت معه حتى اتى بها موسى عليه السلام ليلا وقيل أودعها شعيبا ملك فى صورة رجل فأمر بنته أن تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع فى يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهى له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى عليه السلام وعن الحسن رضى الله تعالى عنه ما كانت الاعصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبى رحمه الله الشجرة التى منها نودى شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب صلوات الله وسلامه عليهما اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ

على يمينك فان الكلا وان كان بها أكثر الا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين فلم يقدر على كفها ومشى على أثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عليه السلام دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب عليهما السلام مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى عليه السلام بالشأن ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال له انى وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحى اليه فى المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة الا وضعت أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه والفاء فى قوله تعالى ﴿فلما قضى موسى الاجل﴾ فصيحة أى فعقدا العقدين وباشر موسى ما التزمه فلما أتم الاجل ﴿وسار بأهله﴾ نحو مصر باذن من شعيب عليهما السلام روى أنه عليه الصلاة والسلام قضى أبعد الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود الى مصر فاستأذنه فى ذلك فأذن له فخرج بأهله ﴿آنس من جانب الطور﴾ أى أبصر من الجهة التى تلى الطور ﴿نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر﴾ أى بخبر الطريق وقد كانوا اضلوه ﴿أو جذوة﴾ أى عود غليظ سواء كانت فى رأسه نار أو لا قال قائلهم

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر

وقال

وألقى على قبس من النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها

ولذلك بين بقوله تعالى ﴿من النار﴾ وقرىء بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات ﴿لعلكم تصطلون﴾ أى تستدفئون ﴿فلما أتاها﴾ أى النار التى آنسها ﴿نودى من شاطىء الوادى الأيمن﴾ أى أتاه النداء من الشاطىء الايمن بالنسبة الى موسى عليه السلام ﴿فى البقعة المباركة﴾ متصل بالشاطىء أو صلة لنودى ﴿من الشجرة﴾ بدل اشتمال من شاطىء لانها كانت نابتة على الشاطىء ﴿أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين﴾ وهذا وان خالف لفظا لما فى طه والنمل لكنه موافق له فى المعنى المراد ﴿وأن ألق عصاك﴾ عطف على أن ياموسى وكلاهما مفسر لنودى والفاء فى قوله تعالى ﴿فلما رآها تهتز﴾ فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها واشعارا بغاية سرعة تحقق مدلولاتها أى فألقاها فصارت ثعبانا فاهتزت فلما رآها تهتز ﴿كأنها جان﴾ أى فى سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها ﴿ولى مدبرا﴾ أى منهزما من الخوف ﴿ولم يعقب﴾ أى لم يرجع ﴿ياموسى﴾ أى قيل ياموسى ﴿أقبل ولا تخف انك من الآمنين﴾ من المخاوف فانه لا يخاف لدى المرسلون ﴿اسلك يدك فى جيبك﴾ أى أدخلها فيه ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أى عيب ﴿واضمم اليك جناحك﴾ أى يديك المبسوطتين لتتقى بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت العضد الايسر واليسرى تحت الايمن او بادخالها فى الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر هو أن يكون ذلك فى وجه العدو اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن واطمأن ضمهما اليه ﴿من الرهب﴾ أى من أجل الرهب أى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرىء بضم الراء وسكون الهاء وبضمهما والكل لغات ﴿فذانك﴾ اشارة الى العصا واليد وقرىء بتشديد النون فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك ﴿برهانان﴾ حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم أبره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال للمرأة البيضاء برهاء وبرهرهة ونظيره تسمية الحجة سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها وقيل هو فعلال لقولهم برهن ومن فى قوله تعالى ﴿من ربك﴾ متعلقة بمحذوف هو صفة لبرهانان أى كائنان منه تعالى ﴿الى فرعون وملئه﴾ واصلان ومنتهيان اليهم

﴿انهم كانوا قوما فاسقين﴾ خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا أحقاء بأن نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين ﴿قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون﴾ بمقابلتها ﴿وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا﴾ أى معينا وهو فى الاصل اسم مايعان به كالدفء وقرئ ردا بالتخفيف ﴿يصدقنى﴾ بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف الشبهة ﴿انى أخاف أن يكذبون﴾ ولسانى لايطاوعنى عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرئ يصدقنى بالجزم على أنه جواب الامر ﴿قال سنشد عضدك بأخيك﴾ أى سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ﴿ونجعل لكما سلطانا﴾ أى تسلطا وغلبة وقيل حجة وليس بذاك ﴿فلا يصلون اليكما﴾ باستيلاء أو محاجة ﴿بآياتنا﴾ متعلق بمحذوف قد صرح به فى مواضع أخر أى اذهبا بآياتنا أو بنجعل أى نسلطكما بآياتنا أو بمعنى لايصلون أى تمتنعون منهم بها وقيل هو قسم وجوابه لايصلون وقيل هو بيان للغالبون فى قوله تعالى ﴿أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ بمعنى أنه صلة لما بينه أو صلة له على أن اللام للتعريف لابمعنى الذى ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات﴾ أى واضحات الدلالة على صحة رسالة موسى عليه السلام منه تعالى والمراد بها العصا واليد اذهما اللتان أظهرهما موسى عليه السلام اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره فى سورة طه ﴿قالوا ماهذا الا سحر مفترى﴾ أى سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله أو سحر تعمله ثم تفتريه على الله تعالى أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أصناف السحر ﴿وما سمعنا بهذا﴾ أى السحر أو ادعاء النبوة ﴿فى آبائنا الاولين﴾ أى واقعا فى أيامهم ﴿وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ يريد به نفسه وقرئ قال بغير واو لانه جواب عن مقالهم ووجه العطف أن المراد حكاية القولين ليوازن السامع بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ أى العاقبة المحمودة فى الدار وهى الدنيا وعاقبتها الاصلية هى الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات منها الثواب وأما العقاب فمن نتائج أعمال العصاة وسيئات الغواة وقرئ يكون بالياء التحتانية ﴿انه لايفلح الظالمون﴾ أى لايفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور ﴿وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى﴾ قاله اللعين بعد ما جمع السحرة وتصدى للمعارضة فكان من أمرهم ما كان ﴿فأوقد لى ياهامان على الطين﴾ أى اصنع آجرا ﴿فاجعل لى﴾ منه ﴿صرحا﴾ أى قصرا رفيعا ﴿لعلى أطلع الى اله موسى﴾ كأنه توهم أنه لو كان لكان جسما فى السماء يمكن الرقى اليه ثم قال ﴿وانى لأظنه من الكاذبين﴾ أو أراد أن يبنى له رصدا يترصد منه أوضاع الكواكب فيرى هل فيها مايدل على بعثة رسول وتبدل دولته وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كما فى قوله تعالى قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل أول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك أمر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع مافيه من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه ياء فى وسط الكلام ﴿واستكبر هو وجنوده فى الارض﴾ أرض مصر ﴿بغير الحق﴾ بغير استحقاق ﴿وظنوا أنهم الينا لايرجعون﴾ بالبعث للجزاء وقرئ بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع رجعا وهو الانسب بالمقام ﴿فأخذناه وجنوده﴾ عقيب مابلغوا من الكفر والعتو أقصى الغايات ﴿فنبذناهم فى اليم﴾ قد مر تفصيله وفيه من تفخيم شأن الأخذ وتهويله واستحقار المأخوذين المنبوذين مالا يخفى كأنه تعالى أخذهم مع كثرتهم فى كف وطرحهم فى البحر ونظيره قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ وبينها للناس ليعتبروا بها ﴿وجعلناهم﴾

أى صيرناهم فى عهدهم ﴿ أئمة يدعون ﴾ الناس ﴿ الى النار ﴾ الى مايؤدى اليها من الكفر والمعاصى أى قدوة يقتدى بهم أهل الضلال لما صرفوا اختيارهم الى تحصيل تلك الحالة وقيل سميناهم أئمة دعاة الى النار كما فى قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فالأنسب حينئذ أن يكون الجعل بعدهم فيما بين الامم وتكون الدعوة الى نفس النار وقيل معنى الجعل منع الالطاف الصارفة عن ذلك ﴿ ويوم القيامة لاينصرون ﴾ بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه ﴿ وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ﴾ طردا وابعادا من الرحمة ولعنا من اللاعنين حيث لايزال يلعنهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام والمؤمنون خلفا عن سلف ﴿ ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ من المطرودين المبعدين وقيل من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجه قاله ابن عباس رضى الله عنهما يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا وقال أبو عبيدة من المقبوحين من المهلكين ويوم القيامة اما متعلق بالمقبوحين على أن اللام للتعريف لابمعنى الذى أو بمحذوف يفسره ذلك كأنه قيل وقبحوا يوم القيامة نحو لعملكم من القالين ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ أى التوراة ﴿ من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ﴾ هم أقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان كون ايتائها بعد اهلاكهم للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية الى انزال القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان اهلاك القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها وأحكامها المؤديين الى اختلال نظام العالم وفساد أحوال الامم المستدعيين للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على مر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير أحوال الامم الخالية الموجبة للاعتبار كأنه قيل ولقد آتينا موسى التوراة على حين حاجة الى ايتائها ﴿ بصائر للناس ﴾ أى أنوارا لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عميا عن الفهم والادراك بالكلية فان البصيرة نور القلب الذى به يستبصر كما أن البصر نور العين الذى به تبصر ﴿ وهدى ﴾ أى هداية الى الشرائع والاحكام التى هى سبل الله تعالى ﴿ ورحمة ﴾ حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على أنه نفس البصائر والهدى والرحمة أو على حذف المضاف أى ذا بصائر الخ وقيل على العلة أى آتيناه الكتاب للبصائر والهدى والرحمة ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ ليكونوا على حال يرجى منه التذكر وقد مر تحقيق القول فى ذلك عند قوله تعالى لعلكم تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى ﴿ وما كنت بجانب الغربى ﴾ شروع فى بيان أن انزال القرآن الكريم أيضا واقع فى زمان شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق كونه وحيا صادقا من عند الله عز وجل ببيان أن الوقوف على مافصل من الاحوال لايتسنى الا بالمشاهدة أو التعلم ممن شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين أنه بوحى من علام الغيوب لامحالة على طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم الآية أى وما كنت بجانب الجبل الغربى أو المكان الغربى الذى وقع فيه الميقات على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه أو الجانب الغربى على اضافة الموصوف الى الصفة كمسجد الجامع ﴿ اذ قضينا الى موسى الامر ﴾ أى عهدنا اليه وأحكمنا أمر نبوته بالوحى وايتاء التوراة ﴿ وما كنت من الشاهدين ﴾ أى من جملة الشاهدين للوحى وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ماجرى من أمر موسى فى ميقاته وكتبة التوراة له فى الالواح فتخبره للناس ﴿ ولكنا أنشأنا قرونا ﴾ أى ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونا كثيرة ﴿ فتطاول عليهم العمر ﴾ وتمادى الامد فتغيرت الشرائع والاحكام وعميت عليهم الانباء لاسيما على آخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد فأوحينا اليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر مايوجبه ويدل عليه وقوله تعالى ﴿ وما كنت ثاويا فى أهل مدين ﴾ نفى لاحتمال كون معرفته عليه الصلاة والسلام للقصة بالسماع ممن شاهدها أى

وما كنت مقيما فى أهل مدين من شعيب والمؤمنين به وقوله تعالى ﴿ تتلو عليهم ﴾ أى تقرأ على أهل مدين بطريق التعلم منهم ﴿ آياتنا ﴾ الناطقة بالقصة اما حال من المستكن فى ثاويا أو خبر ثان لكنت ﴿ ولكنا كنا مرسلين ﴾ اياك وموحين اليك تلك الآيات ونظائرها ﴿ وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ﴾ أى وقت ندائنا موسى انى أنا الله رب العالمين واستنبائنا اياه وارسالنا له الى فرعون ﴿ ولكن رحمة من ربك ﴾ أى ولكن أرسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منالك وللناس وقيل علمناك وقيل عرفناك ذلك وليس بذاك كما ستعرفه والالتفات الى اسم الرب للاشعار بعلة الرحمة وتشريفه عليه الصلاة والسلام بالاضافة وقد اكتفى عن ذكر المستدرك ههنا بذكر مايوجبه من جهته تعالى كما اكتفى عنه فى الأول بذكر مايوجبه من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنصيصا على ماهو المقصود واشعارا بأنه المراد فيهما أيضا ولقدرشأن التنزيل وقوله تعالى ﴿ لتنذر قوما ﴾ متعلق بالفعل المعلل بالرحمة فهو ماذكرنا من ارساله عليه الصلاة والسلام بالقرآن حتما لما أنه المعلل بالانذار لا تعليم ماذكر وقرىء رحمة بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى ﴿ ما أتاهم من نذير من قبلك ﴾ صفة لقوما أى لم يأتهم نذير لوقوعهم فى فترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين اسمعيل بناء على أن دعوة موسى وعيسى عليهما السلام كانت مختصة ببنى اسرائيل ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ أى يتعظون بانذارك وتغيير الترتيب الوقوعى بين قضاء الامر والثواء فى أهل مدين والنداء للتنبيه على أن كلا من ذلك برهان مستقل على أن حكايته عليه الصلاة والسلام للقصة بطريق الوحى الالهى ولو ذكر أولا نفى ثوائه عليه الصلاة والسلام فى أهل مدين ثم نفى حضوره عليه الصلاة والسلام عند النداء ثم نفى حضوره عند قضاء الامر كما هو الموافق للترتيب الوقوعى لربما توهم أن الكل دليل واحد على ماذكر كما مر فى قصة البقرة ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة ﴾ أى عقوبة ﴿ بما قدمت أيديهم ﴾ أى بما اقترفوا من الكفر والمعاصى ﴿ فيقولوا ﴾ عطف على تصيبهم داخل فى حيز لولا الامتناعية على أن مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وانما ذكره فى حيزها للايذان بأنه السبب الملجىء لهم الى قولهم ﴿ ربنا لولا أرسلت الينا رسولا ﴾ أى هلا أرسلت الينا رسولا مؤيدا من عندك بالآيات ﴿ فنتبع آياتك ﴾ الظاهرة على يده وهو جواب لولا الثانية ﴿ ونكون من المؤمنين ﴾ بها وجواب لولا الاولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند اصابة عقوبة جناياتهم التى قدموها ما أرسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محيد عنه أرسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية ﴿ فلما جاءهم ﴾ أى أهل مكة ﴿ الحق من عندنا ﴾ وهو القرآن المنزل عليه عليه الصلاة والسلام ﴿ قالوا ﴾ تعنتا واقتراحا ﴿ لولا أوتى ﴾ يعنونه عليه الصلاة والسلام ﴿ مثل ما أوتى موسى ﴾ من الكتاب المنزل جملة وأما اليد والعصا فلا تعلق لهما بالمقام كسائر معجزاته عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى ﴿ أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل ﴾ رد عليهم واظهار لكون ماقالوه تعنتا محضا لا طلبا لما يرشدهم الى الحق أى ألم يكفروا من قبل هذا القول بما أوتى موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى ﴿ قالوا ﴾ استئناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الانكار السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى ﴿ سحران ﴾ خبر لمبتدا محذوف أى هما يعنون ما أوتى محمد وما أوتى موسى عليهما السلام سحران ﴿ تظاهرا ﴾ أى تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وذلك أنهم بعثوا رهطا منهم الى رؤساء اليهود فى عيدهم فسألوهم عن شأنه عليه الصلاة والسلام فقالوا انا نجده فى التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى ﴿ وقالوا انا بكل ﴾ أى بكل واحد من الكتابين ﴿ كافرون ﴾ تصريح بكفرهم بهما وتأكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم فى الكفر والطغيان وقرىء ساحران تظاهرا يعنون موسى

ومحمدا صلى الله عليهما وسلم هذا هو الذى تستدعيه جزالة النظم الجليل فتأمل ودع عنك ماقيل وقيل ألا ترى الى قوله تعالى ﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما﴾ مما أوتياه من التوراة والقرآن وسميتموهما سحرين فانه نص فيما ذكر وقوله تعالى ﴿أتبعه﴾ جواب للامر أى ان تأتوا به أتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتى به من يدل بوضوح حجته وسنوح محجته لأن الاتيان بما هو أهدى من الكتابين أمر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والافحام ﴿ان كنتم صادقين﴾ أى فى أنهما سحران مختلقان وفى ايراد كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم ﴿فان لم يستجيبوا لك﴾ أى فان لم يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان بكتاب أهدى منهما كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايذانا بأنه عليه الصلاة والسلام على كمال أمن من أمره كأن أمره عليه الصلاة والسلام لهم بالاتيان بما ذكر دعاء لهم الى أمر يريد وقوعه والاستجابة تتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعى باللام فيحذف الدعاء عند ذلك غالبا ولا يكاد يقال استجاب الله له دعاءه ﴿فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾ الزائغة من غير أن يكون لهم متمسك ما أصلا اذ لو كان لهم ذلك لأتوا به ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه﴾ استفهام انكارى للنفى أى لا أضل ممن اتبع هواه ﴿بغير هدى من الله﴾ أى هو أضل من كل ضال وان كان ظاهر السبك لنفى الاضل لا لنفى المساوى كما مر فى نظائره مرارا وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقريع والاشباع فى التشنيع والتضليل والا فمقارنته لهدايته تعالى بينة الاستحالة ﴿ان الله لا يهدى القوم الظالمين﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى والاعراض عن الآيات الهادية الى الحق المبين ﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ وقرئ بالتخفيف أى أنزلنا القرآن عليهم متواصلا بعضه اثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة أو متتابعا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح ﴿لعلهم يتذكرون﴾ فيؤمنون بما فيه ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾ أى من قبل ايتاء القرآن ﴿هم به يؤمنون﴾ وهم مؤمنو أهل الكتاب وقيل أربعون من أهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام ﴿واذا يتلى﴾ أى القرآن عليهم ﴿قالوا آمنا به انه الحق من ربنا﴾ أى الحق الذى كنا نعرف حقيته وهو استئناف لبيان ما أوجب ايمانهم وقوله تعالى ﴿انا كنا من قبله﴾ أى من قبل نزوله ﴿مسلمين﴾ بيان لكون ايمانهم به أمرا متقادم العهد لما شاهدوا ذكره فى الكتب المتقدمة وأنهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من النعوت ﴿يؤتون أجرهم مرتين﴾ مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن ﴿بما صبروا﴾ بصبرهم وثباتهم على الايمانين أو على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده أو على أذى من هاجرهم من أهل دينهم ومن المشركين ﴿ويدرؤن بالحسنة السيئة﴾ أى يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه الصلاة والسلام وأتبع السيئة الحسنة تمحها ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ فى سبيل الخير ﴿واذا سمعوا اللغو﴾ من اللاغين ﴿أعرضوا عنه﴾ عن اللغو تكرما كقوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما ﴿وقالوا﴾ لهم ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم﴾ بطريق المتاركة والتوديع ﴿لانبتغى الجاهلين﴾ لانطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم ﴿انك لاتهدى﴾ هداية موصلة الى البغية لامحالة ﴿من أحببت﴾ من الناس ولا تقدر على أن تدخله فى الاسلام وان بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت فى السعى كل حد معهود ﴿ولكن الله يهدى من يشاء﴾ أن يهديه فيدخله فى الاسلام ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ بالمستعدين لذلك والجمهور على أنها نزلت فى أبى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج بها لك عند الله قال له يا ابن أخى قد علمت انك لصادق ولكنى أكره أن يقال خرع عند الموت ولولا أن يكون عليك وعلى بنى أبيك غضاضة بعدى لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق

لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكنى سوف أموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف ﴿ وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ﴾ نزلت فى الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف حيث أتى النبى عليه الصلاة والسلام فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن أكلة رأس أن يتخطفونا من أرضنا فرد عليهم بقوله تعالى ﴿ أولم نمكن لهم حرما آمنا ﴾ أى ألم نعصمهم ولم نجعل مكانهم حرما ذا أمن لحرمة البيت الحرام الذى تتناحر العرب حوله وهم آمنون ﴿ يجبى اليه ﴾ وقرىء تجبى أى يجمع ويحمل اليه ﴿ ثمرات كل شىء ﴾ من كل أوب والجملة صفة أخرى لحرما دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة ﴿ رزقا من لدنا ﴾ فاذا كان حالهم ما ذكر وهم عبدة أصنام فكيف يخافون التخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ أى جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى من لدنا أى قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله تعالى اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على أنه مصدر مؤكد لمعنى يجبى أو حال من ثمرات على أنه بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة ثم بين أن الأمر بالعكس وأنهم أحقاء بأن يخافوا بأس الله تعالى بقوله ﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ﴾ أى وكثير من أهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء فى الامن وخفض العيش والدعة حتى أشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم ﴿ فتلك مساكنهم ﴾ خاوية بما ظلموا ﴿ لم تسكن من بعدهم ﴾ من بعد تدميرهم ﴿ الا قليلا ﴾ أى الا زمانا قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما أو بعض يوم أو لم يبق من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم ﴿ وكنا نحن الوارثين ﴾ منهم اذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم فى ديارهم وسائر ذات أيديهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض أو بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم أو باضمار زمان مضاف اليه أو بجعله مفعولا لبطرت بتضمين معنى كفرت ﴿ وما كان ربك مهلك القرى ﴾ بيان للعناية الربانية اثر بيان اهلاك القرى المذكورة أى وما صح وما استقام بل استحال فى سنته المبنية على الحكم البالغة أوما كان فى حكمه الماضى وقضائه السابق أن يهلك القرى قبل الانذار بل كانت عادته أن لا يهلكها ﴿ حتى يبعث فى أمها ﴾ أى فى أصلها وقصبتها التى هى أعمالها وتوابعها لكون أهلها أفطن وأنبل ﴿ رسولا يتلو عليهم آياتنا ﴾ الناطقة بالحق ويدعوهم اليه بالترغيب والترهيب وذلك لالزام الحجة وقطع المعذرة بأن يقولوا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك والالتفات الى نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى ﴿ وما كنا مهلكى القرى ﴾ عطف على ما كان ربك وقوله تعالى ﴿ الا وأهلها ظالمون ﴾ استثناء مفرغ من أعم الاحوال أى وما كنا مهلكين لأهل القرى بعد ما بعثنا فى أمها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه فى حال من الاحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر بآياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الاهلاك بموجب السنة الالهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه فى سورة بنى اسرائيل ﴿ وما أوتيتم من شىء ﴾ من أمور الدنيا ﴿ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ﴾ أى فهو شىء شأنه أن يتمتع ويتزين به أياما قلائل ﴿ وما عند الله ﴾ وهو الثواب ﴿ خير ﴾ فى نفسه من ذلك لأنه لذة خالصة عن شوائب الألم وبهجة كاملة عارية عن سمة الهم ﴿ وأبقى ﴾ لأنه أبدى ﴿ أفلا تعقلون ﴾ ألا تتفكرون فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير وقرىء بالياء على الالتفات المبنى على اقتضاء سوء صنيعهم الاعراض عن مخاطبتهم ﴿ أفمن وعدناه وعدا حسنا ﴾ أى وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود ﴿ فهو لاقيه ﴾ أى مدركه لا محالة لاستحالة الخلف فى وعده تعالى ولذلك جىء بالجملة الاسمية المفيدة لتحققه البتة وعطفت بالفاء المنبئة عن معنى السببية ﴿ كمن متعناه متاع الحياة

الدنيا﴾ الذى هو مشوب بالآلام منغص بالأكدار مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء الاولى ترتيب انكار التشابه بين أهل الدنيا وأهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وبين ماعند الله تعالى أى أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين الفريقين وقوله تعالى ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ عطف على متعناه داخل معه فى حيز الصلة مؤكد لانكار التشابه ومقرر له كأنه قيل كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم نحضره أو أحضرناه يوم القيامة النار أو العذاب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على التحقق حتما وفى جعله من جملة المحضرين من التهويل مالا يخفى وثم للتراخى فى الزمان أو فى الرتبة وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل ﴿ويوم يناديهم﴾ منصوب بالعطف على يوم القيامة لاختلافهما عنوانا وان اتحدا ذاتا أو باضمار اذكر ﴿فيقول﴾ تفسير للنداء ﴿أين شركائى الذين كنتم تزعمون﴾ أى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف المفعولان معا ثقة بدلالة الكلام عليهما ﴿قال﴾ استئناف مبنى على حكاية السؤال كأنه قيل فماذا صدر عنهم حينئذ فقيل قال ﴿الذين حق عليهم القول﴾ وهم شركاؤهم من الشياطين أو رؤساؤهم الذين اتخذوهم أربابا من دون الله تعالى بأن أطاعوهم فى كل ما أمروهم به ونهوا عنه ومعنى حق عليهم القول أنه ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وغيره من آيات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع أيضا لاصالتهم فى الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم ومسارعتهم الى الجواب مع كون السؤال للعبدة اما لتفطنهم أن السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالاضلال وجزمهم بأن العبدة سيقولون هؤلاء أضلونا واما لأن العبدة قد قالوه اعتذاراً وهؤلاء انما قالوا ما قالوا ردا لقولهم الا أنه لم يحك قول العبدة ايجازا لظهوره ﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾ أى هم الذين أغويناهم فحذف الراجع الى الموصول ومرادهم بالاشارة بيان أنهم يقولون مايقولون بمحضر منهم وأنهم غير قادرين على انكاره ورده وقوله تعالى ﴿أغويناهم كما غوينا﴾ هو الجواب حقيقة وماقبله تمهيد له أى ماأكرهناهم على الغى وانما أغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل لابالقسر والالجاء فغووا باختيارهم غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز أن يكون الذين صفة لاسم الاشارة وأغويناهم الخبر ﴿تبرأنا اليك﴾ منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصى هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى ﴿ما كانوا ايانا يعبدون﴾ أى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون أهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تعالى تبرأنا أى تبرأنا من عبادتهم ايانا ﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ اما تهكما بهم أو تبكيتا لهم ﴿فدعوهم﴾ لفرط الحيرة ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة ﴿ورأوا العذاب﴾ قد غشيهم ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب أو الى الحق لما لقوا مالقوا وقيل لو للتمنى أى تمنوا لو أنهم كانوا مهتدين ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ عطف على ماقبله سئلوا أولا عن اشراكهم وثانيا عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك ﴿فعميت عليهم الانباء يومئذ﴾ أى صارت كالعمى عنهم لاتهتدى اليهم وأصله فعموا عن الانباء وقد عكس للمبالغة والتنبيه على أن مايحضر الذهن يفيض عليه ويصل اليه من خارج فاذا أخطأ لم يكن له حيلة الى استحضاره وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالانباء اما ماطلب منهم مما أجابوا به الرسل أو جميع الانباء وهى داخلة فيه دخولا أوليا واذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يفوضون العلم فى ذلك المقام الهائل الى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة المسئول فما ظنك بأولئك الضلال من الأمم ﴿فهم لايتساءلون﴾ لايسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة أو العلم بأن الكل سواء فى الجهل

﴿فأما من تاب﴾ من الشرك ﴿وآمن وعمل صالحا﴾ أى جمع بين الايمان والعمل الصالح ﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾ أى الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام أوللترجي من قبل التائب بمعنى فليتوقع الافلاح ﴿وربك يخلق مايشاء﴾ أن يخلقه ﴿ويختار﴾ مايشاء اختياره من غير ايجاب عليه ولامنع له أصلا ﴿ماكان لهم الخيرة﴾ أى التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم وذلك مما لا ريب فيه وقيل المراد أنه ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ماروى أنه نزل فى قول الوليد ابن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والمعنى لايبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذى كان لهم فيه الخير والصلاح ﴿سبحان الله﴾ أى تنزه بذاته تنزها خاصا به من أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره اختيار ﴿وتعالى عما يشركون﴾ عن اشراكهم أو عن مشاركة مايشركونه به ﴿وربك يعلم ماتكن صدورهم﴾ كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقده ﴿ومايعلنون﴾ كالطعن فيه ﴿وهو الله﴾ أى المستحق للعبادة ﴿لااله الاهو﴾ لا أحد يستحقها الاهو ﴿له الحمد فى الأولى والآخرة﴾ لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده ﴿وله الحكم﴾ أى القضاء النافذ فى كل شئ من غير مشاركة فيه لغيره ﴿واليه ترجعون﴾ بالبعث لا الى غيره ﴿قل﴾ تقريرا لما ذكر ﴿أرأيتم﴾ أى أخبرونى ﴿ان جعل الله عليكم الليل سرمدا﴾ دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما فى دلامص من الدلاص يقال درع دلاص أى ملساء لينة ﴿الى يوم القيامة﴾ باسكان الشمس تحت الارض أو تحريكها حول الأفق الغائر ﴿من إله غير الله﴾ صفة لاله ﴿يأتيكم بضياء﴾ صفة أخرى له عليها يدور أمر التبكيت والالزام كما فى قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض وقوله تعالى فمن يأتيكم بماء معين ونظائرهما خلا أنه قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل اله الخ لايراد التبكيت والالزام على زعمهم وقرئ بضئاء بهمزتين ﴿أفلا تسمعون﴾ هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تذعنوا له وتعملوا بموجبه ﴿قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة﴾ باسكانها فى وسط السماء أو بتحريكها على مدار فوق الأفق ﴿من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه﴾ استراحة من متاعب الأشغال ولعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصودا بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط به من المنافع ﴿أفلا تبصرون﴾ هذه المنفعة الظاهرة التى لاتخفى على من له بصر ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ أى فى الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ فى النهار بأنواع المكاسب ﴿ولعلكم تشكرون﴾ ولكى تشكروا نعمته تعالى فعل مافعل أو لكى تعرفوا نعمته تعالى وتشكروه عليها ﴿ويوم يناديهم﴾ منصوب باذكر ﴿فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون﴾ تقريع اثر تقريع للاشعار بأنه لاشئ أجلب لغضب الله عز وجل من الاشراك كما لاشئ أدخل فى مرضاته من توحيده سبحانه وقوله تعالى ﴿ونزعنا﴾ عطف على يناديهم وصيغة الماضى للدلالة على التحقق أو حال من فاعله باضمار قد والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال الاعتناء بشأن النزع وتهويله أى أخرجنا ﴿من كل أمة﴾ من الأمم ﴿شهيدا﴾ نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد ﴿فقلنا﴾ لكل أمة من تلك الأمم ﴿هاتوا برهانكم﴾ على صحة ما كنتم تدينون به ﴿فعلموا﴾ يومئذ ﴿أن الحق لله﴾ فى الالهية لايشاركه فيها أحد ﴿وضل عنهم﴾ أى غاب عنهم غيبة الضائع ﴿ما كانوا يفترون﴾ فى الدنيا من الباطل ﴿ان قارون كان من قوم موسى﴾ كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام وموسى عليه السلام ابن عمران بن قاهث وقيل كان موسى عليه السلام ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن

سورته وقيل كان أقرأ بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهرون فمالى وروى أنه لما جاوزبهم موسى عليه السلام البحر وصارت الرسالة والحبورة والقربان لهرون وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الأمر لكما ولست على شيء الى متى أصبر قال موسى عليه السلام هذا صنع الله تعالى قال لا أصدقك حتى تأتى بآية فأمر رؤساء بنى اسرائيل أن يجيء كل واحد بعصاه فحزمها وألقاها في القبة التى كان الوحى ينزل اليه فيها فكانوا يحرسون عصيهم بالليل فأصبحوا فاذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر فقال قارون ماهو بأعجب مما تصنع من السحر وذلك قوله تعالى ﴿فبغى عليهم﴾ فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره أو ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بنى اسرائيل وقيل حسدهم وذلك ماذكر منه في حق موسى وهرون عليهما السلام ﴿وآتيناه من الكنوز﴾ أى الأموال المدخرة ﴿ماان مفاتحه﴾ أى مفاتح صناديقه وهو جمع مفتح بالكسر وهو مايفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح بالفتح ﴿لتنوء بالعصبة أولى القوة﴾ خبر ان والجملة صلة ما وهو ثانى مفعولى آتى وناء به الحمل اذا أثقله حتى أماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة وقرىء لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه كما في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ﴿اذ قال له قومه﴾ منصوب بتنوء وقيل ببغى ورد بأن البغى ليس مقيدا بذلك الوقت وقيل بآتيناه ورد بأن الايتاء أيضا غير مقيد به وقيل بمضمر فقيل هو اذكر وقيل هو أظهر الفرح ويجوز أن يكون منصوبا بما بعده من قوله تعالى قال انما أوتيته وتكون الجملة مقررة لبغيه ﴿لاتفرح﴾ أى لاتبطر والفرح في الدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فان العلم بأن مافيها من اللذة مفارقة لامحالة يوجب الترح حتما ولذلك قال تعالى ولاتفرحوا بما آتاكم وعلل النهى هنا بكونه مانعا من محبته عز وعلا فقيل ﴿ان الله لايحب الفرحين﴾ أى بزخارف الدنيا ﴿وابتغ﴾ وقرىء واتبع ﴿فيما آتاك الله﴾ من الغنى ﴿الدار الآخرة﴾ أى ثواب الله تعالى فيها بصرفه الى مايكون وسيلة اليه ﴿ولاتنس﴾ أى لاتترك ترك المنسى ﴿نصيبك من الدنيا﴾ وهو أن تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك ﴿وأحسن﴾ أى الى عباد الله تعالى ﴿كما أحسن الله اليك﴾ فيما أنعم به عليك وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن الله اليك بالانعام ﴿ولاتبغ الفساد في الارض﴾ نهى عما كان عليه من الظلم والبغى ﴿ان الله لايحب المفسدين﴾ لسوء أفعالهم ﴿قال﴾ مجيبا لناصحيه ﴿انما أوتيته على علم عندى﴾ كأنه يريد به الرد على قولهم كما أحسن الله اليك لانبائه عن أنه تعالى أنعم عليه بتلك الأموال والذخائر من غير سبب واستحقاق من قبله أى فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى علم في موقع الحال وهو علم التوراة وكان أعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم فتح الكنوز والدفائن وعندى صفة له أو متعلق بأوتيته كقولك جاز هذا عندى أو في ظنى ورأيى ﴿أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا﴾ توبيخ له من جهة الله تعالى على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك قراءة في التوراة وتلقيا من موسى عليه السلام وسماعا من حفاظ التواريخ وتعجيب منه فالمعنى ألم يقرأ التوراة ولم يعلم مافعل الله تعالى بأضرابه من أهل القرون السابقة حتى لايغتر بما اغتروا به أورد لادعائه العلم وتعظمه به بنفى هذا العلم منه فالمعنى أعلم ماادعاه ولم يعلم هذا حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين ﴿ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ سؤال استعلام بل يعذبون بها بغتة كأن قارون لما هدد بذكر اهلاك من قبله ممن كان أقوى منه وأغنى أكد ذلك بأن بين أن ذلك لم يكن مما يخص أولئك المهلكين بل الله تعالى مطلع على ذنوب كافة المجرمين يعاقبهم عليها لامحالة ﴿فخرج على قومه﴾ عطف على قال ومابينهما اعتراض وقوله تعالى ﴿في زينته﴾ اما متعلق بخرج أو

بمحذوف هو حال من فاعله أى نخرج عليهم كائنا فى زينته قيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وقيل فى تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رئى فيه المعصفر ﴿قال الذين يريدون الحيوة الدنيا﴾ من المؤمنين جريا على سنن الجبلة البشرية من الرغبة فى السعة واليسار ﴿ياليت لنا مثل ما أوتى قارون﴾ وعن قتادة أنهم تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى و ينفقوه فى سبل الخير وقيل كان المتمنون قوما كفارا ﴿انه لذو حظ عظيم﴾ تعليل لتمنيهم وتأكيد له ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ أى بأحوال الدنيا والآخرة كما ينبغى وانما لم يوصفوا بارادة ثواب الآخرة تنبيها على أن العلم بأحوال النشأتين يقتضى الاعراض عن الأولى والاقبال على الثانية حتما وأن تمنى المتمنين ليس الا لعدم علمهم بهما كما ينبغى ﴿و يلكم﴾ دعاء بالهلاك شاع استعماله فى الزجر عما لا يرتضى ﴿ثواب الله﴾ فى الآخرة ﴿خير﴾ مما تتمنونه ﴿لمن آمن وعمل صالحا﴾ فلا يليق بكم أن تتمنوه غير مكتفين بثوابه تعالى ﴿و لا يلقاها﴾ أى هذه الكلمة التى تكلم بها العلماء أو الثواب فانه بمعنى المثوبة أو الجنة أو الايمان والعمل الصالح فانهما فى معنى السيرة والطريقة ﴿الا الصابرون﴾ أى على الطاعات وعن الشهوات ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ روى أنه كان يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى أن يفضح موسى عليه السلام بين بنى اسرائيل فجعل لبغى من بغايا بنى اسرائيل ألف دينار وقيل طشتا من ذهب مملوءة ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بنى اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها عليه السلام أن تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على أن أرميك بنفسى فخر موسى ساجدا لربه يبكى و يقول يارب ان كنت رسولك فاغضب لى فأوحى اليه أن مر الأرض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يابنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معى فليعتزل عنه فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال ياأرض خذيهم فأخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الأوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الأعناق وهم يناشدونه عليه الصلاة والسلام بالله تعالى و بالرحم وهو لا يلتفت اليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فأصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا عليه موسى عليه الصلاة والسلام ليستبد بداره و كنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله ﴿فما كان له من فئة﴾ جماعة مشفقة ﴿ينصرونه من دون الله﴾ بدفع العذاب عنه ﴿وما كان من المنتصرين﴾ أى الممتنعين منه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر أى منعه فامتنع ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه﴾ منزلته ﴿بالأمس﴾ منذ زمان قريب ﴿يقولون و يكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر﴾ أى يفعل كل واحد من البسط والقدر بمحض مشيئته لا لكرامة توجب البسط و لا لهوان يقتضى القبض و و يكأن عند البصريين مركب من وى للتعجب و كأن للتشبيه والمعنى ما أشبه الأمر أن الله يبسط الخ وعند الكوفيين من ويك بمعنى و يلك وأن وتقديره و يك اعلم أن الله وانما يستعمل عند التنبه على الخطأ والتندم والمعنى أنهم قد تنبهوا على خطئهم فى تمنيهم وتندموا على ذلك ﴿لولا أن من الله علينا﴾ بعدم اعطائه ايانا ما تمنيناه واعطائنا مثل ما أعطاه اياه وقرىء لولا من الله علينا ﴿لخسف بنا﴾ كما خسف به وقرىء لخسف بنا على البناء للمفعول و بنا هو القائم مقام الفاعل وقرىء لانخسف بنا كقولك انقطع به وقرىء لتخسف بنا ﴿و يكأنه لا يفلح الكافرون﴾ لنعمة الله تعالى أو المكذبون برسله و بما وعدوا من ثواب الآخرة ﴿تلك الدار الآخرة﴾ اشارة تعظيم وتفخيم كأنه قيل تلك التى سمعت خبرها

وباعك وصفها ﴿نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض﴾ أى غلبة وتسلطا ﴿ولا فسادا﴾ أى ظلما وعدوانا على العباد كدأب فرعون وقارون وفى تعليق الموعد بترك ارادتهما لا بترك أنفسهما مزيد تحذير منهما وعن على رضى الله عنه ان الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها ﴿والعاقبة﴾ الحميدة ﴿للمتقين﴾ أى الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الافعال والاقوال ﴿من جاء بالحسنة فله﴾ بمقابلتها ﴿خير منها﴾ ذاتا ووصفا وقدرا ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات﴾ وضع فيه الموصول والظاهر موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم ﴿الا ما كانوا يعملون﴾ أى الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل وأقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة فى المماثلة ﴿ان الذى فرض عليك القرآن﴾ أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به ﴿لرادك الى معاد﴾ أى معاد تمتد اليه أعناق الهمم وترنو اليه أحداق الامم وهو المقام المحمود الذى وعدك أن يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة على أنه تعالى قد وعده وهو بمكة فى أذية وشدة من أهلها أنه يهاجر به منها ثم يعيده اليها بعز ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة فى مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابراهيم عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام فقال له أتشتاق الى مكة قال نعم فأوحاها اليه ﴿قل ربى أعلم من جاء بالهدى﴾ وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يدل عليه أعلم أى يعلم وقيل بأعلم على أنه بمعنى عالم ﴿ومن هو فى ضلال مبين﴾ وما استحقه من العذاب والاذلال يعنى بذلك نفسه والمشركين وهو تقرير للوعيد السابق وكذا قوله تعالى ﴿وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب﴾ أى سيردك الى معادك كما ألقى اليك الكتاب وما كنت ترجوه ﴿الا رحمة من ربك﴾ ولكن ألقاه اليك رحمة منه ويجوز أن يكون استثناء محمولا على المعنى كأنه قيل وما ألقى اليك الكتاب الا رحمة أى لاجل الترحم ﴿فلا تكونن ظهيرا للكافرين﴾ بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ﴿ولا يصدنك﴾ أى الكافرون ﴿عن آيات الله﴾ أى عن قراءتها والعمل بها ﴿بعد اذ أنزلت اليك﴾ وفرضت عليك وقرئ يصدنك من أصد المنقول من صد اللازم ﴿وادع﴾ الناس ﴿الى ربك﴾ الى عبادته وتوحيده ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ بمساعدتهم فى الأمور ﴿ولا تدع مع الله الها آخر﴾ هذا وما قبله للتهييج والالهاب وقطع أطماع المشركين عن مساعدته عليه الصلاة والسلام لهم واظهار أن المنهى عنه فى القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه أصلا ﴿لا اله الا هو﴾ وحده ﴿كل شىء هالك الا وجهه﴾ الا ذاته فان ما عداه كائنا ما كان ممكن فى حد ذاته عرضة للهلاك والعدم ﴿له الحكم﴾ أى القضاء النافذ فى الخلق ﴿واليه ترجعون﴾ عند البعث للجزاء بالحق والعدل . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ طسم القصص كان له من الأجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك فى السموات والأرض الا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا

سورة العنكبوت

(مكية وهى تسع وستون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الم﴾ الكلام فيه كالذى مر مرارا فى نظائره من الفواتح الكريمة خلا أن ما بعده لا يحتمل أن يتعلق به تعلقا اعرابيا ﴿أحسب الناس﴾ الحسبان ونظائره لا يتعلق بمعانى المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شىء لشىء أو انتفاء شىء عن شىء بحيث يتحصل منها مفعولاه اما بالفعل كما فى عامة المواقع واما بنوع تصرف فيها كما فى الجمل المصدرة بأن والواقعة صلة

للموصول الاسمى أو الحرفى فان كلا منهما صالحة لأن يسبك منها مفعولاه لأن قوله تعالى أحسب الناس ﴿أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ فى قوة أن يقال أحسبوا أنفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد أن يقولوا آمنا أو أن يقال أحسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم آمنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق أنه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض ما تشتهيه النفس ووظائف الطاعات وفنون المصائب فى الانفس والأموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ فى الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب أعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص من الخلود فى النار روى أنها نزلت فى ناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين جزعوا من أذية المشركين وقيل فى عمار قد عذب فى الله وقيل فى مهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما رماه عامر بن الحضرمى بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه أبواه وامرأته وهو أول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ متصل بقوله تعالى أحسب أو بقوله تعالى لا يفتنون والمعنى أن ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين الأمم كلها فلا ينبغى أن يتوقع خلافها والمعنى أن الامم الماضية قد أصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو أشد مما أصاب هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه قوله تعالى وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا الآيات وعن النبى عليه الصلاة والسلام قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ أى فى قولهم آمنا ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ فى ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما يفصح عنه ما قبلها من وقوع الامتحان واللام جواب القسم والالتفات الى الاسم الجليل لادخال الروعة وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التأكيد والتقرير أى فوالله ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا فى الايمان الذى أظهروه والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب ويترتب عليه أجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن أو ليجازين وقرىء وليعلمن من الاعلام أى وليعرفنهم الناس أو ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا﴾ أى يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوى أعمالهم وهو ساد مسد مفعولى حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ بانكار ما هو أبطل من الحسبان الاول وهو حسبانهم أن لا يجازوا بسيئاتهم وهم وان لم يحسبوا أنهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا نفوسهم بذلك لكنهم حيث أصروا على المعاصى ولم يتفكروا فى العاقبة نزلوا منزلة من يطمع فى ذلك كما فى قوله تعالى يحسب أن ماله أخلده ﴿ساء ما يحكمون﴾ أى بئس الذى يحكمونه حكمهم ذلك أو بئس حكما يحكمونه حكمهم ذلك ﴿من كان يرجو لقاء الله﴾ أى يتوقع ملاقاة جزائه ثوابا أو عقابا أو ملاقاة حكمه يوم القيامة وقيل يرجو لقاء الله عز وجل فى الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه وقيل لقاؤه تعالى عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقى ملك الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان يأتى ويذر فاما أن يلقاه ببشر وكرامة لما رضى من أفعاله أو بضده لما سخطه ﴿فان أجل الله﴾ الاجل عبارة عن غاية زمان ممتد عينت لامر من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر فى الاستعمال أى فان الوقت الذى عينه تعالى لذلك ﴿لآت﴾ لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لأن أجزاء الزمان على التقضى والتصرم دائما فلا بد من اتيان ذلك الجزء أيضا البتة واتيان وقته موجب لاتيان اللقاء حتما

والجواب محذوف أى فليختر من الاعمال ما يؤدى الى حسن الثواب وليحذر ما يسوقه الى سوء العذاب كما فى قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى وقيل فليبادر ما يحقق أمله ويصدق رجاءه أو ما يوجب القربة والزلفى ﴿وهو السميع﴾ لاقوال العباد ﴿العليم﴾ بأحوالهم من الاعمال الظاهرة والعقائد ﴿ومن جاهد﴾ فى طاعة الله عز وجل ﴿فانما يجاهد لنفسه﴾ لعود منفعتها اليها ﴿ان الله لغنى عن العالمين﴾ فلا حاجة له الى طاعتهم وانما أمرهم بها تعريضا لهم للثواب بموجب رحمته ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾ الكفر بالايمان والمعاصى بما يتبعها من الطاعات ﴿ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون﴾ أى أحسن جزاء أعمالهم لا جزاء أحسن أعمالهم فقط ﴿ووصينا الانسان بوالديه حسنا﴾ أى بايتاء والديه وايلائهما فعلا ذا حسن أو ما هو فى حد ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا ووصى يجرى مجرى أمر معنى وتصرفا غير أنه يستعمل فيما كان فى المأمور به نفع عائد الى المأمور أو غيره وقيل هو بمعنى قال والمعنى وقلنا أحسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بمضمر على تقدير قول مفسر للتوصية أى وقلنا أولهما أو افعل بهما حسنا وهو أوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرىء حسنا واحسانا ﴿وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم﴾ أى بالهيته عبر عن نفيها بنفى العلم بها للايذان بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه ﴿فلا تطعهما﴾ فى ذلك فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر فيما قبل وفى تعليق النهى عن طاعتهما بمجاهدتهما فى التكليف اشعار بان موجب النهى فيما دونها من التكليف ثابت بطريق الاولوية ﴿الى مرجعكم﴾ أى مرجع من آمن منكم ومن أشرك ومن بر بوالديه ومن عق ﴿فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ بأن أجازى كلا منكم بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر والآية نزلت فى سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه عند اسلامه حيث حلفت أمه حمنة بنت أبى سفيان بن أمية أن لا تنتقل من الضح الى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلاثة أيام كذلك وكذا التى فى سورة لقمان وسورة الاحقاف وقيل نزلت فى عياش بن أبى ربيعة المخزومى وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى نزلا المدينة فخرج أبو جهل والحرث أخواه لامه أسماء فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلى الله عليه وسلم صلة الأرحام وبر الوالدين وقد تركت أمك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوى بيتا حتى تراك فاخرج معنا وفتلا منه فى الذروة والغارب واستشار عمر رضى الله عنه فقال هما يخدعانك ولك على أن أقسم مالى بينى وبينك فما زالا به حتى أطاعهما وعصى عمر رضى الله عنه فقال عمر رضى الله عنه أما اذا عصيتنى فخذ ناقتى فليس فى الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال أبو جهل ان ناقتى قد كلت فاحملنى معك فنزل ليوطىء لنفسه وله فأخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى أمه فقالت لا تزال فى عذاب حتى ترجع عن دين محمد ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين﴾ أى فى زمرة الراسخين فى الصلاح والكمال فى الصلاح منتهى درجات المؤمنين وغاية مأمول أنبياء الله المرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقال فى حق ابراهيم عليه السلام وانه فى الآخرة لمن الصالحين أو فى مدخل الصالحين وهو الجنة ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله﴾ أى فى شأنه تعالى بأن عذبهم الكفرة على الايمان ﴿جعل فتنة الناس﴾ أى ما يصيبه من أذيتهم ﴿كعذاب الله﴾ فى الشدة والهول فيرتد عن الدين مع أنه لا قدر لها عند نفحة من عذابه تعالى أصلا ﴿ولئن جاء نصر من ربك﴾ أى فتح وغنيمة ﴿ليقولن﴾ بضم اللام نظرا الى معنى من كما أن الافراد فيما سبق بالنظر الى لفظها وقرىء بالفتح ﴿انا كنا معكم﴾ أى مشايعين لكم فى

الذين فأشركونا فى المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا اذا مسهم أذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى ﴿أو ليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين﴾ أى بأعلم منهم بما فى صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والاخفاء عن المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا هو الاوفق لما سبق ولما لحق من قوله تعالى ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا﴾ أى بالاخلاص ﴿وليعلمن المنافقين﴾ سواء كان كفرهم بأذية الكفرة أولا أى ليجزينهم بما لهم من الايمان والنفاق ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ بيان لحملهم للمؤمنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالأذية والوعيد ووصفهم بالكفر ههنا دون ما سبق لما أن مساق الكلام لبيان جنايتهم وفيما سبق لبيان جناية من أضلوه واللام للتبليغ أى قالوا مخاطبين لهم ﴿اتبعوا سبيلنا﴾ أى أسلكوا طريقتنا التى نسلكها فى الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذى هو المشى خلف ماش آخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك فيه أو واتبعونا فى طريقتنا ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ أى ان كان ذلك خطيئة يؤاخذ عليها بالبعث كما تقولون وانما أمروا أنفسهم بالحمل عاطفين له على أمرهم بالاتباع للمبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ﴾ وقرئ من خطيئاتهم أى وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم التى التزموا أن يحملوا كلها على أن من الاولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق والجملة اعتراض أو حال ﴿انهم لكاذبون﴾ حيث أخبروا فى ضمن وعدهم بالحمل بأنهم قادرون على انجاز ما وعدوا فان الكذب كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه باعتبار ما يلزم مدلوله كما مر فى قوله تعالى أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ﴿وليحملن أثقالهم﴾ بيان لما يستتبعه قولهم ذلك فى الآخرة من المضرة لأنفسهم بعد بيان عدم منفعته لمخاطبيهم أصلا والتعبير عن الخطايا بالاثقال للايذان بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب قسم مضمر أى والله ليحملن أثقال أنفسهم كاملة ﴿وأثقالا﴾ أخر ﴿مع أثقالهم﴾ لما تسببوا بالاضلال والحمل على الكفر والمعاصى من غير أن ينتقص من أثقال من أضلوه شئ ما أصلا ﴿وليسألن يوم القيامة﴾ سؤال تقريع وتبكيت ﴿عما كانوا يفترون﴾ أى يختلقونه فى الدنيا من الأكاذيب والاباطيل التى من جملتها كذبهم هذا ﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما﴾ شروع فى بيان افتتان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأذية أممهم اثر بيان افتتان المؤمنين بأذية الكفار تأكيدا للانكار على الذين يحسبون أن يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثا لهم على الصبر فان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث ابتلوا بما أصابهم من جهة أممهم من فنون المكاره وصبروا عليها فلأن يصبر هؤلاء أولى وأحرى قالوا كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين عاما بعث على رأس أربعين سنة ودعا قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما فى ذكر الالف من تخييل طول المدة فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة واظهار ركاكة رأى الذين يحسبون أنهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميز لما فى التكرير من نوع بشاعة ﴿فأخذهم الطوفان﴾ أى عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشئ على كثرة وشدة من السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان الماء ﴿وهم ظالمون﴾ أى والحال أنهم مستمرون على الظلم لم يتأثروا بما سمعوا من نوح عليه السلام من الآيات ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصى هذه المدة المتمادية ﴿فأنجيناه﴾ أى نوحا عليه السلام ﴿وأصحاب السفينة﴾ أى ومن ركب فيها معه من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم اناث ﴿وجعلناها﴾

أى السفينة أو الحادثة والقصة ﴿ آية للعالمين ﴾ يتعظون بها ﴿ وابراهيم ﴾ نصب بالعطف على نوحا وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم ﴿ اذ قال لقومه ﴾ على الاول ظرف للارسال أى أرسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى طريق الحق وعلى الثانى بدل اشتمال من ابراهيم ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى وحده ﴿ واتقوه ﴾ أن تشركوا به شيأ ﴿ ذلكم ﴾ أى ما ذكر من العبادة والتقوى ﴿ خير لكم ﴾ أى مما أنتم عليه ومعنى التفضيل مع أنه لا خيرية فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ أى الخير والشر وتميزون أحدهما من الآخر أو ان كنتم تعلمون شيأ من الأشياء بوجه من الوجوه فان ذلك كاف فى الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة والتقوى ﴿ انما تعبدون من دون الله أوثانا ﴾ بيان لبطلان دينهم وشريته فى نفسه بعد بيان شريته بالنسبة الى الدين الحق أى انما تعبدون من دونه تعالى أوثانا هى فى نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك ﴿ وتخلقون افكا ﴾ أى وتكذبون كذبا حيث تسمونها آلهة وتدعون أنها شفعاؤكم عند الله تعالى أو تعملونها وتنحتونها للافك وقرئ تخلقون بالتشديد للتكثير فى الخلق بمعنى الكذب والافتراء وتخلقون بحذف احدى التاءين من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ أفكا على أنه مصدر كالكذب واللعب أو نعت بمعنى خلقا ذا افك ﴿ ان الذين تعبدون من دون الله ﴾ بيان لشرية ما يعبدونه من حيث انه لا يكاد يجديهم نفعا ﴿ لا يملكون لكم رزقا ﴾ أى لا يقدرون على أن يرزقوكم شيأ من الرزق ﴿ فابتغوا عند الله الرزق ﴾ كله فانه هو الرزاق ذو القوة المتين ﴿ واعبدوه ﴾ وحده ﴿ واشكروا له ﴾ على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين للمزيد ﴿ اليه ترجعون ﴾ أى بالموت ثم بالبعث لا الى غيره فافعلوا ما أمرتكم به وقرئ ترجعون من رجع رجوعا ﴿ وان تكذبوا ﴾ أى تكذبونى فيما أخبرتكم به من أنكم اليه ترجعون بالبعث ﴿ فقد كذب أمم من قبلكم ﴾ تعليل للجواب أى فلا تضرونى بتكذيبكم فان من قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلى من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئا وانما ضر أنفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم ﴿ وما على الرسول الا البلاغ المبين ﴾ أى التبليغ الذى لا يبقى معه شك وما عليه أن يصدقه قومه البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرنى تكذيبكم بعد ذلك أصلا ﴿ أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ﴾ كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى للانكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة لانكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف على مقدر أى ألم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية فى الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة أى قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الانكار وتأكيده وقرئ يبدأ وقوله تعالى ﴿ ثم يعيده ﴾ عطف على أولم يروا لا على يبدئ لعدم وقوع الرؤية عليه فهو اخبار بأنه تعالى يعيد الخلق قياسا على الابداء وقد جوز العطف على يبدئ بتأويل الاعادة بانشائه تعالى كل سنة مثل ما أنشأه فى السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فان ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب ﴿ ان ذلك ﴾ أى ما ذكر من الاعادة ﴿ على الله يسير ﴾ اذ لا يفتقر فعله الى شئ أصلا ﴿ قل سيروا فى الأرض ﴾ أمر لابراهيم عليه السلام أن يقول لهم ذلك أى سيروا فيها ﴿ فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ أى كيف خلقهم ابتداء على أطوار مختلفة وطبائع متغايرة وأخلاق شتى فان ترتيب النظر على السير فى الارض مؤذن بتتبع أحوال أصناف الخلق القاطنين فى أقطارها ﴿ ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ﴾ بعد النشأة الأولى التى شاهدتموها والتعبير عن الاعادة التى هى محل النزاع بالنشأة الآخرة المشعرة بكون البدء نشأة أولى للتنبيه على أنهما شأن واحد من شؤون الله تعالى حقيقة واسما من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود ولا فرق بينهما الا بالأولية والآخرية

وقرئ النشاءة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرآفة ومحلها النصب على أنها مصدر مؤكد لينشئ بحذف الزوائد والاصل الانشاءة أو بحذف العامل أي ينشئ فينشأون النشأة الآخرة كما في قوله تعالى وأنبتها نباتا حسنا والجملة معطوفة على جملة سيروا في الارض داخلة معها في حيز القول واظهار الاسم الجليل وايقاعه مبتدأ مع اضماره في بدأ لابراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الاعادة بالاشارة الى علة الحكم وتكرير الاسناد وقوله تعالى ﴿ان الله على كل شئ قدير﴾ تعليل لما قبله بطريق التحقيق فان من علم قدرته تعالى على جميع الاشياء التي من جملتها الاعادة لا يتصور أن يتردد في قدرته عليها ولا في وقوعها بعد ما أخبر به ﴿يعذب﴾ أي بعد النشأة الآخرة ﴿من يشاء﴾ أن يعذبه وهم المنكرون لها حتما ﴿ويرحم من يشاء﴾ أن يرحمه وهم المصدقون بها والجملة تكملة لما قبلها وتقديم التعذيب لما أن الترهيب أنسب بالمقام من الترغيب ﴿واليه تقلبون﴾ عند ذلك لا الى غيره فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب والرحمة ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ له تعالى عن اجراء حكمه وقضائه عليكم ﴿في الأرض ولا في السماء﴾ أي بالتواري في الأرض أو الهبوط في مهاويها ولا بالتحصن في السماء التي هي أفسح منها لو استطعتم الرقي فيها كما في قوله تعالى ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا أو القلاع الذاهبة فيها وقيل في السماء صفة لمحذوف معطوف على أنتم أي ولا من في السماء ﴿وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء ويدفعه عنكم ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ أي بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وأفعاله فيدخل فيها النشأة الاولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولا أوليا وتخصيصها بدلائل وحدانيته تعالى لا يناسب المقام ﴿ولقائه﴾ الذي تنطق به تلك الآيات ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته تعالى ولقائه ﴿يئسوا من رحمتي﴾ أي ييأسون منها يوم القيامة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه أو يئسوا منها في الدنيا لانكارهم البعث والجزاء ﴿وأولئك لهم عذاب أليم﴾ وفي تكرير اسم الاشارة وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالاليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى أي أولئك الموصوفون بالكفر بآيات الله تعالى ولقائه وباليأس من رحمته الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك الاوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره في الشدة والايلام ﴿فما كان جواب قومه﴾ بالنصب على أنه خبر كان واسمها قوله تعالى ﴿الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه﴾ وقرئ بالرفع على العكس وقد مر ما فيه في نظائره وليس المراد أنه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج ابراهيم عليه السلام الا هذه المقالة الشنيعة كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل ان ذلك هو الذي استقر عليه جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة الاخيرة والا فقد صدر عنهم من الخرافات والاباطيل ما لا يحصى ﴿فأنجاه الله من النار﴾ الفاء فصيحة أي فألقوه في النار فأنجاه الله تعالى منها بأن جعلها عليه عليه الصلاة والسلام بردا وسلاما حسبما بين في مواضع أخر وقدمر في سورة الانبياء بيان كيفية القائه عليه الصلاة والسلام فيها وانجائه تعالى اياه تفصيلا قيل لم ينتفع يومئذ بالنار في موضع أصلا ﴿ان في ذلك﴾ أي في انجائه منها ﴿لآيات﴾ بينة عجيبة هي حفظه تعالى اياه من حرها واخمادها في زمان يسير وانشاء روض في مكانها ﴿لقوم يؤمنون﴾ وأما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغانم آثارها محرومون ﴿وقال﴾ أي ابراهيم عليه السلام مخاطبا لهم ﴿انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا﴾ أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم وثاني مفعولي اتخذتم محذوف أي أوثانا آلهة ويجوز أن يكون مودة هو المفعول بتقدير المضاف أو بتأويلها بالمودودة او بجعلها نفس المودة مبالغة أي اتخذتم أوثانا سبب المودة بينكم أو مودودة أو نفس المودة وقرئ مودة منونة منصوبة ناصبة الظرف وقرئت بالرفع والاضافة على أنها خبر مبتدأ محذوف أي هي مودودة أو نفس المودة

أو سبب مودة بينكم والجملة صفة أوثانا أو خبران على أن ما مصدرية أو موصولة قد حذف عائدها وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم على أحد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم والمعنى أن اتخاذكم اياها مودة بينكم ليس الا في الحياة وقد أجريتم أحكامه حيث فعلتم بي مافعلتم لاجل مودتكم لها انتصارا منى لما ينبئ عنه قوله تعالى وانصروا آلهتكم ﴿ثم يوم القيامة﴾ تنقلب الامور و يتبدل التواد تباغضا والتلاطف تلاعنا حيث ﴿يكفر بعضكم﴾ وهم العبدة ﴿ببعض﴾ وهم الاوثان ﴿و يلعن بعضكم بعضا﴾ أى يلعن كل فريق منكم ومن الاوثان حيث ينطقها الله تعالى الفريق الآخر ﴿ومأواكم النار﴾ أى هي منزلكم الذى تأوون اليه و لا ترجعون منه أبدا ﴿ومالكم من ناصرين﴾ يخلصونكم منها كما خلصنى ربى من النار التى ألقيتمونى فيها وجمع الناصر لوقوعه فى مقابلة الجمع أى مالأحد منكم من ناصر أصلا ﴿فآمن له لوط﴾ أى صدقه فى جميع مقالاته لا فى نبوته وما دعا اليه من التوحيد فقط فانه كان منزها عن الكفر وما قيل انه آمن له حين رأى النار لم تحرقه ينبغى أن يحمل على ماذكرنا أو على أن يراد بالايمان الرتبة العالية منه وهى التى لا يرتقى اليها الا هم الافراد الكمل ولوط هو ابن أخيه عليهما السلام ﴿وقال انى مهاجر﴾ أى من قومى ﴿الى ربى﴾ الى حيث أمرنى ربى ﴿انه هو العزيز﴾ الغالب على أمره فيمنعنى من أعدائى ﴿الحكيم﴾ الذى لا يفعل فعلا الا وفيه حكمة ومصلحة فلا يأمرنى الا بما فيه صلاحى روى أنه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشأم فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ﴿ووهبنا له اسحق و يعقوب﴾ ولدا ونافلة حين أيس من عجوز عاقر ﴿وجعلنا فى ذريته النبوة﴾ فكثر منهم الانبياء ﴿والكتاب﴾ أى جنس الكتاب المتناول للكتب الاربعة ﴿وآتيناه أجره﴾ بمقابلة هجرته الينا ﴿فى الدنيا﴾ باعطاء الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء أهل الملل اليه والثناء والصلاة عليه الى آخر الدهر ﴿وانه فى الآخرة لمن الصالحين﴾ أى الكاملين فى الصلاح ﴿ولوطا﴾ منصوب اما بالعطف على نوحا أو على ابراهيم والكلام فى قوله تعالى ﴿اذ قال لقومه﴾ كالذى مر فى قصة ابراهيم عليه السلام ﴿انكم لتأتون الفاحشة﴾ أى الفعلة المتناهية فى القبح وقرئ أئنكم ﴿ماسبقكم بها من أحد من العالمين﴾ استئناف مقرر لكمال قبحها فان اجماع جميع أفراد العالمين على التحاشى عنها ليس الا لكونها مما تشمئز منه الطباع وتنفر منه النفوس ﴿أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل﴾ وتتعرضون للسابلة أى بالفاحشة حيث روى أنهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل وأخذ المال ﴿وتأتون فى ناديكم﴾ أى تفعلون فى مجلسكم الجامع لاصحابكم ﴿المنكر﴾ كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها مما لا خير فيه من الافاعيل المنكرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الحذف بالحصى والرمى بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازار والسباب والفحش فى المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة فى ناديهم بذلك العمل ﴿فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين﴾ أى فما كان جوابا من جهتهم شئ من الاشياء الا هذه الكلمة الشنيعة أى لم يصدر عنهم فى هذه المرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام وقد كان أوعدهم فيها بالعذاب وأما ما فى سورة الاعراف من قوله تعالى وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم الآية وما فى سورة النمل من قوله تعالى فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم الآية فهو الذى صدر عنهم بعد هذه المرة وهى المرة الاخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم و بينه عليه الصلاة والسلام وقد مر تحقيقه فى سورة الاعراف ﴿قال رب انصرنى﴾ أى بانزال العذاب الموعود ﴿على القوم المفسدين﴾ بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والاصرار عليها واستعجال

العذاب بطريق الاستهزاء وانما وصفهم بذلك مبالغة فى استنزال العذاب عليهم ﴿ ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى ﴾ أى بالبشارة بالولد والنافلة ﴿ قالوا ﴾ أى لابراهيم عليه السلام فى تضاعيف الكلام حسبما فصل فى سورة هود وسورة الحجر ﴿ إنا مهلكو أهل هذه القرية ﴾ أى قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ﴿ ان أهلها كانوا ظالمين ﴾ تعليل للاهلاك باصرارهم على الظلم وتماديهم فى فنون الفساد وأنواع المعاصى ﴿ قال ان فيها لوطا ﴾ فكيف تهلكونها ﴿ قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله ﴾ أرادوا أنهم غير غافلين عن مكان لوط عليه السلام فيها بل عمن لم يتعرض له ابراهيم عليه السلام من أتباعه المؤمنين وأنهم معتنون بشأنهم أتم اعتناء حسبما ينبئ عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم أى والله لننجينه وأهله ﴿ الا امرأته كانت من الغابرين ﴾ أى الباقين فى العذاب أو القرية ﴿ ولما أن جاءت رسلنا ﴾ المذكورون بعد مفارقتهم لابراهيم عليه السلام ﴿ لوطا سئ بهم ﴾ اعتراه المساءة بسببهم مخافة أن يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة أن صلة لتأكيد ما بين الفعلين من الاتصال ﴿ وضاق بهم ذرعا ﴾ أى ضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أى طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا به قادرا عليه وذلك أن طويل الذراع ينال مالا يناله قصير الذراع ﴿ وقالوا ﴾ ريثما شاهدوا فيه مخايل التضجر من جهتهم وعاينوا أنه قد عجز عن مدافعة قومه بعد اللتيا والتى حتى آلت به الحال الى أن قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد ﴿ لاتخف ﴾ أى من قومك علينا ﴿ ولا تحزن ﴾ أى على شئ وقيل باهلاكنا اياهم ﴿ انا منجوك وأهلك ﴾ مما يصيبهم من العذاب ﴿ الا امرأتك كانت من الغابرين ﴾ وقرئ لننجينك ومنجوك من الانجاء وأياما كان فمحل الكاف الجر على المختار ونصب أهلك باضمار فعل أو بالعطف على محلها باعتبار الاصل ﴿ انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء ﴾ استئناف مسوق لبيان ما أشير اليه بوعد التنجية من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذى يقلق المعذب أى يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتجس واضطرب وقرئ منزلون بالتشديد ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ بسبب فسقهم المستمر ﴿ ولقد تركنا منها ﴾ أى من القرية ﴿ آية بينة ﴾ هى قصتها العجيبة وآثار ديارها الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعدها وقيل الماء الاسود على وجه الارض ﴿ لقوم يعقلون ﴾ يستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار وهو متعلق اما بتركنا أو ببينة ﴿ والى مدين أخاهم شعيبا ﴾ متعلق بمضمر معطوف على أرسلنا فى قصة نوح عليه السلام أى وأرسلنا الى مدين شعيبا ﴿ فقال ياقوم اعبدوا الله ﴾ وحده ﴿ وارجوا اليوم الآخر ﴾ أى توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاهوال وافعلوا اليوم من الاعمال ما تأمنون غائلته وقيل وارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف ﴿ ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة ﴾ أى الزلزلة الشديدة وفى سورة هود وأخذت الذين ظلموا الصيحة أى صيحة جبريل عليه السلام فانها الموجبة للرجفة بسبب تموجها للهواء وما يجاورها من الارض ﴿ فأصبحوا فى دارهم ﴾ أى بلدهم أو منازلهم والافراد لأمن اللبس ﴿ جاثمين ﴾ باركين على الركب ميتين ﴿ وعادا وثمود ﴾ منصوبان باضمار فعل ينبئ عنه ما قبله أى أهلكنا وقرئ ثمودا بتأويل الحى ﴿ وقد تبين لكم من مساكنهم ﴾ أى وقد ظهر لكم اهلاكنا اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها ذهابا الى الشأم وايابا منه ﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ من فنون الكفر والمعاصى ﴿ فصدهم عن السبيل ﴾ السوى الموصل الى الحق ﴿ وكانوا مستبصرين ﴾ متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك أو متبينين أن العذاب لاحق بهم باخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام لهم ولكنهم لجوا حتى لقوا ما لقوا ﴿ وقارون وفرعون وهامان ﴾ معطوف على عادا قيل تقديم قارون لشرف نسبه ﴿ ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الأرض وما كانوا سابقين ﴾ مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه اذا

فانه ولم يدركه ولقد أدركهم أمر الله عز وجل أى ادراك فتداركوا نحو الدمار والهلاك ﴿فكلا﴾ تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام أى فكل واحد من المذكورين ﴿أخذنا بذنبه﴾ أى عاقبناه بجنايته لا بعضه دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا﴾ تفصيل للاخذ أى ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ كمدين وثمود ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ كقارون ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه ﴿وما كان الله ليظلمهم﴾ بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته تعالى ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالاستمرار على مباشرة مايوجب ذلك من أنواع الكفر والمعاصى ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾ أى فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتا﴾ فيما نسجته فى الوهن والخور بل ذلك أوهن من هذا لأن له حقيقة وانتفاعا فى الجملة أو مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب فى الاستعمال التأنيث وتاؤه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب وعنكبوتات وأما العكاب والعكب والاعكب فأسماء الجموع ﴿وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾ حيث لايرى شئ يدانيه فى الوهن والوهى ﴿لوكانوا يعلمون﴾ أى شيأ من الاشياء لجزموا أن هذا مثلهم أو أن دينهم أوهى من ذلك ويجوز أن يجعل بيت العنكبوت عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى وان أوهن مايعتمد به فى الدين دينهم ﴿ان الله يعلم مايدعون من دونه من شئ﴾ على اضمار القول أى قل للكفرة ان الله الخ وما استفهامية منصوبة بيدعون معلقة ليعلم ومن للتبيين أونافية ومن مزيدة وشئ مفعول يدعون أو مصدرية وشئ عبارة عن المصدر أوموصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف وقرئ تدعون بالتاء والكلام على الاولين تجهيل لهم وتأكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ تعليل على المعنيين فان اشراك مالا يعد شيئا بمن هذا شأنه من فرط الغباوة وأن الجماد بالنسبة الى القادر القاهر على كل شئ البالغ فى العلم واتقان الفعل الغاية القاصية كالمعدوم البحت وأن من هذه صفاته قادر على مجازاتهم ﴿وتلك الأمثال﴾ أى هذا المثل وأمثاله ﴿نضربها للناس﴾ تقريبا لما بعد من أفهامهم ﴿وما يعقلها﴾ على ماهى عليه من الحسن واستتباع الفوائد ﴿الا العالمون﴾ الراسخون فى العلم المتدبرون فى الأشياء على ماينبغى وعنه عليه الصلاة والسلام أنه تلا هذه فقال العالم من عقل عن الله تعالى وعمل بطاعته واجتنب سخطه ﴿خلق الله السموات والارض بالحق﴾ أى محقا مراعيا للحكم والمصالح على أنه حال من فاعل خلق أو ملتبسة بالحق الذى لامحيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على أنه حال من مفعوله فانها مع اشتمالها على جميع مايتعلق به معاشهم شواهد دالة على شؤنه تعالى المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه قوله تعالى ﴿ان فى ذلك لآية للمؤمنين﴾ دالة لهم على ماذكر من شؤنه سبحانه وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والارشاد فى خلقهما للكل لأنهم المنتفعون بذلك ﴿اتل ماأوحى اليك من الكتاب﴾ تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما فى تضاعيفه من المعانى وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الأحكام ومحاسن الآداب ومكارم الاخلاق ﴿وأقم الصلاة﴾ أى داوم على اقامتها وحيث كانت الصلاة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان أمره عليه الصلاة والسلام باقامتها متضمنا لامر الأمة بها علل بقوله تعالى ﴿ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ كأنه قيل وصل بهم ان الصلاة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما أنها سبب للانتهاء عنهما لأنها مناجاة لله تعالى فلا بد أن تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلى عن معاصيه قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصى الله تعالى فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن

المنكر لم يزدد بصلاته من الله تعالى الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وروى أنس رضى الله عنه أن فتى من الأنصار كان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيأ من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه الصلاة والسلام حاله فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وحسن حاله ﴿ولذكر الله أكبر﴾ أى وللصلاة أكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به كما فى قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله للايذان بأن مافيها من ذكر الله تعالى هو العمدة فى كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل ولذكر الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر فى الزجر عنهما وقيل ولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته ﴿والله يعلم ماتصنعون﴾ منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها أحسن المجازاة ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب﴾ من اليهود والنصارى ﴿الا بالتى هى أحسن﴾ أى بالخصلة التى هى أحسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والسورة بالاناة على وجه لايدل على الضعف ولا يؤدى الى اعطاء الدنية وقيل منسوخ بآية السيف ﴿الا الذين ظلموا منهم﴾ بالافراط فى الاعتداء والعناد أو باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب حينئذ المدافعة بما يليق بحالهم ﴿وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا﴾ من القرآن ﴿وأنزل اليكم﴾ أى وبالذى أنزل اليكم من التوراة والانجيل وقد مر تحقيق كيفية الايمان بهما فى خاتمة سورة البقرة وعن النبى عليه الصلاة والسلام لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم ﴿والهنا والهكم واحد﴾ لاشريك له فى الالوهية ﴿ونحن له مسلمون﴾ مطيعون خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴿وكذلك﴾ تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه فى الفضل أى مثل ذلك الانزال البديع الموافق لانزال سائر الكتب ﴿أنزلنا اليك الكتاب﴾ أى القرآن الذى من جملته هذه الآية الناطقة بما ذكر من المجادلة بالحسنى ﴿فالذين آتيناهم الكتاب﴾ من الطائفتين ﴿يؤمنون به﴾ أريد بهم عبد الله بن سلام وأضرابه من أهل الكتابين خاصة كأن من عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه أو من تقدم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا فى كتابيهما وتخصيصهم بايتاء الكتاب للايذان بأن من بعدهم من معاصرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب مابعدها على ماقبلها فان ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه المذكور ﴿ومن هؤلاء﴾ أى ومن العرب أو أهل مكة على الأول أو ممن فى عصره عليه الصلاة والسلام على الثانى ﴿من يؤمن به﴾ أى بالقرآن ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ عبر عن الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى وأضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحد بها ﴿الا الكافرون﴾ المتوغلون فى الكفر المصممون عليه فان ذلك يصدهم عن التأمل فيما يؤديهم الى معرفة حقيتها وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه ﴿وما كنت تتلو من قبله﴾ أى ما كنت قبل انزالنا اليك الكتاب تقدر على أن تتلو شيأ من كتاب ﴿ولا تخطه﴾ أى ولا تقدر على أن تخطه ﴿بيمينك﴾ حسبما هو المعتاد أو ما كانت عادتك أن تتلوه ولا أن تخطه ﴿اذا لارتاب المبطلون﴾ أى لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط أو ممن يعتادهما لارتابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الاوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق فى شأنك منشأ ريب أصلا وتسميتهم مبطلين فى ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين فى اتباعهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته عليه الصلاة والسلام عن ذلك ﴿بل هو﴾ أى القرآن ﴿آيات بينات﴾ واضحات ثابتة راسخة ﴿فى صدور

الذين أوتوا العلم ﴾ من غير أن يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر أحد على تحريفه ﴿ وما يجحد بآياتنا ﴾ مع كونها
كما ذكر ﴿ الا الظالمون ﴾ المتجاوزون للحدود فى الشر والمكابرة والفساد ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه ﴾
مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرئ آية ﴿ قل انما الآيات عند الله ﴾ ينزلها حسبما يشاء
من غير دخل لاحد فى ذلك قطعا ﴿ وانما أنا نذير مبين ﴾ ليس من شأنى الا الانذار بما أوتيت من الآيات ﴿ أولم
يكفهم ﴾ كلام مستأنف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للانكار والنفى والواو للعطف
على مقدر يقتضيه المقام أى أقصر ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات ﴿ أنا أنزلنا عليك الكتاب ﴾ الناطق بالحق
المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وأنت بمعزل عن مدارستها وممارستها ﴿ يتلى عليهم ﴾ فى كل زمان ومكان
فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون فى مكان دون مكان أو يتلى على اليهود
بتحقيق ما فى أيديهم من نعتك ونعت دينك ﴿ ان فى ذلك ﴾ الكتاب العظيم الشان الباقى على مر الدهور ﴿ لرحمة ﴾
أى نعمة عظيمة ﴿ وذكرى ﴾ أى تذكرة ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ أى لقوم همهم الايمان لا التعنت كأولئك المقترحين
وقيل ان ناسا من المؤمنين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف فيها بعض ما يقوله اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم أن
يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت ﴿ قل كفى بالله بينى وبينكم شهيداً ﴾ بما صدر عنى وعنكم ﴿ يعلم
ما فى السموات والارض ﴾ أى من الأمور التى من جملتها شأنى وشأنكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيداً ﴿ والذين
آمنوا بالباطل ﴾ وهو ما يعبد من دون الله تعالى ﴿ وكفروا بالله ﴾ مع تعاضد موجبات الايمان به ﴿ أولئك هم
الخاسرون ﴾ المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان بأن ضيعوا الفطرة الأصلية والادلة السمعية الموجبة
للايمان والآية من قبيل المجادلة بالتى هى أحسن حيث لم يصرح بنسبة الايمان بالباطل والكفر بالله والخسران اليهم
بل ذكر على منهاج الابهام كما فى قوله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾
على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب ونحو ذلك ﴿ ولولا
أجل مسمى ﴾ قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه فى اللوح ﴿ لجاءهم العذاب ﴾ المعين لهم حسبما استعجلوا به قيل المراد
بالأجل يوم القيامة لما روى أنه تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب قومه بعذاب الاستئصال وأن
يؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم وفيه بعد ظاهر لما أنهم ما كانوا يوعدون بفنائهم
الطبيعى ولا كانوا يستعجلون به ﴿ وليأتينهم ﴾ جملة مستأنفة مبينة لما أشير اليه فى الجملة السابقة من مجئ العذاب عند
محل الأجل أى وبالله ليأتينهم العذاب الذى عين لهم عند حلول الأجل ﴿ بغتة ﴾ أى فجأة ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ أى
باتيانه ولعل المراد باتيانه كذلك أنه لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والاجابة الى مسؤلهم فان ذلك اتيان برأيهم
وشعورهم لا أنه يأتيهم وهم غارون آمنون لا يخطرونه بالبال كدأب بعض العقوبات النازلة على بعض الأمم بياتا وهم
نائمون أو ضحى وهم يلعبون لما أن اتيان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل ﴿ يستعجلونك بالعذاب وان
جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ استئناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رأيهم وفيه دلالة على أن ما استعجلوه عذاب الآخرة
أى يستعجلونك بالعذاب والحال أن محل العذاب الذى لا عذاب فوقه محيط بهم كأنه قيل يستعجلونك بالعذاب وان
العذاب لمحيط بهم أى سيحيط بهم وانما جئ بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الاحاطة واستمرارها أو تنزيلا لحال السبب
منزلة حال المسبب فان الكفر والمعاصى الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل ان الكفر والمعاصى هى النار فى الحقيقة
لكنها ظهرت فى هذه النشأة بهذه الصورة وقد مر تفصيله فى سورة الأعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق ولام

الكافرين اما للعهد و وضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بعلة الحكم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا ﴿ يوم
يغشاهم العذاب ﴾ ظرف لمضمر قد طوى ذكره ايذانا بغاية كثرته وفظاعته كأنه قيل يوم يغشاهم العذاب الذى أشير
اليه باحاطة جهنم بهم يكون من الأحوال والاهوال مالا يفى به المقال وقيل ظرف للاحاطة ﴿ من فوقهم ومن تحت
أرجلهم ﴾ أى من جميع جهاتهم ﴿ ويقول ﴾ أى الله عز وجل و يعضده القراءة بنون العظمة أو بعض ملائكته بأمره
﴿ ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾ أى جزاء ما كنتم تعملونه فى الدنيا على الاستمرار من السيئات التى من جملتها الاستعجال
بالعذاب ﴿ ياعبادى الذين آمنوا ﴾ خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لايتمكنون من اقامة أمور الدين كما ينبغى
لممانعة من جهة الكفرة وارشاد لهم الى الطريق الاسلم ﴿ ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون ﴾ أى اذا لم يتسهل لكم العبادة
فى بلد ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتسنى لكم ذلك وعنه عليه الصلاة والسلام من فر بدينه من أرض
الى أرض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى
ان أرضى واسعة ان لم تخلصوا العبادة لى فى أرض فأخلصوها فى غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع
افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص ﴿ كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون ﴾ جملة مستأنفة جئ بها حثا
على المسارعة فى الامتثال بالأمر أى كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت وكربه فراجعة الى حكمنا وجزائنا
بحسب أعمالها فمن كانت هذه عاقبته فليس له بد من التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون ﴿ والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لنبوئنهم ﴾ لننزلنهم ﴿ من الجنة غرفا ﴾ أى علالى وهو مفعول ثان للتبوئة وقرئ لنثوينهم من الثواء بمعنى
الاقامة فانتصاب غرفا حينئذ اما باجرائه مجرى لننزلنهم أو بنزع الخافض أو بتشبيه الظرف الموقت بالمبهم كما فى قوله تعالى
لاقعدن لهم صراطك المستقيم ﴿ تجرى من تحتها الانهار ﴾ صفة لغرفا ﴿ خالدين فيها ﴾ أى فى الغرف أو فى الجنة
﴿ نعم أجر العاملين ﴾ أى الأعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ماقبله عليه وقرئ فنعم ﴿ الذين
صبروا ﴾ اما صفة للعاملين أو نصب على المدح أى صبروا على أذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن
والمشاق ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ أى ولم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون الا على الله تعالى ﴿ وكأين من دابة لاتحمل
رزقها ﴾ روى أن النبى عليه الصلاة والسلام لما أمر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف نقدم
بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت أى وكم من دابة لاتطيق حمل رزقها لضعفها أو لاتدخره وانما تصبح و لامعيشة عندها
﴿ الله يرزقها واياكم ﴾ ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء فى أنه لايرزقها واياكم الا الله تعالى لان
رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة ﴿ وهو السميع ﴾ المبالغ فى السمع فيسمع قولكم
هذا ﴿ العليم ﴾ المبالغ فى العلم فيعلم ضمائركم ﴿ ولئن سألتهم ﴾ أى أهل مكة ﴿ من خلق السموات والارض وسخر
الشمس والقمر ليقولن الله ﴾ اذ لاسبيل لهم الى انكاره ولا الى التردد فيه ﴿ فأنى يؤفكون ﴾ انكار واستبعاد من جهته
تعالى لتركهم العمل بموجبه أى فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى فى الالهية مع اقرارهم بتفرده تعالى فيما ذكر
من الخلق والتسخير ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء ﴾ أن يبسطه له ﴿ من عباده ويقدر له ﴾ أى يقدر لمن يشاء أن يقدر
له منهم كائنا من كان على أن الضمير مبهم حسب ابهام مرجعه أو يقدر لمن يبسطه له على التعاقب ﴿ ان الله بكل شئ
عليم ﴾ فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسطه له ومن يليق بقدره له فيقدره له أو فيعلم أن كلا من البسط والقدر فى أى وقت
يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا منهما فى وقته ﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيى به الارض من بعد موتها
ليقولن الله ﴾ معترفين بأنه الموجد للممكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذى لايكاد

يتوهم منه القدرة على شيء مما أصلا ﴿قل الحمد لله﴾ على أن جعل الحق بحيث لا يجترىء المبطلون على جحوده وأنه أظهر حجتك عليهم وقيل على أن عصمك من أمثال هذه الضلالات ولا يخفى بعده ﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾ أي شيئاً من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه أخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم ذلك ﴿وما هذه الحيوة الدنيا﴾ اشارة تحقير وازدراء للدنيا وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ﴿الا لهو ولعب﴾ أي الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون عنه ﴿وان الدار الآخرة لهى الحيوان﴾ أي لهى دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء عليها أو هي في ذاتها حياة للمبالغة والحيوان مصدر حي سمى به ذو الحياة وأصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا لما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحياة في هذا المقام المقتضى للمبالغة ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي لما آثروا عليها الدنيا التي أصلها عدم الحياة ثم ما يحدث فيها من الحياة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال ﴿فاذا ركبوا في الفلك﴾ متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشيء المتحرك وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها واستعماله ههنا وفي أمثاله بكلمة في للايذان بأن المركوب في نفسه من قبيل الأمكنة وحركته قسرية غير ارادية كما مر في سورة هود والمعنى انهم على ما وصفوا من الاشراك فاذا ركبوا في البحر ولقوا شدة ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ أي كائنين على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد عنهم الا هو ﴿فلما نجاهم الى البر اذاهم يشركون﴾ أي فاجؤا المعاودة الى الشرك ﴿ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا﴾ أي يفاجئون الاشراك ليكونوا كافرين بما آتيناهم من نعمة الانجاء التي حقها أن يشكروها ﴿فسوف يعلمون﴾ أي عاقبة ذلك وغائلته حين يرون العذاب ﴿أولم يروا﴾ أي ألم ينظروا ولم يشاهدوا ﴿أنا جعلنا﴾ أي بلدهم ﴿حرما آمنا﴾ مصونا من النهب والتعدي سالما أهله من كل سوء ﴿ويتخطف الناس من حولهم﴾ أي والحال أنهم يختلسون من حولهم قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ أي أبعد ظهور الحق الذي لا ريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق ﴿وبنعمة الله يكفرون﴾ وهي المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة في الموضعين لاظهار كمال شناعة ما فعلوا ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ بأن زعم أن له شريكا أي هو أظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم دالا على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا ﴿أو كذب بالحق لما جاءه﴾ أي بالرسول أو بالقرآن وفي لما تسفيه لهم بأن لم يتوقفوا ولم يتأملوا حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب أثر ذي أثير ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾ تقرير لثوائهم فيها كقول من قال ألستم خير من ركب المطايا أي ألا يستوجبون الثواء فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح أو انكار واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة أي ألم يعلموا أن في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجراءة ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ أي في شأننا ولوجهنا خالصا أطلق المجاهدة ليعم جهاد الأعادي الظاهرة والباطنة ﴿لنهدينهم سبلنا﴾ سبل السير الينا والوصول الى جنابنا أو لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ﴿وان الله لمع المحسنين﴾ معية النصر والمعونة . عنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم

(مكية الا قوله فسبحان الله الآية . وهى ستون أو تسع وخمسون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الم﴾ الكلام فيه كالذى مر فى أمثاله من الفواتح الكريمة ﴿غلبت الروم فى أدنى الارض﴾ أى أدنى أرض العرب منهم اذ هى الارض المعهودة عندهم وهى أطراف الشام أو فى أدنى أرضهم من العرب على أن اللام عوض عن المضاف اليه قال مجاهد هى أرض الجزيرة وهى أدنى أرض الروم الى فارس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الاردن وفلسطين وقرئ أدانى الارض ﴿وهم﴾ أى الروم ﴿من بعد غلبهم﴾ أى من بعد مغلوبيتهم وقرئ بسكون اللام وهى لغة كالجلب والجلب ﴿سيغلبون﴾ أى سيغلبون فارس ﴿فى بضع سنين﴾ روى أن فارس غزوا الروم فوافوهم بأذرعات و بصرى وقيل بالجزيرة كا مر فغلبوا عليهم و بلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فقال أبو بكر رضى الله عنه لا يقرر الله أعينكم فو الله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبى بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فأخبر به أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر وماده فى الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبى من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين وذلك يوم الحديبية وقيل كان النصر للفريقين يوم بدر فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبى فجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآيات من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القرآن من عند الله عز وجل حيث أخبرت عن الغيب الذى لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى أن الروم غلبت على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون فى السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم فاضافة الغلب حينئذ الى الفاعل ﴿لله الامر من قبل ومن بعد﴾ أى فى أول الوقتين وفى آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى أن كلا من كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس الا بأمر الله تعالى وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد بالجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كأنه قيل قبلا وبعدا بمعنى أولا وآخرا ﴿ويومئذ﴾ أى يوم اذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم ﴿يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين على الكفار وقيل نصر الله اظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم على فارس وقيل نصره تعالى أنه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تناقصوا وتفانوا وفل كل منهما شوكة الآخر وفى ذلك قوة وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه وافق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى والاول هو الانسب لقوله تعالى ﴿ينصر من يشاء﴾ أى من يشاء أن ينصره من عباده على عدوه ويغلبه عليه فانه استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد ﴿وهو العزيز﴾ المبالغ فى العزة والغلبة فلا يعجزه من يشاء أن ينصر عليه كائنا من كان ﴿الرحيم﴾ المبالغ فى الرحمة فينصر من يشاء أن ينصره أى فريق كان والمراد بالرحمة هى الدنيوية

أما على القراءة المشهورة فظاهر لما أن كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الاخروية وأما على القراءة الاخيرة فلأن المسلمين وان كانوا مستحقين لها لكن المراد ههنا نصرهم الذي هو من آثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار ﴿وعد الله﴾ مصدر مؤكد لنفسه لأن ماقبله في معنى الوعد كأنه قيل وعدالله وعدا ﴿لايخلف الله وعده﴾ أي وعد كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة استئناف مقرر لمعنى المصدر وقد جوز أن تكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف كأنه قيل وعد الله وعدا غير مخلف ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ أي ماسبق من شؤنه تعالى ﴿يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا﴾ وهو مايشاهدونه من زخارفها وملاذها وسائر أحوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لاهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها كما قيل فانهما ليسا مما علموه منها بل من أفعالهم المترتبة على علومهم وتنكير ظاهرا للتحقير والتخسيس دون الوحدة كما توهم أي يعلمون ظاهرا حقيرا خسيسا من الدنيا ﴿وهم عن الآخرة﴾ التي هي الغاية القصوى والمطلب الاسنى ﴿هم غافلون﴾ لايخطرونها بالبال ولايدركون من الدنيا مايؤدي الى معرفتها من أحوالها ولا يتفكرون فيها كما سيأتي والجملة معطوفة على يعلمون وايرادها اسمية للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير للاولى أو مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر للاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالبهائم المقصور ادراكاتها من الدنيا على ظواهرها الخسيسة دون أحوالها التي هي مبادي العلم بأمور الآخرة واشعارا بأن العلم المذكور وعدم العلم رأسا سيان ﴿أولم يتفكروا﴾ انكار واستقباح لقصر نظرهم على ماذكر من ظاهر الحياة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى ﴿في أنفسهم﴾ ظرف للتفكر وذكره مع ظهور استحالة كونه في غيرها لتحقيق أمره وتصوير حال المتفكرين وقوله تعالى ﴿ماخلق الله السموات والارض ومابينهما﴾ الخ متعلق اما بالعلم الذي يؤدي اليه التفكر ويدل عليه أو بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا أي أعلموا ظاهر الحياة الدنيا فقط أو أقصروا النظر عليه ولم يحدثوا التفكر في قلوبهم فيعلموا أنه تعالى ماخلقهما وما بينهما من المخلوقات التي هم من جملتها ملتبسة بشيء من الاشياء ﴿الا﴾ ملتبسة ﴿بالحق﴾ أو يقولوا هذا القول معترفين بمضمونه اثر ماعلموه والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق أن يثبت لامحالة لابتنائه على الحكمة البالغة والغرض الصحيح الذي هو استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها وأحوالها المتغيرة على وجود صانعها عز وجل ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته واختصاصه بالمعبودية وصحة أخباره التي من جملتها احياؤهم بعد الفناء بالحياة الأبدية ومجازاتهم بحسب أعمالهم غب ماتبين المحسن من المسيء وامتازت درجات أفراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على أنظارهم فيما نصب في المصنوعات من الآيات والدلائل والأمارات والمخايل كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه الصلاة والسلام بقوله أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله وقد مر تحقيقه في أوائل سورة هود عليه السلام وقوله تعالى ﴿وأجل مسمى﴾ عطف على الحق أي وبأجل معين قدره الله تعالى لبقائها لابد لها من أن تنتهي اليه لامحالة وهو وقت قيام الساعة هذا وقد جوز أن يكون قوله تعالى في أنفسهم صلة للتفكر على معنى أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب المخلوقات اليهم وهم أعلم بشئونها وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ماعداها فيتدبروا ما أودعها الله تعالى ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة

على التدبير دون الاهمال وأنه لابد لها من انتهاء الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذى دبر أمرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير وأنه لابد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت وأنت خبير بأن أمر معاد الانسان ومجازاته بما عمل من الاساءة والاحسان هو المقصود بالذات والمحتاج الى الاثبات لجعله ذريعة الى اثبات معاد ماعداه مع كونه بمعزل من الجزاء تعكيس للامر فتدبر وقوله تعالى ﴿وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾ تذييل مقرر لما قبله ببيان أن أكثرهم غير مقتصرين على ماذكر من الغفلة عن أحوال الآخرة والاعراض عن التفكر فيما يرشدهم الى معرفتها من خلق السموات والأرض ومابينهما من المصنوعات بل هم منكرون جاحدون بلقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث ﴿أولم يسيروا﴾ توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة أحوال أمثالهم الدالة على عاقبتهم ومآلهم والهمزة لتقرير المنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أقعدوا فى أماكنهم ولم يسيروا ﴿فى الأرض﴾ وقوله تعالى ﴿فينظروا﴾ عطف على يسيروا داخل فى حكم التقرير والتوبيخ والمعنى أنهم قد ساروا فى أقطار الأرض وشاهدوا ﴿كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ من الامم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى ﴿كانوا أشد منهم قوة﴾ الخ بيان لمبدأ أحوالهم ومآلها يعنى أنهم كانوا أقدر منهم على التمتع بالحياة الدنيا حيث كانوا أشد منهم قوة ﴿وأثاروا الارض﴾ أى قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط المياه واستخراج المعادن وغير ذلك ﴿وعمروها﴾ أى عمرها أولئك بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها ﴿أكثر مما عمروها﴾ أى عمارة أكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة هؤلاء اياها كيف لاوهم أهل واد غير ذى زرع لاتبسط لهم فى غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم اذ مدار أمرها على التبسط فى البلاد والتسلط على العباد والتقلب فى أكناف الأرض بأصناف التصرفات وهم ضعفة ملجأون الى واد لا نفع فيه يخافون أن يتخطفهم الناس ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات أو الآيات الواضحات ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ أى فكذبوهم فأهلكهم فما كان الله ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع أن اهلاكه تعالى اياهم بلا جرم ليس من الظلم فى شىء على ماتقرر من قاعدة أهل السنة لاظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك بابرازه فى معرض مايستحيل صدوره عنه تعالى وقد مر فى سورة الانفال وسورة آل عمران ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بأن اجترؤا على اقتراف مايوجبه من المعاصى العظيمة ﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤا﴾ أى عملوا السيئات وضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار بعلة الحكم ﴿السوأى﴾ أى العقوبة التى هى أسوأ العقوبات وأفظعها التى هى العقوبة بالنار فانها تأنيث الاسوأ كالحسنى تأنيث الاحسن أو مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كأنها نفس السوأى وهى مرفوعة على أنها اسم كان وخبرها عاقبة وقرىء على العكس وهو أدخل فى الجزالة وقوله تعالى ﴿أن كذبوا بآيات الله﴾ علة لما أشير اليه من تعذيبهم الدنيوى والاخروى أى لأن كذبوا أو بأن كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام ومعجزاته الظاهرة على أيديهم وقوله تعالى ﴿وكانوا بها يستهزؤن﴾ عطف على كذبوا داخل معه فى حكم العلية وايراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده هذا هو اللائق بجزالة النظم الجليل وقد قيل وقيل ﴿الله يبدأ الخلق﴾ أى ينشئهم ﴿ثم يعيده﴾ بعد الموت بالبعث ﴿ثم اليه ترجعون﴾ الى موقف الحساب والجزاء والالتفات للمبالغة فى الترهيب وقرىء بالياء ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ التى هى وقت اعادة الخلق ورجعهم اليه ﴿يبلس المجرمون﴾ أى يسكتون متحيرين لايبسون يقال ناظرته فأبلس اذا سكت وأيس من أن يحتج وقرىء بفتح اللام من أبلسه اذا أفحمه وأسكته ﴿ولم يكن

لم من شركائهم شفعاء ﴾ يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها فى مقابلة الجمع أى لم يكن لواحد منهم شفيع أصلا ﴿ وكانوا بشركائهم كافرين ﴾ أى بآلهتهم وشركائهم لله سبحانه حيث وقفوا على كنه أمرهم وصيغة الماضى للدلالة على تحققه وقيل كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وليس بذاك اذ ليس فى الاخبار به فائدة يعتد بها ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ أعيد لتهويله وتفظيع مايقع فيه وقوله تعالى ﴿ يومئذ يتفرقون ﴾ تهويل له اثر تهويل وفيه رمز الى أن التفرق يقع فى بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم واعادتهم ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد بتفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الآخر بل تفرقهم الى فريق المؤمنين والكافرين كما فى قوله تعالى فريق فى الجنة وفريق فى السعير وذلك بعد تمام الحساب وقوله تعالى ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون ﴾ تفصيل وبيان لأحوال ذينك الفريقين والروضة كل أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن ابن عباس ومجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع فى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفى آخر القوم أعرابى فقال يارسول الله هل فى الجنة من سماع قال عليه الصلاة والسلام يا أعرابى ان فى الجنة لنهرا حافتاه الأبكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوى فسألت أبا الدرداء رضى الله عنه بم يتغنين قال بالتسبيح وروى ان فى الجنة لأشجارا عليها أجراس من فضة فاذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتقع فى تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لوسمعها أهل الدنيا لماتوا طربا ﴿ وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴾ التى من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل ﴿ ولقاء الآخرة ﴾ صرح بذلك مع اندراجه فى تكذيب الآيات للاعتناء بأمره وقوله تعالى ﴿ فأولئك ﴾ اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة من الكفر والتكذيب بآياته تعالى وبلقاء الآخرة للايذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم فى سلك المشاهدات ومافيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم فى الشر أى أولئك الموصوفون بما فصل من القبائح ﴿ فى العذاب محضرون ﴾ على الدوام لا يغيبون عنه أبدا ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ﴾ اثر ما بين حال فريق المؤمنين العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالآيات وما لهما من الثواب والعذاب أمروا بما ينجى من الثانى ويفضى الى الأول من تنزيه الله عز وجل عن كل مالا يليق بشأنه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام وتقديم الأول على الثانى لما أن التخلية متقدمة على التحلية والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى اذا علمتم ذلك فسبحوا الله تعالى أى نزهوه عما ذكر سبحانه أى تسبيحه اللائق به فى هذه الأوقات واحمدوه فان الاخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من أهل السموات والأرض فى معنى الأمر به على أبلغ وجه وآكده وتوسيطه بين أوقات التسبيح للاعتناء بشأنه والاشعار بأن حقهما أن يجمع بينهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح بحمد ربك وقوله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وقوله عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ماقال أو زاد عليه وقوله عليه الصلاة والسلام كلمتان خفيفتان على اللسان

ثقيلتان فى الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لايحصى من الآيات والاحاديث وتخصيصها بتلك الاوقات للدلالة على أن مايحدث فيها من آيات قدرته وأحكام رحمته ونعمته شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد وموجبة لتسبيحه وتحميده حتما وقوله تعالى وعشيا عطف على حين تمسون وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغيير الاسلوب لما أنه لايجى منه الفعل بمعنى الدخول فى العشى كالمساء والصباح والظهيرة ولعل السر فى ذلك أنه ليس من الاوقات التى تختلف فيها أحوال الناس وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج عما قبلها والدخول فيها كالاوقات المذكورة فان كلا منها وقت تتغير فيه الاحوال تغيرا ظاهرا أما فى المساء والصباح فظاهر وأما فى الظهيرة فلانها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب للقيلولة كما مر فى سورة النور وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلاة لاشتمالها عليهما وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك ذهب الحسن الى أنها مدنية اذ كان يقول ان الواجب بمكة ركعتان فى أى وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والجمهور على أنها فرضت بمكة وهو الحق لحديث المعراج وفى آخره هن خمس صلوات كل يوم وليلة . عن النبى صلى الله عليه وسلم من سره أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله تعالى وكذلك تخرجون أدرك مافاته فى يومه ومن قالها حين يمسى أدرك مافاته فى ليلته وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون أى تمسون فيه وتصبحون فيه ﴿يخرج الحى من الميت﴾ كالانسان من النطفة والطير من البيضة ﴿ويخرج الميت من الحى﴾ النطفة والبيضة من الحيوان ﴿ويحيى الارض﴾ بالنبات ﴿بعد موتها﴾ يبسها ﴿وكذلك﴾ ومثل ذلك الاخراج ﴿تخرجون﴾ من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء وضم الراء وهذا نوع تفصيل لقوله تعالى الله يبدأ الخلق ثم يعيده ﴿ومن آياته﴾ الباهرة الدالة على أنكم تبعثون دلالة أوضح مما سبق فان دلالة بدء خلقهم على اعادتهم اظهر من دلالة اخراج الحى من الميت واخراج الميت من الحى ومن دلالة احياء الارض بعد موتها عليها ﴿أن خلقكم﴾ أى فى ضمن خلق آدم عليه السلام لما مر مرارا من أن خلقه عليه الصلاة والسلام منطو على خلق ذرياته انطواء اجماليا ﴿من تراب﴾ لم يشم رائحة الحياة قط ولامناسبة بينه وبين ماأنتم عليه فى ذاتكم وصفاتكم ﴿ثم اذا أنتم بشر تنتشرون﴾ أى فاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون فى الارض وهذا مجمل مافصل فى قوله تعالى ياأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الآية ﴿ومن آياته﴾ الدالة على ماذكر من البعث وما بعده من الجزاء ﴿أن خلق لكم﴾ أى لاجلكم ﴿من أنفسكم أزواجا﴾ فان خلق أصل أزواجكم حواء من ضلع آدم عليه السلام متضمن لخلقهن من أنفسكم على ماعرفته من التحقيق أو من جنسكم لامن جنس آخر وهو الاوفق لقوله تعالى ﴿لتسكنوا اليها﴾ أى لتألفوها وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعى التضام والتعارف كما أن المخالفة من أسباب التفرق والتنافر ﴿وجعل بينكم﴾ أى بين الازواج اما على تغليب الرجال على النساء فى الخطاب أو على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور أى جعل بينكم وبينهن كما مر فى قوله تعالى لانفرق بين أحد من رسله وقيل أو بين أفراد الجنس أى بين الرجال والنساء ويأباه قوله تعالى ﴿مودة ورحمة﴾ فان المراد بهما ماكان منهما بعصمة الزواج قطعا أى جعل بينكم بالزواج الذى شرعه لكم توادا وتراحما من غير أن يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة أو رحم قيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن رحمه الله المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى ورحمة

منا ﴿ان فى ذلك﴾ أى فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من أنفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلته ﴿لآيات﴾ عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها ﴿لقوم يتفكرون﴾ فى تضاعيف تلك الافاعيل المتينة المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ماقبلها مع التنبيه على أن ماذكر ليس بآية فذة كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن آياته بل هى مشتملة على آيات شتى ﴿ومن آياته﴾ الدالة على ماذكر من أمر البعث وما يتلوه من الجزاء ﴿خلق السموات والارض﴾ اما من حيث ان القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها أظهر قدرة على اعادة ما كان حيا قبل ذلك واما من حيث ان خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش البشر ومعاده كما يفصح عنه قوله تعالى هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا وقوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴿واختلاف ألسنتكم﴾ أى لغاتكم بأن علم كل صنف لغته وألهمه وضعها وأقدره عليها أو أجناس نطقكم وأشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين فى الكيفية من كل وجه ﴿وألوانكم﴾ ببياض الجلد وسواده وتوسطه فيما بينهما أو تخطيطات الاعضاء وهيآتها وألوانها وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الاشخاص حتى أن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما والامور الملاقية لهما فى التخليق يختلفان فى شئ من ذلك لامحالة وان كانا فى غاية التشابه وانما نظم هذا فى سلك الآيات الآفاقية من خلق السموات والارض مع كونه من الآيات الأنفسية الحقيقة بالانتظام فى سلك ماسبق من خلق أنفسهم وأزواجهم الايذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم ﴿ان فى ذلك﴾ أى فيما ذكر من خلق السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان ﴿لآيات﴾ عظيمة فى أنفسها كثيرة فى عددها ﴿للعالمين﴾ أى المتصفين بالعلم كما فى قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح الآيات وعدم خفائها على أحد من الخلق كافة ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار﴾ لاستراحة القوى النفسانية وتقوى القوى الطبيعية ﴿وابتغاؤكم من فضله﴾ فيهما فان كلا من المنام وابتغاء الفضل يقع فى الملوين وان كان الاغلب وقوع الأول فى الأول والثانى فى الثانى أو منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد والموافق لسائر الآيات الواردة فى ذلك خلا أنه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخيرين لانهما زمان والزمان مع ماوقع فيه كشئ واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ أى شأنهم أن يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار حيث يتأملون فى تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك على شئونه تعالى ﴿ومن آياته يريكم البرق﴾ الفعل اما مقدر بأن كما فى قول من قال

الا أيهذا الزاجرى أحضر الوغا أى أن أحضر أو منزل منزلة المصدر وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعيدى خير من أن تراه أو هو على حاله صفة لمحذوف أى آية يريكم بها البرق كقول من قال

وما الدهر الا تارتان فمنهما ... أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح

أى فمنهما تارة أموت فيها وأخرى أبتغى فيها أو ومن آياته شئ أو سحاب يريكم البرق ﴿خوفا﴾ من الصاعقة أو للمسافر ﴿وطمعا﴾ فى الغيث أو للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور فان اراءتهم البرق مستلزمة لرؤيتهم اياه أو للمذكور نفسه على تقدير مضاف نحو اراءة خوف وطمع أو على تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان أو على الحال نحو كلمته شفاها ﴿وينزل من السماء ماء﴾ وقرئ بالتخفيف ﴿فيحيى به الارض﴾ بالنبات ﴿بعد موتها﴾ يبسها ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ فانها من الظهور بحيث يكفى فى ادراكها مجرد العقل عند استعماله فى استنباط أسبابها وكيفية تكونها ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره﴾ أى بارادته تعالى

لقيامهما والتعبير عنها بالامر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادى والاسباب وليس المراد باقامتهما انشاءهما لانه قد بين حاله بقوله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض ولا اقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل فان ذلك من تتمات انشائهما وان لم يصرح به تعويلا على ماذكر فى غير موضع من قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها الآية بل قيامهما واستمرارهما على ماهما عليه الى أجلهما الذى نطق به قوله تعالى فيما قبل ماخلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وحيث كانت هذه الآية متأخرة عن سائر الآيات المعدودة متصلة بالبعث فى الوجود أخرت عنهن وجعلت متصلة به فى الذكر أيضا فقيل ﴿ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون﴾ فانه كلام مسوق للاخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء أجل قيامهما مترتب على تعداد آياته الدالة عليه غير منتظم فى سلكها كما قيل كأنه قيل ومن آياته قيام السموات والارض على هيآتهما بأمره تعالى الى أجل مسمى قدره الله تعالى لقيامهما ثم اذا دعاكم أى بعد انقضاء الاجل من الارض وأنتم فى قبوركم دعوة واحدة بأن قال أيها الموتى اخرجوا فاجأتم الخروج منها وذلك قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعى ومن الارض متعلق بدعاكم اذ يكفى فى ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من أسفل الوادى فطلع الى لا بتخرجون لأن مابعد اذا لايعمل فيما قبلها ﴿وله﴾ خاصة ﴿من فى السموات والارض﴾ من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة فى ذلك بوجه من الوجوه ﴿كل له قانتون﴾ أى منقادون لفعله لايمتنعون عليه فى شأن من شئونه تعالى ﴿وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ بعد موتهم وتكريره لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تعالى ﴿وهو أهون عليه﴾ أى بالاضافة الى قدركم والقياس على أصولكم والافهما عليه سواء وقيل أهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه الى الاعادة لما أنها مؤولة بأن يعيد وقيل هو راجع الى الخلق وليس بذاك وأما ماقيل من أن الانشاء بطريق التفضل الذى يتخير فيه الفاعل بين الفعل والترك والاعادة من قبيل الواجب الذى لابد من فعله حتما فكان أقرب الى الحصول من الانشاء المتردد بين الحصول وعدمه فبمعزل من التحصيل اذ ليس المراد بأهونية الفعل أقربيته الى الوجود باعتبار كثرة الامور الداعية للفاعل الى ايجاده وقوة اقتضائها لتعلق قدرته به بل أسهلية تأتيه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجبا بالغير ولا تفاوت فى ذلك بين أن يكون ذلك التعلق بطريق الايجاب أو بطريق الاختيار ﴿وله المثل الأعلى﴾ أى الوصف الاعلى العجيب الشأن من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التى ليس لغيره مايدانيها فضلا عما يساويها ومن فسره بقول لااله الا الله أراد به الوصف بالوحدانية ﴿فى السموات والأرض﴾ متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى أنه تعالى قد وصف به وعرف فيهما على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل وقيل متعلق بالاعلى وقيل بمحذوف هو حال منه أو من المثل أو من ضميره فى الأعلى ﴿وهو العزيز﴾ القادر الذى لايعجز عن بدء ممكن واعادته ﴿الحكيم﴾ الذى يجرى الأفعال على سنن الحكمة والمصلحة ﴿ضرب لكم مثلا﴾ يتبين به بطلان الشرك ﴿من أنفسكم﴾ أى منتزعا من أحوالها التى هى أقرب الامور اليكم وأعرفها عندكم وأظهرها دلالة على ماذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق الاولوية وقوله تعالى ﴿هل لكم﴾ الخ تصوير للمثل أى هل لكم ﴿مما ملكت أيمانكم﴾ من العبيد والاماء ﴿من شركاء فيما رزقناكم﴾ من الأموال وما يجرى مجراها مما تتصرفون فيها فمن الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتأكيد النفى المستفاد من الاستفهام فقوله تعالى ﴿فأنتم فيه سواء﴾ تحقيق لمعنى الشركة وبيان لكونهم وشركائهم متساوين فى التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليها على أن هناك محذوفا معطوفا على أنتم لأنه عام للفريقين بطريق التغليب أى هل ترضون لانفسكم والحال أن عبيدكم أمثالكم فى البشرية وأحكامها أن يشاركوكم فيما رزقناكم وهو

مستعار لكم فأنتم وهم فيه سواء شرع يتصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم ﴿تخافونهم﴾ خبر آخر لأنتم أو حال من ضمير الفاعل فى سواء أى تهابون أن تستبدوا بالتصرف فيه بدون رأيهم ﴿كخيفتكم أنفسكم﴾ أى خيفة كائنة مثل خيفتكم من الاحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفى مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية أى لاترضون بأن يشارككم فيما هو معار لكم بمماليككم وهم أمثالكم فى البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه فى المعبودية التى هى من خصائصه الذاتية مخلوقه بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه بأيديكم ثم تعبدونه ﴿كذلك﴾ أى مثل ذلك التفصيل الواضح ﴿نفصل الآيات﴾ أى نبينها ونوضحها لاتفصيلا أدنى منه فان التمثيل تصوير للمعانى المعقولة بصورة المحسوس وابراز لأوابد المدركات على هيئة المأنوس فيكون فى غاية الايضاح والبيان ﴿لقوم يعقلون﴾ أى يستعملون عقولهم فى تدبر الأمور وتخصيصهم بالذكر مع عموم تفصيل الآيات للكل لأنهم المنتفعون بها ﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ اعراض عن مخاطبتهم ومحاولة ارشادهم الى الحق بضرب المثل وتفصيل الآيات واستعمال المقدمات الحقة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كأنه قيل لم يعقلوا شيئا من الآيات المفصلة بل اتبعوا ﴿أهواءهم﴾ الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بأنهم فى ذلك الاتباع ظالمون واضعون للشىء فى غير موضعه أو ظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ﴿بغير علم﴾ أى جاهلين ببطلان ما أتوا مكبين عليه لايلويهم عنه صارف حسبما يصرف العالم اذا اتبع الباطل علمه ببطلانه ﴿فمن يهدى من أضل الله﴾ أى خلق فيه الضلال بصرف اختياره الى كسبه أى لايقدر على هدايته أحد ﴿وما لهم﴾ أى لمن أضله الله تعالى والجمع باعتبار المعنى ﴿من ناصرين﴾ يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعاته وآفاته على معنى ليس لواحد منهم ناصر واحد على ماهو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع ﴿فأقم وجهك للدين﴾ تمثيل لاقباله على الدين واستقامته وثباته عليه واهتمامه بترتيب أسبابه فان من اهتم بشىء محسوس بالبصر عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه أى فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تعالى ﴿حنيفا﴾ حال من المأمور أو من الدين ﴿فطرة الله﴾ الفطرة الخلقة وانتصابها على الاغراء أى الزموا أو عليكم فطرة الله فان الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله تعالى منيبين والافراد فى أقم لما أن الرسول عليه الصلاة والسلام امام الامة فأمره عليه السلام مستتبع لأمرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الاخلال به باتباع الهوى وتسويل الشياطين وقيل على المصدر أى فطر الله فطرة وقوله تعالى ﴿التى فطر الناس عليها﴾ صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال بالامر فان خلق الله الناس على فطرته التى هى عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه أو عن ملة الاسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعا فانهم لوخلوا وما خلقوا عليه أدى بهم اليها وما اختاروا عليها دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن رب العزة كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بى غيرى وقوله عليه الصلاة والسلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه وقوله تعالى ﴿لاتبديل لخلق الله﴾ تعليل للامر بلزوم فطرته تعالى أو لوجوب الامتثال به أى لاصحة ولا استقامة لتبديله بالاخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة الشيطان وقيل لايقدر أحد على أن يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بازالتها رأسا ووضع فطرة أخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكن من ادراكه ضرورة أن التبديل بالمعنى الأول مقدور بل واقع قطعا فالتعليل حينئذ من جهة أن سلامة الفطرة متحققة فى كل أحد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم الاخلال

بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان ﴿ذلك﴾ اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له أوالى لزوم فطرة الله المستفاد من الاغراء أوالى الفطرة ان فسرت بالملة والتذكير بتأويل المذكور أو باعتبار الخبر ﴿الدين القيم﴾ المستوى الذى لاعوج فيه ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ ذلك فيصدون عنه صدودا ﴿منيبين اليه﴾ حال من الضمير فى الناصب المقدر لفطرة الله أو فى أقم لعمومه للامة حسبما أشير اليه وما بينهما اعتراض أى راجعين اليه من أناب اذا رجع مرة بعد أخرى وقوله تعالى ﴿واتقوه﴾ أى من مخالفة أمره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى ﴿وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين﴾ المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا ﴿من الذين فرقوا دينهم﴾ بدل من المشركين باعادة الجار وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم وفائدة الابدال التحذير عن الانتماء الى حزب من أحزاب المشركين ببيان أن الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا أى تركوا دينهم الذى أمروا به ﴿وكانوا شيعا﴾ أى فرقا تشايع كل منها امامها الذى أضلها ﴿كل حزب بما لديهم﴾ من الدين المعوج المؤسس على الرأى الزائغ والزعم الباطل ﴿فرحون﴾ مسرورون ظنا منهم أنه حق وأنى له ذلك فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ماقبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز أن يكون فرحون صفة لكل على أن الخبر هو الظرف المقدم أعنى من الذين فرقوا ولا يخفى بعده ﴿واذا مس الناس ضر﴾ أى شدة ﴿دعوا ربهم منيبين اليه﴾ راجعين اليه من دعاء غيره ﴿ثم اذا أذاقهم منه رحمة﴾ خلاصا من تلك الشدة ﴿اذا فريق منهم بربهم﴾ الذى كانوا دعوه منيبين اليه ﴿يشركون﴾ أى فاجأ فريق منهم الاشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما أن بعضهم ليسوا كذلك كما فى قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد أى مقيم على الطريق القصد أو متوسط فى الكفر لانزجاره فى الجملة ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ اللام فيه للعاقبة وقيل للامر التهديدى كقوله تعالى ﴿فتمتعوا﴾ غير أنه التفت فيه للمبالغة وقرئ وليتمتعوا ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على أن تمتعوا ماض والالتفات الى الغيبة فى قوله تعالى ﴿أم أنزلنا عليهم﴾ للايذان بالاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة ﴿سلطانا﴾ أى حجة واضحة وقيل ذا سلطان أى ملكا معه برهان ﴿فهو يتكلم﴾ تكلم دلالة كما فى قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق أو تكلم نطق ﴿بما كانوا به يشركون﴾ باشراكهم به تعالى أو بالأمر الذى بسببه يشركون ﴿واذا أذقنا الناس رحمة﴾ أى نعمة من صحة وسعة ﴿فرحوا بها﴾ بطرا وأشرا لا حمدا وشكرا ﴿وان تصبهم سيئة﴾ شدة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ بشؤم معاصيهم ﴿اذاهم يقنطون﴾ فاجؤا القنوط من رحمته تعالى وقرئ بكسر النون ﴿أولم يروا﴾ أى ألم ينظروا ولم يشاهدوا ﴿أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا فى السراء والضراء كالمؤمنين ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة ﴿فآت ذا القربى حقه﴾ من الصلة والصدقة وسائر المبرات ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ مايستحقانه والخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام أو لمن بسط له كما تؤذن به الفاء ﴿ذلك خير للذين يريدون وجه الله﴾ ذاته أو جهته ويقصدون بمعروفهم اياه تعالى خالصا أوجهة التقرب اليه لاجهة أخرى ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم ﴿وما آتيتم من ربا﴾ زيادة خالية عن العوض عند المعاملة وقرئ أتيتم بالقصر أى غشيتموه أو رهقتموه من اعطاء ربا ﴿ليربو فى أموال الناس﴾ ليزيد ويزكو فى أموالهم ﴿فلا يربو عند الله﴾ أى لايبارك فيه وقرئ لتربوا أى لتزيدوا أو لتصيروا ذوى ربا ﴿وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله﴾ أى تبتغون به وجهه تعالى خالصا ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ أى ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار أو الذين ضعفوا ثوابهم وأموالهم بالبركة وقرئ بفتح العين وفى تغيير النظم الكريم والالتفات من الجزالة

مالا يخفى ﴿ الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ ﴾ أثبت له تعالى لوازم الالوهية وخواصها ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له تعالى من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان و وقع عليه الوفاق ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء بقوله تعالى ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ وقد جوز أن يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله تعالى من ذلكم لانه بمعنى من أفعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم فى جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفى وكل منها مستقلة بالتأكيد وقرئ تشركون بصيغة الخطاب ﴿ ظهر الفساد فى البر والبحر ﴾ كالجدب والموتان و كثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات و كثرة المضار أو الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ البحور ﴿ بما كسبت أيدى الناس ﴾ بشؤم معاصيهم أو بكسبهم اياها وقيل ظهر الفساد فى البر بقتل قابيل أخاه هابيل وفى البحر بأن جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا ﴿ ليذيقهم بعض الذى عملوا ﴾ أى بعض جزائه فان تمامه فى الآخرة واللام للعلة أو للعاقبة وقرئ لنذيقهم بالنون ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ عما كانوا عليه ﴿ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ﴾ ليشاهدوا آثارهم ﴿ كان أكثرهم مشركين ﴾ استئناف للدلالة على أن ما أصابهم لفشو الشرك فيما بينهم أو كان الشرك فى أكثرهم وما دونه من المعاصى فى قليل منهم ﴿ فأقم وجهك للدين القيم ﴾ أى البليغ الاستقامة ﴿ من قبل أن يأتى يوم لا مرد له ﴾ لا يقدر أحد على رده ﴿ من الله ﴾ متعلق بيأتى أو بمرد لانه مصدر والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق ارادته القديمة بمجيئه ﴿ يومئذ يصدعون ﴾ أصله يتصدعون أى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير ﴿ من كفر فعليه كفره ﴾ أى وبال كفره وهو النار المؤبدة ﴿ ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ﴾ أى يسوون منزلا فى الجنة وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على الاختصاص ﴿ ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله ﴾ متعلق بيصدعون وقيل بيمهدون أى يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين ليجزى كلا منهما بحسب أعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات أبرز ذلك فى معرض الغاية وعبر عنه بالفضل لما أن الاثابة بطريق التفضل لا الوجوب وأشير الى جزاء الفريق الآخر بقوله تعالى ﴿ انه لا يحب الكافرين ﴾ فان عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح ﴾ أى الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرئ الريح على ارادة الجنس ﴿ مبشرات ﴾ بالمطر ﴿ وليذيقكم من رحمته ﴾ وهى المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها أو الروح الذى هو مع هبوبها واللام متعلقة بيرسل والجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم بها وليذيقكم أو بمحذوف يفهم من ذكر الارسال تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا يرسلها لا لامر آخر لا تعلق له بمنافعكم ﴿ ولتجرى الفلك ﴾ بسوقها ﴿ بأمره ولتبتغوا من فضله ﴾ بتجارة البحر ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ ولتشكروا نعمة الله فيما ذكر من الغايات الجليلة ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم ﴾ كما أرسلناك الى قومك ﴿ فجاؤهم بالبينات ﴾ أى جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت قومك ببيناتك والفاء فى قوله تعالى ﴿ فانتقمنا من الذين أجرموا ﴾ فصيحة أى فكذبوهم فانتقمنا منهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول للتنبيه على مكان المحذوف والاشعار بكونه علة للانتقام وفى قوله تعالى ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى أن ينصرهم واشعار بأن الانتقام من الكفرة لأجلهم وقد يوقف على حقا على أنه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الآية الكريمة بطريق الاعتراض بين ما سبق وما لحق من أحوال الرياح

وأحكامها لانذار الكفرة وتحذيرهم عن الاخلال بمواجب الشكر المطلوب بقوله تعالى لعلكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بارسالها كيلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك الأمم من الانتقام ﴿الله الذى يرسل الرياح﴾ استئناف مسوق لبيان ما أجمل فيما سبق من أحوال الرياح ﴿فتثير سحابا فيبسطه﴾ متصلا تارة ﴿فى السماء﴾ فى جوها ﴿كيف يشاء﴾ سائرا و واقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ﴿ويجعله كسفا﴾ تارة أخرى أى قطعا وقرئ بسكون السين على أنه مخفف جمع كسفة أو مصدر وصف به ﴿فترى الودق﴾ المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ فى التارتين ﴿فاذا أصاب به من يشاء من عباده﴾ أى بلادهم وأراضيهم ﴿اذاهم يستبشرون﴾ فاجؤا الاستبشار بمجئ الخصب ﴿وان كانوا﴾ ان مخففة من ان وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف أى وان الشأن كانوا ﴿من قبل أن ينزل عليهم﴾ أى المطر ﴿من قبله﴾ تكرير للتأكيد والايذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه وقيل الضمير للمطر أو السحاب أو الارسال وقيل للكسف على القراءة بالسكون وليس بواضح وأقرب من ذلك أن يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل لتفيد سرعة تقلب قلوبهم من اليأس الى الاستبشار بالاشارة الى غاية تقارب زمانيهما ببيان اتصال اليأس بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة اذا الفجائية ﴿لمبلسين﴾ خبر كانوا واللام فارقة أى آيسين ﴿فانظر الى آثار رحمة الله﴾ المترتبة على تنزيل المطر من النبات والأشجار وأنواع الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرئ أثر بالتوحيد وقوله تعالى ﴿كيف يحيي﴾ أى الله تعالى ﴿الأرض بعد موتها﴾ فى حيز النصب بنزع الخافض وكيف معلق لانظر أى فانظر الى احيائه البديع للارض بعد موتها وقيل على الحالية بالتأويل وأياما كان فالمراد بالأمر بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه من أمر البعث وقرئ تحيى بالتأنيث على الاسناد الى ضمير الرحمة ﴿ان ذلك﴾ العظيم الشأن الذى ذكر بعض شئونه ﴿لمحيي الموتى﴾ لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان فى مواد أبدانهم من القوى الحيوانية كما أن احياء الأرض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية أو لمحييهم البتة وقوله تعالى ﴿وهو على كل شئ قدير﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله أى مبالغ فى القدرة على جميع الأشياء التى من جملتها احياؤهم لما أن نسبة قدرته الى الكل سواء ﴿ولئن أرسلنا ريحا فرأوه﴾ أى الأثر المدلول عليه بالآثار أو النبات المعبر عنه بالآثار فانه اسم جنس يعم القليل والكثير ﴿مصفرا﴾ بعد خضرته وقد جوز أن يكون الضمير للسحاب لأنه اذا كان مصفرا لم يمطر ولا يخفى بعده واللام فى لئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء فى فرأوه فصيحة واللام فى قوله تعالى ﴿لظلوا﴾ لام جواب القسم السادمسد الجوابين أى و بالله لئن أرسلنا ريحا حارة أو باردة فضربت زرعهم بالصفار فرأوه مصفرا ليظلن ﴿من بعده يكفرون﴾ من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعد تثبيتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفى الافراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب عليهم أن يتوكلوا على الله تعالى فى كل حال و يلجؤا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم القطر ولا ييأسوا من روح الله تعالى و يبادروا الى الشكر بالطاعة اذا أصابهم برحمته ولا يفرطوا فى الاستبشار وأن يصبروا على بلائه اذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الأمر وأبوا ما يجديهم وأتوا بما يرديهم ﴿فانك لا تسمع الموتى﴾ لما أنهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق ﴿ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين﴾ تقييد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على أنهم جامعون لخصلتى السوء نبو أسماعهم عن الحق واعراضهم عن الاصغاء اليه ولو كان فيهم احداهما لكفاهم ذلك فكيف وقد جمعوهما فان الأصم المقبل الى المتكلم ربما يفطن من أوضاعه وحركاته لشئ من كلامه وان لم يسمعه أصلا وأما اذا كان معرضا عنه فلا يكاد يفهم منه شيئا وقرئ بالياء المفتوحة ورفع الصم ﴿وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم﴾ سموا عميا اما لفقدهم المقصود الحقيقى من الابصار أو لعمى قلوبهم وقرئ

تهدى العمى ﴿ ان تسمع ﴾ أى ما تسمع ﴿ الا من يؤمن بآياتنا ﴾ فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول أو الا من يشارف الايمان بها و يقبل عليها اقبالا لائقا ﴿ فهم مسلمون ﴾ منقادون لما تأمرهم به من الحق ﴿ الله الذى خلقكم من ضعف ﴾ مبتدأ وخبر أى ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف أساس أمركم كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا أى خلقكم من أصل ضعيف هو النطفة ﴿ ثم جعل من بعد ضعف قوة ﴾ وذلك عند بلوغكم الحلم أو تعلق الروح بأبدانكم ﴿ ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ﴾ اذا أخذ منكم السن وقرئ بضم الضاد فى الكل وهو أقوى لقول ابن عمر رضى الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرأنى من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم غير المتأخر ﴿ يخلق مايشاء ﴾ من الأشياء التى من جملتها ماذكر من الضعف والقوة والشيبة ﴿ وهو العليم القدير ﴾ المبالغ فى العلم والقدرة فان الترديد فيما ذكر من الاطوار المختلفة من أوضح دلائل العلم والقدرة ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ أى القيامة سميت بها لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لانها تقع بغتة وصارت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة ﴿ يقسم المجرمون ما لبثوا ﴾ أى فى القبور أو فى الدنيا والأول هو الأظهر لان لبثهم مغيا بيوم البعث كما سيأتى وليس لبثهم فى الدنيا كذلك وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفى الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث أربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام وقيل لا يعلم أهى أربعون سنة أو أربعون ألف سنة ﴿ غير ساعة ﴾ استقلوا مدة لبثهم نسيانا أو كذبا أو تخمينا ﴿ كذلك كانوا يؤفكون ﴾ مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون فى الدنيا عن الحق والصدق ﴿ وقال الذين أوتوا العلم والايمان ﴾ فى الدنيا من الملائكة والانس ﴿ لقد لبثتم فى كتاب الله ﴾ فى علمه أو قضائه أو ما كتبه وعينه أو فى اللوح أو القرآن وهو قوله تعالى ومن ورائهم برزخ ﴿ الى يوم البعث ﴾ ردوا بذلك ما قالوه وأيدوه باليمين كأنهم من فرط حيرتهم لم يدروا أن ذلك هو البعث الموعود الذى كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون أنه يكون بعد فناء الخلق كافة ويقدرون لذلك زمانا مديدا وان لم يعتقدوا تحققه فرد العالمون مقالتهم ونبهوهم على أنهم لبثوا الى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها وبكتوهم بالاخبار بوقوعها حيث قالوا ﴿ فهذا يوم البعث ﴾ الذى كنتم توعدون فى الدنيا ﴿ ولكنكم كنتم لا تعلمون ﴾ أنه حق فتستعجلون به استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كما فى قول من قال

قالوا خراسان أقصى مايراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا

﴿ فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ﴾ أى عذرهم وقرئ تنفع بالتاء محافظة على ظاهر اللفظ وان توسط بينهما فاصل ﴿ ولاهم يستعتبون ﴾ لا يدعون الى ما يقتضى اعتابهم أى ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه فى الدنيا من قولهم استعتبنى فلان فأعتبته أى استرضانى فأرضيته ﴿ ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ﴾ أى وبالله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كأنها فى غرابتها مثل وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم ويفعل بهم من رد اعتذارهم ﴿ ولئن جئتهم بآية ﴾ من آيات القرآن الناطقة بأمثال ذلك ﴿ ليقولن الذين كفروا ﴾ لفرط عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ﴿ ان أنتم الا مبطلون ﴾ أى مزورون ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الطبع الفظيع ﴿ يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ﴾ لا يطلبون العلم ولا يتحرون الحق بل يصرون على خرافات اعتقدوها وترهات ابتدعوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق ﴿ فاصبر ﴾ على ما تشاهد منهم من الأقوال الباطلة والأفعال السيئة ﴿ ان وعد الله حق ﴾ وقد وعدك بالنصرة واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولا بد من انجازه والوفاء به لا محالة ﴿ ولا يستخفنك ﴾ لا يحملنك

على الخفة والقلق ﴿الذين لايوقنون﴾ بما تتلو عليهم من الآيات البينة بتكذيبهم اياها وايذائهم لك بأباطيلهم التى من جملتها قولهم ان أنتم الا مبطلون فانهم شاكون ضالون ولا يستبعد منهم أمثال ذلك وقرئ بالنون المخففة وقرئ ولا يستحقنك من الاستحقاق أى لا يفتننك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين وأياما كان فظاهر النظم الكريم وان كان نهيا للكفرة عن استخفافه عليه السلام واستحقاقه لكنه فى الحقيقة نهى له عليه السلام عن التأثر من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية كما فى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لاتعدلوا . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله تعالى بين السماء والارض وأدرك ماضيع فى يومه وليلته

سورة لقمان

(مكية وقيل الا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة)

(وهوضعيف لانه ينافى شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا من قوله ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام)

(وهى أربع أو ثلاث وثلاثون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الم تلك آيات الكتاب﴾ سلف بيانه فى نظائره ﴿الحكيم﴾ أى ذى الحكمة لاشتماله عليها أو هو وصف له بنعته تعالى أو أصله الحكيم منزله أو قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن فى الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قالوا أعقدت اللبن فهو عقيد أى معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل ﴿هدى ورحمة﴾ بالنصب على الحالية من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة وقرئا بالرفع على أنهما خبران آخران لاسم الاشارة أو لمبتدا محذوف ﴿للمحسنين﴾ أى العاملين للحسنات فان أريد بها مشاهيرها المعهودة فى الدين فقوله تعالى ﴿الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ بيان لما عملوها من الحسنات على طريقة قوله

الالمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

وان أريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلاث بالذكر من بين سائر شعبها لاظهار فضلها وانافتها على غيرها وتخصيص الوجه الأول بصورة كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الأخير بصورة كونه مبتدأ مما لاوجه له ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مهروب لحيازتهم قطرى العلم والعمل وقدمر مافيه من المقال فى مطلع سورة البقرة بما لامزيد عليه ﴿ومن الناس﴾ محلها الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه أو بتقدير الموصوف ومن فى قوله تعالى ﴿من يشترى لهو الحديث﴾ موصولة أو موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس أو وبعض من الناس الذى يشترى أو فريق يشترى على أن مناط الافادة والمقصود بالاصالة هو اتصافهم بما فى حيز الصلة أو الصفة لا كونهم ذوات أولئك المذكورين كما مر فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الآيات ولهو الحديث مايلهى عما يعنى من المهمات كالاحاديث التى لا أصل لها والأساطير التى لا اعتداد بها والمضاحك وسائر مالاخير فيه من فضول الكلام والاضافة بمعنى من التبيينية ان أريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية ان أريد به الأعم من ذلك وقيل نزلت الآية فى النضر بن الحرث اشترى كتب الأعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد عليه الصلاة والسلام يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار والأكاسرة وقيل كان

يشترى القيان ويحملهن على معاشرة من أراد الاسلام ومنعه عنه ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ أى دينه الحق الموصل اليه تعالى أو عن قراءة كتابه الهادى اليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء أى ليثبت ويستمر على ضلاله أو ليزداد فيه ﴿بغير علم﴾ أى بحال مايشتريه أو بالتجارة حيث استبدل الشر البحت بالخير المحض ﴿ويتخذها﴾ بالنصب عطفا على يضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر ويؤنث وهو دين الاسلام أو القرآن أى ويتخذها ﴿هزوا﴾ مهزوا به وقرئ ويتخذها بالرفع عطفا على يشترى وقوله تعالى ﴿أولئك﴾ اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما أن الافراد فى الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار اليه للايذان ببعد منزلتهم فى الشرارة أى أولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للاضلال ﴿لهم عذاب مهين﴾ لما اتصفوا به من اهانتهم الحق بايثار الباطل عليه وترغيب الناس فيه ﴿واذا تتلى عليه﴾ أى على المشترى أفرد الضمير فيه وفيما بعده كالضمائر الثلاثة الأول باعتبار لفظة من بعد ماجمع فيما بينهما باعتبار معناها ﴿آياتنا﴾ التى هى آيات الكتاب الحكيم وهدى ورحمة للمحسنين ﴿ولى﴾ أعرض عنها غير معتد بها ﴿مستكبرا﴾ مبالغا فى التكبر ﴿كأن لم يسمعها﴾ حال من ضمير ولى أو من ضمير مستكبرا والأصل كأنه فحذف ضمير الشأن وخففت المثقلة أى مشبها حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز الى أن من سمعها لايتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الأمور الموجبة للاقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال كأنك لم تجزع على ابن طريف ﴿كأن فى أذنيه وقرا﴾ حال من ضمير لم يسمعها أى مشبها حاله حال من فى أذنيه ثقل مانع من السماع ويجوز أن يكونا استئنافين وقرئ فى أذنيه بسكون الذال ﴿فبشره بعذاب أليم﴾ أى فأعلمه بأن العذاب المفرط فى الايلام لاحق به لامحالة وذكر البشارة للتهكم ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ بيان لحال المؤمنين بآياته تعالى اثر بيان حال الكافرين بها أى الذين آمنوا بآياته تعالى وعملوا بموجبها ﴿لهم﴾ بمقابلة ماذكر من ايمانهم وأعمالهم ﴿جنات النعيم﴾ أى نعيم جنات فعكس للمبالغة والجملة خبر ان والأحسن أن يجعل لهم هو الخبر لان وجنات النعيم مرتفعا به على الفاعلية وقوله تعالى ﴿خالدين فيها﴾ حال من الضمير فى لهم أو من جنات النعيم لاشتماله على ضميريهما والعامل ماتعلق به اللام ﴿وعد الله حقا﴾ مصدران مؤكدان الأول لنفسه والثانى لغيره لأن قوله تعالى لهم جنات النعيم فى معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقا فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم ﴿وهو العزيز﴾ الذى لا يغلبه شئ ليمنعه من انجاز وعده أو تحقيق وعيده ﴿الحكيم﴾ الذى لايفعل الا ماتقتضيه الحكمة والمصلحة ﴿خلق السموات بغير عمد﴾ الخ استئناف مسوق للاستشهاد بما فصل فيه على عزته تعالى التى هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره وابطال أمر الاشراك وتبكيت أهله والعمد جمع عماد كأهب جمع اهاب وهو مايعمد به أى يسند يقال عمدت الحائط اذا دعمته أى بغير دعائم على أن الجمع لتعدد السموات وقوله تعالى ﴿ترونها﴾ استئناف جئ به للاستشهاد على ماذكر من خلقه تعالى لها غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك أو صفة لعمد أى خلقها بغير عمد مرئية على أن التقييد للرمز الى أنه تعالى عمدها بعمد لا ترونها هى عمد القدرة ﴿وألقى فى الأرض رواسى﴾ بيان لصنعه البديع فى قرار الأرض اثر بيان صنعه الحكيم فى قرار السموات أى ألقى فيها جبالا ثوابت وقد مر مافيه من الكلام فى سورة الرعد ﴿أن تميد بكم﴾ كراهة أن تميل بكم فان بساطة أجزائها تقتضى تبدل أحيازها وأوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته أو لشئ من لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص ﴿وبث فيها من كل دابة﴾ من كل نوع من أنواعها ﴿وأنزلنا من السماء ماء﴾ هو المطر ﴿فأنبتنا فيها﴾ بسبب ذلك الماء ﴿من كل زوج كريم﴾ من كل صنف كثير

المنافع والالتفات الى نون العظمة فى الفعلين لابراز مزيد الاعتناء بأمرها ﴿ هذا ﴾ أى ماذكر من السموات والأرض وما تعلق بهما من الأمور المعدودة ﴿ خلق الله ﴾ أى مخلوقه ﴿ فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ﴾ مما اتخذتموهم شركاء له سبحانه فى العبادة حتى استحقوا به المعبودية وماذا نصب بخلق أو ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته وأرونى متعلق به وقوله تعالى ﴿ بل الظالمون فى ضلال مبين ﴾ اضراب عن تبكيتهم بما ذكر الى التسجيل عليهم بالضلال البين المستدعى للاعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحقة لاستحالة أن يفهموا منها شيأ فيهتدوا به الى العلم ببطلان ماهم عليه أو يتأثروا من الالزام والتبكيت فينزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على أنهم باشراكهم واضعون للشئ فى غير موضعه ومتعدون عن الحدود وظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن باعوراء من أولاد آزر ابن أخت أيوب عليه السلام أو خالته وعاش حتى أدرك داود عليه السلام وأخذ عنه العلم وكان يفتى قبل مبعثه وقيل كان قاضيا فى بنى اسرائيل والجمهور على أنه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة فى عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته أنه صحب داود عليه السلام شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت حكيما وأن داود عليه السلام قال له يوما كيف أصبحت فقال أصبحت فى يدى غيرى فتفكر داود فيه فصعق صعقة وأنه أمره مولاه بأن يذبح شاة ويأتى بأطيب مضغتين منها فأتى باللسان والقلب ثم بعد أيام أمره بأن يأتى بأخبث مضغتين منها فأتى بهما أيضا فسأله عن ذلك فقال هما أطيب شئ اذا طابا وأخبث شئ اذا خبثا ومعنى ﴿ أن اشكر لله ﴾ أى اشكر له تعالى على أن أن مفسرة فان ايتاء الحكمة فى معنى القول وقوله تعالى ﴿ ومن يشكر ﴾ الخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال بالامر أى ومن يشكر له تعالى ﴿ فانما يشكر لنفسه ﴾ لأن منفعته التى هى ارتباط العتيد واستجلاب المزيد مقصورة عليها ﴿ ومن كفر فان الله غنى ﴾ عن كل شئ فلا يحتاج الى الشكر ليتضرر بكفر من كفر ﴿ حميد ﴾ حقيق بالحمد وان لم يحمده أحد أو محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات بلسان الحال وعدم التعرض لكونه تعالى مشكورا لما أن الحمد متضمن للشكر بل هو رأسه كما قال عليه الصلاة والسلام الحمد رأس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده فاثباته له تعالى اثبات للشكر له قطعا ﴿ واذ قال لقمان لابنه ﴾ أنعم وقيل أشكم وقيل ماثان ﴿ وهو يعظه يابنى ﴾ تصغير اشفاق وقرئ يابنى باسكان الياء وبكسرها ﴿ لا تشرك بالله ﴾ قيل كان ابنه كافرا فلم يزل به حتى أسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ﴿ ان الشرك لظلم عظيم ﴾ تعليل للنهى أو للانتهاء عن الشرك ﴿ ووصينا الانسان بوالديه ﴾ الخ كلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد فى أثناء وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهى عن الشرك وقوله تعالى ﴿ حملته أمه ﴾ الى قوله فى عامين اعتراض بين المفسر والمفسر وقوله تعالى ﴿ وهنا ﴾ حال من أمه أى ذات وهن أو مصدر مؤكد لفعل هو الحال أى تهن وهنا وقوله تعالى ﴿ على وهن ﴾ صفة للمصدر أى كائنا على وهن أى تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها وقرئ وهنا على وهن بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا ﴿ وفصاله فى عامين ﴾ أى فطامه فى تمام عامين وهى مدة الرضاع عند الشافعى وعند أبى حنيفة رحمهما الله تعالى هى ثلاثون شهرا وقد بين وجهه فى موضعه وقرئ وفصله ﴿ أن اشكر لى ولوالديك ﴾ تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية فى حقها خاصة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لمن قال له من أبر أمك ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك ﴿ الى المصير ﴾ تعليل لوجوب الامتثال أى الى الرجوع لا الى غيرى

فأجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر ﴿وان جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به﴾ أى بشركته له تعالى فى استحقاق العبادة ﴿علم فلا تطعهما﴾ فى ذلك ﴿وصاحبهما فى الدنيا معروفا﴾ أى صحابا معروفا يرتضيه الشرع وتقتضيه المروءة ﴿واتبع سبيل من أناب الى﴾ بالتوحيد والاخلاص فى الطاعة ﴿ثم الى مرجعكم﴾ أى مرجعك ومرجعهما ومرجع من أناب الى ﴿فأنبئكم﴾ عند رجوعكم ﴿بما كنتم تعملون﴾ بأن أجازى كلا منكم بما صدر عنه من الخير والشر وقوله تعالى ﴿يابنى﴾ الخ شروع فى حكاية بقية وصايا لقمان اثر تقرير مافى مطلعها من النهى عن الشرك وتأكيده بالاعتراض ﴿انها ان تك مثقال حبة من خردل﴾ أى ان الخصلة من الاساءة أو الاحسان ان تك مثلا فى الصغر كحبة الخردل وقرىء برفع مثقال على أن الضمير للقصة وكان تامة والتأنيث لاضافة المثقال الى الحبة كما فى قول من قال كما شرقت صدر القناة من الدم أو لأن المراد به الحسنة أو السيئة ﴿فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض﴾ أى فتكن مع كونها فى أقصى غايات الصغر والقماءة فى أخفى مكان وأحرزه كجوف الصخرة أو حيث كانت فى العالم العلوى أو السفلى ﴿يأت بها الله﴾ أى يحضرها ويحاسب عليها ﴿ان الله لطيف﴾ يصل علمه الى كل خفى ﴿خبير﴾ بكنهه وبعد ما أمره بالتوحيد الذى هو أول ما يجب على الانسان فى ضمن النهى عن الشرك ونبهه على كمال علم الله تعالى وقدرته أمره بالصلاة التى هى أكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل بعد تكميله من حيث الاعتقاد فقال مستميلا له ﴿يابنى أقم الصلاة﴾ تكميلا لنفسك ﴿وأمر بالمعروف وانه عن المنكر﴾ تكميلا لغيرك ﴿واصبر على ما أصابك﴾ من الشدائد والمحن لاسيما فيما أمرت به ﴿ان ذلك﴾ اشارة الى كل ماذكر ومافيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته فى الفضل ﴿من عزم الأمور﴾ أى مما عزمه الله تعالى وقطعه على عباده من الأمور لمزيد مزيتها مصدر أطلق على المفعول وقد جوز أن يكون بمعنى الفاعل من قوله تعالى فاذا عزم الأمر أى جد والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من الامر والنهى وايذان بأن ما بعدها ليس بمثابته ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ أى لاتمله ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب البعير فيلوى منه عنقه وقرىء ولا تصاعر وقرىء ولا تصعر من الافعال والكل بمعنى مثل علاه وعالاه وأعلاه ﴿ولا تمش فى الأرض مرحا﴾ أى فرحا مصدر وقع موقع الحال أو مصدر مؤكد لفعل هو الحال أى تمرح مرحا أو لأجل المرح والبطر ﴿ان الله لايحب كل مختال فخور﴾ تعليل للنهى أو موجبه وتأخير الفخور مع كونه بمقابلة المصعر خده عن المختال وهو بمقابلة الماشى مرحا لرعاية الفواصل ﴿واقصد فى مشيك﴾ بعد الاجتناب عن المرح فيه أى توسط بين الدبيب والاسراع وعنه عليه الصلاة والسلام سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة فى عمر رضى الله عنهما كان اذا مشى أسرع فالمراد به مافوق دبيب المتماوت وقرىء بقطع الهمزة من أقصد الرامى اذا سدد سهمه نحو الرمية ﴿واغضض من صوتك﴾ وانقص منه واقصر ﴿ان أنكر الأصوات﴾ أى أوحشها ﴿لصوت الحمير﴾ تعليل للامر على أبلغ وجه وآكده مبنى على تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق وافراط فى التحذير عن رفع الصوت والتنفير عنه وافراد الصوت مع اضافته الى الجمع لما أن المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل بيان حال صوت هذا الجنس من بين أصوات سائر الأجناس وقوله تعالى ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات ومافى الأرض﴾ رجوع الى سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على اصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير اما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له أعم من أن يكون منقادا له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسبما

يريد كعامة مافى الأرض من الأشياء المسخرة للانسان المستعملة له من الجماد والحيوان أو لايكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير أن يكون له دخل فى استعماله كجميع مافى السموات من الاشياء التى نيطت بها مصالح العباد معاشا أومعادا واما جعله منقادا للامر مذللا على أن معنى لكم لاجلكم فان جميع مافى السموات والأرض من الكائنات مسخرة لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق ومايستعمله الانسان حسبما يشاء وان كان مسخرا له بحسب الظاهر فهو فى الحقيقة مسخر لله تعالى ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة وقد مر شرح النعمة وتفصيلها فى الفاتحة وقرئ أصبغ بالصاد وهو جار فى كل سين قارنت الغين أو الخاء أو القاف كما تقول فى سلخ صلخ وفى سقر صقر وفى سالغ صالغ وقرئ نعمة ﴿ومن الناس من يجادل فى الله﴾ فى توحيده وصفاته ﴿بغير علم﴾ مستفاد من دليل ﴿ولا هدى﴾ من جهة الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ولا كتاب منير﴾ أنزله الله سبحانه بل بمجرد التقليد ﴿واذا قيل لهم﴾ أى لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى ﴿اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا﴾ يريدون به عبادة الأصنام ﴿أولوكان الشيطان يدعوهم﴾ أى آباءهم لاأنفسهم كما قيل فان مدار انكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون أنفسهم كذلك أى أيتبعونهم ولوكان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك ﴿الى عذاب السعير﴾ فهم متوجهون اليه حسب دعوته والجملة فى حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى أولوكان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون من سورة البقرة بما لا مزيد عليه ﴿ومن يسلم وجهه الى الله﴾ بأن فوض اليه مجامع أموره وأقبل عليه بكليته وحيث عدى باللام قصد معنى الاختصاص وقرئ بالتشديد ﴿وهو محسن﴾ أى فى أعماله آت بها جامعة بين الحسن الذاتى والوصفى وقد مر فى آخر سورة النحل ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ أى تعلق بأوثق مايتعلق به من الاسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من أراد أن يترقى الى شاهق جبل فتمسك بأوثق عرى الحبل المتدلى منه ﴿والى الله﴾ لاالى أحد غيره ﴿عاقبة الأمور﴾ فيجازيه أحسن الجزاء ﴿ومن كفر فلا يحزنك كفره﴾ فانه لايضرك فى الدنيا ولا فى الآخرة وقرئ فلا يحزنك من أحزن المنقول من حزن بكسر الزاى وليس بمستفيض ﴿الينا مرجعهم﴾ لا الى غيرنا ﴿فننبئهم بما عملوا﴾ فى الدنيا من الكفر والمعاصى بالعذاب والعقاب والجمع فى الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما أن الافراد فى الاول باعتبار لفظها ﴿ان الله عليم بذات الصدور﴾ تعليل للتنبئة المعبر بها عن التعذيب ﴿نمتعهم قليلا﴾ تمتيعا أو زمانا قليلا فان مايزول وان كان بعد أمد طويل بالنسبة الى مايدوم قليل ﴿ثم نضطرهم الى عذاب غليظ﴾ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ أو يضم الى الاحراق الضغط والتضييق ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ لغاية وضوح الأمر بحيث اضطروا الى الاعتراف به ﴿قل الحمد لله﴾ على أن جعل دلائل التوحيد بحيث لايكاد ينكرها المكابرون أيضا ﴿بل أكثرهم لايعلمون﴾ شيأ من الأشياء فلذلك لايعملون بمقتضى اعترافهم وقيل لايعلمون أن ذلك يلزمهم ﴿لله مافى السموات والأرض﴾ فلا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿ان الله هو الغنى﴾ عن العالمين ﴿الحميد﴾ المستحق للحمد وان لم يحمده أحد أو المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال ﴿ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام﴾ أى لو أن الاشجار أقلام وتوحيد الشجرة لما أن المراد تفصيل الآحاد ﴿والبحر يمده من بعده﴾ أى من بعد نفاده ﴿سبعة أبحر﴾ أى والحال أن البحر المحيط بسعته يمده الابحر السبعة مدا لا ينقطع أبدا وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ﴿مانفدت كلمات الله﴾ ونفدت تلك الأقلام والمداد كما فى قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى وقرئ يمده من الامداد بالياء والتاء واسناد المد الى الابحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه أعظم منها وأطم لأنها هى المجاورة للجبال

ومنابع المياه الجارية واليها تنصب الانهار العظام أولا ومنها ينصب الى البحر المحيط ثانيا وايثار جمع القلة فى الكلمات للايذان بأن ماذكر لايفى بالقليل منها فكيف بالكثير ﴿ان الله عزيز﴾ لايعجزه شئ ﴿حكيم﴾ لايخرج عن علمه وحكمته أمر فلا تنفد كلماته المؤسسة عليهما ﴿ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة﴾ أى الا كخلقها وبعثها فى سهولة التأتى اذلا يشغله شأن عن شأن لأن مناط وجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله تعالى انما أمرنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴿ان الله سميع﴾ يسمع كل مسموع ﴿بصير﴾ يبصر كل مبصر لايشغله علم بعضها عن علم بعض فكذلك الخلق والبعث ﴿ألم تر﴾ قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عام لكل أحد ممن يصلح للخطاب وهو الاوفق لما سبق وما لحق أى ألم تعلم علما قويا جاريا مجرى الرؤية ﴿أن الله يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل﴾ أى يدخل كل واحد منهما فى الآخر و يضيفه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما أن ايلاج أحد الملوين فى الآخر متجدد فى كل حين وأما تسخير النيرين فأمر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما التعدد والتجدد فى آثاره وقد أشير الى ذلك حيث قيل ﴿كل يجرى﴾ أى بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الايام جريا مستمرا ﴿الى أجل مسمى﴾ قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيامة كما روى عن الحسن رحمه الله فانه لاينقطع جريهما الا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه به عليه الصلاة والسلام يجوز أن يكون حالا من الشمس والقمر فان جريانهما الى يوم القيامة من جملة ما فى حيز رؤيته عليه الصلاة والسلام هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما فى فلكهما والاجل المسمى عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية ايلاج أحد الملوين فى الآخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها اليومية فكلما كان جريانها متوجها الى سمت الرأس تزداد القوس التى هى فوق الأرض كبرا فيزداد النهار طولا بانضمام بعض أجزاء الليل اليه الى أن يبلغ المدار الذى هو أقرب المدارات الى سمت الرأس وذلك عند بلوغها الى رأس السرطان ثم ترجع متوجهة الى التباعد عن سمت الرأس فلا تزال القسى التى هى فوق الارض تزداد صغرا فيزداد النهار قصرا بانضمام بعض أجزائه الى الليل الى أن يبلغ المدار الذى هو أبعد المدارات اليومية عن سمت الرأس وذلك عند بلوغها برج الجدى وقوله تعالى ﴿وأن الله بما تعملون خبير﴾ عطف على أن الله يولج الخ داخل معه فى حيز الرؤية على تقديرى خصوص الخطاب وعمومه فان من شاهد مثل ذلك الصنع الرائق والتدبير الفائق لايكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطا بجلائل أعماله ودقائقها ﴿ذلك﴾ اشارة الى ماتلى من الآيات الكريمة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها فى الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿بأن الله هو الحق﴾ أى بسبب بيان أنه تعالى هو الحق الهيته فقط ولاجله لكونها ناطقة بحقية التوحيد ﴿وأن مايدعون من دونه الباطل﴾ أى ولاجل بيان بطلان الهية مايدعونه من دونه تعالى لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة لاريب فيها وقرئ بالتاء والتصريح بذلك مع أن الدلالة على اختصاص حقية الالهية به تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ماعداه لابراز كمال الاعتناء بأمر التوحيد وللايذان بأن الدلالة على بطلان ما ذكر ليست بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال أيضا ﴿وأن الله هو العلى الكبير﴾ أى و بيان أنه تعالى هو المترفع عن كل شئ المتسلط عليه فان مافى تضاعيف الآيات الكريمة مبين لاختصاص العلو والكبرياء به تعالى أى بيان هذا وقيل ذلك أى ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارى تعالى به بسبب أنه الثابت فى ذاته الواجب من جميع جهاته أو الثابت الهيته وأنت خبير بأن حقيته تعالى وعلوه وكبرياءه

وان كانت صالحة لمناطية ماذكر من الاحكام المعدودة لكن بطلان الهية الاصنام لادخل له فى المناطية قطعا فلا مساغ لنظمه فى سلك الاسباب بل هو تعكيس للامر ضرورة أن الاحكام المذكورة هى المقتضية لبطلانها لا أن بطلانها يقتضيها ﴿ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله﴾ باحسانه فى تهيئة أسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه والباء اما متعلقة بتجرى أو بمقدر هو حال من فاعله أى ملتبسة بنعمته تعالى وقرئ الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون ﴿ليريكم من آياته﴾ أى بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته وقوله تعالى ﴿ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ تعليل لما قبله أى ان فيما ذكر لآيات عظيمة فى ذاتها كثيرة فى عددها لكل من يبالغ فى الصبر على المشاق فيتعب نفسه فى التفكر فى الانفس والآفاق ويبالغ فى الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قيل لكل مؤمن ﴿واذا غشيهم﴾ أى علاهم وأحاط بهم ﴿موج كالظلل﴾ كما يظل من جبل أوسحاب أوغيرها وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الدواهى والشدائد ﴿فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد﴾ أى مقيم على القصد السوى الذى هو التوحيد أو متوسط فى الكفر لانزجاره فى الجملة ﴿وما يجحد بآياتنا الا كل ختار﴾ غدار فانه نقض للعهد الفطرى أو رفض لما كان فى البحر والختر أشد الغدر وأقبحه ﴿كفور﴾ مبالغ فى كفران نعم الله تعالى ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده﴾ أى لا يقضى عنه وقرئ لايجزئ من أجزأ اذا أغنى والعائد الى الموصوف محذوف أى لايجزى فيه ﴿ولا مولود﴾ عطف على والد أوهو مبتدأ خبره ﴿هو جاز عن والده شيئا﴾ وتغيير النظم للدلالة على أن المولود أولى بأن لايجزى وقطع طمع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر فى الآخرة ﴿ان وعد الله﴾ بالثواب والعقاب ﴿حق﴾ لايمكن اخلافه أصلا ﴿فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ أى الشيطان المبالغ فى الغرور بأن يحملكم على المعاصى بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة ﴿ان الله عنده علم الساعة﴾ علم وقت قيامها لما روى أن الحرث بن عمرو أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة وانى قد ألقيت حباتى فى الأرض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتى ذكر أم أنثى وما أعمل غدا وأين أموت فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية ﴿وينزل الغيث﴾ فى ابانه الذى قدره والى محله الذى عينه فى علمه وقرئ ينزل من الانزال ﴿ويعلم ما فى الارحام﴾ من ذكر أو أنثى تام أو ناقص ﴿وما تدرى نفس﴾ من النفوس ﴿ماذا تكسب غدا﴾ من خير أوشر وربما تعزم على شئ منهما فتفعل خلافه ﴿وما تدرى نفس بأى أرض تموت﴾ كما لاتدرى فى أى وقت تموت . روى أن ملك الموت مر على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى فمر الريح أن تحملنى وتلقينى ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان عليهما السلام كان دوام نظرى اليه تعجبا منه حيث كنت أمرت بأن أقبض روحه بالهند وهو عندك ونسبة العلم الى الله تعالى والدراية الى العبد للايذان بأنه ان أعمل حيله وبذل فى التعرف وسعه لم يعرف ماهو لاحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل فى كلتهن ﴿ان الله عليم﴾ مبالغ فى العلم فلا يعزب عن علمه شئ من الاشياء التى من جملتها ماذكر ﴿خبير﴾ يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة

(مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الم ﴾ اما اسم للسورة فمحله الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف أى هذا مسمى بالم والاشارة اليها قبل جريان ذكرها قد عرفت سرها واما مسرود على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب وقوله تعالى ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ على الأول خبر بعد خبر على أنه مصدر أطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى خبر لمبتدا محذوف أى المؤلف من جنس ماذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم أى المسمى به تنزيل الكتاب وقد مر مرارا أن ما يجعل عنوانا للموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لاعهد بالتسمية قبل تحققها الاخبار بها وقوله تعالى ﴿ لاريب فيه ﴾ خبر ثالث على الوجه الأول وثان على الاخيرين وقيل خبر لتنزيل الكتاب فقوله تعالى ﴿ من رب العالمين ﴾ متعلق بمضمر هو حال من الضمير المجرور أى كائنا منه تعالى لابتنزيل لأن المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر والاوجه حينئذ أنه الخبر و لا ريب فيه حال من الكتاب أواعتراض والضمير فى فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل لاريب فى ذلك أى فى كونه منزلا من رب العالمين و يؤيده قوله تعالى ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين فلا بد أن يكون مورده حكما مقصود الافادة لاقيدا للحكم بنفى الريب عنه وقد رد عليهم ذلك وأبطل حيث جىء بأم المنقطعة انكارا له وتعجيبا منه لغاية ظهور بطلانه واستحالة كونه مفترى ثم أضرب عنه الى بيان حقية ماأنكروه حيث قيل ﴿ بل هو الحق من ربك ﴾ باضافة اسم الرب الى ضميره عليه الصلاة والسلام بعد اضافته فيما سبق الى العالمين تشريفا له عليه الصلاة والسلام ثم أيد ذلك ببيان غايته حيث قيل ﴿ لتنذر قوما ماأتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ﴾ فان بيان غاية الشىء وحكمته لاسيما عند كونها غاية حميدة مستتبعة لمنافع جليلة فى وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشىء ويؤكده لامحالة ولقد كانت قريش أضل الناس وأحوجهم الى الهداية بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله عليه الصلاة والسلام أى ماأتاهم من نذير من قبل انذارك أومن قبل زمانك والترجى معتبر من جهته عليه الصلاة والسلام أى لتنذرهم راجيا لاهتدائهم أو لرجاء اهتدائهم واعلم أن ماذكر من التأييد انما يتسنى على ماذكر من كون تنزيل الكتاب مبتدأ وأما على سائر الوجوه فلا تأييد أصلا لأن قوله تعالى من رب العالمين خبر رابع على الوجه الاول وخبر ثالث على الوجهين الاخيرين وأياما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود الافادة لاقيد لحكم آخر فتدبر ﴿ الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ مر بيانه فيما سلف ﴿ مالكم من دونه من ولى ولا شفيع ﴾ أى مالكم اذا جاوزتم رضاه تعالى أحد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من بأسه أى مالكم سواه ولى ولا شفيع بل هو الذى يتولى مصالحكم وينصركم فى مواطن النصر على أن الشفيع عبارة عن الناصر مجازا فاذا خذلكم لم يبق لكم ولى ولا نصير ﴿ أفلا تتذكرون ﴾ أى ألا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها أوأتسمعونها فلا تتذكرون بها فالانكار على الأول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا وعلى الثانى على عدم التذكر مع تحقق مايوجبه من السماع ﴿ يدبر الامر من السماء الى الارض ﴾ قيل يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية من الملائكة وغيرها نازلة آثارها وأحكامها الى الارض ﴿ ثم يعرج اليه ﴾ أى يثبت فى علمه موجودا بالفعل ﴿ فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ أى فى برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد مابين

تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر أمر الحوادث اليومية بإثباتها فى اللوح المحفوظ فينزل بها الملائكة ثم تعرج اليه فى زمان هو كألف سنة مما تعدون فان مابين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وقيل يقضى قضاء ألف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الألف لألف آخر وقيل يدبر أمر الدنيا جميعا الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الأمر كله عند قيامها وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الأرض بالوحى ثم لايعرج اليه خالصا الا فى مدة متطاولة لقلة المخلصين والأعمال الخلص وأنت خبير بأن قلة الأعمال الخالصة لاتقتضى بطء عروجها الى السماء بل قلته وقرئ يعدون بالياء ﴿ذلك﴾ اشارة الى الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش وانحصار الولاية والنصرة فيه وتدبير أمر الكائنات على ماذكر من الوجه البديع وهو مبتدأ خبره مابعده أى ذلك العظيم الشأن ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ فيدبر أمرهما حسبما تقتضيه الحكمة ﴿العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿الرحيم﴾ على عباده وهما خبران آخران وفيه ايماء الى أنه تعالى متفضل فى جميع ماذكر فاعل بالاحسان ﴿الذى أحسن كل شىء خلقه﴾ خبر آخر أو نصب على المدح أى حسن كل مخلوق خلقه اذ مامن مخلوق خلقه الا وهو مرتب على ماتقتضيه الحكمة وأوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن وأحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء مايحسن أى يحسن معرفته أى يعرفه معرفة حسنة بتحقيق وايقان وقرئ خلقه على أنه بدل اشتمال من كل شىء والضمير للمبدل منه أى حسن خلق كل شىء وقيل بدل الكل على أن الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق أى حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لأحسن على تضمينه معنى أعطى أى أعطى كل شىء خلقه اللائق به بطريق الاحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الأول وكل شىء مفعوله الثانى والخلق بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه على تضمين الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى ألهم خلقه كل شىء مما يحتاجون اليه وقال أبو البقاء عرف مخلوقاته كل شىء يحتاجون اليه فيؤول الى معنى قوله تعالى الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ﴿وبدأ خلق الانسان﴾ من بين جميع المخلوقات ﴿من طين﴾ على وجه بديع تحار العقول فى فهمه حيث برأ آدم عليه السلام على فطرة عجيبة منطوية على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعداداتها المتفاوتة قربا وبعدا كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿ثم جعل نسله﴾ الخ أى ذريته سميت بذلك لأنها تنسل وتنفصل منه ﴿من سلالة من ماء مهين﴾ هو المنى الممتهن ﴿ثم سواه﴾ أى عدله بتكميل أعضائه فى الرحم وتصويرها على ماينبغى ﴿ونفخ فيه من روحه﴾ أضافه اليه تعالى تشريفا له وايذانا بأنه خلق عجيب وصنع بديع وأن له شأنا له مناسبة الى حضرة الربوبية وأن أقصى ماتنتهى اليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذى يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى وأخرى بالنسبة الى أمره تعالى كما فى قوله تعالى قل الروح من أمر ربى ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ الجعل ابداعى واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرات من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع مافيه من نوع طول يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم أى خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا أنها مع كونها فى أنفسها نعما جليلة لايقادر قدرها وسائل الى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية الفائضة عليكم وتشكروها بأن تصرفوا كلا منها الى ماخلق هو له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث وبأبصاركم الآيات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بأفئدتكم على حقيتهما وقوله تعالى ﴿قليلا ماتشكرون﴾ بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلى على أن القلة بمعنى النفى كما ينبئ عنه مابعده أى شكرا قليلا أو زمانا قليلا تشكرون وفى حكاية أحوال الانسان

من مبدأ فطرته الى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة وحكاية أحواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبىء عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة مالا غاية وراءه ﴿وقالوا﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان أباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بأن ماذكر من عدم شكرهم بتلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة ﴿أئذا ضللنا فى الأرض﴾ أى صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لانتميز منه أو غبنا فيها بالدفن وقرىء ضللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم اذا أنتن وقيل من الصلة وهى الأرض أى صرنا من جنس الصلة قيل القائل أبى ابن خلف ولرضاهم بقوله أسند القول الى الكل والعامل فى اذا مايدل عليه قوله تعالى ﴿أئنا لفى خلق جديد﴾ وهو نبعث أو يجدد خلقنا والهمزة لتذكير الانكار السابق وتأكيده وقرىء انا على الخبر وأياما كان فالمعنى على تأكيد الانكار لانكار التأكيد كما هو المتبادر من تقدم الهمزة على ان فانها مؤخرة عنها فى الاعتبار وانما تقديمها عليها لاقتضائها الصدارة ﴿بل هم بلقاء ربهم كافرون﴾ اضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث الى بيان ماهو أبلغ وأشنع منه وهو كفرهم بالوصول الى العاقبة وما يلقونه فيها من الاحوال والاهوال جميعا ﴿قل﴾ بيانا للحق وردا على زعمهم الباطل ﴿يتوفاكم ملك الموت﴾ لا كما تزعمون أن الموت من الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة أى يقبض أرواحكم بحيث لايدع فيكم شيأ أو لا يترك منكم أحدا على أشد ما يكون من الوجوه وأفظعها من ضرب وجوهكم وأدباركم ﴿الذى وكل بكم﴾ أى بقبض أرواحكم واحصاء آجالكم ﴿ثم الى ربكم ترجعون﴾ بالبعث للحساب والجزاء ﴿ولوترى اذ المجرمون﴾ وهم القائلون أئذا ضللنا فى الارض الآية أو جنس المجرمين وهم من جملتهم ﴿ناكسو رؤسهم عند ربهم﴾ من الحياء والخزى عند ظهور قبائحهم التى اقترفوها فى الدنيا ﴿ربنا﴾ أى يقولون ربنا ﴿أبصرنا وسمعنا﴾ أى صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الآيات المبصرة والآيات المسموعة وكنا من قبل عميا وصما لاندرك شيأ ﴿فارجعنا﴾ الى الدنيا ﴿نعمل﴾ عملا ﴿صالحا﴾ حسبما تقتضيه تلك الآيات وقوله تعالى ﴿انا موقنون﴾ ادعاء منهم لصحة الافئدة والاقتدار على فهم معانى الآيات والعمل بموجبها كما أن ماقبله ادعاء لصحة مشعرى البصر والسمع كأنهم قالوا وأيقنا وكنا من قبل لانعقل شيئا أصلا وانما عدلوا الى الجملة الاسمية المؤكدة اظهارا لثباتهم على الايقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد فى الاستدعاء طمعا فى الاجابة الى ماسألوه من الرجعة وأنى لهم ذلك ويجوز أن يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما يبصرونه ويسمعونه فانهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصى على صور منكرة هائلة ويخبرهم الملائكة بأن مصيرهم الى النار لامحالة فالمعنى أبصرنا قبح أعمالنا وكنا نراها فى الدنيا حسنة وسمعنا أن مردنا الى النار وهو الانسب لما بعده من الوعد بالعمل الصالح هذا وقد قيل المعنى وسمعنا منك تصديق رسلك وأنت خبير بأن تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون باظهار مدلول ما أخبروا به من الوعد والوعيد لا بالاخبار بأنهم صادقون حتى يسمعوه وقيل وسمعنا قول الرسل أى سمعناه سمع طاعة واذعان ولا يقدر لترى مفعول اذ المعنى لو تكون منك رؤية فى ذلك الوقت أو يقدر ماينبىء عنه صلة اذ والمضى فيها وفى لو باعتبار أن الثابت فى علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف أى لرأيت أمرا فظيعا لايقادر قدره والخطاب لكل أحد ممن يصلح له كائنا من كان اذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لايختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة والدواهى الفظيعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا ومن علل عموم الخطاب بالقصد الى بيان أن حالهم قد بلغت من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلاتختص رؤية راء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل فى هذا الخطاب فقد نأى عن تحقيق الحق لان المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف لابيان كمال ظهورها

فانه مسوق مساق المسلمات فتدبر ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ مقدر بقول معطوف على ماقدر قبل قوله تعالى ربنا أبصرنا الخ أي ونقول لوشئنا أي لو تعلقت مشيئتنا تعلقا فعليا بأن نعطى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ماتهتدى به الى الايمان والعمل الصالح لاعطيناها اياه فى الدنيا التى هى دار الكسب وما أخرناه الى دار الجزاء ﴿ولكن حق القول منى﴾ أى سبقت كلمتى حيث قلت لابليس عند قوله لاغوينهم أجمعين الاعبادك منهم المخلصين فالحق والحق أقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وهو المعنى بقوله تعالى ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول لم نشأ اعطاء الهدى على العموم بل منعناه من أتباع ابليس الذين أنتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغى باغوائه ومشيئتنا لافعال العباد منوطة باختيارهم اياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأ اعطاءه لكم وانما أعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سيأتى من قوله تعالى انما يؤمن بآياتنا الآية فيكون مناط عدم مشيئة اعطاء الهدى فى الحقيقة سوء اختيارهم لاتحقق القول وانما قيدنا المشيئة بما مر من التعلق الفعلى بأفعال العباد عند حدوثها لأن المشيئة الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من أفعالهم اجمالا متقدمة على تحقق كلمة العذاب فلايكون عدمها منوطا بتحققها وانما مناطه علمه تعالى أزلا بصرف اختيارهم فيما سيأتى الى الغى وايثارهم له على الهدى فلو أريدت هى من تلك الحيثية لاستدرك بعدمها ونيط ذلك بماذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم فمن توهم أن المعنى ولوشئنا لاعطينا كل نفس ماعندنا من اللطف الذى لوكان منهم اختياره لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره فقد اشتبه عليه الشؤن والفاء فى قوله تعالى ﴿فذوقوا﴾ لترتيب الأمر بالذوق على مايعرب عنه ماقبله من نفى الرجع الى الدنيا أو على الوعيد المحكى والباء فى قوله تعالى ﴿بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ للايذان بأن تعذيبهم ليس لمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد أيضا بسبب موجب له من قبلهم كأنه قيل لارجع لكم الى الدنيا أوحق وعيدى فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه والاستعداد له بالكلية ﴿انا نسيناكم﴾ أى تركناكم فى العذاب ترك المنسى بالمرة وقوله تعالى ﴿وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾ تكرير للتأكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوى للذوق والاشعار بأن سببه ليس مجرد ماذكر من النسيان بل له أسباب أخر من فنون الكفر والمعاصى التى كانوا مستمرين عليها فى الدنيا وعدم نظم الكل فى سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منها فى استيجاب العذاب وفى ابهام المذوق أولا وبيانه ثانيا بتكرير الأمر وتوسيط الاستئناف المنبئ عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد فى الانتقام منهم مالايخفى وقوله تعالى ﴿انما يؤمن بآياتنا﴾ استئناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لايتاء الهدى والاشعار بعدم ايمانهم لوأوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كأنه قيل انكم لاتؤمنون بآياتنا ولاتعملون بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم الى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما يؤمن بها ﴿الذين اذا ذكروا بها﴾ أى وعظوا ﴿خروا سجدا﴾ اثر ذى أثير من غير تردد ولاتلعثم فضلا عن التسويف الى معاينة مانطقت به من الوعد والوعيد أى سقطوا على وجوههم ﴿وسبحوا بحمد ربهم﴾ أى ونزهوه عند ذلك عن كل مالايليق به من الامور التى من جملتها العجز عن البعث ملتبسين بحمده تعالى على نعمائه التى أجلها الهداية بايتاء الآيات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد وبأنهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته تعالى لهم ﴿وهم لايستكبرون﴾ أى والحال أنهم خاضعون لله تعالى لايستكبرون عما فعلوا من الخرور والتسبيح والتحميد ﴿تتجافى جنوبهم﴾ أى تنبو وتتنحى ﴿عن المضاجع﴾ أى الفرش ومواضع المنام والجملة مستأنفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل

قال أنس رضى الله عنه نزلت فينا معاشر الأنصار كنا نصلى المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلى العشاء مع النبي عليه الصلاة والسلام وعن أنس أيضا رضى الله عنه أنه قال نزلت فى أناس من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام كانوا يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء وهى صلاة الأوابين وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر فى جماعة والمشهور أن المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله عليه الصلاة والسلام أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وعن النبي عليه الصلاة والسلام فى تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلاة والسلام اذا جمع الله الأولين والآخرين جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى ﴿يدعون ربهم﴾ حال من ضمير جنوبهم أى داعين له تعالى على الاستمرار ﴿خوفا﴾ من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته ﴿وطمعا﴾ فى رحمته ﴿ومما رزقناهم﴾ من المال ﴿ينفقون﴾ فى وجوه البر والحسنات ﴿فلا تعلم نفس﴾ من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن عداهم ﴿ما أخفى لهم﴾ أى لأولئك الذين عددت نعوتهم الجليلة ﴿من قرة أعين﴾ مما تقر به أعينهم وعنه عليه الصلاة والسلام يقول الله عز وجل أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وقرىء ما أخفى لهم وما نخفى لهم وما أخفيت لهم على صيغة المتكلم وما أخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرىء قرات أعين لاختلاف أنواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة أو استفهامية علق عنها الفعل ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ أى جزوا جزاء أو أخفى لهم للجزاء بما كانوا يعملونه فى الدنيا من الأعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم أخفوا أعمالهم فأخفى الله تعالى ثوابهم ﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا﴾ أى أبعد ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم كون المؤمن الذى حكيت أوصافه الفاضلة كالفاسق الذى ذكرت أحواله ﴿لا يستوون﴾ التصريح به مع افادة الانكار لنفى المشابهة بالمرة على أبلغ وجه وآكده لبناء التفصيل الآتى عليه والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى ﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى﴾ تفصيل لمراتب الفريقين فى الآخرة بعد ذكر أحوالهما فى الدنيا وأضيفت الجنة الى المأوى لأنها المأوى الحقيقى وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنات وأياما كان فلا يبعد أن يكون فيه رمز الى ما ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم التى هى مأواهم فى الدنيا ﴿نزلا﴾ أى ثوابا وهو فى الاصل ما يعد للنازل من الطعام والشراب وانتصابه على الحالية ﴿بما كانوا يعملون﴾ فى الدنيا من الاعمال الصالحة أو بأعمالهم ﴿وأما الذين فسقوا﴾ أى خرجوا عن الطاعة ﴿فمأواهم﴾ أى ملجأهم ومنزلهم ﴿النار﴾ مكان جنات المأوى للمؤمنين ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾ استئناف لبيان كيفية كون النار مأواهم يروى أنه يضربهم لهب النار فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم أبدا وكلمة فى للدلالة على أنهم مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض ﴿وقيل لهم﴾ تشديدا عليهم وزيادة فى غيظهم ﴿ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به﴾ أى بعذاب النار ﴿تكذبون﴾ على الاستمرار فى الدنيا ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ أى عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر ﴿دون العذاب الأكبر﴾ الذى هو عذاب الآخرة ﴿لعلهم﴾ لعل الذين

يشاهدونه وهم فى الحياة ﴿ يرجعون ﴾ يتوبون عن الكفر روى أن الوليد بن عقبة فاخر عليا رضى الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها ﴾ بيان اجمالى لحال من قابل آيات الله تعالى بالاعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما فى بيت الحماسة

ولا يكشف الغماء الا ابن حرة   يرى غمرات الموت ثم يزورها

أى هو أظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفى الاظلم من غير تعرض لنفى المساوى وقد مر مرارا ﴿ انا من المجرمين ﴾ أى من كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته ﴿ منتقمون ﴾ فكيف ممن هو أظلم من كل ظالم وأشد جرما من كل مجرم ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ أى التوراة عبر عنها باسم الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على أن ايتاءه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كايتائها لموسى عليه والسلام ﴿ فلا تكن فى مرية من لقائه ﴾ من لقاء الكتاب الذى هو الفرقان كقوله وانك لتلقى القرآن والمعنى انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه من الوحى مثل مالقيناك من الوحى فلا تكن فى شك من أنك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب أو من لقائك موسى وعنه عليه الصلاة والسلام رأيت ليلة أسرى بى موسى رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوأة ﴿ وجعلناه ﴾ أى الكتاب الذى آتيناه موسى ﴿ هدى لبنى اسرائيل ﴾ قيل لم يتعبد بما فى التوراة ولد اسمعيل ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون ﴾ بقيتهم بما فى تضاعيف الكتاب من الحكم والأحكام الى طريق الحق أو يهدونهم الى ما فيه من دين الله وشرائعه ﴿ بأمرنا ﴾ اياهم بذلك أو بتوفيقنا له ﴿ لما صبروا ﴾ هى لما التى فيها معنى الجزاء نحو أحسنت اليك لما جئتنى والضمير للأئمة تقديره لما صبروا جعلناهم أئمة أو هى ظرف بمعنى الحين أى جعلناهم أئمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاسات الشدائد فى نصرة الدين أو صبرهم عن الدنيا وقرئ لما صبروا أى لصبرهم ﴿ وكانوا بآياتنا ﴾ التى فى تضاعيف الكتاب ﴿ يوقنون ﴾ لامعانهم فيها النظر والمعنى كذلك لنجعلن الكتاب الذى آتيناكه هدى لامتك ولنجعلن منهم أئمة يهدون مثل تلك الهداية ﴿ ان ربك هو يفصل ﴾ أى يقضى ﴿ بينهم ﴾ قيل بين الأنبياء وأممهم وقيل بين المؤمنين والمشركين ﴿ يوم القيامة ﴾ فيميز بين المحق والمبطل ﴿ فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ من أمور الدين ﴿ أولم يهد لهم ﴾ الهمزة للانكار والواو للعطف على منوى يقتضيه المقام وفعل الهداية اما من قبيل فلان يعطى فى أن المراد ايقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول واما بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل مادل عليه قوله تعالى ﴿ كم أهلكنا ﴾ أى أغفلوا ولم يفعل الهداية لهم أو ولم يبين لهم مآل أمرهم كثرة اهلاكنا ﴿ من قبلهم من القرون ﴾ مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد جوز أن يكون الفاعل على القراءة الاولى أيضا ضميره تعالى فيكون قوله تعالى كم أهلكنا الخ استئنافا مبينا لكيفية هدايته تعالى ﴿ يمشون فى مساكنهم ﴾ أى يمرون فى متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرئ يمشون للتكثير ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى فيما ذكر من كثرة اهلاكنا للامم الخالية العاتية او فى مساكنهم ﴿ لآيات ﴾ عظيمة فى أنفسها كثيرة فى عددها ﴿ أفلا يسمعون ﴾ هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ ﴿ أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز ﴾ أى التى جرز نباتها أى قطع وأزيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن ﴿ فنخرج به ﴾ من تلك الارض ﴿ زرعا تأكل منه ﴾ أى من ذلك الزرع ﴿ أنعامهم ﴾ كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرئ يأكل بالياء ﴿ وأنفسهم ﴾ كالحبوب التى يقتاتها الانسان والثمار ﴿ أفلا يبصرون ﴾ اى ألا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله ﴿ ويقولون ﴾ كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح

لنا على المشركين أو يفصل بيننا وبينهم وكان أهل مكة اذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء ﴿ متى هذا الفتح ﴾ أى النصر أو الفصل بالحكومة ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ فى أن الله تعالى ينصركم أو يفصل بيننا وبينكم ﴿ قل ﴾ تبكيتا لهم وتحقيقا للحق ﴿ يوم الفتح لاينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون ﴾ يوم الفتح يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على أنه ليس مما ينبغى أن يسأل عنه لكونه أمرا بينا غنيا عن الاخبار به وكذا ايمانهم واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كانه قيل لاتستعجلوا فكأنى بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر وأما على الاخيرين فالموصول عبارة عن المقتولين يومئذ لاعن كافة الكفرة كما فى الوجه الاول كيف لاوقد نفع الايمان الطلقاء يوم الفتح وناسا آمنوا يوم بدر ﴿ فأعرض عنهم ﴾ ولاتبال بتكذيبهم ﴿ وانتظر ﴾ النصرة عليهم وهلاكهم ﴿ انهم منتظرون ﴾ قيل أى الغلبة عليكم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون والاظهر أن يقال انهم منتظرون هلاكهم كما فى قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام الآية ويقرب منه ماقيل وانتظر عذابنا انهم منتظروه فان استعجالهم المذكور وعكوفهم على ماهم عليه من الكفر والمعاصى فى حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لامحالة وقرىء على صيغة المفعول على معنى أنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم أو فانا الملائكة ينتظرونه . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك أعطى من الاجر كانما أحيى ليلة القدر وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام

سـورة الاحزاب

(مدنية وهى ثلاث وسبعون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ياأيها النبى اتق الله ﴾ فى ندائه عليه الصلاة والسلام بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى المأمور به الثبات عليه والازدياد منه فان له بابا واسعا وعرضا عريضا لاينال مداه ﴿ ولاتطع الكافرين ﴾ أى المجاهرين بالكفر ﴿ والمنافقين ﴾ المضمرين له أى فيما يعود بوهن فى الدين واعطاء دنية فيما بين المسلمين روى أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وأبا الاعور السلمى قدموا عليه عليه الصلاة والسلام فى الموادعة التى كانت بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم وقام معهم عبد الله بن أبى ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت أى اتق الله فى نقض العهد ونبذ الموادعة ولاتساعد الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا اليك ﴿ ان الله كان عليما حكيما ﴾ مبالغا فى العلم والحكمة فيعلم جميع الاشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمرك الا بما فيه مصلحة ولاينهاك الا عما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة البالغة فالجملة تعليل للامر والنهى مؤكد لوجوب الامتثال بهما ﴿ واتبع ﴾ اى فى كل ماتأتى وتذر من أمور الدين ﴿ مايوحى اليك من ربك ﴾ من الآيات التى من جملتها هذه الآية الآمرة بتقوى الله الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية لتأكيد وجوب الامتثال بالامر ﴿ ان الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ قيل الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والجمع للتعظيم وقيل له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز أن يكون للكل على ضرب

من التغليب وأيا ما كان فالجملة تعليل للامر وتأكيد لموجبه أما على الوجهين الاولين فبطريق الترغيب والترهيب كأنه قيل ان الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا وأما على الوجه الاخير فبطريق الترغيب فقط كأنه قيل ان الله خبير بما يعمله كلا الفريقين فيرشدك الى مافيه صلاح حالك وانتظام أمرك ويطلعك على مايعملونه من المكايد والمفاسد ويأمرك بما ينبغى لك أن تعمله فى دفعها وردها فلا بد من اتباع الوحى والعمل بمقتضاه حتما ﴿ وتوكل على الله ﴾ أى فوض جميع أمورك اليه ﴿ وكفى بالله وكيلا ﴾ حافظا موكولا اليه كل الامور ﴿ ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ﴾ شروع فى القاء الوحى الذى أمر عليه الصلاة والسلام باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى ﴿ وماجعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ﴾ وتنبيها على أن كون المظاهر منها أما وكون الدعى ابنا أى بمنزلة الام والابن فى الآثار والاحكام المعهودة فيما بينهم فى الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين فى جوف واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من أن اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابى معمر أوجميل بن أسيد الفهرى ذوالقلبين أى ماجمع الله تعالى قلبين فى رجل وذكر الجوف لزيادة التقرير كما فى قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ولا زوجية ولا أمومة فى امرأة ولا دعوة وبنوة فى شخص لكن لا بمعنى نفى الجمع بين حقيقة الزوجية والامومة ونفى الجمع بين حقيقة الدعوة والبنوة كما فى القلب ولا بمعنى نفى الجمع بين أحكام الزوجية وأحكام الامومة ونفى الجمع بين أحكام الدعوة وأحكام البنوة على الاطلاق بل بمعنى نفى الجمع بين حقيقة الزوجية وأحكام الامومة ونفى الجمع بين حقيقة الدعوة وأحكام البنوة لابطال ما كانوا عليه من اجراء أحكام الامومة على المظاهر منها واجراء أحكام البنوة على الدعى ومعنى الظهار أن يقول لزوجته أنت على كظهر أمى مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا فى الجاهلية وهو فى الاسلام يقتضى الطلاق أوالحرمة الى أداء الكفارة كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهار للكناية عن البطن الذى هو عموده فان ذكره قريب من ذكر الفرج أوللتغليظ فى التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان الزوجة وظهرها الى السماء وقرىء اللاى وقرىء اللاء وقرىء تظاهرون بحذف احدى التاءين من تتظاهرون وتظاهرون بادغام التاء الثانية فى الظاء وتظهرون من أظهر بمعنى تظاهر وتظاهرون من ظاهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا وأدعياء جمع دعى وهو الذى يدعى ولدا على الشذوذ لاختصاص أفعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقى وأتقياء كأنه شبه به فى اللفظ فجمع جمعه كقتلاء وأسراء ﴿ ذلكم ﴾ اشارة الى مايفهم مما ذكر من الظهار والدعاء أو الى الاخير الذى هو المقصود من مساق الكلام أى دعاؤكم بقولكم هذا ابنى ﴿ قولكم بأفواهكم ﴾ فقط من غير أن يكون له مصداق وحقيقة فى الاعيان فاذن هو بمعزل من استتباع أحكام البنوة كما زعمتم ﴿ والله يقول الحق ﴾ المطابق للواقع ﴿ وهو يهدى السبيل ﴾ أى سبيل الحق لا غير فدعوا أقوالكم وخذوا بقوله عز وجل ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ أى انسبوهم اليهم وخصوهم بهم وقوله تعالى ﴿ هو أقسط عند الله ﴾ تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما فى قوله تعالى اعدلوا هو أقرب للتقوى وأقسط أفعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل أى الدعاء لآبائهم بالغ فى العدل والصدق فى حكم الله تعالى وقضائه ﴿ فان لم تعلموا آباءهم ﴾ فتنسبوهم اليهم ﴿ فاخوانكم ﴾ فهم اخوانكم ﴿ فى الدين ومواليكم ﴾ وأولياؤكم فيه أى فادعوهم بالاخوة الدينية والمولوية ﴿ وليس عليكم جناح ﴾ أى اثم ﴿ فيما أخطأتم به ﴾ أى فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو أو النسيان أو سبق اللسان ﴿ ولكن ما تعمدت قلوبكم ﴾ أى ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم بعد النهى أو ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ لعفوه

عن المخطئ• وحكم التبني بقوله هو ابني اذا كان عبدا للقائل العتق على كل حال و لا يثبت نسبه منه الا اذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد مثله لمثل المتبني ولم يقر قبله بنسبه من غيره ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ أي في كل أمر من أمور الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق فيجب عليهم أن يكون عليه الصلاة والسلام أحب اليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها روى أنه عليه الصلاة والسلام أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت وقرىء وهو أب لهم أي في الدين فان كل نبي أب لأمته من حيث انه أصل فيما به الحياة الابدية و لذلك صار المؤمنون اخوة ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ أي منزلات منزلة الأمهات في التحريم واستحقاق التعظيم وأما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات و لذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا أمهات النساء ﴿وأولو الارحام﴾ أي ذو و القرابات ﴿بعضهم أولى ببعض﴾ في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين ﴿في كتاب الله﴾ في اللوح أو فيما أنزله وهو هذه الآية أو آية المواريث أو فيما فرض الله تعالى ﴿من المؤمنين والمهاجرين﴾ بيان لأولى الارحام أو صلة لأولى أي أولوا الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة ﴿الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا﴾ استثناء من أعم ما تقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية أو منقطع ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾ أي كان ما ذكر من الآيتين ثابتا في اللوح أو القرآن وقيل في التوراة ﴿واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ أي اذكر وقت أخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق ﴿ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾ وتخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين اندراجا بينا للايذان بمزيد مزيتهم وفضلهم و كونهم من مشاهير أرباب الشرائع وأساطين أولى العزم من الرسل وتقديم نبينا عليهم عليهم الصلاة والسلام لابانة خطره الجليل ﴿وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ أي عهدا عظيم الشأن أو مؤكدا باليمين وهذا هو الميثاق الأول بعينه وأخذه هو أخذه والعطف مبني على تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي تفخيما لشأنه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وقوله تعالى ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما هو داع الى ما ذكر من أخذ الميثاق وغاية له لا بأخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة أي فعل الله ذلك ليسأل يوم القيامة الأنبياء و وضع الصادقين موضع ضميرهم للايذان من أول الأمر بأنهم صادقون فيما سئلوا عنه وانما السؤال لحكمة تقتضيه أي ليسأل الأنبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم أو عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم أو المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق وأما ما قيل من أن المعنى ليسأل المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين أشهدهم على أنفسهم عن صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين وقوله تعالى ﴿وأعد للكافرين عذابا أليما﴾ عطف على ما ذكر من المضمر لا على أخذنا كما قيل والتوجيه بأن بعثة الرسل وأخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين أو بأن المعنى أن الله تعالى أكد على الأنبياء الدعوة الى دينه لأجل اثابة المؤمنين تعسف ظاهر مع أنه مفض الى كون بيان اعداد العذاب الأليم للكافرين غير مقصود بالذات نعم يجوز عطفه على ما دل عليه قوله تعالى ليسأل الصادقين كأنه قيل فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين الآية ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم﴾ ان جعل النعمة مصدرا فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها أي كائنة عليكم ﴿اذ جاءتكم جنود﴾ ظرف لنفس النعمة أو لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا على أنه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد

بالجنود الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر ألفا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسي ثم خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه و بين القوم وأمر بالذرارى والنساء فرفعوا فى الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق فى المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر و لا نقدر أن نذهب الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لاحرب بينهم الا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس أخو بنى محارب قد ركبوا خيولهم وتيمموا من الخندق مكانا مضيقا فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع فخرج على بن أبى طالب رضى الله عنه فى نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التى اقتحموا منها فأقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه فقال له على رضى الله عنه ياعمرو انى أدعوك الى الله و رسوله والاسلام قال لاحاجة لى اليه قال فانى أدعوك الى النزال قال يا ابن أخى والله لا أحب أن أقتلك قال على لكنى والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عندذلك وكان غيورا مشهورا بالشجاعة واقتحم عن فرسه فعقره أوضرب وجهه ثم أقبل على على فتناولا وتجاولا فضربه على رضى الله عنه ضربة ذهبت فيها نفسه فلما قتلانهزمت خيله حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبد الدار و نوفل ابن عبد الله بن المغيرة المخزومى قتله أيضا على رضى الله عنه وقيل لم يكن بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى أنزل الله تعالى النصر وذلك قوله تعالى ﴿فأرسلنا عليهم ريحا﴾ عطف على جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالا وسيأتى بقيتها فى آخر القصة ﴿وجنودا لم تروها﴾ وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا ألفا بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فأخصرتهم وسفت التراب فى وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت الاطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وقذف فى قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الأسدى أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال ﴿وكان الله بما تعملون﴾ من حفر الخندق وترتيب مبادى الحرب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء أى بما يعمله الكفار أى من التحزب والمحاربة أو من الكفر والمعاصى ﴿بصيرا﴾ ولذلك فعل مافعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله ﴿اذ جاؤكم﴾ بدل من اذ جاءتكم ﴿من فوقكم﴾ من أعلى الوادى من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من أهل نجد قائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل فى هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ﴿ومن أسفل منكم﴾ أى من أسفل الوادى من قبل المغرب وهم قريش ومن شايعهم من الأحابيش وبنى كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وكانوا عشرة آلاف ﴿واذ زاغت الأبصار﴾ عطف على ماقبله داخل معه فى حكم التذكير أى حين مالت عن سننها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شئ فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ لان الرئة تنتفخ من شدة الفزع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم وقيل هو مثل فى اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب فى قوله تعالى ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ لمن يظهر الايمان على الاطلاق أى تظنون بالله تعالى أنواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب أن الله تعالى ينجز وعده فى اعلاء دينه كما يعرب عنه ماسيحكى عنهم من قولهم هذا ماوعدنا الله و رسوله وصدق الله و رسوله الآية أو يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ماحكى عنهم مما لاخير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون بغير ألف وهو القياس و زيادتها

لمراعاة الفواصل كما تزاد فى القوافى ﴿هنالك﴾ ظرف زمان أو ظرف مكان لما بعده أى فى ذلك الزمان الهائل أو المكان الدحض ﴿ابتلى المؤمنون﴾ أى عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل ﴿وزلزلوا زلزالا شديداً﴾ من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاى ﴿واذ يقول المنافقون﴾ عطف على اذ زاغت وصيغة المضارع لما مر من الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته ﴿والذين فى قلوبهم مرض﴾ أى ضعف اعتقاد ﴿ماوعدنا الله ورسوله﴾ من اعلاء الدين والظفر ﴿الا غروراً﴾ أى وعد غرور وقيل قولا باطلا والقائل معتب بن قشير وأضرابه راضون به قال يعدنا محمد بفتح كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لايقدر أن يتبرز فرقا ماهذا الا وعد غرور ﴿واذ قالت طائفة منهم﴾ هم أوس بن قيظى وأتباعه وقيل عبد الله ابن أبى وأشياعه ﴿ياأهل يثرب﴾ هو اسم المدينة المطهرة وقيل اسم بقعة وقعت المدينة فى ناحية منها وقد نهى النبى عليه الصلاة والسلام أن تسمى بها كراهة لها وقال هى طيبة أو طابة كأنهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة له عليه الصلاة والسلام وتداؤهم اياهم بعنوان أهليتهم لها ترشيح لما بعده من الامر بالرجوع اليها ﴿لامقام لكم﴾ لاموضع اقامة لكم أو لا اقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم أى لاقيام أو لا موضع قيام لكم ﴿فارجعوا﴾ أى الى منازلكم بالمدينة مرادهم الامر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم وايذانا بأنه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لاقيام لكم فى دين محمد عليه الصلاة والسلام فارجعوا الى ما كنتم عليه من الشرك أو فارجعوا عما بايعتموه عليه وأسلموه الى أعدائه أو لا مقام لكم فى يثرب فارجعوا كفاراً ليتسنى لكم المقام بها والأول هو الانسب لما بعده فان قوله تعالى ﴿ويستأذن فريق منهم النبى﴾ معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة استأذنوه عليه الصلاة والسلام فى الرجوع ممتثلين بأمرهم وقوله تعالى ﴿يقولون﴾ بدل من يستأذن أو حال من فاعله أو استئناف مبنى على السؤال عن كيفية الاستئذان ﴿ان بيوتنا عورة﴾ أى غير حصينة معرضة للعدو والسراق فأذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة فى الأصل الخلل أطلقت على المختل مبالغة وقد جوز أن تكون تخفيف عورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها والأول هو الأنسب بمقام الاعتذار كما يفصح عنه تصدير مقالهم بحرف التحقيق ﴿وماهى بعورة﴾ والحال أنها ليست كذلك ﴿ان يريدون﴾ مايريدون بالاستئذان ﴿الا فراراً﴾ من القتال ﴿ولو دخلت عليهم﴾ أسند الدخول الى بيوتهم وأوقع عليهم لما أن المراد فرض دخولها وهم فيها لافرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لولم يذكر الجار والمجرور ولا فرض الدخول عليهم مطلقا كما هو المفهوم لوأسند الى الجار والمجرور ﴿من أقطارها﴾ أى من جميع جوانبها لامن بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من أراد من أهل الدعارة والفساد ﴿ثم سئلوا﴾ من جهة طائفة أخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة ﴿الفتنة﴾ أى الردة والرجعة الى الكفر مكان ماسئلوا الآن من الايمان والطاعة ﴿لآتوها﴾ لأعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهياء والغارة الشعواء وقرئ لأتوها بالقصر أى لفعلوها وجاؤها ﴿وما تلبثوا بها﴾ بالفتنة أى ما ألبثوها وما أخروها ﴿الا يسيرا﴾ ريثما يسع السؤال والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل مالبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا والأول هو اللائق بالمقام هذا وأما تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة فمع منافاته للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل ففيه ضرب من فساد الوضع لما عرفت من أن مساق النظم الكريم لبيان أنهم اذا دعوا الى الحق تعللوا بشئ يسير وان دعوا الى الباطل سارعوا اليه آثر ذى أثير من غير صارف يلويهم ولا عاطف

يثنيهم ففرض الدخول عليهم من جهة العساكر المذكورة واسناد سؤال الفتنة والدعوة الى الكفر الى طائفة أخرى مع أن العساكر هم المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال المؤمنين المصرون على الاعراض عن الحق المجدون فى الدعاء الى الكفر والضلال بمعزل من التقريب ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار﴾ فان بنى حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين فشلوا أن لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن ﴿وكان عهد الله مسئولا﴾ مطلوبا مقتضى حتى يوفى به وقيل مسئولا عن الوفاء به ومجازى عليه ﴿قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل﴾ فانه لابد لكل شخص من حتف أنف أو قتل سيف فى وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم ﴿واذن لا تمتعون الا قليلا﴾ اى وان نفعكم الفرار مثلا فتمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع الا تمتعا قليلا أو زمانا قليلا ﴿قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة﴾ أى أو يصيبكم بسوء ان أراد بكم رحمة فاختصر الكلام أو حمل الثانى على الأول لما فى العصمة من معنى المنع ﴿ولا يجدون لهم من دون الله وليا﴾ ينفعهم ﴿ولا نصيرا﴾ يدفع عنهم الضرر ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم﴾ أى المثبطين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون ﴿والقائلين لاخوانهم﴾ من منافقى المدينة ﴿هلم الينا﴾ وهو صوت سمى به فعل متعد نحو احضر أو قرب ويستوى فيه الواحد والجماعة على لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون هلم يارجل وهلموا يارجال أى قربوا أنفسكم الينا وهذا يدل على أنهم عند هذا القول خارجون من المعسكر متوجهون نحو المدينة ﴿ولا يأتون البأس﴾ أى الحراب والقتال ﴿الا قليلا﴾ أى اتيانا أو زمانا أو بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما أمكن لهم ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله تعالى ماقاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتى أصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا ﴿أشحة عليكم﴾ أى بخلاء عليكم بالمعاونة أو النفقة فى سبيل الله أو الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحالية من فاعل يأتون أو من المعوقين أو على الذم ﴿فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم﴾ فى أحداقهم ﴿كالذى يغشى عليه من الموت﴾ صفة لمصدر ينظرون أو حال من فاعله أو لمصدر تدور أو حال من أعينهم أى ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك أو ينظرون كائنين كالذى الخ أو تدور أعينهم دورانا كائنا كدوران عينه أو تدور أعينهم كائنة كعينه ﴿فاذا ذهب الخوف﴾ وحيزت الغنائم ﴿سلقوكم﴾ ضربوكم ﴿بألسنة حداد﴾ وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد أو باللسان وقرئ صلقوكم ﴿أشحة على الخير﴾ نصب على الحالية أو الذم ويؤيده القراءة بالرفع ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من صفات السوء ﴿لم يؤمنوا﴾ بالاخلاص ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ أى أظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم أعمال فتبطل أو أبطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية أصلا ﴿وكان ذلك﴾ الاحباط ﴿على الله يسيرا﴾ هينا وتخصيص يسره بالذكر مع أن كل شىء عليه تعالى يسير لبيان أن أعمالهم حقيقة بأن يظهر حبوطها لكمال تعاضد الدواعى وعدم الصوارف بالكلية ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ أى هؤلاء لجبنهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة ﴿وان يأت الأحزاب﴾ كرة ثانية ﴿يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب﴾ تمنوا أنهم خارجون الى البدو حاصلون بين الأعراب وقرئ بدى جمع باد كغاز وغزى ﴿يسألون﴾ كل قادم من جانب المدينة وقرئ يساءلون أى يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتساءلون الاعراب كما يقال رأيت

الهلال وترائيناه فان صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما أسندت اليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما فى المثال المذكور ونظائره ﴿عن أنبائكم﴾ عما جرى عليكم ﴿ولو كانوا فيكم﴾ هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ﴿ما قاتلوا الا قليلا﴾ رياء وخوفا من التعيير ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾ خصلة حسنة حقها أن يؤتسى بها كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدائد أو هو فى نفسه قدوة يحق التأسى به كقولك فى البيضة عشرون منا حديدا أى هى فى نفسها هذا القدر من الحديد وقرئ بكسر الهمزة وهى لغة فيها ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ أى ثواب الله أو لقاءه أو أيام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو مثل قولك أرجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر من أيام الله تعالى ولمن كان صلة لحسنة أو صفة لها وقيل بدل من لكم والأكثرون على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه ﴿وذكر الله﴾ أى وقرن بالرجاء ذكر الله ﴿كثيرا﴾ أى ذكرا كثيرا أو زمانا كثيرا فان المثابرة على ذكره تعالى تؤدى الى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الائتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ بيان لما صدر عن خاص المؤمنين عند اشتباه الشؤون واختلاف الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم أى لما شاهدوهم حسبما وصفوا لهم ﴿قالوا هذا﴾ مشيرين الى ما شاهدوه من حيث هو من غير أن يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من أحكام اللفظ كما مر فى قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى وجعله اشارة الى الخطب أو البلاء من نتائج النظر الجليل فتدبر نعم يجوز التذكير باعتبار الخبر الذى هو ﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ فان ذلك العنوان أول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الى قوله تعالى ألا ان نصر الله قريب وقوله عليه الصلاة والسلام سيشتد الامر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه الصلاة والسلام ان الأحزاب سائرون اليكم بعد تسع ليال أو عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة ﴿وصدق الله ورسوله﴾ أى ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله أو صدقا فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء واظهار الاسم للتعظيم ﴿وما زادهم﴾ أى ما رأوه ﴿الا ايمانا﴾ بالله تعالى وبمواعيده ﴿وتسليما﴾ لاوامره ومقاديره ﴿من المؤمنين﴾ أى المؤمنين بالاخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ من الثبات مع الرسول عليه الصلاة والسلام والمقاتلة لاعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضى الله عنهم نذروا أنهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ومعنى صدقوا أتوا بالصدق من صدقنى اذا قال لك الصدق ومحل ما عاهدوا النصب اما بطرح الخافض عنه وايصال الفعل اليه كما فى قولهم صدقنى سن بكره أى فى سنه واما بجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم خاطبوه خطاب من قال لكرمائه

غرتنى الاعداء ان لم تجرى   وقالوا المستنى بك

وحيث وفوا به فقد صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان مكذوبا ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم الى قسمين والنحب النذر وهو أن يلتزم الانسان شيا من أعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء على أحد الوجهين المذكورين فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية أى فبعضهم أو فبعض منهم من خرج عن العهدة كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر عم أنس بن مالك وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فانهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على حقيقته بأن يكون ما نذروه أفعالهم الاختيارية التى هى المقاتلة المغياة بما ليس منها ولا

يدخل تحت النذر وهو الموت شهيدا أوكان مستعارا لالتزامه على ماسباتى ﴿ومنهم﴾ أى و بعضهم أو و بعض منهم ﴿من ينتظر﴾ أى قضاء نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فانهم مستمرون على نذورهم قد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقتال الى حين نزول الآية الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقى وهو القتال الى الموت شهيدا هذا و يجوز أن يكون النحب مستعارا لالتزام الموت شهيدا اما بتنزيل التزام أسبابه التى هى أفعال اختيارية للناذر منزلة التزام نفسه واما بتنزيل نفسه منزلة أسبابه وايراد الالتزام عليه وهو الانسب بمقام المدح وأياما كان فنى وصفهم بالانتظار المنبىء عن الرغبة فى المنتظر شهادة حقة بكمال اشتياقهم الى الشهادة واما ماقيل من أن النحب استعير للموت لانه كنذر لازم فى رقبة كل حيوان ففسخ للاستعارة وذهاب برونقها واخراج للنظم الكريم عن مقتضى المقام بالكلية ﴿وما بدلوا﴾ عطف على صدقوا وفاعله فاعله أى وما بدلوا عهدهم وما غيروه ﴿تبديلا﴾ أى تبديلا ما لا أصلا و لاوصفا بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على أحسن ما يكون أما الذين قضوا فظاهر وأما الباقون فيشهد به انتظارهم أصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الاول مع ظهور حالهم للايذان بمساواة الفريق الثانى لهم فى الحكم و يجوز أن يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على أن المحتاج الى البيان حالهم وقد روى أن طلحة رضى الله عنه ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام أوجب طلحة الجنة و فى رواية أوجب طلحة وعنه عليه الصلاة والسلام فى رواية جابر رضى الله عنه من سره أن ينظر الى شهيد يمشى على الارض فلينظر الى طلحة بن عبيدالله و فى رواية عائشة رضى الله عنها من سره أن ينظر الى شهيد يمشى على الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة وهذا يشير الى أنه من الاولين حكما ﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم﴾ متعلق بمضمر مستأنف مسوق بطريق الفذلكة لبيان ماهو داع الى وقوع ماحكى من الاحوال والاقوال على التفصيل وغاية له كما مر فى قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم كأنه قيل وقع جميع ماوقع ليجزى الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولا وفعلا ﴿و يعذب المنافقين﴾ بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية ﴿ان شاء﴾ تعذيبهم ﴿أو يتوب عليهم﴾ ان تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفى التبديل المنطوق واثباته المعرض به كأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله تعالى وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقيل لما يستفاد من قوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب كأنه قيل ابتلاهم الله تعالى برؤية ذلك الخطب ليجزى الآية فتأمل و بالله التوفيق ﴿ان الله كان غفورا رحيما﴾ أى لمن تاب وهو اعتراض فيه بعث الى التوبة وقوله تعالى ﴿ورد الله الذين كفروا﴾ رجوع الى حكاية بقية القصة وتفصيل تتمة النعمة المشار اليها اجمالا بقوله تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها معطوف اما على المضمر المقدر قبل قوله تعالى ليجزى الله كأنه قيل اثر حكاية الأمور المذكورة وقع ماوقع من الحوادث ورد الله الخ واما على أرسلنا وقد وسط بينهما بيان كون مانزل بهم واقعة طامة تحيرت بها العقول والافهام وداهية تامة تحاكت منها الركب و زلت الاقدام وتفصيل ماصدر عن فريقى أهل الايمان وأهل الكفر والنفاق من الأحوال والاقوال لاظهار عظم النعمة وابانة خطرها الجليل ببيان وصولها اليهم عند غاية احتياجهم اليها أى فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها و رددنا بذلك الذين كفروا والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى ﴿بغيظهم﴾ حال من الموصول أى ملتبسين به وكذا قوله تعالى ﴿لم ينالوا خيرا﴾ بتداخل أو تعاقب أى غير ظافرين بخير أو الثانية بيان للاولى أو استئناف ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بما ذكر من ارسال الريح والجنود

﴿ وكان الله قويا ﴾ على احداث كل مايريد ﴿ عزيزا ﴾ غالبا على كل شئ ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم ﴾ أى عاونوا الاحزاب المردودة ﴿ من أهل الكتاب ﴾ وهم بنو قريظة ﴿ من صياصيهم ﴾ من حصونهم جمع صيصية وهى مايتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك ﴿ وقذف فى قلوبهم الرعب ﴾ الخوف الشديد بحيث أسلموا أنفسهم للقتل وأهليهم وأولادهم للاسر حسبما ينطق به قوله تعالى ﴿ فريقا تقتلون وتأسرون فريقا ﴾ من غير أن يكون من جهتهم حراك فضلا عن المخالفة والاستعصاء روى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التى انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح فقال أتنزع لأمتك والملائكة ماوضعوا السلاح ان الله يأمرك أن تسير الى بنى قريظة وأنا عامد اليهم فأذن فى الناس أن لايصلوا العصر الا ببنى قريظة فحاصروهم احدى وعشرين أو خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمى فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ونسائهم فكبر النبى عليه الصلاة والسلام وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى تسعمائة وأسر سبعمائة وقرئ تأسرون بضم السين كما قرئ الرعب بضم العين ولعل تأخير المفعول فى الجملة الثانية مع أن مساق الكلام تفصيله وتقسيمه كما فى قوله تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون لمراعاة الفواصل ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم ﴾ أى حصونهم ﴿ وأموالهم ﴾ نقودهم وأثاثهم ومواشيهم روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار فى ذلك فقال عليه الصلاة والسلام انكم فى منازلكم فقال عمر رضى الله عنه أما تخمس كما خمست يوم بدر فقال عليه الصلاة والسلام لا انما جعلت هذه لى طعمة دون الناس قالوا رضينا بما صنع الله ورسوله ﴿ وأرضا لم تطؤوها ﴾ أى أورثكم فى علمه وتقديره أرضا لم تقبضوها بعد كفارس والروم وقيل كل أرض تفتح الى يوم القيامة وقيل خيبر ﴿ وكان الله على كل شئ قديرا ﴾ فقد شاهدتم بعض مقدوراته من ايراث الاراضى التى تسلمتموها فقيسوا عليها ماعداها ﴿ ياأيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا ﴾ أى السعة والتنعم فيها ﴿ وزينتها ﴾ وزخارفها ﴿ فتعالين ﴾ أى أقبلن بارادتكن واختياركن لاحدى الخصلتين كما يقال أقبل يخاصمنى وذهب يكلمنى وقام يهددنى ﴿ أمتعكن ﴾ بالجزم جوابا للامر وكذا ﴿ وأسرحكن ﴾ أى أعطكن المتعة وأطلقكن ﴿ سراحا جميلا ﴾ طلاقا من غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستئناف روى أنهن سألنه عليه الصلاة والسلام ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فنزل لايحل لك النساء من بعد واختلف فى أن هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق اليهن حتى يقع الطلاق بنفس الاختيار أو لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم الى أنه لم يكن تفويض الطلاق وانما كان تخييرا لهن بين الارادتين على أنهن ان أردن الدنيا فارقهن عليه الصلاة والسلام كما ينبئ عنه قوله تعالى فتعالين أمتعكن وأسرحكن وذهب آخرون الى أنه كان تفويضا للطلاق اليهن حتى لو أنهن اخترن أنفسهن كان ذلك طلاقا وكذا اختلف فى حكم التخيير فقال ابن عمر وابن مسعود وابن عباس رضى الله تعالى عنهم اذا خير رجل امرأته فاختارت زوجها لايقع شئ أصلا ولو اختارت نفسها وقعت طلقة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعى وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبى ليلى وسفيان وروى عن زيد بن ثابت أنها ان اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها يقع ثلاث طلقات وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروى عن على رضى الله عنه أنها ان اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروى عنه أيضا أنها ان اختارت زوجها لايقع شئ أصلا وعليه اجماع فقهاء الامصار وقد روى عن عائشة رضى الله عنها

خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح من باب الكرم وفيه قطع لمعاذيرهن من أول الامر والمتعة فى المطلقة التى لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق عند العقد واجبة عندنا وفيما عداهن مستحبة وهى درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار الا أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك فحينئذ يجب لها الاقل منهما ولا ينقص عن خمسة دراهم ﴿وان كنتن تردن الله ورسوله﴾ أى تردن رسوله وذكر الله عز وجل للايذان بجلالة محله عليه الصلاة والسلام عنده تعالى ﴿والدار الآخرة﴾ أى نعيمها الذى لاقدر عنده للدنيا وما فيها جميعا ﴿فان الله أعد للمحسنات منكن﴾ بمقابلة احسانهن ﴿أجرا عظيما﴾ لايقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لان كلهن محسنات وتجريد الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة فى تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح وفى وصف السراح بالجميل ﴿يانساء النبى﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له اليهن لاظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن ههنا وفيما بعده بالاضافة اليه عليه الصلاة والسلام لانها التى يدور عليها مايرد عليهن من الاحكام ﴿من يأت منكن بفاحشة﴾ بكبيرة ﴿مبينة﴾ ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرىء بفتح الياء والمراد بها كل مااقترفن من الكبائر وقيل هى عصيانهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه مايشق عليه أو مايضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقرىء تأت بالفوقانية ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ أى يعذبن ضعفى عذاب غيرهن أى مثليه لان الذنب منهن أقبح فان زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وعوتب الانبياء عليهم الصلاة والسلام بما لا يعاتب به الامم وقرىء يضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بنون العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ لايمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبى عليه الصلاة والسلام بل يدعوه اليه لمراعاة حقه ﴿ومن يقنت منكن﴾ وقرىء بالتاء أى ومن يدم على الطاعة ﴿لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين﴾ مرة على الطاعة والتقوى وأخرى على طلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرىء يعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله تعالى ﴿وأعتدنا لها﴾ فى الجنة زيادة على أجرها المضاعف ﴿رزقا كريما﴾ مرضيا ﴿يانساء النبى لستن كأحد من النساء﴾ أصل أحد وحد بمعنى الواحد ثم وضع فى النفى مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء فى الفضل والشرف ﴿ان اتقيتن﴾ مخالفة حكم الله تعالى ورضا رسوله أو ان اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بحالكن ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ عند مخاطبة الناس أى لاتجبن بقولكن خاضعا لينا على سنن قول المريبات والمومسات ﴿فيطمع الذى فى قلبه مرض﴾ أى فجور وريبة وقرىء بالجزم عطفا على محل فعل النهى على أنه نهى لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع كأنه قيل فلاتخضعن بالقول فلايطمع مريض القلب ﴿وقلن قولا معروفا﴾ بعيدا عن الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنيث أو قولا حسنا مع كونه خشنا ﴿وقرن فى بيوتكن﴾ أمر من قر يقر من باب علم وأصله اقررن فحذفت الراء الاولى وألقيت فتحتها على ماقبلها كما فى قولك ظلن أو من قار يقار اذا اجتمع وقرىء بكسر القاف من وقر يقر وقارا اذا ثبت واستقر وأصله أوقرن ففعل به مافعل بعدن من وعد أو من قر يقر حذفت احدى راءى اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن ﴿ولا تبرجن﴾ أى لاتتبخترن فى مشيكن ﴿تبرج الجاهلية الاولى﴾ أى تبرجا مثل تبرج النساء فى الجاهلية القديمة وهى مابين آدم ونوح وقيل مابين ادريس ونوح عليهما السلام وقيل الزمان الذى ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل زمن داود

وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية الاخرى الفسوق فى الاسلام ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام لابى الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر أو جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر ﴿ وأقمن الصلوة وآتين الزكوة ﴾ أمرن بهما لانافتهما على غيرهما وكونهما أصلى الطاعات البدنية والمالية ﴿ وأطعن الله ورسوله ﴾ أى فى كل ما تأتين وما تذرن لاسيما فيما أمرتن به ونهيتن عنه ﴿ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ﴾ أى الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل بطريق النداء أو المدح ﴿ أهل البيت ﴾ مرادا بهم من حواهم بيت النبوة ﴿ ويطهركم ﴾ من أوضار الاوزار والمعاصى ﴿ تطهيرا ﴾ بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى آية بينة وحجة نيرة على كون نساء النبى عليه الصلاة والسلام من أهل بيته قاضية ببطلان رأى الشيعة فى تخصيصهم أهلية البيت بفاطمة وعلى وابنيهما رضوان الله عليهم وأما ما تمسكوا به من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرجل من شعر أسود وجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء على فأدخله فيه ثم جاء الحسن و الحسين فأدخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت فانما يدل على كونهم من أهل البيت لا على أن من عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها فى مقابلة النص ﴿ واذكرن ما يتلى فى بيوتكن ﴾ أى اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما يتلى فى بيوتكن ﴿ من آيات الله والحكمة ﴾ من الكتاب الجامع بين كونه آيات الله البينة الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلوم والشرائع وهو تذكير بما أنعم عليهن حيث جعلهن أهل بيت النبوة ومهبط الوحى وما شاهدن من برحاء الوحى مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفنه والتعرض للتلاوة فى البيوت دون النزول فيها مع أنه الانسب لكونها مهبط الوحى لعمومها لجميع الآيات ووقوعها فى كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم تعيين التالى لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبى عليهما الصلاة والسلام وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعليما وتعلما ﴿ ان الله كان لطيفا خبيرا ﴾ يعلم ويدبر ما يصلح فى الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر والنهى أو يعلم من يصلح للنبوة ومن يستأهل أن يكون من أهل بيته ﴿ ان المسلمين والمسلمات ﴾ أى الداخلين فى السلم المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والاناث ﴿ والمؤمنين والمؤمنات ﴾ المصدقين بما يجب أن يصدق به من الفريقين ﴿ والقانتين والقانتات ﴾ المداومين على الطاعات القائمين بها ﴿ والصادقين والصادقات ﴾ فى القول والعمل ﴿ والصابرين والصابرات ﴾ على الطاعات وعن المعاصى ﴿ والخاشعين والخاشعات ﴾ المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم ﴿ والمتصدقين والمتصدقات ﴾ بما وجب فى مالهم ﴿ والصائمين والصائمات ﴾ الصوم المفروض ﴿ والحافظين فروجهم والحافظات ﴾ عن الحرام ﴿ والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ﴾ بقلوبهم وألسنتهم ﴿ أعد الله لهم ﴾ بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة ﴿ مغفرة ﴾ لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات بما عملوا من الأعمال الصالحة ﴿ وأجرا عظيما ﴾ على ما صدر عنهم من الطاعات والآيات وعدهن ولأمثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال الحميدة روى أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهن قلن يارسول الله ذكر الله الرجال فى القرآن بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة أم سلمة وروى أنه لما نزل فى نساء النبى عليه الصلاة والسلام ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل فينا شئ فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضرورى وأما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون ضروريا ولذلك ترك فى قوله

تعالى مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على أن مدار اعداد ما أعدلهم جمعهم بين هذه النعوت الجميلة ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ﴾ أى ماصح وما استقام لرجل ولا امرأة من المؤمنين والمؤمنات ﴿ اذا قضى الله ورسوله أمرا ﴾ أى اذا قضى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيم أمره عليه الصلاة والسلام أو للاشعار بأن قضاءه عليه الصلاة والسلام قضاء الله عز وجل لأنه نزل فى زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فأبت هى وأخوها عبد الله وقيل فى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وهبت نفسها للنبى عليه الصلاة والسلام فزوجها من زيد فسخطت هى وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله فزوجنا عبده ﴿ أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ أن يختاروا من أمرهم ما شاؤا بل يجب عليهم أن يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه عليه الصلاة والسلام واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما فى سياق النفى وقيل الضمير الثانى للرسول عليه الصلاة والسلام والجمع للتعظيم وقرئ تكون بالتاء ﴿ ومن يعص الله ورسوله ﴾ فى أمر من الأمور ويعمل فيه برأيه ﴿ فقد ضل ﴾ طريق الحق ﴿ ضلالا مبينا ﴾ أى بين الانحراف عن سنن الصواب ﴿ واذ تقول ﴾ أى واذكر وقت قولك ﴿ للذى أنعم الله عليه ﴾ بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته ﴿ وأنعمت عليه ﴾ بالعمل بما وفقك الله له من فنون الاحسان التى من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة وايراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حاله لما صدر عنه عليه الصلاة والسلام من اظهار خلاف ما فى ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحياء أو الاحتشام وكلاهما مما لا يتصور فى حق زيد ﴿ أمسك عليك زوجك ﴾ أى زينب وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أبصرها بعد ما أنكحها اياه فوقعت فى نفسه حالة جبلية لا يكاد يسلم منها البشر فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك ووقع فى نفسه كراهة صحبتها فأتى النبى عليه الصلاة والسلام وقال أريد أن أفارق صاحبتى فقال مالك أرابك منها شئ قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم على فقال له أمسك عليك زوجك ﴿ واتق الله ﴾ فى أمرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها ﴿ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ﴾ وهو نكاحها ان طلقها أو ارادة طلاقها ﴿ وتخشى الناس ﴾ تعييرهم اياك به ﴿ والله أحق أن تخشاه ﴾ ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافى اضماره فان الأولى فى أمثال ذلك أن يصمت أو يفوض الأمر الى ربه ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا ﴾ بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لى فيك ﴿ زوجناكها ﴾ وقرئ زوجتكها والمراد الأمر بتزويجها منه عليه الصلاة والسلام وقيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده أنها كانت تقول لسائر نساء النبى عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى تولى نكاحى وأنتن زوجكن أولياؤكن وقيل كان زيد السفير فى خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه ﴿ لكيلا يكون على المؤمنين حرج ﴾ ضيق ومشقة ﴿ فى أزواج أدعيائهم ﴾ أى فى حق تزوجهن ﴿ اذا قضوا منهن وطرا ﴾ فان لهم فى رسول الله أسوة حسنة وفيه دلالة على أن حكمه عليه الصلاة والسلام وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل ﴿ وكان أمر الله ﴾ أى ما يريد تكوينه من الأمور أو مأموره الحاصل بكن ﴿ مفعولا ﴾ مكونا لا محالة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله ﴿ ما كان على النبى من حرج ﴾ أى ما صح وما استقام فى الحكمة أن يكون له ضيق ﴿ فيما فرض الله له ﴾ أى قسم له وقدر من قولهم فرض له فى الديوان كذا ومنه فروض العساكر لاعطياتهم ﴿ سنة الله ﴾ اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لما قبله من نفى الحرج أى سن الله ذلك سنة ﴿ فى الذين خلوا ﴾ مضوا ﴿ من قبل ﴾ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث وسع عليهم فى باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود

عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة سرية وسليمان عليه السلام ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية وقوله تعالى ﴿وكان أمر الله قدرا مقدورا﴾ أى قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفى الحرج وتحقيقه ﴿الذين يبلغون رسالات الله﴾ صفة للذين خلوا أو مدح لهم بالنصب أو بالرفع وقرىء رسالة الله ﴿ويخشونه﴾ فى كل ما يأتون ويذرون لا سيما فى أمر تبليغ الرسالة حيث لا يخرمون منها حرفا ولا تأخذهم فى ذلك لومة لائم ﴿ولا يخشون أحدا الا الله﴾ فى وصفهم بقصرهم الخشية على الله تعالى تعريض بما صدر عنه عليه الصلاة والسلام من الاحتراز عن لائمة الخلق بعد التصريح فى قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴿وكفى بالله حسيبا﴾ كافيا للمخاوف فينبغى أن لا يخشى غيره أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية منه تعالى ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ أى على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عليه الصلاة والسلام أبا للطاهر والقاسم وابراهيم لأنهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالا له عليه الصلاة والسلام لاهم ﴿ولكن رسول الله﴾ أى كان رسولا لله وكل رسول أبو أمته لكن لا حقيقة بل بمعنى أنه شفيق ناصح لهم وسبب لحياتهم الأبدية وما زيد الا واحد من رجالكم الذين لا ولاد بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام فحكمه حكمهم وليس للتبنى والادعاء حكم سوى التقريب والاختصاص ﴿وخاتم النبيين﴾ أى كان آخرهم الذى ختموا به وقرىء بكسر التاء أى كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين وأيا ما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبيا ولم يكن هو عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين كما روى أنه قال فى ابراهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده عليهما السلام لأن معنى كونه خاتم النبيين أنه لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبىء قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كأنه بعض أمته ﴿وكان الله بكل شىء عليما﴾ ومن جملته هذه الأحكام والحكم التى بينها لكم وكنتم منها فى شك مريب ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله﴾ بما هو أهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس ﴿ذكرا كثيرا﴾ يعم الأوقات والأحوال ﴿وسبحوه﴾ ونزهوه عما لا يليق به ﴿بكرة وأصيلا﴾ أى أول النهار وآخره على أن تخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون سائر الأوقات بل لابانة فضلهما على سائر الأوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من بين الاذكار مع اندراجه فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلاة ﴿هو الذى يصلى عليكم﴾ الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من الأمرين فان صلاته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى ﴿وملائكته﴾ عطف على المستكن فى يصلى لمكان الفصل المغنى عن التأكيد بالمنفصل لكن لا على أن يراد بالصلاة الرحمة أولا والاستغفار ثانيا فان استعمال اللفظ الواحد فى معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على أن يراد بهما معنى مجازى عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح أمرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقى له أو الترحم والانعطاف المعنوى المأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصورى الذى هو الركوع والسجود ولا ريب فى أن استغفار الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم وأما أن ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابى الدعوة كما قيل فاعتباره ينزع الى الجمع بين المعنيين المتغايرين فتدبر ﴿ليخرجكم من الظلمات الى النور﴾ متعلق يصلى أى يعتنى بأموركم هو وملائكته ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وقوله تعالى ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أى كان بكافة المؤمنين الذين أنتم من زمرتهم رحيما

ولذلك يفعل بكم مايفعل من الاعتناء باصلاحكم بالذات و بالواسطة و يهديكم الى الايمان والطاعة أوكان بكم رحيما على أن المؤمنين مظهر وضع موضع المضمر مدحا لهم واشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ بيان للأحكام الآجلة لرحمة الله تعالى بهم بعد بيان آثارها العاجلة التي هي الاعتناء بأمرهم وهدايتهم الى الطاعة أي مايحيون به على أنه مصدر أضيف الى مفعوله يوم لقائه عند الموت أو عند البعث من القبور أو عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيما لهم أو من الملائكة بشارة لهم بالجنة أو تكرمة لهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم أو اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وقوله تعالى ﴿وأعد لهم أجرا كريما﴾ بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل ايثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بأن يقال مثلا وأجرهم أجر كريم أو ولهم أجر كريم للمبالغة في الترغيب والتشويق الى الموعود ببيان أن الأجر الذي هو المقصد الأقصى من بين سائر آثار الرحمة موجود بالفعل مهيأ لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل ﴿يأيها النبي انا أرسلناك شاهدا﴾ على من بعثت اليهم تراقب أحوالهم وتشاهد أعمالهم وتتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال وتؤديها يوم القيامة أداء مقبولا فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدرة ﴿ومبشرا ونذيرا﴾ تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكافرين بالنار ﴿وداعيا الى الله﴾ أي الى الاقرار به و بوحدانيته و بسائر ما يجب الايمان به من صفاته وأفعاله ﴿باذنه﴾ أي بتيسيره أطلق عليه مجازا لما أنه من أسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بأنها أمر صعب المنال وخطب في غاية الاعضال لا يتأتى الا بامداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة وادخال للاعناق في قلادة غير معهودة ﴿وسراجا منيرا﴾ يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدى بأنواره الى مناهج الرشد والهداية ﴿وبشر المؤمنين﴾ عطف على مقدر يقتضيه المقام و يستدعيه النظام كأنه قيل فراقب أحوال الناس و بشر المؤمنين منهم ﴿بأن لهم من الله فضلا كبيرا﴾ أي على مؤمني سائر الامم في الرتبة والشرف أو زيادة على أجور أعمالهم بطريق التفضل والاحسان ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ نهي عن مداراتهم في أمر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الانذار كنى عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على التهييج والالهاب فقد أبعد عن التحقيق بمراحل ﴿ودع أذاهم﴾ أي لاتبال بأذيتهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والانذار ﴿وتوكل على الله﴾ في كل ماتأتي وما تذر من الشؤن التي من جملتها هذا الشأن فانه تعالى يكفيكهم ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ موكولا اليه الامور في كل الاحوال واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتعليل الحكم وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولما وصف عليه الصلاة والسلام بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا أنه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابل المبشر عليه وهو الامر بالتبشير حسبما ذكر آنفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة في انذارهم كما تحققته وقوبل الداعي الى الله باذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث انه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فان من أيده الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من ظلمات الغي الى نور الرشاد حقيق بأن يكتفي به عن كل ماسواه ﴿يأيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ أي تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء ﴿فما لكم عليهن من عدة﴾ بأيام يتربصن فيها بأنفسهن ﴿تعتدونها﴾ تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عدها لنفسه وكذلك كلته

با كتاله والاسناد الى الرجال للدلالة على أن العدة حق الازواج كما أشعر به قوله تعالى فما لكم وقرئ تعتدونها على
ابدال احدى الدالين بالتاء أو على أنه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها والخلوة الصحيحة فى حكم المس وتخصيص المؤمنات
مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على أن المؤمن من شأنه أن يتخير لنطفته ولا ينكح الامؤمنة وفائدة ثم ازاحة ماعسى
يتوهم أن تراخى الطلاق ريثما تمكن الاصابة يؤثر فى العدة كما يؤثر فى النسب ﴿فمتعوهن﴾ أى ان لم يكن مفروضا لها
فى العقد فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة فانها مستحبة عندنا فى رواية و فى أخرى غير مستحبة
﴿وسرحوهن﴾ أخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة ﴿سراحا جميلا﴾ من غير ضرار و لا منع حق
ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السنى لانه انما يتسنى فى المدخول بهن ﴿يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت
أجورهن﴾ أى مهورهن فانها أجور الابضاع وايتاؤها اما اعطاؤها معجلة او تسميتها فى العقد وأياما كان فتقييد
الاحلال له عليه الصلاة والسلام به ليس لتوقف الحل عليه ضرورة أنه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل أو
المتعة على تقديرى الدخول وعدمه بل لايثار الافضل والاولى له عليه الصلاة والسلام كتقييد احلال المملوكة بكونها
مسبية فى قوله تعالى ﴿وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ فان المشتراة لايتحقق بدء أمرها وماجرى عليها وكتقييد
القرائب بكونهن مهاجرات معه فى قوله تعالى ﴿و بنات عمك و بنات عماتك و بنات خالك و بنات خالاتك اللاتى
هاجرن معك﴾ ويحتمل تقييد الحل بذلك فى حقه عليه الصلاة والسلام خاصة و يعضده قول أم هانئ بنت أبى طالب
خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرنى ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأنى لم أهاجر معه كنت
من الطلقاء ﴿وامرأة مؤمنة﴾ بالنصب عطفا على مفعول أحللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام مطلق
الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف أى أحللناها لك أيضا ﴿ان وهبت نفسها
للنبى﴾ أى ملكته بضعها بأى عبارة كانت بلا مهر ان اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لكن لامطلقا بل عند ارادته عليه
الصلاة والسلام استنكاحها كما نطق به قوله عز وجل ﴿ان أراد النبى أن يستنكحها﴾ أى أن يتملك بضعها كذلك
أى بلا مهر فان ذلك جار منه عليه الصلاة والسلام مجرى القبول وحيث لم يكن هذا نصا فى كون تمليكها بلفظ الهبة لم
يصلح أن يكون مناطا للخلاف فى انعقاد النكاح بلفظ الهبة ايجابا أوسلبا واختلف فى اتفاق هذا العقد فعن ابن عباس
رضى الله عنهما لم يكن عنده عليه الصلاة والسلام أحد منهن بالهبة وقيل الموهوبات أربع ميمونة بنت الحرث و زينب
بنت خزيمة الانصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وايراده عليه الصلاة والسلام فى الموضعين بعنوان النبوة
بطريق الالتفات للتكرمة والايذان بأنها المناط لثبوت الحكم فيختص به عليه الصلاة والسلام حسب اختصاصها به
كما ينطق به قوله تعالى ﴿خالصة لك﴾ أى خلص لك احلالها خالصة أى خلوصا فان الفاعلة فى المصادر غير عزيز
كالعافية والكاذبة أو خلص لك احلال ما أحللنا لك من المذكورات على القيود المذكورة خالصة ومعنى قوله تعالى
﴿من دون المؤمنين﴾ على الاول أن الاحلال المذكور فى المادة المعهودة غير متحقق فى حقهم وانما المتحقق هناك
الاحلال بمهر المثل وعلى الثانى أن احلال الجميع على القيود المذكورة غير متحقق فى حقهم بل المتحقق فيه احلال
البعض المحدود على الوجه المعهود وقرئ خالصة بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أى ذلك خلوص لك وخصوص
أو هى أى تلك المرأة أو الهبة خالصة لك لاتتجاوز المؤمنين حيث لاتحل لهم بغير مهر و لا تصح الهبة بل يجب مهر
المثل وقوله تعالى ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾ أى على المؤمنين ﴿فى أزواجهم﴾ أى فى حقهن اعتراض مقرر لما
قبله من خلوص الاحلال المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان أنه قد فرض عليهم من

شرائط العقد وحقوقه مالم يفرض عليه عليه الصلاة والسلام تكرمة له وتوسعة عليه أي قد علمنا ماينبغي أن يفرض عليهم في حق أزواجهم ﴿ وماملكت أيمـانهم ﴾ وعلى أي حد وأي صفة يحق أن يفرض عليهم ففرضنا مافرضنا على ذلك الوجه وخصصناك ببعض الخصائص ﴿ لكيلا يكون عليك حرج ﴾ أي ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار مافيها من معنى ثبوت الاحلال وحصوله له عليه الصلاة والسلام لا باعتبار اختصاصه به عليه الصلاة والسلام لان مدار انتفاء الحرج هو الاول لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره ﴿ وكان الله غفورا ﴾ لمـا يعسر التحرز عنه ﴿ رحيما ﴾ ولذلك وسع الامر في مواقع الحرج ﴿ ترجي من تشاء منهن ﴾ أي تؤخرها وتترك مضاجعتها ﴿ وتؤوي اليك من تشاء ﴾ وتضم اليك من تشاء منهن وتضاجعها أو تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرئ ترجئ بالهمزة والمعنى واحد ﴿ ومن ابتغيت ﴾ أي طلبت ﴿ ممن عزلت ﴾ طلقت بالرجعة ﴿ فلا جناح عليـك ﴾ في شيء مما ذكر وهذه قسمة جامعة لمـا هو الغرض لانه اما أن يطلق أو يمسك فاذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أولم يقسم واذا طلق فاما أن يخلي المعزولة أو يبتغيها وروي أنه أرجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لهن ماشاء كما شاء وكانت ممـا آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وأرجى خمسا وآوى أربعا وروي أنه كان يسوي بينهن مع ماأطلق له وخير الاسودة فانهـا وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنهن وقالت لاتطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك ﴿ ذلك ﴾ أي ماذكر من تفويض الامر الى مشيئتك ﴿ أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بمـا آتيتهن كلهن ﴾ أي أقرب الى قرة عيونهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منـك وان رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء ونصب أعينهن وتقر على البناء للمفعول وكلهن تأكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب على أنه تأكيد لهن ﴿ والله يعلم مافي قلوبكم ﴾ من الضمائر والخواطر فاجتهدوا في احسانها ﴿ وكان الله عليما ﴾ مبالغا في العلم فيعلم كل ماتبدونه وتخفونه ﴿ حليما ﴾ لايعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتأخيرها فانه امهال لا اهمال ﴿ لايحل لك النساء ﴾ بالياء لان تأنيث الجمع غير حقيقي ولوجود الفصل وقرئ بالتاء ﴿ من بعد ﴾ أي من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا وقال ابن عباس وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بمـا تؤتيهن من الوصل والهجران ﴿ ولا أن تبدل ﴾ أي تتبدل بحذف احدى التاءين ﴿ بهن ﴾ أي بهؤلاء التسع ﴿ من أزواج ﴾ بأن تطلق واحدة منهن وتنكح مكانها أخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق أراد الله تعالى لهن كرامة وجزاء على مااخترن ورضين فقصر رسوله عليهن وهن التسع اللاتي توفي عليه الصلاة والسلام عنهن وهن عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وصفية بنت حي الخيبرية وميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحرث المصطلقية وقال عكرمة المعنى لايحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي أحللناهن لك بالصفة التي تقدم ذكرها من الاعرابيات والغرائب أو من الكتابيات أو من الاماء بالنكاح ويأباه قوله تعالى ولا أن تبدل بهن فان معنى احلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن فلا بد أن يكون معنى التبدل بهن احلال نكاح غيرهن بدل احلال نكاحهن وذلك انمـا يتصور بالنسخ الذي ليس من الوظائف البشرية ﴿ ولو أعجبك حسنهن ﴾ أي حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من أزواج لتوغله في التنكير قيل تقديره مفروضا اعجابك بهن وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم وقيل هي أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب أي هي ممن أعجبه عليه الصلاة والسلام حسنهن واختلف في أن الآية محكمة أو منسوخة قيل

بقوله تعالى ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء وقيل بقوله تعالى انا أحللنا لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل بالسنة وعن عائشة رضى الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء وقال أنس رضى الله عنه مات عليه الصلاة والسلام على التحريم ﴿الا ماملكت يمينك﴾ استثناء من النساء لأنه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع ﴿وكان الله على كل شئ رقيبا﴾ حافظا مهيمنا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطى حلاله الى حرامه ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى﴾ شروع فى بيان مايجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبى عليه الصلاة والسلام اثر بيان مايجب مراعاته عليه عليه الصلاة والسلام من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى ﴿الا أن يؤذن لكم﴾ استثناء مفرغ من أعم الاحوال أى لاتدخلوها فى حال من الاحوال الا حال كونكم مأذونا لكم وقيل من أعم الاوقات أى لاتدخلوها فى وقت من الاوقات الا وقت أن يؤذن لكم ورد عليه بأن النحاة نصوا على أن الوقوع موقع الظرف مختص بالمصدر الصريح دون المؤول لايقال آتيك أن يصيح الديك وانما يقال آتيك صياح الديك وقوله تعالى ﴿الى طعام﴾ متعلق بيؤذن بتضمين معنى الدعاء للاشعار بأنه لاينبغى أن يدخلوا على الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما يشعر به قوله تعالى ﴿غير ناظرين اناه﴾ أى غير منتظرين وقته أو ادراكه وهو حال من فاعل لاتدخلوا على أن الاستثناء واقع على الوقت والحال معاً عند من يجوزه أو من المجرور فى لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير ولامساغ له عند البصريين وقرئ بالامالة لأنه مصدر أنى الطعام أى أدرك ﴿ولكن اذا دعيتم فادخلوا﴾ استدراك من النهى عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة على أن المراد بالاذن الى الطعام هو الدعوة اليه ﴿فاذا طعمتم فانتشروا﴾ فتفرقوا ولاتلبثوا لأنه خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام النبى عليه الصلاة والسلام فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبأمثالهم والا لما جاز لأحد أن يدخل بيوته عليه الصلاة والسلام باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لأمر مهم ﴿ولا مستأنسين لحديث﴾ أى لحديث بعضكم بعضا أو لحديث أهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين أو مقدر بفعل أى ولاتدخلوا أو لاتمكثوا مستأنسين الخ ﴿ان ذلكم﴾ أى الاستئناس الذى كنتم تفعلونه من قبل ﴿كان يؤذى النبى﴾ لتضييق المنزل عليه وعلى أهله وايجابه للاشتغال بما لايعنيه وصده عن الاشتغال بما يعنيه ﴿فيستحيى منكم﴾ أى من اخراجكم لقوله تعالى ﴿والله لايستحيى من الحق﴾ فانه يستدعى أن يكون المستحيى منه أمرا حقا متعلقا بهم لا أنفسهم وما ذاك الا اخراجهم فينبغى أن لايترك حياء ولذلك لم يتركه تعالى وأمركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة وقرئ لايستحى بحذف الياء الاولى والقاء حركتها الى ماقبلها ﴿واذا سألتموهن﴾ الضمير لنساء النبى المدلول عليهن بذكر بيوته عليه الصلاة والسلام ﴿متاعا﴾ أى شيأ يتمتع به من الماعون وغيره ﴿فاسألوهن﴾ أى المتاع ﴿من وراء حجاب﴾ أى ستر روى أن عمر رضى الله عنه قال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصلاة والسلام كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة رضى الله عنها فكره النبى ذلك فنزلت ﴿ذلكم﴾ أى ماذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستئناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع من وراء حجاب ﴿أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ أى أكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية ﴿وما كان لكم﴾ أى وما صح وما استقام لكم ﴿أن تؤذوا رسول الله﴾ أى أن تفعلوا فى حياته فعلا يكرهه ويتأذى به ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا﴾ أى من بعد وفاته أو فراقه ﴿ان ذلكم﴾ اشارة الى ماذكر من ايذائه عليه الصلاة والسلام ونكاح أزواجه من بعده ومافيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته فى الشر والفساد ﴿كان عند الله عظيما﴾ أى أمرا عظيما وخطبا

هائلا لا يقادر قدره وفيه من تعظيمه تعالى لشأن رسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا مالا يخفى و لذلك بالغ تعالى فى الوعيد حيث قال ﴿ان تبدوا شيأ﴾ مما لاخير فيه كنكاحهن على ألسنتكم ﴿أوتخفوه﴾ فى صدوركم ﴿فان الله كان بكل شىء عليما﴾ فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصى البادية والخافية لامحالة و فى هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة فى الوعيد ﴿لاجناح عليهن فى آبائهن و لا أبنائهن و لا اخوانهن و لا أبناء اخوانهن و لا أبناء أخواتهن﴾ استئناف لبيان من لايجب الاحتجاب عنهم روى أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يارسول الله أونكلمهن أيضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لأنهما بمنزلة الوالدين و لذلك سمى العم أبا فى قوله تعالى واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق أو لأنه اكتفى عن ذكرهما بذكر أبناء الاخوة وأبناء الاخوات فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن و بين الفريقين عين ما بينهن و بين العم والخال من العمومة والخؤولة لما أنهن عمات لأبناء الاخوة و خالات لأبناء الاخوات وقيل لأنه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة أن يصفاهن لأبنائهما ﴿ولا نسائهن﴾ أى نساء المؤمنات ﴿ولا ماملكت أيمانهن﴾ من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر فى سورة النور ﴿واتقين الله﴾ فى كل ماتأتين وماتذرن لاسيما فيما أمرتن به ونهيتن عنه ﴿ان الله كان على كل شىء شهيدا﴾ لاتخفى عليه خافية و لاتتفاوت فى علمه الاحوال ﴿ان الله وملائكته﴾ وقرىء وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين وحملا على حذف الخبر ثقة بدلالة مابعده عليه على رأى البصريين ﴿يصلون على النبى﴾ قيل الصلاة من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال ابن عباس رضى الله عنهما أراد أن الله يرحمه والملائكة يدعون له وعنه أيضا يصلون يبركون وقال أبو العالية صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاتهم دعاؤهم له فينبغى أن يراد بها فى يصلون معنى مجازى عام يكون كل واحد من المعانى المذكورة فردا حقيقيا له أى يعتنون بما فيه خيره وصلاح أمره و يهتمون باظهار شرفه وتعظيم شأنه وذلك من الله سبحانه بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار ﴿يأيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ اعتنوا أنتم أيضا بذلك فانكم أولى به ﴿وسلموا تسليما﴾ قائلين اللهم صل على محمد وسلم أو نحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد أمره والآية دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب التكرار وعدمه وقيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على وقوله عليه الصلاة والسلام من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله و يروى أنه عليه الصلاة والسلام قال وكل الله تعالى بى ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلى على الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين و لا أذكر عند مسلم فلا يصلى على الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله تعالى و ملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ومنهم من قال يجب فى كل مجلس مرة وان تكرر ذكره عليه الصلاة والسلام كما قيل فى آية السجدة وتشميت العاطس و كذلك فى كل دعاء فى أوله و آخره ومنهم من قال بالوجوب فى العمر مرة و كذا قال فى اظهار الشهادتين والذى يقتضيه الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شأنه عليه الصلاة والسلام أن يصلى عليه كلما جرى ذكره الرفيع وأما الصلاة عليه فى الصلاة بأن يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد فليست بشرط فى جواز الصلاة عندنا وعن ابراهيم النخعى رحمه الله أن الصحابة كانوا يكتفون عن ذلك بما فى التشهد وهو السلام عليك أيها النبى وأما الشافعى رحمه الله فقد جعلها شرطا وأما الصلاة على غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام فتجوز تبعا وتكره استقلالا لأنه فى العرف شعار ذكر الرسل و لذلك كره أن يقال محمد عزوجل مع كونه عزيزا جليلا ﴿ان الذين يؤذون

الله ورسوله ﴾ أريد بالايذاء امافعل مايكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لاستحالة حقيقة التأذي في حقه تعالى وقيل في
ايذائه تعالى هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام
شركاؤه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول الذين يلحدون في آياته وفي ايذاء الرسول عليه الصلاة والسلام هو قولهم شاعر
ساحر كاهن مجنون وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم أحد وقيل طعنهم في نكاح صفية والحق هو العموم فيهما
واما ايذاؤه عليه الصلاة والسلام خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل لتعظيمه والايذان بجلالة مقداره عنده
تعالى وأن ايذاءه عليه الصلاة والسلام ايذاء له سبحانه ﴿لعنهم الله﴾ طردهم وأبعدهم من رحمته ﴿في الدنيا
والآخرة﴾ بحيث لايكادون ينالون فيهما شيئا منها ﴿وأعد لهم﴾ مع ذلك ﴿عذابا مهينا﴾ يصيبهم في الآخرة
خاصة ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات﴾ يفعلون بهم ما يتأذون به من قول أو فعل وتقييده بقوله تعالى
﴿بغير ما اكتسبوا﴾ أي بغير جناية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه فيما قبله للايذان بأن أذى الله ورسوله
لايكون الا غير حق وأما أذى هؤلاء فمنه ومنه ﴿فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا﴾ أي ظاهرا بينا قيل انها
نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه مالا خير فيه وقيل في أهل الافك وقال الضحاك
والكلبي في زناة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن وكانوا لا يتعرضون الا للاماء ولكن ربما كان يقع
منهم التعرض للحرائر أيضا جهلا أو تجاهلا لاتحاد الكل في الزي واللباس والظاهر عمومه لكل ماذكر ولما سيأتي من
أراجيف المرجفين ﴿يا أيها النبي﴾ بعد مابين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن الايذاء أمر النبي عليه الصلاة والسلام
بأن يأمر بعض المتأذين منهم بما يدفع ايذاءهم في الجملة من الستر والتميز عن مواقع الايذاء فقيل ﴿قل لأزواجك
وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ الجلباب ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على
رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وقيل هي الملحفة وكل ما يستتر به أي يغطين بها وجوههن وأبدانهن اذا برزن
لداعية من الدواعي ومن للتبعيض لما مر من أن المعهود التلفع ببعضها وارخاء بعضها وعن السدي تغطي احدى عينيها
وجبهتها والشق الآخر الا العين ﴿ذلك﴾ أي ما ذكر من التغطي ﴿أدنى﴾ أقرب ﴿أن يعرفن﴾ ويميزن عن
الاماء والقينات اللاتي هن مواقع تعرضهم وايذائهم ﴿فلا يؤذين﴾ من جهة أهل الريبة بالتعرض لهن ﴿وكان الله
غفورا﴾ لما سلف منهن من التفريط ﴿رحيما﴾ بعباده حيث يراعي من مصالحهم أمثال هاتيك الجزئيات ﴿لئن لم
ينته المنافقون﴾ عما هم عليه من النفاق وأحكامه الموجبة للايذاء ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ عما هم عليه من التزلزل
وما يستتبعه مما لا خير فيه ﴿والمرجفون في المدينة﴾ من الفريقين عما هم عليه من نشر أخبار السوء عن سرايا
المسلمين وغير ذلك من الأراجيف الملفقة المستتبعة للاذية وأصل الارجاف التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة
وصفت به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة ﴿لنغرينك بهم﴾ لنأمرنك بقتالهم واجلائهم أو بما يضطرهم
الى الجلاء ولنحرضنك على ذلك ﴿ثم لا يجاورونك﴾ عطف على جواب القسم وثم للدلالة على أن الجلاء ومفارقة
جوار الرسول عليه الصلاة والسلام أعظم ما يصيبهم ﴿فيها﴾ أي في المدينة ﴿الا قليلا﴾ زمانا أو جوارا قليلا
ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه ﴿ملعونين﴾ نصب على الشتم أو الحال على أن الاستثناء وارد عليه أيضا على
رأي من يجوزه كما مر في قوله تعالى غير ناظرين اناه ولا سبيل الى انتصابه عن قوله تعالى ﴿أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا
تقتيلا﴾ لأن ما بعد كلمة الشرط لايعمل فيما قبلها ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾ أي سن الله ذلك في الأمم
الماضية سنة وهي أن يقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وسعوا في توهين أمرهم بالارجاف ونحوه أينما

ثقفوا ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ أصلا لابتنائها على أساس الحكمة التى عليها يدور فلك التشريع ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾ أى عن وقت قيامها كان المشركون يسألونه عليه الصلاة والسلام عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود امتحانا لما أن الله تعالى عمى وقتها فى التوراة وسائر الكتب ﴿قل انما علمها عند الله﴾ لايطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى ﴿ومايدريك﴾ خطاب مستقل له عليه الصلاة والسلام غير داخل تحت الأمر مسوق لبيان أنها مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجئ عن قريب أى أى شئ يعلمك بوقت قيامها أى لايعلمك به شئ أصلا ﴿لعل الساعة تكون قريبا﴾ أى شيئاً قريبا أو تكون الساعة فى وقت قريب وانتصابه على الظرفية ويجوز أن يكون التذكير باعتبار أن الساعة فى معنى اليوم أو الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والاظهار فى حيز الاضمار للتهويل وزيادة التقرير وتأكيد استقلال الجملة كما أشير اليه ﴿ان الله لعن الكافرين﴾ على الاطلاق أى طردهم وأبعدهم من رحمته العاجلة والآجلة ﴿وأعد لهم﴾ مع ذلك ﴿سعيرا﴾ نارا شديدة الاتقاد يقاسونها فى الآخرة ﴿خالدين فيها أبدا لايجدون وليا﴾ يحفظهم ﴿ولا نصيرا﴾ يخلصهم منها ﴿يوم تقلب وجوههم فى النار﴾ ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدين وقيل لنصيرا وقيل مفعول لاذكر أى يوم تصرف وجوههم فيها من جهة الى جهة كلحم يشوى فى النار أو يطبخ فى القدر فيدور به الغليان من جهة الى جهة أو من حال الى حال أو يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرئ تقلب بحذف احدى التاءين من تتقلب ونقلب باسناد الفعل الى نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب باسناده الى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما أنها أكرم الاعضاء ففيه مزيد تفظيع للامر وتهويل للخطب ويجوز أن تكون عبارة عن كل الجسد فقوله تعالى ﴿يقولون﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية حالهم الفظيعة كأنه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على مافاتهم ﴿ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ فلا نبتلى بهذا العذاب أو حال من ضمير وجوههم أو من نفسها أو هو العامل فى يوم ﴿وقالوا﴾ عطف على يقولون والعدول الى صيغة الماضى للاشعار بأن قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار أرادوا به ضربا من التشفى بمضاعفة عذاب الذين ألقوهم فى تلك الورطة وان علموا عدم قبوله فى حق خلاصهم منها ﴿ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا﴾ يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا للدلالة على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار والا فهم فى مقام التحقير والاهانة ﴿فأضلونا السبيلا﴾ بمازينوا لنا من الاباطيل والالف للاطلاق كما فى وأطعنا الرسولا ﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾ أى مثلى العذاب الذى آتيتناه لانهم ضلوا وأضلوا ﴿والعنهم لعنا كبيرا﴾ أى شديدا عظيما وقرئ كثيرا وتصدير الدعاء بالنداء مكررا للمبالغة فى الجؤار واستدعاء الاجابة ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى﴾ قيل نزلت فى شأن زيد وزينب وماسمع فيه من قالة الناس ﴿فبرأه الله مما قالوا﴾ أى فأظهر براءته عليه الصلاة والسلام مما قالوا فى حقه أى من مضمونه ومؤداه الذى هو الامر المعيب وذلك أن قارون أغرى مومسة على قذفه عليه الصلاة والسلام بنفسها بأن دفع اليها مالا عظيما فأظهر الله تعالى نزاهته عليه الصلاة والسلام عن ذلك بأن أقرت المومسة بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون مافعل كما فصل فى سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل هرون عند خروجه معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى رأوه غير مقتول وقيل أحياه الله تعالى فأخبرهم ببراءته وقيل قذفوه بعيب فى بدنه من برص أو أدرة لفرط تستره حياء فأطلعهم الله تعالى على براءته بأن فر الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند اغتساله والقصة مشهورة ﴿وكان عند الله وجيها﴾ ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله

وجيها ﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ أى فى كل ماتأتون وما تذرون لاسيما فى ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذى رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿ وقولوا ﴾ فى كل شأن من الشئون ﴿ قولا سديدا ﴾ قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد ﴿ يصلح لكم أعمالكم ﴾ يوفقكم للاعمال الصالحة أو يصلحها بالقبول والاثابة عليها ﴿ ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ ويجعلها مكفرة باستقامتكم فى القول والعمل ﴿ ومن يطع الله ورسوله ﴾ فى الأوامر والنواهى التى من جملتها هذه التكليفات ﴿ فقد فاز ﴾ فى الدارين ﴿ فوزا عظيما ﴾ لايقادر قدره ولا يبلغ غايته ﴿ انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ﴾ لما بين عظم شأن طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الأليم ومنال المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شأن ما يوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة أمرها بطريق التمثيل مع الايذان بأن ماصدر عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالأمانة تنبيها على أنها حقوق مرعية أودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم عليها وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وأمرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وأدائها من غير اخلال بشىء من حقوقها وعبر عن اعتبارها بالنسبة الى استعداد ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض عليهن لاظهار مزيد الاعتناء بأمرها والرغبة فى قبولهن لها وعن عدم استعدادهن لقبولها بالاباء والاشفاق منها لتهويل أمرها وتربية فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الاجسام الثقيلة التى يستعمل فيها القوى الجسمانية التى أشدها وأعظمها مافيهن من القوة والشدة والمعنى أن تلك الأمانة فى عظم الشأن بحيث لو كلفت هاتيك الاجرام العظام التى هى مثل فى القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وادراك لأبين قبولها وأشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق روما لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه ﴿ وحملها الانسان ﴾ أى عند عرضها عليه اما باعتبارها بالاضافة الى استعداده أو بتكليفه اياها يوم الميثاق أى تكلفها والتزمها مع مافيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو اما عبارة عن قبوله لها بموجب استعداده الفطرى أو عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى ﴿ انه كان ظلوما جهولا ﴾ اعتراض وسط بين الحمل وغايته للايذان من أول الأمر بعدم وفائه بما عهده وتحمله أى انه كان مفرطا فى الظلم مبالغا فى الجهل أى بحسب غالب أفراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة أو اعترافهم السابق دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلا والى الفريق الأول أشير بقوله عز وجل ﴿ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ﴾ أى حملها الانسان ليعذب الله بعض أفراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على أن اللام للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضا له من الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة الى بعض أفراده ترتب الاغراض على الأفعال المعللة بها أبرز فى معرض الغرض أى كان عاقبة حمل الانسان لها أن يعذب الله تعالى هؤلاء من أفراده لخيانتهم الأمانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية والى الفريق الثانى أشير بقوله تعالى ﴿ ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ﴾ أى كان عاقبة حمله لها أن يتوب الله تعالى على هؤلاء من أفراده أى يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم من فرطات قلما يخلو عنها الانسان بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة والانابة والالتفات الى الاسم الجليل أولا لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار فى موقع الاضمار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء بأمر المؤمنين توفية لكل من مقامى الوعيد والوعد حقه والله تعالى أعلم وجعل الأمانة التى شأنها أن تكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التى هى من أفعال المكلفين التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل الكلام

على تقرير الوعد الكريم الذى ينبئ عنه قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما بحمل تعظيم شأن الطاعة ذريعة الى ذلك بأن من قام بحقوق مثل هذا الأمر العظيم الشأن وراعاها فهو جدير بأن يفوز بخير الدارين بإباه ووصفه بالظلم والجهل أولا وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانيا وقيل المراد بالأمانة مطلق الانقياد الشامل للطبيعى والاختيارى وبعرضها استدعاؤها الذى يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها فيكون الاباء امتناعا عن الخيانة واتيانا بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها أبين الخيانة لأمانتها وأتين بما أمرناهن به كقوله تعالى أتينا طائعين وخانها الانسان حيث لم يأت بما أمرناه به انه كان ظلوما جهولا وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها انى فرضت فريضة وخلقت جنة لمن أطاعنى فيها ونارا لمن عصانى فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لانحتمل فريضة ولا نبغى ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد بالأمانة العقل أو التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وباباتهن الاباء الطبيعى الذى هو عدم اللياقة والاستعداد لها وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية هذا قريب من التحقيق فتأمل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستئناف ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ مبالغا فى المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعاتهم . قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها أهله وماملكت يمينه أعطى الامان من عذاب القبر والله أعلم

سورة سبا

(مكية وقيل الا ويرى الذين أوتوا العلم الآية وهى خمس وأربعون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الحمد لله الذى له مافى السموات ومافى الارض﴾ أى له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة جميع ماوجد فيهما داخلا فى حقيقتهما أو خارجا عنهما متمكنا فيهما فكأنه قيل له جميع المخلوقات كما مر فى آية الكرسى ووصفه تعالى بذلك لتقرير ماأفاده تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع أفراده به تعالى على مابين فى فاتحة الكتاب ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ماسواه من الموجودات التى من جملتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس لها فى حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شأنه فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذى مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع أفراده به تعالى وقوله تعالى ﴿وله الحمد فى الآخرة﴾ بيان لاختصاص الحمد الأخروى به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوى به على أن الجار متعلق اما بنفس الحمد أو بما تعلق به الخبر من الاستقرار واطلاقه عن ذكر مايشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه فى الآخرة عن التعيين كما اكتفى فيما سبق بذكر كون المحمود عليه فى الدنيا عن ذكر كون الحمد أيضا فيها بل ليعم النعم الأخروية كما فى قوله تعالى الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة وقوله تعالى الذى أحلنا دار المقامة من فضله الآية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية كما فى قوله تعالى الحمد لله الذى هدانا لهذا أى لما جزاؤه هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعمتى الدنيا والآخرة بطريق التفضل أن الأول على نهج العبادة والثانى على وجه التلذذ والاغتباط وقد ورد فى الخبر أنهم يلهمون

التسبيح كما يلهمون النفس ﴿وهو الحكيم﴾ الذي أحكم أمور الدين والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة ﴿الخبير﴾ ببواطن الاشياء ومكنوناتها وقوله تعالى ﴿يعلم مايلج فى الارض﴾ الخ تفصيل لبعض مايحيط به علمه من الامور التى نيطت بها مصالحهم الدنيوية والدينية أى يعلم مايدخل فيها من الغيث والكنوز والدفائن والاموات ونحوها ﴿ومايخرج منها﴾ كالحيوان والنبات وماء العيون ونحوها ﴿وما ينزل من السماء﴾ كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرىء وما ننزل بالتشديد ونون العظمة ﴿وما يعرج فيها﴾ كالملائكة وأعمال العباد والابخرة والادخنة ﴿وهو الرحيم﴾ للحامدين على ما ذكر من نعمه ﴿الغفور﴾ للمفرطين فى ذلك بلطفه وكرمه ﴿وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة﴾ أرادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا أنفسهم أو معاصريهم فقط كما أرادوا بنفى اتيانها نفى وجودها بالكلية لاعدم حضورها مع تحققها فى نفس الامر وانما عبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ولان وجود الامور الزمانية المستقبلة لاسيما أجزاء الزمان لايكون الابالاتيان والحضور وقيل هو استبطاء لاتيانها الموعود بطريق الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد ﴿قل بلى﴾ رد لكلامهم واثبات لما نفوه على معنى ليس الامر الا اتيانها وقوله تعالى ﴿وربى لتأتينكم﴾ تأكيد له على أتم الوجوه وأكملها وقرىء ليأتينكم على تأويل الساعة باليوم أو الوقت وقوله تعالى ﴿عالم الغيب﴾ الخ امداد للتأكيد وتسديد له اثر تسديد وكسر لسورة تكبرهم واستبعادهم فان تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الاطلاق يؤذن بفخامة شأن المقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما أن ذلك فى حكم الاستشهاد على الامر ولا ريب فى أن المستشهد به كلما كان أجل وأعلا كانت الشهادة آكد وأقوى والمستشهد عليه أحق بالثبوت وأولى لاسيما اذا خص بالذكر من النعوت ماله تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فان وصفه بعلم الغيب الذى أشهر أفراده وأدخلها فى الخفاء هو المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لايحوم حوله شائبة ريب ما وفائدة الامر بهذه المرتبة من اليمين أن لايبقى للمعاندين عذر ما أصلا فانهم كانوا يعرفون أمانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليمين الفاجرة وانما لم يصدقوه مكابرة وقرىء علام الغيب وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح ﴿لايعزب عنه﴾ أى لايبعد وقرىء بكسر الزاى ﴿مثقال ذرة﴾ مقدار أصغر نملة ﴿فى السموات ولا فى الارض﴾ أى كائنة فيهما ﴿ولا أصغر من ذلك﴾ أى من مثقال ذرة ﴿ولا أكبر﴾ أى منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى ﴿الا فى كتاب مبين﴾ هو اللوح المحفوظ والجملة مؤكدة لنفى العزوب وقرىء ولا أصغر ولا أكبر بفتح الراء على نفى الجنس ولا يجوز أن يعطف المرفوع على مثقال ولا المفتوح على ذرة بأنه فتح فى حيز الجر لامتناع الصرف لما أن الاستثناء يمنعه الا أن يجعل الضمير فى عنه للغيب ويجعل المثبت فى اللوح خارجا عنه لبروزه للمطالعين له فيكون المعنى لاينفصل عن الغيب شىء الا مسطورا فى اللوح ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ علة لقوله تعالى لتأتينكم وبيان لما يقتضى اتيانها ﴿أولئك﴾ اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل والشرف أى أولئك الموصوفون بالصفات الجليلة ﴿لهم﴾ بسبب ذلك ﴿مغفرة﴾ لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر ﴿ورزق كريم﴾ لا تعب فيه ولا من عليه ﴿والذين سعوا فى آياتنا﴾ بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها ﴿معاجزين﴾ أى مسابقين كى يفوتونا وقرىء معجزين أى مثبطين عن الايمان من أراده ﴿أولئك لهم عذاب﴾ الكلام فيه كالذى مر آنفا ومن فى قوله تعالى ﴿من رجز﴾ للبيان قال قتادة رضى الله عنه الرجز سوء العذاب وقوله تعالى ﴿أليم﴾ بالرفع صفة عذاب أى أولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب شديد الايلام وقرىء أليم بالجر صفة لرجز ﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ أى يعلم أولو العلم من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شايعهم من علماء الامة أو من آمن من علماء أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وكعب وأضرابهما رضى الله عنهم ﴿ الذى أنزل اليك من ربك ﴾ أى القرآن ﴿ هو الحق ﴾ بالنصب على أنه مفعول ثان ليرى والمفعول الأول هو الموصول الثانى وهو ضمير الفصل وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر والجملة هو المفعول الثانى ليرى وقوله تعالى ويرى الخ مستأنف مسوق للاستشهاد بأولى العلم على الجهلة الساعين فى الآيات وقيل منصوب عطفا على يجزى أى وليعلم أولو العلم عند مجىء الساعة معاينة أنه الحق حسبما علموه الآن برهانا ويحتجوا به على المكذبين وقد جوز أن يراد بأولى العلم من لم يؤمن من الاحبار أى ليعلموا يومئذ أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما ﴿ ويهدى ﴾ عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لانه فى تأويله كما فى قوله تعالى صافات ويقبضن أى وقابضات كانه قيل ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك الحق وهاديا ﴿ الى صراط العزيز الحميد ﴾ الذى هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل مستأنف وقيل حال من الذى أنزل على اضمار مبتدأ أى وهو يهدى كما فى قول من قال نجوت وأرهنهم مالكا ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ هم كفار قريش قالوا مخاطبا بعضهم لبعض ﴿ هل ندلكم على رجل ﴾ يعنون به النبى عليه الصلاة والسلام وانما قصدوا بالتنكير الطنز والسخرية قاتلهم الله تعالى ﴿ ينبئكم ﴾ أى يحدثكم بعجب عجاب وقرئ ينبئكم من الانباء ﴿ اذا مزقتم كل ممزق ﴾ أى اذا متم ومزقت أجسادكم كل تمزيق وفرقت كل تفريق بحيث صرتم ترابا ورفاتا ﴿ انكم لفى خلق جديد ﴾ أى مستقرون فيه عدل اليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون أو تخلقون خلقا جديدا للاشباع فى الاستبعاد والتعجيب وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه مادل عليه المذكور لا نفسه لما أن مابعد ان لا يعمل فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد وقل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه ثم شاع ﴿ أفترى على الله كذبا ﴾ فيما قاله ﴿ أم به جنة ﴾ أى جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه والاستدلال بهذا الترديد على أن بين الصدق والكذب واسطة هو ما لا يكون من الاخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور كون الافتراء أخص من الكذب ﴿ بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد ﴾ جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالاضراب عن شقيه وابطالهما واثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلاءهم بما قالوا فى حقه عليه الصلاة والسلام كانه قيل ليس الأمر كما زعموا بل هم فى كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذى هو الجنون حقيقة وفيما يؤدى اليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه ويستتبعه للمسارعة الى بيان ما يسوؤهم ويفت فى أعضادهم والاشعار بغاية سرعة ترتبه عليه كانه يسابقه فيسبقه ووصف الضلال بالبعد الذى هو وصف الضال للمبالغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما فى حيز الصلة على أن علة ما ارتكبوه واجترؤا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالآخرة وما فيها من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى ﴿ أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ﴾ استئناف مسوق لتهويل ما اجترؤا عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام ما قالوا فى حقه عليه الصلاة والسلام وأنه من العظائم الموجبة لنزول أشد العقاب وحلول أفظع العذاب من غير ريث وتأخير والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى ﴿ ان نشأ ﴾ الخ بيان لما ينبئ عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على أنه لم يبق من أسباب وقوعه الا تعلق المشيئة به أى أفعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا الى ما أحاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص ان نشأ جريا على موجب جناياتهم ﴿ نخسف بهم الأرض ﴾ كما خسفناها بقارون ﴿ أو نسقط عليهم كسفا ﴾ أى قطعا ﴿ من السماء ﴾ كما أسقطناها على

أصحاب الأيكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديد عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا الى ما أحاط بجوانبهم من السماء والأرض ولم يتفكروا أهم أشد خلقا أم هي وان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات فتأمل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى أفترى على الله وكسفا بسكون السين ﴿ان فى ذلك﴾ أى فيما ذكر من السماء والأرض من حيث احاطتهما بالناظر من جميع الجوانب أو فيما تلى من الوحى الناطق بما ذكر ﴿لآية﴾ واضحة ﴿لكل عبد منيب﴾ شأنه الانابة الى ربه فانه اذا تأمل فيهما أو فى الوحى المذكور ينزجر عن تعاطى القبائح وينيب اليه تعالى وفيه حث بليغ على التوبة والانابة وقد أكد ذلك بقوله تعالى ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا﴾ أى آتيناه لحسن انابته وصحة توبته فضلا على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أى نوعا من الفضل وهو ماذكر بعد فانه معجزة خاصة به عليه الصلاة والسلام أو على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن فتنكيره للتفخيم ومنا لتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية كما فى قوله تعالى وآتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ماحقه التقديم اذا أخر تبق النفس مترقبة له فاذا وردها يتمكن عندها فضل تمكن ﴿ياجبال أوبى معه﴾ من التأويب أى رجعى معه التسبيح أو النوحة على الذنب وذلك اما بأن يخلق الله تعالى فيها صوتا مثل صوته كما خلق الكلام فى الشجرة أو بأن يتمثل له ذلك وقرئ أوبى من الاوب أى ارجعى معه فى التسبيح كلما رجع فيه وكان كلما سبح عليه الصلاة والسلام يسمع من الجبال مايسمع من المسبح معجزة له عليه الصلاة والسلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه بأصدائها والطير بأصواتها وهو بدل من آتينا باضمار قلنا أو من فضلا باضمار قولنا ﴿والطير﴾ بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءها اياه عليه الصلاة والسلام تسخيرها له فلا حاجة الى اضماره كما نقل عن الكسائى ولا الى تقدير مضاف أى تسبيح الطير كما نقل عنه فى رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى مالا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على أنه مفعول معه والأول هو الوجه وفى تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لأمره تعالى المذعنين لحكمه المشعر بأنه مامن حيوان وجماد وصامت وناطق الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شأنه تعالى وكمال كبرياء سلطانه مالا يخفى على أولى الألباب ﴿وألناله الحديد﴾ أى جعلناه لينا فى نفسه كالشمع يصرفه فى يده كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة أو جعلناه بالنسبة الى قوته التى آتيناها اياه لينا كالشمع بالنسبة الى سائر القوى البشرية ﴿أن اعمل﴾ أمرناه أن اعمل على أن أن مصدرية حذف عنها الباء وفى حملها على المفسرة تكلف لايخفى ﴿سابغات﴾ واسعات وقرئ صابغات وهى الدروع الواسعة الضافية وهو عليه الصلاة والسلام أول من اتخذها وكانت قبل صفائح قالوا كان عليه الصلاة والسلام حين ملك على بنى اسرائيل يخرج متنكرا فيسأل الناس ما تقولون فى داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى له ملكا فى صورة آدمى فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله عنها فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سأل ربه أن يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء ﴿وقدر فى السرد﴾ السرد نسج الدروع أى اقتصد فى نسجها بحيث تتناسب حلقها وقيل قدر فى مساميرها فلا تعملها دقاقا ولا غلاظا ورد بأن دروعه عليه الصلاة والسلام لم تكن مسمرة كما ينبئ عنه إلانة الحديد وقيل معنى قدر فى السرد لاتصرف جميع

أوقاتك اليه بل مقدار مايحصل به القوت وأما الباقى فاصرفه الى العبادة وهو الانسب بقوله تعالى ﴿واعملوا صالحا﴾ عم الخطاب حسب عموم التكليف له عليه الصلاة والسلام ولاهله ﴿انى بما تعملون بصير﴾ تعليل للامر أو لوجوب الامتثال به ﴿ولسليمان الريح﴾ أى وسخرنا له الريح وقرئ برفع الريح أى ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح ﴿غدوها شهر ورواحها شهر﴾ أى جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك والجملة اما مستأنفة أو حال من الريح وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن رحمه الله كان يغدو أى من دمشق فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل وقيل كان يتغدى بالرى ويتعشى بسمرقند ويحكى أن بعضهم رأى مكتوبا فى منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشأم ان شاء الله تعالى ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ أى النحاس المذاب أساله من معدنه كما ألان الحديد لداود عليهما السلام فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سمى عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل فى الشهر ثلاثة أيام وقوله تعالى ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه﴾ اما جملة من مبتدأ وخبر أو من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة ﴿باذن ربه﴾ بأمره تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿ومن يزغ منهم عن أمرنا﴾ أى ومن يعدل منهم عما أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ على البناء للمفعول من أزاغه ﴿نذقه من عذاب السعير﴾ أى عذاب النار فى الآخرة روى عن السدى رحمه الله كان معه ملك بيده سوط من نار كل من استعصى عليه ضربه من حيث لايراه الجنى ﴿يعملون له مايشاء﴾ تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله تعالى ﴿من محاريب﴾ الخ بيان لما يشاء أى من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هى المساجد ﴿وتماثيل﴾ وصور الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام على ماعتادوه فانها كانت تعمل حينئذ فى المساجد ليراها الناس ويعبدوا مثل عباداتهم وحرمة التصاوير شرع جديد وروى أنهم عملوا أسدين فى أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان ذراعيهما واذا قعد أظله النسران بأجنحتهما ﴿وجفان﴾ جمع جفنة وهى الصحفة ﴿كالجواب﴾ كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية لاجتماع الماء فيها وهى من الصفات الغالبة كالدابة وقرئ باثبات الياء قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل ﴿وقدور راسيات﴾ ثابتات على الاثافى لاتنزل عنها لعظمها ﴿اعملوا آل داود شكرا﴾ حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على أنه مفعول له أو مصدر لاعملوا لان العمل للمنعم شكر له أو لفعله المحذوف أى اشكروا شكرا أو حال أى شاكرين أو مفعول به أى اعملوا شكرا ﴿وقليل من عبادى الشكور﴾ أى المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لايوفى حقه لان التوفيق للشكر نعمة تستدعى شكرا آخر لاالى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروى أنه عليه الصلاة والسلام جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات الاوانسان من آل داود قائم يصلى ﴿فلما قضينا عليه الموت﴾ أى على سليمان عليه السلام ﴿ما دلهم﴾ أى الجن أو آله ﴿على موته الادابة الأرض﴾ أى الارضة أضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال أرضت الارضة الخشبة أرضا فأرضت أرضا مثل أكلت القوادح أسنانه أكلا فأكلت أكلا ﴿تأكل منسأته﴾ أى عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها مايطرد وقرئ منساته بألف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة وباخراجها بين بين عند الوقف ومنساءته على مفعالة كميضاءة فى ميضأة ومن سأته أى من طرف عصاه من سأة القوس وفيه لغتان كما فى قحة بالكسر والفتح وقرئ أكلت منساته ﴿فلما خر تبينت الجن﴾ من تبينت الشئ اذا علمته بعد التباسه عليك أى علمت الجن علما بينا بعد التباس الأمر عليهم ﴿أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين﴾ أى أنهم لو كانوا

يعلمون الغيب كما زعموا لعلموا موته عليه الصلاة والسلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى أن خر أو من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى أي ظهرت الجن وأن مع ما في حيزها بدل اشتمال من الجن أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب الخ وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على أن المتبين في الحقيقة هو أن مع ما في حيزها لانه بدل وقرئ تبينت الانس والضمير في كانوا للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي أن داود عليه السلام أسس بنيان بيت المقدس في موضع فسطاط موسى فتوفي قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليهما السلام فاستعمل فيه الجن والشياطين فباشروه حتى اذا دنا أجله وعلم به سأل ربه أن يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك وهم فيما أمروا به من الاعمال حتى أكلت الارضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى عليه الصلاة والسلام فلم يكن ينظر اليه شيطان في صلاته الا احترق فمر به يوما شيطان فنظر فاذا سليمان عليه السلام قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا عصاه قد أكلتها الارضة فأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فأكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه ﴿لقد كان لسبأ﴾ بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى اثر بيان أحوال الشاكرين لها أي لاولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف على أنه اسم القبيلة وقرئ بقلب الهمزة ألفا ولعله اخراج لها بين بين ﴿في مسكنهم﴾ وقرئ بكسر الكاف كالمسجد وقرئ بلفظ الجمع أي مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال ﴿آية﴾ دالة بملاحظة أحوالها السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة المجازي للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام ﴿جنتان﴾ بدل من آية أو خبر لمبتدأ محذوف أي هي جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين ﴿عن يمين وشمال﴾ جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة من تينك الجماعتين في تقاربهما وتضامهما كأنهما جنة واحدة أو بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله ﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾ حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها أو لما نطق به لسان الحال أو بيان لكونهم أحقاء بأن يقال لهم ذلك ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾ استئناف مبين لما يوجب الشكر المأمور به أي بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كان أطيب البلاد هواء وأخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير فيما بين الاشجار فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيه من مؤذيات الهوام شيء ﴿فأعرضوا﴾ عن الشكر بعد ابانة الآيات الداعية لهم اليه قيل أرسل الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعمه وأنذروهم عقابه فكذبوهم ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ أي سيل الامر العرم أي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب أو المطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذي يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذي يجعل سدا وقيل هو البناء الرصين الذي بنته الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل العرم الجرذ الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الفأر الاعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدهم فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي وقرئ العرم

بسكون الراء قالوا كان ذلك فى الفترة التى كانت بين عيسى والنبى عليهما الصلاة والسلام ﴿ وبدلناهم بجنتيهم ﴾ أى أذهبنا جنتيهم وآتيناهم بدلهما ﴿ جنتين ذواتى أكل خمط ﴾ أى ثمر بشع فان الخمط كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله وقيل هو الحامض والمر من كل شئ وقيل هو ثمر شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع بها وقيل هو الاراك أو كل شجر ذى شوك والتقدير أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقرئ أكل خمط بالاضافة وبتخفيف أكل ﴿ وأثل وشئ من سدر قليل ﴾ معطوفان على أكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء وقيل شجر يشبهه أعظم منه ولا ثمر له وقرئ وأثلا وشيأ عطفا على جنتين قيل وصف السدر بالقلة لما أن جناه وهو النبق مما يطيب أكله ولذلك يغرس فى البساتين والصحيح أن السدر صنفان صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة لا تؤكل أصلا ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد ههنا هو الثانى حتما وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله تعالى من شر الشجر بأعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى مصدر قوله تعالى ﴿ جزيناهم ﴾ أو الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته فى الفظاعة ومحله على الاول النصب على أنه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثانى النصب على أنه مفعول ثان له أى ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء آخر أو ذلك التبديل جزيناهم لا غيره ﴿ بما كفروا ﴾ بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها أو بسبب كفرهم بالرسل ﴿ وهل نجازى الا الكفور ﴾ أى وما نجازى هذا الجزاء الا المبالغ فى الكفران أو الكفر وقرئ يجازى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل يجازى على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجزى على البناء للمفعول أيضا وهذا بيان ما أوتوا من النعم الحاضرة فى مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها ﴾ حكاية لما أوتوا من النعم البادية فى مسايرهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا لعاقبتهم وانما لم يذكر الكل معا لما فى التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان لسبأ لا على ما بعده من الجمل الناطقة بأفعالهم أو بأجزيتها أى وجعلنا مع ما آتيناهم فى مساكنهم من فنون النعم بينهم أى بين بلادهم وبين القرى الشامية التى باركنا فيها للعالمين ﴿ قرى ظاهرة ﴾ متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهى ظاهرة لأعين أهلها أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم ﴿ وقدرنا فيها السير ﴾ أى جعلناها فى نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين يليق بحال أبناء السبيل قيل كان الغادى من قرية يقيل فى أخرى والرائح منها يبيت فى أخرى الى أن يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلا لما أوتوا من أنواع النعماء وتوفيرا لها فى الحضر والسفر ﴿ سيروا فيها ﴾ على ارادة القول أى وقلنا لهم سيروا فى تلك القرى ﴿ ليالى وأياما ﴾ أى متى شئتم من الليالى والأيام ﴿ آمنين ﴾ من كل ما تكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف الأوقات أو سيروا فيها آمنين وان تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالى وأياما كثيرة أو سيروا فيها ليالى أعماركم وأيامها لا تلقون فيها الا الأمن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه وأسبابه على الوجه المذكور منزلة أمرهم بذلك ﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا ﴾ وقرئ ياربنا بطروا النعمة وسئموا أطيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناتنا أبعد لكان أجدر أن نشتهيه وسألوا أن يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز وقفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الأزواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فعجل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب وقرئ بعد وربنا بعد بين

أسفارنا و بعد بين أسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين و رفعه به كما يقال سير فرسخان و بوعد بين أسفارنا وقرئ ربنا باعد بين أسفارنا و بين سفرنا و بعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الأول وهو استبعاد مسايرهم مع قصرها أو دنوها وسهولة سلوكها لفرط تنعمهم وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كأنهم يتشاجون على الله تعالى و يتحازنون عليه ﴿وظلموا أنفسهم﴾ حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة أو غمطوها ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ أى جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من أحوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ أى فرقناهم كل تفريق على أن الممزق مصدر أو كل مطرح ومكان تفريق على أنه اسم مكان وفى عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الأمر والدلالة على شدة التأثير والايلام ما لا يخفى أى مزقناهم تمزيقا لا غاية وراءه بحيث يضرب به الأمثال فى كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشأم وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان وأصل قصتهم على ما رواه الكلبى عن أبى صالح أن عمرو بن عامر من أولاد سبا و بينهما اثنا عشر أبا وهو الذى يقال له مزيقيا ابن ماء السماء أخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مأرب وتفريق سيل العرم الجنتين وعن أبى زيد الانصارى أن عمرا رأى جرذا يحفر السد فعلم أنه لا بقاء له بعد وقيل انه كان كاهنا وقد علمه بكهانته فباع أملاكه وسار بقومه وهم ألوف من بلد الى بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة وأهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بنى اسمعيل عليه السلام وغيرهم فأرسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يسألهم المقام معهم الى أن يرجع اليه رواده الذين أرسلهم الى أصقاع البلاد يطلبون له موضعا يسعه ومن معه من قومه فأبوا فاقتتلوا ثلاثة أيام فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم الا الشريد وأقام ثعلبة بمكة وما حولها فى قومه وعساكره حولا فأصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد و كندة وحمير ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشأم فنزل الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الانصار ومضت غسان فنزلوا بالشأم وانخزعت خزاعة بمكة فأقام بها ربيعة بن حارثة ابن عمرو بن عامر وهو لحى فولى أمر مكة وحجابة البيت ثم جاءهم أولاد اسمعيل عليه السلام فسألوهم السكنى معهم وحولهم فأذنوا لهم فى ذلك وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن فروة بن مسيك الغطيفى سأل النبى عليه الصلاة والسلام عن سبأ فقال عليه الصلاة والسلام هو رجل كان له عشرة أولاد ستة منهم سكنوا اليمن وهم مذحج و كندة والأزد والاشعريون وحمير وأنمار منهم بجيلة وخثعم وأربعة منهم سكنوا الشأم وهم لخم وجذام وعاملة وغسان لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم تفرقوا أيدى سبا شذر مذر فنزلت طوائف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ونزلت الاوس والخزرج بيثرب فكانوا أول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع و بنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج وأقاموا عندهم ونزلت طوائف أخر منهم بالشأم وهم الذين تنصروا فيها بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبأ تجمع هذه القبائل كلها والجمهور على أن جميع العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبأ وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر وأما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها الى قحطان و بعضهم الى عدنان والله تعالى أعلم ﴿ان فى ذلك﴾ أى فيما ذكر من قصتهم ﴿لآيات﴾ عظيمة ﴿لكل صبار شكور﴾ أى شأنه الصبر عن الشهوات ودواعى الهوى وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لأنهم المنتفعون بها ﴿ولقد صدق عليهم ابليس ظنه﴾ أى حقق عليهم ظنه أو وجده صادقا وقرئ بالتخفيف أى صدق فى ظنه أو صدق بظن ظنه و يجوز تعدية الفعل اليه بنفسه لأنه نوع من القول وقرئ بنصب ابليس و رفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيل له اغواءهم و برفعهما والتخفيف

على الابدال وذلك اما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم فى الشهوات أو بنى آدم حين شاهد آدم عليه السلام قد أصغى الى وسوسته قال ان ذريته أضعف منه عزما وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لاضلنهم ولأغوينهم ﴿ فاتبعوه ﴾ أى أهل سبأ أو الناس ﴿ الا فريقا من المؤمنين ﴾ الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه على أن من بيانية وتقليلهم بالاضافة الى الكفار أو الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون ﴿ وما كان له عليهم من سلطان ﴾ أى تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى ﴿ الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك ﴾ استثناء مفرغ من أعم العلل ومن موصولة أى وما كان تسلطه عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا عمن هو فى شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء أو الا ليتميز المؤمن من الشاك أو الا ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة ﴿ وربك على كل شئ حفيظ ﴾ أى محافظ عليه فان فعيلا ومفاعلا صيغتان متآخيتان ﴿ قل ﴾ أى للمشركين اظهاراً لبطلان ماهم عليه وتبكيتا لهم ﴿ ادعوا الذين زعمتم ﴾ أى زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم ثم حذف الأول تخفيفا لطول الموصول بصلته والثانى لقيام صفته أعنى قوله تعالى ﴿ من دون الله ﴾ مقامه ولا سبيل الى جعله مفعولا ثانيا لأنه لايلتئم مع الضمير كلاما وكذا لايملكون لأنهم لايزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع أو دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم أجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وأنه لايقبل المكابرة فقال ﴿ لايملكون مثقال ذرة ﴾ من خير وشر ونفع وضر ﴿ فى السموات ولا فى الارض ﴾ اى فى أمر ما من الامور وذكرهما للتعميم عرفا أو لأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية كالاصنام أو لأن الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وأرضية والجملة استئناف لبيان حالهم ﴿ ومالهم ﴾ أى لآلهتهم ﴿ فيهما من شرك ﴾ أى شركة لاخلقا ولا ملكا ولا تصرفا ﴿ وماله ﴾ أى لله تعالى ﴿ منهم ﴾ من آلهتهم ﴿ من ظهير ﴾ يعينه فى تدبير أمرهما ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده ﴾ أى لاتوجد رأسا كما فى قوله ولا ترى الضب بها ينجحر لقوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وانما علق النفى بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفى ماهو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى ﴿ الا لمن أذن له ﴾ استثناء مفرغ من أعم الاحوال أى لاتقع الشفاعة فى حال من الأحوال الا كائنة لمن أذن له فى الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المتأهلين لمقام الشفاعة فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية أما من جهة أصنامهم فلظهور انتفاء الاذن لها ضرورة استحالة الاذن فى الشفاعة لجماد لايعقل ولا ينطق وأما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلان اذنهم مقصور على الشفاعة للمستحقين لها لقوله تعالى لايتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا ومن البين أن الشفاعة للكفرة بمعزل من الصواب أو لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المتأهلين لها فى حال من الأحوال الا كائنة لمن أذن له أى لاجله وفى شأنه من المستحقين للشفاعة وأما من عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم أصلا وان فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء اذلم يؤذن لهم فى شفاعتهم بل فى شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم من شفاعة هؤلاء بعبارة النص ومن شفاعة الاصنام بدلالته اذ حيث حرموها من جهة القادرين على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلأن يحرموها من جهة العجزة عنها أولى وقرئ أذن له مبنيا للمفعول ﴿ حتى اذا فزع عن قلوبهم ﴾ أى قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين وأما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفريع عن قلوبهم بألف منزل والتفريع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع وأسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبئ عنه ماقبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن أذن له فانه مسبوق بالاستئذان المستدعى للترقب والانتظار للجواب كأنه سئل كيف يؤذن لهم فقيل يتربصون فى موقف

الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع مليا حتى اذا أزيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتى وظهرت لهم تباشير الاجابة ﴿قالوا﴾ أى المشفوع لهم اذهم المحتاجون الى الاذن والمهتمون بأمره ﴿ماذا قال ربكم﴾ أى فى شأن الاذن ﴿قالوا﴾ أى الشفعاء لأنهم المباشرون للاستئذان بالذات المتوسطون بينهم وبينه عز وجل بالشفاعة ﴿الحق﴾ أى قال ربنا القول الحق وهو الاذن فى الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق مرفوعا أى ماقاله الحق ﴿وهو العلى الكبير﴾ من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب العزة عز وجل وقصور شأن كل من سواه أى هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لأحد من أشراف الخلائق أن يتكلم الا باذنه وقرئ فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرئ فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة أى نفى الوجل عنها وأفنى من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شئ وهو من الاسناد المجازى لأن الفراغ وهو الخلو حال ظرفه عند نفاده فأسند اليه على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن تخفيف الراء وأصله فرغ الوجل عنها أى انتفى عنها وفنى ثم حذف الفاعل وأسند الى الجار والمجرور وبه يعرف حال التفريغ وقرئ ارتفع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها ﴿قل من يرزقكم من السموات والارض﴾ أمر عليه الصلاة والسلام بتبكيت المشركين بحملهم على الاقرار بأن آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وأن الرازق هو الله تعالى فانهم لاينكرونه كما ينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله وحيث كانوا يتلعثمون أحيانا فى الجواب مخافة الالزام قيل له عليه الصلاة والسلام ﴿قل الله﴾ اذ لاجواب سواه عندهم أيضا ﴿وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين﴾ أى وان أحد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به فى العبادة الجماد النازل فى أدنى المراتب الامكانية لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو فى الضلال أبلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الانصاف المسكت للخصم الألد وقرئ وانا أو اياكم اما على هدى أو فى ضلال مبين واختلاف الجارين للايذان بأن الهادى كمن استعلى منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها والضال كأنه منغمس فى ظلام لايرى شيأ أو محبوس فى مطمورة لا يستطيع الخروج منها ﴿قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون﴾ وهذا أبلغ فى الانصاف وأبعد من الجدل والاعتساف حيث أسند فيه الاجرام وان أريد به الزلة وترك الاولى الى أنفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع أن أعمالهم أكبر الكبائر ﴿قل يجمع بيننا ربنا﴾ يوم القيامة عند الحشر والحساب ﴿ثم يفتح بيننا بالحق﴾ أى يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار ﴿وهو الفتاح﴾ الحاكم الفيصل فى القضايا المنغلقة ﴿العليم﴾ بما ينبغى أن يقضى به ﴿قل أرونى الذين ألحقتم﴾ أى ألحقتموهم ﴿به شركاء﴾ أريد بأمرهم باراءة الاصنام مع كونها بمرأى منه عليه الصلاة والسلام اظهار خطئهم العظيم واطلاعهم على بطلان رأيهم أى أرونيها لانظر بأى صفة ألحقتموها بالله الذى ليس كمثله شئ فى استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم ﴿كلا﴾ ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة ﴿بل هو الله العزيز الحكيم﴾ أى الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فأين شركاؤكم التى هى أخس الاشياء وأذلها من هذه الرتبة العالية والضمير اما لله عز وعلا أو للشأن كما فى قل هو الله أحد ﴿وما أرسلناك الا كافة للناس﴾ أى الا ارسالة عامة لهم فانها اذا عمتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم أو الا جامعا لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا سبيل الى جعلها حالا من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور ﴿بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ ذلك فيحملهم جهلهم على ماهم عليه من

الغى والضلال ﴿ويقولون﴾ من فرط جهلهم وغاية غيهم ﴿متى هذا الوعد﴾ بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر به والمنذر عنه أو الموعود بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا ﴿ان كنتم صادقين﴾ مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ﴿قل لكم ميعاد يوم﴾ أى وعد يوم أو زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعاد يوم منونين على البدل ويوما باضمار أعنى للتعظيم ﴿لاتستأخرون عنه﴾ عند مفاجأته ﴿ساعة ولا تستقدمون﴾ صفة لميعاد وفى هذا الجواب من المبالغة فى التهديد مالا يخفى حيث جعل الاستئخار فى الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا وقد مر بيانه مرارا ويجوز أن يكون نفى الاستئخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجأة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه﴾ أى من الكتب القديمة الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أنهم يجدون نعته فى كتبهم فغضبوا فقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه القيامة ﴿ولو ترى اذ الظالمون﴾ المنكرون للبعث ﴿موقوفون عند ربهم﴾ أى فى موقف المحاسبة ﴿يرجع بعضهم الى بعض القول﴾ أى يتحاورون ويتراجعون القول ﴿يقول الذين استضعفوا﴾ بدل من يرجع الخ أى يقول الاتباع ﴿للذين استكبروا﴾ فى الدنيا واستتبعوهم فى الغى والضلال ﴿لولا أنتم﴾ أى لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان ﴿لكنا مؤمنين﴾ باتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا﴾ استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فماذا قال الذين استكبروا فى الجواب فقيل قالوا ﴿أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين﴾ منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الايمان مثبتين أنهم هم الصادون بانفسهم بسبب كونهم راسخين فى الاجرام ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا﴾ اضرابا عن اضرابهم وابطالا له ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ أى بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار فحذف المضاف اليه وأقيم مقامه الظرف اتساعا أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازى وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين أى بل صدنا مكركم فى الليل والنهار على أن التنوين عوض عن المضاف اليه أو مكر عظيم على أنه للتفخيم وقرئ بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أى تكرون الاغواء مكرا دائبا لاتفترون عنه فالرفع على الفاعلية أى بل صدنا مكركم الاغواء فى الليل والنهار على ماسبق من الاتساع فى الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية أى بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار أى مكرا دائما وقوله تعالى ﴿اذ تأمروننا﴾ ظرف للمكر أى بل مكركم الدائم وقت أمركم لنا ﴿أن نكفر بالله ونجعل له أندادا﴾ على أن المراد بمكرهم اما نفس أمرهم بما ذكر كما فى قوله تعالى ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا فان الجعلين المذكورين نعمة من الله تعالى وأى نعمة واما أمور أخر مقارنة لامرهم داعية الى الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ أى أضمر الفريقان الندامة على مافعلا من الضلال والاضلال وأخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعيير أو أظهروها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم ﴿وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا﴾ أى فى أعناقهم والاظهار فى موضع الاضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب أغلالهم ﴿هل يجزون الا ما كانوا يعملون﴾ أى لايجزون الا جزاء ما كانوا يعملون أو الا بما كانوا يعملونه على نزع الجار ﴿وما أرسلنا فى قرية﴾ من القرى ﴿من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا بأنه لم يرسل قط الى أهل قرية من نذير الاقال مترفوهم مثل ما قال مترفو أهل مكة فى حقه

عليه الصلاة والسلام وكادوا به نحو ما كادوا به عليه الصلاة والسلام وقاسوا أمور الآخرة الموهومة والمفروضة عندهم على أمور الدنيا وزعموا أنهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولو لا أن المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرمهموها وعلى ذلك الرأى الركيك بنوا أحكامهم ﴿ وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين ﴾ اما بناء على انتفاء العذاب الاخروى رأسا أو على اعتقاد أنه تعالى أكرمهم فى الدنيا فلا يهينهم فى الآخرة على تقدير وقوعها ﴿ قل ﴾ ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذى عليه يدور أمر التكوين ﴿ ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ﴾ أن يبسطه له ﴿ ويقدر ﴾ على من يشاء أن يقدره عليه من غير أن يكون لاحد من الفريقين داع الى مافعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصى ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر وربما يوسع عليهما معا وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه أخرى يفعل كلا من ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا يقاس على ذلك أمر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرىء ويقدر بالتشديد ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ذلك فيزعمون أن مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون أن الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثانى بطريق الابتلاء ورفع الدرجات ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى ﴾ كلام مستأنف من جهته عز وعلا خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة فى تحقيق الحق وتقرير ماسبق أى وما جماعة أموالكم وأولادكم بالجماعة التى تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء فى حكم التأنيث أو بالخصلة التى تقربكم وقرىء بالذى أى بالشىء الذى ﴿ الامن آمن وعمل صالحا ﴾ استثناء من مفعول تقربكم أى وما الاموال والاولاد تقرب أحدا الا المؤمن الصالح الذى أنفق أمواله فى سبيل الله تعالى وعلم أولاده الخير وربام على الصلاح ورشحهم للطاعة وقيل من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف أى الا أموال من الخ ﴿ فأولئك ﴾ اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما أن الافراد فى الفعلين باعتبار لفظها ومافيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم فى الفضل أى فأولئك المنعوتون بالايمان والعمل الصالح ﴿ لهم جزاء الضعف ﴾ أى ثابت لهم ذلك على أن الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لاولئك وفيه تأكيد لتكرر الاسناد أو يثبت لهم ذلك على أن الجار والمجرور خبر لأولئك ومابعده مرتفع على الفاعلية واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة المصدر الى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها وقرىء جزاء الضعف على فأولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على أن يجازوا الضعف وجزاء الضعف بالرفع على أن الضعف بدل من جزاء ﴿ بما عملوا ﴾ من الصالحات ﴿ وهم فى الغرفات ﴾ أى غرفات الجنة ﴿ آمنون ﴾ من جميع المكاره وقرىء بفتح الراء وسكونها وقرىء فى الغرفة على ارادة الجنس ﴿ والذين يسعون فى آياتنا ﴾ بالرد والطعن فيها ﴿ معاجزين ﴾ سابقين لانبيائنا أو زاعمين أنهم يفوتونا ﴿ أولئك فى العذاب محضرون ﴾ لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا ﴿ قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ﴾ أى يوسعه عليه تارة ﴿ ويقدر له ﴾ أى يضيقه عليه تارة أخرى فلا تخشوا الفقر وأنفقوا فى سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تعالى ﴿ وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه ﴾ عوضا اما عاجلا واما آجلا ﴿ وهو خير الرازقين ﴾ فان غيره واسطة فى ايصال رزقه لاحقيقة لرازقيته ﴿ ويوم يحشرهم جميعا ﴾ أى المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله ويوم ظرف لمضمر متأخر سيأتى تقديره أو مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر ﴿ ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ﴾ تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الخ واقناطا لهم عما علقوا به أطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم

أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتنزههم عن عبادتهم يظهر حال سائر شركائهم بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون ﴿قالوا﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كانه قيل فماذا يقول الملائكة حينئذ فقيل يقولون متنزهين عن ذلك ﴿سبحانك أنت ولينا من دونهم﴾ والعدول الى صيغة الماضى للدلالة على التحقق أى أنت الذى نواليه من دونهم لاموالاة بيننا وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم حقيقة بقولهم ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ أى الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غير الله سبحانه وتعالى وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون لهم أنهم الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون أجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ الضمير الاول للانس أو للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثانى للجن ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا﴾ من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبرؤ عما نسب اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤس الاشهاد اظهاراً لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء ليست لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فانه محقق أجابوا بذلك أم لا بل لترتيب الاخبار به عليه ونسبة عدم النفع والضر الى البعض المبهم للمبالغة فيما هو المقصود الذى هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه فى سلك عدم نفع العبدة لهم كأن نفع الملائكة لعبدتهم فى الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع أنه لا بحث عنه أصلا اما لتعميم العجز أو لحمل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضر على تقدير تركها أو لان المراد دفع الضر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل ﴿ونقول للذين ظلموا﴾ عطف على تقول للملائكة لا على لا يملك كما قيل فانه مما يقال يوم القيامة خطابا للملائكة مترتبا على جوابهم المحكى وهذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيقال للعبدة يومئذ اثر حكاية ما سيقال للملائكة أى يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين ﴿ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون﴾ يكون من الاهوال والاحوال ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ بيان لبعض آخر من كفرانهم أى اذا تتلى عليهم بلسان الرسول عليه الصلاة والسلام آياتنا الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك ﴿قالوا ما هذا﴾ يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم﴾ فيستتبعكم بما يستدعيه من غير أن يكون هناك دين الهى واضافة الآباء الى المخاطبين لا الى أنفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة فى تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد ﴿وقالوا ما هذا﴾ يعنون القرآن الكريم ﴿الا افك﴾ أى كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له فى الواقع ﴿مفترى﴾ باسناده الى الله تعالى ﴿وقال الذين كفروا للحق﴾ أى لأمر النبوة أو الاسلام أو القرآن على أن العطف لاختلاف العنوان بأن يراد بالاول معناه وبالثانى نظمه المعجز ﴿لما جاءهم﴾ من غير تدبر ولا تأمل فيه ﴿ان هذا الا سحر مبين﴾ ظاهر سحريته وفى تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما فى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما فى لما من المسارعة الى البت بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه ﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها﴾ فيها دليل على صحة الاشراك كما فى قوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون وقرئ يدرسونها ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس ﴿وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير﴾ يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا وقد بان من قبل أن لا وجه له بوجه من الوجوه فمن أين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم ثم هددهم بقوله تعالى

﴿ وكذب الذين من قبلهم ﴾ من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا ﴿ وما بلغوا معشار ما آتيناهم ﴾ أى ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال أو ما بلغ أولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى ﴿ فكذبوا رسلى ﴾ عطف على كذب الذين الخ بطريق التفصيل والتفسير كقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا الخ ﴿ فكيف كان نكير ﴾ أى انكارى لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك ﴿ قل انما أعظكم بواحدة ﴾ أى ما أرشدكم وأنصح لكم الا بخصلة واحدة هى ما دل عليه قوله تعالى ﴿ أن تقوموا لله ﴾ على أنه بدل منها أو بيان لها أو خبر مبتدا محذوف أى هى أن تقوموا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تنتصبوا للامر خالصا لوجه الله تعالى معرضا عن المراء والتقليد ﴿ مثنى وفرادى ﴾ أى متفرقين اثنين اثنين و واحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار بالاوهام وفى تقديم مثنى ايذان بأنه أوثق وأقرب الى الاطمئنان ﴿ ثم تتفكروا ﴾ فى أمره عليه الصلاة والسلام وما جاء به لتعلموا حقيقته وحقيته وقوله تعالى ﴿ ما بصاحبكم من جنة ﴾ استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بأن مثل هذا الامر العظيم الذى تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لادعائه الا مجنون لا يبالى بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه أو مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه واذ قد علمتم أنه عليه الصلاة والسلام أرجح العالمين عقلا وأصدقهم قولا وأزهاهم نفسا وأفضلهم علما وأحسنهم عملا وأجمعهم للكمالات البشرية وجب أن تصدقوه فى دعواه فكيف وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز أن يتعلق بما قبله على معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز أن تكون ما استفهامية على معنى ثم تتفكروا أى شىء به من آثار الجنون ﴿ ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد ﴾ هو عذاب الآخرة فانه عليه الصلاة والسلام مبعوث فى نسم الساعة ﴿ قل ما سألتكم من أجر ﴾ أى أى شىء سألتكم من أجر على الرسالة ﴿ فهو لكم ﴾ والمراد نفى السؤال رأسا كقول من قال لمن لم يعطه شيأ ان أعطيتنى شيأ فخذه وقيل ما موصولة أريد بها ما سألهم بقوله تعالى ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وقوله تعالى لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى واتخاذ السبيل اليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه عليه الصلاة والسلام قرباهم ﴿ ان أجرى الا على الله وهو على كل شىء شهيد ﴾ مطلع يعلم صدقى وخلوص نيتى وقرىء ان أجرى بسكون الياء ﴿ قل ان ربى يقذف بالحق ﴾ أى يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده أو يرمى به الباطل فيدمغه أو يرمى به فى أقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق ﴿ علام الغيوب ﴾ صفة محمولة على محل ان واسمها أو بدل من المستكن فى يقذف أو خبر ثان لان أو خبر مبتدا محذوف وقرىء بالنصب صفة لربى أو مقدرا بأعنى وقرىء بكسر الغين وبالفتح كصبور مبالغة غائب ﴿ قل جاء الحق ﴾ أى الاسلام والتوحيد ﴿ وما يبدىء الباطل وما يعيد ﴾ أى زهق الشرك بحيث لم يبق أثره أصلا مأخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل مثلا فى الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد

أقفر من أهله عبيد فليس يبدى ولا يعيد

وقيل الباطل ابليس أو الصنم والمعنى لا ينشىء خلقا ولا يعيد أو لا يبدىء خيرا لأهله ولا يعيد وقيل ما استفهامية منصوبة بما بعدها ﴿ قل ان ضللت ﴾ عن الطريق الحق ﴿ فانما أضل على نفسى ﴾ فان وبال ضلالى عليها لأنه بسببها اذ هى الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله تعالى ﴿ وان اهتديت فبما يوحى الى ربى ﴾ لأن الاهتداء بهدايته وتوفيقه وقرىء ربى بفتح الياء ﴿ انه سميع قريب ﴾ يعلم قول كل من المهتدى والضال وفعله وان بالغ فى اخفائهما ﴿ ولو ترى اذ فزعوا ﴾ عند الموت أو البعث أو يوم بدر وعن ابن عباس رضى الله عنهما

ان ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف أي لرأيت أمرا هائلا ﴿فلا فوت﴾ فلا يفوتون الله عز وجل بهرب أو تحصن ﴿وأخذوا من مكان قريب﴾ من ظهر الأرض أو من الموقف الى النار أو من صحراء بدر الى قليبها أو من تحت أقدامهم اذا خسف بهم والجملة معطوفة على فزعوا وقيل على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا ويؤيده أنه قرئ وأخذ بالعطف على محله أى فلا فوت هنا وهناك أخذ ﴿وقالوا آمنا به﴾ أى بمحمد عليه الصلاة والسلام وقد مر ذكره فى قوله تعالى مابصاحبكم ﴿وأنى لهم التناوش﴾ التناوش التناول السهل أى ومن أين لهم أن يتناولوا الايمان تناولا سهلا ﴿من مكان بعيد﴾ فانه فى حيز التكليف وهم منه بمعزل بعيد وهو تمثيل حالهم فى الاستخلاص بالايمان بعد مافات عنهم وبعد بحال من يريد أن يتناول الشئ من غلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرئ بالهمز على قلب الواو لضمها وهو من ناشت الشئ اذا طلبته وعن أبى عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا أبطأت وتأخرت ومنه قول من قال

تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى وقد حدثت بعد الأمور أمور

﴿وقد كفروا به﴾ أى بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بالعذاب الشديد الذى أنذرهم اياه ﴿من قبل﴾ أى من قبل ذلك فى أوان التكليف ﴿ويقذفون بالغيب﴾ ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى حق الرسول عليه الصلاة والسلام من المطاعن أو فى العذاب المذكور من بت القول بنفيه ﴿من مكان بعيد﴾ من جهة بعيدة من حاله عليه الصلاة والسلام حيث ينسبونه صلى الله عليه وسلم الى الشعر والسحر والكذب وان أبعد شئ مما جاء به الشعر والسحر وأبعد شئ من عادته المعروفة فيما بين الدانى والقاصى الكذب ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرمى شيأ لايراه من مكان بعيد لامجال للوهم فى لحوقه وقرئ ويقذفون على أن الشيطان يلقى اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا به على حكاية الحال الماضية أو على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف فى تحصيل ماضيعوه من الايمان فى الدنيا ﴿وحيل بينهم وبين مايشتهون﴾ من نفع الايمان والنجاة من النار وقرئ باشمام الضم للحاء ﴿كما فعل باشياعهم من قبل﴾ أى بأشباههم من كفرة الامم الدارجة ﴿انهم كانوا فى شك مريب﴾ أى موقع فى الريبة أوذى ريبة والأول منقول ممن يصح أن يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والثانى من صاحب الشك الى الشك كما يقال شعر شاعر والله أعلم. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبى الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة

(مكية وهى خمس وأربعون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الحمد لله فاطر السموات والارض﴾ مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولاقانون ينتحيه من الفطر وهو الشق وقيل الشق طولا كأنه شق العدم باخراجهما منه واضافته محضة لانه بمعنى الماضى فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل فى المشتق ﴿جاعل الملائكة﴾ الكلام فى اضافته وكونه نعتا أو بدلا كما قبله وقوله تعالى ﴿رسلا﴾ منصوب به على الوجه الثانى من الاضافة بالاتفاق واما على الوجه الاول فكذلك عند الكسائى وأما عند البصريين فبمضمر يدل هو عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضى لايعمل عندهم الا معرفا باللام وقال أبو سعيد السيرافى اسم الفاعل المتعدى الى اثنين يعمل فى الثانى لان باضافته الى الاول تعذرت اضافته الى الثانى فتعين نصبه له وعلل

بعضهم ذلك بأنه بالإضافة أشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرئ جاعل بالرفع على المدح وقرئ الذى فطر السموات والأرض وجعل الملائكة أى جاعلهم وسائط بينه تعالى وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحى والالهام والرؤيا الصادقة أو بينه تعالى وبين خلقه أيضا حيث يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل تصييرا أما على تقدير كونه ابداعيا فرسلا نصب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين ﴿أولى أجنحة﴾ صفة لرسلا وأولو اسم جمع لذو كما أن أولاء اسم جمع لذا ونظيرهما فى الاسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله تعالى ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ صفات لاجنحة أى ذوى أجنحة متعددة متفاوتة فى العدد حسب تفاوت مالهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها والمعنى ان من الملائكة خلقا لكل واحد منهم جناحان وخلقا أجنحة كل منهم ثلاثة وخلقا آخر لكل منهم أربعة أجنحة ويروى أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة بجناحين منها يلفون أجسادهم وبآخرين منها يطيرون فيما أمروا به من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياء من الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروى أنه سأله عليهما السلام أن يتراآى له فى صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال انى أحب أن تفعل فخرج عليه الصلاة والسلام فى ليلة مقمرة فأتاه جبريل عليهما السلام فى صورته فغشى عليه عليه الصلاة والسلام ثم أفاق وجبريل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى أن شيأ من الخلق هكذا فقال جبريل عليه السلام فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح منها بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير ﴿يزيد فى الخلق ما يشاء﴾ استئناف مقرر لما قبله من تفاوت أحوال الملائكة فى عدد الاجنحة ومؤذن بأن ذلك من أحكام مشيئته تعالى لا لأمر راجع الى ذواتهم ببيان حكم كلى ناطق بأنه تعالى يزيد فى أى خلق كان كل ما يشاء أن يزيده بموجب مشيئته ومقتضى حكمته من الامور التى لا يحيط بها الوصف وما روى عن النبى عليه الصلاة والسلام من تخصيص بعض المعانى بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المعهودة بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها وقوله تعالى ﴿ان الله على كل شئ قدير﴾ تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تعالى على أن يزيد كل ما يشاؤه ايجابا بينا ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾ عبر عن ارسالها بالفتح ايذانا بأنها أنفس الخزائن التى يتنافس فيها المتنافسون وأعزها منالا وتنكيرها للاشاعة والابهام أى أى شئ يفتح الله من خزائن رحمته أية رحمة كانت من نعمة وصحة وأمن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به ﴿فلا ممسك لها﴾ أى لا أحد يقدر على امساكها ﴿وما يمسك﴾ أى أى شئ يمسك ﴿فلا مرسل له﴾ أى لا أحد يقدر على ارساله واختلاف الضميرين لما أن مرجع الأول مفسر بالرحمة ومرجع الثانى مطلق يتناولها وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار بأن رحمته سبقت غضبه ﴿من بعده﴾ أى من بعد امساكه ﴿وهو العزيز﴾ الغالب على كل ما يشاء من الامور التى من جملتها الفتح والامساك ﴿الحكيم﴾ الذى يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التى عليها يدور أمر التكوين وبعد ما بين سبحانه أنه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير أن يكون لأحد فى ذلك دخل ما بوجه من الوجوه أمر الناس قاطبة أو أهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم﴾ أى انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا أو كائنة عليكم ان جعلت اسما أى راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة فى نعمة الايجاد ونعمة الابقاء نفى أن يكون

فى الوجود شىء غيره تعالى يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكارى المنادى باستحالة أن يجاب عنه بنعم فقال ﴿هل من خالق غير الله﴾ أى هل خالق مغاير له تعالى موجود على أن خالق مبتدأ محذوف الخبر زيدت عليه كلمة من لتأكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار محله كما أنه نعت له فى قراءة الجر باعتبار لفظه وقرىء بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى ﴿يرزقكم من السماء والارض﴾ أى بالمطر والنبات كلام مبتدأ على التقادير لا محل له من الاعراب داخل فى حيز النفى والانكار ولا مساغ لما قيل من أنه صفة أخرى لخالق مرفوعة المحل أو مجرورته لأن معناه نفى وجود خالق موصوف بوصفى المغايرة والرازقية معا من غير تعرض لنفى وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولا لما قيل من أنه الخبر للمبتدا ولا لما قيل من أنه مفسر لمضمر ارتفع به قوله تعالى من خالق على الفاعلية أى هل يرزقكم من خالق الخ لما أن معناهما نفى رازقية خالق مغاير له تعالى من غير تعرض لنفى وجوده رأسا مع أنه المراد حتما ألا يرى الى قوله تعالى ﴿لا اله الا هو﴾ فانه استئناف مسوق لتقرير النفى المستفاد منه قصدا وجار مجرى الجواب عما يوهمه الاستفهام صورة فحيث كان هذا ناطقا بنفى الوجود تعين أن يكون ذلك أيضا كذلك قطعا والفاء فى قوله تعالى ﴿فأنى تؤفكون﴾ لترتيب انكار عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كأنه قيل واذا تبين تفرده تعالى بالالوهية والخالقية والرازقية فمن أى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى ﴿وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين خطابى الناس مسارعة الى تسليته عليه الصلاة والسلام بعموم البلية أولا والاشارة الى الوعد والوعيد ثانيا أى وان استمروا على أن يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعد ما أقمت عليهم الحجة وألقمتهم الحجر فتأس بأولئك الرسل فى المصابرة على ما أصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التسلية والتوجه الى المصابرة أى رسل أولو شأن خطير وذوو عدد كثير ﴿والى الله ترجع الأمور﴾ لا الى غيره فيجازى كلا منك ومنهم بما أنتم عليه من الأحوال التى من جملتها صبرك وتكذيبهم وفى الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا من المبالغة فى الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرىء ترجع بفتح التاء من الرجوع والأول أدخل فى التهويل ﴿يأيها الناس﴾ رجوع الى خطابهم وتكرير النداء لتأكيد العظة والتذكير ﴿ان وعد الله﴾ المشار اليه برجع الامور اليه تعالى من البعث والجزاء ﴿حق﴾ ثابت لا محالة من غير خلف ﴿فلا تغرنكم الحيوة الدنيا﴾ بأن يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهى بزخارفها عن تدارك ما يهمكم يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهى صورة اليها كما فى قوله تعالى لا يجرمنكم شقاق ﴿ولا يغرنكم بالله﴾ وعفوه وكرمه تعالى ﴿الغرور﴾ أى المبالغ فى الغرور وهو الشيطان بأن يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصى قائلا اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك وان أمكن لكن تعاطى الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهى للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين فى الكيفية وقرىء الغرور بالضم على أنه مصدر أو جمع غار كقعود جمع قاعد ﴿ان الشيطان لكم عدو﴾ عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام به ﴿فاتخذوه عدوا﴾ بمخالفتكم له فى عقائدكم وأفعالكم وكونكم على حذر منه فى مجامع أحوالكم وقوله تعالى ﴿انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على أن غرضه فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين فى الدنيا عند سعى بعضهم فى حاجة بعض بل هو توريطهم والقاؤهم فى العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون ﴿الذين كفروا لهم﴾ بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته ﴿عذاب شديد﴾ لا يقادر قدره

مديد لايبلغ مداه ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم﴾ بسبب ماذكر من الايمان والعمل الصالح الذى من جملته عداوة الشيطان ﴿مغفرة﴾ عظيمة ﴿وأجر كبير﴾ لاغاية لها ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا﴾ اما تقرير لما سبق من التباين البين بين عاقبتى الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين الى تينك العاقبتين والفاء لانكار ترتيب مابعدها على ماقبلها أى أبعد كون حاليهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى لا تكون عاقبتاهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ماسبق عليه وقوله تعالى ﴿فان الله يضل﴾ الخ تقرير له وتحقيق للحق ببيان أن الكل بمشيئته تعالى أى فانه تعالى يضل ﴿من يشاء﴾ أن يضله لاستحسانه واستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه فيرده أسفل سافلين ﴿ويهدى من يشاء﴾ أن يهديه بصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى أعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه من نهيه عليه الصلاة والسلام عن التحسر والتحزن عليهم لعدم اسلامهم ببيان أنهم ليسوا بأهل لذلك بل لأن يضرب عنهم صفحا ولا يبالى بهم قطعا أى أبعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم فحذف لما دل عليه قوله تعالى ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ دلالة بينة واما تمهيد لصرفه عليه الصلاة والسلام عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة فى دعوتهم اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه فى غاية الحسن عندهم أى أبعد ماذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فرآه حسنا فانهمك فيه يقبل الهداية حتى تطمع فى اسلامه وتتعب نفسك فى دعوته فحذف ما حذف لدلالة مامر من قوله تعالى فان الله يضل من يشاء الخ على أنه ممن شاء الله تعالى أن يضله فمن يهدى من أضل الله ومالهم من ناصرين وقرىء فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات اما مفعول له أى فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه الصلاة والسلام على أحوالهم أو على كثرة قبائح أعمالهم الموجبة للتأسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات عليه حزنا أوهو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا تتقدم عليه صلته واما حال كأن كلها صارت حسرات وقوله تعالى ﴿ان الله عليم بما يصنعون﴾ أى من القبائح تعليل لما قبله على الوجوه الثلاثة مع مافيه من الوعيد . عن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى أبى جهل ومشركى مكة ﴿والله الذى أرسل الرياح﴾ مبتدأ وخبر وقرىء الريح وصيغة المضارع فى قوله تعالى ﴿فتثير سحابا﴾ لحكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولأن المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك أسند اليها أو للدلالة على استمرار الاثارة ﴿فسقناه الى بلد ميت﴾ وقرىء بالتخفيف ﴿فأحيينا به الأرض﴾ أى بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازما فى الذهن كما فى الخارج أو بالسحاب فانه سبب السبب ﴿بعد موتها﴾ أى يبسها وايراد الفعلين على صيغة الماضى للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبىء عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين احياء الارض وبين البعث الذى شبه به بقوله تعالى ﴿كذلك النشور﴾ فى كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف فى حيز الرفع على الخبرية أى مثل ذلك الاحياء الذى تشاهدونه احياء الاموات فى صحة المقدورية وسهولة التأتى من غير تفاوت بينهما أصلا سوى الالف فى الأول دون الثانى وقيل فى كيفية الاحياء يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء فينبت منه أجساد الخلق ﴿من كان يريد العزة﴾ هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين كانوا يتعززون بهم من الذين آمنوا بألسنتهم كما فى قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها ﴿فلله العزة جميعا﴾ أى له

تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الآخرة أى فليطلبها منه لا من غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله ايذانا بأن اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى ﴿اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله تعالى اياهما أو صعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتداد به كقوله تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات أى اليه يصل الكلم الطيب الذى به يطلب العزة لا الى الملائكة الموكلين بأعمال العباد فقط وهو يعز صاحبه ويعطى طلبته بالذات والمستكن فى يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل أو للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه ولا ينال الدرجات العالية الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على البناءين والمصعد هو الله سبحانه أو المتكلم به أو الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن وعنه عليه الصلاة والسلام أنه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم تقبل وعن ابن مسعود رضى الله عنه مامن عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وتبارك الله الا أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فما يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيى بهن وجه رب العالمين ومصداقه قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب الخ ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيئ وأهلهما بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على أنها صفة للمصدر المحذوف أى يمكرون المكرات السيئات وهى مكرات قريش بالنبى عليه الصلاة والسلام فى دار الندوة وتداورهم الرأى فى احدى الثلاث التى هى الاثبات والقتل والاخراج ﴿لهم﴾ بسبب مكراتهم ﴿عذاب شديد﴾ لا يقادر قدره ولا يؤبه عنده لما يمكرون ﴿ومكر أولئك﴾ وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك ومافيه من معنى البعد للتنبيه على ترامى أمرهم فى الطغيان وبعد منزلتهم فى العدوان أى ومكر أولئك المفسدين الذين أرادوا أن يمكروا به عليه الصلاة والسلام ﴿هو يبور﴾ أى هو يهلك ويفسد خاصة لا من مكروا به ولقد أبارهم الله تعالى بعد ابارة مكراتهم حيث أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم فى قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التى اكتفوا فى حقه عليه الصلاة والسلام بواحدة منهن ﴿والله خلقكم من تراب﴾ دليل آخر على صحة البعث والنشور أى خلقكم ابتداء منه فى ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا كما مر تحقيقه مرارا ﴿ثم من نطفة﴾ أى ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا ﴿ثم جعلكم أزواجا﴾ أى أصنافا أو ذكرانا واناثا وعن قتادة جعل بعضكم زوجا لبعض ﴿وماتحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه﴾ الا ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته ﴿ومايعمر من معمر﴾ أى من أحد وانما سمى معمرا باعتبار مصيره أى ومايمد فى عمر أحد ﴿ولا ينقص من عمره﴾ أى من عمر أحد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة والنقص فى عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت فى اللوح مثل أن يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والا فأربعون واليه أشار عليه الصلاة والسلام بقوله الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان فى الاعمار وقيل المراد بالنقص مايمر من عمره وينقص فانه يكتب فى الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى يأتى على آخره وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره بسكون الميم ﴿الا فى كتاب﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل انسان ﴿ان ذلك﴾ أى ماذكر من الخلق ومابعده مع كونه محارا للعقول والافهام ﴿على الله يسير﴾ لاستغنائه عن الأسباب فكذلك البعث

﴿ومايستوى البحران هذاعذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج﴾ مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذى يكسر العطش والسائغ الذى يسهل انحداره لعذوبته والاجاج الذى يحرق بملوحته وقرئ سيغ كسيدوسيغ بالتخفيف وملح كحذف وقوله تعالى ﴿ومن كل﴾ أى من كل واحدمنهما ﴿تأكلون لحما طريا وتستخرجون﴾ أى من المالح خاصة ﴿حلية تلبسونها﴾ اما استطراد فى صفة البحرين ومافيهما من النعم والمنافع واماتكملة للتمثيل والمعنى كما أنهماوان اشتركا فى بعض الفوائد لايتساويان من حيث انهما متفاوتان فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط أحدهما ماأفسده وغيره عن كمال فطرته لايساوى الكافر المؤمن وان شاركه فى بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء أحدهما على فطرته الأصلية وحيازته لكماله اللائق دون الآخر أو تفضيل للاجاج على الكافر من حيث انه يشارك العذب فى منافع كثيرة والكافر خلو من المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان ﴿وترى الفلك فيه﴾ أى فى كل منهما وافراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لان الخطاب لكل أحد تتأتى منه الرؤية دون المنتفعين بالبحرين فقط ﴿مواخر﴾ شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿لتبتغوا من فضله﴾ من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد يجوز تعلقها بما يدل عليه الأفعال المذكورة أى فعل ذلك لتبتغوا من فضله ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أى ولتشكروا على ذلك وحرف الترجى للايذان بكونه مرضيا عند الله تعالى ﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل﴾ بزيادة أحدهما ونقص الآخر باضافة بعض أجزاء كل منهما الى الآخر ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ عطف على يولج واختلافهما صيغة لما أن ايلاج أحد الملوين فى الآخر متجدد حينا فحينا وأما تسخير النيرين فأمر لاتعدد فيه وانما المتعدد والمتجدد آثاره وقد أشير اليه بقوله تعالى ﴿كل يجرى﴾ أى بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد أيام السنة جريانا مستمرا ﴿لأجل مسمى﴾ قدره الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيامة كما روى عن الحسن رحمه الله وقيل جريانهما عبارة عن حركتيهما الخاصتين بهما فى فلكيهما والأجل المسمى هو منتهى دورتيهما ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله فى سورة لقمان ﴿ذلكم﴾ اشارة الى فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة أى ذلكم العظيم الشأن الذى أبدع هذه الصنائع البديعة ﴿الله ربكم له الملك﴾ وفيه من الدلالة على أن ابداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب ثبوت تلك الاخبار له مالا يخفى ويجوز أن يكون الاخير كلاما مبتدأ فى مقابلة قوله تعالى ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ للدلالة على تفرده تعالى بالالوهية والربوبية وقرئ يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل فى القلة والحقارة ﴿ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم﴾ استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال مايدعونه بأنه جماد ليس من شأنه السماع ﴿ولو سمعوا﴾ على الفرض والتقدير ﴿مااستجابوا لكم﴾ لعجزهم عن الافعال بالمرة لا لما قيل من أنهم متبرؤن منكم ومما تدعون لهم فان ذلك مما لايتصور منهم فى الدنيا ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ أى يجحدون باشراككم لهم وعبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون ﴿ولاينبئك مثل خبير﴾ أى لايخبرك بالامر مخبر مثل خبير أخبرك به وهو الحق سبحانه فانه الخبير بكنه الامور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفى مايدعون لهم من الالهية ﴿ياأيها الناس أنتم الفقراء الى الله﴾ فى أنفسكم وفيما يعن لكم من أمر مهم أو خطب ملم وتعريف الفقراء للمبالغة فى فقرهم كأنهم لكثرة افتقارهم وشدة

احتياجهم هم الفقراء فحسب وأن افتقار سائر الخلائق بالنسبة الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا ﴿ والله هو الغنى الحميد ﴾ أى المستغنى على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد ﴿ ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ﴾ ليسوا على صفتكم بل مستمرون على الطاعة أو بعالم آخر غير ماتعرفونه ﴿ وماذلك ﴾ أى ما ذكر من الاذهاب بهم والاتيان بآخرين ﴿ على الله بعزيز ﴾ بمتعذر ولامتعسر ﴿ ولا تزر وازرة ﴾ أى لاتحمل نفس آثمة ﴿ وزر أخرى ﴾ اثم نفس أخرى بل انما تحمل كل منهما وزرها وأماماق قوله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم من حمل المضلين أثقالا غير أثقالهم فهو حمل أثقال اضلالهم مع أثقال ضلالهم وكلاهما أوزارهم ليس فيها من أوزار غيرهم شئ ﴿ وان تدع مثقلة ﴾ أى نفس أثقلها الأوزار ﴿ الى حملها ﴾ لحمل بعض أوزارها ﴿ لايحمل منه شئ ﴾ لم تجب بحمل شئ منه ﴿ ولوكان ﴾ أى المدعو المفهوم من الدعوة ﴿ ذاقربى ﴾ ذاقرابة من الداعى وقرئ ذوقربى وهذا نفى للحمل اختيارا والأول نفى له اجبارا ﴿ انما تنذر ﴾ استئناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر أى انما تنذر بهذه الانذارات ﴿ الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾ أى يخشونه تعالى غائبين عن عذابه أوعن الناس فى خلواتهم أو يخشون عذابه وهو غائب عنهم ﴿ وأقاموا الصلوة ﴾ أى راعوها كما ينبغى وجعلوهامنارا منصوبا وعلما مرفوعا أى انما ينفع انذارك وتحذيرك هؤلاء من قومك دون من عداهم من أهل التمرد والعناد ﴿ ومن تزكى ﴾ أن تطهر من أوضار الاوزار والمعاصى بالتأثر من هذه الانذارات ﴿ فانما يتزكى لنفسه ﴾ لاقتصار نفعه عليها كما أن من تدنس بها لايتدنس الا عليها وقرئ من ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مقرر لخشيتهم واقامتهم الصلاة لأنها من معظم مبادى التزكى ﴿ والى الله المصير ﴾ لاالى أحد غيره استقلالا أواشتراكا فيجازيهم على تزكيهم أحسن الجزاء ﴿ ومايستوى الأعمى والبصير ﴾ أى الكافر والمؤمن ﴿ ولاالظلمات ولاالنور ﴾ أى ولاالباطل ولاالحق وجمع الظلمات مع افراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق ﴿ ولاالظل ولاالحرور ﴾ أى ولاالثواب ولاالعقاب وادخال لاعلى المتقابلين لتذكير نفى الاستواء وتوسيطها بينهما للتأكيد والحرور فعول من الحرغلب على السموم وقيل السموم مايهب نهارا والحرور مايهب ليلا ﴿ ومايستوى الأحياء ولا الأموات ﴾ تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأول ولذلك كرر الفعل وأوثر صيغة الجمع فى الطرفين تحقيقا للتباين بين أفراد الفريقين وقيل تمثيل للعلماء والجهلة ﴿ ان الله يسمع من يشاء ﴾ أن يسمعه ويوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته ﴿ وما أنت بمسمع من فى القبور ﴾ ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات واشباع فى اقناطه عليه الصلاة والسلام من ايمانهم ﴿ ان أنت الانذير ﴾ ماعليك الاالانذار وأما الاسماع البتة فليس من وظائفك ولاحيلة لك اليه فى المطبوع على قلوبهم ﴿ انا أرسلناك بالحق ﴾ أى محقين أومحقا أنت أوارسالا مصحوبا بالحق ويجوز أن يتعلق بقوله ﴿ بشيرا ونذيرا ﴾ أى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق ﴿ وان من أمة ﴾ أى مامن أمة من الامم الدارجة فى الازمنة الماضية ﴿ الاخلا ﴾ أى مضى ﴿ فيها نذير ﴾ من نبى أوعالم ينذرهم والاكتفاء بذكره للعلم بأن النذارة قرينة البشارة لاسيما وقد اقترنا آنفا ولأن الانذار هو الانسب بالمقام ﴿ وان يكذبوك ﴾ أى تموا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم ﴿ فقد كذب الذين من قبلهم ﴾ من الامم العاتية ﴿ جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ أى المعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم ﴿ وبالزبر ﴾ كصحف ابراهيم ﴿ وبالكتاب المنير ﴾ كالتوراة والانجيل والزبور على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز أن يراد بهما واحد والعطف لتغاير العنوانين ﴿ ثم أخذت الذين كفروا ﴾ وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بمافى حيز الصلة والاشعار بعلة الاخذ ﴿ فكيف كان نكير ﴾ أى انكارى بالعقوبة وفيه مزيد تشديد وتهويل لها ﴿ ألم تر ﴾ استئناف مسوق لتقرير ماقبله من اختلاف

أحوال الناس ببيان أن الاختلاف والتفاوت أمر مطرد فى جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان والرؤية قلبية أى ألم تعلم ﴿أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به﴾ بذلك الماء والالتفات لاظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبىء عن كمال القدرة والحكمة ﴿ثمرات مختلفا ألوانها﴾ أى أجناسها أو أصنافها على أن كلا منها ذو أصناف مختلفة أو هيآتها وأشكالها أو ألوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الاوفق لما فى قوله تعالى ﴿ومن الجبال جدد﴾ أى ذو جدد أى خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرىء جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح ﴿بيض وحمر مختلف ألوانها﴾ بالشدة والضعف ﴿وغرابيب سود﴾ عطف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ماهو على لون واحد غرابيب وهو تأكيد لمضمر يفسره مابعده فان الغربيب تأكيد للاسود كالفاقع للاصفر والقانى للاحمر ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد ونظيره فى الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها وفى مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرار باعتبار الاضمار والاظهار ﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه﴾ أى ومنهم بعض مختلف ألوانه أو وبعضهم مختلف ألوانه على مامر فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وايراد الجملتين اسميتين مع مشاركتهما لما قبلهما من الجملة الفعلية فى الاستشهاد بمضمونهما على تباين الناس فى الأحوال الباطنة لما أن اختلاف الجبال والناس والدواب والأنعام فيما ذكر من الألوان أمر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار وأما اخراج الثمرات المختلفة فحيث كان أمرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفاء علق به الرؤية بطريق الاستفهام التقريرى المنبىء عن الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف أحوال الجبال والناس وغيرهما فانها مشاهدة غنية عن التأمل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر وقوله تعالى ﴿كذلك﴾ مصدر تشبيهى لقوله تعالى مختلف أى صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافا كائنا كذلك أى كاختلاف الثمار والجبال وقرىء ألوانا وقرىء والدواب بالتخفيف مبالغة فى الهرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾ تكملة لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم أما فى الاوصاف المعنوية فبطريق التمثيل وأما فى الاوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها اللائق بها من البيان أى انما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة لما أن مدار الخشية معرفة المخشى والعلم بشؤنه فمن كان أعلم به تعالى كان أخشى منه عز وجل كما قال عليه الصلاة والسلام أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ولذلك عقب بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو أخر انعكس الامر وقرىء برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ﴿ان الله عزيز غفور﴾ تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ﴿ان الذين يتلون كتاب الله﴾ أى يداومون على قراءته أو متابعة مافيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله تعالى القرآن وقيل جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذاك فان صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما سيأتى من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لاسبيل اليه كيف لا والمقصود الترغيب فى دين الاسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها والاشباع فى ذكر استتباعها

لما ذكر من الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة فى تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعا لما أن الباقى مشروعا ليس الا حكمها لكن لا من حيث انه حكمها بل من حيث انه حكم القرآن وأما تلاوتها فبمعزل من المشروعية واستتباع الاجر بالمرة فتدبر ﴿ وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ﴾ كيفما اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر فى المسنونة والعلانية فى المفروضة ﴿ يرجون تجارة ﴾ تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان وقوله تعالى ﴿ لن تبور ﴾ أى لن تكسد ولن تهلك بالخسران أصلا صفة لتجارة جىء بها للدلالة على أنها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لأنه اشتراء باق بفان والاخبار برجائهم من أكرم الأكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى ﴿ ليوفيهم أجورهم ﴾ متعلق بلن تبور على معنى أنه ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى ليوفيهم أجور أعمالهم ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل بمضمر دل عليه ما عد من أفعالهم المرضية أى فعلوا ذلك ليوفيهم الخ وقيل بيرجون على أن اللام للعاقبة ﴿ انه غفور شكور ﴾ تعليل لما قبله من التوفية والزيادة أى غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم أى مجازيهم عليها وقيل هو خبر ان الذين ويرجون حال من واو أنفقوا ﴿ والذى أوحينا اليك من الكتاب ﴾ وهو القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتداء ﴿ هو الحق مصدقا لما بين يديه ﴾ أى أحقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لأن حقيته تستلزم موافقته اياه فى العقائد وأصول الأحكام ﴿ ان الله بعباده لخبير بصير ﴾ محيط ببواطن أمورهم وظواهرها فلو كان فى أحوالك ما ينافى النبوة لم يوح اليك مثل هذا الحق المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على أن العمدة هى الأمور الروحانية ﴿ ثم أورثنا الكتاب ﴾ أى قضينا بتوريثه منك أو نورثه والتعبير عنه بالماضى لتقرره وتحققه وقيل أورثناه من الامم السالفة أى أخرناه عنهم وأعطيناه ﴿ الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ وهم علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير سيرتهم أو الامة بأسرهم فان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى أفضل رسله عليهم الصلاة والسلام وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الآية ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ﴾ بالتقصير فى العمل به وهو المرجأ لأمر الله ﴿ ومنهم مقتصد ﴾ يعمل به فى أغلب الاوقات ولا يخلو من خلط السيء ﴿ ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ﴾ قيل هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم المداومون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما وفى قوله تعالى باذن الله أى بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة مأخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسيء والسابق الذى ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام وأما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب وأما المقتصد فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يحبسون فى طول المحشر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته وقد روى أن عمر رضى الله عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته فى الشرف ﴿ هو الفضل الكبير ﴾ من الله عز وجل لا ينال الا بتوفيقه تعالى ﴿ جنات عدن ﴾ اما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب أو مبتدأ خبره ﴿ يدخلونها ﴾ وعلى الاول هو مستأنف وجمع الضمير لأن المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين ومآلهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الآخرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا لكن فيه تحذيرا لهما من التقصير وتحريضا على السعى فى ادراك

شأو السابقين وقرئ جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول ﴿يحلون فيها﴾ خبر ثان أو حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهى حالية ﴿من أساور﴾ هى جمع أسورة جمع سوار ﴿من ذهب﴾ من الاولى تبعيضية والثانية بيانية أى يحلون بعض أساور من ذهب كانه أفضل من سائر أفرادها ﴿ولؤلؤا﴾ بالنصب عطفا على محل من أساور وقرئ بالجر عطفا على ذهب أى من ذهب مرصع باللؤلؤ أو من ذهب فى صفاء اللؤلؤ ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ وتغيير الاسلوب قد مر سره فى سورة الحج ﴿وقالوا﴾ أى يقولون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق ﴿الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن﴾ وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة وعن ابن عباس رضى الله عنهما حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم والظاهر أنه الجنس المنتظم لجميع أحزان الدين والدنيا وقرئ الحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى محشرهم ولا فى مسيرهم وكأنى بأهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ﴿ان ربنا لغفور﴾ أى للمذنبين ﴿شكور﴾ للمطيعين ﴿الذى أحلنا دار المقامة﴾ أى دار الاقامة التى لا انتقال عنها أبدا ﴿من فضله﴾ من انعامه وتفضله من غير أن يوجبه شئ من قبلنا ﴿لا يمسنا فيها نصب﴾ تعب ﴿ولا يمسنا فيها لغوب﴾ كلال والفرق بينهما أن النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والتصريح بنفى الثانى مع استلزام نفى الأول له وتكرير الفعل المنفى للمبالغة فى بيان انتفاء كل منهما ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم﴾ لا يحكم عليهم بموت ثان ﴿فيموتوا﴾ ويستريحوا ونصبه باضمار أن وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴿ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ بل كلما خبت زيد اسعارها ﴿كذلك﴾ أى مثل ذلك الجزاء الفظيع ﴿نجزى كل كفور﴾ مبالغ فى الكفر أو الكفران لا جزاء أخف وأدنى منه وقرئ يجزى على البناء للمفعول واسناده الى الكل وقرئ يجازى ﴿وهم يصطرخون فيها﴾ يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمل فى الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ﴿ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل﴾ باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بأن استخراجهم لتلافيه وأنهم كانوا يحسبونه صالحا والآن تبين خلافه وقوله تعالى ﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة أى ألم نمهلكم أو ألم نؤخركم ولم نعمركم عمرا يتذكر فيه من تذكر أى يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر قيل هو أربعون سنة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ستون سنة وروى ذلك عن على رضى الله عنه وهو العمر الذى أعذر الله فيه الى ابن آدم قال عليه الصلاة والسلام أعذر الله الى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى ﴿وجاءكم النذير﴾ عطف على الجملة الاستفهامية لانها فى معنى قد عمرناكم كما فى قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا الخ لأنه فى معنى قد شرحنا الخ والمراد بالنذير رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ما معه من القرآن وقيل العقل وقيل الشيب وقيل موت الاقارب والاقتصار على ذكر النذير لانه الذى يقتضيه المقام والفاء فى قوله تعالى ﴿فذوقوا﴾ لترتيب الامر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجئ النذير وفى قوله تعالى ﴿فما للظالمين من نصير﴾ للتعليل ﴿ان الله عالم غيب السموات والارض﴾ بالاضافة وقرئ بالتنوين ونصب غيب على المفعولية أى لا يخفى عليه خافية فيهما فلا تخفى عليه أحوالهم ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ قيل انه تعليل لما قبله لانه اذا علم مضمرات الصدور وهى أخفى ما يكون كان أعلم بغيرها ﴿هو الذى

﴿جعلكم خلائف فى الارض﴾ يقال للمستخلف خليفة وخليف والاول يجمع خلائف والثانى خلفاء والمعنى أنه تعالى جعلكم خلفاءه فى أرضه وألقى اليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها أو جعلكم خلفاء ممن قبلكم من الامم وأورثكم ما بأيديهم من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة ﴿فمن كفر﴾ منكم مثل هذه النعمة السنية وغمطها ﴿فعليه كفره﴾ أى وبال كفره لايتعداه الى غيره وقوله تعالى ﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا﴾ بيان لوبال الكفر وغائلته وهو مقت الله تعالى اياهم أى بغضه الشديد الذى ليس وراءه خزى وصغار وخسار الآخرة الذى ما بعده شر وخسار والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة ﴿قل﴾ تبكيتا لهم ﴿أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله﴾ أى آلهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله تعالى من غير أن يكون له أصل ما أصلا وقيل جعلوهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه ويأباه سباق النظم الكريم وسياقه ﴿أرونى ماذا خلقوا من الارض﴾ بدل اشتمال من أرأيتم كأنه قيل أخبرونى عن شركائكم أرونى أى جزء خلقوا من الارض ﴿أم لهم شرك فى السموات﴾ أى أم لهم شركة مع الله سبحانه فى خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة فى الالوهية ذاتية ﴿أم آتيناهم كتابا﴾ ينطق بأنا اتخذناهم شركاء ﴿فهم على بينة منه﴾ أى حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بأن لهم شركة جعلية ويجوز أن يكون ضمير آتيناهم للمشركين كما فى قوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا الخ وقرىء على بينات وفيه ايماء الى أن الشرك أمر خطير لابد فى اثباته من تعاضد الدلائل ﴿بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا﴾ لما نفى أنواع الحجج فى ذلك أضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف للاخلاف واضلال الرؤساء للاتباع بأنهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقريب اليه ﴿ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا﴾ استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله أى يمسكهما كراهة زوالهما أو يمنعهما أن تزولا لأن الامساك منع ﴿ولئن زالتا ان أمسكهما﴾ أى ما أمسكهما ﴿من أحد من بعده﴾ من بعد امساكه تعالى أو من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية للابتداء ﴿انه كان حليما غفورا﴾ غير معاجل بالعقوبة التى تستوجبها جناياتهم حيث أمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدا هدا حسبما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرىء ولو زالتا ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم﴾ بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم أو من الامة التى يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة ﴿فلما جاءهم نذير﴾ وأى نذير أشرف الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿ما زادهم﴾ أى النذير أو مجيئه ﴿الا نفورا﴾ تباعدا عن الحق ﴿استكبارا فى الارض﴾ بدل من نفورا أو مفعول له ﴿ومكر السيىء﴾ أصله وأن مكروا السيىء أى المكر السيىء ثم ومكر السيىء وقرىء بسكون الهمزة فى الوصل ولعله اختلاس ظن سكونا أو وقفة خفيفة وقرىء مكرا سيئا ﴿ولا يحيق المكر السيىء الا بأهله فهل ينظرون﴾ أى ما ينتظرون ﴿الا سنة الأولين﴾ أى سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلا﴾ بأن يضع موضع العذاب غير العذاب ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ بأن ينقله من المكذبين الى غيرهم والفاء لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفى وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفى وجودهما بالطريق البرهانى وتخصيص كل منهما بنفى مستقل لتأكيد انتفائهما ﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ استشهاد على ما قبله من جريان سنته

تعالى على تعذيب المكذبين بما يشاهدونه فى مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار دمار الأمم الماضية العاتية والهمزة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام أى أقعدوا فى مساكنهم ولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴿وكانوا أشد منهم قوة﴾ وأطول أعمارا فما نفعهم طول المدى وما أغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصب على الحالية وقوله تعالى ﴿وما كان الله ليعجزه من شىء﴾ أى ليسبقه ويفوته ﴿فى السموات ولا فى الارض﴾ اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استئصال الامم السالفة وقوله تعالى ﴿انه كان عليما قديرا﴾ أى مبالغا فى العلم والقدرة ولذلك علم بجميع أعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل لذلك ﴿ولو يؤاخذ الله الناس﴾ جميعا ﴿بما كسبوا﴾ من السيئات كما فعل بأولئك ﴿ما ترك على ظهرها﴾ أى على ظهر الارض ﴿من دابة﴾ من نسمة تدب عليها من بنى آدم وقيل ومن غيرهم أيضا من شؤم معاصيهم وهو المروى عن ابن مسعود وأنس رضى الله عنهما ويعضد الأول قوله تعالى ﴿ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى﴾ وهو يوم القيامة ﴿فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا﴾ فيجازيهم عند ذلك بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أى باب شئت والله تعالى أعلم

سورة يس

(مكية . وعنه عليه الصلاة والسلام تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية)

(تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة وآيها ثلاث وثمانون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يس﴾ اما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب أو اسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه الأكثر فمحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو النصب على أنه مفعول لفعل مضمر وعليهما مدار قراءة يس بالرفع والنصب أى هذه يس أو اقرأ يس ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لأن مابعده مقسم به وقد أبوا الجمع بين قسمين على شىء واحد قبل انقضاء الأول ولا مجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف فى فاتحة سورة البقرة من أن ما كانت من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف ونون أو كانت موازنة لمفرد نحو طس ويس وحم الموازنة لقابيل وهابيل يتأتى فيها الاعراب اللفظى ذكره سيبويه فى باب أسماء السور من كتابه وقيل هما حركتا بناء كما فى حيث وأين حسبما يشهد بذلك قراءة يس بالكسر كجير وقيل الفتح والكسر تحريك للجد فى الهرب من التقاء الساكنين وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن معناه ياانسان فى لغة طىء قالوا المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل أصله ياأنيسين فاقتصر على شطره كما قيل من الله فى أيمن الله ﴿والقرآن﴾ بالجر على أنه مقسم به ابتداء وقد جوز أن يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم ﴿الحكيم﴾ أى المتضمن للحكمة أو الناطق بها بطريق الاستعارة أو المتصف بها على الاسناد المجازى وقد جوز أن يكون الأصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن فى الصفة المشبهة كما مر فى صدر سورة لقمان ﴿انك لمن المرسلين﴾ جواب للقسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم فى حقه عليه الصلاة والسلام لست مرسلا وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما أشير اليه بقوله تعالى فى جوابهم قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم وفى تخصيص القرآن بالاقسام به أولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشأنه وتنبيه على أنه كما يشهد برسالته عليه الصلاة والسلام من حيث نظمه المعجز

المنطوى على بدائع الحكم يشهد بها من هذه الحيثية أيضاً لما أن الاقسام بالشئ استشهاد به على تحقق مضمون الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاهداً به ودليلا عليه قطعا وقوله تعالى ﴿على صراط مستقيم﴾ خبر آخر لان أو حال من المستكن فى الجار والمجرور وعلى أنه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا عن التوحيد فقط وفائدته بيان أن شريعته عليه الصلاة والسلام أقوم الشرائع وأعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمى والوصف اثر بيان أنه عليه الصلاة والسلام من جملة المرسلين بالشرائع ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ نصب على المدح وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وبالجر على أنه بدل من القرآن وأياما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بيانا لكمال عراقته فى كونه منزلا من عند الله عز وجل كأنه نفس التنزيل واظهارا لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة وفى تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرأفة العامة حث على الايمان به ترهيبا وترغيبا واشعار بأن تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وقيل النصب على أنه مصدر مؤكد لفعله المضمر أى نزل تنزيل العزيز الرحيم على أنه استئناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شأن القرآن وعلى كل تقدير ففيه فضل تأكيد لمضمون الجملة القسمية ﴿لتنذر﴾ متعلق بتنزيل على الوجوه الأول وبعامله المضمر على الوجه الأخير أى لتنذر به كما فى صدر الاعراف وقيل هو متعلق بما يدل عليه لمن المرسلين أى انك مرسل لتنذر ﴿قوما ما أنذر آباؤهم﴾ أى لم ينذر آباؤهم الأقربون لتطاول مدة الفترة على أن ما نافية فتكون صفة مبينة لغاية احتياجهم الى الانذار أو الذى أنذره أو شيأ أنذره آباؤهم الأبعدون على أنها موصولة أو موصوفة فيكون مفعولا ثانيا لتنذر أو انذار آبائهم الأقدمين على أنها مصدرية فيكون نعتا لمصدر مؤكد أى لتنذر انذارا كائنا مثل انذارهم ﴿فهم غافلون﴾ على الوجه الأول متعلق بنفى الانذار مترتب عليه والضمير للفريقين أى لم تنذر آباؤهم فهم جميعا لأجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله تعالى لتنذر أو بما يفيده انك لمن المرسلين وارد لتعليل انذاره عليه السلام أو ارساله بغفلتهم المحوجة اليهما على أن الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه أى عما أنذر آباؤهم الأقدمون لامتداد المدة واللام فى قوله تعالى ﴿لقد حق القول على أكثرهم﴾ جواب القسم أى والله لقد ثبت وتحقق عليهم البتة لكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم الاختيارى على الكفر والانكار وعدم تأثرهم من التذكير والانذار وغلوهم فى العتو والطغيان وتماديهم فى اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بما حق من القول قوله تعالى لابليس عند قوله لأغوينهم أجمعين لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وهو المعنى بقوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه كما ترى قد أوقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع ابليس وذلك تعليل له بتبعيته قطعا وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم بأكثرهم انما هو لكونهم من جملة أولئك المصرين على تبعية ابليس أبدا واذ قد تبين أن مناط ثبوت القول وتحققه عليهم اصرارهم على الكفر الى الموت ظهر أن قوله تعالى ﴿فهم لا يؤمنون﴾ متفرع فى الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله تعالى ﴿انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا﴾ تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت أعناقهم ﴿فهى الى الأذقان﴾ أى فالأغلال منتهية الى أذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له ﴿فهم مقمحون﴾ رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق أو ينظرون الى جهته ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ اما تتمة للتمثيل وتكميل له أى تكميل أى وجعلنا مع ما ذكر من أمامهم سدا عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما أبصارهم فهم

بسبب ذلك لا يقدرون على ابصار شيء ما أصلا واما تمثيل مستقل فان ماذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطيا أبصارهم بحيث لا يبصرون شيا قطعا كاف فى الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين فى مطمورة الغى والجهالات محرومين عن النظر فى الأدلة والآيات وقرىء سدا بالضم وهى لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق الله فبالضم وقرىء فأعشيناهم من العشا وقيل الآيتان فى بنى مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ليرضخن رأسه فأتاه وهو عليه الصلاة والسلام يصلى ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم بذلك فقال مخزومى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله تعالى بصره ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ بيان لشأنهم بطريق التصريح اثر بيانه بطريق التمثيل أى مستو عندهم انذارك اياهم وعدمه حسبما مر تحقيقه فى سورة البقرة وقوله تعالى ﴿لا يؤمنون﴾ استئناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء أو حال مؤكدة له أو بدل منه ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتأثر منه فقيل ﴿انما تنذر﴾ أى انذارا مستتبعا للاثر ﴿من اتبع الذكر﴾ أى القرآن بالتأمل فيه أو الوعظ ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان ﴿وخشى الرحمن بالغيب﴾ أى خاف عقابه وهو غائب عنه على أنه حال من الفاعل أو المفعول أو خافه فى سريرته ولم يغتر برحمته فانه منتقم قهار كما أنه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم ﴿فبشره بمغفرة﴾ عظيمة ﴿وأجر كريم﴾ لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة أو الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية ﴿انا نحن نحيى الموتى﴾ بيان لشأن عظيم ينطوى على الانذار والتبشير انطواء اجماليا أى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم اخراجهم من الشرك الى الايمان فهو حينئذ عدة كريمة بتحقيق المبشر به ﴿ونكتب ما قدموا﴾ أى ما أسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها ﴿وآثارهم﴾ التى أبقوها من الحسنات كعلم علموه أو كتاب ألفوه أو حبيس وقفوه أو بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه البر ومن السيئات كتأسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادى الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشرور التى أحدثوها وسنوها لمن بعدهم من المفسدين وقيل هى آثار المشائين الى المساجد ولعل المراد أنها من جملة الآثار وقرىء ويكتب على البناء للمفعول ورفع آثارهم ﴿وكل شىء﴾ من الاشياء كائنا ما كان ﴿أحصيناه فى امام مبين﴾ أصل عظيم الشأن مظهر لجميع الاشياء مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرىء كل شىء بالرفع ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية﴾ ضرب المثل يستعمل تارة فى تطبيق حالة غريبة بحالة أخرى مثلها كما فى قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط وأخرى فى ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما فى قوله تعالى وضربنا لكم الامثال على أحد الوجهين أى بينا لكم أحوالا بديعة هى فى الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل أصحاب القرية مثلا لهؤلاء فى الغلو فى الكفر والاصرار على تكذيب الرسل أى طبق حالهم بحالهم على أن مثلا مفعول ثان لاضرب وأصحاب القرية مفعوله الاول أخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثانى اذكر وبين لهم قصة هى فى الغرابة كالمثل وقوله تعالى أصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف أو بيان له والقرية انطاكية ﴿اذ جاءها المرسلون﴾ بدل اشتمال من أصحاب القرية وهم رسل عيسى عليه السلام الى أهلها ونسبة ارسالهم اليه تعالى فى قوله ﴿اذ أرسلنا اليهم اثنين﴾ بناء على أنه كان بأمره تعالى لتكميل التمثيل وتتميم التسلية وهما يحيى وبولس وقيل غيرهما ﴿فكذبوهما﴾ أى فأتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما فى الرسالة ﴿فعززنا﴾ أى

قوينا يقال عزز المطر الارض اذا لبدها وقرئ بالتخفيف من عزه اذا غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ماقبله عليه ولان المقصد ذكر المعزز به ﴿ بثالث ﴾ هو شمعون ﴿ فقالوا ﴾ أى جميعا ﴿ انا اليكم مرسلون ﴾ مؤكدين كلامهم لسبق الانكار لما أن تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك أنهم كانوا عبدة أصنام فأرسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فأخبراه قال أمعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر وشفى على أيديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له يوما بلغنى أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لاحال الغضب بينى وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل مايشاء ويحكم مايريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له بصر فأخذا بندقتين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لى عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلى ويتضرع وهم يحسبون أنه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال انى أدخلت فى سبعة أودية من النار وانى أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا هكذا قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم فى العناد واللجاج وركوبهم متن المكابرة فى الحجاج ولم يذكر فيه من يؤمن أحد سوى حبيب ولو أن الملك وقوما من حواشيه آمنوا لكان الظاهر أن يظاهروا الرسل ويساعدوهم قبلوا فى ذلك أو قتلوا كدأب النجار الشهيد ولكان لهم فيه ذكر ما بوجه من الوجوه اللهم الا أن يكون ايمان الملك بطريق الخفية على خوف من عتاة ملئه فيعتزل عنهم معتذرا بعذر من الاعذار ﴿ قالوا ﴾ أى أهل انطاكية الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة ﴿ ما أنتم الا بشر مثلنا ﴾ من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم بما تدعونه ورفع بشر لانتقاض النفى المقتضى لاعمال ما بالا ﴿ وما أنزل الرحمن من شئ ﴾ مما تدعونه من الوحى والرسالة ﴿ ان أنتم الا تكذبون ﴾ فى دعوى رسالته ﴿ قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون ﴾ استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجرى مجرى القسم مع مافيه من تحذيرهم معارضة علم الله تعالى وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الانكار ﴿ وما علينا ﴾ أى من جهة ربنا ﴿ الا البلاغ المبين ﴾ أى الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بينا بالآيات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن عهدته فلا مؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا أو ماعلينا شئ نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلناه فأى شئ تطلبون منا حتى تصدقونا بذلك ﴿ قالوا ﴾ لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل ﴿ انا تطيرنا بكم ﴾ تشاءمنا بكم جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون بكل مايوافق شهواتهم وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بما لا يوافقها وان كان مستتبعا لسعادة الدارين أو بناء على أن الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر متعلق بأنفسهم وأهليهم وأموالهم ان لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روى أنه حبس عنهم القطر فقالوه ﴿ لئن لم

تنهوا ﴾ أى عن مقالتكم هذه ﴿ لنرجمنكم ﴾ بالحجارة ﴿ وليمسنكم منا عذاب أليم ﴾ لا يقادر قدره ﴿ قالوا
طائركم ﴾ أى سبب شؤمكم ﴿ معكم ﴾ لا من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح أعمالكم وقرىء طيركم ﴿ أئن
ذكرتم ﴾ أى وعظتم بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه أى تطيرتم وتوعدتم بالرجم
والتعذيب وقرىء بألف بين الهمزتين وبفتح أن بمعنى أتطيرتم لأن ذكرتم وأن ذكرتم وان ذكرتم بغير استفهام وأين
ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو أبلغ ﴿ بل أنتم قوم مسرفون ﴾ اضراب عما تقتضيه الشرطية من
كون التذكير سببا للشؤم أو مصححا للتوعد أى ليس الامر كذلك بل أنتم قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فلذلك
أتاكم الشؤم أو فى الظلم والعدوان ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب اكرامه والتبرك به ﴿ وجاء من أقصى المدينة
رجل يسعى ﴾ هو حبيب النجار وكان ينحت أصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة
كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبى غيره عليه الصلاة والسلام أحد قبل مبعثه وقيل كان فى
غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل عليهم الصلاة والسلام أظهر دينه ﴿ قال ﴾ استئناف وقع جوابا عن سؤال
نشأ من حكاية مجيئه ساعيا كأنه قيل فماذا قال عند مجيئه فقيل قال ﴿ ياقوم اتبعوا المرسلين ﴾ تعرض لعنوان رسالتهم
حثا لهم على اتباعهم كما أن خطابهم بياقوم لتأليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول نصيحته وقوله تعالى ﴿ اتبعوا من
لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ﴾ تكرير للتأكيد وللتوسل به الى وصفهم بما يرغبهم فى اتباعهم من التنزه عن الغرض
الدنيوى والاهتداء الى خير الدنيا والدين ﴿ ومالى لا أعبد الذى فطرنى ﴾ تلطف فى الارشاد بايراده فى معرض
المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث أراهم أنه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى
عبادة غيره كما ينبىء عنه قوله ﴿ واليه ترجعون ﴾ مبالغة فى التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال ﴿ أأتخذ من
دونه آلهة ﴾ انكار ونفى لاتخاذ الآلهة على الاطلاق وقوله ﴿ ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيأ ﴾ أى
لا تنفعنى شيأ من النفع ﴿ ولا ينقذون ﴾ من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استئناف سيق لتعليل النفى
المذكور وجعله صفة لآلهة كما ذهب اليه بعضهم ربما يوهم أن هناك آلهة ليست كذلك وقرىء ان يردن بفتح الياء على
معنى ان يوردنى ضرا أى يجعلنى موردا للضر ﴿ انى اذاً ﴾ أى اذا اتخذت من دونه آلهة ﴿ لفى ضلال مبين ﴾ فان اشراك
ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر بالخالق المقتدر الذى لا قادر غيره ولا خير الا خيره ضلال بين لا يخفى على أحد ممن
له تمييز فى الجملة ﴿ انى آمنت بربكم ﴾ خطاب منه للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا برجمه
فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتلوه فقال ذلك وانما أكده لاظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط وأضاف الرب
الى ضميرهم روما لزيادة التقرير واظهارا للاختصاص والاقتداء بهم كأنه قال بربكم الذى أرسلكم أو الذى تدعوننا الى
الايمان به ﴿ فاسمعون ﴾ أى اسمعوا ايمانى واشهدوا لى به عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك اظهارا
للتصلب فى الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه من اتخاذ
الاصنام أربابا وقيل للناس جميعا ﴿ قيل ادخل الجنة ﴾ قيل له ذلك لما قتلوه اكراما له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء
وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة قاله الحسن وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو فيها حى يرزق وقيل معناه البشرى
بدخول الجنة وأنه من أهلها وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة فى المسارعة الى بيانه
والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله كأنه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى دينه
والتسخى بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى ﴿ قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى

وجعلني من المكرمين﴾ فانه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كأنه قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل قال الخ وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك عن اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والطاعة جريا على سنن الاولياء فى كظم الغيظ والترحم على الاعداء أو ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم فى أمره وأنه كان على الحق وأن عداوتهم لم تكسبه الاسعادة وقرئ من المكرمين وما موصولة أو مصدرية والباء صلة يعلمون أو استفهامية وردت على الاصل والباء متعلقة بغفر أى بأى شئ غفر لى ربى يريد به تفخيم شأن المهاجرة عن ملتهم والمصابرة على أذيتهم ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده﴾ من بعد قتله أو رفعه ﴿من جند من السماء﴾ لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفينا أمرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء الى تفخيم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿وما كنا منزلين﴾ وماصح فى حكمتنا أن ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لما أنا قدرنا لكل شئ سببا حيث أهلكنا بعض من أهلكنا من الامم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالاغراق وجعلنا انزال الجند من خصائصك فى الانتصار من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند أى وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وأمطار شديدة وغيرها ﴿ان كانت﴾ أى ما كانت الاخذة أو العقوبة ﴿الا صيحة واحدة﴾ صاح بها جبريل عليه السلام وقرئ الاصيحة بالرفع على أن كان تامة وقرئ الازقية واحدة من زقا الطائر اذا صاح ﴿فاذاهم خامدون﴾ ميتون شبهوا بالنار الخامدة رمزا الى أن الحى كالنار الساطعة فى الحركة والالتهاب والميت كالرماد كما قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

﴿ياحسرة على العباد﴾ تعالى فهذه من الاحوال التى حقها أن تحضرى فيها وهى مادل عليه قوله تعالى ﴿ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن﴾ فان المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصائحهم سعادة الدارين أحقاء بأن يتحسروا ويتحسر عليهم المتحسرون أو قد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وقد جوز أن يكون تحسرا عليهم من جهة الله تعالى بطريق الاستعارة لتعظيم ماجنوه على أنفسهم ويؤيده قراءة ياحسرتا لان المعنى ياحسرتى ونصبها لطولها بما تعلق بها من الجار وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ ياحسرة العباد بالاضافة الى الفاعل أو المفعول وياحسره على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف ﴿ألم يروا﴾ أى ألم يعلموا وهو معلق عن العمل فى قوله تعالى ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ لان كم لايعمل فيها ماقبلها وان كانت خبرية لان أصلها الاستفهام خلا أن معناه نافذ فى الجملة كما نفذ فى قولك ألم تران زيدا لمنطلق وان لم يعمل فى لفظه ﴿أنهم اليهم لا يرجعون﴾ بدل من كم أهلكنا على المعنى أى ألم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم من المذكورين آنفا ومن غيرهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وقرئ ألم يروا من أهلكنا والبدل حينئذ بدل اشتمال ﴿وان كل لما جميع لدينا محضرون﴾ بيان لرجوع الكل الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان نافية وتنوين كل عوض عن المضاف اليه ولما بمعنى الا وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له أو لما بعده والمعنى ما كلهم الامجموعون لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون فكل عبارة عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف على أن ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتأكيد والمعنى ان كلهم مجموعون الخ ﴿وآية لهم الارض الميتة﴾ بالتخفيف وقرئ بالتشديد وقوله تعالى آية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم اما متعلقة بها لانها بمعنى العلامة أو بمضمر هو صفة لها والارض مبتدأ والميتة صفتها وقوله تعالى ﴿أحييناها﴾ استئناف مبين لكيفية كونها آية وقيل آية مبتدأ ولهم خبر والارض الميتة مبتدأ موصوف وأحييناها خبره والجملة مفسرة لآية وقيل الارض مبتدأ وأحييناها خبره والجملة خبر لآية وقيل الخبر لها

هو الارض وأحييناها صفتها لان المراد بها الجنس لا المعينة والاول هو الاولى لان مصب الفائدة هو كون الارض آية لهم لا كون الآية هي الارض ﴿وأخرجنا منها حبا﴾ جنس الحب ﴿فمنه يأكلون﴾ تقديم الصلة للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل ويعاش به ﴿وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب﴾ أى من أنواع النخل والعنب ولذلك جمعا دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع ﴿وفجرنا فيها﴾ وقرىء بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى ﴿من العيون﴾ أى بعضا من العيون فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو العيون ومن مزيدة على رأى الأخفش ﴿ليأكلوا من ثمره﴾ متعلق بجعلنا وتأخيره عن تفجير العيون لأنه من مبادى الاثمار أى وجعلنا فيها جنات من نخيل و رتبنا مبادى أثمارها ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل باجراء الضمير مجرى اسم الاشارة وقيل الضمير لله تعالى بطريق الالتفات الى الغيبة والاضافة لان الثمر بخلقه تعالى وقرىء بضمتين وهى لغة فيه أو جمع ثمار و بضمة وسكون ﴿وما عملته أيديهم﴾ عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه من العصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمعنى أن الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة النصب على الحالية و يؤكد الأول قراءة عملت بلا هاء فان حذف العائد من الصلة أحسن من الحذف من غيرها ﴿أفلا يشكرون﴾ انكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أيرون هذه النعم أو أيتنعمون بها فلا يشكرونها ﴿سبحان الذى خلق الأزواج كلها﴾ استئناف مسوق لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك شكره على آلائه المذكورة واستعظام ما ذكر فى حيز الصلة من بدائع آثار قدرته وأسرار حكمته و روائع نعمائه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجب من اخلالهم بذلك والحالة هذه وسبحان علم للتسبيح الذى هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا أى اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح فى الارض والماء اذا أبعد فيهما وأمعن ومنه فرس سبوح أى واسع الجرى وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه أى أسبح سبحانه أى أنزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران أريد به التنزه التام والتباعد الكلى عن السوء ففيه مبالغة من جهة اسناد التنزه الى الذات المقدسة فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا به فالجملة على هذا اخبار من الله تعالى بتنزهه و براءته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الأول حكم منه عز وجل بذلك وتلقين للمؤمنين أن يقولوه و يعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالأزواج الاصناف والأنواع ﴿مما تنبت الأرض﴾ بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها من الأشياء المذكورة وغيرها ﴿ومن أنفسهم﴾ أى خلق الأزواج من أنفسهم أى الذكر والأنثى ﴿ومما لا يعلمون﴾ أى والأزواج مما لم يطلعهم الله تعالى على خصوصياته لعدم قدرتهم على الاحاطة بها ولما لم يتعلق بذلك شىء من مصالحهم الدينية والدنيوية وانما أطلعهم على ذلك بطريق الاجمال على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به وقوفهم على عظم قدرته وسعة ملكه وسلطانه ﴿وآية لهم الليل﴾ جملة من خبر مقدم ومبتدا مؤخر كما مر وقوله تعالى ﴿نسلخ منه النهار﴾ جملة مبينة لكيفية كونه آية أى نزيله ونكشفه عن مكانه مستعار من السلخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والأغلب فى الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الاهاب من الشاة وقد يعكس ومنه الشاة المسلوخة ﴿فاذا هم مظلمون﴾ أى داخلون فى الظلام مفاجأة وفيه رمز الى أن الأصل هو الظلام والنور عارض ﴿والشمس تجرى لمستقر لها﴾ لحد معين ينتهى اليه دورها فشبه بمستقر

المسافر اذا قطع مسيره أو لكبد السماء فان حركتها فيه توجد أبطأ بحيث يظن أن لها هناك وقفة قال
والشمس حيرى لها بالجو تدويم أو لاستقرار لها على نهج مخصوص أو لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان
لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل
أو لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ الى مستقر لها وقرئ لا مستقر لها أى لا سكون لها فانها متحركة دائما
وقرئ لا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس ﴿ذلك﴾ اشارة الى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته أى ذلك الجرى البديع المنطوى على الحكم الرائعة التى تحار فى فهمها العقول والأفهام
﴿تقدير العزيز﴾ الغالب بقدرته على كل مقدور ﴿العليم﴾ المحيط علمه بكل معلوم ﴿والقمر قدرناه﴾ بالنصب
باضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ بالرفع على الابتداء أى قدرنا له ﴿منازل﴾ وقيل قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه
ذا منازل وهى ثمانية وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة
الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد
السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد منها
لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فاذا كان فى آخر منازله وهو الذى يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس ﴿حتى عاد
كالعرجون﴾ كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون
﴿القديم﴾ العتيق وقيل هو ما مر عليه حول فصاعدا ﴿لا الشمس ينبغى لها﴾ أى يصح ويتسهل ﴿أن تدرك
القمر﴾ فى سرعة السير فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان أو فى الآثار والمنافع أو فى المكان بأن تنزل فى
منزله أو فى سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفى الشمس للدلالة على أنها مسخرة لا يتيسر لها الا ما قدر لها ﴿ولا
الليل سابق النهار﴾ أى يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان
الشمس فيكون عكسا للأول وايراد السبق مكان الادراك لأنه الملائم لسرعة سيره ﴿وكل﴾ أى وكلهم على أن
التنوين عوض عن المضاف اليه الذى هو الضمير العائد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر
مطالعهما فان اختلاف الأحوال يوجب تعددا ما فى الذات أو الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها ﴿فى فلك
يسبحون﴾ يسيرون بانبساط وسهولة ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم﴾ أولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم أو صبيانهم
ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تطلق عليهن لا سيما مع الاختلاط وتخصيصهم بالذكر لما أن استقرارهم فى
السفن أشق واستمساكهم فيها أبدع ﴿فى الفلك المشحون﴾ أى المملوء وقيل هو فلك نوح عليه السلام وحمل
ذرياتهم فيها حمل آبائهم الأقدمين وفى أصلابهم هؤلاء وذرياتهم وتخصيص أعقابهم بالذكر دونهم لأنه أبلغ فى الامتنان
وأدخل فى التعجيب الذى عليه يدور كونه آية ﴿وخلقنا لهم من مثله﴾ مما يماثل الفلك ﴿ما يركبون﴾ من الابل
فانها سفائن البر أو مما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد
ليس لمجرد كون صنعهم باقدار الله تعالى والهامه بل لمزيد اختصاص أصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما يعرب عنه قوله
عز وجل واصنع الفلك بأعيننا ووحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب لأنها باختيارهم كما أن التعبير عن
ملابسة ذريتهم بفلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار ﴿وان نشأ نغرقهم﴾ الخ من تمام
الآية فانهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقرئ نغرقهم
بالتشديد وفى تعليق الاغراق بمحض المشيئة اشعار بأنه قد تكامل ما يوجب اهلاكهم من معاصيهم ولم يبق الا تعلق

مشيئته تعالى به أى ان نشأ نغرقهم فى اليم مع ما حملناهم فيه من الفلك فحديث خلق الابل حينئذ كلام جيء به فى خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الابل والفلك فكأنها نوع منه أو مع ما يركبون من السفن والزوارق ﴿فلا صريخ لهم﴾ أى فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم أتاهم الصريخ ﴿ولا هم ينقذون﴾ أى ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى ﴿الا رحمة منا ومتاعا﴾ استثناء مفرغ من أعم العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية المتأخرة أى لا يغاثون ولا ينقذون لشيء من الأشياء الا لرحمة عظيمة من قبلنا داعية الى الاغاثة والانقاذ وتمتيع بالحياة مترتب عليهما ويجوز أن يراد بالرحمة ما يقارن التمتيع من الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما غاية للاغاثة والانقاذ أى لنوع من الرحمة وتمتيع ﴿الى حين﴾ أى الى زمان قدر فيه آجالهم كما قيل

ولم أسلم لكى أبقى ولكن   سلمت من الحمام الى الحمام

﴿واذا قيل لهم اتقوا﴾ بيان لاعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان اعراضهم عن الآيات الآفاقية التى كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم فيها أى اذا قيل لهم بطريق الانذار بما نزل من الآيات أو بغيره اتقوا ﴿ما بين أيديكم وما خلفكم﴾ من الآفات والنوازل فانها محيطة بكم أو ما يصيبكم من المكاره من حيث تحتسبون ومن حيث لا تحتسبون أو من الوقائع النازلة على الأمم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم فى الآخرة أو من نوازل السماء ونوائب الارض أو من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر ﴿لعلكم ترحمون﴾ اما حال من واو اتقوا أو غاية له أى راجين أن ترحموا أو كى ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم أن مناط النجاة ليس الا رحمة الله تعالى وجواب اذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله تعالى ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين﴾ انفهاما بينا أما اذا كان الانذار بالآية الكريمة فبعبارة النص وأما اذا كان بغيرها فبدلالته لأنهم حين أعرضوا عن آيات ربهم فلأن يعرضوا عن غيرها بطريق الأولوية كأنه قيل واذا قيل لهم اتقوا العذاب أعرضوا حسبما اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددى ومن الأولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية واضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترؤا عليه فى حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم آية من الآيات القرآنية التى من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى وسوابغ آلائه الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء واما ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات التى من جملتها الآيات الثلاث المعدودة آنفا فالمراد باتيانها ما يعم نزول الوحى وظهور تلك الأمور لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التى من جملتها ما ذكر من شؤنه الشاهدة بوحدانيته تعالى وتفرده بالألوهية الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدى الى الايمان به تعالى وايثاره على أن يقال الا أعرضوا عنها كما وقع مثله فى قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة فى حيز النصب على أنها حال من مفعول تأتى أو من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال أى ما تأتيهم من آية من آيات ربهم فى حال من أحوالهم الا حال اعراضهم عنها أو ما تأتيهم آية منها فى حال من أحوالها الا حال اعراضهم عنها ﴿واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله﴾ أى أعطاكم بطريق التفضل والانعام من أنواع الأموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا فى الانفاق على منهاج قوله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك وتنبيها على عظم جنايتهم فى ترك الامتثال بالأمر وكذلك من التبعيضية أى اذا قيل لهم

بطريق النصيحة أنفقوا بعض ما أعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره ﴿ قال الذين كفروا ﴾ بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة ﴿ للذين آمنوا ﴾ تهكما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الأمور بمشيئة الله تعالى ﴿ أنطعم ﴾ حسبما تعظوننا به ﴿ من لو يشاء الله أطعمه ﴾ أى على زعمكم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة اذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من أموالهم التى زعموا أنهم جعلوها لله تعالى من الحرث والأنعام يوهمون أن الله تعالى لما لم يشأ اطعامهم وهو قادر عليه فنحن أحق بذلك وماهو الا لفرط جهالتهم فان الله تعالى يطعم عباده بأسباب من جملتها حث الأغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك ﴿ ان أنتم الا فى ضلال مبين ﴾ حيث تأمروننا بما يخالف مشيئة الله تعالى وقد جوز أن يكون جوابا لهم من جهته تعالى أو حكاية لجواب المؤمنين لهم ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴾ أى فيما تعدوننا به من قيام الساعة مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لما أنهم أيضا كانوا يتلون عليهم آيات الوعيد بقيامها ومعنى القرب فى هذا اما بطريق الاستهزاء واما باعتبار قرب العهد بالوعد ﴿ ماينظرون ﴾ جواب من جهته تعالى أى ماينتظرون ﴿ الا صيحة واحدة ﴾ هى النفخة الأولى ﴿ تأخذهم ﴾ مفاجأة ﴿ وهم يخصمون ﴾ أى يتخاصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم لايخطر ببالهم شىء من مخايلها كقوله تعالى فأخذتهم الصاعقة بغتة وهم لايشعرون فلا يغتروا بعدم ظهور علائمها ولا يزعموا أنها لاتأتيهم وأصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء وأدغمت فى الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرىء بكسر الياء للاتباع وبفتح الخاء على القاء حركة التاء عليه وقرىء على الاختلاس وبالاسكان على تجويز الجمع بين الساكنين اذا كان الثانى مدغما وان لم يكن الأول حرف مد وقرىء يخصمون من خصمه اذا جادله ﴿ فلا يستطيعون توصية ﴾ فى شىء من أمورهم ان كانوا فيما بين أهليهم ﴿ ولا الى أهلهم يرجعون ﴾ ان كانوا فى خارج أبوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا ﴿ ونفخ فى الصور ﴾ هى النفخة الثانية بينها وبين الأولى أربعون سنة أى ينفخ فيه وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع ﴿ فاذاهم من الاجداث ﴾ أى القبور جمع جدث وقرىء بالفاء ﴿ الى ربهم ﴾ مالك أمرهم على الاطلاق ﴿ ينسلون ﴾ يسرعون بطريق الاجبار دون الاختيار لقوله تعالى لدينا محضرون وقرىء بضم السين ﴿ قالوا ﴾ أى فى ابتداء بعثهم من القبور ﴿ ياويلنا ﴾ احضر فهذا أوانك وقرىء ياويلتا ﴿ من بعثنا من مرقدنا ﴾ وقرىء من أهبنا من هب من نومه اذا انتبه وقرىء من هبنا بمعنى أهبنا وقيل أصله هب بنا فحذف الجار وأوصل الفعل الى الضمير قيل فيه ترشيح ورمز واشعار بأنهم لاختلاط عقولهم يظنون أنهم كانوا نياما وعن مجاهد أن للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح بأهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس وأبى ابن كعب وقتادة رحمهم الله أن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من أهوال القيامة ماشاهدوا دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل اذا عاينوا جهنم ومافيها من أنواع العذاب يصير عذاب القبر فى جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرىء من بعثنا ومن هبنا بمن الجارة والمصدر والمرقد اما مصدر أى من رقادنا أو اسم مكان أريد به الجنس فينتظم مراقد الكل ﴿ هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ جملة من مبتدا وخبر وما موصولة محذوفة العائد أو مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة أو المؤمنين عدل به عن سنن سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها على أن الذى يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذى وعدكم ذلك فى كتبه وأرسل اليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس الأمر كما تتوهمونه حتى تسألوا عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون ماسمعوه من الرسل عليهم الصلاة والسلام فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا وقيل هذا

صفة لمرقدنا وما وعد الخ خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف أي ماوعد الرحمن وصدق المرسلون حق ﴿ إن كانت ﴾ أي ما كانت النفخة التي حكيت آنفا ﴿ إلا صيحة واحدة ﴾ حصلت من نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور ﴿ فإذا هم جميع ﴾ أي مجموع ﴿ لدينا محضرون ﴾ من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهوين أمر البعث والحشر والايذان باستغنائهما عن الأسباب مالا يخفى ﴿ فاليوم لا تظلم نفس ﴾ من النفوس برة كانت أو فاجرة ﴿ شيئا ﴾ من الظلم ﴿ ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ أي الا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كأنهما شيء واحد أو إلا بما كنتم تعملونه أي بمقابلته أو بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين يرده أنه تعالى يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله أضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا لهم وقوله تعالى ﴿ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ﴾ من جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة لحسرتهم وندامتهم فإن الاخبار بحسن حال أعدائهم اثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة وفي هذه الحكاية مزجرة لهؤلاء الكفرة عما هم عليه ومدعاة إلى الاقتداء بسيرة المؤمنين والشغل هو الشأن الذي يصد المرء ويشغله عما سواه من شئونه لكونه أهم عنده من الكل إما لإيجابه كمال المسرة والبهجة أو كمال المساءة والغم والمراد ههنا هو الأول وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به ماهم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية وأما أن المراد به افتضاض الأبكار أو السماع وضرب الأوتار أو التزاور أو ضيافة الله تعالى أو شغلهم عما فيه أهل النار على الاطلاق أو شغلهم عن أهاليهم في النار لا يهمهم أمرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم كما روى كل واحد منها عن واحد من أكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان أنه من جملة أشغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك الأمور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه وهو مع جاره خبر لأن وفاكهون خبر آخر لها أي انهم مستقرون في شغل وأي شغل في شغل عظيم الشأن متنعمون بنعيم مقيم فائزون بملك كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها بتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع للايذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرىء في شغل بسكون الغين وفي شغل بفتحتين وبفتحة وسكون والكل لغات وقرىء فكهون للمبالغة وفكهون بضم الكاف وهي لغة كنطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وقوله تعالى ﴿ هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ﴾ استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلهما بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة أزواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على أن هم مبتدأ وأزواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجاران صلتان له قدمتا عليه لمراعاة الفواصل أو هو والجاران بما تعلقا به من الاستقرار أخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف الأول والثاني مستأنف على أنه متعلق بمتكئون وهو خبر لمبتدأ محذوف وقيل على أنه خبر مقدم ومتكئون مبتدأ مؤخر وقرىء متكين بلا همز نصبا على الحال من المستكن في الظرفين أو أحدهما وقيل هم تأكيد للمستكن في خبر ان ومتكئون خبر آخر لها وعلى الأرائك متعلق به وكذا في ظلال أو هذا بمضمر هو حال من المعطوفين والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب أو جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة في ظلل والأرائك جمع أريكة وهي السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب لا تكون أريكة حتى تكون عليها حجلة وقوله تعالى ﴿ لهم فيها فاكهة ﴾ الخ بيان لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان مالهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس تكميلا لبيان كيفية ماهم فيه من الشغل والبهجة أي لهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه وما في

قوله تعالى ﴿ولهم مايدعون﴾ موصولة أو موصوفة عبر بها عن مدعو عظيم الشأن معين أو مبهم ايذانا بأنه الحقيق بالدعاء دون ماعداه ثم صرح به روما لزيادة التقرير بالتحقيق بعد التشويق كما ستعرفه أو هي باقية على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة بالذكر وأياما كان فهو مبتدأ ولهم خبره والجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بعطف مايدعون على فاكهة لئلا يتوهم كون ماعبارة عن توابع الفاكهة وتتماتها والمعنى ولهم مايدعون به لأنفسهم من مدعو عظيم الشأن أو كل ما يدعون به كائنا ما كان من أسباب البهجة وموجبات السرور وأياما كان ففيه دلالة على أنهم في أقصى غاية البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كما أشير اليه مثل اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه وقيل بمعنى يتداعون كالارتماء بمعنى الترامي وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادع على ماشئت بمعنى تمنه على وقال الزجاج هو من الدعاء أي ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحلة ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشي وقوله تعالى ﴿سلام﴾ على التقدير الأول بدل من ما يدعون أو خبر لمبتدأ محذوف وقوله تعالى ﴿قولا﴾ مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة له كأنه قيل ولهم سلام أو ما يدعون سلام يقال لهم قولا كائنا ﴿من﴾ جهة ﴿رب رحيم﴾ أي يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك أو بدونها مبالغة في تعظيمهم قال ابن عباس رضي الله عنهما والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وأما على التقدير الثاني فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد الشرف متوفر على أن الشرف مبتدأ ومتوفر خبره والجار والمجرور لبيان من له ذلك أي مايدعون سالم لهم خالص لا شوب فيه وقولا حينئذ مصدر مؤكد لمضمون الجملة أي عدة من رب رحيم والأوجه أن ينتصب على الاختصاص وقيل هو مبتدأ محذوف الخبر أي لهم سلام أي تسليم قولا من رب رحيم أو سلامة من الآفات فيكون قولا مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى يومئذ وقيل خبره الفعل المقدر ناصبا لقولا وقيل خبره من رب رحيم وقرئ سلاما بالنصب على الحالية أي لهم مرادهم سالما خالصا وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين ﴿وامتازوا اليوم﴾ عطف اما على الجملة السابقة المسوقة لبيان أحوال أهل الجنة لا على أن المقصود عطف فعل الأمر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على أنه عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال أولئك ووصف ثوابهم كما مر في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا الآية وكأن تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما واما على مضمر ينساق اليه حكاية حال أهل الجنة كأنه قيل اثر بيان كونهم في شغل عظيم الشأن وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عينا وامتازوا عنهم ﴿أيها المجرمون﴾ الى مصيركم وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لايرى ولا يرى وأما ماقيل من أن المضمر فليمتازوا فبمعزل من السداد لما أن المحكي عنهم ليس مصيرهم الى ماذكر من الحال المرضية حتى يتسنى ترتيب الامر المذكور عليه بل انما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع لايجدي نفعا لأن مناط الاضمار انسياق الافهام اليه وانصباب نظم الكلام عليه فبعد ماتزلت تلك الحالة منزلة الواقع بالفعل لما اقتضاه المقام من النكتة البارعة والحكمة الرائعة حسبما مر بيانه وأسقط كونها مترقبة عن درجة الاعتبار بالكلية يكون التصدي لاضمار شئ يتعلق به اخراجا للنظم الكريم عن الجزالة بالمرة ﴿ألم أعهد اليكم يابني آدم أن لاتعبدوا الشيطان﴾ من جملة مايقال لهم بطريق التقريع والالزام والتبكيت بين الامر بالامتياز وبين الأمر بدخول جهنم بقوله تعالى اصلوها اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم بأمر فيه خير ومنفعة

والمراد ههنا ما كلفهم الله تعالى على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام من الاوامر والنواهى التى من جملتها قوله تعالى يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة الآية وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة فى هذا المعنى وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين أخرجوا من ظهور بنى آدم وأشهدوا على أنفسهم وقيل هو مانصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها فى مقابلة عبادته عز وجل وقرئ اعهد بكسر الهمزة وأعهد بكسر الهاء واحهد بالحاء مكان العين وأحد بالادغام وهى لغة بنى تميم ﴿ انه لكم عدو مبين ﴾ أى ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء عن المنهى عنه وقيل تعليل للنهى ﴿ وأن اعبدونى ﴾ عطف على أن لاتعبدوا على أن أن فيهما مفسرة للعهد الذى فيه معنى القول بالنهى والامر أو مصدرية حذف عنها الجار أى ألم أعهد اليكم فى ترك عبادة الشيطان وفى عبادتى وتقديم النهى على الامر لما أن حق التخلية التقدم على التحلية كما فى كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾ فانه اشارة الى عبادته تعالى التى هى عبارة عن التوحيد والاسلام وهو المشار اليه بقوله تعالى هذا صراط على مستقيم والمقصود بقوله تعالى لأقعدن لهم صراطك المستقيم والتنكير للتفخيم واللام فى قوله تعالى ﴿ ولقد أضل منكم جبلا كثيرا ﴾ جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقريع ببيان أن جناياتهم ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الامم الخالية بسبب طاعتهم للشيطان فالخطاب لمتأخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف جناياتهم والجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ بضمتين وتشديد وبضمتين وتخفيف وبضمة وسكون وبكسرتين وتخفيف وبكسرة وسكون والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق فى جمع فطرة وخلقة وقرئ جيلا بالياء وهو الصنف من الناس أى وبالله لقد أضل منكم خلقا كثيرا أو صنفا كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم الذى أمرتكم بالثبات عليه فأصابهم لاجل ذلك ما أصابهم من العقوبات الهائلة التى ملأ الآفاق أخبارها وبقى مدى الدهر آثارها والفاء فى قوله تعالى ﴿ أفلم تكونوا تعقلون ﴾ للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون أنها لضلالهم أوفلم تكونوا تعقلون شيأ أصلا حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى ﴿ هذه جهنم التى كنتم توعدون ﴾ استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام والتبكيت عند اشرافهم على شفير جهنم أى كنتم توعدونها على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وقوله تعالى قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين وغير ذلك مما لايحصى وقوله تعالى ﴿ اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴾ أمر تنكيل واهانة كقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الخ أى ادخلوها من فوق وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر فى الدنيا وقوله تعالى ﴿ اليوم نختم على أفواههم ﴾ أى نختم بمنعها عن الكلام التفات الى الغيبة للايذان بأن ذكر أحوالهم القبيحة استدعى أن يعرض عنهم ويحكى أحوالهم الفظيعة لغيرهم مع مافيه من الايماء الى أن ذلك من مقتضيات الختم لأن الخطاب لتلقى الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ تختم ﴿ وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة انى لاأجيز على شاهدا الامن نفسى فيختم على

فيه ويقال لاركانه انطق فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل وقيل تكليم الاركان وشهادتها دلالتها على أفعالها وظهور آثار المعاصى عليها وقرئ وتتكلم أيديهم وقرئ ولتكلمنا أيديهم وتشهد بلام كى والنصب على معنى ولذلك نختم على أفواههم وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الأمر والجزم ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة التى هى وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء أى لو نشاء أن نطمس على أعينهم لفعلناه وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضى لافادة أن عدم الطمس على أعينهم لاستمرار عدم المشيئة فان المضارع المنفى الواقع موقع الماضى ليس بنص فى افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما مر فى قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير ﴿فاستبقوا الصراط﴾ أى فأرادوا أن يستبقوا الى الطريق الذى اعتادوا سلوكه على أن انتصابه بنزع الجار أو هو بتضمين الاستباق معنى الابتدار أو بالظرفية ﴿فأنى يبصرون﴾ الطريق وجهة السلوك ﴿ولو نشاء لمسخناهم﴾ بتغيير صورهم وابطال قواهم ﴿على مكانتهم﴾ أى مكانهم الا أن المكانة أخص كالمقامة والمقام وقرئ على مكاناتهم أى لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لايقدرون أن يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا رجوع وذلك قوله تعالى ﴿فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون﴾ أى ولا رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة عن ابن عباس رضى الله عنهما قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لأقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم وقرئ مضيا بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين لمجرد بيان قدرته تعالى على ماذكر من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان أنهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من آثار دمار أمثالهم أحقاء بأن يفعل بهم فى الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم فى الآخرة عقوبة الختم وأن المانع من ذلك ليس الا عدم تعلق المشيئة الالهية به كأنه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلناها ولكنا لم نشأها جريا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين الى امهالهم ﴿ومن نعمره﴾ أى نطل عمره ﴿ننكسه فى الخلق﴾ أى نقلبه فيه ونخلقه على عكس ماخلقناه أولا فلا يزال يتزايد ضعفه وتتناقص قوته وتنتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالة شبيهة بحال الصبى فى ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والادراك وقرئ ننكسه من الثلاثى المجرد وننكسه من الانكاس ﴿أفلا يعقلون﴾ أى أيرون ذلك فلا يعقلون أن من قدر على ذلك يقدر على ماذكر من الطمس والمسخ وأن عدم ايقاعهما لعدم تعلق مشيئته تعالى بهما وقرئ تعقلون بالتاء لجرى الخطاب قبله ﴿وما علمناه الشعر﴾ رد وابطال لما كانوا يقولونه فى حقه عليه الصلاة والسلام من أنه شاعر وما يقوله شعر أى ماعلمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى أن القرآن ليس بشعر فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبنى على خيالات وأوهام واهية فأين ذلك من التنزيل الجليل الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والأحكام الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والآخرة ومن أين اشتبه عليهم الشؤن واختلط بهم الظنون قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴿وما ينبغى له﴾ وما يصح له الشعر ولا يتأتى له لو طلبه أى جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له كما جعلناه أميا لايهتدى للخط لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وأما قوله عليه الصلاة والسلام أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقوله عليه الصلاة والسلام هل أنت الا اصبع دميت وفى سبيل الله مالقيت فمن قبيل الاتفاقات الواردة من غير قصد اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير فى له للقرآن أى وما ينبغى للقرآن أن يكون شعرا ﴿ان هو﴾ أى ما القرآن ﴿الا ذكر﴾ أى عظة من الله عز وجل وارشاد للثقلين كما قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين ﴿وقرآن مبين﴾ أى كتاب سماوى بين كونه كذلك أو فارق بين الحق والباطل يقرأ فى

المحاريب ويتلى فى المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين ماقالوا ﴿لينذر﴾ أى القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيده القراءة بالتاء وقرئ لينذر من نذر به أى علمه ولينذر مبنيا للمفعول من الانذار ﴿من كان حيا﴾ أى عاقلا متأملا فان الغافل بمنزلة الميت أو مؤمنا فى علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ﴿ويحق القول﴾ أى تجب كلمة العذاب ﴿على الكافرين﴾ المصرين على الكفر وفى ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بأنهم لخلوهم عن آثار الحياة وأحكامها التى هى المعرفة أموات فى الحقيقة ﴿أولم يروا﴾ الهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف أى ألم يتفكروا أو ألم يلاحظوا ولم يعلموا علما يقينيا متاخما للمعاينة ﴿أنا خلقنا لهم﴾ أى لأجلهم وانتفاعهم ﴿مما عملت أيدينا﴾ أى مما تولينا احداثه بالذات وذكر الايدى واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة فى الاختصاص والتفرد بالاحداث والاعتناء به ﴿أنعاما﴾ مفعول خلقنا وتأخيره عن الجارين المتعلقين به مع أن حقه التقدم عليهما لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ماحقه التقديم اذا أخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لاسيما عند كون المقدم منبئا عن كون المؤخر أمرا نافعا خطيرا كما فى النظم الكريم فان الجار الأول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثانى المفصح عن كونه من الأمور الخطيرة يزيدان النفس شوقا اليه ورغبة فيه ولأن فى تأخيره جمعا بينه وبين أحكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى ﴿فهم لها مالكون﴾ الآيات الثلاث أى فملكناها اياهم وايثار الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استقرار مالكيتهم لها واستمرارها واللام متعلقة بمالكون مقوية لعمله أى فهم مالكون لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لايزاحمهم فى ذلك غيرهم أو قادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كما فى قول من قال

أصبحت لا أحمل السلاح ولا   أملك رأس البعير ان نفرا

والأول هو الاظهر ليكون قوله تعالى ﴿وذللناها لهم﴾ تأسيسا لنعمة على حيالها لا تتمة لما قبلها أى صيرناها منقادة لهم بحيث لاتستعصى عليهم فى شئ مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى ﴿فمنها ركوبهم﴾ الخ فان الفاء فيه لتفريع أحكام التذليل عليه وتفصيلها أى فبعض منها ركوبهم أى مركوبهم أى معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب وقرئ ركوبتهم وهى بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرئ ركوبهم أى ذو ركوبهم ﴿ومنها يأكلون﴾ أى وبعض منها يأكلون لحمه ﴿ولهم فيها﴾ أى فى الأنعام بكلا قسميها ﴿منافع﴾ أخر غير الركوب والأكل كالجلود والأصواف والأوبار وغيرها وكالحراثة بالثيران ﴿ومشارب﴾ من اللبن جمع مشرب وهذا مجمل مافصل فى سورة النحل ﴿أفلا يشكرون﴾ أى أيشاهدون هذه النعم أو أيتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها ﴿واتخذوا من دون الله﴾ أى متجاوزين الله تعالى الذى شاهدوا تفرده بتلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بهاتيك النعم المتظاهرة ﴿آلهة﴾ من الأصنام وأشركوها به تعالى فى العبادة ﴿لعلهم ينصرون﴾ رجاء أن ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الأمور أو يشفعوا لهم فى الآخرة وقوله تعالى ﴿لا يستطيعون نصرهم﴾ الخ استئناف سيق لبيان بطلان رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم أى لا تقدر آلهتهم على نصرهم ﴿وهم﴾ أى المشركون ﴿لهم﴾ أى لآلهتهم ﴿جند محضرون﴾ يشيعونهم عند مساقهم الى النار وقيل معدون فى الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذب عنهم ولا يساعده مساق النظم الكريم فان الفاء فى قوله تعالى ﴿فلا يحزنك قولهم﴾ لترتيب النهى على ما قبله فلا بد أن يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به أطماعهم الفارغة وانعكاس الأمر عليهم بترتب الشر على

مارتبوه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطب و يورث السلوة وأما كونهم معدين لخدمتهم وحفظهم فبمعزل من ذلك والنهى وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه فى الحقيقة متوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى له عليه السلام عن التأثر منه بطريق الكناية على أبلغ وجه وآكده فان النهى عن أسباب الشئ ومباديه المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهانى وابطال للسببية وقد يوجه النهى الى المسبب و يراد النهى عن السبب كما فى قوله لا أرينك ههنا يريد به نهى مخاطبه عن الحضور لديه والمراد بقولهم ماينبئ عنه ماذكر من اتخاذهم الاصنام آلهة فان ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء آلهتنا وأنهم شركاء لله سبحانه فى المعبودية وغير ذلك مما يورث الحزن وقرئ يحزنك بضم الياء وكسر الزاى من أحزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى ﴿انا نعلم مايسرون ومايعلنون﴾ تعليل صريح للنهى بطريق الاستئناف بعد تعليله بطريق الاشعار فان العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعا أى انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية والبادية التى لا يعزب عن علمنا شئ منها وفيه فضل تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم السر على العلن اما للمبالغة فى بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه أقدم منه بما يعلنونه مع استوائهما فى الحقيقة فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفى هذا المعنى لا يختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة واما لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو أو مباديه مضمر فى القلب قبل ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة ﴿أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعد ماشاهدوا فى أنفسهم أوضح دلائله وأعدل شواهده كما أن ماسبق مسوق لبيان بطلان اشراكهم بالله تعالى بعدما عاينوا فيما بأيديهم مايوجب التوحيد والاسلام وأما ما قيل من أنه تسلية ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهوين مايقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر فكلا والهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة مقدرة هى مستتبعة للمعطوف كما مر فى الجملة الانكارية السابقة أى ألم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينيا أنا خلقناه من نطفة الخ أو هى عين الجملة السابقة أعيدت تأكيدا للنكير السابق وتمهيدا لانكار ماهو أحق منه بالانكار والتعجيب لما أن المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق بخلق أسباب معايشهم وههنا عدم علمهم بما يتعلق بخلق أنفسهم ولا ريب فى أن علم الانسان بأحوال نفسه أهم واحاطته بها أسهل وأكمل فالانكار والتعجيب من الاخلال بذلك أدخل كأنه قيل ألم يعلموا خلقه تعالى لأسباب معايشهم ولم يعلموا خلقه تعالى لانفسهم أيضا مع كون العلم بذلك فى غاية الظهور ونهاية الاهمية على معنى أن المنكر الاول بعيد قبيح والثانى أبعد وأقبح ويجوز أن تكون الواو لعطف الجملة الانكارية الثانية على الأولى على أنها متقدمة فى الاعتبار وأن تقدم الهمزة عليها لاقتضائها الصدارة فى الكلام كما هو رأى الجمهور وايراد الانسان مورد الضمير لأن مدار الانكار متعلق بأحواله من حيث هو انسان كما فى قوله تعالى أو لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا وقوله تعالى ﴿فاذا هو خصيم مبين﴾ أى شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية داخل فى حيز الانكار والتعجيب كأنه قيل أولم ير أنا خلقناه من أخس الأشياء وأمهنها ففاجأ خصومتنا فى أمر يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره فى الخصومة واستمراره عليها روى أن جماعة من كفار قريش منهم أبى بن خلف الجمحى وأبو جهل والعاص ابن وائل والوليد ابن المغيرة تكلموا فى ذلك فقال لهم أبى بن خلف ألا ترون الى مايقول محمد أن الله يبعث الأموات ثم قال واللات والعزى لأصيرن اليه ولأخصمنه وأخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده ويقول يا محمد أترى الله يحيى هذا بعدمارم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان

ما مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما فى نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف على خلقناه غير داخل تحت الانكار والتعجيب بل هو من متممات شواهد صحة البعث فقوله تعالى ﴿ وضرب لنا مثلا ﴾ معطوف حينئذ على الجملة المنفية داخل فى حيز الانكار والتقبيح وأما على التقدير الأول فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجأ خصومتنا وضرب لنا مثلا أى أورد فى شأننا قصة عجيبة فى نفس الأمر هى فى الغرابة والبعد عن المعقول كالمثل وهى انكار احيائنا العظام أو قصة عجيبة فى زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وأنكرها أشد الانكار وهى احياؤنا اياها وجعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى ﴿ ونسى خلقه ﴾ أى خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ماضرب به اما عطف على ضرب داخل فى حيز الانكار والتعجيب أو حال من فاعله باضمار قد أو بدونه وقوله تعالى ﴿ قال ﴾ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية ضربه المثل كأنه قيل أى مثل ضرب أو ماذا قال فقيل قال ﴿ من يحيى العظام ﴾ منكرا له أشد النكير مؤكدا له بقوله تعالى ﴿ وهى رميم ﴾ أى بالية أشد البلى بعيدة من الحياة غاية البعد فالمثل على الأول هو انكار احيائه تعالى للعظام فانه أمر عجيب فى نفس الامر حقيق لغرابته وبعده من العقول بأن يعد مثلا ضرورة جزم العقول ببطلان الانكار ووقوع المنكر لكونه كالانشاء بل أهون منه فى قياس العقل وعلى الثانى هو احياؤه تعالى لها فانه أمر عجيب فى زعمه قد استبعده وعده من قبيل المثل وأنكره أشد الانكار مع أنه فى نفس الامر أقرب شىء من الوقوع لما سبق من كونه مثل الانشاء أو أهون منه وأما على الثالث فلا فرق بين أن يكون المثل هو الانكار أو المنكر وعدم تأنيث الرميم مع وقوعه خبرا للمؤنث لأنه اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الآية الكريمة من أثبت للعظم حياة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة وأما أصحابنا فلا يقولون بحياته كالشعر ويقولون المراد باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة فى بدن حى حساس ﴿ قل ﴾ تبكيتا له بتذكير مانسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وارشاده الى طريقة الاستشهاد بها ﴿ يحييها الذى أنشأها أول مرة ﴾ فان قدرته كما هى لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها ﴿ وهو بكل خلق عليم ﴾ مبالغ فى العلم بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد انشاء واعادة محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص أصولها وفروعها وأوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التى كانت قبل والجملة اما اعتراض تذييلى مقرر لمضمون الجواب أو معطوفة على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية للتنبيه على أن علمه تعالى بما ذكر أمر مستمر ليس كانشائه للمنشآت وقوله تعالى ﴿ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ﴾ بدل من الموصول الأول وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتأكيد ولتفاوتهما فى كيفية الدلالة أى خلق لاجلكم ومنفعتكم منه نارا على أن الجعل ابداعى والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تأخرهما عنه رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ وقد قرىء الخضراء نظرا الى المعنى وهو المرخ والعفار يقطع الرجل منهما عصيتين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو أنثى فتنقدح النار باذن الله تعالى وذلك قوله تعالى ﴿ فاذا أنتم منه توقدون ﴾ فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع مافيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان أقدر على اعادة الغضاضة الى ما كان غضا فطرأ عليه اليبوسة والبلى وقوله تعالى ﴿ أوليس الذى خلق السموات والارض ﴾ الخ استئناف مسوق من جهته عز وجل لتحقيق مضمون الجواب الذى أمر عليه الصلاة والسلام بأن يخاطبهم بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر

يقتضيه المقام أي أليس الذي أنشأها أول مرة وليس الذي جعل لهم من الشجر الاخضر نارا وليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما ﴿ بقادر على أن يخلق مثلهم ﴾ في الصغر والقماءة بالنسبة اليهما فان بديهة العقل قاضية بأن من قدر على خلقهما فهو على خلق الاناسي أقدر كما قال تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله تعالى ﴿ بلى ﴾ جواب من جهته تعالى وتصريح بما أفاده الاستفهام الانكاري من تقرير ما بعد النفي وايذان بتعين الجواب نطقوا به أو تلعثموا فيه مخافة الالزام وقوله تعالى ﴿ وهو الخلاق العليم ﴾ عطف على مايفيده الايجاب أي بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق والعلم كيفا وكما ﴿ انما أمره ﴾ أي شأنه ﴿ اذا أراد شيئا ﴾ من الاشياء ﴿ أن يقول له كن ﴾ أي أن يعلق به قدرته ﴿ فيكون ﴾ فيحدث من غير توقف على شيء آخر أصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فيما أراده بأمر الآمر المطاع للمأمور المطيع في سرعة حصول المأمور به من غير توقف على شيء ما وقرئ فيكون بالنصب عطفا على يقول ﴿ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ﴾ تنزيه له عز وعلا عما وصفوه تعالى به وتعجيب مما قالوا في شأنه تعالى وقدمر تحقيق معنى سبحان والفاء للاشارة الى أن ما فصل من شؤنه تعالى موجبة لتنزهه وتنزيهه أكمل ايجاب كما أن وصفه تعالى بالمالكية الكلية المطلقة للاشعار بأنها مقتضية لذلك أتم اقتضاء والملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء ﴿ واليه ترجعون ﴾ لا الى غيره وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد مالا يخفى . عن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا أعلم ما روى في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا أنه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له وأعطى من الاجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه و يستغفرون له و يشهدون غسله و يتبعون جنازته و يصلون عليه و يشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان و يمكث في قبره وهو ريان و لايحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان . وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان في القرآن سورة تشفع لقارئها و تستغفر لمستمعها ألا وهي سورة يس

سورة والصافات

(مكية وآيها مائة واحدى أو اثنتان وثمانون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والصافات صفا ﴾ اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على أن المراد ايقاع نفس الفعل من غير قصد الى المفعول أو الصافات أنفسها أي الناظمات لها في سلك الصفوف بقيامها في مقاماتها المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وعلى هذين المعنيين مدار قوله تعالى و إنا لنحن الصافون وقيل الصافات أقدامها في الصلاة وقيل أجنحتها في الهواء ﴿ فالزاجرات زجرا ﴾ أي الفاعلات للزجر أو الزاجرات لما نيط بها زجره من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشياطين عن الوسوسة والاغواء وعن استراق السمع كما سيأتي وصفا و زجرا مصدران مؤكدان لما قبلهما أي

صفا بديعا وزجرا بليغا وأما ذكرا فى قوله تعالى ﴿ فالتاليات ذكرا ﴾ فمفعول التاليات أى التاليات ذكرا عظيم الشأن من آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو أيضا مصدر مؤكد لما قبله فان التلاوة من باب الذكر ثم ان هذه الصفات ان أجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على ترتبها فى الفضل اما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة أو على العكس وان أجريت كل واحدة منهن على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات فى مراتب الفضل بمعنى أن طوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلا أو على العكس وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال الصافات أنفسها فى صفوف الجماعات وأقدامها فى الصلوات الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات آيات الله تعالى الدارسات شرائعه وأحكامه وقيل طوائف الغزاة الصافات أنفسهم فى مواطن الحروب كأنهم بنيان مرصوص أو طوائف قوادهم الصافات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو فى المعارك طردا التاليات آيات الله تعالى وذكره وتسبيحه فى تضاعيف ذلك والكلام فى العطف ودلالته على ترتب الصفات فى الفضل أو ترتب موصوفاتها فيه كالذى سلف وأما الدلالة على الترتب فى الوجود كما فى قوله

يالهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآيب

فغير ظاهرة فى شئ من الطوائف المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر فى الملائكة والغزاة فتأخر التلاوة عن الزجر غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل مايزجر عن المعاصى والتاليات كل من يتلو كتاب الله تعالى وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرئ بادغام التاء فى الصاد والزاى والذال ﴿ ان الهكم لواحد ﴾ جواب للقسم والجملة تحقيق للحق الذى هو التوحيد بما هو المألوف فى كلامهم من التأكيد القسمى وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به أعنى قوله تعالى ﴿ رب السموات والارض ومابينهما ورب المشارق ﴾ فان وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من أوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته وأعدل شواهد وحدته كما مر فى قوله تعالى لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ورب خبر ثان لان أو خبر لمبتدا محذوف أى مالك السموات والارض ومابينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها الى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم فانها ثلثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم فى مغرب منها وأما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما ﴿ انا زينا السماء الدنيا ﴾ أى القربى منكم ﴿ بزينة ﴾ عجيبة بديعة ﴿ الكواكب ﴾ بالجر بدل من زينة على أن المراد بها الاسم أى مايزان به لا المصدر فان الكواكب بأنفسها وأوضاع بعضها من بعض زينة وأى زينة وقرئ بالاضافة على أنها بيانية لما أن الزينة مبهمة صادقة على كل مايزان به فتقع الكواكب بيانا لها ويجوز أن يراد بزينة الكواكب مازينت هى به وهو ضوؤها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب هذا واما على تقدير كون الزينة مصدرا فالمعنى على تقدير اضافتها الى الفاعل بأن زانت الكواكب اياها وأصله بزينة الكواكب وعلى تقدير اضافتها الى المفعول بأن زان الله الكواكب وحسنها وأصله بزينة الكواكب والمراد هو التزيين فى رأى العين فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناظرين كأنها جواهر متلألئة فى سطح سماء الدنيا بصور بديعة وأشكال رائعة ولا يقدح فى ذلك ارتكاز الثوابت فى الفلك الثامن وماعدا القمر فى الستة المتوسطة ان ثبت ذلك ﴿ وحفظا ﴾ منصوب اما بعطفه على زينة باعتبار المعنى كأنه قيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا ﴿ من كل

شيطان مارد ﴾ أى خارج عن الطاعة برمى الشهب واما باضمار فعله واما بتقدير فعل مؤخر معلل به كأنه قيل وحفظا من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب كقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تعالى ﴿ لا يسمعون الى الملأ الأعلى ﴾ كلام مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء عنهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم فى أثناء ذلك من العذاب ولا سبيل الى جعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى ولا علة للحفظ على أن يكون الاصل لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت من قولك جئتك أن تكرمنى فبقى أن لا يسمعوا ثم يحذف أن ويهدر عملها كما فى قول من قال ألا أيهذا الزاجرى احضر الوغى لما أن كل واحد من ذينك الحذفين غير منكر بانفراده فأما اجتماعهما فمن أنكر المنكرات التى يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن أمثالها وأصل يسمعون يتسمعون والملأ الاعلى الملائكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الكتبة وعنه أشراف الملائكة عليهم الصلاة والسلام أى لا يتطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرئ يسمعون بالتخفيف ﴿ ويقذفون ﴾ يرمون ﴿ من كل جانب ﴾ من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها ﴿ دحورا ﴾ علة للقذف أى للدحور وهو الطرد أو حال بمعنى مدحورين أو مصدر مؤكد لهما لانهما من واد واحد وقرئ دحورا بفتح الدال أى قذفا دحورا مبالغا فى الطرد وقد جوز أن يكون مصدرا كالقبول والولوع ﴿ ولهم عذاب واصب ﴾ أى ولهم فى الآخرة غير ما فى الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دائم غير منقطع كقوله تعالى وأعتدنا لهم عذاب السعير ﴿ الا من خطف الخطفة ﴾ استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء المشددة وبفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها وأصلهما اختطف ﴿ فأتبعه شهاب ﴾ أى تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه والشهاب ما يرى منقضا من السماء ﴿ ثاقب ﴾ مضىء فى الغاية كأنه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم أو يحرقهم أو يخبلهم قالوا وانما يعودون مع علمهم بالحال لأنهم يسلم منهم حيا طمعا فى السلامة ونيل المراد كراكب السفينة ﴿ فاستفتهم ﴾ فاستخبر مشركى مكة ﴿ أهم أشد خلقا ﴾ أى أقوى خلقة وأمتن بنية أو أصعب خلقا وأشق ايجادا ﴿ أم من خلقنا ﴾ من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك لا سيما قراءة من قرأ أم من عددنا وقوله تعالى ﴿ انا خلقناهم من طين لازب ﴾ فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الأمم كعاد وثمود ولأن المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والأمر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وقرئ لازم ولاتب ﴿ بل عجبت ﴾ أى من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وانكارهم للبعث ﴿ ويسخرون ﴾ من تعجبك وتقريرك للبعث وقرئ بضم التاء على معنى انه بلغ كمال قدرتى وكثرة مخلوقاتى الى حيث عجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها أو عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه أفاعيله ويسخروا ممن يجوزه والعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل أو على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعترى الانسان عند استعظام الشىء وقيل انه مقدر بالقول أى قل يا محمد بل عجبت ﴿ واذا ذكروا ﴾ أى ودأبهم المستمر أنهم اذا وعظوا بشىء من المواعظ ﴿ لا يذكرون ﴾ لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا ينتفعون به لغاية بلادتهم وقصور فكرهم ﴿ واذا رأوا آية ﴾ أى معجزة تدل على صدق القائل به ﴿ يستسخرون ﴾ يبالغون فى السخرية ويقولون انه سحر أو يستدعى بعضهم من بعض أن يسخر منها ﴿ وقالوا ان هذا ﴾ أى ما يرونه من الآيات الباهرة ﴿ الا سحر مبين ﴾ ظاهر سحريته ﴿ أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ﴾ أى كان بعض أجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لأنه منقلب من الأجزاء البادية

والعامل فى اذا مادل عليه مبعوثون فى قوله تعالى ﴿ أئنا لمبعوثون ﴾ أى نبعث لانفسه لأن دونه خطوطا لو تفرد واحد منها لكفى فى المنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه الى حالة منافية له غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة فى أئنا للمبالغة والتشديد فى ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم الكريم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى مثل قوله تعالى أفلا تعقلون على رأى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة الأولى وبطرح الثانية فقط ﴿ أو آباؤنا الأولون ﴾ رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيبويه أى و آباؤنا الأولون أيضا مبعوثون وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير فى مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف النفى فى قوله تعالى ما أشركنا و لا آباؤنا وأيا ما كان فرادهم زيادة الاستبعاد بناء على أنهم أقدم فبعثهم أبعد على زعمهم وقرئ أو آباؤنا ﴿ قل ﴾ تبكيتا لهم ﴿ نعم ﴾ والخطاب فى قوله تعالى ﴿ وأنتم داخرون ﴾ لهم ولآبائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل مادل عليه نعم أى كلكم مبعوثون والحال أنكم صاغرون أذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهى لغة فيه ﴿ فانما هى زجرة واحدة ﴾ هى اما ضمير مبهم يفسره خبره أو ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمر أو تعليل لنهى مقدر أى اذا كان كذلك فانما هى الخ أو لا تستصعبوه فانما هى الخ والزجرة الصيحة من زجر الراعى غنمه اذا صاح عليها وهى النفخة الثانية ﴿ فاذا هم ﴾ قائمون من مراقدهم أحياء ﴿ ينظرون ﴾ يبصرون كما كانوا أو ينتظرون ما يفعل بهم ﴿ وقالوا ﴾ أى المبعوثون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق والتقرر ﴿ ياويلنا ﴾ أى هلاكنا احضر فهذا أوان حضورك وقوله تعالى ﴿ هذا يوم الدين ﴾ تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف أى اليوم الذى نجازى فيه بأعمالنا وانما علموا ذلك لأنهم كانوا يسمعون فى الدنيا أنهم يبعثون ويحاسبون ويجزون بأعمالهم فلما شاهدوا البعث أيقنوا بما بعده أيضا وقوله تعالى ﴿ هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون ﴾ كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو أيضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء أو الفرق بين فرق الهدى والضلال وقوله تعالى ﴿ احشروا الذين ظلموا ﴾ خطاب من الله عز وجل للملائكة أو من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم ﴿ وأزواجهم ﴾ أى أشباههم ونظراءهم من العصاة عابد الصنم مع عبدته وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتى على دينهم ﴿ وما كانوا يعبدون من دون الله ﴾ من الأصنام ونحوها زيادة فى تحسيرهم وتخجيلهم قيل هو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية الكريمة وأنت خبير بأن الموصول عبارة عن المشركين خاصة جئ به لتعليل الحكم بما فى حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص ﴿ فاهدوهم الى صراط الجحيم ﴾ أى عرفوهم طريقها ووجهوهم اليها وفيه تهكم بهم ﴿ وقفوهم ﴾ احبسوهم فى الموقف كأن الملائكة سارعوا الى ما أمروا به من حشرهم الى الجحيم فأمروا بذلك وعلل بقوله تعالى ﴿ انهم مسئولون ﴾ ايذانا من أول الأمر بأن ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتأخير العذاب فى الجملة بل ليسألوا لكن لا عن عقائدهم وأعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الأمر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله تعالى ﴿ مالكم لاتناصرون ﴾ بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم أى لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون فى الدنيا وتأخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ أشد وقعا وتأثيرا وقرئ لاتتناصرون ولا تناصرون بالادغام ﴿ بل هم اليوم مستسلمون ﴾ منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم أو أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر ﴿ وأقبل ﴾ حينئذ ﴿ بعضهم

على بعض ﴾ هم الاتباع والرؤساء أو الكفرة والقرناء ﴿ يتساءلون ﴾ يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال ﴿ قالوا ﴾ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كأنه قيل كيف تساءلوا فقيل قالوا أى الاتباع للرؤساء أو الكل للقرناء ﴿ انكم كنتم تأتوننا ﴾ فى الدنيا ﴿ عن اليمين ﴾ عن أقوى الوجوه وأمتنها أو عن الدين أو عن الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم فهلكنا مستعار من يمين الانسان الذى هو أشرف الجانبين وأقواهما وأنفعهما ولذلك سمى يمينا ويتيمن بالسانح أو عن القوة والقسر فتقسروننا على الغى وهو الاوفق للجواب أو عن الحلف حيث كانوا يحلفون أنهم على الحق ﴿ قالوا ﴾ استئناف كما سبق أى قال الرؤساء أو القرناء ﴿ بل لم تكونوا مؤمنين ﴾ أى لم يمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر عليه ﴿ وما كان لنا عليكم من سلطان ﴾ من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم ﴿ بل كنتم قوما طاغين ﴾ مختارين للطغيان مصرين عليه ﴿ فحق علينا ﴾ أى لزمنا وثبت علينا ﴿ قول ربنا ﴾ وهو قوله تعالى لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ﴿ انا لذائقون ﴾ أى العذاب الذى ورد به الوعيد ﴿ فأغويناكم ﴾ فدعوناكم الى الغى دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغى على الرشد ﴿ انا كنا غاوين ﴾ فلا عتب علينا فى تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا أمثالنا فى الغواية ﴿ فانهم ﴾ أى الاتباع والمتبوعين ﴿ يومئذ فى العذاب مشتركون ﴾ حسبما كانوا مشتركين فى الغواية ﴿ انا كذلك ﴾ أى مثل ذلك الفعل البديع الذى تقتضيه الحكمة التشريعية ﴿ نفعل بالمجرمين ﴾ المتناهين فى الاجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى ﴿ انهم كانوا اذا قيل لهم ﴾ بطريق الدعوة والتلقين ﴿ لا اله الا الله يستكبرون ﴾ عن القبول ﴿ ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴾ رد عليهم وتكذيب لهم ببيان أن ما جاء به من التوحيد هو الحق الذى قام به البرهان وأجمع عليه كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام فأين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة ﴿ انكم ﴾ بما فعلتم من الاشراك وتكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام والاستكبار ﴿ لذائقوا العذاب الأليم ﴾ والالتفات لاظهار كمال الغضب عليهم وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وقرئ لذائقون العذاب على الأصل ﴿ وما تجزون الا ما كنتم تعملون ﴾ أى الاجزاء ما كنتم تعملونه من السيئات أو الا بما كنتم تعملونه منها ﴿ الا عباد الله المخلصين ﴾ استثناء منقطع من ضمير ذائقو وما بينهما اعتراض جئ به مسارعة الى تحقيق الحق ببيان أن ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة غيرهم أصلا وجعله استثناء من ضمير تجزون على معنى أن الكفرة لا يجزون الا بقدر أعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون أضعافا مضاعفة مما لا وجه له أصلا لاسيما جعله استثناء متصلا بتعميم الخطاب فى تجزون لجميع المكلفين فانه ليس فى حيز الاحتمال فالمعنى انكم لذائقون العذاب الأليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى ﴿ أولئك ﴾ اشارة اليهم للايذان بأنهم ممتازون بما اتصفوا به من الاخلاص فى عبادة الله تعالى عمن عداهم امتيازا بالغا منتظمون بسببه فى سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿ لهم ﴾ اما خبر له وقوله تعالى ﴿ رزق ﴾ مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار أو مبتدأ ولهم خبر مقدم والجملة خبر لاولئك والجملة الكبرى استئناف مبين لما أفاده الاستثناء اجمالا بيانا تفصيليا وقيل هى خبر للاستثناء المنقطع على أنه متأول بالمبتدا وقوله تعالى ﴿ معلوم ﴾ أى معلوم الخصائص من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقوله تعالى ﴿ فواكه ﴾ اما بدل من رزق أو خبر مبتدأ مضمر أى ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لأن أرزاق أهل

الجنة كلها فواكه أي مايؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لأنهم مستغنون عن القوت لكون خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل المحوج الى البدل وقيل لأن الفواكه من أتباع سائر الاطعمة فذكرها مغن عن ذكرها ﴿وهم مكرمون﴾ عند الله عزوجل لايلحقهم هوان وذلك أعظم المثوبات وأليقها بأولى الهمم وقيل مكرمون فى نيله حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال كما هو شأن أرزاق الدنيا وقرئ مكرمون بالتشديد ﴿فى جنات النعيم﴾ أى فى جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف أوحال من المستكن فى مكرمون أوخبر ثان لاولئك وقوله تعالى ﴿على سرر﴾ محتمل للحالية والخبرية وقوله تعالى ﴿متقابلين﴾ حال من المستكن فيه أو فى مكرمون وقوله تعالى ﴿يطاف عليهم﴾ اما استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية تكامن مجالس أنسهم أوحال من الضمير فى متقابلين أو فى أحد الجارين وقد جوز كونه صفة لمكرمون ﴿بكأس﴾ باناء فيه خمر أو بخمر فان الكأس تطلق عن نفس الخمر كما فى قول من قال

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

﴿من معين﴾ متعلق بمضمر هو صفة لكأس أى كائنة من شراب معين أومن نهر معين وهو الجارى على وجه الارض الظاهر للعيون أوالخارج من العيون من عان الماء اذانبع وصف به الخمر وهو للماء لأنها تجرى فى الجنة فى أنهار كما يجرى الماء قال تعالى وأنهار من خمر ﴿بيضاء لذة للشاربين﴾ صفتان أيضا لكأس و وصفها بلذة اما للمبالغة كأنها نفس اللذة أو لانها تأنيث اللذ بمعنى اللذيذ و وزنه فعل قال

ولذ كطعم الصرخدى تركته بأرض العدا من خيفة الحدثان

يريد به النوم ﴿لافيها غول﴾ أى غائلة كما فى خمور الدنيا من غاله اذا أفسده وأهلكه ومنه الغول ﴿ولاهم عنها ينزفون﴾ يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله و يقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله أفرد هذا بالنفى مع اندراجه فيما قبله من نفى الغول عنها لما أنه من معظم مفاسد الخمر كأنه جنس برأسه والمعنى لافيها نوع من أنواع الفساد من مغص أوصداع أوخمار أوعربدة أولغو أوتأثيم ولاهم يسكرون وقرئ ينزفون بكسر الزاى من أنزف الشارب اذا نفد عقله أوشرابه وقرئ ينزفون بضم الزاى من نزف ينزف بضم الزاى فيهما ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ قصرن أبصارهن على أزواجهن لايمددن طرفا الى غيرهم ﴿عين﴾ نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ شبهن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فانذلك أحسن ألوان الابدان ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ معطوف على يطاف أى يشربون فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشرب قال

وما بقيت من اللذات الا أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم فى الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضى للتأكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتما ﴿قال قائل منهم﴾ فى تضاعيف محاوراتهم ﴿انى كان لى﴾ فى الدنيا ﴿قرين﴾ مصاحب ﴿يقول﴾ لى على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الايمان والتصديق بالبعث ﴿أئنك لمن المصدقين﴾ أى بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق والاول هو الاوفق لقوله تعالى ﴿أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون﴾ أى لمبعوثون ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء أولمسوسون يقال دانه أى ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال أين مالك قال تصدقت به ليعوضنى الله تعالى فى الآخرة خيرا منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين أومن المتصدقين لطلب الثواب والله لاأعطيك شيأ فيكون التعرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما حينئذ لتأكيد انكار الجزاء المبنى على انكار البعث ﴿قال﴾ أى ذلك القائل بعدما حكى لجلسائه مقالة

قرينه فى الدنيا ﴿هل أنتم مطلعون﴾ أى الى أهل النار لأريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل القائل هو الله تعالى أو بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم قيل ان فى الجنة كوى ينظر منها أهلها الى أهل النار ﴿فاطلع﴾ أى عليهم ﴿فرآه﴾ أى قرينه ﴿فى سواء الجحيم﴾ أى فى وسطها وقرئ فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ مطلعون فأطلع وفأطلع بالتخفيف على لفظ الماضى والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع وأطلع بمعنى واحد والمعنى هل أنتم مطلعون الى القرين فأطلع أنا أيضا أو عرض عليهم الاطلاع فقبلوا ما عرضه فاطلع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا فالمعنى انه لما شرط فى اطلاعه اطلاعهم كما هو ديدن الجلساء فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون أراد مطلعون اياى فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه أو شبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التآخى ﴿قال﴾ أى القائل مخاطبا لقرينه ﴿تالله ان كدت لتردين﴾ أى لتهلكنى بالاغواء وقرئ لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وان هى المخففة من ان وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف واللام فارقة أى تالله ان الشأن كدت لتردين ﴿ولولا نعمة ربى﴾ بالهداية والعصمة ﴿لكنت من المحضرين﴾ أى من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأضرابك وقوله تعالى ﴿أفما نحن بميتين﴾ رجوع الى محاورة جلسائه بعد اتمام الكلام مع قرينه تبجحا وابتهاجا بما أتاح الله عز وجل لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام أى أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين أى بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين ﴿الا موتتنا الاولى﴾ التى كانت فى الدنيا وهى متناولة لما فى القبر بعد الاحياء للسؤال قاله تصديقا لقوله تعالى لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل ان أهل الجنة أول ما دخلوا الجنة لايعلمون أنهم لايموتون فاذا جئ بالموت على صورة كبش أملح فذبح ونودى يا أهل الجنة خلود فلا موت و يا أهل النار خلود فلا موت يعلمونه فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا بها ﴿وما نحن بمعذبين﴾ كالكفار فان النجاة من العذاب أيضا نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها ﴿ان هذا﴾ أى الأمر العظيم الذى نحن فيه ﴿لهو الفوز العظيم﴾ وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة العظمى ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ أى لنيل هذا المرام الجليل يجب أن يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام المشوبة بفنون الآلام وهذا أيضا يحتمل أن يكون من كلام رب العزة ﴿أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم﴾ أصل النزل الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشئ فانتصابه على التمييز أى أذلك الرزق المعلوم الذى حاصله اللذة والسرور خير نزلا أم شجرة الزقوم التى حاصلها الألم والغم ويقال النزل لما يقام ويهيأ من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية والمعنى أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير فى كونه نزلا والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة كريهة الرائحة تكون فى تهامة سميت به الشجرة الموصوفة ﴿انا جعلناها فتنة للظالمين﴾ محنة وعذابا لهم فى الآخرة وابتلاء فى الدنيا فانهم لما سمعوا أنها فى النار قالوا كيف يمكن ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان يعيش فى النار و يتلذذ بها أقدر على خلق الشجر فى النار وحفظه من الاحراق ﴿انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم﴾ منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها وقرئ نابتة فى أصل الجحيم ﴿طلعها﴾ أى حملها الذى يخرج منها مستعار من طلع النخلة لمشاركته له فى الشكل والطلوع من الشجر قالوا أول التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر ﴿كأنه رؤس الشياطين﴾ فى تناهى القبح والهول وهو تشبيه

بالمخيل كتشبيه الفائق فى الحسن بالملك وقيل الشياطين الحيات الهائلة القبيحة المنظر لها أعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين ﴿فانهم لآكلون منها﴾ أى من الشجرة أو من طلعها فالتأنيث مكتسب من المضاف اليه ﴿فمالئون منها البطون﴾ لغلبة الجوع أو للقسر على أكلها وان كرهوها ليكون ذلك بابا من العذاب ﴿ثم ان لهم عليها﴾ على الشجرة التى ملأ وا منها بطونهم بعد ماشبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبئ عنه كلمة ثم ويجوز أن تكون لما فى شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة ﴿لشوبا من حميم﴾ شرابا من غساق أو صديد مشوبا بماء حميم يقطع أمعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم لما يشاب به والأول مصدر سمى به ﴿ثم ان مرجعهم﴾ أى مصيرهم وقد قرئ كذلك ﴿لالى الجحيم﴾ لالى دركاتها أو الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم فى الجحيم الى شجرة الزقوم فيأكلون منها الى أن يمتلئوا ثم يسقون من الحميم ثم يردون الى الجحيم ويؤيده أنه قرئ ثم ان منقلبهم ﴿انهم ألفوا آباءهم ضالين﴾ تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء فى الدين من غير أن يكون لهم ولا لآبائهم شئ يتمسك به أصلا أى وجدوهم ضالين فى نفس الامر ليس لهم مايصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل ﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾ من غير أن يتدبروا أنهم على الحق أو لا مع ظهور كونهم على الباطل بأدنى تأمل والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يزعجون ويحثون حثا على الاسراع على آثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة ﴿ولقد ضل قبلهم﴾ أى قبل قومك قريش ﴿أكثر الاولين﴾ من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا فيهم منذرين﴾ أى أنبياء أولى عدد كثير وذوى شأن خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وأنذروهم عاقبته الوخيمة وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا الى الانذار ولم يرفعوا له رأسا والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى انهم أهلكوا اهلاكا فظيعا استثنى منهم المخلصون بقوله تعالى ﴿الا عباد الله المخلصين﴾ أى الذين أخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب الانذار وقرئ المخلصين بكسر اللام أى الذين أخلصوا دينهم لله تعالى ﴿ولقد نادانا نوح﴾ نوع تفصيل لما أجمل فيما قبل ببيان أحوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما أشير اليه بقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم الياس ولبيان حسن عاقبة بعضهم الذين أخلصهم الله تعالى ووفقهم للايمان كما أشار اليه الاستثناء كقوم يونس عليه السلام ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غنى عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا ما فى قوله تعالى ﴿فلنعم المجيبون﴾ أى وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعد مادعاهم اليه أحقابا ودهورا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا ونفورا فأجبناه أحسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة والكبرياء ﴿ونجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ أى من الغرق وقيل من أذية قومه ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ فحسب حيث أهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا وقد روى أنه مات كل من كان معه فى السفينة غير أبنائه وأزواجهم أو هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلاثة أولاد سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان من المشرق الى المغرب ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج ﴿وتركنا عليه فى

الآخرين ﴾ من الامم ﴿ سلام على نوح ﴾ أى هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت سورة أنزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام أمة بعد أمة وقيل ثمة قول مقدر أى فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى ﴿ فى العالمين ﴾ متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها أبدا فى العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى ﴿ انا كذلك نجزى المحسنين ﴾ تعليل لما فعل به عليه الصلاة والسلام من التكرمة السنية من اجابة دعائه أحسن اجابة وابقاء ذريته و تبقية ذكره الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان الراسخين فيه وأن ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى ماذكر من الكرامات السنية التى وقعت جزاء له عليه الصلاة والسلام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته و بعد منزلته فى الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعدها أى مثل ذلك الجزاء الكامل نجزى الكاملين فى الاحسان لاجزاء أدنى منه وقوله تعالى ﴿ انه من عبادنا المؤمنين ﴾ تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما مالا يخفى ﴿ ثم أغرقنا الآخرين ﴾ أى المغايرين لنوح وأهله وهم كفار قومه أجمعين ﴿ وان من شيعته ﴾ أى ممن شايعه فى أصول الدين ﴿ لابراهيم ﴾ وان اختلفت فروع شرائعهما و يجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق كلى أو أكثرى وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أهل دينه وعلى سنته أو ممن شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة المكذبين وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح عليهم السلام وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة ﴿ اذ جاء ربه ﴾ منصوب باذكر أو متعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة ﴿ بقلب سليم ﴾ أى من آفات القلوب أو من العلائق الشاغلة عن التبتل الى الله عز وجل ومعنى المجىء به ربه اخلاصه له كأنه جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل ﴿ اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ﴾ بدل من الاولى أو ظرف لجاء أو لسليم أى أى شىء تعبدونه ﴿ أئفكا آلهة دون الله تريدون ﴾ أى أتريدون آلهة من دون الله افكا أى للافك فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لأن الأهم مكافحتهم بأنهم على افك وباطل فى شركهم و يجوز أن يكون افكا مفعولا به بمعنى أتريدون افكا ثم يفسر الافك بقوله آلهة من دون الله دلالة على أنها افك فى نفسها للمبالغة أو يراد بها عبادتها بحذف المضاف و يجوز أن يكون حالا بمعنى آفكين ﴿ فما ظنكم برب العالمين ﴾ أى بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة وأشركتم به أخس مخلوقاته أو فما ظنكم به أى شىء هو من الأشياء حتى جعلتم الأصنام له أندادا أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم و كيف يعاقبكم بعدما فعلتم ما فعلتم من الاشراك به ﴿ فنظر نظرة فى النجوم ﴾ قيل كانت له عليه الصلاة والسلام حمى لها نوبة معينة فى بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هى تلك الساعة فاذا هى قد حضرت ﴿ فقال انى سقيم ﴾ وكان صادقا فى ذلك فجعله عذرا فى تخلفه عن عيدهم وقيل أراد انى سقيم القلب لكفركم وقيل نظر فى علمها أو فى كتبها أو فى أحكامها ولا منع من ذلك حيث كان قصده عليه الصلاة والسلام ايهامهم حين أرادوا أن يخرجوا به عليه الصلاة والسلام الى معيدهم ليتركوه فان القوم كانوا نجامين فأوهمهم أنه قد استدل بأمارة فى علم النجوم على أنه سقيم أى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى معيدهم وتركوه فى بيت الأصنام وذلك قوله تعالى ﴿ فتولوا عنه مدبرين ﴾ أى هاربين مخافة العدوى ﴿ فراغ الى آلهتهم ﴾ أى ذهب اليها فى خفية وأصله الميل بحيلة ﴿ فقال ﴾ للأصنام استهزاء ﴿ ألا تأكلون ﴾ أى من الطعام الذى كانوا يصنعونه عندها لتبرك عليه ﴿ مالكم لاتنطقون ﴾ أى بجوابى ﴿ فراغ عليهم ﴾ فمال مستعليا عليهم وقوله تعالى ﴿ ضربا باليمين ﴾ مصدر

مؤكد لراغ عليهم فانه بمعنى ضربهم أو لفعل مضمر هو حال من فاعله أى فراغ عليهم يضربهم ضربا أو هو الحال منه على أنه مصدر بمعنى الفاعل أى فراغ عليهم ضاربا باليمين أى ضربا شديداً قويا وذلك لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما وقوة الآلة تقتضى قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة كما فى قوله

اذا ماراية رفعت لمجد   تلقاها عرابة باليمين

أى بالقوة وعلى ذلك مدار تسمية الحلف باليمين لأنه يقوى الكلام ويؤكده وقيل بسبب الحلف وهو قوله تعالى وتالله لأكيدن أصنامكم ﴿فأقبلوا اليه﴾ أى المأمورون باحضاره عليه الصلاة والسلام بعد مارجعوا من عيدهم الى بيت الأصنام فوجدوها مكسورة فسألوا عن الفاعل فظنوا أنه عليه الصلاة والسلام فعله فقيل فأتوا به ﴿يزفون﴾ حال من واو أقبلوا أى يسرعون من زفيف النعام وقرىء يزفون من أزف اذا دخل فى الزفيف أو من أزفه أى حمله على الزفيف أى يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول أى يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا أسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه عليه الصلاة والسلام ﴿قال﴾ أى بعدما أتوا به عليه الصلاة والسلام وجرى بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم من المحاورات مانطق به قوله تعالى قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم الى قوله تعالى لقد علمت ماهؤلاء ينطقون ﴿أتعبدون ماتنحتون﴾ ماتنحتونه من الأصنام وقوله تعالى ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ حال من فاعل تعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ أى والحال أنه تعالى خلقكم وخلق ماتعملونه فان جواهر أصنامهم ومادتها بخلقه تعالى وشكلها وان كان بفعلهم لكنه باقداره تعالى اياهم عليه وخلقه مايتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعدد والأسباب وما تعملون اما عبارة عن الأصنام فوضعه موضع ضمير ماتنحتون للايذان بأن مخلوقيتها لله عز وجل ليس من حيث نحتهم لها فقط بل من حيث سائر أعمالهم أيضا من التصوير والتحلية والتزيين ونحوها واما على عمومه فينتظم الأصنام انتظاما أوليا مع مافيه من تحقيق الحق ببيان أن جميع مايعملونه كائنا ما كان مخلوق له سبحانه وقيل مامصدرية أى عملكم على أنه بمعنى المفعول وقيل بمعناه فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك ﴿قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم﴾ أى فى النار الشديدة الاتقاد من الجحمة وهى شدة التأجج واللام عوض من المضاف اليه أى جحيم ذلك البنيان وقد ذكر كيفية بنائهم له فى سورة الأنبياء ﴿فأرادوا به كيدا﴾ فانه عليه الصلاة والسلام لما قهرهم بالحجة وألقمهم الحجر قصدوا ماقصدوا لئلا يظهر للعامة عجزهم ﴿فجعلناهم الاسفلين﴾ الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه عليه الصلاة والسلام بجعل النار عليه بردا وسلاما ﴿وقال انى ذاهب الى ربى﴾ أى مهاجر الى حيث أمرنى ربى كما قال انى مهاجر الى ربى وهو الشام أو الى حيث أتجرد فيه لعبادته تعالى ﴿سيهدين﴾ أى الى مافيه صلاح دينى أو الى مقصدى وبت القول بذلك لسبق الوعد أو لفرط توكله أو للبناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ولذلك أتى بصيغة التوقع ﴿رب هب لى من الصالحين﴾ أى بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى الغربة يعنى الولد لان لفظ الهبة على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيدا بالأخوة فى قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا ولقوله تعالى ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ فانه صريح فى أن المبشر به عين ماستوهبه عليه الصلاة والسلام ولقد جمع فيه بشارات ثلاث بشارة أنه غلام وأنه يبلغ أوان الحلم وأنه يكون حليما وأى حلم يعادل حلمه عليه الصلاة والسلام حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وقيل مانعت الله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه فانه تعالى

نعتهما به وحالها المحكية بعد أعدل بينة بذلك والفاء فى قوله تعالى ﴿فلما بلغ معه السعى﴾ فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا على شهادة الحال وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح به لاستحالة التخلف والتأخر بعد البشارة كما مر فى قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه وفى قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده أى فوهبناه له فنشأ فلما بلغ رتبة أن يسعى معه فى أشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف ينبئ عنه السعى لا بنفسه لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ لان بلوغهما لم يكن معا كأنه لما ذكر السعى قيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب أكمل فى الرفق والاستصلاح فلا يستسعيه قبل أوانه أو لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة ﴿قال﴾ أى ابراهيم عليه السلام ﴿يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك﴾ أى أرى هذه الصورة بعينها أو ماهذه عبارته وتأويله وقيل انه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى فى ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثمة سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله تعالى فمن ثمة سمى يوم عرفة ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال اذن هو ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعى معه قيل له أوف بنذرك . والاظهر الاشهر أن المخاطب اسمعيل عليه السلام اذ هو الذى وهب اثر المهاجرة ولان البشارة باسحق بعده معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه الصلاة والسلام أنا ابن الذبيحين فأحدهما جده اسمعيل عليه السلام والآخر أبوه عبد الله فان عبد المطلب نذر أن يذبح ولدا ان سهل الله تعالى له حفر بئر زمزم أو بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله فداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا فى أيام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان بشارة اسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبه الأمر بذبحه مراهقا وماروى أنه عليه الصلاة والسلام سئل أى النسب أشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فالصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوى وماروى من أن يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ انى بفتح الياء فيهما ﴿فانظر ماذا ترى﴾ من الرأى وانما شاوره فيه وهو أمر محتوم ليعلم ماعنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرئ ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء وبفتحها مبنيا للمفعول ﴿قال يا أبت افعل ماتؤمر﴾ أى تؤمر به فحذف الجار أولا على القاعدة المطردة ثم حذف العائد الى الموصول بعد انقلابه منصوبا بايصاله الى الفعل أو حذفا دفعة أو افعل أمرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المأمور به أمرا وقرئ ماتؤمر به وصيغة المضارع للدلالة على أن الأمر متعلق بمتوجه اليه مستمر الى حين الامتثال به ﴿ستجدنى ان شاء الله من الصابرين﴾ على الذبح أو على قضاء الله تعالى ﴿فلما أسلما﴾ أى استسلما لامر الله تعالى وانقادا وخضعا له يقال سلم لأمر الله وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا وأصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من أن ينازع فيه وقولهم سلم لأمر الله وأسلم له منقولان منه ومعناهما أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه له تعالى وعن قتادة رضى الله عنه فى أسلما أسلم ابراهيم ابنه واسماعيل نفسه ﴿وتله للجبين﴾ صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو أحد جانبى الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى منه مايورث رقة تحول بينه وبين أمر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل فى الموضع المشرف على مسجد منى وقيل فى المنحر الذى ينحر اليوم فيه ﴿وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ بالعزم على الاتيان بالمأمور به وترتيب

مقدماته وقد روى أنه أمر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين فعند ذلك وقع النداء وجواب لما محذوف ايذانا بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كأنه قيل كان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق أحد لمثله واظهار فضلهما بذلك على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك ﴿انا كذلك نجزى المحسنين﴾ تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع المأمور به فانه عليه الصلاة والسلام كان مأمورا بالذبح لقوله تعالى افعل ماتؤمر ولم يحصل ﴿ان هذا لهو البلاء المبين﴾ الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص عن غيره أو المحنة البينة الصعوبة اذ لاشىء أصعب منها ﴿وفديناه بذبح﴾ بما يذبح بدله فيتم به الفعل ﴿عظيم﴾ أى عظيم الجثة سمين أو عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبى وأى نبى من نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشا من الجنة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه الكبش الذى قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به اسمعيل عليه السلام وقيل فدى بوعل أهبط عليه من ثبير وروى أنه هرب من ابراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقى سنة فى الرمى وروى أنه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروى أنه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقى سنة والفادى فى الحقيقة هو ابراهيم وانما قيل وفديناه لأنه تعالى هو المعطى له والآمر به على التجوز فى الفداء أو الاسناد ﴿وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم﴾ قد سلف بيانه فى خاتمة قصة نوح عليه السلام ﴿كذلك نجزى المحسنين﴾ ذلك اشارة الى ابقاء ذكره الجميل فيما بين الامم لا الى ما أشير اليه فيما سبق فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بانا للاكتفاء بما مر آنفا ﴿انه من عبادنا المؤمنين﴾ الراسخين فى الايمان على وجه الايقان والاطمئنان ﴿وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين﴾ أى مقضيا بنبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذى الحال ليس بشرط وانما الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق أى بأن يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق عليه السلام لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حين ما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته عليه الصلاة والسلام وفى ذكر الصلاح بعد تعظيم لشأنه وايماء الى أنه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق ﴿وباركنا عليه﴾ على ابراهيم فى أولاده ﴿وعلى اسحق﴾ بأن أخرجنا من صلبه أنبياء بنى اسرائيل وغيرهم كأيوب وشعيب عليهم السلام أو أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرىء وبركنا ﴿ومن ذريتهما محسن﴾ فى عمله أو لنفسه بالايمان والطاعة ﴿وظالم لنفسه﴾ بالكفر والمعاصى ﴿مبين﴾ ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على أن النسب لا تأثير له فى الهداية والضلال وأن الظلم فى أعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب ﴿ولقد مننا على موسى وهرون﴾ أى أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية ﴿ونجيناهما وقومهما﴾ وهم بنو اسرائيل ﴿من الكرب العظيم﴾ هو ملك آل فرعون وتسلطهم عليهم بألوان الغشم والعذاب كما فى قوله تعالى واذ أنجيناكم من آل فرعون وقيل هو الغرق وهو بعيد لأنه لم يكن عليهم كربا ومشقة ﴿ونصرناهم﴾ أى اياهما وقومهما على عدوهم ﴿فكانوا﴾ بسبب ذلك ﴿هم الغالبين﴾ عليهم غلبة لا غاية وراءها بعد أن كان قومهما فى أسرهم وقسرهم مقهورين تحت أيديهم العادية يسومونهم سوء العذاب وهذه التنجية وان كانت بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب

المفهوم عبارة عن التخليص من المكروه بدئ بها ثم بالنصر الذى يتحقق مدلوله بمحض تنجية المنصور من عدوه من غير تغليبه عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان حقه باظهار أن كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة جليلة على حيالها ﴿ وآتيناهما ﴾ بعد ذلك ﴿ الكتاب المستبين ﴾ أى البليغ فى البيان والتفصيل وهو التوراة ﴿ وهديناهما ﴾ بذلك ﴿ الصراط المستقيم ﴾ الموصل الى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل الشرائع وتفاريع الاحكام ﴿ وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون ﴾ أى أبقينا فيما بين الامم الآخرين هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل ﴿ انا كذلك ﴾ الجزاء الكامل ﴿ نجزى المحسنين ﴾ الذين هما من جملتهم لاجزاء قاصرا عنه ﴿ انهما من عبادنا المؤمنين ﴾ سبق بيانه ﴿ وان إلياس لمن المرسلين ﴾ هو الياس بن ياسين من سبط هرون أخى موسى عليهم السلام بعث بعده وقيل ادريس لأنه قرئ مكانه ادريس وادراس وقرئ ايليس وقرئ الياس بحذف الهمزة ﴿ اذ قال لقومه ألا تتقون ﴾ أى عذاب الله تعالى ﴿ أتدعون بعلا ﴾ أتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لأهل بك من الشام وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن أى أتعبدون بعض البعول ﴿ وتذرون أحسن الخالقين ﴾ أى وتتركون عبادته وقد أشير الى المقتضى للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى ﴿ الله ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ بالنصب على البدلية من أحسن الخالقين وقرئ بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لآبائهم لتأكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار ببطلان آراء آبائهم أيضا ﴿ فكذبوه فانهم ﴾ بسبب تكذيبهم ذلك ﴿ لمحضرون ﴾ أى العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرائن على أن الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا ﴿ الا عباد الله المخلصين ﴾ استثناء من ضمير محضرون ﴿ وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين ﴾ هو لغة فى الياس كسيناء فى سينين وقيل هو جمع له أريد به هو وأتباعه كالمهلبين والخبيبين وفيه أن العلم اذا جمع يجب تعريفه كالمثالين وقرئ باضافة آل الى ياسين لانهما فى المصحف مفصولان فيكون ياسين أبا الياس ﴿ انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ﴾ مر تفسيره ﴿ وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه ﴾ أى اذكر وقت تنجيتنا اياه ﴿ وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين ﴾ أى الباقين فى العذاب أو الماضين الهالكين ﴿ ثم دمرنا الآخرين ﴾ فان فى ذلك شواهد على جلية أمره وكونه من جملة المرسلين ﴿ وانكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ لتمرون عليهم ﴾ على منازلهم فى متاجركم الى الشام وتشاهدون آثار هلاكهم فان سدوم فى طريق الشام ﴿ مصبحين ﴾ داخلين فى الصباح ﴿ وبالليل ﴾ أى ومساء أو نهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم ﴿ وان يونس لمن المرسلين ﴾ وقرئ بكسر النون ﴿ اذ أبق ﴾ أى هرب وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه ﴿ الى الفلك المشحون ﴾ أى المملوء ﴿ فساهم ﴾ فقارع أهله ﴿ فكان من المدحضين ﴾ فصار من المغلوبين بالقرعة وأصله المزلق عن مقام الظفر روى أنه عليه الصلاة والسلام لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا فيها عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق ورمى بنفسه فى الماء ﴿ فالتقمه الحوت ﴾ فابتلعه من اللقمة ﴿ وهو مليم ﴾ داخل فى الملامة أو آت بما يلام عليه أو مليم نفسه وقرئ مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب فى مشوب ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين ﴾ الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أو فى بطن الحوت وهو قوله لا اله الا أنت

سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل من المصلين فانه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصلاة فى الرخاء ﴿للبث فى بطنه الى يوم يبعثون﴾ حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن أقبل عليه فى السراء أخذ بيده عند الضراء ﴿فنبذناه بالعراء﴾ بأن حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالى عما يغطيه من شجر أو نبت روى أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شئ فأسلموا وروى أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف فى مقدار لبثه فقيل أربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم أخرج من بطنه بعيد الوقت الذى التقم فيه روى عطاء أنه حين ابتلعه أوحى الله تعالى الى الحوت انى جعلت بطنك له سجنا ولم أجعله لك طعاما ﴿وهو سقيم﴾ مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد ﴿وأنبتنا عليه﴾ أى فوقه مظلة عليه ﴿شجرة من يقطين﴾ وهو كل ما ينبسط على الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا أقام به والاكثرون على أنه الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال أجل هى شجرة أخى يونس وقيل هى التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل بأغصانه وأفطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها ﴿وأرسلناه الى مائة ألف﴾ هم قومه الذين هرب منهم وهم أهل نينوى والمراد به ارساله السابق أخبر أولا بأنه من المرسلين على الاطلاق ثم أخبر بأنه قد أرسل الى أمة جمة وكأن توسيط تذكير وقت هربه الى الفلك وما بعده بينهما لتذكير سببه وهو ما جرى بينه عليه الصلاة والسلام وبين قومه من انذاره اياهم عذاب الله تعالى وتعيينه لوقت حلوله وتعللهم وتعليقهم لايمانهم بظهور أماراته كما مر تفصيله فى سورة يونس ليعلم أن ايمانهم الذى يحكى بعد لم يكن عقيب الارسال كما هو المتبادر من ترتيب الايمان عليه بالفاء بل بعد اللتيا والتى وقيل هو ارسال آخر اليهم وقيل الى غيرهم وليس بظاهر ﴿أو يزيدون﴾ أى فى مرأى الناظر فانه اذا نظر اليهم قال انهم مائة ألف أو يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو ﴿فآمنوا﴾ أى بعد ما شاهدوا علائم حلول العذاب ايمانا خالصا ﴿فمتعناهم﴾ أى بالحياة الدنيا ﴿الى حين﴾ قدره الله سبحانه لهم قيل ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصص للتفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع وأولى العزم من الرسل أو اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين فى آخر السورة ﴿فاستفتهم﴾ أمر الله عز وجل فى صدر السورة الكريمة رسوله صلى الله عليه وسلم بتبكيت قريش وأبطال مذهبهم فى انكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة الناطقة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل مالهم من النعيم المقيم ثم ذكر أنه قد ضل من قبلهم أكثر الاولين وأنه تعالى أرسل اليهم منذرين على وجه الاجمال ثم أورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا فى كل قصة منها أنهم من عباده تعالى واصفا لهم تارة بالاخلاص وأخرى بالايمان ثم أمره عليه الصلاة والسلام ههنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء عن وجه أمر منكر خارج عن العقول بالكلية وهى القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض أجناس العرب جهينة وبنى سلمة وخزاعة وبنى مليح الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الامر على ماسبق من كون أولئك الرسل الذين هم أعلام الخلق عليهم الصلاة والسلام عباده تعالى فان ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة بجعلهم اناثا ثم أبطل أصل كفرهم المنطوى على هذين الكفرين وهو نسبة الولد اليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم ينظمه فى سلك التبكيت لمشاركتهم

النصارى فى ذلك أى فاستخبرهم ﴿ ألربك البنات ﴾ اللاتى هن أوضع الجنسين ﴿ ولهم البنون ﴾ الذين هم أرفعهما فان ذلك مما لا يقول به من له أدنى شئ من العقل وقوله تعالى ﴿ أم خلقنا الملائكة اناثا ﴾ اضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء السابق الى التبكيت بهذا كما أشير اليه أى بل أخلقنا الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق وأبعدهم من صفات الاجسام ورذائل الطبائع اناثا والانوثة من أخس صفات الحيوان وقوله تعالى ﴿ وهم شاهدون ﴾ استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تعالى أشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم فان أمثال هذه الامور لا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد أن يكون القائل بأنوثتهم شاهدا عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل خلقنا أى بل أخلقناهم اناثا والحال أنهم حاضرون حينئذ أو عطف على خلقنا أى بل أهم شاهدون وقوله تعالى ﴿ ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله ﴾ استئناف من جهته غير داخل تحت الأمر بالاستفتاء مسوق لابطال أصل مذهبهم الفاسد ببيان أن مبناه ليس الا الافك الصريح والافتراء القبيح من غير أن يكون لهم دليل أو شبهة قطعا ﴿ وانهم لكاذبون ﴾ فى قولهم ذلك كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولد الله على أنه خبر مبتدأ محذوف أى الملائكة ولده تعالى عن ذلك علوا كبيرا فان الولد فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿ أصطفى البنات على البنين ﴾ اثبات لافكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لامرين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء أخذ صفوة الشئ لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا من ولد الله ضعيف وتقدير القول أى لكاذبون فى قولهم أصطفى الخ تعسف بعيد ﴿ ما لكم كيف تحكمون ﴾ بهذا الحكم الذى يقضى ببطلانه بديهة العقل ﴿ أفلا تذكرون ﴾ بحذف احدى التاءين من تتذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر أى ألا تلاحظون ذلك فلا تذكرون بطلانه فانه مركوز فى عقل كل ذكى وغبى ﴿ أم لكم سلطان مبين ﴾ اضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر الى تبكيتهم بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود أصلا أى بل ألكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بناته تعالى ضرورة أن الحكم بذلك لا بد له من سند حسى أو عقلى وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلى ﴿ فأتوا بكتابكم ﴾ الناطق بصحة دعواكم ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ فيها وفى هذه الآيات من الانباء عن السخط العظيم والانكار الفظيع لأقاويلهم والاستبعاد الشديد لاباطيلهم وتسفيه أحلامهم وتركيك عقولهم وأفهامهم مع استهزاء بهم وتعجيب من جهلهم ما لا يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ﴾ التفات الى الغيبة للايذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم أن يعرض عنهم وتحكى جناياتهم لآخرين والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم مع عظم شأنهم فيما بين الخلق أن يبلغوا منزلة المناسبة التى أضافوها اليهم فجعلهم هذا عبارة عن قولهم الملائكة بنات الله وانما أعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى ﴿ ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون ﴾ أى وبالله لقد علمت الجنة التى عظموها بأن جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة أن الكفرة لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم فى قولهم ذلك والمراد به المبالغة فى التكذيب ببيان أن الذين يدعى هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون أنهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم فى ذلك ويحكمون بأنهم معذبون لاجله حكما مؤكدا وقيل ان قوما من الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس اخوان فالله هو الخير الكريم وابليس هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الامام الرازى وهذا القول عندى أقرب

الأقاويل وهو مذهب المجوس القائلين يزدان واهرمن وقال مجاهد قالت قريش الملائكة بنات الله فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فمن أمهاتهم تبكيتا لهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة حيث أشركوا به تعالى الجن فى استحقاق العبادة فعلى هذه الاقاويل يجوز أن يكون الضمير فى أنهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين أن الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسبين له تعالى أو شركاء فى استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الأول فان قوله ﴿سبحان الله عما يصفون﴾ حكاية لتنزيه الملائكة اياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم فى ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى ﴿الا عباد الله المخلصين﴾ شهادة منهم ببراءة المخلصين من أن يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبرئهم منه بحكم اندراجهم فى زمرة المخلصين على أبلغ وجه وآكده على أنه استثناء منقطع من واو يصفون كأنه قيل ولقد علمت الملائكة أن المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم برآء من ذلك الوصف وقوله تعالى ﴿فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين﴾ تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين مما ذكر ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين أغووهم وفيه ايذان بتبرئهم عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وأنتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليبا وعلى متعلقة بفاتنين يقال فتن فلان على فلان امرأته أى أفسدها عليه والمعنى فانكم ومعبوديكم أيها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بافساد عباده واضلالهم ﴿الا من هو صال الجحيم﴾ منهم أى داخلها لعلمه تعالى بأنه يصير على الكفر بسوء اختياره ويصير من أهل النار لامحالة وأما المخلصون منهم فأنتم بمعزل من افسادهم واضلالهم فهم لاجرم برآء من أن يفتتنوا بكم ويسلكوا مسلككم فى وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرئ صال بضم اللام على أنه جمع محمول على معنى من قد سقط واوه لالتقاء الساكنين وقوله تعالى ﴿وما منا الا له مقام معلوم﴾ تبيين لجلية أمرهم وتعيين لحيزهم فى موقف العبودية بعد ماذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك وتبرئة المخلصين عنه واظهار لقصور شأنهم وقماءتهم أى وما منا أحد الا له مقام معلوم فى العبادة والانتهاء الى أمر الله تعالى مقصور عليه لايتجاوزه ولا يستطيع أن يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله كما روى فمنهم راكع لايقيم صلبه وساجد لايرفع رأسه قال ابن عباس رضى الله عنهما مافى السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلى أو يسبح وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال أطت السماء وحق لها أن تئط والذى نفسى بيده مافيها موضع أربع أصابع الا وفيه ملك واضع جبهته ساجد لله تعالى وقال السدى الا له مقام معلوم فى القربة والمشاهدة ﴿وانا لنحن الصافون﴾ فى مواقف الطاعة ومواطن الخدمة ﴿وانا لنحن المسبحون﴾ المقدسون لله سبحانه عن كل مالايليق بجناب كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التأكيد لابراز أن صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط هذا هو الذى تقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر فى تفسير الآيات الكريمة واعرابها وجوه أخر فتأمل والله الموفق ﴿وان كانوا ليقولون﴾ ان هى المخففة من الثقيلة وضمير الشأن محذوف واللام هى الفارقة أى ان الشأن كانت قريش تقول ﴿لوأن عندنا ذكرا من الأولين﴾ أى كتابا من كتب الاولين من التوراة والانجيل ﴿لكنا عباد الله المخلصين﴾ أى لأخلصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءنا نذير لنكونن أهدى من احدى الامم والفاء فى قوله تعالى ﴿فكفروا به﴾ فصيحة كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فجاءهم ذكر وأى ذكر سيد الاذكار وكتاب مهيمن على سائر الكتب والاسفار فكفروا به ﴿فسوف يعلمون﴾ أى عاقبة كفرهم وغائلته ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ استئناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم

لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه أى و بالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى ﴿أنهم لهم المنصورون وأن جندنا﴾ وهم أتباع المرسلين ﴿لهم الغالبون﴾ على أعدائهم فى الدنيا والآخرة و لايقدح فى ذلك انهزامهم فى بعض المشاهد فان قاعدة أمرهم وأساسه الظفر والنصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى الآخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع أنها كلمات لانتظامها فى معنى واحد وقرئ كلماتنا ﴿فتول عنهم﴾ فأعرض عنهم واصبر ﴿حتى حين﴾ الى مدة يسيرة وهى مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح ﴿وأبصرهم﴾ على أسوأ حال وأفظع نكال حل بهم من القتل والاسر والمراد بالأمر بابصارهم الايذان بغاية قربه كأنه بين يديه ﴿فسوف يبصرون﴾ مايقع حينئذ من الامور وسوف للوعيد دون التبعيد ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ روى أنه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل ﴿فاذا نزل بساحتهم﴾ أى فاذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كأنه جيش قد هجمهم فأناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرة وقيل المراد نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور وقرئ نزل مبنيا للمفعول من التنزيل أى نزل العذاب ﴿فساء صباح المنذرين﴾ فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الغارة فى الصباح سموها صباحا وان وقعت ليلا روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحى قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه الصلاة والسلام الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ﴿وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسلية وتأكيد لوقوع الميعاد غب تأكيد مع مافى اطلاق الفعلين عن المفعول من الايذان بأن مايبصره عليه الصلاة والسلام حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من أنواع المضار لايحيط به الوصف والبيان وقيل أريد بالأول عذاب الدنيا و بالثانى عذاب الآخرة ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ تنزيه لله سبحانه عن كل مايصفه المشركون به مما لايليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر فى السورة الكريمة ومالم يذكر من الأمور التى من جملتها ترك انجاز الموعود على موجب كلمته السابقة لا سيما فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المعربة عن التربية والتكميل والمالكية الكلية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام أولا والى العزة ثانيا كأنه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك ومالك العزة والغلبة على الاطلاق عما يصفه المشركون به من الأشياء التى منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى ﴿وسلام على المرسلين﴾ تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشأنهم وايذان بأنهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع المآرب وقوله تعالى ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ اشارة الى وصفه عز وجل بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه تعالى بجميع صفاته السلبية وايذان باستتباعها للأفعال الجميلة التى من جملتها افاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية والدنيوية واسباغه عليهم وعلى من تبعهم من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى واشعار بأن ماوعده عليه الصلاة والسلام من النصرة والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسايط بينهم وبينه عز وعلا فى فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده تعالى مع مافيه من الاشعار بأن توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد . عن على رضى الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى

من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص

(مكية وآيها ست أو ثمان وثمانون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ص﴾ بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن يكون الفتح باضمار حرف القسم فى موضع الجر كقولهم الله لأفعلن بالجر وأن يكون ذلك نصبا باضمار اذكر أو اقرأ لا فتحا كما مر فى فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لأنها علم للسورة وقد صرفها من قرأ صاد بالتنوين على أنه اسم الكتاب أو التنزيل وقيل هو فى قراءة الكسر أمر من المصاداة وهى المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذى ينعكس من الأجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه وتخلق بأخلاقه ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على منهاج التحدى أو الرمز الى كلام مثل صدق الله أو صدق محمد كما نقل عن أكابر السلف أو اسما للسورة خبرا لمبتدأ محذوف أو نصبا على اضمار اذكر أو اقرأ أو أمرا من المصاداة فالواو فى قوله تعالى ﴿والقرآن ذى الذكر﴾ للقسم وان جعل مقسما به فهى للعطف عليه فان أريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وان أريد عين السورة فهى اعتبارية كما فى قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة وأياما كان ففى التكرير مزيد تأكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما فى قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك أو الذكرى والموعظة أو ذكر ما يحتاج اليه فى أمر الدين من الشرائع والأحكام وغيرها من أقاصيص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأخبار الأمم الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الأول والرابع والخامس محذوف هو ما ينبئ عنه التحدى والأمر والاقسام به من كون المتحدى به معجزا وكون المأمور به واجبا وكون المقسم به حقيقا بالاعظام أى أقسم بالقرآن أو بصاد وبه انه لمعجز أو لواجب العمل به أو لحقيق بالاعظام وأما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز اليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فان التسمية تنويه بشأن المسمى وتنبيه على عظم خطره أى انه لصادق والقرآن ذى الذكر أو هذه السورة عظيمة الشأن والقرآن الخ على طريقة قولهم هذا حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الأجوبة منبئا عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلية أنباء بينا كان قوله تعالى ﴿بل الذين كفروا فى عزة وشقاق﴾ اضرابا عن ذلك كأنه قيل لا ريب فيه قطعا وليس عدم اذعان الكفرة له لشائبة ريب ما فيه بل هم فى استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ولرسوله ولذلك لا يذعنون له وقيل الجواب ما دل عليه الجملة الاضرابية أى ما كفر به من كفر لخلل وجد فيه بل الذين كفروا الخ وقرئ فى غرة أى فى غفلة عما يجب عليهم التنبه له من مبادى الايمان ودواعيه ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما أصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول أهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى قرنا كثيرا أهلكنا من القرون الخالية ﴿فنادوا﴾ عند نزول بأسنا وحلول نقمتنا استغاثة وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى ﴿ولات حين مناص﴾ حال من ضمير نادوا أى نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال أن ليس الحين حين مناص أى فوت ونجاة من ناصه أى فاته لا من ناص بمعنى تأخر ولا هى المشبهة بليس زيدت

عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بنفي الأحيان ولم يبرز الا أحد معموليها والأكثر حذف اسمها وقيل هي النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الأحيان وحين مناص منصوب على أنه اسمها أى ولاحين مناص لهم أو بفعل مضمر أى ولا أرى حين مناص وقرئ بالرفع فهو على الأول اسمها والخبر محذوف أى وليس حين مناص حاصلا لهم وعلى الثانى مبتدأ محذوف الخبر أى ولاحين مناص كائن لهم وقرئ بالكسر كما فى قوله

طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن لات حين بقاء

اما لأن لات تجر الأحيان كما أن لولا تجر الضمائر فى نحو قوله لولاك هذا العام لم أحجج أو لأن أوان شبه باذ فى قوله نهيتك عن طلابك أم عمرو بعافية وأنت اذ صحيح

فى أنه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لأن أصله أوان صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا لقطع المضاف اليه من مناص اذ أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم بنى الحين لاضافته الى غير متمكن وقرئ لات بالكسر كجير ويقف الكوفيون عليها بالهاء كالأسماء والبصريون بالتاء كالأفعال وما قيل من أن التاء مزيدة على حين لاتصالها به فى الامام مما لا وجه له فان خط المصحف خارج عن القياس ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ حكاية لأباطيلهم المتفرعة على ما حكى من استكبارهم وشقاقهم أى عجبوا من أن جاءهم رسول من جنسهم بل أدون منهم فى الرياسة الدنيوية والمال على معنى أنهم عدوا ذلك أمرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وأنكروه أشد الانكار لا أنهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه ﴿وقال الكافرون﴾ وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وايذانا بأنه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه الا المتوغلون فى الكفر والفسوق ﴿هذا ساحر﴾ فيما يظهره من الخوارق ﴿كذاب﴾ فيما يسنده الى الله تعالى من الارسال والانزال ﴿أجعل الآلهة الها واحدا﴾ بأن نفى الألوهية عنهم وقصرها على واحد ﴿ان هذا لشئ عجاب﴾ بليغ فى العجب وذلك لأنه خلاف ما ألفوا عليه آباءهم الذين أجمعوا على ألوهيتهم وواظبوا على عبادتهم كابرا عن كابر فان مدار كل ما يأتون وما يذرون من أمور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا بل محالا وأما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالأشياء الكثيرة فلا وجه له لما أنهم لا يدعون أن لآلهتهم علما وقدرة ومدخلا فى حدوث شئ من الأشياء حتى يلزم من نفى ألوهيتهم بقاء الآثار بلا مؤثر وقرئ عجاب بالتشديد وهو أبلغ ككرام وكرام روى أنه لما أسلم عمر رضى الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فأتوا أبا طالب فقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء وقد جئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسألوننى قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان أعطيتكم ما سألتم أمعطى أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك ﴿وانطلق الملأ منهم﴾ أى وانطلق الأشراف من قريش عن مجلس أبى طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه عليه الصلاة والسلام فى الدين وعزيمته على أن يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط أبى طالب من المصالحة على الوجه المذكور ﴿أن امشوا﴾ أى قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا ﴿واصبروا على آلهتكم﴾ أى واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعونه فى حقها من القدح وأن هى المفسرة لأن الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع فى القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية

التقاول أي اجتمعوا وأكثروا وقرئ امشوا بغير أن على اضمار القول وقرئ يمشون أن اصبروا ﴿ان هذا لشئ يراد﴾ تعليل للأمر بالصبر أو لوجوب الامتثال به أي هذا الذي شاهدناه من محمد صلى الله عليه وسلم من أمر التوحيد ونفي آلهتنا وابطال أمرها لشئ يراد أي من جهته عليه الصلاة والسلام امضاؤه وتنفيذه لامحالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لاقول يقال من طرف اللسان أو أمر يرجى فيه المسامحة بشفاعة أو امتنان فاقطعوا أطماعكم عن استنزاله من رأيه بوساطة أبي طالب وشفاعته وحسبكم أن لاتمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ماتسمعونه في حقها من القدح وسوء القالة وقيل ان هذا الأمر لشئ يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا الأمر لشئ من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل ان دينكم لشئ يراد أي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل ان هذا الذي يدعيه من التوحيد أو يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشئ يتمنى ويريده كل أحد فتأمل في هذه الأقاويل واختر منها مايساعده النظم الجليل ﴿ماسمعنا بهذا﴾ الذي يقوله ﴿في الملة الآخرة﴾ أي الملة النصرانية التي هي آخر الملل فانهم مثلثة أو في الملة التي أدركنا عليها آباءنا ويجوز أن يكون الجار والمجرور حالا من هذا أي ماسمعنا بهذا من أهل الكتاب ولا الكهان كائنا في الملة المترقبة ولقد كذبوا في ذلك أقبح كذب فان حديث البعثة والتوحيد كان أشهر الأمور قبل الظهور ﴿ان هذا﴾ أي ماهذا ﴿الا اختلاق﴾ أي كذب اختلقه ﴿أأنزل عليه الذكر﴾ أي القرآن ﴿من بيننا﴾ ونحن رؤساء الناس وأشرافهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه ذكرا منزلا من عند الله عز وجل كقولهم لو كان خيرا ماسبقونا اليه وأمثال هذه المقالات الباطلة دليل على أن مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوي ﴿بل هم في شك من ذكري﴾ أي من القرآن أو الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر في الأدلة المؤدية الى العلم بحقيته وليس في عقيدتهم مايبتون به فهم مذبذبون بين الأوهام ينسبونه تارة الى السحر وأخرى الى الاختلاق ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ أي بل لم يذوقوا بعد عذابي فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي لما دلالة على أن ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى أنهم لايصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابي الموعود في القرآن ولذلك شكوا فيه ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾ بل أعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤن حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى أن النبوة عطية من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لامانع له فانه العزيز أي الغالب الذي لايغالب الوهاب الذي له أن يهب كل مايشاء لكل من يشاء وفي اضافة اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تشريفه واللطف به مالايخفى وقوله تعالى ﴿أم لهم ملك السموات والأرض ومابينهما﴾ ترشيح لما سبق أي بل ألهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا في الأمور الربانية ويتحكموا في التدابير الالهية التي يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾ جواب شرط محذوف أي ان كان لهم ماذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم مالاغاية وراءه والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لأنها أسباب الحوادث السفلية وقيل أبوابها ﴿جند ماهنالك مهزوم من الاحزاب﴾ أي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولاتكترث بما يهذون وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو قولك أكلت شيأ ما وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك

اشارة الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله تعالى ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ﴾ الخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان أحوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند ما من جنودهم مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذو الاوتاد معناه ذو الملك الثابت أصله من ثبات البيت المطنب بأوتاده فاستعير لثبات الملك و رسوخ السلطنة واستقامة الامر قال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد

أو ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لأن بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب أربع سوار وكان يمد يدى المعذب و رجليه اليها و يضرب عليها أوتادا و يتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين أربعة أوتاد فى الارض و يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه ﴿ وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة ﴾ أصحاب الغيضة من قوم شعيب عليه السلام وقوله تعالى ﴿ أولئك الاحزاب ﴾ اما بدل من الطوائف المذكورة كما أن ذلك الكتاب بدل من الم على أحد الوجوه وفيه فضل تأكيد وتنبيه على أنهم الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله تعالى ﴿ ان كل الا كذب الرسل ﴾ استئناف جيء به تقريرا لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه أى ما كل أحد من آحاد أولئك الاحزاب أو ما كل حزب منهم الا كذب الرسل لأن تكذيب واحد منهم تكذيب لهم جميعا لاتفاق الكل على الحق وقيل ما كل حزب الا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع وأياما كان فالاستثناء مفرغ من أعم العام فى خبر المبتدا أى ما كل أحد منهم محكوما عليه بحكم الا محكوم عليه بأنه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم مخبرا عنه بخبر الا مخبر عنه بأنه كذب الرسل وفى اسناد التكذيب الى الطوائف المذكورة على وجه الابهام أولا والايذان بأن كلا منهم حزب على حياله تحزب على رسوله ثانيا وتبيين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ثالثا فنون من المبالغة مسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأفظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى ﴿ فحق عقاب ﴾ أى ثبت ووقع على كل منهم عقابى الذى كانت توجبه جناياتهم من أصناف العقوبات المفصلة فى مواقعها واما مبتدأ وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل خبره بحذف العائد أى ان كل منهم الخ والجملة استئناف مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه مع مافيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على أنهم الذين جعل الجند المهزوم منهم كما ذكر وقيل هو مبتدأ وخبر والمعنى ان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب فتدبر وأما ماقيل من أنه خبر والمبتدأ قوله تعالى وعاد الخ أو قوله وقوم لوط الخ فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله ﴿ وما ينظر هؤلاء ﴾ شروع فى بيان عقاب كفار مكة اثر بيان عقاب أضرابهم من الاحزاب الذين أخبر فيما سبق بأنهم جند حقير منهم مهزوم عن قريب فان ذلك مما يوجب انتظار السامع وترقبه الى بيانه قطعا وفى الاشارة اليهم بهؤلاء تحقير لشأنهم وتهوين لأمرهم وأما جعله اشارة الى الاحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر أو حضورهم فى علم الله عز وجل فليس فى حيز الاحتمال أصلا كيف لا والانتظار سواء كان حقيقة أو استهزاء انما يتصور فى حق من لم يترتب على أعماله نتائجها بعد و بعدما بين عقاب الاحزاب واستئصالهم بالمرة لم يبق مما أريد بيانه من عقوباتهم أمر منتظر وانما الذين فى مرصد الانتظار كفار مكة حيث ارتكبوا من عظائم الجرائم وكبائر الجرائر الموجبة لاشد العقوبات مثل ما ارتكب الاحزاب أو أشد منه ولما يلاقوا بعد شيأ من غوائلها أى وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم أمثال أولئك الطوائف المهلكة فى الكفر والتكذيب ﴿ الا صيحة واحدة ﴾ هى النفخة الثانية لابمعنى أن عقابهم نفسها بما فيها من الشدة والهول فانها داهية يعم هولها جميع الامم برها وفاجرها بل بمعنى أنه ليس بينهم وبين حلول ما أعد لهم من العقاب الفظيع الاهى حيث أخرت عقوبتهم الى الآخرة

لما أن تعذيبهم بالاستئصال حسبما يستحقونه والنبي عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم خارج عن السنة الالهية المبنية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وأما ما قيل من أنها النفخة الاولى فما لا وجه له أصلا لما أنه لا يشاهد هو لها ولا يصعق بها الا من كان حيا عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعا عقيبها ولا العذاب المطلق مؤخرا اليها بل يحل بهم من حين موتهم ﴿ مالها من فواق ﴾ أي من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان وقوله تعالى ﴿ وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب ﴾ حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم الى الآخرة أي قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قطنا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره الى يوم الحساب الذي مبدؤه الصيحة المذكورة والقط القطعة من الشئ من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أي عجل لنا صحيفة أعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء به عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور للامعان في الاستهزاء كأنهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال ﴿ اصبر على ما يقولون ﴾ من أمثال هذه المقالات الباطلة ﴿ واذكر ﴾ لهم ﴿ عبدنا داود ﴾ أي قصته تهويلا لأمر المعصية في أعينهم وتنبيها لهم على كمال قبح ما اجترؤا عليه من المعاصي فانه عليه الصلاة والسلام مع علو شأنه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات لما ألم بصغيرة نزل عن منزلته ووبخته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه وأناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائب وغمه الواصب وندمه الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الاذلين من كل ذليل المرتكبين لاكبر الكبائر المصرين على أعظم المعاصي أو تذكر قصته عليه الصلاة والسلام وصن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذيتهم كيلا يلقاك ما لقيه من المعاتبة ﴿ ذا الأيد ﴾ أي ذا القوة يقال فلان أيد وذو أيد وآد بمعنى واياد كل شئ ما يتقوى به ﴿ انه أواب ﴾ رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا الايد ودليل على أن المراد به القوة في الدين فانه عليه الصلاة والسلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل ﴿ انا سخرنا الجبال معه ﴾ استئناف مسوق لتعليل قوته في الدين وأوابيته الى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالتسخير وايثارها على اللام لما أشير اليه في سورة الانبياء من أن تسخير الجبال له عليه الصلاة والسلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها اليه عليه الصلاة والسلام كتسخير الريح وغيرها لسليمان عليه السلام بل بطريق التبعية له عليه الصلاة والسلام والاقتداء به في عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها وهو أقرب بالنسبة الى ما في سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ يسبحن ﴾ أي يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له أو بخلق الله تعالى فيها الكلام أو بلسان الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال ووضع موضع مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال أو استئناف مبين لكيفية التسخير ﴿ بالعشي والاشراق ﴾ أي ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضئ ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ رضي الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية ﴿ والطير ﴾ عطف على الجبال ﴿ محشورة ﴾ حال من الطير والعامل سخرنا أي وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية ﴿ كل له أواب ﴾ استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه اجمالا من تسبيح الطير أي كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجاع الى التسبيح ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع

لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لأن الاواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى ومن دأبه اكثار الذكر وادامة التسبيح والتقديس وقيل الضمير لله عز وجل أى كل من داود والجبال والطير لله أواب أى مسبح مرجع للتسبيح ﴿وشددنا ملكه﴾ قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرىء بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم وقيل ادعى رجل على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فأوحى الله تعالى اليه فى المنام أن اقتل المدعى عليه فتأخر فأعيد الوحى فى اليقظة فأعلمه الرجل فقال ان الله تعالى لم يأخذنى بهذا الذنب ولكن بأنى قتلت أبا هذا غيلة فقال الناس ان أذنب أحد ذنبا أظهره الله تعالى عليه فقتله فهابوه وعظمت هيبته فى القلوب ﴿وآتيناه الحكمة﴾ النبوة وكمال العلم واتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة ﴿وفصل الخطاب﴾ أى فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل أو الكلام الملخص الذى ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاظهار والاضمار والحذف والتكرار وانما سمى به أما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق تمهيدا له كالحمد والصلاة وقيل هو الخطاب الفصل الذى ليس فيه ايجاز مخل ولا اطناب ممل كما جاء فى نعت كلام النبوة فصل لانزر ولاهذر ﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾ استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماع مافى حيزه لايذانه بأنه من الانباء البديعة التى حقها أن تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم فى الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد وما فوقه كالضيف ومعنى خصمان فريقان ﴿اذ تسوروا المحراب﴾ اذ تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته واذ متعلقة بمحذوف أى نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا أو بالنبأ على أن المراد به الواقع فى عهد داود عليه السلام وأن اسناد الاتيان اليه على حذف مضاف أى قصة نبأ الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لابأتى لان اتيانه الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن حينئذ وقوله تعالى ﴿اذ دخلوا على داود﴾ بدل مما قبله أو ظرف لتسوروا ﴿ففزع منهم﴾ روى أنه تعالى بعث اليه ملكين فى صورة انسانين قيل هما جبريل وميكائيل عليهما السلام فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله فى غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رضى الله عنهما ان داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخاصة نفسه ويوما للوعظ والتذكير ﴿قالوا﴾ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية فزعه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه فقيل قالوا ازالة لفزعه ﴿لاتخف خصمان﴾ أى نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما ﴿بغى بعضنا على بعض﴾ هو على الفرض وقصد التعريض فلا كذب فيه ﴿فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ أى لاتجر فى الحكومة وقرىء ولا تشطط أى لاتبعد عن الحق وقرىء ولاتشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق ﴿واهدنا الى سواء الصراط﴾ الى وسط طريق الحق بزجر الباغى عما سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهاج العدل ﴿ان هذا أخى﴾ استئناف لبيان مافيه الخصومة أى أخى فى الدين أو فى الصحبة والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح مافعل به صاحبه ﴿له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة﴾ هى الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض أبلغ فى المقصود وقرىء تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرىء ولى نعجة بسكون الياء ﴿فقال أكفلنيها﴾ أى ملكنيها وحقيقته اجعلنى أكفلها كما أكفل ماتحت يدى وقيل أجعلها كفلى أى نصيبى ﴿وعزنى فى الخطاب﴾ أى غلبنى فى

مخاطبته اياى محاجة بأن جاء بحجاج لم أقدر على رده أو فى مغالبته اياى فى الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا أى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى أى غالبنى وعزنى بتخفيف الزاى طلبا للخفة وهو تخفيف غريب كأنه قيس على ظلت ومست ﴿قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه﴾ جواب قسم محذوف قصد به عليه الصلاة والسلام المبالغة فى انكار فعل صاحبه وتهجين طمعه فى نعجة من ليس له غيرها مع أن له قطيعا منها ولعله عليه الصلاة والسلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه أو بناء على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة والضم ﴿وان كثيرا من الخلطاء﴾ أى الشركاء الذين خلطوا أموالهم ﴿ليبغى﴾ ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة ﴿بعضهم على بعض﴾ غير مراع لحق الصحبة والشركة ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ منهم فانهم يتحامون عن البغى والعدوان ﴿وقليل ماهم﴾ أى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض ﴿وظن داود أنما فتناه﴾ الظن مستعار للعلم الاستدلالى لما بينهما من المشابهة الظاهرة أى علم بما جرى فى مجلس الحكومة وقيل لما قضى بينهما نظر أحدهما الى صاحبه فضحك ثم صعدا الى السماء حيال وجهه فعلم عليه الصلاة والسلام أنه تعالى ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه الصلاة والسلام دون غيره بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى متعلقات الفعل وقيوده باعتبار النفى فيه والاثبات فيها كما فى مثل قولك انما ضربت زيدا وانما ضربته تأديبا بل على تخصيص حاله عليه الصلاة والسلام بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى مايغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفى والاثبات معا فى خصوصية الفعل فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار النفى فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار الاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال المخصوصة ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو أثره فى الحقيقة فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطى ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر فى الحقيقة مايتعلق بالفعل باعتبار النفى فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داود عليه السلام أنما فعلنا به الفتنة لا غير قيل ابتليناه بامرأة أوريا وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها وايثار طريق التمثيل لانه أبلغ فى التوبيخ فان التأمل فيه اذا أداه الى الشعور بما هو الغرض كان أوقع فى نفسه وأعظم تأثيرا فى قلبه وأدعى الى التنبه للخطأ مع مافيه من مراعاة حرمته عليه الصلاة والسلام بترك المجاهرة والاشعار بأنه أمر يستحيى من التصريح به وتصويره بصورة التحاكم لالجائه عليه الصلاة والسلام الى التصريح بنسبة نفسه الى الظلم وتنبيهه عليه الصلاة والسلام على أن أوريا بصدد الخصام ﴿فاستغفر ربه﴾ اثر ماعلم أن ماصدر عنه ذنب ﴿وخر راكعا﴾ أى ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه أوخر للسجود راكعا أى مصليا كأنه أحرم بركعتى الاستغفار ﴿وأناب﴾ أى رجع الى الله تعالى بالتوبة . وأصل القصة أن داود عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له أوريا فمال قلبه اليها فسأله أن يطلقها فاستحيى أن يرده ففعل فتزوجها وهى أم سليمان عليه السلام وكان ذلك جائزا فى شريعته معتادا فيما بين أمته غير مخل بالمروءة حيث كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا أعجبته وقد كان الانصار فى صدر الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير خلا أنه عليه الصلاة والسلام لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على أنه لم يكن ينبغى له أن يتعاطى مايتعاطاه آحاد أمته ويسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة أن ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه أن يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر

على ماامتحن به وقيل لم يكن أوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها داود عليه السلام فآثره عليه السلام أهلها فكان ذنبه عليه الصلاة والسلام أن خطب على خطبة أخيه المسلم هذا وأما مايذكر من أنه عليه الصلاة والسلام دخل ذات يوم محرابه وأغلق بابه وجعل يصلى و يقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان فى صورة حمامة من ذهب فمديده ليأخذها لابن صغير له فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت فى كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهى امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لايحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد ففتح الله تعالى على يده وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل وأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فافك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع و يل لمن ابتدعه وأشاعه وتبا لمن اخترعه وأذاعه ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود عليه السلام على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك حد الفرية على الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم هذا وقد قيل ان قوما قصدوا أن يقتلوه عليه الصلاة والسلام فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده أقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم عليه الصلاة والسلام غرضهم فهم بأن ينتقم منهم فظن أن ذلك ابتلاء له من الله عز وجل فاستغفر ربه عما هم به وأناب ﴿فغفرنا له ذلك﴾ أى مااستغفر منه و روى أنه عليه الصلاة والسلام بقى ساجدا أربعين يوما وليلة لايرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة أو لما لابد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت منه العشب الى رأسه ولم يشرب ماء الاثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى فى العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه أهل الزيغ من بنى اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه ﴿وان له عندنا لزلفى﴾ لقربة وكرامة بعد المغفرة ﴿وحسن مآب﴾ حسن مرجع فى الجنة ﴿ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض﴾ اما حكاية لما خوطب به عليه الصلاة والسلام مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما مقول قول مقدر هو معطوف على غفرنا أو حال من فاعله أى وقلنا له أو قائلين له ياداود الخ أى استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين أهلها أوجعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل بين على أن حاله عليه الصلاة والسلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم تتغير قط ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ بحكم الله تعالى فان الخلافة بكلا معنييه مقتضية له حتما ﴿ولاتتبع الهوى﴾ أى هوى النفس فى الحكومات وغيرها من أمور الدين والدنيا ﴿فيضلك عن سبيل الله﴾ بالنصب على أنه جواب النهى وقيل هو مجزوم بالعطف على النهى مفتوح لالتقاء الساكنين أى فيكون الهوى أواتباعه سببا لضلالك عن دلائله التى نصبها على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تعالى ﴿ان الذين يضلون عن سبيل الله﴾ تعليل لما قبله ببيان غائلته واظهار سبيل الله فى موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بكمال شناعة الضلال عنه ﴿لهم عذاب شديد﴾ جملة من خبر ومبتدا وقعت خبرا لان أو الظرف خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من معنى الاستقرار ﴿بما نسوا﴾ بسبب نسيانهم وقوله تعالى ﴿يوم الحساب﴾ اما مفعول لنسوا فيكون تعليلا صريحا لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعلية مايستتبعه و يستلزمه أعنى الضلال عن سبيل الله تعالى فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هذا فرد من أفراده أوظرف لقوله تعالى لهم أى لهم عذاب شديد يوم القيامة بسبب نسيانهم الذى هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته أن يكون مفعوله سبيل الله فيكون التعليل المصرح به حينئذ عين التعليل المشعر به بالذات غيره بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر السرى قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى فتدبر ﴿وماخلقنا

السماء والارض ومابينهما باطلا ﴾ كلام مستأنف مقرر لما قبله من أمر البعث والحساب والجزاء أى وماخلقناهما ومابينهما من المخلوقات على هذا النظام البديع الذى تحار فى فهمه العقول خلقا باطلا أى خاليا عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة بل منطويا على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ماخلقنا نفوسا أودعناها العقل والتمييز بين الحق والباطل والنافع والضار ومكناها من التصرفات العلمية والعملية فى استجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا للحق دلائل آفاقية وأنفسية ومنحناها القدرة على الاستشهاد بها ثم لم نقتصر على ذلك المقدار من الالطاف بل أرسلنا اليها رسلا وأنزلنا عليها كتبا بينا فيها كل دقيق وجليل وأزحنا عللها بالكلية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالها ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى مانفى من خلق ماذكر باطلا ﴿ ظن الذين كفروا ﴾ أى مظنونهم فان جحودهم بأمر البعث والجزاء الذى عليه يدور فلك تكوين العالم قول منهم ببطلان خلق ماذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ﴿ فويل للذين كفروا ﴾ مبتدأ وخبر والفاء لافادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما أن وضع الموصول موضع ضميرهم للاشعار بما فى حيز الصلة بعلية كفرهم له ولا تنافى بينهما لان ظنهم من باب كفرهم ومن فى قوله تعالى ﴿ من النار ﴾ تعليلية كما فى قوله تعالى فويل لهم مما كتبت أيديهم ونظائره مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم صريحا بعد الاشعار بعلية مايؤدى اليها من ظنهم وكفرهم أى فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ﴾ أم منقطعة ومافيها من بل للاضراب الانتقالى عن تقرير أمر البعث والحساب والجزاء بما مر من نفى خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما فى الهمزة من انكار التسوية بين الفريقين ونفيها على أبلغ وجه وآكده أى بل أنجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين فى أقطار الارض كما يقتضيه عدم البعث ومايترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين فى التمتع بالحياة الدنيا بل الكفرة أوفر حظا منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى أعلى عليين ورد الآخرين الى أسفل سافلين وقوله تعالى ﴿ أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ اضراب وانتقال عن اثبات ماذكر بلزوم المحال الذى هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الاطلاق الى اثباته بلزوم ماهو أظهر منه استحالة وهو التسوية بين أتقياء المؤمنين وأشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لايساعده المقام ويجوز أن يراد بهذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما أدخل فى انكار التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى فى الآخرة من الخير ماتعطون فنزلت ﴿ كتاب ﴾ خبر مبتدا محذوف هو عبارة عن القرآن أو السورة وقوله تعالى ﴿ أنزلناه اليك ﴾ صفته وقوله تعالى ﴿ مبارك ﴾ خبر ثان للمبتدا أو صفة لكتاب عند من يجوز تأخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرىء مباركا على أنه حال من مفعول أنزلنا ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى ﴿ ليدبروا آياته ﴾ متعلق بأنزلناه أى أنزلناه ليتفكروا فى آياته التى من جملتها هذه الآيات المعربة عن أسرار التكوين والتشريع فيعرفوا مايدبر ظاهرها من المعانى الفائقة والتأويلات اللائقة وقرىء ليتدبروا على الأصل ولتدبروا على الخطاب أى أنت وعلماء أمتك بحذف احدى التاءين ﴿ وليتذكر أولو الألباب ﴾ أى وليتعظ به ذوو العقول السليمة أو ليستحضروا ماهو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية مبينة لما لايعرف الا بالشرع ومرشدة الى مالاسبيل للعقل اليه ﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد ﴾ وقرىء نعم العبد أى سليمان كما ينبىء عنه تأخيره عن داود مع كونه مفعولا صريحا لوهبنا ولان قوله تعالى ﴿ انه أواب ﴾ أى رجاع الى الله تعالى بالتوبة أو الى التسبيح مرجع له تعليل للمدح وهو من

حاله لما أن الضمير المجرور فى قوله تعالى ﴿اذعرض عليه﴾ راجع اليه عليه الصلاة والسلام قطعا واذمنصوب باذكر أى اذكر ماصدر عنه اذعرض عليه ﴿بالعشى﴾ هو من الظهر الى آخر النهار ﴿الصافنات﴾ فانه يشهد بأنه أواب وقيل ظرف لاواب وقيل لنعم وتأخير الصافنات عن الظرفين لمامر مرارا من التشويق الى المؤخر والصافن من الخيل الذى يقوم على طرف سنبك يد أو رجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل لايكاد يتفق الافى العراب الخلص وقيل هو الذى يجمع يديه و يسويهما وأما الذى يقف على سنبكه فهو المتخيم ﴿الجياد﴾ جمع جواد وجود وهو الذى يسرع فى جريه وقيل الذى يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية أى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها وقيل هو جمع جيد روى أنه عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين وأصاب ألف فرس وقيل أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما بعد ماصلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أوعن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لمافاته فاستردها فعقرها تقربا لله تعالى وبقى مائة فمافى أيدى الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهى الريح تجرى بأمره ﴿فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى﴾ قاله عليه الصلاة والسلام عند غروب الشمس اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلاة وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الأمر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار أواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتأكيد للدلالة على أن اعترافه وندمه عن صميم القلب لالتحقيق مضمون الخبر وأصل أحببت أن يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما أنيب مناب أنبت عدى تعديته وحب الخير مفعوله كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربى ووضعته موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التى شغلته عليه الصلاة والسلام ويحتمل أنه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه الصلاة والسلام الخير معقود بنواصى الخيل الى يوم القيامة وقرئ انى ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ متعلق بقوله أحببت باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار العرض أى أنبت حب الخير عن ذكر ربى واستمر ذلك حتى توارت أى غربت الشمس تشبيها لغروبها فى مغربها بتوارى المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشى عليها وقيل الضمير للصافنات أى حتى توارت بحجاب الليل أى بظلامه ﴿ردوها على﴾ من تمام مقالة سليمان عليه السلام ومرمى غرضه من تقديم ماقدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره توهم أنه متصل بمضمر هوجواب لمضمر آخر كأن سائلا قال فماذا قال سليمان عليه السلام فقيل قال ردوها فتأمل والفاء فى قوله تعالى ﴿فطفق مسحا﴾ فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال بالأمر أى فردوها عليه فأخذ يمسح السيف مسحا ﴿بالسوق والاعناق﴾ أى بسوقها وأعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته أى ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده أعناقها وسوقها حبا لها واعجابا بها وليس بذاك وقرئ بالسؤق على همز الواو لضمتها كما فى أدؤر وقرئ بالسؤوق تنزيلا لضمة السين منزلة ضمة الواو وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لأمن الالباس ﴿ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب﴾ أظهر ماقيل فى فتنته عليه الصلاة والسلام ما روى مرفوعا أنه قال لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه فى السحاب فما شعر به الى أن ألقى على كرسيه ميتا فتنبه لخطئه حيث لم يتوكل على الله عز وعلا وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها وأصاب بنتا له تسمى جرادة من أحسن

الناس فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعا على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن فى ملكه فأخبره آصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تعالى باكيا متضرعا وكانت له أم ولد يقال لها أمينة اذا دخل للطهارة أو لاصابة امرأة يعطيها خاتمه وكان ملكه فيه فأعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر وأخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شئ الا فى نسائه وغير سليمان عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك أربعين صباحا عدد ما عبد الوثن فى بيته فأنكر آصف وعظماء بنى اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت فى يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه فى البحر وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمى به وهو جسم لا روح فيه لانه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عليه الصلاة والسلام عن حال أهله لان اتخاذ التماثيل لم يكن محظورا حينئذ وسجود الصورة بغير علم منه لا يضره ﴿ قال ﴾ بدل من أناب وتفسير له ﴿ رب اغفرلى ﴾ أى ماصدر عنى من الزلة ﴿ وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى ﴾ لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لى مناسبة لحالى فانه عليه الصلاة والسلام لما نشأ فى بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما أو لا ينبغى لاحد أن يسلبه منى بعد هذه السلبة أو لا يصح لاحد من بعدى لعظمته كقولك لفلان ماليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا أن لا يعطى أحد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما فخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله تعالى وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بأمر الدين جريا على سنن الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين وكون ذلك أدخل فى الاجابة وقرئ لى بفتح الياء ﴿ انك أنت الوهاب ﴾ تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معا لا بالاخيرة فقط فان المغفرة أيضا من أحكام وصف الوهابية قطعا ﴿ فسخرنا له الريح ﴾ أى فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد أمره عليه الصلاة والسلام الى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ الرياح ﴿ تجرى بأمره ﴾ بيان لتسخيرها له ﴿ رخاء ﴾ أى لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه كالمأمور المنقاد ﴿ حيث أصاب ﴾ أى حيث قصد وأراد حكى الاصمعى عن العرب أصاب الصواب فأخطأ الجواب ﴿ والشياطين ﴾ عطف على الريح ﴿ كل بناء وغواص ﴾ بدل من الشياطين ﴿ وآخرين مقرنين فى الاصفاد ﴾ عطف على كل بناء داخل فى حكم البدل كأنه عليه الصلاة والسلام فصل الشياطين الى عملة استعملهم فى الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مردة قرن بعضهم مع بعض فى السلاسل لكفهم عن الشر والفساد ولعل أجسامهم شفافة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها ويقدرون على الاعمال الصعبة وقد جوز أن يكون الاقران فى الاصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد وسمى به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه على عكس وعد وأوعد وقوله تعالى ﴿ هذا ﴾ الخ اما حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام مبينة لعظم شأن ما أوتى من الملك وأنه مفوض اليه تفويضا كليا واما مقول لقول مقدر هو معطوف على سخرنا أو حال من فاعله كما مر فى خاتمة قصة داود عليه السلام أى وقلنا له أو قائلين له هذا الامر الذى أعطيناكه من الملك العظيم والبسطة والتسلط على ما لم يسلط عليه

غيرك ﴿عطاؤنا﴾ الخاص بك ﴿فامنن أو أمسك﴾ فأعط من شئت وامنع من شئت ﴿بغير حساب﴾ حال من المستكن فى الامر أى غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق أو من العطاء أى هذا عطاؤنا ملتبسا بغير حساب لغاية كثرته أو صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك الاطلاق والتقييد ﴿وان له عندنا لزلفى﴾ فى الآخرة مع ماله من الملك العظيم فى الدنيا ﴿وحسن مآب﴾ هو الجنة قيل لبث سليمان عليه السلام بعد ماملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه أبو حنيفة أحمد بن داود الدينورى فى تاريخه أن سليمان عليه السلام ورث ملك أبيه فى عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عليه السلام الى مرو ثم الى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف الى أن وافى بلاد فارس فنزلها أياما ثم عاد الى الشام ثم أمر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وكان من حديثه مع صاحبتها ما ذكره الله تعالى وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرهما والله تعالى أعلم ﴿واذكر عبدنا أيوب﴾ عطف على اذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام وأيوب هو ابن عيص بن اسحق عليه السلام ﴿اذ نادى ربه﴾ بدل اشتمال من عبدنا وأيوب عطف بيان له ﴿أنى﴾ بأنى ﴿مسنى الشيطان﴾ بفتح ياء مسنى وقرئ باسكانها واسقاطها ﴿بنصب﴾ أى تعب وقرئ بفتح النون وبفتحتين وبضمتين للتثقيل ﴿وعذاب﴾ أى ألم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد بالضر فى قوله أنى مسنى الضر وهو حكاية لكلامه الذى ناداه به بعبارته والا لقيل انه مسه الخ والاسناد الى الشيطان اما لانه تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه أعجب بكثرة ماله أو استغاثه مظلوم فلم يغثه أو كانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه أو لامتحان صبره فيكون اعترافا بالذنب أو مراعاة للادب أو لانه وسوس الى أتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم أو لان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس به اليه فى مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى فى أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق لدفعه ورده بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعائه عليه الصلاة والسلام بل من جملته قوله وأنت أرحم الراحمين فاكتفى ههنا عن ذكره بما فى سورة الانبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا وقوله تعالى ﴿اركض برجلك﴾ الخ اما حكاية لما قيل له أو مقول لقول مقدر معطوف على نادى أى فقلنا له اركض برجلك أى اضرب بها الارض وكذا قوله تعالى ﴿هذا مغتسل بارد وشراب﴾ فانه أيضا اما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر ونبوع الماء أو مقول لقول مقدر معطوف على مقدر ينساق اليه الكلام كأنه قيل فضربها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب ويأباه ظاهر النظم الكريم وقوله تعالى ﴿ووهبنا له أهله﴾ معطوف على مقدر مترتب على مقدر آخر يقتضيه القول المقدر آنفا كأنه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كما فى سورة الانبياء ووهبنا له أهله اما باحيائهم بعد هلاكهم وهو المروى عن الحسن أو بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل ﴿ومثلهم معهم﴾ عطف على أهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل ﴿رحمة منا﴾ أى لرحمة عظيمة عليه من قبلنا ﴿وذكرى لأولى الالباب﴾ ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجأوا الى الله عز وجل فيما يحيق بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة ﴿وخذ بيدك ضغثا﴾ معطوف على اركض أو على وهبنا بتقدير قلنا أى وقلنا خذ بيدك الخ والاول أقرب لفظا

وهذا أنسب بمعنى فإن الحاجة الى هذا الامر لا تمس الا بعد الصحة فإن امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماصر بنت ميشا بن يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة فأبطأت فحلف ان برئ ليضربنها مائة ضربة فأمره الله تعالى بأخذ الضغث والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبضة من الشجر وقال ﴿ فاضرب به ﴾ أى بذلك الضغث ﴿ ولا تحنث ﴾ فى يمينك فإن البر يتحقق به ولقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهى باقية ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة اما بأطرافها قائمة أو بأعراضها مبسوطة على هيئة الضرب ﴿ انا وجدناه صابرا ﴾ فيما أصابه فى النفس والاهل والمال وليس فى شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك فإنه لا يسمى جزعا كتمنى العافية وطلب الشفاء على أنه قال ذلك خيفة الفتنة فى الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بأنه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره الى أن لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى أنه عليه الصلاة والسلام قال فى مناجاته الهى قد علمت أنه لم يخالف لسانى قلبى ولم يتبع قلبى بصرى ولم يهبنى ما ملكت يمينى ولم آكل الا ومعى يتيم ولم أبت شبعان ولا كاسيا ومعى جائع أو عريان فكشف الله تعالى عنه ﴿ نعم العبد ﴾ أى أيوب ﴿ انه أواب ﴾ تعليل لمدحه أى رجاع الى الله تعالى ﴿ واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب ﴾ عطف بيان لعبادنا وقرئ عبدنا اما على أن ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان وقيل بدل وقيل نصب باضمار أعنى والباقيان عطف على عبدنا واما على أن عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع ﴿ أولى الأيدى والأبصار ﴾ أولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين أو أولى الأعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالأيدى عن الاعمال لان أكثرها تباشر بها وبالأبصار عن المعارف لانها أقوى مباديها وفيه تعريض بالجهلة البطالين أنهم كالزمنى والعماة وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع تمكنهم منهما وقرئ أولى الايد بطرح الياء والاكتفاء بالكسر وقرئ أولى الأيادى على جمع الجمع ﴿ انا أخلصناهم بخالصة ﴾ تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة فى العلم والعمل أى جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة عظيمة الشأن كما ينبئ عنه التنكير التفخيمى وقوله تعالى ﴿ ذكرى الدار ﴾ بيان للخالصة بعد ابهامها للتفخيم أى تذكر للدار الآخرة دائما فإن خلوصهم فى الطاعة بسبب تذكرهم لها وذلك لان مطمح أنظارهم ومطرح أفكارهم فى كل ما يأتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه ولا يتسنى ذلك الا فى الآخرة وقيل أخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم فى اختيارها ويعضد الأول قراءة من قرأ بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بأنها الدار فى الحقيقة وانما الدنيا معبر وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى أى بما خلص من ذكرى الدار على معنى أنهم لا يشوبون ذكراها بهم آخر أصلا أو تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم فى الدنيا كما هو شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا ولسان الصدق الذى ليس لغيرهم ﴿ وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار ﴾ لمن المختارين من أمثالهم المصطفين عليهم فى الخير والاخيار جمع خير كشر وأشرار وقيل جمع خير أو خير مخفف منه كأموات فى جمع ميت وميت ﴿ واذكر اسمعيل ﴾ فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه للاشعار بعراقته فى الصبر الذى هو المقصود بالتذكير ﴿ واليسع ﴾ هو ابن أخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل على يسع كما فى قول من قال رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كأن أصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو على القراءتين علم أعجمى دخل عليه اللام وقيل هو يوشع ﴿ وذا الكفل ﴾ هو ابن عم يسع أو بشر بن أيوب واختلف فى نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبى من بنى اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة صلاة ﴿ وكل ﴾ أى وكلهم

﴿من الأخيار﴾ المشهورين بالخيرية ﴿هذا﴾ اشارة الى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم ﴿ذكر﴾ أى شرف لهم وذكر جميل يذكرون به أبدا أو نوع من الذكر الذى هو القرآن وباب منه مشتمل على أنباء الأنبياء عليهم السلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما هذا ذكر من مضى من الأنبياء وقوله تعالى ﴿وان للمتقين لحسن مآب﴾ شروع فى بيان أجرهم الجزيل فى الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل فى العاجل وهو باب آخر من أبواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخلون فى الحكم دخولا أوليا واما نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التى هى الغاية القاصية من الكمال ﴿جنات عدن﴾ عطف بيان لحسن مآب عند من يجوز تخالفهما تعريفا وتنكيرا فان عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التى وعد الرحمن عباده أو بدل منه أو نصب على المدح وقوله تعالى ﴿مفتحة لهم الأبواب﴾ حال من جنات عدن والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل والأبواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها اما ضمير مقدر كما هو رأى البصريين أى الأبواب منها أو الالف واللام القائمة مقامه كما هو رأى الكوفيين اذ الاصل أبوابها وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر أو على أنهما خبران لمحذوف أى هى جنات عدن هى مفتحة ﴿متكئين فيها﴾ حال من ضمير لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى ﴿يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب﴾ استئناف لبيان حالهم فيها وقيل هو أيضا حال مما ذكر أو من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بأن مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذى فانه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ أى على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم ﴿أتراب﴾ لدات لهم فان التحاب بين الاقران أرسخ أو بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهم فى وقت واحد ﴿هذا ما توعدون ليوم الحساب﴾ أى لأجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله والالتفات أليق بمقام الامتنان والتكريم ﴿ان هذا﴾ أى ما ذكر من ألوان النعم والكرامات ﴿لرزقنا﴾ أعطيناكموه ﴿ما له من نفاد﴾ انقطاع أبدا ﴿هذا﴾ أى الأمر هذا أو هذا كما ذكر أو هذا ذكر وقوله تعالى ﴿وان للطاغين لشر مآب﴾ شروع فى بيان أضداد الفريق السابق ﴿جهنم﴾ اعرابه كما سلف ﴿يصلونها﴾ أى يدخلونها حال من جهنم ﴿فبئس المهاد﴾ وهو المهد والمفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ﴿هذا فليذوقوه﴾ أى ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله تعالى واياى فارهبون أو العذاب هذا فليذوقوه أو هذا مبتدأ خبره ﴿حميم وغساق﴾ وما بينهما اعتراض وهو على الأولين خبر مبتدأ محذوف أى هو حميم والغساق ما يغسق من صديد أهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة فى المشرق لنتنت أهل المغرب ولو قطرت قطرة فى المغرب لنتنت أهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى وقرئ بتخفيف السين ﴿وآخر من شكله﴾ أى ومذوق آخر أو عذاب آخر من مثل هذا المذوق أو العذاب فى الشدة والفظاعة وقرئ وأخر أى ومذوقات أخر أو أنواع عذاب أخر وتوحيد ضمير شكله بتأويل ما ذكر أو الشراب الشامل للحميم والغساق أو هو راجع الى الغساق ﴿أزواج﴾ أى أجناس وهو خبر لآخر لانه يجوز أن يكون ضروبا أو صفة له أو للثلاثة أو مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم ﴿هذا فوج مقتحم معكم﴾ حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم فى الكفر والضلالة والاقتحام الدخول فى الشئ بشدة قال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة وقوله تعالى ﴿لا مرحبا بهم﴾ من اتمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج أو صفة للفوج أو حال منه أى مقول أو مقولا فى حقهم لا مرحبا بهم أى لا أتوا مرحبا أو لا رحبت بهم الدار مرحبا ﴿انهم

صالوا النار﴾ تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم أو وصفهم بما ذكر وقيل لامرحبا بهم الى هنا كلام الرؤساء فى حق أتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم مع بعض فى حق الاتباع ﴿قالوا﴾ أى الاتباع عند سماعهم ما قيل فى حقهم وجه خطابهم للرؤساء فى قولهم ﴿بل أنتم لامرحبا بكم﴾ الخ على الوجهين الاخيرين ظاهر وأما على الوجه الاول فلعلهم انما خاطبوهم مع أن الظاهر أن يقولوا بطريق الاعتذار الى الخزنة بل هم لامرحبا بهم الخ قصدا منهم الى اظهار صدقهم بالمخاطبة مع الرؤساء والتحاكم الى الخزنة طمعا فى قضائهم بتخفيف عذابهم أو تضعيف عذاب خصمائهم أى بل أنتم أحق بما قيل لنا أو قلتم وقوله تعالى ﴿أنتم قدمتموه لنا﴾ تعليل لأحقيتهم بذلك أى أنتم قدمتم العذاب أو الصلى لنا وأوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدى اليه من العقائد الزائغة والاعمال السيئة وتزيينها فى أعيننا واغرائنا عليها لا أنا باشرناها من تلقاء أنفسنا ﴿فبئس القرار﴾ أى فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم ﴿قالوا﴾ أى الاتباع أيضا وتوسيطه بين كلاميهم لما بينهما من التباين البين ذاتا وخطابا أى قالوا معرضين عن خصومتهم متضرعين الى الله تعالى ﴿ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار﴾ كقولهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار أى عذابا مضاعفا أى ذا ضعف وذلك بأن يزيد عليه مثله و يكون ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف الحيات والافاعى ﴿وقالوا﴾ أى الطاغون ﴿مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار﴾ يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم و يسخرون منهم ﴿أتخذناهم سخريا﴾ بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استئناف لامحل لها من الاعراب قالوه انكارا على أنفسهم وتأنيبا لها فى الاستسخار منهم ﴿أم زاغت عنهم الأبصار﴾ متصل بأتخذناهم على أن أم متصلة والمعنى أى الأمرين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم الازدراء بهم وتحقيرهم وان أبصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى انكار كل واحد من الفعلين على أنفسهم توبيخا لها أو على أنها منقطعة والمعنى أتخذناهم سخريا بل أزاغت عنهم أبصارنا كقولك أزيد عندك أم عندك عمرو على معنى توبيخ أنفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرىء اتخذناهم بغير همزة على أنه صفة أخرى لرجالا فقوله تعالى أم زاغت متصل بقوله مالنا لانرى والمعنى مالنا لا نراهم فى النار أليسوا فيها فلذلك لا نراهم أم زاغت عنهم أبصارنا وهم فيها وقد جوز أن تكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة وقرىء سخريا بضم السين ﴿ان ذلك﴾ أى الذى حكى من أحوالهم ﴿لحق﴾ لابد من وقوعه البتة وقوله تعالى ﴿تخاصم أهل النار﴾ خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لذلك وفى الابهام أولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق أو عطف بيان له وقرىء بالنصب على أنه بدل من ذلك وما قيل من أنه صفة له فقد قيل عليه ان اسم الاشارة لا يوصف الا بالمعرف باللام يقال بهذا الرجل و لا يقال بهذا غلام الرجل ﴿قل﴾ أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين ﴿انما أنا منذر﴾ من جهته تعالى أنذركم عذابه ﴿وما من اله﴾ فى الوجود ﴿الا الله الواحد﴾ الذى لا يقبل الشركة والكثرة أصلا ﴿القهار﴾ لكل شىء سواه ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ من المخلوقات فكيف يتوهم أن يكون له شريك منها ﴿العزيز﴾ الذى لا يغلب فى أمر من أموره ﴿الغفار﴾ المبالغ فى المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفى هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للموحدين والوعيد للمشركين مالا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفى القهر والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة لتوفية مقام الانذار حقه ﴿قل﴾ تكرير الامر للايذان بأن المقول أمر جليل له شأن خطير لا بد من الاعتناء به أمرا وائتمارا ﴿هو﴾ أى ما أنبأتكم

به من أنى منذر من جهته تعالى وأنه تعالى واحد لا شريك له وأنه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة والأظهر أنه القرآن وما ذكر داخل فيه دخولا أوليا كما يشهد به آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة ﴿نبأ عظيم﴾ وارد من جهته تعالى وقوله تعالى ﴿أنتم عنه معرضون﴾ استئناف ناع عليهم سوء صنيعهم به ببيان أنهم لا يقدرون قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمته وكونه موجبا للاقبال الكلى عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة أخرى لنبأ وقوله تعالى ﴿ما كان لى من علم بالملأ الأعلى﴾ الخ استئناف مسوق لتحقيق أنه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ من أنبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من أسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة على أن ذلك بطريق الوحى من عند الله تعالى وأن سائر أنبائه أيضا كذلك والملأ الأعلى هم الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله تعالى ﴿اذ يختصمون﴾ متعلق بمحذوف يقتضيه المقام اذ المراد نفى علمه عليه الصلاة والسلام بحالهم لا بذواتهم والتقدير ما كان لى فيما سبق علم مابوجه من الوجوه بحال الملا الأعلى وقت اختصامهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للواسع فان علمه عليه الصلاة والسلام غير مقصور على ماجرى بينهم من الاقوال فقط بل عام لها وللافعال أيضا من سجود الملائكة واستكبار ابليس وكفره حسبما ينطق به الوحى فلا بد من اعتبار العموم فى نفيه أيضا لامحالة وقوله تعالى ﴿ان يوحى الى الا أنما أنا نذير مبين﴾ اعتراض وسط بين اجمال اختصامهم وتفصيله تقريرا لثبوت علمه عليه الصلاة والسلام وتعيينا لسببه الا أن بيان انتفائه فيما سبق لما كان منبئا عن ثبوته الآن ومن البين عدم ملابسته عليه الصلاة والسلام بشىء من مباديه المعهودة تعين أنه ليس الا بطريق الوحى حتما فجعل ذلك أمرا مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل مصب الفائدة والمقصود اخبار ما هو داع الى الوحى ومصحح له تحقيقا لقوله تعالى انما أنا منذر فى ضمن تحقيق علمه عليه الصلاة والسلام بقصة الملا الأعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحى اما ضمير عائد الى الحال المقدر أو ما يعمه وغيره فالمعنى ما يوحى الى حال الملأ الأعلى أو ما يوحى الى ما يوحى من الامور الغيبية التى من جملتها حالهم الا لأنما أنا نذير مبين من جهته تعالى فان كونه عليه الصلاة والسلام كذلك من دواعى الوحى اليه ومن موجباته حتما وأما أن القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور أو هو أنما أنا نذير مبين بلا تقدير الجار وأن المعنى ما يوحى الى الا الانذار أو ما يوحى الى الا أن أنذر وأبلغ ولا أفرط فى ذلك كما قيل فمع ما فيه من الاضطرار الى التكلف فى توجيه قصر الوحى على كونه للانذار فى الاول وقصره على الانذار فى الثانى فلا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون أجنبيا مما توسط بينهما من اجمال الاختصام وتفصيله فتأمل والله المرشد وقرىء انما بالكسر على الحكاية وقوله تعالى ﴿اذ قال ربك للملائكة﴾ شروع فى تفصيل ما أجمل من الاختصام الذى هو ماجرى بينهم من التقاول وحيث كان تكليمه تعالى اياهم بواسطة الملك صح اسناد الاختصام الى الملائكة واذ بدل من اذ الأولى وليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام بل يكفى اشتمال ما فى حيزها عليه فان القصة ناطقة بذلك تفصيلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه والايذان بأن وحى هذا النبأ اليه تربية وتأييد له عليه الصلاة والسلام والكاف وارد باعتبار حال الآمر لكونه أدل على كونه وحيا منزلا من عنده تعالى كما فى قوله تعالى قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الخ دون حال المأمور والا لقيل ربى لأنه داخل فى حيز الأمر ﴿انى خالق﴾ أى فيما سيأتى وفيه ما ليس فى صيغة المضارع من الدلالة على أنه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه ﴿بشرا﴾ قيل أى جسما كثيفا يلاقى ويباشر وقيل خلقا بادى البشرة بلا صوف ولا شعر ولعل ماجرى عند وقوع المحكى ليس هذا

الاسم الذى لم يخلق مسماه حينئذ فضلا عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية ﴿من طين﴾ لم يتعرض لأوصافه من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر فى مواقع أخر ﴿فاذا سويته﴾ أى صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية أو سويت أجزاء بدنه بتعديل طبائعه ﴿ونفخت فيه من روحى﴾ النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة مابه الحياة بالفعل على المادة القابلة لها أى فاذا كملت استعداده وأفضت عليه مايحيى به من الروح التى هى من أمرى ﴿فقعوا له﴾ أمر من وقع وفيه دليل على أن المأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل أى اسقطوا له ﴿ساجدين﴾ تحية له وتكريما ﴿فسجد الملائكة﴾ أى فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة ﴿كلهم﴾ بحيث لم يبق منهم أحد الا سجد ﴿أجمعون﴾ أى بطريق المعية بحيث لم يتأخر فى ذلك أحد منهم عن أحد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد أيضا وقيل أكد بتأكيدين مبالغة فى التعميم هذا وأما أن سجودهم هذا هل ترتب على ماحكى من الأمر التعليقى كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والتى فى سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعى ترتبه عليه من غير أن يتوسط بينهما شىء غير مايفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح أو على الأمر التنجيزى كما يقتضيه مافى سورة البقرة وما فى سورة الاعراف وما فى سورة بنى اسرائيل وما فى سورة الكهف وما فى سورة طه من الآيات الكريمة فقد مر تحقيقه بتوفيق الله عز وجل فى سورة البقرة وسورة الاعراف ﴿الا ابليس﴾ استثناء متصل لما أنه كان جنيا مفردا مغمورا بألوف من الملائكة موصوفا بصفاتهم فغلبوا عليه ثم استثنى استثناء واحد منهم أو لأن من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم أو منقطع وقوله تعالى ﴿استكبر﴾ على الأول استئناف مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء فان تركه يحتمل أن يكون للتأمل والتروى وبه يتحقق أنه للاباء والاستكبار وعلى الثانى يجوز اتصاله بما قبله أى لكن ابليس استكبر ﴿وكان من الكافرين﴾ أى وصار منهم بمخالفته للأمر واستكباره عن الطاعة أو كان منهم فى علم الله تعالى عز وجل ﴿قال ياابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى﴾ أى خلقته بالذات من غير توسط أب وأم والتثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه الصلاة والسلام المستدعى لاجلاله واعظامه قصدا الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ ﴿أستكبرت﴾ بهمزة الانكار وطرح همزة الوصل أى أتكبرت من غير استحقاق ﴿أم كنت من العالين﴾ المستحقين للتفوق وقيل أستكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين وقرىء بحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة أم عليها وقوله تعالى ﴿قال أنا خير منه﴾ ادعاء منه لشىء مستلزم لمنعه من السجود على زعمه واشعار بأنه لايليق أن يسجد الفاضل للمفضول كما يعرب عنه قوله لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون وقوله تعالى ﴿خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾ تعليل لما ادعاه من فضله عليه عليه الصلاة والسلام ولقد أخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه مامن جهة الفاعل كما أنبأ عنه قوله تعالى لما خلقت بيدى ومامن جهة الصورة كما نبه عليه قوله تعالى ونفخت فيه من روحى وما من جهة الغاية وهو ملاك الأمر ولذلك أمر الملائكة بسجوده عليهم السلام حين ظهر لهم أنه أعلم منهم بمايدور عليه أمر الخلافة فى الأرض وأن له خواص ليست لغيره ﴿قال فاخرج منها﴾ الفاء لترتيب الأمر على ماظهر من اللعين من المخالفة للأمر الجليل وتعليلها بالأباطيل أى فاخرج من الجنة أو من زمرة الملائكة وهو المراد بالأمر بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد وقد بين كيفية وسوسته فى سورة البقرة وقيل اخرج من الخلقة التى كنت فيها وانسلخ منها فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسنا

وأظلم بعد ما كان نورانيا وقوله تعالى ﴿ فانك رجيم ﴾ تعليل للامر بالخروج أى مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة أو شيطان يرجم بالشهب ﴿ وأن عليك لعنتى ﴾ أى ابعادى عن الرحمة وتقييدها بالاضافة مع اطلاقها فى قوله تعالى وأن عليك اللعنة لما أن لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين أيضا من جهته تعالى وأنهم يدعون عليه بلعنة الله تعالى وابعاده من الرحمة ﴿ الى يوم الدين ﴾ أى يوم الجزاء والعقوبة وفيه ايذان بأن اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجناياته بل هى أنموذج لما سيلقاه مستمرا الى ذلك اليوم لكن لا على أنها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على أنه سيلقى يومئذ من ألوان العذاب وأفانين العقاب ما ينسى عنده اللعنة وتصير كالزائل ألا يرى الى قوله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى و يلعن بعضهم بعضا ﴿ قال رب فأنظرنى ﴾ أى أمهلنى وأخرنى والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام أى اذا جعلتنى رجيما فأمهلنى و لا تمتنى ﴿ الى يوم يبعثون ﴾ أى آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وأراد بذلك أن يجد فسحة لاغوائهم و يأخذ منهم ثاره و ينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث ﴿ قال فانك من المنظرين ﴾ وورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله لآخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم فى ذلك دليل واضح على أنه اخبار بالانظار المقدر لهم أزلا لا انشاء لانظار خاص به قد وقع اجابة لدعائه وأن استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى الدين أى انك من جملة الذين أخرت آجالهم أزلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين ﴿ الى يوم الوقت المعلوم ﴾ الذى قدره الله وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الأولى لا الى وقت البعث الذى هو المسئول فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما فى قول من قال فان ترحم فأنت لذاك أهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ماله تعالى من الأهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هى لربط الاخبار بتلك الأهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت فى سورة الاعراف كما ترك النداء والفاء فى الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا و فى سورة الحجر وان خطر ببالك أن كل وجه من وجوه النظم الكريم لا بد أن يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وأن ما حكى من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار والانظار ان اقتضى أحد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة ودرجة الاعجاز وأما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز فقد سلف تحقيقه فى سورة الاعراف بفضل الله تعالى وتوفيقه ﴿ قال فبعزتك ﴾ الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار و لا ينافيه قوله تعالى فبما أغويتنى وقوله رب بما أغويتنى فان اغواءه تعالى اياه أثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من أحكام قهره وسلطته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين أقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه بأحدهما وأخرى بالآخر أى فأقسم بعزتك ﴿ لأغوينهم أجمعين ﴾ أى ذرية آدم بتزيين المعاصى لهم ﴿ الا عبادك منهم المخلصين ﴾ وهم الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الغواية وقرئ المخلصين على صيغة الفاعل أى الذين أخلصوا قلوبهم وأعمالهم لله تعالى ﴿ قال ﴾ أى الله عز وجل ﴿ فالحق والحق أقول ﴾ برفع الأول على أنه مبتدأ محذوف الخبر أو خبر محذوف المبتدا ونصب الثانى على أنه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر أى لا أقول الا الحق والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى فالحق قسمى ﴿ لأملأن جهنم ﴾ على أن الحق اما اسمه تعالى أو نقيض الباطل عظمه الله تعالى باقسامه به أو فأنا الحق أو فقولى الحق وقوله تعالى لأملأن جهنم الخ حينئذ جواب لقسم محذوف أى والله لأملأن الخ وقوله تعالى والحق أقول على كل تقدير اعتراض مقرر

على الوجهين الأولين لمضمون الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة أعني فقولي الحق وقرئا منصوبين على أن الأول مقسم به كقولك الله لأفعلن وجوابه لأملأن وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين على أن الأول مقسم به قد أضمر حرف قسمه كقولك الله لأفعلن والحق أقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرئ بجر الأول على اضمار حرف القسم ونصب الثاني على المفعولية ﴿ منك ﴾ أي من جنسك من الشياطين ﴿ وممن تبعك ﴾ في الغواية والضلال ﴿ منهم ﴾ من ذرية آدم ﴿ أجمعين ﴾ تأكيد للكاف وما عطف عليه أي لأملأنها من المتبوعين والاتباع أجمعين كقوله تعالى لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان اتضح أن مدار عدم المشيئة في قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لاتحقق القول فليس في ذلك شائبة الجبر فتدبر ﴿ قل ما أسألكم عليه ﴾ على القرآن أو على تبليغ ما يوحى الي ﴿ من أجر ﴾ دنيوي ﴿ وما أنا من المتكلفين ﴾ أي المتصنعين بما ليسوا من أهله حتى أنتحل النبوة وأتقول القرآن ﴿ ان هو ﴾ أي ما هو ﴿ الاذكر ﴾ من الله عز وجل ﴿ للعالمين ﴾ أي للثقلين كافة ﴿ ولتعلمن نبأه ﴾ أي ما أنبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما أو صحة خبره وأنه الحق والصدق ﴿ بعد حين ﴾ بعد الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقي علم ذلك اذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا يخفى ۔ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصم أن يصر على ذنب صغير أو كبير وقال أبو أمامة عصمه الله تعالى من كل ذنب صغير أو كبير والله أعلم

سورة الزمر

﴿ مكية الا قوله قل ياعبادي الآية وآيها خمس وسبعون أو ثنتان وسبعون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ تنزيل الكتاب ﴾ خبر لمبتدا محذوف هو اسم اشارة أشير به الى السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر المشار اليه لكونها على شرف الذكر والحضور كما مر مرارا وقد قيل هو ضمير عائد الى الذكر في قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقوله تعالى ﴿ من الله العزيز الحكيم ﴾ صلة للتنزيل أو خبر ثان أو حال من التنزيل عاملها معنى الاشارة أو من الكتاب الذي هو مفعول معنى عاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الأول أو في بمقتضى المقام الذي هو بيان أن السورة أو القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان أن تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره كما يفيده الوجه الأخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ أو الزم والتعرض لوصفي العزة والحكمة للايذان بظهور أثريهما في الكتاب بجريان أحكامه ونفاذ أوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع وبابتناء جميع مافيه على أساس الحكم الباهرة وقوله تعالى ﴿ انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق ﴾ شروع في بيان شأن المنزل اليه ومايجب عليه اثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن واظهاره على تقدير كونه هو المراد بالأول أيضا لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشأنه والباء اما متعلقة بالانزال أي بسبب الحق واثباته واظهاره أو بداعية الحق واقتضائه للانزال واما بمحذوف هو حال من نون العظمة أو من الكتاب أي أنزلناه اليك محقين في ذلك أو

أنزلناه ملتبسا بالحق والصواب أى كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به حتما والفاء فى قوله تعالى ﴿ فاعبد الله مخلصا له الدين ﴾ لترتيب الأمر بالعبادة على انزال الكتاب اليه عليه الصلاة والسلام بالحق أى فاعبده تعالى ممحضا له الدين من شوائب الشرك والرياء حسبما بين فى تضاعيف ما أنزل اليك وقرئ برفع الدين على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلا للامر باخلاص العبادة وقوله تعالى ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ استئناف مقرر لما قبله من الأمر باخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به وعلى القراءة الأخيرة مؤكد لاختصاص الدين به تعالى أى ألا هو الذى يجب أن يخص باخلاص الطاعة له لأنه المتفرد بصفات الألوهية التى من جملتها الاطلاع على السرائر والضمائر وقوله تعالى ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ﴾ تحقيق لحقية ما ذكر من اخلاص الدين الذى هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذى هو عبارة عن ترك اخلاصه والموصول عبارة عن المشركين ومحله الرفع على الابتداء خبره ما سيأتى من الجملة المصدرة بان والأولياء عن الملائكة وعيسى عليهم السلام والأصنام وقوله تعالى ﴿ ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ﴾ حال بتقدير القول من واو اتخذوا مبينة لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من أعم العلل وزلفى مصدر مؤكد على غير لفظ المصدر ملاق له فى المعنى أى والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم لشئ من الأشياء الا ليقربونا الى الله تعالى تقريبا ﴿ ان الله يحكم بينهم ﴾ أى وبين خصمائهم الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كما فى قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله على أحد الوجهين أى بين أحد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة

فما كان بين الخير لو جاء سالما   أبو حجر الا ليال قلائل

أى بين الخير وبينى وقيل ضمير بينهم للفريقين جميعا ﴿ فيما هم فيه يختلفون ﴾ من الدين الذى اختلفوا فيه بالتوحيد والاشراك وادعى كل فريق منهم صحة ما انتحله وحكمه تعالى فى ذلك ادخال الموحدين الجنة والمشركين النار فالضمير للفريقين هذا هو الذى يستدعيه مساق النظم الكريم وأما تجويز أن يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العائد اليه واضمار المشركين من غير ذكر تعويلا على دلالة المساق عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون أولياء قائلين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله ان الله يحكم بينهم أى بين العبدة والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو العبدة شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الاغضاء عما فيه من التعسفات بمعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها الفريقان اختلافا محوجا الى الحكم والفصل وانما ذاك ما بين فريقى الموحدين والمشركين فى الدنيا من الاختلاف فى الدين الباقى الى يوم القيامة وقرئ قالوا ما نعبدهم فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذ ليس فى الاخبار بذلك مزيد مزية وقرئ ما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم اتباعا للباء ﴿ ان الله لا يهدى ﴾ أى لا يوفق للاهتداء الى الحق الذى هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب ﴿ من هو كاذب كفار ﴾ أى راسخ فى الكذب مبالغ فى الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب فانهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغييرهما الفطرة الأصلية بالتمرن فى الضلالة والتمادى فى الغى والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى ﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولدا ﴾ الخ استئناف مسوق لتحقيق الحق وابطال القول بأن الملائكة بنات الله وعيسى ابنه تعالى عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد فى حقه تعالى على الاطلاق ليندرج فيه استحالة ما قيل اندراجا أوليا أى لو أراد الله أن يتخذ ولدا ﴿ لاصطفى ﴾ أى لاتخذ ﴿ مما يخلق ﴾ أى من جملة ما يخلقه أو من جنس ما يخلقه ﴿ ما يشاء ﴾ أن يتخذه اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الواجب ووجوب استناد جميع ما عداه اليه ومن البين أن اتخاذ الولد منوط

بالمماثلتين المتخذ والمتخذ وأن المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولدا فما فرضناه اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد واليه أشير حيث وضع الاصطفاء موضع الاتخاذ الذى تقتضيه الشرطية تنبيها على استحالة مقدمها لاستلزام فرض وقوعه بل فرض ارادة وقوعه انتفاءه أى لو أراد الله تعالى أى يتخذ ولدا لفعل شيئا ليس هو من اتخاذ الولد فى شئ أصلا بل انما هو اصطفاء عبد ولا ريب فى أن مايستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو ممتنع قطعا فكأنه قيل لو أراد الله أن يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا على أن الامتناع منوط بتحقق الارادة بل على أنه متحقق عند عدمها بطريق الاولوية على منوال لولم يخف الله لم يعصه وقوله تعالى ﴿سبحانه﴾ تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد فى حقه تعالى وتأكيد له ببيان تنزهه تعالى عنه أى تنزه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به على أن السبحان مصدر من سبح اذا بعد أو أسبحه تسبيحا لائقا به على أنه علم للتسبيح مقول على ألسنة العباد أو سبحوه تسبيحا حقيقا بشأنه وقوله تعالى ﴿هو الله الواحد القهار﴾ استئناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات اثر بيان تنزهه تعالى عنه بحسب الذات فان صفة الالوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال النافية لسمات النقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الاطلاق مما يقضى بتنزهه تعالى عما قالوا قضاء متقنا وكذا وصف القهارية لما أن اتخاذ الولد شأن من يكون تحت ملكوت الغير عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فنائه ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف يتصور أن يتخذ من الأشياء الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ تفصيل لبعض أفعاله تعالى الدالة على تفرده بما ذكر من الصفات الجليلة أى خلقهما ومابينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار فى الأرض منوط بتحريك السموات أى يغشى كل واحد منهما الآخر كأنه يلفه عليه لف اللباس على اللابس أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع أكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ جعلهما منقادين لأمره تعالى وقوله تعالى ﴿كل يجرى لأجل مسمى﴾ بيان لكيفية تسخيرهما أى كل منهما يجرى لمنتهى دورته أو منقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة ﴿ألا هو العزيز﴾ الغالب القادر على كل شئ من الأشياء التى من جملتها عقاب العصاة ﴿الغفار﴾ المبالغ فى المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما فى هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة وتصدير الجملة بحرف التنبيه لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ بيان لبعض آخر من أفعاله الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للايذان باستقلاله فى الدلالة ولتعلقه بالعالم السفلى والبداءة بخلق الانسان لعراقته فى الدلالة لما فيه من تعاجيب آثار القدرة وأسرار الحكمة وأصالته فى المعرفة فان الانسان بحال نفسه أعرف والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام وقوله ﴿ثم جعل منها زوجها﴾ عطف على محذوف هو صفة لنفس أى من نفس خلقها ثم جعل منها زوجها أو على معنى واحدة أى من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها أو على خلقكم لتفاوت ما بينهما فى الدلالة فانهما وان كانتا آيتين دالتين على ما ذكر لكن الأولى لاستمرارها صارت معتادة وأما الثانية فحيث لم تكن معتادة خارجة عن قياس الاولى كما يشعر به التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت أدخل فى كونها آية وأجلب للتعجب من السامع فعطفت على الاولى بثم دلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخى فى الحال والمنزلة وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء ففيه ثلاث آيات مترتبة خلق آدم عليه السلام بلا أب وأم وخلق حواء

من تصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وقوله تعالى ﴿وأنزل لكم﴾ بيان لبعض آخر من أفعاله الدالة على ما ذكر أى قضى أو قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث تكتب فى اللوح المحفوظ أو أحدث لكم بأسباب نازلة من السماء كالأمطار وأشعة الكواكب ﴿من الأنعام ثمانية أزواج﴾ ذكرا وأنثى هى الابل والبقر والضأن والمعز وقيل خلقها فى الجنة ثم أنزلها وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما أخر فان كون الانزال لمنافعهم وكونه من الجهة العالية من الأمور المهمة المشوقة الى ما أنزل لا محالة وقوله تعالى ﴿يخلقكم فى بطون أمهاتكم﴾ استئناف مسوق لبيان كيفية خلقهم وأطواره المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد وقوله تعالى ﴿خلقا من بعد خلق﴾ مصدر مؤكد أى يخلقكم فيها خلقا كائنا من بعد خلق أى خلقا مدرجا حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة ﴿فى ظلمات ثلاث﴾ متعلق بيخلقكم وهى ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة أو ظلمة الصلب والبطن والرحم ﴿ذلكم﴾ اشارة اليه تعالى باعتبار أفعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته تعالى فى العظمة والكبرياء ومحله الرفع على الابتداء أى ذلكم العظيم الشان الذى عددت أفعاله ﴿الله﴾ وقوله تعالى ﴿ربكم﴾ خبر آخر أى مربيكم فيما ذكر من الأطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به ﴿له الملك﴾ على الاطلاق فى الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة فى ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى ﴿لا اله الا هو﴾ والفاء فى قوله تعالى ﴿فأنى تصرفون﴾ لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شئونه تعالى أى فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكلية الى عبادة غيره من غير داع اليها مع كثرة الصوارف عنها ﴿ان تكفروا﴾ به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شئونه العظيمة الموجبة للايمان والشكر ﴿فان الله غنى عنكم﴾ أى فاعلموا أنه تعالى غنى عن ايمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائهما ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ أى عدم رضاه بكفر عباده لأجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به ﴿وان تشكروا يرضه لكم﴾ أى يرض الشكر لأجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به وانما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرئ باسكان الهاء ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره أصلا أى لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس أخرى ﴿ثم الى ربكم مرجعكم﴾ بالبعث بعد الموت ﴿فينبئكم﴾ عند ذلك ﴿بما كنتم تعملون﴾ أى كنتم تعملونه فى الدنيا من أعمال الكفر والايمان أى يجازيكم بذلك ثوابا وعقابا ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ أى بمضمرات القلوب فكيف بالاعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبئة ﴿واذا مس الانسان ضر﴾ من مرض وغيره ﴿دعا ربه منيبا اليه﴾ راجعا اليه مما كان يدعوه فى حالة الرخاء لعلمه بأنه بمعزل من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض أفراده كقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار ﴿ثم اذا خوله نعمة منه﴾ أى أعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخول وهو التعهد أى جعله خائل مال من قولهم فلان خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به أو من الخول وهو الافتخار أى جعله يخول أى يختال ويفتخر ﴿نسى ما كان يدعو اليه﴾ أى نسى الضر الذى كان يدعو الله تعالى فيما سبق الى كشفه ﴿من قبل﴾ أى من قبل التخويل أو نسى ربه الذى كان يدعوه ويتضرع اليه اما بناء على أن ما بمعنى من كما فى قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد واما ايذانا بأن نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا عن أن يعرفه من هو كما مر فى قوله تعالى عما أرضعت ﴿وجعل لله أندادا﴾ شركاء فى العبادة

﴿ ليضل ﴾ الناس بذلك ﴿ عن سبيله ﴾ الذى هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح الياء أى يزداد ضلالا أو يثبت عليه والا فاصل الضلال غير متأخر عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا خلا أن هذا أقرب الى الحقيقة لان الجاعل ههنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله أنهما اضلال وضلال وأما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة أصلا ﴿ قل ﴾ تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله ومآله ﴿ تمتع بكفرك قليلا ﴾ أى تمتعا قليلا أو زمانا قليلا ﴿ انك من أصحاب النار ﴾ أى من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كأنه قيل اذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الايمان والطاعة فمن حقك أن تؤمر بتركه لتذوق عقوبته ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ﴾ الخ من تمام الكلام المأمور به وأم اما متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كأنه قيل له تأكيدا للتهديد وتهكما به أأنت أحسن حالا ومآلا أم من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم على أداء وظائف العبادات فى ساعات الليل حالتى السراء والضراء لا عند مساس الضر فقط كدأبك حال كونه ﴿ ساجدا وقائما ﴾ أى جامعا بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه أدخل فى معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على أنه خبر بعد خبر ﴿ يحذر الآخرة ﴾ حال أخرى على الترادف أو التداخل أو استئناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كأنه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الآخرة ﴿ ويرجو رحمة ربه ﴾ فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضمير الراجى لا أنه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط واما منقطعة وما فيها من الاضراب للانتقال من التهديد الى التبكيت بتكليف الجواب الملجئ الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كأنه قيل بل أمن هو قانت الخ أفضل أم من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف ﴿ قل ﴾ بيانا للحق وتنبيها على شرف العلم والعمل ﴿ هل يستوى الذين يعلمون ﴾ حقائق الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور ﴿ والذين لا يعلمون ﴾ أى ما ذكر أو شيأ فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدأبك والاستفهام للتنبيه على أن كون الاولين فى أعلى معارج الخير وكون الآخرين فى أقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه أى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون وقوله تعالى ﴿ انما يتذكر أولو الالباب ﴾ كلام مستقل غير داخل فى الكلام المأمور به وارد من جهته تعالى بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصى لبيان عدم تأثيرها فى قلوب الكفرة لاختلال عقولهم كما فى قول من قال

عوجوا لنعمى نحيوا دمنة الدار ... ماذا تحيون من نؤى وأحجار

أى انما يتعظ بهذه البيانات الواضحة أصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرئ انما يذكر بالادغام ﴿ قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم ﴾ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص التذكر بأولى الالباب ايذانا بأنهم هم كما سيصرح به أى قل لهم قولى هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم الى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأن المأمور به فان نقل عين أمر الله أدخل فى ايجاب الامتثال به وقوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا ﴾ تعليل للامر أو لوجوب الامتثال به وايراد الاحسان فى حيز الصلة دون التقوى للايذان بأنه من باب الاحسان وأنهما متلازمان وكذا الصبر كما مر فى قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفى قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وقوله تعالى ﴿ فى هذه الدنيا ﴾ متعلق بأحسنوا أى عملوا الاعمال الحسنة

فى هذه الدنيا على وجه الاخلاص وهو الذى عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الاحسان بقوله عليه السلام أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ﴿حسنة﴾ أى حسنة عظيمة لا يكتنه كنهها وهى الجنة وقيل هو متعلق بحسنة على أنه بيان لمكانها أو حال من ضميرها فى الظرف فالمراد بها حينئذ الصحة والعافية ﴿وأرض الله واسعة﴾ فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان فى وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له فى التفريط أصلا وقوله تعالى ﴿انما يوفى الصابرون﴾ الخ ترغيب فى التقوى المأمور بها وايثار الصابرين على المتقين للايذان بأنهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما أشير اليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة فى تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها أى انما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا فى مراعاة حقوقه لما اعتراهم فى ذلك من فنون الآلام والبلايا التى من جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الأوطان ﴿أجرهم﴾ بمقابلة ما كابدوا من الصبر ﴿بغير حساب﴾ أى بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وفى الحديث أنه تنصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الأجر صبا حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل ﴿قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين﴾ أى من كل ما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ما أمر به نفسه من الاخلاص فى عبادة الله الذى هو عبارة عما أمر به المؤمنون من التقوى مبالغة فى حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا لما يعقبه مما خوطب به المشركون ﴿وأمرت لان أكون أول المسلمين﴾ أى وأمرت بذلك لاجل أن أكون مقدمهم فى الدنيا والآخرة لان احراز قصب السبق فى الدين بالاخلاص فيه والعطف لمغايرة الثانى الاول بتقييده بالعلة والاشعار بأن العبادة المذكورة كما تقتضى الامر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق فى الدين ويجوز أن تجعل اللام مزيدة كما فى أردت لان أقوم بدليل قوله تعالى أمرت أن أكون أول من أسلم فالمعنى وأمرت أن أكون أول من أسلم من أهل زمانى أو من قومى أو أكون أول من دعا غيره الى ما دعا اليه نفسه ﴿قل انى أخاف ان عصيت ربى﴾ بترك الاخلاص والميل الى ما أنتم عليه من الشرك ﴿عذاب يوم عظيم﴾ هو يوم القيامة وصفه بالعظمة لعظمة ما فيه من الدواهى والاهوال ﴿قل الله أعبد﴾ لا غيره لا استقلالا ولا اشتراكا ﴿مخلصا له دينى﴾ من كل شوب أمر عليه الصلاة والسلام أولا ببيان كونه مأمورا بعبادة الله تعالى واخلاص الدين له ثم بالاخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالاخبار بامتثاله بالامر على أبلغ وجه وآكده اظهارا لتصلبه فى الدين وحسما لاطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم بقوله تعالى ﴿فاعبدوا ما شئتم﴾ أن تعبدوه ﴿من دونه﴾ تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كأنهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه أمروا به كى يحل بهم العقاب ﴿قل ان الخاسرين﴾ أى الكاملين فى الخسران الذى هو عبارة عن اضاعة ما يهمه واتلاف ما لا بد منه ﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم﴾ باختيارهم الكفر لهما أى أضاعوهما وأتلفوهما ﴿يوم القيامة﴾ حين يدخلون النار حيث عرضوهما للعذاب السرمدى وأوقعوهما فى هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا أهليهم لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده وفيه أن المحذور ذهاب ما لو آب لانتفع به الخاسر وذلك غير متصور فى الشق الاخير وقيل خسروهم لأنهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم أهل فى الجنة وخسروا أهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا وأيا ما كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين فى الخسران بما ذكر بل بيان أنهم هم اما بجعل الموصول

عبارة عنهم أو عما هم مندرجون فيه اندراجا أوليا وما فى قوله تعالى ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ من استئناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والاشارة بذلك الى بعد منزلة المشار اليه فى الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال هوله وفظاعته وأنه لا خسران وراءه مالا يخفى وقوله تعالى ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار﴾ الخ نوع بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على أن لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف قيل هو حال من ظلل والاظهر أنه حال من الضمير فى الظرف المقدم ومن النار صفة لظلل أى لهم كائنة من فوقهم ظلل كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض كائنة من النار ﴿ومن تحتهم﴾ أيضا ﴿ظلل﴾ أى أطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل لآخرين بل لهم أيضا عند ترديهم فى دركاتها ﴿ذلك﴾ العذاب الفظيع هو الذى ﴿يخوف الله به عباده﴾ ويحذرهم اياه بآيات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه ﴿ياعباد فاتقون﴾ ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والمرحمة وقرىء ياعبادى ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ أى البالغ أقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بنى للمبالغة فى المصدر كالرحموت والعظموت ثم وصف به للمبالغة فى النعت والمراد به هو الشيطان ﴿أن يعبدوها﴾ بدل الاشتمال منه فان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الآمر بها والمزين لها ﴿وأنابوا الى الله﴾ وأقبلوا اليه معرضين عما سواه اقبالا كليا ﴿لهم البشرى﴾ بالثواب على ألسنة الرسل أو الملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون وبعد ذلك ﴿فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ هم الموصوفون بالاجتناب والانابة بأعيانهم لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفا لهم بالاضافة ودلالة على أن مدار اتصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقادا فى الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الأفضل فالأفضل ﴿أولئك﴾ اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم فى الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره مابعده من الموصول أى أولئك المنعوتون بالمحاسن الجميلة ﴿الذين هداهم الله﴾ للدين الحق ﴿وأولئك هم أولو الالباب﴾ أى هم أصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لاغيرهم وفيه دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار﴾ بيان لاحوال أضداد المذكورين على طريقة الاجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعو خطواتها كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين وأصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه على أنها شرطية دخل عليها الهمزة لانكار مضمونها ثم الفاء لعطفها على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفى بمضمونيهما معا أى أأنت مالك أمر الناس فمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه ثم كررت الهمزة فى الجزاء لتأكيد الانكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير من فى النار لمزيد تشديد الانكار والاستبعاد والتنبيه على أن المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع فى النار وأن اجتهاده عليه الصلاة والسلام فى دعائهم الى الايمان سعى فى انقاذهم من النار ويجوز أن يكون الجزاء محذوفا وقوله تعالى أفأنت الخ جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين ماحذف منها وتشديد الانكار بتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير الاجتهاد فى دعائه الى الايمان بصورة الانقاذ من النار كأنه قيل أولا أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه منه ثم شدد النكير فقيل أفأنت تنقذ من فى النار وفيه تلويح بأنه تعالى هو الذى يقدر على الانقاذ لا غيره وحيث كان المراد بمن فى النار الذين قيل فى حقهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل استدرك منهم بقوله تعالى ﴿لكن الذين

اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف ﴾ وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى ياعباد فاتقون و وصفوا بما عدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون أيضا فيما سبق بقوله تعالى ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية و بين أن لهم درجات عالية فى جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة فى الجحيم أى لهم علالى بعضها فوق بعض ﴿ مبنية ﴾ بناء المنازل المبنية المؤسسة على الارض فى الرصانة والاحكام ﴿ تجرى من تحتها ﴾ من تحت تلك الغرف ﴿ الانهار ﴾ من غير تفاوت بين العلو والسفل ﴿ وعد الله ﴾ مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف الخ فانه وعد وأى وعد ﴿ لايخلف الله الميعاد ﴾ لاستحالته عليه سبحانه ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ﴾ استئناف وارد اما لتمثيل الحياة الدنيا فى سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من أحوال الزرع ترغيبا عن زخارفها و زينتها وتحذيرا من الاغترار بزهرتها كما فى نظائر قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا الآية أو للاستشهاد على تحقق الموعود من الانهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من انزال الماء من السماء ومايترتب عليه من آثار قدرته تعالى وأحكام حكمته و رحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ماء فى الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع ﴿ فسلكه ﴾ فادخله ونظمه ﴿ ينابيع فى الارض ﴾ أى عيونا ومجارى كالعروق فى الاجساد وقيل مياها نابعة فيها فان الينبوع يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال وعلى الاول بنزع الجار أى فى ينابيع ﴿ ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ﴾ أصنافه من بر وشعير وغيرهما أو كيفياته من الالوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للتراخى فى الرتبة أو الزمان وصيغة المضارع لاستحضار الصورة ﴿ ثم يهيج ﴾ أى يتم جفافه و يشرف على أن يثور من منابته ﴿ فتراه مصفرا ﴾ من بعد خضرته ونضرته وقرئ مصفارا ﴿ ثم يجعله حطاما ﴾ فتاتا متكسرة كأن لم يغن بالامس ولكون هذه الحالة من الآثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالاخراج ﴿ ان فى ذلك ﴾ اشارة الى ماذكر تفصيلا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته فى الغرابة والدلالة على ماقصد بيانه ﴿ لذكرى ﴾ لتذكيرا عظيما ﴿ لأولى الالباب ﴾ لاصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وتنبيها لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك أن حال الحياة الدنيا فى سرعة التقضى والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها و لا يفتتنون بفتنتها أو يجزمون بأن من قدر على انزال الماء من السماء واجرائه فى ينابيع الارض قادر على اجراء الانهار من تحت الغرف هذا وأما ما قيل ان فى ذلك لتذكيرا وتنبيها على أنه لابد من صانع حكيم وأنه كائن عن تقدير وتدبير لاعن تعطيل واهمال فبمعزل من تفسير الآية الكريمة وانما يليق ذلك بما لوذكر ماذكر من الآثار الجليلة والافعال الجميلة من غير اسناد لها الى مؤثر ما لحيث ذكرت مسندة الى الله عز وجل تعين أن يكون متعلق التذكير والتنبيه شؤنه تعالى أوشؤن آثاره حسبما يبين لاوجوده تعالى وقوله تعالى ﴿ أفمن شرح الله صدره للاسلام ﴾ الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى بأولى الالباب وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذى هو منبع للروح التى تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فانشراحه مستدع لاتساع القلب واستضاءته بنوره فانه روى أنه عليه الصلاة والسلام قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال عليه الصلاة والسلام الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله والكلام فى الهمزة والفاء كالذى مر فى قوله تعالى أفمن حق عليه كلمة العذاب وخبر من محذوف لدلالة مابعده عليه والتقدير أكل الناس سواء فمن شرح الله صدره أى خلقه متسع الصدر مستعدا للاسلام فبقى على الفطرة الاصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها ﴿ فهو ﴾ بموجب ذلك مستقر ﴿ على نور ﴾ عظيم ﴿ من ربه ﴾ وهو اللطف الالهى الفائض عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء بها الى الحق كمن قساقلبه وحرج

صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره واستولى عليه ظلمات الغي والضلالة فأعرض عن تلك الآيات بالكلية حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ أى من أجل ذكره الذى حقه أن تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب أى اذا ذكر الله تعالى عندهم أو آياته اشمأزوا من أجله وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا وقرئ عن ذكر الله أى عن قبوله ﴿أولئك﴾ البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب ﴿فى ضلال﴾ بعد عن الحق ﴿مبين﴾ ظاهر كونه ضلالا لكل أحد قيل نزلت الآية فى حمزة وعلى رضى الله عنهما وأبى لهب وولده وقيل فى عمار بن ياسر رضى الله عنه وأبى جهل وذويه ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ هو القرآن الكريم روى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له عليه الصلاة والسلام حدثنا حديثا وعن ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى أن فيه مندوحة عن سائر الاحاديث وفى ايقاع الاسم الجليل مبتدأ وبناء نزل عليه من تفخيم أحسن الحديث ورفع محله والاستشهاد على حسنه وتأكيد استناده اليه تعالى وأنه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه على أنه وحى معجز مالا يخفى ﴿كتابا﴾ بدل من أحسن الحديث أو حال منه سواء اكتسب من المضاف اليه تعريفا أولا فان مساغ مجئ الحال من النكرة المضافة اتفاقى ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة اما لاتصافه بقوله تعالى ﴿متشابها﴾ أو لكونه فى قوة مكتوبا ومعنى كونه متشابها تشابه معانيه فى الصحة والاحكام والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق فى المعاد والمعاش وتناسب ألفاظه فى الفصاحة وتجاوب نظمه فى الاعجاز ﴿مثانى﴾ صفة أخرى لكتابا أو حال أخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثنى فى التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما فى قوله تعالى فارجع البصر كرتين أى كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابا باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات ويجوز أن ينتصب على التمييز من متشابها كما يقال رأيت رجلا حسنا شمائل أى شمائله والمعنى متشابهة مثانيه ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ قيل صفة لكتابا أو حال منه لتخصصه بالصفة والاظهر أنه استئناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة فى سامعيه بعد بيان أوصافه فى نفسه ولتقرير كونه أحسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من القشع وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده وقف شعره اذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغتة والمراد اما بيان افراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير أو بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى أنهم اذا سمعوا القرآن وقوارع آيات وعيده أصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله﴾ أى ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تعالى وانما لم يصرح بها ايذانا بأنها أول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى ﴿ذلك﴾ أى الكتاب الذى شرح أحواله ﴿هدى الله يهدى به من يشاء﴾ أن يهديه بصرف مقدوره الى الاهتداء بتأمله فيما فى تضاعيفه من شواهد الحقية ودلائل كونه من عند الله تعالى ﴿ومن يضلل الله﴾ أى يخلق فيه الضلالة بصرف قدرته الى مباديها واعراضه عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تأثره بوعيده ووعده أصلا أو ومن يخذل ﴿فما له من هاد﴾ يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذى ذكر من الخشية والرجاء أثر هداه تعالى يهدى بذلك الاثر من يشاء من عباده ومن يضلل أى ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشئ قط ﴿أفمن يتقى بوجهه﴾ الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حالى المهتدى والضال والكلام فى الهمزة

والفاء وحذف الخبر كالذى مر فى نظايره والتقدير أكل الناس سواء فمن شأنه أنه يتقى نفسه بوجهه الذى هو أشرف أعضائه ﴿ سوء العذاب ﴾ أى العذاب السيء الشديد ﴿ يوم القيامة ﴾ لكون يده التى بها كان يتقى المكاره والمخاوف مغلولة الى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج الى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت فى أبى جهل ﴿ وقيل للظالمين ﴾ عطف على يتقى أى ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضى للدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقى باضمار قد ووضع المظهر فى مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر فى قوله تعالى ﴿ ذوقوا ما كنتم تكسبون ﴾ أى وبال ما كنتم تكسبونه فى الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصى ﴿ كذب الذين من قبلهم ﴾ استئناف مسوق لبيان ما أصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوى اثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخروى أى كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة ﴿ فأتاهم العذاب ﴾ المقدر لكل أمة منهم ﴿ من حيث لا يشعرون ﴾ من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم اتيان الشر منها ﴿ فأذاقهم الله الخزى ﴾ أى الذل الصغار ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ونحو ذلك من فنون النكال ﴿ ولعذاب الآخرة ﴾ المعد لهم ﴿ أكبر ﴾ لشدته وسرمديته ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ أى لو كان من شأنهم أن يعلموا شيأ لعلموا ذلك واعتبروا به ﴿ ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ﴾ يحتاج اليه الناظر فى أمور دينه ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ كى يتذكروا به ويتعظوا ﴿ قرآنا عربيا ﴾ حال مؤكدة من هذا على أن مدار التأكيد هو الوصف كقولك جاءنى زيد رجلا صالحا أو مدح له ﴿ غير ذى عوج ﴾ لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه فهو أبلغ من المستقيم وأخص بالمعانى وقيل المراد بالعوج الشك ﴿ لعلهم يتقون ﴾ علة أخرى مترتبة على الاولى ﴿ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ﴾ ايراد لمثل من الأمثال القرآنية بعد بيان أن الحكمة فى ضربها هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل ههنا تطبيق حالة عجيبة بأخرى مثلها وجعلها مثلها كما مر فى سورة يس ومثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الأول أخر عن الثانى للتشويق اليه وليتصل به ماهو من تتمته التى هى العمدة فى التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيان أنه فى الأصل كذلك مما لا حاجة اليه والجملة فى حيز النصب على أنه وصف لرجلا أو الوصف هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل الله تعالى مثلا للمشرك حسبما يقود اليه مذهبه من ادعاء كل من معبوديه عبوديته عبدا يتشارك فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهماتهم المتباينة فى تحيره وتوزع قلبه ﴿ ورجلا ﴾ أى وجعل للموحد مثلا رجلا ﴿ سلما ﴾ أى خالصا ﴿ لرجل ﴾ فرد ليس لغيره عليه سبيل أصلا وقرئ سلما بفتح السين وكسرها مع سكون اللام والكل مصادر من سلم له كذا أى خلص نعت بها مبالغة أو حذف منها ذو وقرئ سالما وسالم أى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لأنه أفطن لما يجرى عليه من الضر والنفع ﴿ هل يستويان مثلا ﴾ انكار واستبعاد لاستوائهما ونفى له على أبلغ وجه وآكده وايذان بأن ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر أحد أن يتفوه باستوائهما أو يتلعثم فى الحكم بتباينهما ضرورة أن أحدهما فى أعلى عليين والآخر فى أسفل سافلين وهو السر فى ابهام الفاضل والمفضول وانتصاب مثلا على التمييز أى هل يستوى حالاهما وصفتاهما والاقتصار فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى أكثر أموالا وأولادا للاشعار باختلاف النوع أو لأن المراد هل يستويان فى الوصفين على أن الضمير للمثلين لأن التقدير مثل رجل فيه الخ ومثل رجل الخ وقوله تعالى ﴿ الحمد لله ﴾ تقرير لما قبله من نفى الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على أن ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى وأنها

لنعمة جليلة موجبة عليهم أن يداوموا على حمده وعبادته أو على أن بيانه تعالى بضرب المثل أن لهم المثل الأعلى وللمشركين
مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾
اضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان أن أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع
كمال ظهوره فيبقون فى ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى ﴿ انك ميت وانهم ميتون ﴾ تمهيد لما يعقبه من الاختصام
يوم القيامة وقرئ مائت ومائتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته أى انكم جميعا بصدد الموت
﴿ ثم انكم يوم القيامة عند ربكم ﴾ أى مالك أموركم ﴿ تختصمون ﴾ فتحتج أنت عليهم بأنك بلغتهم ما أرسلت به
من الأحكام والمواعظ التى من جملتها ما فى تضاعيف هذه الآيات واجتهدت فى الدعوة الى الحق حق الاجتهاد وهم قد
لجوا فى المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصام العام الجارى فى الدنيا بين الأنام والأول هو الأظهر الأنسب بقوله
تعالى ﴿ فمن أظلم ممن كذب على الله ﴾ فانه الى آخره مسوق لبيان حال كل من طرفى الاختصام الجارى فى شأن الكفر
والايمان لاغير أى أظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه وتعالى بأن أضاف اليه الشريك والولد ﴿ وكذب بالصدق ﴾
أى بالأمر الذى هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ اذ جاءه ﴾ أى فى أول مجيئه
من غير تدبر فيه ولا تأمل ﴿ أليس فى جهنم مثوى للكافرين ﴾ أى لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه وسارعوا الى
التكذيب بالصدق من أول الأمر والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فى الضمائر السابقة باعتبار لفظها أو لجنس
الكفرة وهم داخلون فى الحكم دخولا أوليا ﴿ والذى جاء بالصدق وصدق به ﴾ الموصول عبارة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن تبعه كما أن المراد فى قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون هو عليه الصلاة
والسلام وقومه وقيل عن الجنس المتناول للرسل والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه والذين جاءوا
بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج أو الفريق ﴿ أولئك ﴾ الموصوفون بما ذكر من المجىء
بالصدق والتصديق به ﴿ هم المتقون ﴾ المنعوتون بالتقوى التى هى أجل الرغائب وقرئ وصدق به بالتخفيف أى صدق
به الناس فأداه اليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل وصار صادقا به أى بسببه لان ماجاء به من القرآن معجزة دالة على
صدقه عليه الصلاة والسلام وقرئ صدق به على البناء للمفعول ﴿ لهم مايشاؤن عند ربهم ﴾ بيان لما لهم فى الآخرة
من حسن المآب بعد بيان مالهم فى الدنيا من محاسن الأعمال أى لهم كل مايشاؤنه من جلب المنافع ودفع المضار فى الآخرة
لافى الجنة فقط لما أن بعض مايشاؤنه من تكفير السيئات والامن من الفزع الأكبر وسائر أهوال القيامة انما يقع
قبل دخول الجنة ﴿ ذلك ﴾ الذى ذكر من حصول كل مايشاؤنه ﴿ جزاء المحسنين ﴾ أى الذين أحسنوا أعمالهم وقد مر
تفسير الاحسان غير مرة وقوله تعالى ﴿ ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ﴾ الخ متعلق بقوله تعالى لهم مايشاؤن لكن
لاباعتبار منطوقه ضرورة أن التكفير المذكور لايتصور كونه غاية لثبوت مايشاؤن لهم فى الآخرة كيف لا وهو بعض
ماسيثبت لهم فيها بل باعتبار فحواه فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت لهم فيما سيأتى كان فى معنى
الوعد به كما مر فى قوله تعالى وعد الله فانه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فانه فى معنى
وعدهم الله غرفا فانتصب به وعد الله كأنه قيل وعدهم الله جميع مايشاؤنه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم
بموجب ذلك الوعد أسوأ الذى عملوا دفعا لمضارهم ﴿ ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون ﴾ اعطاء لمنافعهم
واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لابراز كمال الاعتناء بمضمون الكلام واضافة الاسوأ والاحسن الى مابعدهما
ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة الشىء الى بعضه للقصد الى التحقيق والتوضيح من غير

اعتبار تفضيله عليه وانما المعتبر فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف اليه المعين بخصوصه كما فى قولهم الناقص والاشج أعدلا بنى مروان خلا أن الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هى فى الأول بالنظر الى ما يليق بحالهم من استعظام سيئاتهم وان قلت واستصغار حسناتهم وان جلت والثانى بالنظر الى لطف أكرم الأكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وان أمكن فى الأول بناء على أن تخصيص الاسوأ بالذكر لبيان تكفير مادونه بطريق الاولوية ضرورة استلزام تكفير الاسوأ لتكفير السيء لكن لما لم يكن ذلك فى الاحسن كان الاحسن نظمهما فى سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل فى صلة الموصول الثانى دون الأول للايذان باستمرارهم على الأعمال الصالحة بخلاف السيئة ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ انكار ونفى لعدم كفايته تعالى على أبلغ وجه وآكده كان الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يتفوه بعدمها أو يتلعثم فى الجواب بوجودها والمراد بالعبد اما رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما أوليا ويؤيده قراءة من قرأ عباده وفسر بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا قراءة من قرأ بكافى عباده على الاضافة ويكافى عباده على صيغة المغالبة اما من الكفاية لافادة المبالغة فيها واما من المكافأة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما قالت له قريش انا نخاف أن تخبلك آلهتنا ويصيبك مضرتها لعيبك اياها وفى رواية قالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله تعالى ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ أى الأوثان التى اتخذوها آلهة من دونه تعالى والجملة استئناف وقيل حال ﴿ومن يضلل الله﴾ حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له عليه الصلاة والسلام وخوفه بما لا ينفع ولا يضر أصلا ﴿فما له من هاد﴾ يهديه الى خير ما ﴿ومن يهد الله فما له من مضل﴾ يصرفه عن مقصده أو يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذلا راد لفعله ولا معارض لارادته كما ينطق به قوله تعالى ﴿أليس الله بعزيز﴾ غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع ﴿ذى انتقام﴾ ينتقم من أعدائه لأوليائه واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله﴾ لوضوح الدليل وسنوح السبيل ﴿قل﴾ تبكيتا لهم ﴿أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره﴾ أى بعد ماتحققتم أن خالق العالم العلوى والسفلى هو الله عز وجل فاخبرونى أن آلهتكم ان أرادنى الله بضر هل يكشفن عنى ذلك الضر ﴿أو أرادنى برحمة﴾ أى أو أرادنى بنفع ﴿هل هن ممسكات رحمته﴾ فيمنعنها عنى وقرىء كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه عليه الصلاة والسلام للرد فى نحورهم حيث كانوا خوفوه معرة الأوثان ولما فيه من الايذان بامحاض النصيحة ﴿قل حسبى الله﴾ أى فى جميع أمورى من اصابة الخير ودفع الشر روى أنه عليه الصلاة والسلام لما سألهم سكتوا فنزل ذلك ﴿عليه يتوكل المتوكلون﴾ لا على غيره أصلا لعلمهم بأن كل ماسواه تحت ملكوته تعالى ﴿قل ياقوم اعملوا على مكانتكم﴾ على حالتكم التى أنتم عليها من العداوة التى تمكنتم فيها فان المكانة تستعار من العين للمعنى كما تستعار هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرىء على مكاناتكم ﴿انى عامل﴾ أى على مكانتى فحذف للاختصار والمبالغة فى الوعيد والاشعار بأن حاله لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتأييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم فى الدارين بقوله تعالى ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾ فان خزى أعدائه دليل غلبته عليه الصلاة والسلام وقد عذبهم الله تعالى وأخزاهم يوم بدر ﴿ويحل عليهم عذاب مقيم﴾ أى دائم هو عذاب النار ﴿انا أنزلنا عليك الكتاب للناس﴾ لاجلهم فانه مناط مصالحهم فى المعاش والمعاد ﴿بالحق﴾ حال

من فاعل أنزلنا أو من مفعوله ﴿ فمن اهتدى ﴾ بأن عمل بما فيه ﴿ فلنفسه ﴾ أى انما نفع به نفسه ﴿ ومن ضل ﴾ بأن لم يعمل بموجبه ﴿ فانما يضل عليها ﴾ لما أن وبال ضلاله مقصور عليها ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت أى بلاغ ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ﴾ أى يقبضها من الابدان بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا كما عند الموت أو ظاهرا فقط كما عند النوم ﴿ فيمسك التى قضى عليها الموت ﴾ ولا يردها الى البدن وقرئ قضى على البناء للمفعول ورفع الموت ﴿ ويرسل الاخرى ﴾ أى النائمة الى بدنها عند التيقظ ﴿ الى أجل مسمى ﴾ هو الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك مما لا امتداد فيه ولا كمية وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فى ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هى التى بها العقل والتمييز والروح هى التى بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكر ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى فيما ذكر من التوفى على الوجهين والامساك فى أحدهما والارسال فى الآخر ﴿ لآيات ﴾ عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته ﴿ لقوم يتفكرون ﴾ فى كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة بالكلية كما عند الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة وأخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وارسالها حينا بعد حين الى انقضاء آجالها ﴿ أم اتخذوا ﴾ أى بل اتخذ قريش ﴿ من دون الله ﴾ من دون اذنه تعالى ﴿ شفعاء ﴾ تشفع لهم عنده تعالى ﴿ قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ﴾ الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه أى قل أتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيأ من الاشياء ولا يعقلونه فضلا عن أن يملكوا الشفاعة عند الله تعالى أو هى لانكار الوقوع ونفيه على أن المراد بيان أن ما فعلوا ليس من اتخاذ الشفعاء فى شئ لانه فرع كون الاوثان شفعاء وذلك أظهر المحالات فالمقدر حينئذ غير ما قدر أولا وعلى أى تقدير كان فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكورة عليها أى أيشفعون لو كانوا يملكون شيأ ولو كانوا لا يملكون الخ وجواب لو محذوف لدلالة المذكور عليه وقد مر تحقيقه مرارا ﴿ قل ﴾ بعد تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر تحقيقا للحق ﴿ لله الشفاعة جميعا ﴾ أى هو مالكها لا يستطيع أحد شفاعة ما الا أن يكون المشفوع له مرتضى والشفيع مأذونا له وكلاهما مفقود ههنا وقوله تعالى ﴿ له ملك السموات والارض ﴾ تقرير له وتأكيد أى له ملكهما وما فيهما من المخلوقات لا يملك أحد أن يتكلم فى أمر من أموره بدون اذنه ورضاه ﴿ ثم اليه ترجعون ﴾ يوم القيامة لا الى أحد سواه لا استقلالا ولا اشتراكا فيفعل يومئذ ما يريد ﴿ واذا ذكر الله وحده ﴾ دون آلهتهم ﴿ اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ أى انقبضت ونفرت كما فى قوله تعالى واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا ﴿ واذا ذكر الذين من دونه ﴾ فرادى أو مع ذكر الله تعالى ﴿ اذا هم يستبشرون ﴾ لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ فى بيان حاليهم القبيحتين حيث بين الغاية فيهما فان الاستبشار هو أن يمتلئ القلب سرورا حتى ينبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز أن يمتلئ غيظا وغما ينقبض منه أديم الوجه والعامل فى اذا الأولى اشمأزت وفى الثانية ما هو العامل فى اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار ﴿ قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ﴾ أى التجئ اليه تعالى بالدعاء لما تحيرت فى أمر الدعوة وضجرت من شدة شكيمتهم فى المكابرة والعناد فانه القادر على الاشياء بجملتها والعالم بالاحوال برمتها ﴿ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ أى حكما يسلمه كل مكابر معاند ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب الدنيوى أو الأخروى وقوله تعالى ﴿ ولو أن للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ﴾ الخ كلام

مستأنف مسوق لبيان آثار الحكم الذى استدعاه النبى صلى الله عليه وسلم وغاية شدته وفظاعته أى لو أن لهم جميع ما فى الدنيا من الاموال والذخائر ﴿ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة﴾ أى لجعلوا كل ذلك فدية لأنفسهم من العذاب الشديد وهيهات ولات حين مناص وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلى لهم من الخلاص ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ أى ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن فى حسابهم وهذه غاية من الوعيد لاغاية وراءها ونظيره فى الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴿وبدا لهم سيئات ما كسبوا﴾ سيئات أعمالهم أو كسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ أى أحاط بهم جزاؤه ﴿فاذا مس الانسان ضر دعانا﴾ اخبار عن الجنس بما يفعله غالب أفراده والفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكيس على ما مر من حالتيهم القبيحتين وما بينهما اعتراض مؤكد للانكار عليهم أى انهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره ﴿ثم اذا خولناه نعمة منا﴾ أعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به لا يطلق على ما أعطى جزاء ﴿قال انما أوتيته على علم﴾ أى على علم منى بوجوه كسبه أو بأنى سأعطاه لما لى من الاستحقاق أو على علم من الله تعالى فى باستحقاقى والهاء لما أن جعلت موصولة والا فلنعمة والتذكير لما أن المراد شئ من النعمة ﴿بل هى فتنة﴾ أى محنة وابتلاء له أيشكر أم يكفر وهو رد لما قاله وتغيير السبك للمبالغة فيه والايذان بأن ذلك ليس من باب الايتاء المنبئ عن الكرامة وانما هو أمر مباين له بالكلية وتأنيث الضمير باعتبار لفظ النعمة أو باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن الأمر كذلك وفيه دلالة على أن المراد بالانسان هو الجنس ﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ الهاء لقوله انما أوتيته على علم لأنها كلمة أو جملة وقرئ بالتذكير والموصول عبارة عن قارون وقومه حيث قال انما أوتيته على علم عندى وهم راضون به ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ من متاع الدنيا ويجمعون منه ﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا﴾ جزاء سيئات أعمالهم أو أجزية ما كسبوا وتسميتها سيئات لأنها فى مقابلة سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴿والذين ظلموا من هؤلاء﴾ المشركين ومن للبيان أو للتبعيض أى أفرطوا فى الظلم والعتو ﴿سيصيبهم سيئات ما كسبوا﴾ من الكفر والمعاصى كما أصاب أولئك والسين للتأكيد وقد أصابهم أى اصابة حيث قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر ﴿وما هم بمعجزين﴾ أى فائتين ﴿أولم يعلموا﴾ أى أقالوا ذلك ولم يعلموا أو أغفلوا ولم يعلموا ﴿أن الله يبسط الرزق لمن يشاء﴾ أن يبسطه له ﴿ويقدر﴾ لمن يشاء أن يقدره له من غير أن يكون لأحد مدخل ما فى ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسطه لهم سبعا ﴿ان فى ذلك﴾ الذى ذكر ﴿لآيات﴾ دالة على أن الحوادث كافة من الله عز وجل ﴿لقوم يؤمنون﴾ اذهم المستدلون بها على مدلولاتها ﴿قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ أى أفرطوا فى الجناية عليها بالاسراف فى المعاصى واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن الكريم ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ أى لا تيأسوا من مغفرته أولا ولا تفضله ثانيا ﴿ان الله يغفر الذنوب جميعا﴾ عفوا لمن يشاء ولو بعد حين بتعذيب فى الجملة وبغيره حسبما يشاء وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر فى الاطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل عليه التعليل بقوله تعالى ﴿انه هو الغفور الرحيم﴾ على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعى عموم المغفرة مما فى عبادى من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بأنفسهم والنهى عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله

يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على أنه المستغني والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع وما روى من اسباب النزول الدالة على ورود الآية فيمن تاب لايقتضى اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد فى كلام واحد مثل أكرم الفضلاء أكرم الكاملين غير مسلم فكيف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك الامر بالتوبة والاخلاص فى قوله تعالى ﴿ وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ﴾ اذ ليس المدعى أن الآية تدل على حصول المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق تعذيب لتغنى عن الأمر بهما وتنافى الوعيد بالعذاب ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم ﴾ أى القرآن أو المأمور به دون المنهى عنه أو العزائم دون الرخص أو الناسخ دون المنسوخ ولعله ماهو أنجى وأسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة ﴿ من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ﴾ بمجيئه لتتداركوا وتتأهبوا له ﴿ أن تقول نفس ﴾ أى كراهة أن تقول والتنكير للتكثير كما فى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت فانه مسلك ربما يسلك عند ارادة التكثير والتعميم وقد مر تحقيقه فى مطلع سورة الحجر ﴿ يا حسرتا ﴾ بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرىء ياحسرتاه بهاء السكت وقفا وقرىء ياحسرتاى بالجمع بين العوضين وقرىء ياحسرتى على الاصل أى احضرى فهذا أوان حضورك ﴿ على مافرطت ﴾ أى على تفريطى وتقصيرى ﴿ فى جنب الله ﴾ أى جانبه و فى حقه وطاعته وعليه قول من قال

أما تتقين الله فى جنب وامق له كبد حرى وعين ترقرق

وهو كناية فيها مبالغة وقيل فى ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة وقيل فى قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرىء فى ذكر الله ﴿ وان كنت لمن الساخرين ﴾ أى المستهزئين بدين الله تعالى وأهله ومحل الجملة النصب على الحال أى فرطت وأنا ساخر ﴿ أو تقول لو أن الله هدانى ﴾ بالارشاد الى الحق ﴿ لكنت من المتقين ﴾ الشرك والمعاصى ﴿ أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة ﴾ رجعة الى الدنيا ﴿ فأكون من المحسنين ﴾ فى العقيدة والعمل وأو للدلالة على أنها لاتخلو عن هذه الاقوال تحسرا وتحيرا وتعللا بما لا طائل تحته وقوله تعالى ﴿ بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ﴾ رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله لو أن الله هدانى من معنى النفى وفصله عنه لما أن تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالترتيب الوجودى لأنه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى فى فعل العبد ولا مافيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار المعنى وقرىء بالتأنيث ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله ﴾ بأن وصفوه بما لايليق بشأنه كاتخاذ الولد ﴿ وجوههم مسودة ﴾ بما ينالهم من الشدة أو بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال قد اكتفى فيها بالضمير عن الواو على أن الرؤية بصرية أو مفعول ثان لها على أنها عرفانية ﴿ أليس فى جهنم مثوى ﴾ أى مقام ﴿ للمتكبرين ﴾ عن الايمان والطاعة وهو تقرير لما قبله من رؤيتهم كذلك ﴿ وينجى الله الذين اتقوا ﴾ الشرك والمعاصى أى من جهنم وقرىء ينجى من الانجاء ﴿ بمفازتهم ﴾ مصدر ميمى اما من فاز بالمطلوب أى ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقارنة تنجيتهم من العذاب لنيل الثواب أى ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذى هو الجنة وقوله تعالى ﴿ لايمسهم السوء ولا هم يحزنون ﴾ اما حال أخرى من الموصول أو من ضمير مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم أو فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب والحزن واما من فاز منه أى نجا منه والباء للملابسة وقوله تعالى لايمسهم الى آخره تفسير وبيان لمفازتهم أى ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم أى بنفى السوء والحزن عنهم أو للسببية اما على حذف المضاف أى ينجيهم

بسبب مفازتهم التى هى تقواهم كما يشعر به ايراده فى حيز الصلة واما على اطلاق المفازة على سببها الذى هو التقوى وليس المراد نفى دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا ﴿الله خالق كل شئ﴾ من خير وشر وايمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة الكاسب لاسبابها ﴿وهو على كل شئ وكيل﴾ يتولى التصرف فيه كيفما يشاء ﴿له مقاليد السموات والارض﴾ لايملك أمرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لأن الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الامن بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد أو مقلاد من قلدته اذا ألزمته وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كالمذاكير وعن عثمان رضى الله عنه أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال عليه الصلاة والسلام تفسيرها لااله الاالله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير والمعنى على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها أصابه ﴿والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون﴾ متصل بما قبله والمعنى أن الله تعالى خالق لجميع الأشياء ومتصرف فيها كيفما يشاء بالاحياء والاماتة بيده مقاليد العالم العلوى والسفلى والذين كفروا بآياته التكوينية المنصوبة فى الآفاق والأنفس والتنزيلية التى من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسرانا لاخسار وراءه هذا وقيل هو متصل بقوله تعالى وينجى الله وما بينهما اعتراض فدبر ﴿قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون﴾ أى أبعد مشاهدة هذه الآيات غير الله أعبد وتأمرونى اعتراض للدلالة على أنهم أمروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز أن ينتصب غير بما يدل عليه تأمرونى أعبد لأنه بمعنى تعبدوننى وتقولون لى اعبد على أن أصله تأمروننى أن أعبد فحذف أن ورفع مابعدها كما فى قوله ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

ويؤيده قراءة أعبد بالنصب وقرئ تأمروننى باظهار النونين على الأصل وبحذف الثانية ﴿ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك﴾ أى من الرسل عليهم السلام ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل واقناط الكفرة والايذان بغاية شناعة الاشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لايكاد يمكن أن يباشره فكيف بمن عداه وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الأولى موطئة للقسم والأخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم عند الاشراك منهم لأن الاشراك منهم أشد وأقبح وأن يكون مقيدا بالموت كما صرح به فى قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب ﴿بل الله فاعبد﴾ رد لما أمروه به ولولا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك ﴿وكن من الشاكرين﴾ انعامه عليك وفيه اشارة الى مايوجب الاختصاص ويقتضيه ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ماقدروا عظمته تعالى فى أنفسهم حق عظمته حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق بشؤنه الجليلة وقرئ بالتشديد ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ تنبيه على غاية عظمته وكمال قدرته وحقارة الأفعال العظام التى تتحير فيها الأوهام بالنسبة الى قدرته تعالى ودلالة على أن تخريب العالم أهون شئ عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضة وهى المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للوقت بالمبهم وتأكيد الأرض بالجميع لأن المراد بها الارضون السبع أو

جميع أبعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على أنها حال والسموات معطوفة على الأرض منظومة فى حكمها ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ ما أبعد وما أعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم أو عما يشركونه من الشركاء ﴿ ونفخ فى الصور ﴾ هى النفخة الأولى ﴿ فصعق من فى السموات ومن فى الأرض ﴾ أى خروا أمواتا أو مغشيا عليهم ﴿ الا من شاء الله ﴾ قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل فانهم لايموتون بعد وقيل حملة العرش ﴿ ثم نفخ فيه أخرى ﴾ نفخة أخرى هى النفخة الثانية وأخرى يحتمل النصب والرفع ﴿ فاذا هم قيام ﴾ قائمون من قبورهم أو متوقفون وقرئ بالنصب على أن الخبر ﴿ ينظرون ﴾ وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون أبصارهم فى الجوانب كالمبهوتين أو ينتظرون ما يفعل بهم ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ﴾ بما أقام فيها من العدل استعير له النور لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما يسمى الظلم ظلمة وفى الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك أضيف الاسم الجليل الى ضمير الارض أو بنور خلقه فيها بلا توسط أجسام مضيئة ولذلك أضيف الى الاسم الجليل ﴿ ووضع الكتاب ﴾ الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه أو صحائف الاعمال فى أيدى العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف ﴿ وجىء بالنبيين والشهداء ﴾ للأمم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون ﴿ وقضى بينهم ﴾ بين العباد ﴿ بالحق وهم لايظلمون ﴾ بنقص ثواب أو زيادة عقاب على ما جرى به الوعد ﴿ ووفيت كل نفس ما عملت ﴾ أى جزاءه ﴿ وهو أعلم بما يفعلون ﴾ فلا يفوته شىء من أفعالهم وقوله تعالى ﴿ وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا ﴾ الخ تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها أى سيقوا اليها بالعنف والاهانة أفواجا متفرقة بعضها فى اثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم فى الضلالة والشرارة والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لاتخلو عنه ﴿ حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها ﴾ ليدخلوها وحتى هى التى تحكى بعدها الجملة وقرئ بالتشديد ﴿ وقال لهم خزنتها ﴾ تقريعا وتوبيخا ﴿ ألم يأتكم رسل منكم ﴾ من جنسكم وقرئ نذر منكم ﴿ يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ أى وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على أنه لاتكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب ﴿ قالوا بلى ﴾ قد أتونا وأنذرونا ﴿ ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ حيث قال الله تعالى لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شىء ان أنتم الا تكذبون ﴿ قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ﴾ أى مقدرا خلودكم فيها وابهام القائل لتهويل المقول ﴿ فبئس مثوى المتكبرين ﴾ اللام للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفا أى فبئس مثواهم جهنم ولا يقدح ما فيه من الاشعار بأن كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق فى أن دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فانها انما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه فى سورة الم السجدة ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة ﴾ مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين ﴿ زمرا ﴾ متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم فى الفضل وعلو الطبقة ﴿ حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها ﴾ وقرئ بالتشديد وجواب اذا محذوف للايذان بأن لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحدق به نطاق العبارات كأنه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها ﴿ وقال لهم خزنتها سلام عليكم ﴾ من جميع المكاره والآلام ﴿ طبتم ﴾ طهرتم من دنس المعاصى أو طبتم نفسا بما أتيح لكم من النعيم ﴿ فادخلوها خالدين ﴾ كان ما كان مما يقصر عنه البيان ﴿ وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده ﴾ بالبعث والثواب ﴿ وأورثنا الأرض ﴾ يريدون المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من أعمالهم أو تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه ﴿ نتبوأ

من الجنة حيث نشاء﴾ أي يتبوأ كل واحد منا في أي مكان أراده من جنته الواسعة على أن فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها ﴿فنعم أجر العاملين﴾ الجنة ﴿وترى الملائكة حافين﴾ محدقين ﴿من حول العرش﴾ أي حوله ومن مزيدة أو لابتداء الحفوف ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ أي ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية أو مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له تعالى بوصفى جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بأن أقصى درجات العليين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق في شؤونه عز وجل ﴿وقضى بينهم بالحق﴾ أي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة أو بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ أي على ما قضى بيننا بالحق وأنزل كلا منا منزلته التي هي حقه والقائلون هم المؤمنون ممن قضى بينهم أو الملائكة وطى ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله تعالى رجاءه يوم القيامة وأعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضى الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر

﴿تم الجزء الرابع من تفسير العلامة أبي السعود ويليه الجزء الخامس وأوله سورة المؤمن﴾

٢ (سورة الحج)
٩ تفسير قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم)
١٤ تفسير قوله تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور)
٢٠ تفسير قوله تعالى (ذلك ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله)
٢٤ الجزء الثامن عشر
٢٤ (سورة المؤمنون)
٣١ تفسير قوله تعالى (هيهات هيهات لما توعدون)
٣٩ تفسير قوله تعالى (ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون)
٤٤ (سورة النور)
٥١ تفسير قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر)
٥٩ تفسير قوله تعالى (الله نور السموات والأرض)
٦٩ تفسير قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لاتقسموا طاعة معروفة)
٧٧ (سورة الفرقان)
٨٥ الجزء التاسع عشر
٨٥ تفسير قوله تعالى (وقال الذين لايرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا)
٩٥ تفسير قوله تعالى (وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا)
١٠٠ (سورة الشعراء)
١٠٧ تفسير قوله تعالى (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون)
١١٤ تفسير قوله تعالى (كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون)
١١٦ تفسير قوله تعالى (أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم)
١٢١ (سورة النمل)
١٢٩ تفسير قوله تعالى (قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين)
١٢٩ الجزء العشرون
١٣٦ تفسير قوله تعالى (فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون)
١٤١ تفسير قوله تعالى (واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)
١٤٦ (سورة القصص)
١٤٩ تفسير قوله تعالى (وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون)
١٥٣ تفسير قوله تعالى (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا)
١٥٧ تفسير قوله تعالى (ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون)
١٦٠ تفسير قوله تعالى (ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم)
١٦٣ (سورة العنكبوت)
١٦٩ تفسير قوله تعالى (فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم)

١٧٢ الجزء الحادى والعشرون

١٧٢ تفسير قوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم)

١٧٦ ﴿ سورة الروم ﴾

١٨٤ تفسير قوله تعالى (منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين)

١٨٨ ﴿ سورة لقمان ﴾

١٩٢ تفسير قوله تعالى (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور)

١٩٥ ﴿ سورة السجدة ﴾

٢٠١ ﴿ سورة الأحزاب ﴾

٢٠٦ تفسير قوله تعالى (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا)

٢١٠ الجزء الثانى والعشرون

٢١٠ تفسير قوله تعالى (ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما)

٢١٦ تفسير قوله تعالى (ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك)

٢٢٢ ﴿ سورة سبأ ﴾

٢٣١ تفسير قوله تعالى (قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين)

٢٣٦ ﴿ سورة الملائكة ﴾

٢٤١ تفسير قوله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد)

٢٤٢ تفسير قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها)

٢٤٧ ﴿ سورة يس ﴾

٢٥٢ الجزء الثالث والعشرون

٢٥٢ تفسير قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين)

٢٥٧ تفسير قوله تعالى (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون)

٢٦٤ ﴿ سورة والصافات ﴾

٢٦٧ تفسير قوله تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم)

٢٧٢ تفسير قوله تعالى (وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم)

٢٨١ ﴿ سورة ص ﴾

٢٩٢ تفسير قوله تعالى (واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب)

٢٩٩ ﴿ سورة الزمر ﴾

٣٠٢ تفسير قوله تعالى (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل)

٣٠٩ الجزء الرابع والعشرون

٣٠٩ تفسير قوله تعالى (فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين)

٣١٢ تفسير قوله تعالى (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا)

﴿ تم فهرس الجزء الرابع من تفسير أبي السعود ﴾

صحيح مسلم

بشرح النووى

وقد أمدنا الله سبحانه بنصره المبين وأعاننا بحوله المتين ووفقنا للحق المستبين وذلك بطبع حديث الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم وقد اخترنا من الكتب أجمعها ومن الصحاح أدقها وأنظمها ألا وهو ﴿صحيح الامام مسلم﴾ الذى تغنى شهرته عن تعريفه فقد امتاز صحاحه بدقة الترتيب وانتظام التبويب وأردنا أن نجعل عملنا هذا مشتملا على كثير من الفوائد بتحليته بشرح واف لايضاح غامضه وحل مشكله فلم نجد فى سائر الشروح مايدانى شرح شيخ الاسلام محى الدين النووى فقد أجاد رحمه الله تعالى وأفاد وبسط فى ذلك الشرح أحكام المذاهب الأربع مع ذكر الدليل والبرهان وناهيك بالنووى ذلك الامام الورع الزاهد العابد الفقيه المحدث المصنف. فمن تصانيفه ذلك الشرح الجليل ورياض الصالحين والأذكار والأربعين والارشاد والتقريب والمبهمات وتحرير الألفاظ والعمدة والايضاح والتبيان والفتاوى والروضة وشرح المهذب وشرح قطعة من البخارى وقطعة من الوسيط والأحكام الفقهية وتهذيب الأسماء واللغات وغير ذلك مما يضيق المقام عن بيانه

وقد بذلنا غاية الوسع فى ابراز هذا الكتاب بما يليق به من العناية وأعددنا له أحسن الحروف وأجود الورق مع الدقة المعهودة فى التصحيح حيث أنه عماد العلم وعليه مدار الفهم واليك نموذجا بسيطا من وضع صحيح مسلم

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اَلنَّاسُ رَجُلَانِ عَالِمٌ وَمُتَعَلِّمٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ سِوَاهُمَا

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِى الدِّينِ

وقد جعلنا قيمة الاشتراك فى الجزء سبعة قروش فقط. ولا يخفى مافى ذلك من التضحية فى سبيل الشهرة ونشر العلم. ليتمكن الغنى والفقير من اقتناء ذلك الكتاب الجليل الذى لايستغنى عنه مسلم يهمه أمر دينه وسنة نبيه

زاد المعاد

فى هدى خير العباد

للإمام الحافظ ابى عبدالله بن القيم الجوزى

مما اعاننا على طبعه الملك المعبود وأبرزناه الى حيز الوجود ذلك السفر الجليل الذى جمع من الأحاديث أصحها ومن السنن أوضحها ولم يترك شيئاً من هدى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الا أورده ولا من فعل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الا بينه مع ذكر اجماع الأمة واختلاف الأئمة وأقوال المجتهدين وآراء المقلدين وذكر مآخذ الأحكام وكل ذلك بمنتهى الاحكام وعلى أتم نظام مع تمييز صحيح الأحاديث من سقيمها وعليلها من سليمها وناهيك بمؤلفه الامام (ابن القيم الجوزى) فى علم الفقه والزهد والورع والحرص على الدين فمؤلفاته العديدة خير شاهد على اخلاصه وعلو كعبه خصوصا هذا المؤلف الثمين . واليك بعض مباحث الكتاب

أسرار الحج . بعثة الرسل . مراتب الوحى . نسبه صلى الله عليه وسلم . كتبه رسله . غزواته . ملبسه . مأكله . معاشرته أهله . هديه فى النكاح . معاملاته صلاته . أدعيته . خطبه . قراءته للقرآن . عيادته للمرضى . هديه فى الطب والتداوى . أقضيته صلى الله تعالى عليه وسلم وأحكامه . القصاص والحدود . الزكاة والصدقة . الصيام وذكر فوائده . حضانة الاطفال . ما جاء فى التغنى بالقرآن وقراءته بالالحان . لبس الحرير . العيوب التى ترد بها الأزواج . الخلع . الطلاق . الخ

فالى من يريد زاداً للمعاد وسيراً على نهج خير العباد نزف هذه البشرى العظيمة بتمام طبع هذا الكتاب طبعا متقنا يسر الناظرين وتطمئن اليه قلوب العارفين . ومع هذا وذاك قد جعلنا ثمنه مجلدا تجليدا افرنكيا جميلا خمسون قرشا صاغا خدمة للعلم والدين ورغبة فى نشر سنة خير العالمين

تفسير أبي السعود

المسمى

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم

لخاتمة المحققين وامام المدققين قاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد العمادي

ولد رحمه الله تعالى سنة ٨٩٦ هجرية وتوفي سنة ٩٥١

الجزء الخامس

صححت هذه الطبعة بمعرفة بعض أفاضل العلماء وقوبلت على عدة نسخ
وقرئت في المرة الأخيرة على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير
الشيخ حسن محمد المسعودي
المدرس بالقسم العالي بالأزهر

الملتزم
محمد محمد عبد اللطيف
صاحب المكتبة الحسينية المصرية
بالأزهر الشريف بمصر

الطبعة الأولى

سنة ١٣٤٧ هجرية ــ سنة ١٩٢٨ ميلادية

المطبعة المصرية
ادارة محمد محمد عبد اللطيف

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المؤمن

﴿مكية وآيها خمس أو ثمان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم﴾ بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرئ بامالة الالف وباخراجها بين بين وبفتح الميم لالتقاء الساكنين أو نصبها باضمار اقرأ ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتأنيث أو للتعريف وكونها على زنة قابيل وهابيل وبقية الكلام فيه وفى قوله تعالى ﴿تنزيل الكتاب﴾ كالذى سلف فى الم السجدة وقوله تعالى ﴿من الله العزيز العليم﴾ كما فى مطلع سورة الزمر فى الوجوه كلها ووجه التعرض لنعتى العزة والعلم ما ذكر هناك ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول﴾ اما صفات أخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والترهيب والحث على ماهو المقصود والاضافة فيها حقيقية على أنه لم يرد بها زمان مخصوص وأريد بشديد العقاب مشدده أو الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وأمن الالتباس أو ابدال وجعله وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الأولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة أو تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد أو تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لاذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفى توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها ﴿لا اله الا هو﴾ فيجب الاقبال الكلى على طاعته فى أوامره ونواهيه ﴿اليه المصير﴾ فحسب لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازى كلا من المطيع والعاصى ﴿ما يجادل فى آيات الله﴾ أى بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ﴿الا الذين كفروا﴾ بها وأما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها وأما الجدال فيها لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج الحق فى مضايق الافهام ومزالق الأقدام وابطال شبه أهل الزيغ والضلال فمن أعظم الطاعات ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان جدالا فى القرآن كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء فى قوله تعالى ﴿فلا يغررك تقلبهم فى البلاد﴾ لترتيب النهى أو وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذى لا شئ أمقت منه عند الله تعالى ولا أجلب لخسران الدنيا والآخرة فان من تحقق ذلك لا يكاد يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم مأخوذون عما قليل أخذ من قبلهم من الامم حسبما ينطق به قوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم﴾ أى الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود وأضرابهم ﴿وهمت كل أمة﴾ من تلك الامم العاتية ﴿برسولهم﴾ وقرئ برسولها ﴿ليأخذوه﴾ ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما أرادوا من تعذيب أو قتل من الاخذ بمعنى الاسر ﴿وجادلوا بالباطل﴾ الذى لا أصل ولا حقيقة له أصلا ﴿ليدحضوا به الحق﴾ الذى لا محيد عنه كما فعل هؤلاء ﴿فأخذتهم﴾ بسبب ذلك أخذ عزيز مقتدر ﴿فكيف كان عقاب﴾ الذى عاقبتهم به فان آثار دمارهم عبرة للناظرين ولآخذن هؤلاء أيضا لاتحادهم فى الطريقة

واشتراكهم فى الجريرة كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿وكذلك حقت كلمة ربك﴾ أى كما وجب وثبت حكمه تعالى
وقضاؤه بالتعذيب على أولئك الامم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لادحاض الحق به وجب أيضا
﴿على الذين كفروا﴾ أى كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه اضافة اسم الرب الى ضميره
عليه الصلاة والسلام فان ذلك للاشعار بأن وجوب كلمة العذاب عليهم من أحكام تربيته التى من جملتها نصرته عليه
الصلاة والسلام وتعذيب أعدائه وذلك انما يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكة
وقوله تعالى ﴿أنهم أصحاب النار﴾ فى حيز النصب بحذف لام التعليل أى لانهم مستحقو أشد العقوبات وأفظعها
التى هى عذاب النار وملازموها أبدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول عليه الصلاة والسلام كدأب
من قبلهم من الامم المهلكة فهم لسائر فنون العقوبات أشد استحقاقا وأحق استيجابا وقيل هو فى محل الرفع على أنه
بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من أصحاب النار أى كما وجب اهلاكهم
فى الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار فى الآخرة ومحل الكاف على التقديرين النصب على
أنه نعت لمصدر محذوف ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله﴾ وهم أعلى طبقات الملائكة عليهم السلام وأولهم وجودا
وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن زلفاهم من ذى العرش جل جلاله ومكانتهم عنده
ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ والجملة استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله
عليه وسلم ببيان أن أشراف الملائكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم
فى الدارين أى ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل ملتبسين بحمده على نعمائه التى لا تتناهى ﴿ويؤمنون به﴾
ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره رأسا لاظهار فضيلة الايمان وابراز شرف أهله والاشعار بعلة
دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ فان المشاركة فى الايمان أقوى المناسبات
وأتمها وأدعى الدواعى الى النصح والشفقة وفى نظم استغفارهم لهم فى سلك وظائفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم
وايمانهم ايذان بكمال اعتنائهم به واشعار بوقوعه عند الله تعالى فى موقع القبول . روى أن حملة العرش أرجلهم فى الارض
السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا فى عظم ربكم ولكن
تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه فى
الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفى الحديث ان الله أمر جميع
الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء
وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة
يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم
بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر
﴿ربنا﴾ على ارادة القول أى يقولون ربنا على أنه اما بيان لاستغفارهم أو حال ﴿وسعت كل شئ رحمة وعلما﴾ أى
وسعت رحمتك وعلمك فأزيل عن أصله للاغراق فى صفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومهما وتقديم الرحمة لانها
المقصودة بالذات ههنا والفاء فى قوله تعالى ﴿فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك﴾ أى للذين علمت منهم التوبة واتباع
سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ واحفظهم عنه وهو تصريح بعد
اشعار للتأكيد ﴿ربنا وأدخلهم﴾ عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة فى الجؤار ﴿جنات عدن التى وعدتهم﴾

أي وعدتهم اياها وقرئ جنة عدن ﴿ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾ أي صلاحا مصححا لدخول الجنة في الجملة وان كان دون صلاح أصولهم وهو عطف على الضمير الأول أي وأدخلها معهم هؤلاء ليتم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم أو على الثاني لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل اذ لا يبقى حينئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى ألحقنا بهم ذريتهم بأن يكونوا أعلى درجة من ذريتهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول أين أبي أين ولدي أين زوجي فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت أعمل لي ولهم فيقال أدخلوهم الجنة وسبق الوعد بالادخال والالحاق لا يستدعي حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار وعليه مبني قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاولى لأن الدعاء بالادخال فيه صريح وفي الثاني ضمني وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالافراد ﴿انك أنت العزيز﴾ أي الغالب الذي لا يمتنع عليه مقدور ﴿الحكيم﴾ أي الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التي من جملتها انجاز الوعد فالجملة تعليل لما قبلها ﴿وقهم السيئات﴾ أي العقوبات لان جزاء السيئة سيئة مثلها أو جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص أو مخصوص بالأتباع أو المعاصي في الدنيا فمعنى قوله تعالى ﴿ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته﴾ ومن تقه المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كأنهم طلبوا لهم السبب بعد ما سألوا المسبب ﴿وذلك﴾ اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته أو اليها والى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار اليه ﴿هو الفوز العظيم﴾ الذي لا مطمع وراءه لطامع ﴿ان الذين كفروا﴾ شروع في بيان أحوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين فيما سبق أنهم أصحاب النار ﴿ينادون﴾ أي من مكان بعيد وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم الامارة بالسوء التي وقعوا فيما وقعوا باتباع هواها أو مقت بعضهم بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا أي أبغضوها أشد البغض وأنكروها أبلغ الانكار وأظهروا ذلك على رؤس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك ﴿لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ أي لمقت الله أنفسكم الامارة بالسوء أو مقته اياكم في الدنيا ﴿اذ تدعون﴾ من جهة الانبياء ﴿الى الايمان﴾ فتأبون قبوله ﴿فتكفرون﴾ اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها أو اقتداء بأخلائكم المضلين واستحبابا لآرائهم أكبر من مقتكم أنفسكم الامارة أو من مقت بعضكم بعضا اليوم فاذا ظرف للمقت الاول وان توسط بينهما الخبر لما في الظروف من الاتساع وقيل لمصدر آخر مقدر أي مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلا المقتين في الآخرة واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة اللزوم والمعنى لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقتكم أنفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد بأنفسهم أضرابهم مما لا داعي اليه ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ صفتان لمصدري الفعلين المذكورين أي اماتتين واحياءتين أو موتتين وحياتين على أنهما مصدران لهما أيضا بحذف الزوائد أو لفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحياء ينبئان عن الموت والحياة حتما كأنه قيل أمتنا فمتنا موتتين اثنتين وأحييتنا فحيينا حياتين اثنتين على طريقة قول من قال

وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع … من المال الا مسحت أو مجلف

أي لم تدع فلم يبق الا مسحت الخ قيل أرادوا بالاماتة الاولى خلقهم أمواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضاء آجالهم على أن الاماتة جعل الشيء عادم الحياة أعم من أن يكون بانشائه كذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل أو بجعله كذلك بعد الحياة وبالاحياءين الاحياء الأول واحياء البعث وقيل أرادوا بالاماتة الاولى ما بعد حياة الدنيا وبالثانية ما بعد حياة القبر وبالاحياءين ما في القبر وما عند البعث وهو الانسب بحالهم وأما حديث لزوم الزيادة على

النص ضرورة تحقق حياة الدنيا مدفوع لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها وأحكامها بل بأن مقصودهم احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه فى الدنيا كما ينطق به قولهم ﴿ فاعترفنا بذنوبنا ﴾ والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ما علقوا به أطماعهم الفارغة من الرجع الى الدنيا كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذى أرادوه بقولهم ﴿ فهل الى خروج من سبيل ﴾ مع نوع استبعاد له واستشعار يأس منه لا أنهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب فى أن الذى كان ينكرونه ويفرعون عليه فنون الكفر والمعاصى ليس الا الاحياء بعد الموت وأما الاحياء الأول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه فى سلك ما اعترفوا به وزعموا أن الاعتراف يجديهم نفعا وانما ذكروا الموتة الأولى مع كونهم معترفين بها فى الدنيا لتوقف حياة القبر عليها وكذا حال الموتة فى القبر فان مقصدهم الاصلى هو الاعتراف بالاحياءين وانما ذكروا الاماتتين لترتيبهما عليهما ذكرا حسب ترتيبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل للابهام أى من سبيل ما كيفما كان وقوله تعالى ﴿ ذلكم ﴾ الخ جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من أعمالهم السيئة أى ذلكم الذى أنتم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلود كما قيل ﴿ بأنه ﴾ أى بسبب أن الشأن ﴿ اذا دعى الله ﴾ فى الدنيا أى عبد ﴿ وحده ﴾ أى منفردا ﴿ كفرتم ﴾ أى بتوحيده ﴿ وان يشرك به تؤمنوا ﴾ أى بالاشراك به وتسارعوا فيه وفى ايراد اذا وصيغة الماضى فى الشرطية الأولى وان وصيغة المضارع فى الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك ﴿ فالحكم لله ﴾ الذى لا يحكم الا بالحق ولا يقضى الا بما تقتضيه الحكمة ﴿ العلى الكبير ﴾ الذى ليس كمثله شىء فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم بأنه لا مغفرة للمشرك ولا نهاية لعقوبته كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل لكم الى الخروج أبدا ﴿ هو الذى يريكم آياته ﴾ الدالة على شئونه العظيمة الموجبة لتفرده بالألوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة ﴿ وينزل ﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف من الانزال ﴿ لكم من السماء رزقا ﴾ أى سبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل نعمته الموجبة للشكر وصيغة المضارع فى الفعلين للدلالة على تجدد الاراءة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة ﴿ وما يتذكر ﴾ بتلك الآيات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها ﴿ الا من ينيب ﴾ الى الله تعالى ويتفكر فيما أودعه فى تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ﴾ أى اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه أيها المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى وايمانكم به ﴿ ولو كره الكافرون ﴾ ذلك وغاظهم اخلاصكم ﴿ رفيع الدرجات ﴾ نحو بديع السموات على أنه صفة مشبهة أضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرافع ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد فى الاستعمال أى رفيع درجات ملائكته أى معارجهم ومصاعدهم الى العرش ﴿ ذو العرش ﴾ أى مالكه وهما خبران آخران لقوله تعالى هو أخبر عنه بهما ايذانا بعلو شأنه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به واخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم المحيط بأكناف العالم العلوى والسفلى تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضى بكون علو شأنه وعظم سلطانه فى غاية لا غاية وراءها واما بجعلهما عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش وتمهيدا لما يعقبهما من قوله تعالى ﴿ يلقى الروح من أمره ﴾ فانه خبر آخر لما ذكر

منى عن انزال الرزق الروحانى الذى هو الوحى بعد بيان انزال الرزق الجسمانى الذى هو المطر أى ينزل الوحى الجارى من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من أمره بيان للروح الذى أريد به الوحى فانه أمر بالخير أو حال منه أى حال كونه ناشئا ومبتدأ من أمره أو صفة له على رأى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته أى الروح الكائن من أمره أو متعلق يلقى ومن للسببية كالباء مثل ما فى قوله تعالى مما خطيئاتهم أى يلقى الوحى بسبب أمره ﴿على من يشاء من عباده﴾ وهو الذى اصطفاه لرسالته وتبليغ أحكامه اليهم ﴿لينذر﴾ أى الله تعالى أو الملقى عليه أو الروح وقرئ لتنذر على أن الفاعل هو الرسول عليه الصلاة والسلام أو الروح لانها قد تؤنث ﴿يوم التلاق﴾ اما ظرف للمفعول الثانى أى لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيامة لانه يتلاقى فيه الارواح والاجسام وأهل السموات والارض أو هو المفعول الثانى اتساعا أو أصالة فانه من شدة هوله وفظاعته حقيق بالانذار أصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم ﴿يوم هم بارزون﴾ بدل من يوم التلاق أى خارجون من قبورهم أو ظاهرون لا يسترهم شئ من جبل أو أكمة أو بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء فى الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشى الابدان أو أعمالهم وسرائرهم ﴿لا يخفى على الله منهم شئ﴾ استئناف لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون فى الدنيا من الاستتار توهما باطلا أو خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون أى لا يخفى عليه تعالى شئ ما من أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم الجلية والخفية السابقة واللاحقة ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستأنفة أو مستأنف يقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور أحوالهم كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال الخ أى ينادى مناد لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روى أنه يجمع الله الخلائق يوم القيامة فى صعيد واحد فى أرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن ينادى مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع أسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ الخ اما من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التى هى الحكم السوى والقضاء الحق أو حكاية لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب أى تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير أو شر ﴿لا ظلم اليوم﴾ بنقص ثواب أو زيادة عذاب ﴿ان الله سريع الحساب﴾ أى سريع حسابه تماما اذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن فيحاسب الخلائق قاطبة فى أقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه تعالى اذا أخذ فى حسابهم لم يقل أهل الجنة الا فيها ولا أهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فان كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاق ويوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه أو سريع مجيئا فيكون تعليلا للانذار ﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ أى القيامة سميت بها لازوفها وهو القرب غير أن فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل الخطة الآزفة وهى مشارفة أهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما فى قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وقوله كلا اذا بلغت التراق وقوله تعالى ﴿اذ القلوب لدى الحناجر﴾ بدل من يوم الآزفة فانها ترتفع من أماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت ﴿كاظمين﴾ على الغم حال من أصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم أو من ضميرها فى الظرف وجمع السلامة باعتبار أن الكظم من أحوال العقلاء كقوله تعالى فظلت أعناقهم لها خاضعين أو من مفعول أنذرهم على أنها حال مقدرة أى أنذرهم

مقدرا كظمهم أو مشارفين الكظم ﴿ما للظالمين من حميم﴾ أى قريب مشفق ﴿ولا شفيع يطاع﴾ أى لا شفيع يشفع على معنى نفى الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره والضمائر ان عادت الى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه أو خيانة الأعين على أنها مصدر كالعافية ﴿وما تخفى الصدور﴾ من الضمائر والأسرار والجملة خبر آخر مثل يلقى الروح للدلالة على أنه ما من خفى الا وهو متعلق العلم والجزاء ﴿والله يقضى بالحق﴾ لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضى بشىء الا وهو حق وعدل ﴿والذين يدعون﴾ يعبدونهم ﴿من دونه﴾ تعالى ﴿لا يقضون بشىء﴾ تهكم بهم لان الجماد لا يقال فى حقه يقضى أو لا يقضى وقرىء تدعون على الخطاب التفاتا أو على اضمار قل ﴿ان الله هو السميع البصير﴾ تقرير لعلمه تعالى بخائنة الأعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه ﴿أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم﴾ أى مآل حال من قبلهم من الأمم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود وأضرابهم ﴿كانوا هم أشد منهم قوة﴾ قدرة وتمكنا من التصرفات وانما جىء بضمير الفصل مع أن حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة أفعل من للمعرفة فى امتناع دخول اللام عليه وقرىء أشد منكم بالكاف ﴿وآثارا فى الأرض﴾ مثل القلاع الحصينة والمدائن المتينة وقيل المعنى وأكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ أخذا وبيلا ﴿وما كان لهم من الله من واق﴾ أى من واق يقيهم عذاب الله ﴿ذلك﴾ أى ما ذكر من الأخذ ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ أى بالمعجزات أو بالأحكام الظاهرة ﴿فكفروا فأخذهم الله انه قوى﴾ متمكن مما يريده غاية التمكن ﴿شديد العقاب﴾ لا يؤبه عند عقابه بعقاب ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ وهى معجزاته ﴿وسلطان مبين﴾ أى وحجة قاهرة وهى اما عين الآيات والعطف لتغاير العنوانين واما بعض مشاهيرها كالعصا أفردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لانافتها افراد جبريل وميكال بالذكر مع دخولهما فى الملائكة عليهم السلام ﴿الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب﴾ أى فيما أظهره من المعجزات وفيما ادعاه من رسالة رب العالمين ﴿فلما جاءهم بالحق من عندنا﴾ وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة ﴿قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم﴾ كما قال فرعون سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم أى أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه أولا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث عليه الصلاة والسلام وأحس بأنه قد وقع ما وقع أعاده عليهم غيظا وحنقا وزعما منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم أنه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده ﴿وما كيد الكافرين الا فى ضلال﴾ أى فى ضياع وبطلان لا يغنى عنهم شيأ وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام اما للعهد والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا والجملة اعتراض جىء به فى تضاعيف ما حكى عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما أظهروه من الابراق والارعاد واضمحلاله بالمرة ﴿وقال فرعون ذرونى أقتل موسى﴾ كان ملؤه اذا هم بقتله عليه الصلاة والسلام كفوه بقولهم ليس هذا بالذى تخافه فانه أقل من ذلك وأضعف وما هو الا بعض السحرة وبقولهم اذا قتلته أدخلت على الناس شبهة واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت الى المقارعة بالسيف والظاهر من دهاء اللعين ونكارته أنه كان قد استيقن أنه نبى وأن ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف ان هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمويها على قومه وايهاما أنهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذى يكفه الا ما فى نفسه من الفزع الهائل وقوله ﴿وليدع ربه﴾ تجلد منه واظهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه

أخوف ما يخافه ﴿انى أخاف﴾ ان أقتله ﴿أن يبدل دينكم﴾ أن يغير ما أنتم عليه من الدين الذى هو عبارة عن عبادته وعبادة الاصنام لتقربهم اليه ﴿أو أن يظهر فى الأرض الفساد﴾ ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرئ بالواو الجامعة وقرئ بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر أى تتابع وتعاون ﴿وقال موسى﴾ أى لقومه حين سمع بما تقوله اللعين من حديث قتله عليه الصلاة والسلام ﴿انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾ صدر عليه الصلاة والسلام كلامه بان تأكيدا له واظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ عن الحفظ والتربية لأنهما الذى يستدعيه وأضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته فى العياذ به تعالى والتوكل عليه فان فى تظاهر النفوس تأثيرا قويا فى استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلة القساوة والجراءة على الله تعالى وقرئ عدت بالادغام ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا أو غريبا موحدا ﴿يكتم ايمانه﴾ أى من فرعون وملئه ﴿أتقتلون رجلا﴾ أتقصدون قتله ﴿أن يقول﴾ لأن يقول أو كراهة أن يقول ﴿ربى الله﴾ أى وحده من غير روية وتأمل فى أمره ﴿وقد جاءكم بالبينات﴾ والحال أنه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التى شاهدتموها وعهدتموها ﴿من ربكم﴾ أضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستنزالا لهم عن رتبة المكابرة ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال ﴿وان يك كاذبا فعليه كذبه﴾ لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج فى دفعه الى قتله ﴿وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم﴾ أى ان لم يصبكم كله فلا أقل من اصابة بعضه لا سيما ان تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقى الترديد كونه كاذبا أو يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم كأنه خوفهم بما هو أظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد

تراك أمكنة اذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها

مردود لما أن مراده بالبعض نفسه ﴿ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب﴾ احتجاج آخر ذو وجهين أحدهما أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى البينات ولما أيده بتلك المعجزات وثانيهما ان كان كذلك خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله أراهم المعنى الثانى وهو عاكف على المعنى الأول لتلين شكيمتهم وقد عرض به لفرعون بأنه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة ﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين﴾ غالبين عالين على بنى اسرائيل ﴿فى الأرض﴾ أى أرض مصر لا يقاومكم أحد فى هذا الوقت ﴿فمن ينصرنا من بأس الله﴾ من أخذه وعذابه ﴿ان جاءنا﴾ أى فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه أحد وانما نسب ما يسرهم من الملك والظهور فى الأرض اليهم خاصة ونظم نفسه فى سلكهم فيما يسوؤهم من مجئ بأس الله تعالى تطييبا لقلوبهم وايذانا بأنه مناصح لهم ساع فى تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه فى حق نفسه ليتأثروا بنصحه ﴿قال فرعون﴾ بعد ما سمع نصحه ﴿ما أريكم﴾ أى ما أشير عليكم ﴿الا ما أرى﴾ وأستصوبه من قتله ﴿وما أهديكم﴾ بهذا الرأى ﴿الا سبيل الرشاد﴾ أى الصواب أو لا أعلمكم الا ما أعلم ولا أسر عنكم خلاف ما أظهره ولقد كذب حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار أحدا أبدا وقرئ بتشديد الشين للمبالغة من رشد كعلام أو من رشد كعباد لا من أرشد كجبار من أجبر لأنه مقصور على السماع أو للنسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل ﴿وقال الذى آمن﴾ مخاطبا لقومه ﴿يا قوم انى أخاف

عليكم ﴾ فى تكذيبه والتعرض له بالسوء ﴿ مثل يوم الأحزاب ﴾ مثل أيام الأمم الماضية يعنى وقائعهم وجمع الأحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم ﴿ مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود ﴾ أى مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وايذاء الرسل ﴿ والذين من بعدهم ﴾ كقوم لوط ﴿ وما الله يريد ظلما للعباد ﴾ فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلى الظالم منهم بغير انتقام وهو أبلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد لما أن المنفى فيه ارادة ظلم ما فينتفى الظلم بطريق الأولوية ﴿ وياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد ﴾ خوفهم بالعذاب الأخروى بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوى ويوم التناد يوم القيامة لأنه ينادى فيه بعضهم للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والثبور أو يتنادى أصحاب الجنة وأصحاب النار حسبما حكى فى سورة الأعراف وقرىء بتشديد الدال وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبيناهم يموج بعضهم فى بعض اذ سمعوا مناديا أقبلوا الى الحساب ﴿ يوم تولون مدبرين ﴾ بدل من يوم التناد أى منصرفين عن الموقف الى النار أو فارين منها حسبما نقل آنفا ﴿ مالكم من الله من عاصم ﴾ يعصمكم من عذابه والجملة حال أخرى من ضمير تولون ﴿ ومن يضلل الله فماله من هاد ﴾ يهديه الى طريق النجاة ﴿ ولقد جاءكم يوسف ﴾ هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على أن فرعونه فرعون موسى أو على نسبة أحوال الآباء الى الأولاد وقيل سبطه يوسف بن ابراهيم ابن يوسف الصديق ﴿ من قبل ﴾ من قبل موسى ﴿ بالبينات ﴾ بالمعجزات الواضحة ﴿ فما زلتم فى شك مما جاءكم به ﴾ من الدين ﴿ حتى اذا هلك ﴾ بالموت ﴿ قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ﴾ ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده أو جزما بأن لا يبعث بعده رسول مع الشك فى رسالته وقرىء ألن يبعث الله على أن بعضهم يقرر بعضا بنفى البعث ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الاضلال الفظيع ﴿ يضل الله من هو مسرف ﴾ فى عصيانه ﴿ مرتاب ﴾ فى دينه شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك فى التقليد ﴿ الذين يجادلون فى آيات الله ﴾ بدل من الموصول الاول أو بيان له أو صفة باعتبار معناه كأنه قيل كل مسرف مرتاب أو المسرفين المرتابين ﴿ بغير سلطان ﴾ متعلق بيجادلون أى بغير حجة صالحة للتمسك بها فى الجملة ﴿ أتاهم ﴾ صفة سلطان ﴿ كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا ﴾ فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفى كبر ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك الطبع الفظيع ﴿ يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾ فيصدر عنه أمثال ماذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة بالباطل وقرىء بتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لأنه منبعهما ﴿ وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا ﴾ أى بناء مكشوفا عاليا من صرح الشىء اذا ظهر ﴿ لعلى أبلغ الاسباب ﴾ أى الطرق ﴿ أسباب السموات ﴾ بيان لها وفى ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها ﴿ فأطلع الى اله موسى ﴾ بالنصب على جواب الترجى وقرىء بالرفع عطفا على أبلغ ولعله أراد أن يبنى له رصدا فى موضع عال ليرصد منه أحوال الكواكب التى هى أسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها مايدل على ارسال الله تعالى اياه أو أن يرى فساد قوله عليه الصلاة والسلام بأن اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وما ذاك الا لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه ﴿ وانى لأظنه كاذبا ﴾ فيما يدعيه من الرسالة ﴿ وكذلك ﴾ أى ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط ﴿ زين لفرعون سوء عمله ﴾ فانهمك فيه انهماكا لا يرعوى عنه بحال ﴿ وصد عن السبيل ﴾ أى سبيل الرشاد والفاعل فى الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرىء وصد على أن فرعون صد الناس عن الهدى بأمثال هذه التمويهات والشبهات

ويؤيده قوله تعالى ﴿وما كيد فرعون الا فى تباب﴾ أى خسار وهلاك أو على أنه من صد صدودا أى أعرض
وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرئ وصد على أنه عطف على سوء عمله وقرئ وصدوا أى هو وقومه
﴿وقال الذى آمن﴾ أى مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه السلام ﴿ياقوم اتبعونى﴾ فيما دللتكم عليه ﴿أهدكم
سبيل الرشاد﴾ أى سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بأن مايسلكه فرعون وقومه سبيل الغى والضلال
﴿ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع﴾ أى تمتع يسير لسرعة زوالها أجمل لهم أولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير
شأنها لان الاخلاد اليها رأس كل شر ومنه تتشعب فنون مايؤدى الى سخط الله تعالى ثم ثنى بتعظيم الآخرة فقال
﴿وان الآخرة هى دار القرار﴾ لخلودها ودوام مافيها ﴿من عمل﴾ فى الدنيا ﴿سيئة فلا يجزى﴾ فى الآخرة
﴿الا مثلها﴾ عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على أن الجنايات تغرم بأمثالها ﴿ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو
مؤمن فأولئك﴾ الذين عملوا ذلك ﴿يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾ أى بغير تقدير وموازنة بالعمل بل
أضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للايذان بأنه لاعبرة بالعمل بدونه
وأن ثوابه أعلى من ذلك ﴿ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار﴾ كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة
واعتناء بالمنادى له ومبالغة فى توبيخهم على مايقابلون به نصحه ومدار التعجب الذى يلوح به الاستفهام دعوتهم اياه
الى النار ودعوته اياهم الى النجاة كأنه قيل أخبرونى كيف هذه الحال أدعوكم الى الخير وتدعوننى الى الشر وقد جعله بعضهم
من قبيل مالى أراك حزينا أى مالك تكون حزينا وقوله تعالى ﴿تدعوننى لأكفر بالله﴾ بدل أو بيان فيه تعليل والدعاء
كالهداية فى التعدية بالى واللام ﴿وأشرك به ماليس لى به﴾ بشركته له تعالى فى المعبودية وقيل بربوبيته ﴿علم﴾
والمراد نفى المعلوم والاشعار بأن الالوهية لابدلها من برهان موجب للعلم بها ﴿وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار﴾ الجامع
لجميع صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على
التعذيب والغفران ﴿لا جرم﴾ لارد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى ﴿أن ما تدعوننى
اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة﴾ أى حق ووجب عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها أصلا أو عدم دعوة
مستجابة أو عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه أى كسب ذلك الدعاء اليه بطلان
دعوته بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما أن بدا من لابد فعل
من التبديد أى التفريق والمعنى لاقطع لبطلان ألوهية الاصنام أى لا ينقطع فى وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم
لاجرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد ﴿وأن مردنا الى الله﴾ أى بالموت عطف
على أن ما تدعوننى داخل فى حكمه وكذا قوله تعالى ﴿وأن المسرفين﴾ أى فى الضلال والطغيان كالاشراك وسفك
الدماء ﴿هم أصحاب النار﴾ أى ملازموها ﴿فستذكرون﴾ وقرئ فستذكرون أى فيذكر بعضكم بعضا
عند معاينة العذاب ﴿ما أقول لكم﴾ من النصائح ﴿وأفوض أمرى الى الله﴾ قاله لما أنهم كانوا توعدوه
﴿ان الله بصير بالعباد﴾ فيحرس من يلوذ به من المكاره ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ شدائد مكرهم وما
هموا به من الحاق أنواع العذاب بمن خالفهم قيل نجا مع موسى عليه السلام ﴿وحاق بآل فرعون﴾ أى بفرعون
وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة أنه أولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه لما
أنه فر الى جبل فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم ﴿سوء العذاب﴾
الغرق والقتل والنار ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا﴾ جملة مستأنفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب أو النار

خبر مبتدا محذوف كأن قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار و يعرضون استئناف للبيان أو بدل من سوء العذاب
و يعرضون حال منها أو من الآل و لا يشترط فى الحيق أن يكون الحائق ذلك السوء بعينه حتى يرد أن آل فرعون لم
يهموا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل رجوع ما هموا به عليهم بل يكفى فى ذلك أن يكون مما يطلق عليه اسم
السوء وقرئت منصوبة على الاختصاص أو باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار باحراقهم
بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود رضى الله عنه أن
أرواحهم فى أجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيامة و ذكر الوقتين اما للتخصيص وأما فيما
بينهما فالله تعالى أعلم بحالهم واما للتأبيد هذا ما دامت الدنيا ﴿ و يوم تقوم الساعة ﴾ يقال للملائكة ﴿ أدخلوا آل
فرعون أشد العذاب ﴾ أى عذاب جهنم فانه أشد مما كانوا فيه أو أشد عذاب جهنم فان عذابها ألوان بعضها أشد
من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول أى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب ﴿ واذ يتحاجون فى النار ﴾
أى واذكر لقومك وقت تخاصمهم فيها ﴿ فيقول الضعفاء ﴾ منهم ﴿ للذين استكبروا ﴾ وهم رؤساؤهم ﴿ انا
كنا لكم تبعا ﴾ أتباعا كخدم فى جمع خادم أو ذوى تبع أى اتباع على اضمار المضاف أو تبعا على الوصف بالمصدر
مبالغة ﴿ فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار ﴾ بالدفع أو بالحمل و نصيبا منصوب بمضمر يدل عليه مغنون أى
دافعون عنا نصيبا الخ أو بمغنون على تضمينه معنى الحمل أى مغنون عنا حاملين نصيبا الخ أو نصب على المصدرية
كشيأ فى قوله تعالى لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً فانه فى موقع غناء فكذلك نصيبا ﴿ قال الذين
استكبروا انا كل فيها ﴾ أى نحن وأنتم فكيف نغنى عنكم و لو قدرنا لاغنينا عن أنفسنا وقرئ كلا على التأكيد
لاسم ان بمعنى كلنا و تنوينه عوض عن المضاف اليه ولا مساغ لجعله حالا من المستكن فى الظرف فانه لا يعمل فى
الحال المتقدمة كما يعمل فى الظرف المتقدم فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديدا لك ثوب ﴿ ان الله قد
حكم بين العباد ﴾ وقضى قضاء متقنا لامرد له ولا معقب لحكمه ﴿ وقال الذين فى النار ﴾ من الضعفاء
والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم وعيت بهم عللهم ﴿ لخزنة جهنم ﴾ أى للقوام بتعذيب أهل النار و وضع
جهنم موضع الضمير للتهويل والتفظيع أو لبيان محلهم فيها بأن تكون جهنم أبعد دركات النار وفيها
أعتى الكفرة وأطغاهم أو لكون الملائكة الموكلين بعذاب أهلها أقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى
﴿ ادعوا ربكم يخفف عنا يوما ﴾ أى مقدار يوم أو فى يوم ما من الايام على أنه ظرف لا معيار شيئا ﴿ من العذاب ﴾
واقتصارهم فى الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب فى مقدار قصير من الزمان دون رفعه رأسا أو
تخفيف قدر كثير منه فى زمان مديد لان ذلك عندهم مما ليس فى حيز الامكان و لا يكاد يدخل تحت أمانيهم ﴿ قالوا ﴾
أى الخزنة ﴿ أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ﴾ أى ألم تنبهوا على هذا ولم تك تأتيكم رسلكم فى الدنيا على الاستمرار
بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصى كما فى قوله تعالى ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم
آيات ربكم و ينذرونكم لقاء يومكم هذا أرادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة أوقات الدعاء وتعطيل أسباب الاجابة
﴿ قالوا بلى ﴾ أى أتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان أنتم الا
فى ضلال كبير والفاء فى قوله تعالى ﴿ قالوا فادعوا ﴾ فصيحة كما فى قول من قال فقد جئنا خراسانا أى اذا
كان الأمر كذلك فادعوا أنتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الاذن
فيه مع عرائه عن بيان أن ...يه من قبلهم كما تفصح عنه الفاء ربما يوهم أن الاذن فى حيز الامكان وأنهم لو أذن لهم

فيه لفعلوا ولم يريدوا بأمرهم بالدعاء اطماعهم فى الاجابة بل اقناطهم منها واظهار خيبتهم حسبما صرحوا به فى قولهم ﴿ وما دعاء الكافرين الا فى ضلال ﴾ أى ضياع وبطلان وقوله تعالى ﴿ انا لننصر رسلنا والذين آمنوا ﴾ الخ كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى لبيان أن ما أصاب الكفرة من العذاب المحكى من فروع حكم كلى تقتضيه الحكمة وهو أن شأننا المستمر أنا ننصر رسلنا وأتباعهم ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح فى ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة انما هي بالعواقب وغالب الأمر ﴿ ويوم يقوم الأشهاد ﴾ أى يوم القيامة عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة وأنها تكون عند جميع الأولين والآخرين بشهادة الأشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب ﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ﴾ بدل من الأول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ لا تنفع بالتاء ﴿ ولهم اللعنة ﴾ أى البعد عن الرحمة ﴿ ولهم سوء الدار ﴾ أى جهنم ﴿ ولقد آتينا موسى الهدى ﴾ ما يهتدى به من المعجزات والصحف والشرائع ﴿ وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب ﴾ وتركنا عليهم من بعده التوراة ﴿ هدى وذكرى ﴾ هداية وتذكرة أو هاديا ومذكرا ﴿ لأولى الألباب ﴾ لذوى العقول السليمة العاملين بما فى تضاعيفه ﴿ فاصبر ﴾ على ما نالك من أذية المشركين ﴿ ان وعد الله ﴾ أى وعده الذى ينطق به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وأن جندنا لهم الغالبون أو وعده الخاص بك أو جميع مواعيده التى من جملتها ذلك ﴿ حق ﴾ لا يحتمل الاخلاف أصلا واستشهد بحال موسى وفرعون ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ تداركا لما فرط منك من ترك الأولى فى بعض الأحايين فانه تعالى كافيك فى نصرة دينك واظهاره على الدين كله ﴿ وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار ﴾ أى ودم على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا وقيل صل شكرا لربك بالعشى والابكار وقيل هما صلاة العصر وصلاة الفجر ﴿ ان الذين يجادلون فى آيات الله ﴾ ويجحدون بها ﴿ بغير سلطان أتاهم ﴾ فى ذلك من جهته تعالى وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة اتيانه للايذان بأن التكلم فى أمر الدين لابد من استناده الى سلطان مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزل فى مشركى مكة وقوله تعالى ﴿ ان فى صدورهم الا كبر ﴾ خبر لان أى ما فى قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم أو الا ارادة الرياسة والتقدم على الاطلاق أو الا ارادة أن تكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها لا أن فيها موقع جدال ما أو أن لهم شيئا يتوهم أن يصلح مدارا لمجادلتهم فى الجملة وقوله تعالى ﴿ ما هم ببالغيه ﴾ صفة لكبر قال مجاهد ما هم ببالغى مقتضى ذلك الكبر وهو ما أرادوه من الرياسة أو النبوة وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا المذكور فى التوراة بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج فى آخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله تعالى فيرجع الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى أن يبلغوا متمناهم ﴿ فاستعذ بالله ﴾ أى فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك وفيه رمز الى أنه من همزات الشياطين ﴿ انه هو السميع البصير ﴾ لأقوالكم وأفعالكم وقوله تعالى ﴿ لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ﴾ تحقيق للحق وتبيين لأشهر ما يجادلون فيه من أمر البعث على منهاج قوله تعالى أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ لقصورهم فى النظر والتأمل لفرط غفلتهم واتباعهم لأهوائهم ﴿ وما يستوى الأعمى والبصير ﴾ أى الغافل والمستبصر ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء ﴾ أى والمحسن والمسيء فلابد أن تكون لهم حال أخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهى فيما بعد البعث وزيادة لا فى المسيء

لتأكيد النفي لطول الكلام بالصلة ولأن المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الأعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود أو الدلالة بالصراحة والتمثيل ﴿ قليلا ما تتذكرون ﴾ على الخطاب بطريق الالتفات أي تذكرا قليلا تتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير للناس أو الكفار ﴿ ان الساعة لآتية لا ريب فيها ﴾ أي في مجيئها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ﴿ ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ لا يصدقون بها لقصور أنظارهم على ظواهر ما يحسون به ﴿ وقال ربكم ادعوني ﴾ أي اعبدوني ﴿ أستجب لكم ﴾ أي أثبكم لقوله تعالى ﴿ ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ أي صاغرين أذلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان الأمر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة أو المراد بالعبادة الدعاء فانه من أفضل أبوابها وقرئ سيدخلون على صيغة المبني للمفعول من الادخال ﴿ الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ﴾ بأن خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدء الحواس لتستريحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر سره مرارا ﴿ والنهار مبصرا ﴾ أي مبصرا فيه أو به ﴿ ان الله لذو فضل ﴾ عظيم لا يوازيه ولا يدانيه فضل ﴿ على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ﴿ ذلكم ﴾ المتفرد بالأفعال المقتضية للألوهية والربوبية ﴿ الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو ﴾ أخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للأوصاف المذكورة ﴿ فأنى تؤفكون ﴾ فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره ﴿ كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون ﴾ أي مثل ذلك الافك العجيب الذي لا وجه له ولا مصحح أصلا يؤفك كل من جحد بآياته تعالى أي آية كانت لا افكا آخر له وجه ومصحح في الجملة ﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء ﴾ بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾ بيان لفضله المتعلق بأنفسهم والفاء في فأحسن تفسيرية فان الاحسان عين التصوير أي صوركم أحسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الأعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ أي اللذائذ ﴿ ذلكم ﴾ الذي نعت بما ذكر من النعوت الجليلة ﴿ الله ربكم ﴾ خبران لذلكم ﴿ فتبارك الله ﴾ أي تعالى بذاته ﴿ رب العالمين ﴾ أي مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر اليه في ذاته ووجوده وسائر أحواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنه آنا لانعدم بالكلية ﴿ هو الحي ﴾ المتفرد بالحياة الذاتية الحقيقية ﴿ لا اله الا هو ﴾ اذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته وأفعاله ﴿ فادعوه ﴾ فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى ﴿ مخلصين له الدين ﴾ أي الطاعة من الشرك الجلي والخفي ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ أي قائلين ذلك . عن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ﴿ قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي ﴾ من الحجج والآيات أو من الآيات لكونها مؤيدة لأدلة العقل منبهة عليها فان الآيات التنزيلية مفسرات للآيات التكوينية الآفاقية والأنفسية ﴿ وأمرت أن أسلم لرب العالمين ﴾ أي بأن أنقاد له وأخلص له ديني ﴿ هو الذي خلقكم من تراب ﴾ أي في ضمن خلق آدم عليه الصلاة والسلام منه حسبما مر تحقيقه مرارا ﴿ ثم من نطفة ﴾ أي ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة أي مني ﴿ ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ﴾ أي أطفالا والافراد لارادة الجنس أو لارادة كل واحد من أفراده ﴿ ثم لتبلغوا أشدكم ﴾ علة ليخرجكم معطوفة على علة

أخرى له مناسبة لها كأنه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم فى القوة والعقل وكذا الكلام فى قوله تعالى ﴿ثم لتكونوا شيوخا﴾ ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله تعالى طفلا ﴿ومنكم من يتوفى من قبل﴾ أى من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد أوقبله أيضا ﴿ولتبلغوا﴾ متعلق بفعل مقدر بعده أى ولتبلغوا ﴿أجلا مسمى﴾ هو وقت الموت أو يوم القيامة يفعل ذلك ﴿ولعلكم تعقلون﴾ ولكى تعقلوا مافى ذلك من فنون الحكم والعبر ﴿هو الذى يحيى﴾ الاموات ﴿ويميت﴾ الاحياء أوالذى يفعل الاحياء والاماتة ﴿فاذا قضى أمرا﴾ أى أراد أمرا من الامور ﴿فانما يقول له كن فيكون﴾ من غير توقف على شئ من الأشياء أصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فى المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير أن يكون هناك أمر ومأمور والفاء الاولى للدلالة على أن مابعدها من نتائج ماقبلها من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه ﴿ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون﴾ تعجيب من أحوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما أن ماسبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون فى آيات الله الخ بيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لايكاد يدخل تحت الوجود هو الأمنية الفارغة فلاتكرير فيه أى انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين فى آياته تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعى الى الاقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقوله تعالى ﴿الذين كذبوا بالكتاب﴾ أى بكل القرآن أوبجنس الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها فى محل الجر على أنه بدل من الموصول الاول أو فى حيز النصب أوالرفع على الذم وانما وصل الموصول الثانى بالتكذيب دون المجادلة لأن المعتاد وقوع المجادلة فى بعض المواد لافى الكل وصيغة الماضى للدلالة على التحقق كما أن صيغة المضارع فى الصلة الاولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها ﴿وبما أرسلنا به رسلنا﴾ من سائر الكتب أومطلق الوحى والشرائع ﴿فسوف يعلمون﴾ كنه مافعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته ﴿اذ الاغلال فى أعناقهم﴾ ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضى لتيقنه ﴿والسلاسل﴾ عطف على الاغلال والجار فى نية التأخير وقيل مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر الأول عليه وقيل قوله تعالى ﴿يسحبون﴾ بحذف العائد أى يسحبون بها وهو على الأولين حال من المستكن فى الظرف وقيل استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون ﴿فى الحميم﴾ وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى لأن قوله تعالى الاغلال فى أعناقهم فى معنى أعناقهم فى الاغلال أواضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ﴿ثم فى النار يسجرون﴾ أى يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب أى ملئ والمراد بيان أنهم يعذبون بأنواع العذاب وينقلون من باب الى باب ﴿ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا﴾ أى يقال لهم ويقولون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل أن يقرن بهم آلهتهم أوضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم ﴿بل لم نكن ندعو من قبل شيئا﴾ أى بل تبين لنا أنا لم نكن نعبد شيأ بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم أنهم لم يكونوا شيأ يعتد به كقولك حسبته شيأ فلم يكن ﴿كذلك﴾ أى مثل ذلك الضلال الفظيع ﴿يضل الله الكافرين﴾ حيث لايهتدون الى شئ ينفعهم فى الآخرة أو كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ﴿ذلكم﴾ الاضلال ﴿بما كنتم تفرحون فى الارض﴾ أى تبطرون وتتكبرون ﴿بغير الحق﴾ وهو الشرك والطغيان ﴿وبما كنتم تمرحون﴾ تتوسعون فى البطر والاشر والالتفات للمبالغة فى التوبيخ

﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ أى أبوابها السبعة المقسومة لكم ﴿خالدين فيها﴾ مقدرا خلودكم فيها ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ أى عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود ﴿فاصبر﴾ الى أن يلاقوا ما أعد لهم من العذاب ﴿ان وعد الله﴾ بتعذيبهم ﴿حق﴾ كائن لامحالة ﴿فاما نرينك﴾ أى فان نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحقه مع ان وحدها ﴿بعض الذى نعدهم﴾ وهو القتل والاسر ﴿أو نتوفينك﴾ قبل ذلك ﴿فالينا يرجعون﴾ يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز أن يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم فى حياتك أو لم نعذبهم فانا نعذبهم فى الآخرة أشد العذاب وأفظعه كما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الرجوع فى هذا المعرض ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾ اذ قيل عدد الأنبياء عليهم السلام مائة وأربعة وعشرون ألفا والمذكور قصصهم أفراد معدودة وقيل أربعة آلاف من بنى اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس ﴿وما كان لرسول﴾ أى وما صح وما استقام لرسول منهم ﴿أن يأتى بآية الا باذن الله﴾ فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار فى ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح منها ﴿فاذا جاء أمر الله﴾ بالعذاب فى الدنيا والآخرة ﴿قضى بالحق﴾ بانجاء المحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه ﴿وخسر هنالك﴾ أى وقت مجئ أمر الله اسم مكان استعير للزمان ﴿المبطلون﴾ أى المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولا أوليا ﴿الله الذى جعل لكم الأنعام﴾ قيل هى الابل خاصة أى خلقها لأجلكم ومصلحتكم وقوله تعالى ﴿لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾ تفصيل لما دل عليه اللام اجمالا ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والأكل منها أى تعلقهما بها وقيل للتبعيض أى لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها لا على أن كلا من الركوب والأكل مختص ببعض معين منها بحيث لايجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على أن كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم فى الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار بأصالة الركوب ﴿ولكم فيها منافع﴾ أخر غير الركوب والأكل كألبانها وأوبارها وجلودها ﴿ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم﴾ بحمل أثقالكم من بلد الى بلد ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر فى فصله عن الركوب والجمع بينها و بين الفلك فى الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر وقيل هى الأزواج الثمانية فمعنى الركوب والأكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على أن كلا منهما يجوز تعلقه بكل منها ولا على أن كلا منهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على أن بعضها يتعلق به الأكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر ﴿ويريكم آياته﴾ دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته ﴿فأى آيات الله﴾ أى فأى آية من تلك الآيات الباهرة ﴿تنكرون﴾ فان كلا منها من الظهور بحيث لايكاد يجترئ على انكارها من له عقل فى الجملة وهو ناصب لأى واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكير أى هو الشائع المستفيض والتأنيث قليل لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهى فى أى أغرب لابهامه ﴿أفلم يسيروا﴾ أى أقعدوا فلم يسيروا ﴿فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ من الأمم المهلكة وقوله تعالى ﴿كانوا أكثر منهم وأشد قوة﴾ الخ استئناف مسوق لبيان مبادى أحوالهم وعواقبها ﴿وآثارا فى الأرض﴾ باقية بعدهم من الأبنية والقصور والمصانع وقيل هى آثار أقدامهم فى الأرض لعظم أجرامهم ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ ما الأولى نافية أو استفهامية منصوبة بأغنى والثانية موصولة أو مصدرية مرفوعة

أى لم يغن عنهم أو أى شىء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ بالمعجزات أو بالآيات الواضحة ﴿ فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ أى أظهروا الفرح بذلك وهو مالهم من العقائد الزائغة والشبه الداحضة وتسميتها علما للتهكم بهم أو علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك أو هو علم الأنبياء الذى أظهره رسلهم على أن معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به و يؤيده قوله تعالى ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ وقيل الفرح أيضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادى جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم المؤدى الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ﴿ فلما رأوا بأسنا ﴾ شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس ﴿ قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ﴾ يعنون الأصنام ﴿ فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ﴾ أى عند رؤية عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعما منهم أن ذلك يغنى عنهم فلم يترتب عليه الا عدم الاغناء فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما فى قولك وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل لما أبهم وأجمل من عدم الاغناء وقد كثر فى الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على أن التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل مابعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الخ هو أنهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة أن يقال فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كأنه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لأن النافع هو الايمان الاختيارى ﴿ سنة الله التى قد خلت فى عباده ﴾ أى سن الله تعالى ذلك سنة ماضية فى العباد وهو من المصادر المؤكدة ﴿ وخسر هنالك الكافرون ﴾ أى وقت رؤيتهم البأس على أنه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفا . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبى ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الاصلى عليه واستغفر له

سورة السجدة

(مكية . وآيها ثلاث أو أربع وخمسون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ حم ﴾ ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر لمبتدأ محذوف وهو الاظهر لما مر سره مرارا أو مبتدأ خبره ﴿ تنزيل ﴾ وهو على الأول خبر بعد خبر وخبر لمبتدأ محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله تعالى ﴿ من الرحمن الرحيم ﴾ متعلق بمؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أو خبر آخر أو تنزيل مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره ﴿ كتاب ﴾ وهو على الوجوه الاول بدل منه أو خبر آخر أو خبر لمحذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بأنه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴿ فصلت آياته ﴾ ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل فى أساليب مختلفة ومعان متغايرة من أحكام وقصص ومواعظ وأمثال ووعد و وعيد وقرئ فصلت أى فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعانى من قولك فصل من البلد فصولا ﴿ قرآنا عربيا ﴾ نصب على المدح أو الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة أو من آياته ﴿ لقوم يعلمون ﴾ أى معانيه لكونه على لسانهم وقيل لأهل العلم والنظر لأنهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة أخرى لقرآنا أى كائنا لقوم الخ أو بتنزيل على أن من الرحمن الرحيم

ليست بصفة له أو بفصلت ﴿ بشيرا ونذيرا ﴾ صفتان أخريان لقرآنا أى بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية أو حالان من كتاب أو من آياته وقرئا بالرفع على الوصفية لكتاب أو الخبرية لمحذوف ﴿ فأعرض أكثرهم ﴾ عن تدبره مع كونه على لغتهم ﴿ فهم لا يسمعون ﴾ سماع تفكر وتأمل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به ﴿ وقالوا ﴾ أى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما فى القرآن ﴿ قلوبنا فى أكنة ﴾ أى أغطية متكاثفة ﴿ مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ﴾ أى صمم وأصله الثقل وقرئ بالكسر وقرئ بفتح القاف ﴿ ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على أن الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث استوعب مابينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ أصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق وقبوله ومج أسماعهم له كأن بها صمما وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ فاعمل ﴾ أى على دينك وقيل فى ابطال أمرنا ﴿ اننا عاملون ﴾ أى على ديننا وقيل فى ابطال أمرك والاول هو الاظهر فان قوله تعالى ﴿ قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد ﴾ تلقين للجواب عنه أى لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بينى وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان كما ينبئ عنه قولكم فاعمل اننا عاملون بل انما أنا بشر مثلكم مأمور بما أمرتم به حيث أخبرنا جميعا بالتوحيد بخطاب جامع بينى وبينكم فان الخطاب فى الهكم محكى منتظم للكل لا أنه خطاب منه عليه الصلاة والسلام للكفرة كما فى مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقى منه ولا أدعوكم الى ماتنبو عنه العقول والاسماع وانما أدعوكم الى التوحيد والاستقامة فى العمل وقد تدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى انى لست بملك وانما أنا بشر مثلكم وقد أوحى الى دونكم فصحت بالوحى الى وأنا بشر نبوتى واذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى فتأمل والفاء فى قوله تعالى ﴿ فاستقيموا اليه ﴾ لترتيب ما بعدها على ماقبلها من ايحاء الوحدانية فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص فى الاعمال ﴿ واستغفروه ﴾ مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى ﴿ وويل للمشركين ﴾ ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم فى التوحيد ووصفهم بقوله تعالى ﴿ الذين لا يؤتون الزكوة ﴾ لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكاة حيث جعل من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ وهو عطف على لا يؤتون داخل فى حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما أن عدم ايتائها متجدد والكفر أمر مستمر ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه فسر لا يؤتون الزكاة بقوله لا يقولون لا اله الا الله فانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وهو مأخوذ من قوله تعالى ونفس وماسواها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون فى الطاعات ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴾ أى لا يمن به عليهم من المن وأصله الثقل أو لا يقطع من مننت الحبل قطعته وقيل نزلت فى المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملونه ﴿ قل أئنكم لتكفرون ﴾ انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام اما لتأكيد الانكار وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة لا لانكار التأكيد واما للاشعار بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج الى التأكيد وانما علق كفرهم بالموصول حيث قيل ﴿ بالذى خلق الارض فى يومين ﴾ لتفخيم شأنه تعالى واستعظام كفرهم به أى بالعظيم الشأن الذى قدر وجودها أى حكم بأنها ستوجد فى مقدار يومين أو فى نوبتين على أن ما يوجد فى كل نوبة يوجد بأسرع ما يكون والا فاليوم الحقيقى انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات وابداع نيراتها وترتيب حركاتها ﴿ وتجعلون له أندادا ﴾ عطف على تكفرون داخل فى حكم الانكار والتوبيخ وجمع الانداد باعتبار ماهو الواقع لا بأن يكون مدار

الانكار هو التعدد أى وتجعلون له أندادا والحال أنه لايمكن أن يكون له ند واحد ﴿ذلك﴾ اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة ومافيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى العظمة وافراد الكاف لما مر مرارا من أن المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدأ خبره مابعده أى ذلك العظيم الشأن الذى فعل ماذكر ﴿رب العالمين﴾ أى خالق جميع الموجودات ومربيها دون الارض خاصة فكيف يتصور أن يكون أخس مخلوقاته ندا له وقوله تعالى ﴿وجعل فيها رواسى﴾ عطف على خلق داخل فى حكم الصلة والجعل ابداعى وحديث لزوم الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بأن الاولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الاعادة له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التأكيد فالفصل بهما كلا فصل على أن فيه فائدة التنبيه على أن مجرد المعطوف عليه كاف فى تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة أن يجعل له ند فكيف اذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر أى خلقها وجعل الخ وقيل هو كلام مستأنف وأياما كان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى ﴿من فوقها﴾ متعلق بجعل أو بمضمر هو صفة لرواسى أى كائنة من فوقها مرتفعة عليها لتكون منافعها معرضة لأهلها ويظهر للنظار مافيها من مراصد الاعتبار ومطارح الافكار ﴿وبارك فيها﴾ أى قدر أن يكثر خيرها بأن يخلق أنواع الحيوانات التى من جملتها الانسان وأصناف النبات التى منها معايشهم ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ أى حكم بالفعل بأن يوجد فيما سيأتى لأهلها من الانواع المختلفة أقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها أقواتها ﴿فى أربعة أيام﴾ متعلق بحصول الامور المذكورة لا بتقديرها أى قدر حصولها فى يومين وانما قيل فى أربعة أيام أى تتمة أربعة تصريحا بالفذلكة ﴿سواء﴾ مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لأيام أى استوت سواء أى استواء كما ينبئ عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير فى أقواتها أو فى فيها وقرئ بالرفع أى هى سواء ﴿للسائلين﴾ متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض ومافيها أو بقدر أى قدر فيها أقواتها لأجل السائلين أى الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى ﴿ثم استوى الى السماء﴾ شروع فى بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض وأهلها لما أن بيان اعتنائه تعالى بأمر المخاطبين وترتيب مبادى معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان أى ثم قصد نحوها قصدا سويا لايلوى على غيره ﴿وهى دخان﴾ أى أمر ظلمانى عبر به عن مادتها أو عن الاجزاء المتصغرة التى ركبت هى منها أو دخان مرتفع من الماء كما سيأتى وانما خص الاستواء بالسماء مع أن الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالى ﴿فقال لها وللارض﴾ اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير مافيها كأنه قيل فقال لها وللارض التى قدر وجودها ووجود مافيها ﴿ائتيا﴾ أى كونا واحدثا على وجه معين وفى وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير أمرهما من غير أن يكون هناك أمر ومأمور كما فى قوله تعالى كن وقوله تعالى ﴿طوعا أو كرها﴾ تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال أى طائعتين أو كارهتين وقوله تعالى ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ أى منقادين تمثيل لكمال تأثرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما أمرتا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة البالغة فان الطوع منبئ عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طائعين باعتبار كونهما فى معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لا أنه فعل مترتب على تكوينها أى خلقهن خلقا ابداعيا وأتقن أمرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير اما للسماء على المعنى أو مبهم وسبع سموات حال على الأول تمييز على الثانى ﴿فى

يومين﴾ فى وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الأرض وخلق مافيها عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل فى ستة أيام حسبما نص عليه فى مواقع من التنزيل ﴿وأوحى فى كل سماء أمرها﴾ عطف على قضاهن أى خلق فى كل منها ما فيها من الملائكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كما قاله قتادة والسدى فالوحى عبارة عن التكوين كالامر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت أو أوحى الى أهل كل منها أوامره وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور وأياما كان فعلى ماقرر من التفصيل لا دلالة فى الآية الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين التقدير والايجاد وأما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة فهى وما فى سورة البقرة من قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات تدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء ومافيها وعليه اطباق أكثر أهل التفسير وقد روى أن العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى أحدث فى الماء اضطرابا فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى أنه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام فى آخر ساعة منه وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة وقيل ان خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روى عن الحسن رحمه الله من أنه تعالى خلق الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وليس المراد بنظمها مع السماء فى سلك الامر بالاتيان انشاءها واحداثها بل انشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كأنه قيل ائتيا على ما ينبغى أن تأتيا عليه ائتى ياأرض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتى ياسماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول على ذلك الوجه كما تنبىء عنه قراءة آتيا وآتينا من المواتاة وهى الموافقة وأنت خبير بأن المذكور قبل الامر بالاتيان ليس مجرد خلق جرم الارض حتى يتأتى ما ذكر بل خلق مافيها أيضا من الامور المتأخرة عن دحوها قطعا فالاظهر أن يسلك مسلك الاولين ويحمل الامر بالاتيان على تكوينهما متوافقتين على الوجه المذكور وليس من ضرورته أن يكون دحوها مترتبا على ذلك التكوين وانما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب فى أن تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف فى حصوله ولا يقدح فى ذلك تكوين الارض على الوجه المذكور قبل ذلك وأن يجعل الارض فى قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شريطة التفسير ويجعل ذلك اشارة الى ذكر ماذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى أنفسها وتحمل البعدية اما على أنه قاصر عن الأول فى الدلالة على القدرة القاهرة كما قيل واما على أنه أدخل فى الالزام لما أن المنافع المنوطة بما فى الارض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر واحاطتهم بتفاصيلها أكمل وليس ما روى عن الحسن رضى الله عنه نصا فى تأخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو فلا دلالة فى ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الامام الواحدى عن مقاتل أن خلق السماء مقدم على ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلا بد من حمل الامر باتيانهما حينئذ أيضا على ما ذكر من التوافق والمواتاة ولا يقدح فى ذلك تقدم خلق السماء على خلق الارض كما لم يقدح فيه تقدم خلق الارض على خلق السماء هذا كله على تقدير كون كلمة ثم للتراخى الزمانى وأما على تقدير كونها للتراخى

الرتبي كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة فى الآية الكريمة على الترتيب كما فى الوجه الأول وعلى ذلك بنى الكلام فى تفسير قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا الآية وانما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لتوفية مقام الامتنان حقه ﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ من الكواكب فانها كلها ترى متلألئة عليها كأنها فيها والالتفات الى نون العظمة لابراز مزيد العناية بالامر وقوله تعالى ﴿ وحفظا ﴾ مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا أى وحفظناها من الآفات أو من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كأنه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا ﴿ ذلك ﴾ الذى ذكر بتفاصيله ﴿ تقدير العزيز العليم ﴾ المبالغ فى القدرة والعلم ﴿ فان أعرضوا ﴾ متصل بقوله تعالى قل أئنكم الخ أى فان أعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم الامور الداعية الى الايمان أو عن الايمان بعد هذا البيان ﴿ فقل لهم ﴿ أنذرتكم ﴾ أى أنذركم وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الانذار المنبيء عن تحقق المنذر به ﴿ صاعقة ﴾ أى عذابا هائلا شديد الوقع كأنه صاعقة ﴿ مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ وقرىء صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهى المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل ﴿ اذ جاءتهم الرسل ﴾ حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا لانذرتكم أو صفة لصاعقة لفساد المعنى وأما جعله صفة لصاعقة عاد أى الكائنة اذ جاءتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلته ﴿ من بين أيديهم ومن خلفهم ﴾ متعلق بجاءتهم أى من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمان الماضى بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل مجيء كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجيء أنفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بهما و بجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أى من قبلهم وممن يجيء من خلفهم أى من بعدهم فكأن الرسل قد جاؤهم وخاطبوهم بقوله تعالى ﴿ أن لا تعبدوا الا الله ﴾ أى بأن لا تعبدوا على أن أن مصدرية أو أى لا تعبدوا على أنها مفسرة ﴿ قالوا لو شاء ربنا ﴾ أى ارسال الرسل لا انزال الملائكة كما قيل فانه عار عن افادة ما أرادوه من نفى رسالة البشر وقد مر فيما سلف ﴿ لأنزل ملائكة ﴾ أى لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لأنزل ﴿ فانا بما أرسلتم به ﴾ أى على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم ﴿ كافرون ﴾ لما أنكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روى أن أبا جهل قال فى ملا من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على فأتاه فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فيم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن أى بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغنى و رسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة قال عليه الصلاة والسلام بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه عليه الصلاة والسلام وناشده بالرحم و رجع الى أهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك قد صبأت فغضب ثم قال والله لقد كلمته فأجابنى بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب ﴿ فأما عاد فاستكبروا فى الارض ﴾ شروع فى حكاية ما يخص بكل واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب اثر حكاية ما يعم الكل من الكفر المطلق أى فتعظموا فيها على أهلها أو استعلوا فيها واستولوا على أهلها ﴿ بغير الحق ﴾ أى بغير استحقاق للتعظم

والولاية ﴿ وقالوا ﴾ مدلين بشدتهم وقوتهم ﴿ من أشد منا قوة ﴾ حيث كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده ﴿ أولم يروا ﴾ أى أغفلوا أو ألم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان ﴿ أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة ﴾ أى قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على مالا يتناهى قوى على مالا يقدر عليه غيره مفيض للقوى والقدر على كل قوى وقادر وانما أورد فى حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والأرض لادعائهم الشدة فى القوة وفيه ضرب من التهكم بهم ﴿ وكانوا بآياتنا ﴾ المنزلة على الرسل ﴿ يجحدون ﴾ أى ينكرونها وهم يعرفون حقيتها وهو عطف على فاستكبروا كقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء ﴿ فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا ﴾ أى باردة تهلك وتحرق بشدة بردها من الصر وهو البرد الذى يصر أى يجمع ويقبض أو عاصفة تصوت فى هبوبها من الصرير ﴿ فى أيام نحسات ﴾ جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرىء بالسكون على التخفيف أو على أنه نعت على فعل أو وصف بمصدر مبالغة قيل كن آخر شوال من الأربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا فى يوم الأربعاء ﴿ لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ﴾ وقرىء لتذيقهم على اسناد الاذاقة الى الريح أو الى الأيام وأضيف العذاب الى الخزى الذى هو الذل والاستكانة على أنه وصف له كما يعرب عنه قوله سبحانه ﴿ ولعذاب الآخرة أخزى ﴾ وهو فى الحقيقة وصف للمعذب وقد وصف به العذاب للمبالغة ﴿ وهم لا ينصرون ﴾ بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه ﴿ وأما ثمود فهديناهم ﴾ فدللناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وارسال الرسل وانزال الآيات التشريعية وأزحنا عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى فى تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرىء ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا فى الحالين وبضم الثاء ﴿ فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ أى اختاروا الضلالة على الهداية ﴿ فأخذتهم صاعقة العذاب الهون ﴾ داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدل منه ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ من اختيار الضلالة ﴿ ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ من تلك الصاعقة ﴿ ويوم يحشر أعداء الله ﴾ شروع فى بيان عقوباتهم الآجلة اثر بيان عقوباتهم العاجلة والتعبير عنهم بأعداء الله تعالى لذمهم والايذان بعلة ما يحيق بهم من ألوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الأولين والآخرين ويرده ما سيأتى من قوله تعالى فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرىء يحشر على بناء الفاعل ونصب أعداء الله وبنون العظمة وضم الشين وكسرها ﴿ الى النار ﴾ أى الى موقف الحساب اذ هناك تتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان بأنها عاقبة حشرهم وأنهم على شرف دخولها واما لأن حسابهم يكون على شفيرها ويوم اما منصوب باذكر أو ظرف لمضمر مؤخر قد حذف ايهاما لقصور العبارة عن تفصيله كما مر فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى ﴿ فهم يوزعون ﴾ أى يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون الى النار وقوله تعالى ﴿ حتى اذا ما جاؤها ﴾ أى جميعا غاية ليحشر أو ليوزعون أى حتى اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور ﴿ شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ فى الدنيا من فنون الكفر والمعاصى بأن ينطقها الله تعالى أو يظهر عليها آثار ما اقترفوا بها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الأنسب بتخصيص السؤال بها فى قوله تعالى ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ﴾ فان ما تشهد به من الزنا أعظم جناية وقبحا وأجلب للخزى والعقوبة مما يشهد به السمع والأبصار من الجنايات المكتسبة بتوسطهما وقيل المراد بالجلود الجوارح أى سألوها سؤال توبيخ لما روى أنهم قالوا لها فعنكن كنا نناضل وفى رواية بعدا لكن وسحقا عنكن

كنت أجادل وصيغة جمع العقلاء فى خطاب الجلود وفى قوله تعالى ﴿قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ﴾ لوقوعها فى موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء أى أنطقنا الله الذى أنطق كل ناطق وأقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وليس بذاك لما فيه من ايهام الاضطرار فى الاخبار وقيل سألوها سؤال تعجب فالمعنى حينئذ ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذى أنطق كل حى ﴿وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون﴾ فان من قدر على خلقكم وانشائكم أولا وعلى اعادتكم و رجعكم الى جزائه ثانيا لايتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع مع أن هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما أن المراد بالرجع ليس مجرد الرّد الى الحياة بالبعث بل مايعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على أن فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب الجلود أى ما كنتم تستترون فى الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة أن تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأسا ﴿ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون﴾ من القبائح المخفية فلا يظهرها فى الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايذان بأن شهادة الجوارح باعلامه تعالى حينئذ لا بأنها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم . عن ابن مسعود رضى الله عنه كنت مستترا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشى أو قرشيان وثقفى فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان أخفينا فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكى حينئذ يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الأنسب أن يراد بالظن معنى مجازى يعم معناه الحقيقى وما يجرى مجراه من الأعمال المنبئة عنه كما فى قوله تعالى يحسب أن ماله أخلده ليعم ما حكى من الحال جميع أصناف الكفرة فتدبر ﴿وذلكم﴾ اشارة الى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته فى الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم﴾ خبران له ويجوز أن يكون ظنكم بدلا وأرداكم خبرا ﴿فأصبحتم﴾ بسبب ذلك الظن السوء الذى أهلككم ﴿من الخاسرين﴾ اذ صار ما منحوا لنيل سعادة الدارين سببا لشقاء النشأتين ﴿فان يصبروا فالنار مثوى لهم﴾ أى محل ثواء واقامة أبدية لهم بحيث لا براح لهم منها والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم أن يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم أو للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب والقائهم فى غاية دركات النار ﴿وان يستعتبوا﴾ أى يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه ﴿فما هم من المعتبين﴾ المجابين اليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين أى ان يسألوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة ﴿وقيضنا لهم﴾ أى قدرنا وقرنا للكفرة فى الدنيا ﴿قرناء﴾ جمع قرين أى أخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل أصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة ﴿فزينوا لهم ما بين أيديهم﴾ من أمور الدنيا واتباع الشهوات ﴿وما خلفهم﴾ من أمور الآخرة حيث أروهم أن لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط ﴿وحق عليهم القول﴾ أى ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها وهو قوله تعالى لابليس فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين كما مر مرارا ﴿فى أمم﴾ حال من الضمير المجرور أى كائنين فى جملة أمم وقيل فى بمعنى مع وهذا كما ترى صريح فى أن

المراد بأعداء الله تعالى فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الأولين والآخرين كما قيل ﴿ قد خلت ﴾ صفة لأمم أي مضت ﴿ من قبلهم من الجن والانس ﴾ على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء ﴿ انهم كانوا خاسرين ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للأولين والآخرين ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ من رؤساء المشركين لأعقابهم أو قال بعضهم لبعض ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن ﴾ أي لا تنصتوا له ﴿ والغوا فيه ﴾ وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء أو ارفعوا أصواتكم بها لتشوشوه على القارىء وقرىء بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى كلقى يلقى ولغا يلغو اذا هذى ﴿ لعلكم تغلبون ﴾ أي تغلبونه على قراءته ﴿ فلنذيقن الذين كفروا ﴾ أي فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين واللاغين أو جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا أوليا ﴿ عذابا شديدا ﴾ لا يقادر قدره ﴿ ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون ﴾ أي جزاء سيئات أعمالهم التى هى فى أنفسها أسوأ وقيل انه لا يجازيهم بمحاسن أعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الأرحام وقرى الأضياف لأنها محبطة بالكفر وعن ابن عباس رضى الله عنهما عذابا شديدا يوم بدر وأسوأ الذى كانوا يعملون فى الآخرة ﴿ ذلك ﴾ مبتدأ وقوله تعالى ﴿ جزاء أعداء الله ﴾ خبره أى ما ذكر من الجزاء جزاء معد لأعدائه تعالى وقوله تعالى ﴿ النار ﴾ عطف بيان للجزاء أو ذلك خبر مبتدا محذوف أي الأمر ذلك على أنه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تعالى ﴿ لهم فيها دار الخلد ﴾ جملة مستقلة مقررة لما قبلها أو النار مبتدأ هى خبره أى هى بعينها دار اقامتهم على أن فى للتجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله مبالغة لكماله فيها كما يقال فى البيضة عشرون منا حديد وقيل هى على معناها والمراد أن لهم فى النار المشتملة على الدركات دارا مخصوصة هم فيها خالدون ﴿ جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾ منصوب بفعل مقدر أي يجزون جزاء أو بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما فى قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل أى بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا الحقة أو يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب ﴿ ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس ﴾ يعنون فريقى شياطين النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصى بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرىء أرنا تخفيفا كفخذ فى فخذ وقيل معناه أعطناهما وقرىء باختلاس كسرة الراء ﴿ نجعلهما تحت أقدامنا ﴾ أي ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل ﴿ ليكونا من الاسفلين ﴾ أى ذلا ومهانة أو مكانا ﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ﴾ شروع فى بيان حسن أحوال المؤمنين فى الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما أي قالوه اعترافا بربوبيته تعالى واقرارا بوحدانيته ﴿ ثم استقاموا ﴾ أى ثبتوا على الاقرار ومقتضياته على أن ثم للتراخى فى الزمان أو فى الرتبة فان الاستقامة لها الشان كله وما روى عن الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم فى معناها من الثبات على الايمان واخلاص العمل وأداء الفرائض بيان لجزئياتها ﴿ تتنزل عليهم الملائكة ﴾ من جهته تعالى يمدونهم فيما يعن لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام كما أن الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى فى مواطن ثلاثة عند الموت وفى القبر وعند البعث والاظهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه ﴿ أن لا تخافوا ﴾ ما تقدمون عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ﴿ ولا تحزنوا ﴾ على ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى أن

الله تعالى كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه أبدا وأن اما مفسرة أو مخففة من الثقيلة والاصل بانه لاتخافوا والهاء
ضمير الشان وقرئ لاتخافوا أى يقولون لاتخافوا على أنه حال من الملائكة أو استئناف ﴿وأبشروا﴾ أى سروا ﴿بالجنة التى
كنتم توعدون﴾ فى الدنيا على ألسنة الرسل هذا من بشاراتهم فى أحد المواطن الثلاثة وقوله تعالى ﴿نحن أولياؤكم
فى الحيوة الدنيا﴾ الخ من بشاراتهم فى الدنيا أى أعوانكم فى أموركم نلهمكم الحق ونرشدكم الى مافيه خيركم وصلاحكم
ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من أن ذلك بتوفيق الله تعالى و تأييده لهم بواسطة
الملائكة عليهم السلام ﴿وفى الآخرة﴾ نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع
من التعادى والخصام ﴿ولكم فيها﴾ أى فى الآخرة ﴿ما تشتهى أنفسكم﴾ من فنون الطيبات ﴿ولكم فيها
ما تدعون﴾ ما تتمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب أى تدعون لأنفسكم وهو أعم من الاول ولكم فى الموضعين
خبر ومامبتدأ وفيها حال من ضميره فى الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ماتشتهى للاشباع فى البشارة
والايذان باستقلال كل منهما ﴿نزلا من غفور رحيم﴾ حال مما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة الى ما يعطون
من عظائم الاجور كالنزل للضيف ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله﴾ أى الى توحيده تعالى وطاعته . عن ابن
عباس رضى الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل نزلت فى المؤذنين والحق أن حكمها عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة وان نزلت فيمن ذكر ﴿وعمل
صالحا﴾ فيما بينه وبين ربه ﴿وقال اننى من المسلمين﴾ ابتهاجا بأنه منهم أو اتخاذا للاسلام دينا ونحلة من قولهم هذا
قول فلان أى مذهبه لا أنه تكلم بذلك وقرئ انى بنون واحدة ﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة﴾ جملة مستأنفة
سيقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصبر على أذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان أى لا تستوى الخصلة الحسنة
والسيئة فى الآثار والأحكام ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفى وقوله تعالى ﴿ادفع بالتى هى أحسن﴾ الخ استئناف
مبين لحسن عاقبة الحسنة أى ادفع السيئة حيث اعترضتك من بعض أعاديك بالتى هى أحسن ما يمكن دفعها به
من الحسنات كالاحسان الى من أساء فانه أحسن من العفو واخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف أصنع
للمبالغة ولذلك وضع أحسن موضع الحسنة وقوله تعالى ﴿فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم﴾ بيان
لنتيجة الدفع المأمور به أى فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق ﴿وما يلقاها﴾ أى ما يلقى هذه
الخصلة والسجية التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان ﴿الا الذين صبروا﴾ أى شأنهم الصبر ﴿وما يلقاها الا ذو حظ
عظيم﴾ من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب قيل نزلت فى أبى سفيان ابن حرب وكان
مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا ﴿واما ينزغنك من الشيطان نزغ﴾ النزغ والنسغ بمعنى
وهو شبه النخس شبه به وسوسة الشيطان لانها بعث على الشر وجعل نازغا على طريقة جدجده أو أريد واما ينزغنك
نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن ﴿فاستعذ بالله﴾
من شره ولا تطعه ﴿انه هو السميع﴾ باستعاذتك ﴿العليم﴾ بنيتك أو بصلاحك وفى جعل ترك الدفع بالاحسان
من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه ﴿ومن آياته﴾ الدالة على شئونه العظيمة ﴿الليل والنهار
والشمس والقمر﴾ كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره ﴿لاتسجدوا للشمس ولا للقمر﴾ لانهما من جملة
مخلوقاته المسخرة لاوامره مثلكم ﴿واسجدوا لله الذى خلقهن﴾ الضمير للاربعة لان حكم جماعة مالا يعقل حكم

الانثى أو الاناث أو لانها عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما فى المخلوقية فى سلك الأعراض التى لا قيام لها بذاتها وهو السر فى نظم الكل فى سلك آياته تعالى ﴿ان كنتم اياه تعبدون﴾ فان السجود أقصى مراتب العبادة فلابد من تخصيصه به سبحانه وهو موضع السجود عند الشافعى رحمه الله وعندنا آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى ﴿فان استكبروا﴾ عن الامتثال ﴿فالذين عند ربك﴾ من الملائكة ﴿يسبحون له بالليل والنهار﴾ أى دائما ﴿وهم لا يسأمون﴾ لا يفترون ولا يملون وقرئ لا يسأمون بكسر الياء ﴿ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة﴾ يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل ﴿فاذا أنزلنا عليها الماء﴾ أى المطر ﴿اهتزت وربت﴾ أى تحركت بالنبات وانتفخت لان النبت اذا دنا أن يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات وقرئ ربأت أى ارتفعت ﴿ان الذى أحياها﴾ بما ذكر بعد موتها ﴿لمحيى الموتى﴾ بالبعث ﴿انه على كل شئ﴾ من الاشياء التى من جملتها الاحياء ﴿قدير﴾ مبالغ فى القدرة ﴿ان الذين يلحدون﴾ يميلون عن الاستقامة وقرئ يلحدون ﴿فى آياتنا﴾ بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة ﴿لا يخفون علينا﴾ فنجازيهم بالحادهم وقوله تعالى ﴿أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة﴾ تنبيه على كيفية الجزاء ﴿اعملوا ما شئتم﴾ من الاعمال المؤدية الى ما ذكر من الالقاء فى النار والاتيان آمنا وفيه تهديد شديد ﴿انه بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم بحسب أعمالكم وقوله تعالى ﴿ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم﴾ بدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون الخ وخبر ان هو الخبر السابق وقيل مستأنف وخبرها محذوف وقال الكسائى سد مسده الخبر السابق والذكر القرآن وقوله تعالى ﴿وانه لكتاب عزيز﴾ أى كثير المنافع عديم النظير أو منيع لا تتأتى معارضته جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله تعالى ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ أى لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات صفة أخرى لكتاب وقوله تعالى ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ خبر لمبتدأ محذوف أو صفة أخرى لكتاب مفيدة لفخامته الاضافية كما أن الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا يأتيه الخ اعتراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتأكيد بطلان الكفر بالقرآن وقوله تعالى ﴿ما يقال لك﴾ الخ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من أذية الكفار أى ما يقال فى شأنك وشأن ما أنزل اليك من القرآن من جهة كفار قومك ﴿الا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ أى الا مثل ما قد قيل فى حقهم مما لا خير فيه ﴿ان ربك لذو مغفرة﴾ لانبيائه ﴿وذو عقاب أليم﴾ لاعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من أعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وبأعدائك أيضا ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا﴾ جواب لقولهم هلا أنزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر ﴿لقالوا لولا فصلت آياته﴾ أى بينت بلسان نفقهه وقوله تعالى ﴿أأعجمى وعربى﴾ انكار مقرر للتحضيض والأعجمى يقال لكلام لا يفهم وللمتكلم به والياء للمبالغة فى الوصف كأحمرى والمعنى أكلام أعجمى ورسول أو مرسل اليه عربى على أن الافراد مع كون المرسل اليهم أمة جمة لما أن المراد بيان التنافى والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحدا أو جمعا وقرئ أعجمى أى أكلام منسوب الى أمة العجم وقرئ أعجمى على الاخبار بأن القرآن أعجمى والمتكلم والمخاطب عربى ويجوز أن يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب وأياما كان فالمقصود بيان أن آيات الله تعالى على أى وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتا يتعللون به ﴿قل هو للذين آمنوا هدى﴾ يهديهم الى الحق ﴿وشفاء﴾ لما فى الصدور من شك وشبهة ﴿والذين لا يؤمنون﴾ مبتدأ خبره ﴿فى آذانهم وقر﴾

على أن التقدير هو أى القرآن فى آذانهم وقر على أن وقر خبر للضمير المقدر و فى آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر وهو أوفق لقوله تعالى ﴿وهو عليهم عمى﴾ وقيل خبر الموصول فى آذانهم و وقر فاعل الظرف وقيل وقر مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لايؤمنون فى آذانهم منه وقر ومن جوز العطف على عاملين عطف الموصول على الموصول الأول أى هو للأولين هدى وشفاء وللآخرين وقر فى آذانهم ﴿أولئك﴾ اشارة الى الموصول الثانى باعتبار اتصافه بما فى حيز صلته وملاحظة ما أثبت له ومافيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى الشر مع مافيه من كمال المناسبة للنداء من بعيد أى أولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التصام عن الحق الذى يسمعونه والتعامى عن الآيات الظاهرة التى يشاهدونها ﴿ينادون من مكان بعيد﴾ تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادى من مسافة نائية لايكاد يسمع من مثلها الأصوات ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان أن الاختلاف فى شأن الكتب عادة قديمة للامم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى مايقال لك الا ماقد قيل للرسل من قبلك أى و بالله لقد آتيناه التوراة فاختلف فيها فمن مصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك فى شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به و كافر ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ فى حق أمتك المكذبة وهى العدة بتأخير عذابهم وفصل مابينهم و بين المؤمنين من الخصومة الى يوم القيامة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله تعالى ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى ﴿لقضى بينهم﴾ باستئصال المكذبين كما فعل بمكذبى الأمم السالفة ﴿وانهم﴾ أى كفار قومك ﴿لفى شك منه مريب﴾ أى من القرآن وجعل الضمير الأول لليهود والثانى للتوراة مما لاوجه له ﴿من عمل صالحا﴾ بأن آمن بالكتب وعمل بموجبها ﴿فلنفسه﴾ أى فلنفسه يعمله أو فنفعه لنفسه لالغيره ﴿ومن أساء فعليها﴾ ضرره لاعلى غيره ﴿وماربك بظلام للعبيد﴾ اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ماقبله مبنى على تنزيل ترك اثابة المحسن بعمله أو اثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير اساءة أو باساءة غيره منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر مافى المقام من التحقيق والتفصيل فى سورة آل عمران وسورة الأنفال ﴿اليه يرد علم الساعة﴾ أى اذا سئل عنها يقال الله يعلم أو لايعلمها الا الله تعالى ﴿وماتخرج من ثمرات من أكمامها﴾ أى من أوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرىء من ثمرة على ارادة الجنس والجمع لاختلاف الأنواع وقد قرىء بجمع الضمير أيضا وما نافية ومن الأولى مزيدة للاستغراق واحتمال أن تكون ماموصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد ﴿وماتحمل من أنثى ولاتضع﴾ أى حملها وقوله تعالى ﴿الا بعلمه﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى ومايحدث شىء من خروج ثمرة ولاحمل حامل ولاوضع واضع ملابسا بشىء من الأشياء الا ملابسا بعلمه المحيط ﴿ويوم يناديهم أين شركائى﴾ أى بزعمكم كما نص عليه فى قوله تعالى نادوا شركائى الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتقريع لهم و يوم منصوب باذكر أو ظرف لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما مر فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل ﴿قالوا آذناك﴾ أى أخبرناك ﴿مامنا من شهيد﴾ من أحد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال ومامنا أحد الا وهو موحد لك أومامنا من أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء أى مامنا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين وقولهم آذناك اما لان هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب أو لان معناه انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لانشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه أو لان معناه الانشاء لا الاخبار بايذان قد كان قبل ذلك ﴿وضل عنهم ما كانوا يدعون﴾ أى يعبدون ﴿من قبل﴾ أى غابوا عنهم أو ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم ﴿وظنوا﴾ أى أيقنوا ﴿مالهم من محيص﴾ مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى ﴿لايسأم الانسان﴾

أى لايمل ولايفتر ﴿من دعاء الخير﴾ من طلب السعة فى النعمة وأسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير ﴿وان مسه الشر﴾ أى العسر والضيقة ﴿فيؤوس قنوط﴾ فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة أن القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر أثره فى الشخص فيتضاءل وينكسر أى مبالغ فى قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب أفراده لما أن اليأس من رحمته تعالى لايتأتى الا من الكافر وسيصرح به ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته﴾ بتفريجها عنه ﴿ليقولن هذا لى﴾ أى حق أستحقه لما لى من الفضل والعمل أو لى لا لغيرى فلا يزول عنى أبدا ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ أى تقوم فيما سيأتى ﴿ولئن رجعت الى ربى﴾ على تقدير قيامها ﴿ان لى عنده للحسنى﴾ أى للحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه له وأن نعم الآخرة كذلك ﴿فلننبئن الذين كفروا بما عملوا﴾ أى لنعلمنهم بحقيقة أعمالهم حين أظهرناها بصورها الحقيقية وقد مر تحقيقه فى سورة الأعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفى قوله تعالى انما بغيكم على أنفسكم من سورة يونس ﴿ولنذيقنهم من عذاب غليظ﴾ لايقادر قدره ولايبلغ كنهه ﴿واذا أنعمنا على الانسان أعرض﴾ أى عن الشكر ﴿ونأى بجانبه﴾ أى ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما فى قوله تعالى فى جنب الله ويجوز أن يراد به عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه ﴿واذا مسه الشر فذو دعاء عريض﴾ أى كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو أبلغ من الطويل اذ الطول أطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شأن بعض غير البعض الذى حكى عنه اليأس والقنوط أو شأن الكل فى بعض الأوقات ﴿قل أرأيتم﴾ أى أخبرونى ﴿ان كان﴾ أى القرآن ﴿من عند الله ثم كفرتم به﴾ مع تعاضد موجبات الايمان به ﴿من أضل ممن هو فى شقاق بعيد﴾ أى من أضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم ﴿سنريهم آياتنا﴾ الدالة على حقيته وكونه من عند الله ﴿فى الآفاق﴾ هو ما أخبرهم به النبى صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة ﴿وفى أنفسهم﴾ هو ما ظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى الآفاق أى منازل الأمم الخالية وآثارهم وفى أنفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدى فى الآفاق ما يفتح الله من القرى عليه عليه الصلاة والسلام والمسلمين وفى أنفسهم فتح مكة وقيل فى الآفاق أى فى أقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليهما من الليل والنهار والاضواء والظلال والظلمات ومن النبات والاشجار والانهار وفى أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة فى تكوين الاجنة فى ظلمات الارحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون واعتذر بأن معنى السين مع أن اراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك أنه تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا على حقائقها يوما فيوما ﴿حتى يتبين لهم﴾ بذلك ﴿أنه الحق﴾ أى القرآن أو الاسلام والتوحيد ﴿أولم يكف بربك﴾ استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم فى شأن القرآن وعنادهم المحوج الى اراءة الآيات وعدم اكتفائهم باخباره تعالى والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألم يغن ولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد ولا تكاد تزاد الا مع كفى وقوله تعالى ﴿أنه على كل شئ شهيد﴾ بدل منه أى ألم يغنهم عن اراءة الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن ولم يكفهم فى ذلك أنه تعالى شهيد على جميع الأشياء وقد أخبر بأنه من عنده وقيل معناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم

الغيب الذي هو على كل شئ شهيد أي مطلع يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة فتأمل وأما ماقيل من أن المعنى أولم يكفك أنه تعالى على كل شئ شهيد محقق له فيحقق أمرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة فمع اشعاره بما لا يليق بجلالة منصبه عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود يرده قوله تعالى ﴿ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم﴾ أى فى شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح فى أن عدم الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرية بالضم وهو لغة فيها ﴿ألا انه بكل شئ محيط﴾ عالم بجميع الأشياء جملها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لامحالة. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات والله أعلم

سورة حم عسق وتسمى الشورى

(مكية وهى ثلاث وخمسون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم عسق﴾ اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل ليناسب سائر الحواميم وقرئ حم سق فعلى الاول هما خبران لمبتدا محذوف وقيل حم مبتدأ وعسق خبره وعلى الثانى الكل خبر واحد وقوله تعالى ﴿كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾ كلام مستأنف وارد لتحقيق أن مضمون السورة موافق لما فى تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة فى الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق أو أن ايحاءها مثل ايحائها بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه على فخامة شأنها والكاف فى حيز النصب على أنه مفعول ليوحى على الاول وعلى أنه نعت لمصدر مؤكد له على الثانى وذلك على الاول اشارة الى مافيها وعلى الثانى الى ايحائها ومافيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل أى مثل مافى هذه السورة من المعانى أوحى اليك فى سائر السور والى من قبلك من الرسل فى كتبهم على أن مناط المماثلة ماأشير اليه من الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق ومافيه صلاح العباد فى المعاش والمعاد أومثل ايحائها أوحى اليك عند ايحاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا ايحاء مغايرا له كما فى قوله تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح الآية على أن مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للايذان باستمرار الوحى وأن ايحاء مثله عادته وفى جعل مضمون السورة أو ايحائها مشبها به من تفخيمها مالايخفى وكذا فى وصفه تعالى بوصفى العزة والحكمة وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع مافيه من التشويق وقرئ يوحى على البناء للمفعول على أن كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره أو مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بمادل عليه يوحى كأنه قيل من يوحى فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له أو مبتدأ كما فى قراءة نوحى والعزيز ومابعده خبران له أو العزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى ﴿له مافى السموات ومافى الارض وهو العلى العظيم﴾ خبران له وعلى الوجوه السابقة استئناف مقرر لعزته وحكمته ﴿تكاد السموات﴾ وقرئ بالياء ﴿يتفطرن﴾ يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل من دعاء الولد له كما فى سورة مريم وقرئ ينفطرن والاول أبلغ لأنه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر ﴿من فوقهن﴾ أى يبتدأ التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لما أن أعظم الآيات وأدلها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثانى

للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الاولى لأن تلك الكلمة الشنعاء الواقعة فى الارض حيث أثرت فى جهة الفوق فلأن تؤثر فى جهة التحت أولى وقيل الضمير للارض فانها فى معنى الارضين ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ ينزهونه تعالى عما لايليق به ملتبسين بحمده ﴿ويستغفرون لمن فى الارض﴾ بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب الأسباب المقربة الى الطاعة واستدعاء تأخير العقوبة طمعا فى ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لوفسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما فى قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة ﴿ألا ان الله هو الغفور الرحيم﴾ اذ ما من مخلوق الاوله حظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثانى بيان لكمال تقدسه عما نسب اليه وأن ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز الى أنه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ماطلبوه من المغفرة رحمة ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ شركاء وأندادا ﴿الله حفيظ عليهم﴾ رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها ﴿وماأنت عليهم بوكيل﴾ بموكل بهم أو بموكول اليه أمرهم وانما وظيفتك الانذار ﴿وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا﴾ ذلك اشارة الى مصدر أوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرآنا عربيا مفعول لأوحينا أى ومثل ذلك الايحاء البديع البين المفهم أوحينا اليك قرآنا عربيا لالبس فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى معنى الآية المتقدمة من أنه تعالى هو الحفيظ عليهم وانما أنت نذير فحسب فالكاف مفعول به لأوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول به أى أوحيناه اليك وهو قرآن عربى بين ﴿لتنذر أم القرى﴾ أى أهلها وهى مكة ﴿ومن حولها﴾ من العرب ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ أى يوم القيامة لأنه يجمع فيه الخلائق قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل تجمع فيه الارواح والاشباح وقيل الأعمال والعمال والانذار يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثانى مفعولى الأول وأول مفعولى الثانى للتهويل وايهام التعميم وقرىء لينذر بالياء على أن فاعله ضمير القرآن ﴿لاريب فيه﴾ اعتراض مقرر لماقبله ﴿فريق فى الجنة وفريق فى السعير﴾ أى بعد جمعهم فى الموقف فانهم يجمعون فيه أولا ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم أى وتنذر يوم جمعهم متفرقين أى مشارفين للتفرق أومتفرقين فى دارى الثواب والعقاب ﴿ولوشاء الله لجعلهم﴾ أى فى الدنيا ﴿أمة واحدة﴾ قيل مهتدين أوضالين وهو تفصيل لما أجمله ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله على دين واحد فمعنى قوله تعالى ﴿ولكن يدخل من يشاء فى رحمته﴾ أنه تعالى يدخل فى رحمته من يشاء أن يدخله فيها ويدخل فى عذابه من يشاء أن يدخله فيه ولاريب فى أن مشيئته تعالى لكل من الادخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعا فلم يشأ جعل الكل أمة واحدة بل جعلهم فريقين وانما قيل ﴿والظالمون مالهم من ولى ولانصير﴾ للايذان بأن الادخال فى العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لامن جهته تعالى كما فى الادخال فى الرحمة لا لما قيل من المبالغة فى الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ماقاله مقاتل على دين الاسلام كما فى قوله تعالى ولوشاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولوشئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى ولوشاء الله مشيئة قدرة لقسرهم على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى أمرهم على مايختارون ليدخل المؤمنين فى رحمته وهم المرادون بقوله تعالى يدخل من يشاء وترك الظالمين بغير ولى ولانصير وأنت خبير بأن فرض جعل الكل مؤمنين يأباه تصدير الاستدراك بادخال بعضهم فى رحمته اذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تصديره باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم فى عذابه فالذى يقتضيه

سياق النظم الكريم وسباقه أن يراد الاتحاد فى الكفر كما فى قوله تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين الآية على أحد الوجهين بأن يراد بهم الذين هم فى فترة ادريس أو فى فترة نوح عليهما السلام فالمعنى ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة متفقة على الكفر بأن لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم ماذكر من يوم الجمع ومافيه من ألوان الاهوال فيبقوا على ماهم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء فى رحمته أى شأنه ذلك فيرسل الى الكل من ينذرهم ماذكر فيتأثر بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم الى الحق فيوفقهم الله للايمان والطاعة و يدخلهم فى رحمته و لا يتأثر به الآخرون و يتمادون فى غيهم وهم الظالمون فيبقون فى الدنيا على ماهم عليه من الكفر و يصيرون فى الآخرة الى السعير من غير ولى يلى أمرهم و لانصير يخلصهم من العذاب ﴿أم اتخذوا من دونه أولياء﴾ جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء أن يكون للظالمين ولى أو نصير وأم منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ماقبلها الى بيان مابعدها والهمزة لانكار الوقوع ونفيه على أبلغ وجه وآكده لا لانكار الواقع واستقباحه كما قيل اذ المراد بيان أن ما فعلوا ليس من اتخاذ الاولياء فى شئ لأن ذلك فرع كون الأصنام أولياء وهو أظهر الممتنعات أى بل اتخذوا متجاوزين الله أولياء من الأصنام وغيرها هيهات وقوله تعالى ﴿فالله هو الولى﴾ جواب شرط محذوف كأنه قيل بعد ابطال ولاية ما اتخذوه أولياء ان أرادوا وليا فى الحقيقة فالله هو الولى لا ولى سواه ﴿وهو يحيى الموتى﴾ أى ومن شأنه ذلك ﴿وهو على كل شئ قدير﴾ فهو الحقيق بأن يتخذ وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شئ ﴿وما اختلفتم فيه من شئ﴾ حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أى وما خالفكم الكفار فيه من أمور الدين فاختلفتم أنتم وهم ﴿فحكمه﴾ راجع ﴿الى الله﴾ وهو اثابة المحقين وعقاب المبطلين ﴿ذلكم﴾ الحاكم العظيم الشان ﴿الله ربى﴾ مالكى ﴿عليه توكلت﴾ فى مجامع أمورى خاصة لا على غيره ﴿واليه أنيب﴾ أرجع فى كل مايعن لى من معضلات الامور لا الى أحد سواه وحيث كان التوكل أمرا واحدا مستمرا والانابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها أوثر فى الاول صيغة الماضى و فى الثانى صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم فى شئ من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و لا تؤثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا فى بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتعلق بتكليفكم و لا طريق لكم الى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح و لا مساغ لحمل هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿فاطر السموات والارض﴾ خبر آخر لذلكم أو خبر لمبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره ﴿جعل لكم﴾ وقرئ بالجر على أنه بدل من الضمير أو وصف للاسم الجليل فى قوله تعالى الى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف ﴿من أنفسكم﴾ من جنسكم ﴿أزواجا﴾ نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح قد مر سره غير مرة ﴿ومن الانعام﴾ أى وجعل للانعام من جنسها ﴿أزواجا﴾ أو خلق لكم من الانعام أصنافا أو ذكورا واناثا ﴿يذرؤكم﴾ يكثركم من الذرء وهو البث و فى معناه الذرو والذر ﴿فيه﴾ أى فيما ذكر من التدبير فان جعل الناس والانعام أزواجا يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير ﴿ليس كمثله شئ﴾ أى ليس مثله شئ فى شأن من الشؤن التى من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فانه اذا نفى عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى ثم سلكت هذه الطريقة فى شأن من لا مثل له وقيل مثله صفته أى ليس كصفته صفة ﴿وهو السميع البصير﴾ المبالغ فى العلم بكل مايسمع و يبصر ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ أى خزائنهما ﴿يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر﴾ يوسع و يضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة ﴿انه بكل شئ عليم﴾ مبالغ فى

الاحاطة به فيفعل كل مايفعل على ماينبغى أن يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى ﴿شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى﴾ وايذان بأن ماشرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما أن بيان نسبته الى المذكورين عليهم الصلاة والسلام تنبيه على كونه دينا قديما أجمع عليه الرسل والخطاب لأمته عليه الصلاة والسلام أى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا ومن بعده من أرباب الشرائع وأولى العزائم من مشاهير الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأمرهم به أمرا مؤكدا على أن تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شأنهم و لاستمالة قلوب الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود فى شأن موسى عليه السلام وتفرد النصارى فى حق عيسى عليه السلام والا فما من نبى الا وهو مأمور بما أمروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام وما لايختلف باختلاف الامم وتبدل الاعصار من أصول الشرائع والاحكام كما ينبئ عنه التوصية فانها معربة عن تأكيد الأمر والاعتناء بشأن المأمور به والمراد بايحائه اليه عليه الصلاة والسلام اما ماذكر فى صدر السورة الكريمة وفى قوله تعالى وكذلك أوحينا الآية أو مايعمهما وغيرهما مما وقع فى سائر المواقع التى من جملتها قوله تعالى ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته اليه عليه الصلاة والسلام بالذى لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحيثية وايثار الايحاء على ماقبله وما بعده من التوصية لمراعاة ماوقع فى الآيات المذكورة ولما فى الايحاء من التصريح برسالته عليه الصلاة والسلام القامع لانكار الكفرة والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الاعتناء بايحائه وهو السر فى تقديمه على مابعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح عليه السلام للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على أنه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه الصلاة والسلام ﴿أن أقيموا الدين﴾ أى دين الاسلام الذى هو توحيد الله تعالى وطاعته والايمان بكتبه ورسله ويوم الجزاء وسائر مايكون الرجل به مؤمنا والمراد باقامته تعديل أركانه وحفظه من أن يقع فيه زيغ أو المواظبة عليه والتشمر له ومحل أن أقيموا اما النصب على أنه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو الرفع على أنه جواب عن سؤال نشأ من ابهام المشروع كأنه قيل وما ذاك فقيل هو اقامة الدين وقيل بدل من ضمير به وليس بذاك لما أنه مع افضائه الى خروجه عن حيز الايحاء الى النبى عليه الصلاة والسلام مستلزم لكون الخطاب فى قوله تعالى ﴿ولا تتفرقوا فيه﴾ للانبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام وتوجيه النهى الى أممهم تمحل ظاهر مع أن الاظهر أنه متوجه الى أمته صلى الله عليه وسلم وأنهم المتفرقون كما ستحيط به خبرا أى لاتتفرقوا فى الدين الذى هو عبارة عما ذكر من الاصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الأمم باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى ﴿كبر على المشركين﴾ شروع فى بيان أحوال بعض من شرع لهم ماشرع من الدين القويم أى عظم وشق عليهم ﴿ماتدعوهم اليه﴾ من التوحيد ورفض عبادة الاصنام واستبعدوه حيث قالوا أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب وقوله تعالى ﴿الله يجتبى اليه من يشاء﴾ استئناف وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بأن منهم من يجيب الى الدعوة أى الله يجتلب الى ماتدعوهم اليه من يشاء أن يجتبيه اليه وهو من صرف اختياره الى مادعى اليه كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿ويهدى اليه من ينيب﴾ أى يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى ﴿وماتفرقوا﴾ شروع فى بيان أحوال أهل الكتاب عقيب الاشارة الاجمالية الى أحوال أهل الشرك قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءتهم البينة أى وماتفرقوا فى الدين الذى دعوا اليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم ﴿الا من بعد

ماجاءهم العلم ﴾ بحقيته بمـا شاهدوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن من دلائل الحقية حسبما وجدوه فى كتابهم أو العلم بمبعثه عليه الصلاة والسلام وهو استثناء مفرغ من أعم الاحوال أو من أعم الاوقات أى وما تفرقوا فى حال من الاحوال أو فى وقت من الاوقات الا حال مجئ العلم أو الا وقت مجئ العلم ﴿ بغيا بينهم ﴾ وحمية وطلبا للرياسة لا لأن لهم فى ذلك شبهة ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ وهى العدة بتأخير العقوبة ﴿ الى أجل مسمى ﴾ هو يوم القيامة ﴿ لقضى بينهم ﴾ لأوقع القضاء بينهم باستئصالهم لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا وقوله تعالى ﴿ وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم ﴾ الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن اثر بيان كيفية كفر أهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا أى وان المشركين الذين أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب كتابهم ﴿ لفى شك منه ﴾ من القرآن ﴿ مريب ﴾ موقع فى القلق أو فى الريبة ولذلك لايؤمنون به لا لمحض البغى والمكابرة بعد ما علموا بحقيته كدأب أهل الكتابين هذا وأما ماقيل من أن ضمير تفرقوا لأمم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأن المراد تفرق كل أمة بعد نبيها مع علمهم بأن الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على ألسنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم وكذا ماقيل من أن الناس كانوا أمة واحدة مؤمنين بعد ما أهلك الله تعالى أهل الارض بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغى بينهم فان مشاهير الامم المذكورة قد أصابهم عذاب الاستئصال من غير انظار وامهال على أن مساق النظم الكريم لبيان أحوال هذه الأمة وانما ذكر من ذكر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لتحقيق أن ماشرع لهؤلاء دين قديم أجمع عليه أولئك الاعلام عليهم الصلاة والسلام تأكيدا لوجوب اقامته وتشديدا للزجر عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق أممهم عنه ربما يوهم الاخلال بذلك المرام ﴿ فلذلك ﴾ أى فلأجل ماذكر من التفرق والشك المريب أو فلاجل أنه شرع لهم الدين القويم القديم الحقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون ﴿ فادع ﴾ أى الناس كافة الى اقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلا من تفرقهم وكونهم فى شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب للدعوة اليه والامر بهـا وليس المشار اليه ماذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهى عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما فى قوله تعالى بأن ربك أوحى لها أى فالى ذلك الدين فادع ﴿ واستقم ﴾ عليه وعلى الدعوة اليه ﴿ كما أمرت ﴾ وأوحى اليك ﴿ ولاتتبع أهواءهم ﴾ الباطلة ﴿ وقل آمنت بمـا أنزل الله من كتاب ﴾ أى كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب فى الاصول وتأليف لقلوب أهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الايمان بها فى خاتمة سورة البقرة ﴿ وأمرت لأعدل بينكم ﴾ فى تبليغ الشرائع والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لاسوى بينى وبينكم ولا آمركم بما لا أعمله ولا أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ولا أفرق بين أكابركم وأصاغركم واللام اما على حقيقتها والمأمور به محذوف أى أمرت بذلك لاعدل أو زائدة أى أمرت أن أعدل والباء محذوفة ﴿ الله ربنا وربكم ﴾ أى خالقنا جميعا ومتولى أمورنا ﴿ لنا أعمالنا ﴾ لايتخطانا جزاؤها ثوابا كان أو عقابا ﴿ ولكم أعمالكم ﴾ لايجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر بسيآتكم ﴿ لاحجة بيننا وبينكم ﴾ أى لامحاجة ولا خصومة لأن الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة ﴿ الله يجمع بيننا ﴾ يوم القيامة ﴿ واليه المصير ﴾ فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى محاجزة فى مواقف المجاوبة لامتاركة فى مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ بآية القتال ﴿ والذين يحاجون فى الله ﴾

أى فى دينه ﴿من بعد ما استجيب له﴾ من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه أو من بعد ما استجاب الله لرسوله عليه الصلاة والسلام وأيده بنصره أو من بعد ما استجاب له أهل الكتاب بان أقروا بنبوته عليه الصلاة والسلام واستفتحوا به قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام وذلك أن اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق ﴿حجتهم داحضة عند ربهم﴾ زالة زائلة باطلة بل لاحجة لهم أصلا وانما عبر عن أباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل ﴿وعليهم غضب﴾ عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره ﴿ولهم عذاب شديد﴾ لايقادر قدره ﴿الله الذى أنزل الكتاب﴾ أى جنس الكتاب ﴿بالحق﴾ ملتبسا به فى أحكامه وأخباره أو بما يحق انزاله من العقائد والأحكام ﴿والميزان﴾ والشرع الذى يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس أو نفس العدل بأن أنزل الأمر به أو آلة الوزن ﴿ومايدريك﴾ أى أى شئ يجعلك عالما ﴿لعل الساعة﴾ التى يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق ﴿قريب﴾ أى شئ قريب أو قريب مجيئها وقيل القريب بمعنى ذات قرب أو الساعة بمعنى البعث والمعنى أنها على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل أن يفاجئك اليوم الذى يوزن فيه الأعمال ويوفى جزاؤها ﴿يستعجل بها الذين لايؤمنون بها﴾ استعجال انكار واستهزاء كانوا يقولون متى هى ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق أهو الذى نحن عليه أم الذى عليه محمد وأصحابه ﴿والذين آمنوا مشفقون منها﴾ خائفون منها مع اعتناء بها لتوقع الثواب ﴿ويعلمون أنها الحق﴾ أى الكائن لامحالة ﴿ألا ان الذين يمارون فى الساعة﴾ يجادلون فيها من المرية أو من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لأن كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة ﴿لفى ضلال بعيد﴾ عن الحق فان البعث أشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراءه أبعد وأبعد ﴿الله لطيف بعباده﴾ أى بر بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون ألطافه مالا يكاد يناله أيدى الافكار والظنون ﴿يرزق من يشاء﴾ أن يرزقه كيفما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ﴿وهو القوى﴾ الباهر القدرة الغالب على كل شئ ﴿العزيز﴾ المنيع الذى لايغلب ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ الحرث فى الاصل القاء البذر فى الارض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل فى ثمرات الأعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور أى من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة ﴿نزد له فى حرثه﴾ نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها ﴿ومن كان يريد﴾ بأعماله ﴿حرث الدنيا﴾ وهو متاعها وطيباتها ﴿نؤته منها﴾ أى شيأ منها حسبما قسمنا له لاما يريده ويبتغيه ﴿وماله فى الآخرة من نصيب﴾ اذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله فى سورة الاسراء ﴿أم لهم شركاء﴾ أى بل ألهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع ﴿شرعوا لهم﴾ بالتسويل ﴿من الدين مالم يأذن به الله﴾ كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم أوثانهم واضافتها اليهم لأنهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد الشرع اليها لأنها سبب ضلالتهم وافتتانهم كقوله تعالى انهن أضللن كثيرا أو تماثيل من سن الضلالة لهم ﴿ولولا كلمة الفصل﴾ أى القضاء السابق بتأخير الجزاء أو العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة ﴿لقضى بينهم﴾ أى بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم ﴿وان الظالمين لهم عذاب أليم﴾ وقرئ بالفتح عطفا على كلمة الفصل أى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الأليم غالب فى عذاب الآخرة ﴿ترى الظالمين﴾ يوم القيامة والخطاب لكل أحد ممن يصلح له للقصد الى أن سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون راء ﴿مشفقين﴾

خائفين ﴿مما كسبوا﴾ من السيآت ﴿وهو واقع بهم﴾ أى وو باله لاحق بهم لامحالة أشفقوا أو لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين أو اعتراض ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات﴾ مستقرون فى أطيب بقاعها وأنزهها ﴿لهم مايشاءون عند ربهم﴾ أى مايشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم على أن عند ربهم ظرف للاستقرار العامل فى لهم وقيل ظرف ليشاءون ﴿ذلك﴾ اشارة الى ماذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه ﴿هو الفضل الكبير﴾ الذى لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ﴿ذلك﴾ الفضل الكبير هو ﴿الذى يبشر الله عباده﴾ أى يبشرهم به فحذف الجار ثم العائد الى الموصول كما فى قوله تعالى أهذا الذى بعث الله رسولا أو ذلك التبشير الذى يبشره الله تعالى عباده ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وقرىء يبشر من أبشر ﴿قل لا أسألكم عليه﴾ روى أنه اجتمع المشركون فى مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون أن محمدا يسأل على ما يتعاطاه أجرا فنزلت أى لا أطلب منكم على ما أنا عليه من التبليغ والبشارة ﴿أجرا﴾ نفعا ﴿الا المودة فى القربى﴾ أى الا أن تودونى لقرابتى منكم أو تودوا أهل قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم أجرا قط ولكن أسألكم المودة فى القربى حال منها أى الا المودة ثابتة فى القربى متمكنة فى أهلها أو فى حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روى أنها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما وعن النبى صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة الى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فأنا أجازيه عليها غدا اذا لقينى يوم القيامة وقيل القربى التقرب الى الله أى الا أن تودوا الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرىء الامودة فى القربى ﴿ومن يقترف حسنة﴾ أى يكتسب أى حسنة كانت فيتناول مودة ذى القربى تناولا أوليا وعن السدى أنها المرادة وقيل نزلت فى الصديق رضى الله عنه ومودته فيهم ﴿نزد له فيها﴾ أى فى الحسنة ﴿حسنا﴾ بمضاعفة الثواب وقرىء يزد أى يزد الله وقرىء حسنى ﴿ان الله غفور﴾ لمن أذنب ﴿شكور﴾ لمن أطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ﴿أم يقولون﴾ بل أيقولون ﴿افترى﴾ محمد ﴿على الله كذبا﴾ بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على أن الهمزة للانكار التوبيخى كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله عليه السلام وهو هو الى الافتراء لاسيما الافتراء على الله الذى هو أعظم الفرى وأفحشها وقوله تعالى ﴿فان يشأ الله يختم على قلبك﴾ استشهاد على بطلان ماقالوا ببيان أنه عليه السلام لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعا وتحقيقه أن دعوى كون القرآن افتراء عليه تعالى قول منهم بأنه تعالى لايشاء صدوره عن النبى صلى الله عليه وسلم بل يشاء عدم صدوره عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكأنه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وان يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الأمر كذلك بل تواتر الوحى حينا فحينا تبين أنه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى ان يشأ يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لايجترىء على الافتراء عليه تعالى الا من كان كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله عليه السلام وأنه فى البعد مثل الشرك بالله والدخول فى جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن و يقطع عنك الوحى يعنى لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لأنساه القرآن وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم ﴿ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته﴾ استئناف مقرر لنفى الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبىء عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما فى بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما فى قوله تعالى ويدع الانسان بالشر أى ومن عادته تعالى أنه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه أو بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق

على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه أو عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه تعالى يمحو الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب و يثبت الحق الذى هو عليه بالقرآن أو بقضائه الذى لا مرد له بنصرته عليهم ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ فيجرى عليها أحكامها اللائقة بها من المحو والاثبات ﴿وهو الذى يقبل التوبة عن عباده﴾ التوبة هى الرجوع عن المعاصى بالندم عليها والعزم على أن لا يعاودها أبدا و روى جابر رضى الله عنه أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على رضى الله عنه ياهذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة و رد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ﴿و يعفو عن السيئات﴾ صغيرها و كبيرها لمن يشاء ﴿و يعلم ما يفعلون﴾ كائنا ما كان من خير وشر فيجازى و يتجاوز حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقرئ ماتفعلون بالتاء ﴿و يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما فى قوله تعالى واذا كالوهم أى كالوا لهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله عليه السلام أفضل الدعاء الحمد لله أو يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابراهيم بن أدهم أنه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لأنه دعاكم ولم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام ﴿و يزيدهم من فضله﴾ على ما سألوا واستحقوا بموجب الوعد ﴿والكافرون لهم عذاب شديد﴾ بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض﴾ لتكبروا وأفسدوا فيها بطرا أو لعلا بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلة البشرية وأصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية أو الكيفية ﴿ولكن ينزل بقدر﴾ أى بتقدير ﴿ما يشاء﴾ أن ينزله مما تقتضيه مشيئته ﴿انه بعباده خبير بصير﴾ محيط بخفايا أمورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم فى كل وقت من أوقاتهم ما يليق بشأنهم فيفقر و يغنى و يمنع و يعطى و يقبض و يبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا و روى أن أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت فى العرب كانوا اذا أخصبوا تحاربوا واذا أجدبوا انتجعوا ﴿وهو الذى ينزل الغيث﴾ أى المطر الذى يغيثهم من الجدب و لذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال ﴿من بعد ماقنطوا﴾ يئسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه أيضا لتذكير كمال النعمة وقرئ بكسر النون ﴿و ينشر رحمته﴾ أى بركات الغيث ومنافعه فى كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان أو رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما أوليا ﴿وهو الولى﴾ الذى يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة ﴿الحميد﴾ المستحق للحمد على ذلك لاغيره ﴿ومن آياته خلق السموات والارض﴾ على ما هما عليه من تعاجيب الصنائع فانها بذاتها وصفاتها تدل على شؤنه العظيمة ﴿وما بث فيهما﴾ عطف على السموات أو الخلق ﴿من دابة﴾ من حى على اطلاق اسم المسبب على السبب أو مما يدب على الارض فان ما يختص بأحد الشيئين المتجاورين يصح نسبته اليهما كما فى قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح وقد جوز أن يكون للملائكة عليهم السلام مشى مع الطيران فيوصفوا بالدبيب وأن يخلق الله فى السماء حيوانا يمشون فيها مشى الاناسى على الارض كما ينبئ عنه قوله تعالى و يخلق مالا تعلمون وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم ﴿وهو

على جمعهم﴾ أى حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى ﴿اذا يشاء﴾ متعلق بما قبله لا بقوله تعالى ﴿قدير﴾ فان المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته واذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضى تدخل المضارع ﴿وما أصابكم من مصيبة﴾ أى مصيبة كانت ﴿فبما كسبت أيديكم﴾ أى فهى بسبب معاصيكم التى اكتسبتموها والفاء لأن ما شرطية أو متضمنة لمعنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء بما فى الباء من معنى السببية ﴿ويعفو عن كثير﴾ من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما أصاب غيرهم لاسباب أخرى منها تعريضه للثواب بالصبر عليه ﴿وما أنتم بمعجزين فى الارض﴾ فائتين ماقضى عليكم من المصائب وان هربتم من أقطارها كل مهرب ﴿وما لكم من دون الله من ولى﴾ يحميكم منها ﴿ولا نصير﴾ يدفعها عنكم ﴿ومن آياته الجوار﴾ السفن الجارية ﴿فى البحر﴾ وقرئ الجوارى ﴿كالاعلام﴾ أى كالجبال على الاطلاق لا التى عليها النار للاهتداء خاصة ﴿ان يشأ يسكن الريح﴾ التى تجريها وقرئ الرياح ﴿فيظللن رواكد على ظهره﴾ فيبقين ثوابت على ظهر البحر أى غير جاريات لا غير متحركات أصلا ﴿ان فى ذلك﴾ الذى ذكر من السفن اللاتى يجرين تارة ويركدن أخرى على حسب مشيئته تعالى ﴿لآيات﴾ عظيمة فى أنفسها كثيرة فى العدد دالة على ماذكر من شؤنه تعالى ﴿لكل صبار شكور﴾ لكل من حبس نفسه عن التوجه الى مالا ينبغى ووكل همته بالنظر فى آيات الله تعالى والتفكر فى آلائه أو لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر ﴿أو يوبقهن بما كسبوا﴾ عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يرسلها فيغرقن بعصفها وايقاع الايباق عليهن مع أنه حال أهلهن للمبالغة والتهويل واجراء حكمه على العفو فى قوله تعالى ﴿ويعف عن كثير﴾ لما أن المعنى أو يرسلها فيوبق ناسا وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستئناف ﴿ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا﴾ عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم الخ كما فى قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله ولنعلمه من تأويل الاحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستئناف وبالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى وان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم ﴿مالهم من محيص﴾ أى من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل ﴿فما أوتيتم من شئ﴾ مما ترغبون وتتنافسون فيه ﴿فمتاع الحيوة الدنيا﴾ أى فهو متاعها تتمتعون به مدة حياتكم ﴿وما عند الله﴾ من ثواب الآخرة ﴿خير﴾ ذاتا لخلوص نفعه ﴿وأبقى﴾ زمانا حيث لا يزول ولا يفنى ﴿للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ لا على غيره أصلا والموصول الاول لما كان متضمنا لمعنى الشرط من حيث ان ايتاء ما أوتوا سبب للتمتع بها فى الحيوة الدنيا دخلت جوابها الفاء بخلاف الثانى وعن على رضى الله عنه أنه تصدق أبو بكر رضى الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تعالى ﴿والذين يجتنبون كبائر الاثم﴾ أى الكبائر من هذا الجنس ﴿والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ مع مابعده عطف على الذين آمنوا أو مدح بالنصب أو الرفع وبناء يغفرون على الضمير خبرا له للدلالة على أنهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كبير الاثم الشرك ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلوة﴾ نزل فى الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ أى ذو شورى لا ينفرد دون برأى حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزبهم أمر اجتمعوا وتشاوروا ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أى فى سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات ﴿والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون﴾ أى ينتقمون ممن بغى عليهم على ماجعله الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر مهمات الفضائل وهذا لا ينافى وصفهم بالغفران فان كلا منهما

فضيلة محمودة فى موقع نفسه ورذيلة مذمومة فى موقع صاحبه فان الحلم عن العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب ولغواء اللئام مذموم فانه اغراء على البغى وعليه قول من قال

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته … وان أنت أكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندى فى موضع السيف بالعلا … مضر كوضع السيف فى موضع الندى

وقوله تعالى ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه فى نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى أن البادىء هو الذى فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة لأجزيتها حتما ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدى واطلاق السيئة على الثانية لانها تسوء من نزلت به ﴿فمن عفا﴾ عن المسىء اليه ﴿وأصلح﴾ بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما فى قوله تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴿فأجره على الله﴾ عدة مبهمة منبئة عن عظم شأن الموعود وخروجه عن الحد المعهود ﴿انه لايحب الظالمين﴾ البادئين بالسيئة والمتعدين فى الانتقام ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ أى بعد ماظلم وقد قرىء به ﴿فأولئك﴾ اشارة الى من باعتبار المعنى كما أن الضميرين لها باعتبار اللفظ ﴿ما عليهم من سبيل﴾ بالمعاتبة أو المعاقبة ﴿انما السبيل على الذين يظلمون الناس﴾ يبتدئونهم بالاضرار أو يعتدون فى الانتقام ﴿ويبغون فى الارض بغير الحق﴾ أى يتكبرون فيها تجبرا وفسادا ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغى بغير الحق ﴿لهم عذاب أليم﴾ بسبب ظلمهم وبغيهم ﴿ولمن صبر﴾ على الاذى ﴿وغفر﴾ لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض أمره الى الله تعالى ﴿ان ذلك﴾ الذى ذكر من الصبر والمغفرة ﴿لمن عزم الامور﴾ أى ان ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما فى قولهم السمن منوان بدرهم وهذا فى المواد التى لايؤدى العفو الى الشر كما أشير اليه ﴿ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده﴾ من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى اياه ﴿وترى الظالمين لما رأوا العذاب﴾ أى حين يرونه وصيغة الماضى للدلالة على التحقق ﴿يقولون هل الى مرد﴾ أى الى رجعة الى الدنيا ﴿من سبيل﴾ حتى نؤمن ونعمل صالحا ﴿وتراهم يعرضون عليها﴾ أى على النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب فى الموضعين لكل من يتأتى منه الرؤية ﴿خاشعين من الذل﴾ متذللين متضائلين مما دهاهم ﴿ينظرون من طرف خفى﴾ أى يبتدىء نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف ﴿وقال الذين آمنوا ان الخاسرين﴾ أى المتصفين بحقيقة الخسران ﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم﴾ بالتعريض للعذاب الخالد ﴿يوم القيامة﴾ اما ظرف لخسروا فالقول فى الدنيا أو لقال فالقول يوم القيامة أى يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضى للدلالة على تحققه وقوله تعالى ﴿ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم﴾ اما من تمام كلامهم أو تصديق من الله تعالى لهم ﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم﴾ برفع العذاب عنهم ﴿من دون الله﴾ حسبما كانوا يرجون ذلك فى الدنيا ﴿ومن يضلل الله فماله من سبيل﴾ يؤدى سلوكه الى النجاة ﴿استجيبوا لربكم﴾ اذا دعاكم الى الايمان على لسان نبيه ﴿من قبل أن يأتى يوم لامرد له من الله﴾ أى لايرده الله بعد ما حكم به على أن من صلة مرد أو من قبل أن يأتى من الله يوم لايمكن رده ﴿مالكم من ملجأ يومئذ﴾ أى مفر تلتجئون اليه ﴿ومالكم من نكير﴾ أى انكار لما اقترفتموه لأنه مدون فى صحائف أعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم ﴿فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد أمرهم بالاستجابة وتوجيه له الى الرسول عليه الصلاة والسلام أى فان لم يستجيبوا وأعرضوا عما تدعوهم اليه فما أرسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم ﴿ان عليك الا البلاغ﴾ وقد فعلت ﴿وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة﴾ أى نعمة من الصحة والغنى والأمن ﴿فرح بها﴾ أريد بالانسان الجنس لقوله تعالى ﴿وان تصبهم سيئة﴾ أى بلاء

من مرض وفقر وخوف ﴿بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور﴾ بليغ الكفر ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم أنها أصابته بغير استحقاق لها واسناد هذه الخصلة الى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير الشرطية الأولى باذا مع اسناد الاذاقة الى نون العظمة للتنبيه على أن ايصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وأنه مقتضى الذات كما أن تصدير الثانية بان واسناد الاصابة الى السيئة وتعليلها بأعمالهم للايذان بندرة وقوعها وأنها بمعزل عن الانتظام فى سلك الارادة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم ﴿لله ملك السموات والارض﴾ فمن قضيته أن يملك التصرف فيهما وفى كل مافيهما كيفما يشاء ومن جملته أن يقسم النعمة والبلية حسبما يريده ﴿يخلق مايشاء﴾ مما تعلمه ومما لاتعلمه ﴿يهب لمن يشاء اناثا﴾ من الاولاد ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ منهم من غير أن يكون فى ذلك مدخل لأحد ﴿أو يزوجهم﴾ أى يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا ﴿ذكرانا واناثا﴾ قالوا معنى يزوجهم أن تلد غلاما ثم جارية أو جارية ثم غلاما أو تلد ذكرا وأنثى توأمين ﴿ويجعل من يشاء عقيما﴾ والمعنى يجعل أحوال العباد فى حق الأولاد مختلفة على ماتقتضيه المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر أو أنثى واما صنفين ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لأنها أكثر لتكثير النسل أو لان مساق الآية للدلالة على أن الواقع ماتتعلق به مشيئته تعالى لا ماتتعلق به مشيئة الانسان والاناث كذلك أو لأن الكلام فى البلاء والعرب تعدهن أعظم البلايا أو لتطييب قلوب آبائهن أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور أو لجبر التأخير وتغيير العاطف فى الثالث لأنه قسم المشترك بين القسمين ولا حاجة اليه فى الرابع لافصاحه بأنه قسيم المشترك بين الأقسام المتقدمة وقيل المراد بيان أحوال الأنبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا وللنبى صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين ﴿انه عليم قدير﴾ مبالغ فى العلم والقدرة فيفعل مافيه حكمة ومصلحة ﴿وما كان لبشر﴾ أى وما صح لفرد من أفراد البشر ﴿أن يكلمه الله﴾ بوجه من الوجوه ﴿الا وحيا﴾ أى الا بأن يوحى اليه ويلهمه ويقذف فى قلبه كما أوحى الى أم موسى والى ابراهيم عليهما السلام فى ذبح ولده وقد روى عن مجاهد أوحى الله الزبور الى داود عليه السلام فى صدره أو بأن يسمعه كلامه الذى يخلقه فى بعض الاجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى ﴿أو من وراء حجاب﴾ فانه تمثيل له بحال الملك المحتجب الذى يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم السلام أو بأن يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى ﴿أو يرسل رسولا﴾ أى ملكا ﴿فيوحى﴾ ذلك الرسول الى المرسل اليه الذى هو الرسول البشرى ﴿باذنه﴾ أى بأمره تعالى وتيسيره ﴿مايشاء﴾ أن يوحيه اليه وهذا هو الذى يجرى بينه تعالى وبين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا وقوله تعالى أو يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تعالى أو من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح أن يكلم الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا وقرىء أو يرسل بالرفع على اضمار مبتدا وروى أن اليهود قالت للنبى عليه الصلاة والسلام ألا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال عليه السلام لم ينظر موسى عليه السلام الى الله تعالى فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت رضى الله عنها أولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية ﴿انه على﴾ متعال عن صفات المخلوقين لايتأتى جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم الا بأحد الوجوه المذكورة ﴿حكيم﴾ يجرى أفعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة

وأخرى بدونها اما الهاما واما خطابا ﴿وكذلك﴾ أى ومثل ذلك الايحاء البديع ﴿أوحينا اليك روحا من أمرنا﴾ هو القرآن الذى هو للقلوب بمنزلة الروح للأبدان حيث يحييها حياة أبدية وقيل هو جبريل عليه السلام ومعنى ايحائه اليه عليهما السلام ارساله اليه بالوحى ﴿ما كنت تدرى﴾ قبل الوحى ﴿ما الكتاب﴾ أى أى شئ هو ﴿ولا الايمان﴾ أى الايمان بتفاصيل ما فى تضاعيف الكتاب من الأمور التى لا تهتدى اليها العقول لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر فان درايته عليه الصلاة والسلام له مما لا ريب فيه قطعا ﴿ولكن جعلناه﴾ أى الروح الذى أوحيناه اليك ﴿نورا نهدى به من نشاء﴾ هدايته ﴿من عبادنا﴾ وهو الذى يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى ﴿وانك لتهدى﴾ تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدى محذوف ثقة بغاية الظهور أى وانك لتهدى بذلك النور من نشاء هدايته ﴿الى صراط مستقيم﴾ هو الاسلام وسائر الشرائع والأحكام وقرئ لتهدى أى ليهديك الله وقرئ لتدعو ﴿صراط الله﴾ بدل من الأول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى ﴿الذى له ما فى السموات وما فى الارض﴾ لتفخيم شأنه وتقرير استقامته وتأكيد وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك أتم ايجاب ﴿ألا الى الله تصير الأمور﴾ أى أمور ما فيهما قاطبة لا الى غيره ففيه من الوعد للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون ويسترحمون له

سورة الزخرف

(مكية وقيل الا قوله واسأل من أرسلنا وآيها تسع وثمانون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم﴾ الكلام فيه كالذى مر فى فاتحة سورة يس خلا أن الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما للقرآن لا للسورة كما قيل فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم ﴿والكتاب﴾ بالجر على أنه مقسم به اما ابتداء أو عطفا على حم على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على أن مدار العطف المغايرة فى العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة فى تأكيد مضمون الجملة القسمية ﴿المبين﴾ أى البين لمن أنزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى أساليبهم أو المبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج اليه فى أبواب الديانة ﴿انا جعلناه قرآنا عربيا﴾ جواب للقسم لكن لا على أن مرجع التأكيد جعله كذلك كما قيل بل ما هو غايته التى يعرب عنها قوله تعالى ﴿لعلكم تعقلون﴾ فانها المحتاجة الى التحقيق والتأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بأمرهم واتمام النعمة عليهم وازاحة أعذارهم أى جعلنا ذلك الكتاب قرآنا عربيا لكى تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة فى ذلك وتنقطع أعذاركم بالكلية ﴿وانه فى أم الكتاب﴾ أى فى اللوح المحفوظ فانه أصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر ﴿لدينا﴾ أى عندنا ﴿لعلى﴾ رفيع القدر بين الكتب شريف ﴿حكيم﴾ ذو حكمة بالغة أو محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كأنه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا فى أم الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة فى حكمها ففى الاقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وايذان بأنه من علو الشان بحيث لا يحتاج فى بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف فى الشهادة على ذلك من حيث الاقسام به كما أنه كاف فيها من حيث اعجازه ورمز الى أنه لا يخطر بالبال عند ذكره شئ آخر أولى منه بالاقسام به واما مستأنفة

مقررة لعلو شأنه الذى أبأ عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض فى قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم و بعد ما بين علو شأن القرآن العظيم وحقق أن انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به و يعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار أن يكون الامر بخلافه فقيل ﴿أفنضرب عنكم الذكر﴾ أى ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كأنه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام أى أنهملكم فننحى الذكر عنكم ﴿صفحا﴾ أى اعراضا عنكم على أنه مفعول له للمذكور أو مصدر مؤكد لما دل هو عليه فان التنحية منبئة عن الصفح والاعراض قطعا كأنه قيل أفنصفح عنكم صفحا أو بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية أى أفننحيه عنكم جانبا ﴿أن كنتم قوما مسرفين﴾ أى لأن كنتم منهمكين فى الاسراف مصرين عليه على معنى أن حالكم وان اقتضى تخليتكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا فى العذاب الخالد لكنا لسعة رحمتنا لانفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين وقرىء ان بالكسر على أن الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم والجزاء محذوف ثقة بدلالة ماقبله عليه وقوله تعالى ﴿وكم أرسلنا من نبى فى الاولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن﴾ تقرير لما قبله ببيان أن اسراف الامم السالفة لم يمنعه تعالى من ارسال الانبياء اليهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه به وقوله تعالى ﴿فأهلكنا أشد منهم بطشا﴾ أى من هؤلاء القوم المسرفين عدة له عليه الصلاة والسلام و وعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم بأشدية البطش لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الاولوية ﴿ومضى مثل الاولين﴾ أى سلف فى القرآن غير مرة ذكر قصتهم التى حقها أن تسير مسير المثل ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ أى ليسندن خلقها الى من هذا شأنه فى الحقيقة وفى نفس الامر لا أنهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للاشعار بأن اتصافه تعالى بما سرد من جلائل الصفات والافعال و بما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء أمر بين لاريب فيه وأن الحجة قائمة عليهم شاؤا أو أبوا وقد جوز أن يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى ﴿الذى جعل لكم الارض مهدا﴾ استئناف من جهته تعالى أى بسطها لكم تستقرون فيها ﴿وجعل لكم فيها سبلا﴾ تسلكونها فى أسفاركم ﴿لعلكم تهتدون﴾ أى لكى تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم أو بالتفكر فيها الى التوحيد الذى هو المقصد الاصلى ﴿والذى نزل من السماء ماء بقدر﴾ بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ﴿فأنشرنا به﴾ أى أحيينا بذلك الماء ﴿بلدة ميتا﴾ خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرىء ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة فى معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال العناية بأمر الاحياء والاشعار بعظم خطره ﴿كذلك﴾ أى مثل ذلك الاحياء الذى هو فى الحقيقة اخراج النبات من الارض ﴿تخرجون﴾ أى تبعثون من قبوركم أحياء وفى التعبير عن اخراج النبات بالانشار الذى هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس ﴿والذى خلق الأزواج كلها﴾ أى أصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضى الله عنهما الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والأنثى وقيل كل ماسوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار الى غير ذلك ﴿وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون﴾ أى ما تركبونه تغليبا للانعام على الفلك فان الركوب متعد بنفسه واستعماله فى الفلك ونحوها بكلمة فى للرمز الى مكانيتها و كون حركتها غير ارادية كما مر فى سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها ﴿لتستووا على ظهوره﴾ أى لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك والانعام والجمع باعتبار المعنى ﴿ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه﴾ أى تذكروها

بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بألسنتكم ﴿وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا﴾ متعجبين من ذلك كما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله تعالى لمنقلبون و كبر ثلاثا وهلل ثلاثا ﴿وما كنا له مقرنين﴾ أى مطيقين من أقرن الشىء اذا أطاقه وأصله وجده قرينته لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرىء بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى اذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها و لا حق المنعم بها ﴿وانا الى ربنا لمنقلبون﴾ أى راجعون وفيه ايذان بأن حق الراكب أن يتأمل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التى هى الانقلاب الى الله تعالى فيبنى أموره فى مسيره ذلك على تلك الملاحظة و لا يخطر بباله فى شىء مما يأتى و يذر أمرا ينافيها ومن ضرورته أن يكون ركوبه لامر مشروع ﴿وجعلوا له من عباده جزءا﴾ متصل بقوله تعالى ولئن سألتهم الخ أى وقد جعلوا له سبحانه بألسنتهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته فى حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرىء جزؤا بضمتين ﴿ان الانسان لكفور مبين﴾ ظاهر الكفران مبالغ فيه و لذلك يقولون مايقولون سبحان الله عما يصفون ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات﴾ أم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من أخس صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجيب من شأنهم وقوله تعالى ﴿وأصفاكم بالبنين﴾ اما عطف على اتخذ داخل فى حكم الانكار والتعجيب أو حال من فاعله باضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور والالتفات الى خطابهم لتأكيد الالزام وتشديد التوبيخ أى بل أتخذ من خلقه أخس الصنفين واختار لكم أفضلهما على معنى هبوا أنكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته وامتناعه أما كان لكم شىء من العقل ونبذ من الحياء حتى اجترأتم على التفوه بالعظيمة الخارقة للعقول من ادعاء أنه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناهما وتنكير بنات وتعريف البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة ﴿واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا﴾ الخ استئناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى أنهم نسبوا اليه ما ذكر ومن حالهم أن أحدهم اذا بشر به اغتم والالتفات للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم أن يعرض عنهم وتحكى لغيرهم تعجيبا منها أى اذا أخبر أحدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لابد أن يجانس الوالد و يماثله ﴿ظل وجهه مسودا﴾ أى صار أسود فى الغاية من سوء ما بشر به ﴿وهو كظيم﴾ مملوء من الكرب والكآبة والجملة حال وقرىء مسود ومسواد على أن فى ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبراله ﴿أومن ينشأ فى الحلية﴾ تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا أى أو جعلوا من شأنه أن يربى فى الزينة وهو عاجز عن أن يتولى لامره بنفسه فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة حينئذ لانكار الوقوع واستبعاده واقحامها بين المعطوفين لتذكير ما فى أم المنقطعة من الانكار وتأكيده والعطف للتغاير العنوانى أى أو اتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته ﴿وهو﴾ مع ما ذكر من القصور ﴿فى الخصام﴾ أى الجدال الذى لا يكاد يخلو عنه الانسان فى العادة ﴿غير مبين﴾ غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه واضافة غير لا تمنع عمل ما بعده فى الجار المتقدم لانه بمعنى النفى وقرىء ينشأ ويناشأ من ... الافعال والمفاعلة والكل بمعنى واحد ونظيره غلاه وأغلاه وغالاه ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا﴾ بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله عز وجل أنقصهم رأيا وأخسهم صنفا وقرىء عبيد الرحمن

وقرئ عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرئ أنثا وهو جمع الجمع ﴿أشهدوا خلقهم﴾ أى أحضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بأنوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرئ أأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة و آأشهدوا بألف بينهما ﴿ستكتب شهادتهم﴾ هذه فى ديوان أعمالهم ﴿ويسألون﴾ عنها يوم القيامة وقرئ يكتب وسنكتب بالياء والنون وقرئ شهاداتهم وهى قولهم ان لله جزءا وان له بنات وانها الملائكة وقرئ يساءلون من المساءلة للمبالغة ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ بيان لفن آخر من كفرهم أى لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم أرادوا بذلك بيان أن ما فعلوه حق مرضى عنده تعالى وأنهم انما يفعلونه بمشيئته تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بأنه بمشيئته تعالى اياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احداهما أن عبادتهم لهم بمشيئته تعالى والثانية أن ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى ولقد أخطأوا فى الثانية حيث جهلوا أن المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضا أو السخط فى شىء من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى ﴿ما لهم بذلك﴾ أى بما أرادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة فان ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الآيات الكريمة ﴿من علم﴾ يستند الى سند ما ﴿ان هم الا يخرصون﴾ يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز أن يشار بذلك الى أصل الدعوى كأنه لما أظهر وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى أن يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم أضرب عنه الى ابطال أن يكون لهم سند من جهة النقل فقيل ﴿أم آتيناهم كتابا من قبله﴾ من قبل القرآن أو من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه ﴿فهم به﴾ بذلك الكتاب ﴿مستمسكون﴾ وعليه معولون ﴿بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون﴾ أى لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية بل اعترفوا بأن لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم والأمة الدين والطريقة التى تؤم أى تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرئ امة بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها الآم أى القاصد وقوله تعالى على آثارهم مهتدون خبر ان والظرف صلة لمهتدون ﴿وكذلك﴾ أى والأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى ﴿ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون﴾ استئناف مبين لذلك دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لأسلافهم أيضا سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للايذان بأن التنعم وحب البطالة هو الذى صرفهم عن النظر الى التقليد ﴿قال﴾ حكاية لما جرى بين المنذرين وبين أممهم عند تعللهم بتقليد آبائهم أى قال كل نذير من أولئك المنذرين لأممهم ﴿أو لو جئتكم﴾ أى أتقتدون بآبائكم ولو جئتكم ﴿بأهدى﴾ بدين أهدى ﴿مما وجدتم عليه آباءكم﴾ من الضلالة التى ليست من الهداية فى شىء وانما عبر عنها بذلك مجاراة معهم على مسلك الانصاف وقرئ قل على أنه حكاية أمر ماض أوحى حينئذ الى كل نذير لا على أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم كما قيل لقوله تعالى ﴿قالوا انا بما أرسلتم به كافرون﴾ فانه حكاية عن الامم قطعا أى قال كل أمة لنذيرها انا بما أرسلت به الخ وقد أجمل عند الحكاية للايجاز كما مر فى قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وجعله حكاية عن قومه عليه الصلاة والسلام بحمل صيغة الجمع على تغليبه على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم الى ما أرسل به الكل من التوحيد لاجماعهم عليه كما فى نظائر قوله تعالى كذبت عاد المرسلين تمحل بعيد يرده بالكلية قوله تعالى ﴿فانتقمنا منهم﴾ أى بالاستئصال ﴿فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ من الامم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك ﴿واذ قال ابراهيم﴾ أى واذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام ﴿لأبيه وقومه﴾ المكبين على التقليد كيف

تبرأ مما هم فيه بقوله ﴿انى براء مما تعبدون﴾ وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه فى الاستدلال أو ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه أشرف آبائهم و براء مصدر نعت به مبالغة و لذلك يستوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ و براء بضم الباء ككريم وكرام وما اما مصدرية أو موصولة حذف عائدها أى انى برئ من عبادتكم أو معبودكم ﴿الا الذى فطرنى﴾ استثناء منقطع أو متصل على أن ما تعم أولى العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام أو صفة على أن ما موصوفة أى انى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى ﴿فانه سيهدين﴾ أى سيثبتنى على الهداية أو سيهدين الى ما وراء الذى هدانى اليه الى الآن والأوجه أن السين للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار ﴿وجعلها﴾ أى جعل ابراهيم كلمة التوحيد التى ماتكلم به عبارة عنها ﴿كلمة باقية فى عقبه﴾ أى فى ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى و وصى بها ابراهيم بنيه و يعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى و يدعو الى توحيده وقرئ كلمة و فى عقبه على التخفيف ﴿لعلهم يرجعون﴾ علة للجعل أى جعلها باقية فى عقبه رجاء أن يرجع اليها من أشرك منهم بدعاء الموحد ﴿بل متعت هؤلاء﴾ اضراب عن محذوف ينساق اليه الكلام كأنه قيل جعلها كلمة باقية فى عقبه بأن وصى بها بنيه رجاء أن يرجع اليها من أشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من أهل مكة ﴿و آباءهم﴾ بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وانهمكوا فى الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد ﴿حتى جاءهم﴾ أى هؤلاء ﴿الحق﴾ أى القرآن ﴿و رسول﴾ أى رسول ﴿مبين﴾ ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة أو مبين للتوحيد بالآيات البينات والحجج وقرئ متعنا ومتعت بالخطاب على أنه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله تعالى وجعلها كلمة باقية الخ مبالغة فى تعييرهم فان التمتيع بزيادة النعم يوجب عليهم أن يجعلوه سببا لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا أن يجعلوه سببا لزيادة الكفران أقصى مراتب الكفر والضلال ﴿ولما جاءهم الحق﴾ لينبههم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضموا الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث ﴿قالوا هذا سحر وانا به كافرون﴾ فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين﴾ أى من احدى القريتين مكة والطائف على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴿عظيم﴾ أى بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومى وعروة بن مسعود الثقفى وقيل حبيب بن عمر بن عمير الثقفى وعن مجاهد عتبة بن ربيعة و كنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسدا على نزوله الى الرسول صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرآنيته بل استدلالا على عدمها بمعنى أنه لو كان قرآنا لنزل الى أحد هؤلاء بناء على ما زعموا من أن الرسالة منصب جليل لا يليق به الا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا أنها رتبة روحانية لا يترقى اليها الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل الانسية وأما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بألف منزل وقوله تعالى ﴿أهم يقسمون رحمت ربك﴾ انكار فيه تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم﴾ أى أسباب معيشتهم ﴿فى الحياة الدنيا﴾ قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض أمرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض﴾ فى الرزق وسائر مبادى المعاش ﴿درجات﴾ متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوى وفقير وغنى وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم ﴿ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾ ليصرف بعضهم بعضا فى مصالحهم و يستخدموهم

فى مهنهم ويستخروهم فى أشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال فى الموسع ولا لنقص فى المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا فى تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنيئة وهو فى طرف الثمام على هذه الحالة فما ظنهم بأنفسهم فى تدبير أمر الدين وهو أبعد من مناط العيوق ومن أين لهم البحث عن أمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بأمرها ﴿ ورحمت ربك ﴾ أى النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين ﴿ خير مما يجمعون ﴾ من حطام الدنيا الدنيئة الفانية وقوله تعالى ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ﴾ استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى أن حقارة شأنه بحيث لولا أن يرغب الناس لحبهم الدنيا فى الكفر اذا رأوا أهله فى سعة وتنعم فيجتمعوا عليه لأعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق وأدناهم منزلة وذلك قوله تعالى ﴿ لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ﴾ أى متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن افراد المستكن فى يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء أنه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرئ سقفا بسكون القاف تخفيفا وسقفا اكتفاء بجمع البيوت وسقفا كأنه لغة فى سقف وسقوفا ﴿ ومعارج ﴾ أى جعلنا لهم معارج من فضة أى مصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج ﴿ عليها يظهرون ﴾ أى يعلون السطوح والعلالى ﴿ ولبيوتهم ﴾ أى وجعلنا لبيوتهم ﴿ أبوابا وسررا ﴾ من فضة ﴿ عليها ﴾ أى على السرر ﴿ يتكئون ﴾ ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير ﴿ وزخرفا ﴾ أى زينة عطف على سقفا أو ذهبا عطف على محل من فضة ﴿ وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ﴾ أى وما كل ماذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الا شئ يتمتع به فى الحياة الدنيا وفى معناه ما قرئ وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وقرئ بتخفيف ما على أن ان هى المخففة واللام هى الفارقة وقرئ بكسر اللام على أنها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها أى للذى هو متاع الخ كما فى قوله تعالى تماما على الذى أحسن ﴿ والآخرة ﴾ بما فيها من فنون النعم التى يقصر عنها البيان ﴿ عند ربك للمتقين ﴾ أى عن الكفر والمعاصى وبهذا تبين أن العظيم هو العظيم فى الآخرة لا فى الدنيا ﴿ ومن يعش ﴾ أى يتعام ﴿ عن ذكر الرحمن ﴾ وهو القرآن واضافته الى اسم الرحمن للايذان بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعش بالفتح أى يعم يقال عشى يعشى اذا كان فى بصره آفة وعشا يعشو اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحياة الدنيا وانهماكه فى حظوظها الفانية والشهوات ﴿ نقيض له شيطانا فهو له قرين ﴾ لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه أن يرفع يقيض ﴿ وانهم ﴾ أى الشياطين الذين قيض كل واحد منهم لكل واحد ممن يعشو ﴿ ليصدونهم ﴾ أى قرناءهم فمدار جمع الضميرين اعتبار معنى من كما أن مدار افراد الضمائر السابقة اعتبار لفظها ﴿ عن السبيل ﴾ المستبين الذى يدعو اليه القرآن ﴿ ويحسبون ﴾ أى العاشون ﴿ أنهم ﴾ أى الشياطين ﴿ مهتدون ﴾ أى الى السبيل المستقيم والا لما اتبعوهم أو يحسبون أن أنفسهم مهتدون لأن اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدا أو من فاعله أو منهما لاشتمالها على ضميريهما أى وانهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون أنهم مهتدون اليه وصيغة المضارع فى الأفعال الأربعة للدلالة على الاستمرار التجددى لقوله تعالى ﴿ حتى اذا جاءنا ﴾ فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضى حتما أن تكون غاية لأمر ممتد كما مر مرارا وافراد الضمير فى جاء وما بعده لما أن المراد حكاية مقالة كل واحد واحد من العاشين لقرينه لتهويل الأمر وتفظيع الحال والمعنى

يستمر العاشون على ماذكر من مقارنة الشياطين والصدو الحسبان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيامة ﴿قال﴾ مخاطبا له ﴿ياليت بيني وبينك﴾ فى الدنيا ﴿بعد المشرقين﴾ أى بعد المشرق والمغرب أى تباعد كل منهما عن الآخر فغلب المشرق وثنى وأضيف البعد اليهما ﴿فبئس القرين﴾ أى أنت وقوله تعالى ﴿ولن ينفعكم﴾ الحكاية لماسيقال لهم حينئذ من جهة الله عز وجل توبيخا وتقريعا أى لن ينفعكم ﴿اليوم﴾ أى يوم القيامة تمنيكم لمباعدتهم ﴿اذ ظلمتم﴾ أى لأجل ظلمكم أنفسكم فى الدنيا باتباعكم اياهم فى الكفر والمعاصى وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم أى اذ تبين عندكم وعند الناس جميعا أنكم ظلمتم أنفسكم فى الدنيا وعليه قول من قال اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة أى تبين أنى لم تلدنى لئيمة بل كريمة وقوله تعالى ﴿أنكم فى العذاب مشتركون﴾ تعليل لنفى النفع أى لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه فى الدنيا ويجوز أن يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم فى العذاب كما ينفع الواقعين فى شدائد الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم فى تحمل أعبائها وتقسمهم لعنائها لأن لكل منهم مالا تبلغه طاقته كما قيل لأن الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشفى بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقولكم فآتهم عذابا ضعفا من النار ونظائرهما لتتشفوا بذلك . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ فى المجاهدة فى دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما عما يسمعونه من بينات القرآن فنزل ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى﴾ وهو انكار تعجيب من أن يكون هو الذى يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا فى الكفر واستغرقوا فى الضلال بحيث صار ما بهم من العشى عمى مقرونا بالصمم ﴿ومن كان فى ضلال مبين﴾ عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار هو التمكن والاستقرار فى الضلال المفرط بحيث لا ارعواء له منه لا توهم القصور من قبل الهادى ففيه رمز الى أنه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجاء ﴿فاما نذهبن بك﴾ أى فان قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم ونشفى بذلك صدرك وصدور المؤمنين ﴿فانا منهم منتقمون﴾ لا محالة فى الدنيا والآخرة فما مزيدة للتأكيد بمنزلة لام القسم فى أنها لا تفارق النون المؤكدة ﴿أو نرينك الذى وعدناهم﴾ أى أو أردنا أن نريك العذاب الذى وعدناهم ﴿فانا عليهم مقتدرون﴾ بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا وقهرنا ولقد أراه عليه السلام ذلك يوم بدر ﴿فاستمسك بالذى أوحى اليك﴾ من الآيات والشرائع سواء عجلنا لك الموعود أو أخرناه الى يوم الآخرة وقرئ أوحى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ﴿انك على صراط مستقيم﴾ تعليل للاستمساك أو للامر به ﴿وانه لذكر﴾ لشرف عظيم ﴿لك ولقومك وسوف تسألون﴾ يوم القيامة عنه وعن قيامكم بحقوقه ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾ أى واسأل أممهم وعلماء دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على أن المسؤل عنه عين مانطقت به ألسنة الرسل لا مايقوله أممهم وعلماؤهم من تلقاء أنفسهم قال الفراء هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ أى هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الأنبياء على التوحيد والتنبيه على أنه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ ملتبسا بها ﴿الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين﴾ أريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد اثر ما أشير الى اجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه ﴿فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون﴾ أى فاجؤا وقت ضحكهم منها أى استهزؤا بها أول مارأوها ولم يتأملوا فيها ﴿وما نريهم من آية﴾ من

الآيات ﴿الاهى أكبر من أختها﴾ الاوهى بالغة أقصى مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من ينظر اليها أنها أكبر من كل مايقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور فى شئ منها أوالاوهى مختصة بضرب من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها ﴿وأخذناهم بالعذاب﴾ كالسنين والطوفان والجراد وغيرها ﴿لعلهم يرجعون﴾ لكى يرجعوا عماهم عليه من الكفر ﴿وقالوا ياأيها الساحر﴾ نادوه بذلك فى مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرئ أيه الساحر بضم الهاء ﴿ادع لنا ربك﴾ ليكشف عنا العذاب ﴿بما عهد عندك﴾ بعهده عندك من النبوة أومن استجابة دعوتك أومن كشف العذاب عمن اهتدى أو بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة ﴿اننا لمهتدون﴾ أى لمؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا بدعوتك كقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب﴾ بدعوته ﴿اذاهم ينكثون﴾ فاجؤا وقت نكث عهدهم بالاهتداء وقدمر تفصيله فى الاعراف ﴿ونادى فرعون﴾ بنفسه أو بمناديه ﴿فى قومه﴾ فى مجمعهم وفيما بينهم بعد أن كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمنوا ﴿قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار﴾ أنهار النيل ومعظمها أربعة أنهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس ﴿تجرى من تحتى﴾ أى من تحت قصرى أوأمرى وقيل من تحت سريرى لارتفاعه وقيل بين يدى فى جنانى و بساتينى والواواما عاطفة لهذه الانهار على ملك مصر فتجرى حال منها أوللحال فهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجرى خبر للمبتدا ﴿أفلا تبصرون﴾ ذلك يريد به استعظام ملكه ﴿أم أنا خير﴾ مع هذه المملكة والبسطة ﴿من هذا الذى هو مهين﴾ ضعيف حقير من المهانة وهى القلة ﴿ولايكاد يبين﴾ أى الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام وتنقيصا له عليه السلام فى أعين الناس باعتبار ما كان فى لسانه عليه السلام من نوع رتة وقدكانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد أوتيت سؤلك وأم اما منقطعة والهمزة للتقرير كأنه قال اثر ماعدد أسباب فضله ومبادى خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم أنى أنا خير وهذه حالى من هذا الخ واما متصلة فالمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون خلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز أن يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب فان ابصارهم لما ذكر من أسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته ﴿فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب﴾ أى فهلا ألقى اليه مقاليد الملك ان كان صادقا لما أنهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب وأسورة جمع سوار وقرئ أساور جمع أسورة وقرئ أساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء أساوير وقد قرئ كذلك وقرئ ألقى عليه اسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى ﴿أوجاء معه الملائكة مقترنين﴾ مقرونين يعينونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن أو متقارنين من اقترن بمعنى تقارن ﴿فاستخف قومه﴾ فاستفزهم وطلب منهم الخفة فى مطاوعته أو فاستخف أحلامهم ﴿فأطاعوه﴾ فيما أمرهم به ﴿انهم كانوا قوما فاسقين﴾ فلذلك سارعوا الى طاعة ذلك الفاسق الغوى ﴿فلما آسفونا﴾ أى أغضبونا أشد الغضب منقول من أسف اذا اشتد غضبه ﴿انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾ فى اليم ﴿فجعلناهم سلفا﴾ قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم فى استيجاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو اما مصدر نعت به أو جمع سالف كخدم جمع خادم وقرئ بضم السين واللام على أنه جمع سليف أى فريق قد سلف كرغف أوسالف كصبر أوسلف كأسد وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة أو على أنه جمع سلفة أى ثلة قد سلفت ﴿ومثلا للآخرين﴾ أى عظة لهم أو قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا﴾ أى ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى انكم وماتعبدون من دون

الله حصب جهنم حيث قال أهذا لنا و لآلهتنا أو لجميع الامم فقال عليه الصلاة والسلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال اللعين خصمتك و رب الكعبة أليس النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا و بنو مليح الملائكة فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن و آلهتنا معهم ففرح به قومه وضحكوا وارتفعت أصواتهم وذلك قوله تعالى ﴿اذا قومك منه﴾ أى من ذلك المثل ﴿يصدون﴾ أى يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وقرئ يصدون أى من أجل ذلك المثل يعرضون عن الحق أى يثبتون على ما كانوا عليه من الاعراض أو يزدادون فيه وقيل هو أيضا من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف و يعكف وهو الانسب بمعنى المفاجأة ﴿وقالوا أآلهتنا خير أم هو﴾ حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه تمهيدا لما بنوا عليه من الباطل المموه بما يغتر به السفهاء أى ظاهر أن عيسى خير من آلهتنا فحيث كان هو فى النار فلا بأس بكونتا مع آلهتنا فيها واعلم أن ما نقل عنهم من الفرح و رفع الاصوات لم يكن لما قيل من أنه عليه الصلاة والسلام سكت عند ذلك الى أن نزل قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية فان ذلك مع ايهامه لما يجب تنزيه ساحته عليه الصلاة والسلام عنه من شائبة الافحام من أول الامر خلاف الواقع كيف لا وقد روى أن قول ابن الزبعرى خصمتك و رب الكعبة صدر عنه من أول الامر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله عليه السلام ما أجهلك بلغة قومك أما فهمت أن ما لما لا يعقل وانما لم يخص عليه السلام هذا الحكم بآلهتهم حين سأل الفاجر عن الخصوص والعموم عملا بما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لأن اخراج بعض المعبودين عنه عند المحاجة موهم للرخصة فى عبادته فى الجملة فعممه عليه السلام للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك فى المعبودية من دون الله تعالى ثم بين عليه الصلاة والسلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك أن الملائكة والمسيح بمعزل من أن يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية بل انما كان ما أظهروه من الاحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد كما ينطق به قوله تعالى ﴿ما ضربوه لك الا جدلا﴾ أى ما ضربوا لك ذلك المثل الا لأجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره ببيانك ﴿بل هم قوم خصمون﴾ أى لدشداد الخصومة مجبولون على المحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت فقولهم أآلهتنا خير أم هو حينئذ تفضيل لآلهتهم على عيسى عليه السلام لأن المراد بهم الملائكة ومعنى ما ضربوه الخ ما قالوا هذا القول الا للجدل وقيل لما نزلت ان مثل عيسى الآية قالوا ما يريد محمد بهذا الا أن نعبده وأنه يستأهل أن يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون و يضجرون والضمير فى أم هو لمحمد عليه الصلاة والسلام وغرضهم بالموازنة بينه عليه السلام و بين آلهتهم الاستهزاء به وقد جوز أن يكون مرادهم التنصل عما أنكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم لهم كأنهم قالوا ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه فنحن أشف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسى فقوله تعالى ﴿ان هو الا عبد أنعمنا عليه﴾ أى بالنبوة ﴿وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل﴾ أى أمرا عجيبا حقيقا بأن يسير ذكره كالأمثال السائرة على الوجه الأول استئناف مسوق لتنزيه عليه السلام عن أن ينسب اليه ما نسب الى الأصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحا قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه تنبيه على بطلان رأى من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد رأى من يرى رأيهم فى شأن الملائكة وعلى الثانى والرابع لبيان أنه قياس باطل بباطل أو

باطل على زعمهم وما عيسى الا عبد كسائر العبيد قصارى أمره أنه ممن أنعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بأن خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا آدم بوجه أبدع منه فأين هو من رتبة الربوبية ومن أين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى يفتخر عبدة الملائكة بكونهم أهدى منهم أو يعتذروا بأن حالهم أشف أو أخف من حالهم وأما على الوجه الثالث فهو لردهم وتكذيبهم فى افترائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان أن عيسى فى الحقيقة وفيما أوحى الى الرسول عليهما الصلاة والسلام ليس الا أنه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه السلام بمعبوديته أو كيف يتوهم الرضا بمعبودية نفسه وقوله تعالى ﴿ولو نشاء﴾ الخ لتحقيق أن مثل عيسى عليه السلام ليس ببدع من قدرة الله وأنه تعالى قادر على أبدع من ذلك وأبرع مع التنبيه على سقوط الملائكة أيضا من درجة المعبودية أى قدرتنا بحيث لو نشاء ﴿لجعلنا﴾ أى لخلقنا بطريق التوالد ﴿منكم﴾ وأنتم رجال ليس من شأنكم الولادة ﴿ملائكة﴾ كما خلقناهم بطريق الابداع ﴿فى الارض﴾ مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين فى السماء ﴿يخلفون﴾ أى يخلفونكم مثل أولادكم فيما تأتون وما تذرون ويباشرون الأفاعيل المنوطة بمباشرتكم مع أن شأنهم التسبيح والتقديس فى السماء فمن شأنهم بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية أو انتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا ﴿وانه﴾ وان عيسى ﴿لعلم للساعة﴾ أى انه بنزوله شرط من أشراطها وتسميته علما لحصوله به أو بحدوثه بغير أب أو باحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذى هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة فى الساعة وقرىء لعلم أى علامة وقرىء للعلم وقرىء لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كتسمية ما يعلم به علما وفى الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن لما أن فيه الاعلام بالساعة ﴿فلا تمترن بها﴾ فلا تشكن فى وقوعها ﴿واتبعون﴾ أى واتبعوا هداى أو شرعى أو رسولى وقيل هو قول الرسول مأمورا من جهته تعالى ﴿هذا﴾ أى الذى أدعوكم اليه أو القرآن على أن الضمير فى انه له ﴿صراط مستقيم﴾ موصل الى الحق ﴿ولا يصدنكم الشيطان﴾ عن اتباعى ﴿انه لكم عدو مبين﴾ بين العداوة حيث أخرج أباكم من الجنة وعرضكم للبلية ﴿ولما جاء عيسى بالبينات﴾ أى بالمعجزات أو بآيات الانجيل أو بالشرائع الواضحات ﴿قال﴾ لبنى اسرائيل ﴿قد جئتكم بالحكمة﴾ أى الانجيل أو الشريعة ﴿ولأبين لكم﴾ عطف على مقدر ينبىء عنه المجىء بالحكمة كأنه قيل قد جئتكم بالحكمة لأعلمكم اياها ولأبين لكم ﴿بعض الذى تختلفون فيه﴾ وهو ما يتعلق بأمور الدين وأما ما يتعلق بأمور الدنيا فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلام كما قال عليه السلام أنتم أعلم بأمور دنياكم ﴿فاتقوا الله﴾ فى مخالفتى ﴿وأطيعون﴾ فيما أبلغه عنه تعالى ﴿ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه﴾ بيان لما أمرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع ﴿هذا﴾ أى التوحيد والتعبد بالشرائع ﴿صراط مستقيم﴾ لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه عليه السلام أو استئناف من جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى عليه السلام ﴿فاختلف الأحزاب﴾ الفرق المتحزبة ﴿من بينهم﴾ أى من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى ﴿فويل للذين ظلموا﴾ من المختلفين ﴿من عذاب يوم أليم﴾ هو يوم القيامة ﴿هل ينظرون﴾ أى ما ينتظر الناس ﴿الا الساعة أن تأتيهم﴾ أى الا اتيان الساعة ﴿بغتة﴾ أى فجأة لكن لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بأمور الدنيا منكرين لها وذلك قوله تعالى ﴿وهم لا يشعرون الأخلاء﴾

﴿بعضهم لبعض عدو﴾ يوم اذ تأتيهم الساعة ﴿يومئذ﴾ المتحابون فى الدنيا على الاطلاق أو فى الامور الدنيوية لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة والتحاب لظهور كونها أسبابا للعذاب ﴿الا المتقين﴾ فان خلتهم فى الدنيا لما كانت فى الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل وعلى الثانى منقطع ﴿ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم ﴿الذين آمنوا بآياتنا﴾ صفة للمنادى أو نصب على المدح ﴿وكانوا مسلمين﴾ أى مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا عن مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادى مناد ياعبادى فيرفع الخلائق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين آمنوا الآية فينكس أهل الاديان الباطلة رؤسهم ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم﴾ نساؤكم المؤمنات ﴿تحبرون﴾ تسرون سرورا يظهر حباره أى أثره على وجوهكم أو تزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة أو تكرمون اكراما بليغا والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل ﴿يطاف عليهم﴾ بعد دخولهم الجنة حسبما أمروا به ﴿بصحاف من ذهب وأكواب﴾ كذلك والصحاف جمع صحفة قيل هى كالقصعة وقيل أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له ﴿وفيها﴾ أى فى الجنة ﴿ما تشتهيه الأنفس﴾ من فنون الملاذ وقرئ ما تشتهى ﴿وتلذ الأعين﴾ أى تستلذه وتقر بمشاهدته وقرئ وتلذه ﴿وأنتم فيها خالدون﴾ اتمام للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالآخرة مقارن لخوفه لامحالة والالتفات للتشريف ﴿وتلك الجنة﴾ مبتدأ وخبر ﴿التى أورثتموها﴾ وقرئ ورثتموها ﴿بما كنتم تعملون﴾ فى الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ وصفة والموصول مع صلته خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الأول والخبر بما كنتم تعملون فتتعلق الباء بمحذوف لا بأورثتموها كما فى الأولين ﴿لكم فيها فاكهة كثيرة﴾ بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد فقط ﴿منها تأكلون﴾ أى بعضها تأكلون فى كل نوبة وأما الباقى فعلى الاشجار على الدوام لاترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهى مزينة بالثمار أبدا موقرة بها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لاينزع رجل فى الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها ﴿ان المجرمين﴾ أى الراسخين فى الاجرام وهم الكفار حسبما ينبئ عنه ايرادهم فى مقابلة المؤمنين بالآيات ﴿فى عذاب جهنم خالدون﴾ خبر ان أو خالدون هو الخبر وفى متعلقة به ﴿لايفتر عنهم﴾ أى لايخفف العذاب عنهم من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف ﴿وهم فيه﴾ أى فى العذاب وقرئ فيها أى فى النار ﴿مبلسون﴾ آيسون من النجاة ﴿وما ظلمناهم﴾ بذلك ﴿ولكن كانوا هم الظالمين﴾ لتعريضهم أنفسهم للعذاب الخالد ﴿ونادوا﴾ خازن النار ﴿يامالك﴾ وقرئ يامال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه ﴿ليقض علينا ربك﴾ أى ليمتنا حتى نستريح من قضى عليه اذا أماته والمعنى سل ربك أن يقضى علينا وهذا لاينافى ما ذكر من ابلاسهم لانه جؤار وتمن للموت لفرط الشدة ﴿قال انكم ماكثون﴾ أى فى العذاب أبدا لاخلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لايجيبهم الا بعد ألف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد أربعين سنة ﴿لقد جئناكم بالحق﴾ فى الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل فى قال ضمير الله تعالى ﴿ولكن أكثركم للحق﴾ أى حق كان ﴿كارهون﴾ لايقبلونه وينفرون عنه وأما الحق المعهود الذى هو التوحيد أو القرآن فكلهم كارهون له مشمئزون منه ﴿أم أبرموا أمرا﴾ كلام مبتدأ ناع على المشركين مافعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وأم منقطعة

وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ أهل النار الى حكاية جناية هؤلاء والهمزة للانكار فان أريد بالابرام الاحكام حقيقة فهى لانكار الوقوع واستبعاده وان أريد الاحكام صورة فهى لانكار الواقع واستقباحه أى أأبرم مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فانا مبرمون﴾ كيدنا حقيقة لاهم أو فانا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما أبرموا كيدهم صورة كقوله تعالى أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون فى أنديتهم ويتشاورون فى أموره عليه الصلاة والسلام ﴿أم يحسبون﴾ أى بل أيحسبون ﴿أنا لا نسمع سرهم﴾ وهو ما حدثوا به أنفسهم أو غيرهم فى مكان خال ﴿ونجواهم﴾ أى ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجى ﴿بلى﴾ نحن نسمعهما ونطلع عليهما ﴿ورسلنا﴾ الذين يحفظون عليهم أعمالهم ويلازمونهم أينما كانوا ﴿لديهم﴾ عندهم ﴿يكتبون﴾ أى يكتبونهما أو يكتبون كل ما صدر عنهم من الأفعال والأقوال التى من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف على ما يترجم عنه بلى أو حال أى نسمعهما والحال أن رسلنا يكتبون ﴿قل﴾ أى للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على أن مخالفتك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام ليست لبغضك وعداوتك لهم أو لمعبوديهم بل انما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا اليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى ﴿ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ أى له وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بشؤنه تعالى وبما يجوز عليه وبما لا يجوز وأولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم كذلك على أبلغ الوجوه وأقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم فى باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه ايراد ان مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم الشرطية وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فأنا أول الآنفين أى المستنكفين منه أو من أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد أنفه وقيل ان نافية أى ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وقرىء ولد ﴿سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون﴾ أى يصفونه به من أن يكون له ولد وفى اضافة اسم الرب الى أعظم الاجرام وأقواها تنبيه على أنها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم أن يكون شىء منها جزأ منه سبحانه وفى تكرير اسم الرب تفخيم لشأن العرش ﴿فذرهم﴾ حيث لم يذعنوا للحق بعد ما سمعوا هذا البرهان الجلى ﴿يخوضوا﴾ فى أباطيلهم ﴿ويلعبوا﴾ فى دنياهم فان ما هم فيه من الأفعال والأقوال ليست الا من باب الجهل واللعب والجزم فى الفعل لجواب الأمر ﴿حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون﴾ من يوم القيامة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم ﴿وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله﴾ الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفى الذى ينبىء عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق بناء على اختصاصه بالمعبود بالحق كما مر فى تفسير البسملة كأنه قيل وهو الذى مستحق لأن يعبد فيهما وقد مر تحقيقه فى سورة الانعام وقرىء وهو الذى فى السماء الله وفى الأرض الله والراجع الى الموصول مبتدأ قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا مساغ لكون الجار خبرا مقدما واله مبتدأ مؤخرا للزوم عراء الجملة حينئذ عن العائد نعم يجوز أن يكون صلة للموصول واله خبرا لمبتدا محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه فى السماء على سبيل الالهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفى الآلهة السماوية والأرضية وتخصيص لاستحقاق الالهية به تعالى وقوله تعالى ﴿وهو الحكيم العليم﴾ كالدليل على ما قبله ﴿وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما﴾ اما على الدوام كالهواء أو فى بعض الأوقات كالطير ﴿وعنده علم الساعة﴾ أى العلم بالساعة التى فيها تقوم القيامة ﴿واليه ترجعون﴾ للجزاء والالتفات للتهديد وقرىء على الغيبة وقرىء تحشرون

بالتاء ﴿ولا يملك الذين يدعون﴾ أى يدعونهم وقرئ بالتاء مخففا ومشددا ﴿من دونه الشفاعة﴾ كما يزعمون ﴿الا من شهد بالحق﴾ الذى هو التوحيد ﴿وهم يعلمون﴾ بما يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن الافراد أو لا باعتبار لفظها والاستثناء اما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله أو منفصل على أنه خاص بالأصنام ﴿ولئن سألتهم من خلقهم﴾ أى سألت العابدين والمعبودين ﴿ليقولن الله﴾ لتعذر الانكار لغاية بطلانه ﴿فأنى يؤفكون﴾ فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى ﴿وقيله﴾ بالجر اما على أنه عطف على الساعة أى عنده علم الساعة وعلم قوله عليه الصلاة والسلام ﴿يارب﴾ الخ فان القول والقيل والقال كلها مصادر أو على أن الواو للقسم وقوله تعالى ﴿ان هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾ جوابه وفى الاقسام به من رفع شأنه عليه الصلاة والسلام وتفخيم دعائه والتجائه اليه تعالى مالا يخفى وقرئ بالنصب بالعطف على سرهم أو على محل الساعة أو باضمار فعله أو بتقدير فعل القسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة ﴿فاصفح عنهم﴾ فأعرض عن دعوتهم واقنط عن ايمانهم ﴿وقل سلام﴾ أى أمرى تسلم منكم ومتاركة ﴿فسوف يعلمون﴾ حالهم البتة وان تأخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ تعلمون على أنه داخل فى حيز قل . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان

(مكية الا قوله انا كاشفو العذاب الآية . وهى سبع أو تسع وخمسون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم والكتاب المبين﴾ الكلام فيه كالذى سلف فى السورة السابقة ﴿انا أنزلناه﴾ أى الكتاب المبين الذى هو القرآن ﴿فى ليلة مباركة﴾ هى ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ فيها انزاله أو أنزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح وأملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة كما مر فى سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما أن نزول القرآن مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية بأجمعها أو لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الأقضية وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد فى هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة ﴿انا كنا منذرين﴾ استئناف مبين لما يقتضى الانزال كأنه قيل انا أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله تعالى انا أنزلناه الخ اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ استئناف كما قبله فان كونها مفرق الأمور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعى أن ينزل فيها القرآن الذى هو من عظائمها وقيل صفة أخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على أنها ليلة القدر ومعنى يفرق أنه يكتب ويفصل كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة الى الأخرى من السنة القابلة وقيل يبدأ فى استنساخ ذلك من اللوح فى ليلة البراءة ويقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذا الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الأعمال الى اسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت عليهم السلام وقرئ يفرق بالتشديد وقرئ يفرق على البناء للفاعل أى يفرق الله تعالى كل أمر حكيم وقرئ نفرق بنون العظمة ﴿أمرا من عندنا﴾ نصب على الاختصاص

أى أعنى بهذا الأمر أمرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية و يجوز كونه حالا من كل أمر لتخصصه بالوصف أو من ضميره فى حكيم وقد جوز أن يراد به مقابل النهى و يجعل مصدرا مؤكدا ليفرق لاتحاد الأمر والفرقان فى المعنى أو لفعله المضمر لما أن الفرق به أو حالا من أحد ضميرى أنزلناه أى آمرين أو مأمورا به ﴿ انا كنا مرسلين ﴾ بدل من انا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستأنف وقوله تعالى ﴿ رحمة من ربك ﴾ غاية للارسال متأخرة عنه على أن المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد و باعث متقدم عليه على أن المراد مبدؤها أى انا أنزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل افاضة رحمتنا عليهم أو لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم و وضع الرب موضع الضمير للايذان بأن ذلك من أحكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه أو تعليل ليفرق أو لقوله تعالى أمرا على أن قوله تعالى رحمة مفعول للارسال كما فى قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له أى يفرق فيها كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا و لا ريب فى أن كلا من قسمة الأرزاق وغيرها والأوامر الصادرة منه تعالى من باب الرحمة فان الغاية لتكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرئ رحمة بالرفع أى تلك رحمة وقوله تعالى ﴿ انه هو السميع العليم ﴾ تحقيق لربوبيته تعالى وأنها لاتحق الا لمن هذه نعوته ﴿ رب السموات والارض ومابينهما ﴾ بدل من ربك أو بيان أو نعت وقرئ بالرفع على أنه خبر آخر أو استئناف على اضمار مبتدا ﴿ ان كنتم موقنين ﴾ أى ان كنتم من أهل الايقان فى العلوم أو ان كنتم موقنين فى اقراركم بأنه تعالى رب السموات والارض ومابينهما اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم أن الأمر كما قلنا أو ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك ﴿ لا اله الا هو ﴾ جملة مستأنفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات الخ ومابينهما اعتراض ﴿ يحيى و يميت ﴾ مستأنفة كما قبلها و كذا قوله تعالى ﴿ ربكم و رب آبائكم الأولين ﴾ باضمار مبتدا أو بدل من رب السموات على قراءة الرفع أو بيان أو نعت له وقيل فاعل لتميت و فى يحيى ضمير راجع الى رب السموات وقرئ بالجر بدلا من رب السموات على قراءة الجر ﴿ بل هم فى شك ﴾ مما ذكر من شئونه تعالى غير موقنين فى اقرارهم ﴿ يلعبون ﴾ لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطا بهزؤ ولعب والفاء فى قوله تعالى ﴿ فارتقب ﴾ لترتيب الارتقاب أو الأمر به على ماقبلها فان كونهم فى شك مما يوجب ذلك حتما أى فانتظر لهم ﴿ يوم تأتى السماء بدخان مبين ﴾ أى يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه و بين السماء كهيئة الدخان اما لضعف بصره أو لان فى عام القحط يظلم الهواء لقلة الأمطار و كثرة الغبار أو لأن العرب تسمى الشر الغالب دخانا وذلك أن قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأخذتهم سنة حتى أكلوا الجيف والعظام والعلهز و كان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل و يسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى ﴿ يغشى الناس ﴾ أى يحيط بهم ﴿ هذا عذاب أليم ﴾ أى قائلين ذلك فمشى اليه عليه الصلاة والسلام أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم و واعدوه ان دعا لهم و كشف عنهم أن يؤمنوا وذلك قوله تعالى ﴿ ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ﴾ وهذا قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم و به أخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان يأتى من السماء قبل يوم القيامة فيدخل فى أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ و يعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فتلا الآية وقال يملأ مابين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة

أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره والأول هو الذى يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا فان قوله تعالى ﴿أنى لهم الذكرى﴾ الخ رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم فى الوعد بالايمان المنبىء عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية أى كيف يتذكرون أو من أين يتذكرون بذلك و يفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم ﴿وقد جاءهم رسول مبين﴾ أى والحال أنهم شاهدوا من دواعى التذكر وموجبات الاتعاظ ماهو أعظم منه فى ايجابها حيث جاءهم رسول عظيم الشأن وبين لهم مناهج الحق باظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال ﴿ثم تولوا عنه﴾ عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه ماشاهدوه من العظائم الموجبة للاقبال عليه ولم يقتنعوا بالتولى ﴿وقالوا﴾ فى حقه ﴿معلم مجنون﴾ أى قالوا تارة يعلمه غلام أعجمى لبعض ثقيف وأخرى مجنون أو يقول بعضهم كذا وآخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم أن يتأثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع ضغا واذا شبع طغى وقوله تعالى ﴿انا كاشفو العذاب قليلا انكم عائدون﴾ جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض أى انا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا أو زمانا قليلا انكم تعودون اثر ذلك الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل فى الفعلين للدلالة على تحققهما لامحالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم فما لبثوا أن عادوا الى ما كانوا عليه من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد أربعين يوما وريثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ يوم القيامة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى ﴿انا منتقمون﴾ لا لمنتقمون لأن ان مانعة من ذلك أى يومئذ ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم تأتى الخ وقرىء نبطش أى نحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو التناول بعنف وصولة أو نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرىء نبطش بضم الطاء وهى لغة ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾ أى امتحناهم بارسال موسى عليه السلام أو أوقعناهم فى الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرىء بالتشديد للمبالغة أو لكثرة القوم ﴿وجاءهم رسول كريم﴾ على الله تعالى أو على المؤمنين أو فى نفسه لأن الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ﴿أن أدوا الى عباد الله﴾ أى بأن أدوا الى بنى اسرائيل وأرسلوهم معى أو بأن أدوا الى ياعباد الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل أن مفسرة لأن مجىء الرسول لايكون الا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة أى جاءهم بأن الشأن أدوا الى الخ وقوله تعالى ﴿انى لكم رسول أمين﴾ تعليل للأمر أو لوجوب المأمور به أى رسول غير ظنين قد ائتمننى الله تعالى على وحيه وصدقنى بالمعجزات القاهرة ﴿وأن لاتعلوا على الله﴾ أى لاتتكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وأن كالتى سلفت وقوله تعالى ﴿انى آتيكم﴾ أى من جهته تعالى ﴿بسلطان مبين﴾ تعليل للنهى أى آتيكم بحجة واضحة لاسبيل الى انكارها وآتيكم على صيغة الفاعل أو المضارع وفى ايراد الاداء مع الأمين والسلطان مع العلا من الجزالة مالايخفى ﴿وانى عذت بربى وربكم﴾ أى التجأت اليه وتوكلت عليه ﴿أن ترجمون﴾ من أن ترجمونى أى تؤذونى ضربا أو شتما أو أن تقتلونى قيل لما قال وأن لاتعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرىء بادغام الذال فى التاء ﴿وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون﴾ أى وان كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لى فخلونى كفافا لاعلى ولا لى ولا تتعرضوا لى بشر ولا أذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم

الى مافيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا أسباب الوصلة عنى فلاموالاة بينى و بين من لايؤمن يأباه المقام ﴿فدعا ربه﴾ بعد ماتموا على تكذيبه عليه السلام ﴿أن هؤلاء﴾ أى بأن هؤلاء ﴿قوم مجرمون﴾ وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمى دعاء وقرىء بالكسر على اضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم مايستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين ﴿فأسر بعبادى ليلا﴾ باضمار القول اما بعد الفاء أى فقال ربه أسر بعبادى واما قبلها كأنه قيل قال ان كان الأمر كما تقول فأسر بعبادى أى بنى اسرائيل فقد دبر الله تعالى أن تتقدموا وقرىء بوصل الهمزة من سرى ﴿انكم متبعون﴾ أى يتبعكم فرعون وجنوده بعد ماعلموا بخروجكم ﴿واترك البحر رهوا﴾ مفتوحا ذا فجوة واسعة أو ساكنا على هيئته بعد ماجاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط ﴿انهم جند مغرقون﴾ وقرىء أنهم بالفتح أى لأنهم ﴿كم تركوا﴾ أى كثيرا تركوا بمصر ﴿من جنات وعيون وزروع ومقام كريم﴾ محافل مزينة ومنازل محسنة ﴿ونعمة﴾ أى تنعم ﴿كانوا فيها فاكهين﴾ متنعمين وقرىء فكهين ﴿كذلك﴾ الكاف فى حيز النصب وذلك اشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا أى مثل ذلك السلب سلبناهم اياها ﴿وأورثناها قوما آخرين﴾ وقيل مثل ذلك الاخراج أخرجناهم منها وقيل فى حيز الرفع على الخبرية أى الأمر كذلك فحينئذ يكون أورثناها معطوفا على تركوا وعلى الأولين على الفعل المقدر ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال له بكت عليه السماء والأرض ومنه ماروى ان المؤمن ليبكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومصاعد عمله ومهابط رزقه وآثاره فى الأرض وقيل تقديره أهل السماء والأرض ﴿وما كانوا﴾ لما جاء وقت هلاكهم ﴿منظرين﴾ ممهلين الى وقت آخر أو الى الآخرة بل عجل لهم فى الدنيا ﴿ولقد نجينا بنى اسرائيل﴾ بأن فعلنا بفرعون وقومه مافعلنا ﴿من العذاب المهين﴾ من استعباد فرعون اياهم وقتل أبنائهم واستحياء نسائهم على الخسف والضيم ﴿من فرعون﴾ بدل من العذاب اما على جعله نفس العذاب لافراطه فيه واما على حذف المضاف أى عذاب فرعون أو حال من المهين أى كائنا من فرعون وقرىء من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو فى عتوه وتفرعنه وفى ابهام أمره أولا وتبيينه بقوله تعالى ﴿انه كان عاليا من المسرفين﴾ ثانيا من الافصاح عن كنه أمره فى الشر والفساد مالا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين اما خبر ثان لكان أى كان متكبرا مسرفا أو حال من الضمير فى عاليا أى كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم بليغا فى الاسراف ﴿ولقد اخترناهم﴾ أى بنى اسرائيل ﴿على علم﴾ أى عالمين بانهم أحقاء بالاختيار أو عالمين بأنهم يزيغون فى بعض الأوقات ويكثر منهم الفرطات ﴿على العالمين﴾ جميعا لكثرة الأنبياء فيهم أو على عالمى زمانهم ﴿وآتيناهم من الآيات﴾ كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرها من عظائم الآيات التى لم يعهد مثلها فى غيرهم ﴿مافيه بلاء مبين﴾ نعمة جلية أو اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون ﴿ان هؤلاء﴾ يعنى كفار قريش لأن الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تماثلهم فى الاصرار على الضلالة والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم ﴿ليقولون ان هى الا موتتنا الأولى﴾ أى ما العاقبة ونهاية الأمر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات موتة أخرى كما فى قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ماهى الا موتتنا الاولى أى ما الموتة التى تعقبها حياة الا الموتة الاولى وقيل المعنى ليست الموتة الا هذه الموتة دون الموتة التى تعقب حياة القبر كما تزعمون ﴿وما نحن بمنشرين﴾ بمبعوثين ﴿فأتوا بآبائنا﴾ خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ﴿ان كنتم صادقين﴾

فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر أنه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم أن يدعوا الله تعالى فينشر لهم قصى ابن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم فى المهمات والملمات ﴿ أهم خير ﴾ رد لقولهم وتهديد لهم أى أهم خير فى القوة والمنعة اللتين يدفع بهما أسباب الهلاك ﴿ أم قوم تبع ﴾ هو تبع الحميرى الذى سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب فى عنوان كتابه بسم الله الذى ملك برا وبحرا أى بحارا كثيرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبي وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان نبيا وقيل لملوك اليمن التبابعة لأنهم يتبعون كما يقال لهم الاقيال لأنهم يتقيلون ﴿ والذين من قبلهم ﴾ عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود وأضرابهم من كل جبار عنيد أولى بأس شديد والاستفهام لتقرير أن أولئك أقوى من هؤلاء وقوله تعالى ﴿ أهلكناهم ﴾ استئناف لبيان عاقبة أمرهم وقوله تعالى ﴿ انهم كانوا مجرمين ﴾ تعليل لاهلاكهم ليعلم أن أولئك حيث أهلكوا بسبب اجرامهم مع ما كانوا فى غاية القوة والشدة فلأن يهلك هؤلاء وهم شركاء لهم فى الاجرام أضعف منهم فى الشدة والقوة أولى ﴿ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما ﴾ أى ما بين الجنسين وقرئ وما بينهن ﴿ لاعبين ﴾ لاهين من غير أن يكون فى خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة ﴿ ما خلقناهما ﴾ وما بينهما ﴿ الا بالحق ﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو أعم الأسباب أى ما خلقناهما ملتبسا بشئ من الأشياء الا ملتبسا بالحق أو ما خلقناهما بسبب من الأسباب الا بسبب الحق الذى هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ أن الأمر كذلك فينكرون البعث والجزاء ﴿ ان يوم الفصل ﴾ أى فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق من المبطل أو فصل الرجل عن أقاربه وأحبائه ﴿ ميقاتهم ﴾ وقت موعدهم ﴿ أجمعين ﴾ وقرئ ميقاتهم بالنصب على أنه اسم ان ويوم الفصل خبرها أى ان ميعاد حسابهم وجزائهم فى يوم الفصل ﴿ يوم لا يغنى ﴾ بدل من يوم الفصل أو صفة لميقاتهم أو ظرف لما دل عليه الفصل لا لنفسه ﴿ مولى ﴾ من قرابة أو غيرها ﴿ عن مولى ﴾ أى مولى كان ﴿ شيئا ﴾ أى شيئا من الاغناء ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لأنه عام ﴿ الا من رحم الله ﴾ بالعفو عنه وقبول الشفاعة فى حقه ومحله الرفع على البدل من الواو أو النصب على الاستثناء ﴿ انه هو العزيز ﴾ الذى لا ينصر من أراد تعذيبه ﴿ الرحيم ﴾ لمن أراد أن يرحمه ﴿ ان شجرة الزقوم ﴾ وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم فى سورة الصافات ﴿ طعام الاثيم ﴾ أى الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه ﴿ كالمهل ﴾ وهو ما يمهل فى النار حتى يذوب وقيل هو دردى الزيت ﴿ يغلى فى البطون ﴾ وقرئ بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة ﴿ كغلى الحميم ﴾ غليانا كغليه ﴿ خذوه ﴾ على ارادة القول والخطاب للزبانية ﴿ فاعتلوه ﴾ أى جروه والعتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر وعنف وقرئ بضم التاء وهى لغة فيه ﴿ الى سواء الجحيم ﴾ أى وسطه ﴿ ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ﴾ كان الأصل يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم أضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع ﴿ ذق انك أنت العزيز الكريم ﴾ أى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا له على ما كان يزعمه روى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها أعز ولا أكرم منى فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بى شيأ وقرئ بالفتح أى لأنك أو عذاب أنك ﴿ ان هذا ﴾ أى العذاب ﴿ ما كنتم به تمترون ﴾ تشكون وتمارون فيه والجمع باعتبار المعنى لأن المراد جنس الاثيم ﴿ ان المتقين ﴾ أى عن الكفر والمعاصى ﴿ فى مقام ﴾ فى موضع قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذى شاع استعماله فى معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو موضع اقامة ﴿ أمين ﴾ يأمن صاحبه الآفات والانتقال عنه

وهو من الامن الذى هو ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة كان المكان المخيف يخون صاحبه لما يلقى فيه من المكاره ﴿فى جنات وعيون﴾ بدل من مقام جئ به دلالة على نزاهته واشتماله على طيبات المآكل والمشارب ﴿يلبسون من سندس واستبرق﴾ اماخبر ثان أو حال من الضمير فى الجار أو استئناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ماغلظ منه معرب ﴿متقابلين﴾ فى المجالس ليستأنس بعضهم ببعض ﴿كذلك﴾ أى الأمر كذلك أو كذلك أثبناهم ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ على الوصف وقرئ بالاضافة أى قرناهم بهن والحور جمع الحوراء وهى البيضاء والعين جمع العيناء وهى العظيمة العينين واختلف فى أنهن نساء الدنيا أو غيرها ﴿يدعون فيها بكل فاكهة﴾ أى يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شئ منها بمكان ولا زمان ﴿آمنين﴾ من كل ما يسوؤهم ﴿لايذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى﴾ بل يستمرون على الحياة أبدا والاستثناء منقطع أو متصل على أن المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق كأنه قيل لا يذوقون فيها الموت الا اذا أمكن ذوق الموتة الاولى حينئذ ﴿ووقاهم عذاب الجحيم﴾ وقرئ مشددا للمبالغة فى الوقاية ﴿فضلا من ربك﴾ أى أعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع أى ذلك فضل ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ الذى لافوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب وقوله تعالى ﴿فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون﴾ فذلكة للسورة الكريمة أى انما أنزلنا الكتاب المبين بلغتك كى يفهمه قومك ويتذكروا ويعملوا بموجبه واذ لم يفعلوا ذلك ﴿فارتقب﴾ فانتظر ما يحل بهم ﴿انهم مرتقبون﴾ ما يحل بك . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفورا له

سورة الجاثية

(مكية وهى سبع أو ست وثلاثون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم﴾ الكلام فيه كما مر فى فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف أى هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى ﴿تنزيل الكتاب﴾ على الأول خبر بعد خبر على أنه مصدر أطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى خبر لمبتدا مضمر يلوح به ماقبله أى المؤلف من جنس ماذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم أى المسمى به تنزيل الخ وقد مر مرارا أن الذى يجعل عنوانا للموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لاعهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها وأما جعله خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل على أصله أى تنزيل حم تنزيل الكتاب فمع عرائه عن افادة فائدة يعتد بها تمحل على تمحل وقوله تعالى ﴿من الله العزيز الحكيم﴾ كما مر فى صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى ﴿ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين﴾ وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستأنف مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية الآفاقية والانفسية ومحل الآيات اما نفس السموات والارض فانهما منطويتان من فنون الآيات على مايقصر عنه البيان واما خلقهما كما فى قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض وهو الاوفق بقوله تعالى ﴿وفى خلقكم﴾ أى من نطفة ثم من علقة متقلبة فى أطوار مختلفة الى تمام الخلق ﴿وما يبث من دابة﴾ عطف على المضاف دون المضاف اليه أى

وفيما ينشره ويفرقه من دابة ﴿آيات﴾ بالرفع على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرة بان وقيل آيات عطف على ما قبلها من آيات باعتبار المحل عند من يجوزه وقرئ آية بالتوحيد وقرئ آيات بالنصب عطفا على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر كأنه قيل وان في خلقكم وما يبث من دابة آيات ﴿لقوم يوقنون﴾ أي من شأنهم أن يوقنوا بالأشياء على ما هي عليه ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ بالجر على اضمار الجار المذكور في الآيتين قبله وقد قرئ بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما أو تفاوتهما طولا وقصرا ﴿وما أنزل الله من السماء﴾ عطف على اختلاف ﴿من رزق﴾ أي من مطر وهو سبب للرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه آية من جهتي القدرة والرحمة ﴿فأحيي به الأرض﴾ بأن أخرج منها أصناف الزروع والثمرات والنبات ﴿بعد موتها﴾ وعرائها عن آثار الحياة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو أشجارها عن الثمار ﴿وتصريف الرياح﴾ من جهة الى أخرى ومن حال الى حال وقرئ بتوحيد الريح وتأخيره عن انزال المطر مع تقدمه عليه في الوجود اما للايذان بأنه آية مستقلة حيث لو روعي الترتيب الوجودي لربما توهم أن مجموع تصريف الرياح وانزال المطر آية واحدة واما لأن كون التصريف آية ليس لمجرد كونه مبدأ لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التي من جملتها سوق السفن في البحار ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ بالرفع على أنه مبتدأ خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص وقيل على أنها اسم ان والمجرور المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولي عاملين مختلفين هما ان وفي أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف والنصب في آيات وتنكير آيات في المواقع الثلاثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الآيات في الدقة والجلاء ﴿تلك آيات الله﴾ مبتدأ وخبر وقوله تعالى ﴿نتلوها عليك﴾ حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وآيات الله بدل أو عطف بيان ﴿بالحق﴾ حال من فاعل نتلو ومن مفعوله أي نتلوها محقين أو ملتبسة بالحق ﴿فبأي حديث﴾ من الأحاديث ﴿بعد الله وآياته﴾ أي بعد آيات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما في قولهم أعجبني زيد وكرمه أو بعد حديث الله الذي هو القرآن حسبما نطق به قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث وهو المراد بآياته أيضا ومناط العطف التغاير العنواني ﴿يؤمنون﴾ بصيغة الغيبة وقرئ بالتاء ﴿ويل لكل أفاك﴾ كذاب ﴿أثيم﴾ كثير الآثام ﴿يسمع آيات الله﴾ صفة أخرى لأفاك وقيل استئناف وقيل حال من الضمير في أثيم ﴿تتلى عليه﴾ حال من آيات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لأن شرطه أن يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرأ ﴿ثم يصر﴾ أي يقيم على كفره وأصله من اصرار الحمار على العانة ﴿مستكبرا﴾ عن الايمان بما سمعه من آيات الله تعالى والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده من الأباطيل وقيل نزلت في النضر بن الحرث وكان يشتري من أحاديث الأعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التي حقها أن تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما في قول من قال يرى غمرات الموت ثم يزورها ﴿كأن لم يسمعها﴾ أي كأنه لم يسمعها فخفف وحذف ضمير الشأن والجملة حال من يصر أي يصر شبيها بغير السامع ﴿فبشره بعذاب أليم﴾ على اصراره واستكباره ﴿واذا علم من آياتنا شيئا﴾ أي اذا بلغه من آياتنا شيء وعلم أنه من آياتنا لا أنه علمه كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن أن يتشبث به المعاند ويجد له محملا فاسدا يتوصل به الى الطعن والغميزة ﴿اتخذها﴾ أي الآيات كلها ﴿هزوا﴾ أي مهزوا بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشيء والتأنيث

لأنه فى معنى الآية ﴿أولئك﴾ اشارة الى كل أفاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للكل كما فى قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما أن الافراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد ﴿لهم﴾ بسبب جناياتهم المذكورة ﴿عذاب مهين﴾ وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله سبحانه وتعالى ﴿من ورائهم جهنم﴾ أى من قدامهم لأنهم متوجهون الى ما أعد لهم أو من خلفهم لأنهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة التى يواريها الشخص من خلف وقدام ﴿ولا يغنى عنهم﴾ ولا يدفع ﴿ما كسبوا﴾ من الأموال والأولاد ﴿شيئا﴾ من عذاب الله تعالى أو شيئا من الاغناء ﴿ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء﴾ أى الأصنام وتوسيط حرف النفى بين المعطوفين مع أن عدم اغناء الأصنام أظهر وأجلى من عدم اغناء الأموال والأولاد قطعا مبنى على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون فى شفاعتهم وفيه تهكم ﴿ولهم﴾ فيما وراءهم من جهنم ﴿عذاب عظيم﴾ لا يقادر قدره ﴿هذا﴾ أى القرآن ﴿هدى﴾ فى غاية الكمال من الهداية كأنه نفسها ﴿والذين كفروا﴾ أى بالقرآن وانما وضع موضع ضميره قوله تعالى ﴿بآيات ربهم﴾ لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظيع حالهم ﴿لهم عذاب من رجز﴾ أى من أشد العذاب ﴿أليم﴾ بالرفع صفة عذاب وقرىء بالجر على أنه صفة رجز وتنوين عذاب فى المواقع الثلاثة للتفخيم ورفعه اما على الابتداء واما على الفاعلية ﴿الله الذى سخر لكم البحر﴾ بأن جعله أملس السطح يطفو عليه ما يتخلل كالاخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه ﴿لتجرى الفلك فيه بأمره﴾ وأنتم راكبوها ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ﴿ولعلكم تشكرون﴾ ولكى تشكروا النعم المترتبة على ذلك ﴿وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض﴾ من الموجودات بأن جعلها مدارا لمنافعكم ﴿جميعا﴾ اما حال من ما فى السموات والارض أو توكيد له ﴿منه﴾ متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا أو حال من ما أى جميعا كائنا منه تعالى أو سخر لكم هذه الأشياء كائنة منه مخلوقة له تعالى أو خبر لمحذوف أى هى جميعا منه تعالى وقرىء منة على المفعول له ومنه على أنه فاعل سخر على الاسناد المجازى أو خبر مبتدأ محذوف أى ذلك منه ﴿ان فى ذلك﴾ أى فيما ذكر من الامور العظام ﴿لآيات﴾ عظيمة الشأن كثيرة العدد ﴿لقوم يتفكرون﴾ فى بدائع صنع الله تعالى فانهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها ﴿قل للذين آمنوا﴾ حذف المقول لدلالة ﴿يغفروا﴾ عليه فانه جواب للامر باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقط أى قل لهم اغفروا يغفروا ﴿للذين لا يرجون أيام الله﴾ أى يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقائعه تعالى بأعدائه من قولهم أيام العرب لوقائعها وقيل لا يأملون الاوقات التى وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت فى عمر رضى الله عنه حين شتمه غفارى فهم أن يبطش به وقيل حين قال ابن أبى ما قال وذلك أنهم نزلوا فى غزوة بنى المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فأرسل ابن أبى غلامه يستقى فأبطأ عليه فلما أتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك أحدا يستقى حتى ملأ قرب النبى صلى الله عليه وسلم وقرب أبى بكر فقال ابن أبى ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فأنزلها الله تعالى ﴿ليجزى قوما بما كانوا يكسبون﴾ تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم أى أمروا بذلك ليجزى يوم القيامة قوما أيما قوم قوما مخصوصين بما كسبوا فى الدنيا من الاعمال الحسنة التى من جملتها الصبر على أذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز أن يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التى من جملتها ما حكى من

الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير وفيه أن مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقديري المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه بالكل بأن لا يتحقق بعض منه في الدنيا أو بما يصدر عنه تعالى بالذات وفى ذلك من التكلف مالا يخفى وأن يراد كلا الفريقين وهو أكثر تكلفا وأشد تمحلا وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما أى ليجزى الجزاء قوما وقرئ لنجزى بنون العظمة ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ لايكاد يسرى عمل الى غير عامله ﴿ثم الى ربكم﴾ مالك أموركم ﴿ترجعون﴾ فيجازيكم على أعمالكم خيرا كان أو شرا ﴿ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب﴾ أى التوراة ﴿والحكم﴾ أى الحكمة النظرية والعملية والفقه فى الدين أوفصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم ﴿والنبوة﴾ حيث كثر فيهم الانبياء مالم يكثر فى غيرهم ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ مما أحل الله تعالى من اللذائذ كالمن والسلوى ﴿وفضلناهم على العالمين﴾ حيث آتيناهم مالم نؤت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمى زمانهم ﴿وآتيناهم بينات من الامر﴾ دلائل ظاهرة فى أمر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو العلم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من أمره وأنه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون أنصاره أهل يثرب ﴿فما اختلفوا﴾ فى ذلك الامر ﴿الا من بعد ما جاءهم العلم﴾ بحقيقته وحقيته فجعلوا مايوجب زوال الخلاف موجبا لرسوخه ﴿بغياً بينهم﴾ أى عداوة وحسدا لاشكا فيه ﴿ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة﴾ بالمؤاخذة والجزاء ﴿فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من أمر الدين ﴿ثم جعلناك على شريعة﴾ أى سنة وطريقة عظيمة الشأن ﴿من الامر﴾ أى أمر الدين ﴿فاتبعها﴾ باجراء أحكامها فى نفسك وفى غيرك من غير اخلال بشئ منها ﴿ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون﴾ أى آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه الصلاة والسلام ارجع الى دين آبائك ﴿انهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً﴾ مما أراد بك ان اتبعتهم ﴿وان الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ لايواليهم ولا يتبع أهواءهم الا من كان ظالما مثلهم ﴿والله ولى المتقين﴾ الذين أنت قدوتهم فدم على ما أنت عليه من توليه خاصة والاعراض عما سواه بالكلية ﴿هذا﴾ أى القرآن أو اتباع الشريعة ﴿بصائر للناس﴾ فان ما فيه من معالم الدين وشعائر الشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب ﴿وهدى﴾ من ورطة الضلالة ﴿ورحمة﴾ عظيمة ﴿لقوم يوقنون﴾ من شأنهم الايقان بالامور ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾ استئناف مسوق لبيان تباين حالى المسيئين والمحسنين اثر بيان تباين حالى الظالمين والمتقين وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثانى والهمزة لانكار الحسبان لكن لا بطريق انكار الوقوع ونفيه كما فى قوله تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار بل بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب ﴿أن نجعلهم﴾ أى نصيرهم فى الحكم والاعتبار وهم على ماهم عليه من مساوى الاحوال ﴿كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ونعاملهم معاملتهم فى الكرامة ورفع الدرجة وقوله تعالى ﴿سواء محياهم ومماتهم﴾ أى محيا الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير فى الظرف والموصول معا لاشتماله على ضميريهما على أن السواء بمعنى المستوى ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى أم حسبوا أن نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم كلا لايستوون فى شئ منهما فان هؤلاء فى عز الايمان والطاعة وشرفهما فى المحيا وفى رحمة الله تعالى ورضوانه فى الممات وأولئك فى ذل الكفر والمعاصى وهوانهما فى المحيا وفى لعنة الله والعذاب الخالد فى الممات شتان بينهما وقد قيل المراد انكار أن يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة لأن المسيئين والمحسنين مستو محياهم فى الرزق والصحة وانما يفترقون فى الممات وقرئ محياهم ومماتهم

بالنصب على أنهما ظرف كمقدم الحاج وسواء حال على حاله أى حال كونهم مستوين فى محياهم ومماتهم وقد ذكر فى الآية الكريمة وجوه أخر من الاعراب والذى يليق بجزالة التنزيل هو الأول فتدبر وقرئ سواء بالرفع على أنه خبر ومحياهم مبتدأ فقيل الجملة بدل من الكاف وقيل حال وأياما كان فنسبة حسبان التساوى اليهم فى ضمن الانكار التوبيخى مع أنهم بمعزل منه جازمون بفضلهم على المؤمنين للمبالغة فى الانكار والتشديد فى التوبيخ فان انكار حسبان التساوى والتوبيخ عليه انكار لحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على أبلغ وجه وآكده ﴿ساء مايحكمون﴾ أى ساء حكمهم هذا أو بئس شيأ حكموا به ذلك ﴿وخلق الله السموات والارض بالحق﴾ استئناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله تعالى لهما ولما فيهما بالحق المقتضى للعدل يستدعى لامحالة تفضيل المحسن على المسئ فى المحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم واذا لم يطرد ذلك فى المحيا فهو بعد الممات حتما ﴿ولتجزى كل نفس بما كسبت﴾ عطف على بالحق لأن فيه معنى التعليل اذ معناه خلقها مقرونة بالحكمة والصواب دون العبث والباطل فحاصله خلقها لأجل ذلك ولتجزى الخ أو على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته أو ليعدل ولتجزى ﴿وهم﴾ أى النفوس المدلول عليها بكل نفس ﴿لا يظلمون﴾ بنقص ثواب أو بزيادة عقاب وتسمية ذلك ظلما مع أنه ليس كذلك على ماعرف من قاعدة أهل السنة لبيان غاية تنزه ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه تعالى ﴿أفرأيت من اتخذ الهه هواه﴾ تعجيب من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه عبده أى أنظرت فرأيته فان ذلك مما يقضى منه العجب وقرئ آلهة هواه لأن أحدهم كان يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى أحسن منه رفضه اليه فكأنه اتخذ آلهة شتى ﴿وأضله الله﴾ وخذله ﴿على علم﴾ أى عالما بضلاله وتبديله لفطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها ﴿وختم على سمعه وقلبه﴾ بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر فى الآيات والنذر ﴿وجعل على بصره غشاوة﴾ مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرئ بفتح الغين وضمها وقرئ غشوة ﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ أى من بعد اضلاله تعالى اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه فى الغى ﴿أفلا تذكرون﴾ أى ألا تلاحظون فلاتذكرون وقرئ تتذكرون على الاصل ﴿وقالوا﴾ بيان لأحكام ضلالهم المحكى أى قالوا من غاية غيهم وضلالهم ﴿ماهى﴾ أى ما الحياة ﴿الاحياتنا الدنيا﴾ التى نحن فيها ﴿نموت ونحيا﴾ أى يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نكون نطفا وماقبلها ومابعدها ونحيا بعد ذلك أو نموت بأنفسنا ونحيا ببقاء أولادنا أو يموت بعضنا ويحيا بعضنا وقد جوز أن يريدوا به التناسخ فانه عقيدة أكثر عبدة الاوثان وقرئ نحيا ﴿وما يهلكنا الا الدهر﴾ الامرور الزمان وهو فى الاصل مدة بقاء العالم من دهره أى غلبه وقرئ الادهر يمر وكانوا يزعمون أن المؤثر فى هلاك الانفس هو مرور الايام والليالى وينكرون ملك الموت وقبضه للارواح بأمر الله تعالى ويضيفون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لاتسبوا الدهر فان الله هو الدهر أى فان الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر ﴿وما لهم بذلك﴾ أى بما ذكر من اقتصار الحياة على مافى الدنيا واستناد الحياة والموت الى الدهر ﴿من علم﴾ مامستند الى عقل أو نقل ﴿ان هم الا يظنون﴾ ماهم الاقوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يكون لهم شئ يصح أن يتمسك به فى الجملة هذا معتقدهم الفاسد فى أنفسهم ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا﴾ الناطقة بالحق الذى من جملته البعث ﴿بينات﴾ واضحات الدلالة على مانطقت به أو مبينات له ﴿ما كان حجتهم﴾ بالنصب على أنه خبر كان أى ما كان متمسكا لهم شئ من الاشياء ﴿الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين﴾ فى أنا نبعث بعد الموت أى الا هذا القول الباطل الذى يستحيل أن يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم أو لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع

وقرئ برفع حجتهم على أنها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيأ من الاشياء الا هذا القول الباطل ﴿قل الله يحييكم﴾ ابتداء ﴿ثم يميتكم﴾ عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر ﴿ثم يجمعكم﴾ بعد الموت ﴿الى يوم القيامة﴾ للجزاء ﴿لا ريب فيه﴾ أى فى جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها حتما والاتيان بآبائهم حيث كان مزاحا للحكمة التشريعية امتنع ايقاعه ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ استدراك من قوله تعالى لا ريب فيه وهو اما من تمام الكلام المأمور به أو كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على أن ارتيابهم لجهلهم وقصورهم فى النظر والتفكر لا لأن فيه شائبة ريب ما ﴿ولله ملك السموات والارض﴾ بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلى فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى فى الناس بالاحياء والاماتة والبعث والجمع للمجازاة ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون﴾ العامل فى يوم يخسر ويومئذ بدل منه ﴿وترى كل أمة﴾ من الأمم المجموعة ﴿جاثية﴾ باركة على الركب مستوفزة وقرئ جاذية أى جالسة على أطراف الاصابع والجذو أشد استيفازا من الجثو وعن ابن عباس رضى الله عنهما جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة وهى الجماعة ﴿كل أمة تدعى الى كتابها﴾ الى صحيفة أعمالها وقرئ كل بالنصب على أنه بدل من الأول وتدعى صفة أو حال أو مفعول ثان ﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾ أى يقال لهم ذلك وقوله تعالى ﴿هذا كتابنا﴾ الخ من تمام ما يقال حينئذ وحيث كان كتاب كل أمة مكتوبا بأمر الله تعالى أضيف الى نون العظمة تفخيما لشأنه وتهويلا لامره فهذا مبتدأ وكتابنا خبره وقوله تعالى ﴿ينطق عليكم﴾ أى يشهد عليكم ﴿بالحق﴾ من غير زيادة ولا نقص خبر آخر أو حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى ﴿انا كنا نستنسخ﴾ الخ تعليل لنطقه عليهم باعمالهم من غير اخلال بشئ منها أى انا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة ﴿ما كنتم تعملون﴾ فى الدنيا من الأعمال حسنة كانت أو سيئة وقوله تعالى ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته﴾ أى فى جنته تفصيل لما يفعل بالامم بعد بيان ما خوطبوا به من الكلام المنطوى على الوعد والوعيد ﴿ذلك﴾ أى الذى ذكر من الادخال فى رحمته تعالى ﴿هو الفوز المبين﴾ الظاهر كونه فوزا لا فوز وراءه ﴿وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم﴾ أى فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع ألم يكن تأتيكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه ﴿فاستكبرتم﴾ عن الايمان بها ﴿وكنتم قوما مجرمين﴾ أى قوما عادتهم الاجرام ﴿واذا قيل ان وعد الله﴾ أى ما وعده من الامور الآتية أو وعده بذلك ﴿حق﴾ أى واقع لا محالة أو مطابق للواقع ﴿والساعة﴾ التى هى أشهر ما وعده ﴿لا ريب فيها﴾ أى فى وقوعها وقرئ والساعة بالنصب عطفا على اسم ان وقراءة الرفع للعطف على محل ان واسمها ﴿قلتم﴾ لغاية عتوكم ﴿ما ندرى ما الساعة﴾ أى أى شئ هى استغرابا لها ﴿ان نظن الا ظنا﴾ أى ما نفعل الا ظنا وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى ان أتبع الا ما يوحى الى وقيل ما نعتقد الا ظنا أى لا علما وقيل ما نحن الا نظن ظنا وقيل ما نظن الا ظنا ضعيفا ويرده قوله تعالى ﴿وما نحن بمستيقنين﴾ أى لامكانه فان مقابل الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هى الا حياتنا الدنيا ﴿وبدا لهم﴾ أى ظهر لهم حينئذ ﴿سيئات ما عملوا﴾ على ما هى عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها أو جزاءها فان جزاء السيئة سيئة ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ من الجزاء والعقاب ﴿وقيل اليوم ننساكم﴾ نترككم فى العذاب ترك المنسى ﴿كما نسيتم﴾ فى الدنيا ﴿لقاء يومكم هذا﴾ أى كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ﴿ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ أى ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم

منها ﴿ذلكم﴾ العذاب ﴿بأنكم﴾ بسبب أنكم ﴿اتخذتم آيات الله هزوا﴾ مهزوءا بها ولم ترفعوا لها رأسا ﴿وغرتكم الحيوة الدنيا﴾ فحسبتم أن لا حياة سواها ﴿فاليوم لايخرجون منها﴾ أى من النار وقرئ يخرجون من الخروج والالتفات الى الغيبة للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم أو بنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة النار ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أى يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أى يرضوه لفوات أوانه ﴿فلله الحمد﴾ خاصة ﴿رب السموات ورب الأرض رب العالمين﴾ فلا يستحق الحمد أحد سواه وتكرير الرب للتأكيد والايذان بأن ربوبيته تعالى لكل منها بطريق الاصالة وقرئ برفع الثلاثة على المدح باضمار هو ﴿وله الكبرياء فى السموات والأرض﴾ لظهور آثارها وأحكامها فيهما واظهارهما فى موقع الاضمار لتفخيم شأن الكبرياء ﴿وهو العزيز﴾ الذى لا يغلب ﴿الحكيم﴾ فى كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه وأطيعوه . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ حم الجاثية ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الأحقاف

(مكية وآيها أربع أو خمس وثلاثون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ الكلام فيه كالذى مر فى مطلع السورة السابقة ﴿ما خلقنا السموات والأرض﴾ بما فيهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار فيهما ﴿وما بينهما﴾ من المخلوقات ﴿الا بالحق﴾ استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أى الا خلقا ملتبسا بالحق الذى تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية أو من أعم الاحوال من فاعل خلقنا أو من مفعوله أى ما خلقناها فى حال من الاحوال الا حال ملابستنا بالحق أو حال ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات كماله وابتناء أفعاله على حكم بالغة وانتهائها الى غايات جليلة ما لا يخفى ﴿وأجل مسمى﴾ عطف على الحق بتقدير مضاف أى وبتقدير أجل مسمى ينتهى اليه أمر الكل وهو يوم القيامة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو آخر مدة البقاء المقدر لكل واحد ويأباه قوله تعالى ﴿والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾ فان ما أنذروه يوم القيامة وما فيه من الطامة التامة والاهوال العامة لا آخر أعمارهم وقد جوز كون ما مصدرية والجملة حالية أى ما خلقنا الخلق الا بالحق وتقدير الاجل الذى يجازون عنده والحال أنهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن الاستعداد له ﴿قل﴾ توبيخا لهم وتبكيتا ﴿أرأيتم﴾ أخبرونى وقرئ أرأيتكم ﴿ما تدعون﴾ ما تعبدون ﴿من دون الله﴾ من الاصنام ﴿أرونى﴾ تأكيد لأرأيتم ﴿ماذا خلقوا من الارض﴾ بيان للابهام فى ماذا ﴿أم لهم شرك﴾ أى شركة مع الله تعالى ﴿فى السموات﴾ أى فى خلقها أو ملكها وتدبيرها حتى يتوهم أن يكون لهم شائبة استحقاق للمعبودية فان ما لا مدخل له فى وجود شىء من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وان كان من الاحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد وقوله تعالى ﴿ائتونى بكتاب﴾ الخ تبكيت لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند نقلى بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلى أى ائتونى بكتاب الهى كائن ﴿من قبل هذا﴾ الكتاب أى القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم ﴿أو أثارة من علم﴾ أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة ﴿ان كنتم صادقين﴾ فى دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها برهان عقلى أو سلطان نقلى وحيث لم يقم عليها شىء منهما وقد قامت على

خلافهـا أدلة العقل والنقل تبين بطلانهـا وقرئ أثارة بكسر الهمزة أى مناظرة فانها تثير المعانى وأثرة أى شئ أوثرتم به وخصصتم من علم مطوى من غيركم وأثرة بالحركات الثلاث مع سكون الثاء أما المكسورة فبمعنى الاثرة وأما المفتوحة فهى المرة من أثر الحديث أى رواه وأما المضمومة فاسم مايؤثر كالخطبة التى هى اسم مايخطب به ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له ﴾ انكار ونفى لأن يكون أحد يساوى المشركين فى الضلال وان كان سبك التركيب لنفى الاضل منهم من غير تعرض لنفى المساوى كما مر غير مرة أى هم أضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير الى عبادة مصنوعهم العارى عن السمع والقدرة والاستجابة ﴿ الى يوم القيامة ﴾ غاية لنفى الاستجابة ﴿ وهم عن دعائهم ﴾ الضمير الاول لمفعول يدعو والثانى لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كما أن الافراد فيما سبق باعتبار لفظها ﴿ غافلون ﴾ لكونهم جمادات وضمائر العقلاء لاجرائهم اياها مجرى العقلاء ووصفها بمـا ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الآية ﴿ واذا حشر الناس ﴾ عند قيام القيامة ﴿ كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ أى مكذبين بلسان الحال أو المقال على مايروى أنه تعالى يحيى الاصنام فتتبرأ عن عبادتهم وقد جوز أن يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملائكة والجن والانس وغيرهم ويبنى ارجاع الضمائر واسناد العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم أو عن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ واضحات أو مبينات ﴿ قال الذين كفروا للحق ﴾ أى لاجله وفى شأنه وهو عبارة عن الآيات المتلوة ووضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيتهـا ووجوب الايمـان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة ﴿ لمـا جاءهم ﴾ أى فى أول ماجاءهم من غير تدبر وتأمل ﴿ هذا سحر مبين ﴾ أى ظاهر كونه سحرا ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم السابقة الى حكاية ماهو أشنع منها وما فى أم من الهمزة للانكار التوبيخى المتضمن للتعجيب أى بل أيقولون افترى القرآن ﴿ قل ان افتريتـه ﴾ على الفرض ﴿ فلا تملكون لى من الله شيئا ﴾ اذ لا ريب فى أنه تعالى يعاجلنى حينئذ بالعقوبة فكيف أجترئ على أن أفترى عليـه تعـالى كذبا فأعرض نفسى للعقوبة التى لا مناص عنها ﴿ هو أعلم بمـا تفيضون فيه ﴾ أى تندفعون فيه من القدح فى وحى الله والطعن فى آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى ﴿ كفى به شهيدا بينى وبينكم ﴾ حيث يشهد لى بالصدق والبـلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وقوله تعـالى ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم ﴿ قل ما كنت بدعا من الرسـل ﴾ البدع بمعنى البديع كالخل بمعنى الخليل وهو مالا مثل له وقرئ بفتح الدال على أنه صفة كقيم وزيم أو جمع مقدر بمضاف أى ذا بدع وقد جوز ذلك فى القراءة الاولى أيضا على أنه مصدر كانوا يقترحون عليه عليه الصلاة والسلام آيات عجيبة ويسألونه عن المغيبات عنادا ومكابرة فأمر عليه السلام بأن يقول لهم ما كنت بديعا من الرسل قادرا على مالم يقدروا عليه حتى آتيكم بكل ماتقترحونه وأخبركم بكل ماتسألون عنه من الغيوب فان من قبلى من الرسل عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يأتون الا بمـا آتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرونهم الا بمـا أوحى اليهم ﴿ وما أدرى مايفعل بى ولا بكم ﴾ أى أى شئ يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من أفعاله تعالى وماذا يقدر لنا من قضاياه وعن الحسن رضى الله عنه ماأدرى مايصير اليه أمرى وأمركم فى الدنيا وعن ابن عباس رضى الله عنهما مايفعل بى ولا بكم فى الآخرة وقال هى منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر وقيل يجوز أن يكون المنفى هى الدراية المفصلة والاظهر الاوفق لمـا ذكر

من سبب النزول أن ماعبارة عما ليس علمه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ماسيقع فى الآخرة فان العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحى الناطق بتفاصيل مايفعل بالجانبين هذا وقد روى عن الكلبي أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له عليه السلام وقد ضجروا من أذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ماأدرى مايفعل بى ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج الى أرض ذات نخيل وشجر قد رفعت لى ورأيتها يعنى فى منامه وجوز أن تكون ماموصولة والاستفهامية أقضى لحق مقام التبرؤ عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفى المنسحب اليه وتأكيده وقرئ مايفعل على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ﴿ان أتبع الا مايوحى الى﴾ أى ما أفعل الا اتباع مايوحى الى على معنى قصر أفعاله عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحى لاقصر اتباعه على الوحى كما هو المتسارع الى الافهام وقد مر تحقيقه فى سورة الانعام وقرئ يوحى على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه عليه السلام من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين أن يتخلصوا عن أذية المشركين والاول هو الأوفق لقوله تعالى ﴿وما أنا الا نذير﴾ أنذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى الى ﴿مبين﴾ بين الانذار بالمعجزات الباهرة ﴿قل أرأيتم ان كان﴾ أى مايوحى الى من القرآن ﴿من عند الله﴾ لاسحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى ﴿وكفرتم به﴾ حال باضمار قد من الضمير فى الخبر وسطت بين أجزاء الشرط مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر أو عطف على كان كما فى قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لاعلى أن نظمه فى سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حاله فى نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به أمر محقق عندهم أيضا وانما ترددهم فى أن ذلك كفر بما من عند الله تعالى أم لا وكذا الحال فى قوله تعالى ﴿وشهد شاهد من بنى اسرائيل﴾ وما بعده من الفعلين فان الكل أمور محققة عندهم وانما ترددهم فى أنها شهادة وايمان بما من عند الله تعالى واستكبار عنه أولا والمعنى أخبرونى ان كان ذلك فى الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشأن من بنى اسرائيل الواقفين على شؤن الله تعالى وأسرار الوحى بما أوتوا من التوراة ﴿على مثله﴾ أى مثل القرآن من المعانى المنطوية فى التوراة المطابقة لما فى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين مافيه فى الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفى زبر الاولين وقوله تعالى ان هذا لفى الصحف الأولى والمثلية باعتبار تأديتها بعبارات أخر أو على مثل ماذكر من كونه من عند الله تعالى والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء فى قوله تعالى ﴿فآمن﴾ للدلالة على أنه سارع الى الايمان بالقرآن لما علم أنه من جنس الوحى الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه فنظر الى الوجه الكريم فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه النبي المنتظر فقال له انى سائلك عن ثلاث لايعلمهن الانبي ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة والولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال عليه الصلاة والسلام أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فان سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا فقام ثم قال يارسول الله ان اليهود قوم بهت فان علموا باسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي عليه الصلاة والسلام أى رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أرأيتم ان أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت أخاف يارسول الله وأحذر قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشى على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد

موسى عليه السلام وشهادته بما فى التوراة من بعثة النبى عليهما الصلاة والسلام وبه قال الشعبى وقال مسروق والله مانزلت فى عبدالله بن سلام فان آل حم نزلت بمكة وانما أسلم عبد الله بالمدينة وأجاب الكلبى بأن الآية مدنية وان كانت السورة مكية ﴿واستكبرتم﴾ عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى أخبرونى ان كان من عند الله تعالى وشهد على ذلك أعلم بنى اسرائيل فآمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من أضل منكم بقرينة قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عندالله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد وقوله تعالى ﴿ان الله لايهدى القوم الظالمين﴾ فان عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم ﴿وقال الذين كفروا﴾ حكاية لبعض آخر من أقاويلهم الباطلة فى حق القرآن العظيم والمؤمنين به أى قال كفار مكة ﴿للذين آمنوا﴾ أى لاجلهم ﴿لو كان﴾ أى ماجاء به عليه الصلاة والسلام من القرآن والدين ﴿خيرا ماسبقونا اليه﴾ فان معالى الامور لاينالها أيدى الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعما منهم أن الرياسة الدينية مما ينال بأسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم أنها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية وأن من فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له منها من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار وقيل قاله اليهود حين أسلم عبدالله بن سلام وأصحابه ويأباه أن السورة مكية ولا بد حينئذ من الالتجاء الى ادعاء أن الآية نزلت بالمدينة ﴿واذ لم يهتدوا به﴾ ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده أى واذ لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا ﴿فسيقولون﴾ غير مكتفين بنفى خيريته ﴿هذا افك قديم﴾ كما قالوا أساطير الأولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك ﴿ومن قبله﴾ أى من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى ﴿كتاب موسى﴾ قيل والجملة حالية أو مستأنفة وأياما كان فهو لرد قولهم هذا افك قديم وابطاله فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعا ﴿اماما ورحمة﴾ حالان من كتاب موسى أى اماما يقتدى به فى دين الله تعالى وشرائعه كما يقتدى بالامام ورحمة من الله تعالى لمن آمن به وعمل بموجبه ﴿وهذا﴾ الذى يقولون فى حقه مايقولون ﴿كتاب﴾ عظيم الشأن ﴿مصدق﴾ أى لكتاب موسى الذى هو امام ورحمة أو لما من بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرئ كذلك ﴿لسانا عربيا﴾ حال من ضمير الكتاب فى مصدق أو من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وعلى الأول مصدق وقيل مفعول لمصدق أى يصدق ذا لسان عربى ﴿لينذر الذين ظلموا﴾ متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيد الأخير القراءة بتاء الخطاب ﴿وبشرى للمحسنين﴾ فى حيز النصب عطفا على محل لينذر وقيل فى محل الرفع على أنه خبر مبتدأ مضمر أى وهو بشرى وقيل على أنه عطف على مصدق ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ أى جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى أمور الدين التى هى منتهى العمل وثم للدلالة على تراخى رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد ﴿فلا خوف عليهم﴾ من لحوق مكروه ﴿ولا هم يحزنون﴾ من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفى الحزن لابيان نفى دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين ﴿أصحاب الجنة خالدين فيها﴾ حال من المستكن فى أصحاب وقوله تعالى ﴿جزاء﴾ منصوب اما بعامل مقدر أى يجزون جزاء أو بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى أولئك أصحاب الجنة فى معنى جازيناهم ﴿بما كانوا يعملون﴾ من الحسنات العلمية والعملية ﴿ووصينا الانسان﴾ بأن يحسن ﴿بوالديه احسانا﴾ وقرئ حسنا أى بأن يفعل بهما حسنا أى

فعلا ذا حسن أو كأنه فى ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرئ بضم السين أيضا و بفتحهما أى بأن يفعل بهما فعلا حسنا أو وصيناه ايصاء حسنا ﴿حملته أمه كرها ووضعته كرها﴾ أى ذات كره أو حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر ﴿وحمله وفصاله﴾ أى مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهى به كما أراد بالأمد المدة من قال

كل حى مستكمل مدة العمـــر ومود اذا انتهى أمده

﴿ثلاثون شهرا﴾ تمضى عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدائد لأجله وهذا دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لما أنه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة يبقى للحمل ذلك قيل ولعل تعيين أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما ﴿حتى اذا بلغ أشده﴾ أى اكتهل واستحكم قوته وعقله ﴿وبلغ أربعين سنة﴾ قيل لم يبعث نبى قبل أربعين وقرئ حتى اذا استوى و بلغ أشده ﴿قال رب أوزعنى﴾ أى ألهمنى وأصله أولعنى من أوزعته بكذا ﴿أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى﴾ أى نعمة الدين أو ما يعمها وغيرها ﴿وأن أعمل صالحا ترضاه﴾ التنكير للتفخيم والتكثير ﴿وأصلح لى فى ذريتى﴾ أى واجعل الصلاح ساريا فى ذريتى راسخا فيهم كما فى قوله يجرح فى عراقيبها نصلى قال ابن عباس أجاب الله تعالى دعاء أبى بكر رضى الله عنهم فأعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيأ من الخير الا أعانه الله تعالى عليه ودعا أيضا فقال وأصلح لى فى ذريتى فأجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام أبويه وأولاده جميعا فأدرك أبوه أبو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن بن أبى بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبى عليه الصلاة والسلام ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ﴿انى تبت اليك﴾ عما لا ترضاه أو عما يشغلنى عن ذكرك ﴿وانى من المسلمين﴾ الذين أخلصوا لك أنفسهم ﴿أولئك﴾ اشارة الى الانسان والجمع لأن المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكى عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته و بعد منزلته أى أولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة ﴿الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا﴾ من الطاعات فان المباح حسن ولا يثاب عليه ﴿ونتجاوز عن سيئاتهم﴾ وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع أحسن على أنه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور ﴿فى أصحاب الجنة﴾ أى كائنين فى عدادهم منتظمين فى سلكهم ﴿وعد الصدق﴾ مصدر مؤكد لما أن قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز ﴿الذى كانوا يوعدون﴾ على ألسنة الرسل ﴿والذى قال لوالديه﴾ عند دعوتهما له الى الايمان ﴿أف لكما﴾ هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان المؤفف له كما فى هيت لك وقرئ أف بالفتح والكسر بغير تنوين و بالحركات الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك أخبر عنه بالمجموع كما سبق قيل هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما روى من أنها نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما قبل اسلامه يرده ما سيأتى من قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول الآية فانه كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضى الله عنها من قال ذلك ﴿أتعداننى أن أخرج﴾ أبعث من القبر بعد الموت وقرئ أخرج من الخروج ﴿وقد خلت القرون من قبلى﴾ ولم يبعث منهم أحد ﴿وهما يستغيثان الله﴾ يسألانه أن يغيثه و يوفقه للايمان ﴿ويلك﴾ أى قائلين له ويلك وهو فى الأصل دعاء عليه بالثبور أريد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك ﴿آمن ان وعد الله حق﴾ أى البعث أضافه

اليه تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على خطئه فى اسناد الوعد اليه أوقرئ أن وعد الله أى آمن بأن وعد الله حق ﴿فيقول﴾ مكذبا لهما ﴿ماهذا﴾ الذى تسميانه وعد الله ﴿الا أساطير الأولين﴾ أباطيلهم التى سطروها فى الكتب من غير أن يكون لها حقيقة ﴿أولئك﴾ القائلون هذه المقالات الباطلة ﴿الذين حق عليهم القول﴾ وهو قوله تعالى لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس﴾ وقد مر تفسيره فى سورة الم السجدة ﴿انهم﴾ جميعا ﴿كانوا خاسرين﴾ قد ضيعوا فطرتهم الأصلية الجارية مجرى رؤس أموالهم باتباعهم الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيقى ﴿ولكل﴾ من الفريقين المذكورين ﴿درجات مما عملوا﴾ مراتب من أجزية ماعملوا من الخير والشر والدرجات غالبة فى مراتب المثوبة وايرادها ههنا بطريق التغليب ﴿وليوفيهم أعمالهم﴾ أى أجزية أعمالهم وقرئ بنون العظمة ﴿وهم لايظلمون﴾ بنقص ثواب الأولين وزيادة عقاب الآخرين والجملة اما حال مؤكدة للتوفية أو استئناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل مافعل من تقدير الأجزية على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ أى يعذبون بها من قولهم عرض الأسارى على السيف أى قتلوا وقيل يعرض النار عليهم بطريق القلب مبالغة ﴿أذهبتم طيباتكم﴾ أى يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف وقرئ أأذهبتم بهمزتين وبألف بينهما على الاستفهام التوبيخى أى أصبتم وأخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها ﴿فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ فلم يبق لكم بعد ذلك شئ منها ﴿فاليوم تجزون عذاب الهون﴾ أى الهوان وقد قرئ كذلك ﴿بما كنتم﴾ فى الدنيا ﴿تستكبرون فى الارض بغير الحق﴾ بغير استحقاق لذلك ﴿وبما كنتم تفسقون﴾ أى تخرجون عن طاعة الله عز وجل أى بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون بكسر السين ﴿واذكر﴾ أى لكفار مكة ﴿أخا عاد﴾ أى هودا عليه السلام ﴿اذ أنذر قومه﴾ بدل اشتمال منه أى وقت انذاره اياهم ﴿بالاحقاف﴾ جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة ﴿وقد خلت النذر﴾ أى الرسل جمع نذير بمعنى المنذر ﴿من بين يديه﴾ أى من قبله ﴿ومن خلفه﴾ أى من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين أنذر قومه وبين قوله ﴿أن لاتعبدوا الا الله﴾ مسارعة الى ماذكر من التقرير والتأكيد وايذانا باشتراكهم فى العبارة المحكية والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم وأما جعلها حالا من فاعل أنذر على معنى أنه عليه الصلاة والسلام أنذرهم وقال لهم لاتعبدوا الا الله ﴿انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ وقد أعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره فمع مافيه من تكلف تقدير الاعلام لابد فى نسبة الخلو الى من بعده من الرسل من تنزيل الآتى منزلة الخالى ﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا﴾ أى تصرفنا ﴿عن آلهتنا﴾ عن عبادتها ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ من العذاب العظيم ﴿ان كنت من الصادقين﴾ فى وعدك بنزوله بنا ﴿قال انما العلم﴾ أى بوقت نزوله أو العلم بجميع الأشياء التى من جملتها ذلك ﴿عند الله﴾ وحده لاعلم لى بوقت نزوله ولا مدخل لى فى اتيانه وحلوله وانما علمه عند الله تعالى فيأتيكم به فى وقته المقدر له ﴿وأبلغكم ماأرسلت به﴾ من مواجب الرسالة التى من جملتها بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرئ أبلغكم من الابلاغ ﴿ولكنى أراكم قوما تجهلون﴾ حيث

تقترحون على ماليس من وظائف الرسل من الاتيان بالعذاب وتعيين وقته والفاء فى قوله تعالى ﴿ فلما رأوه ﴾ فصيحة والضمير اما مبهم يوضحه قوله تعالى ﴿ عارضا ﴾ اما تمييزا أو حالا أو راجع الى ما استعجلوه بقولهم فأتنا بما تعدنا أى فأتاهم فلما رأوه سحابا يعرض فى أفق السماء ﴿ مستقبل أوديتهم ﴾ أى متوجه أوديتهم والاضافة فيه لفظية كما فى قوله تعالى ﴿ قالوا هذا عارض ممطرنا ﴾ ولذلك وقعا وصفين للنكرة ﴿ بل هو ﴾ أى قال هود وقد قرىء كذلك وقرىء قل وهو رد عليهم أى ليس الأمر كذلك بل هو ﴿ ما استعجلتم به ﴾ من العذاب ﴿ ريح ﴾ بدل من ما أو خبر لمبتدا محذوف ﴿ فيها عذاب أليم ﴾ صفة لريح وكذا قوله تعالى ﴿ تدمر ﴾ أى تهلك ﴿ كل شىء ﴾ من نفوسهم وأموالهم ﴿ بأمر ربها ﴾ وقرىء يدمر كل شىء من دمر دمارا اذا هلك فالعائد الى الموصوف محذوف أو هو الهاء فى ربها ويجوز أن يكون استئنافا واردا لبيان أن لكل ممكن فناء مقضيا منوطا بأمر بارئه وتكون الهاء لكل شىء لكونه بمعنى الأشياء وفى ذكر الأمر والرب والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل مالا يخفى والفاء فى قوله تعالى ﴿ فأصبحوا لايرى الا مساكنهم ﴾ فصيحة أى فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لايرى الا مساكنهم وقرىء ترى بالتاء ونصب مساكنهم خطابا لكل أحد يتأتى منه الرؤية تنبيها على أن حالهم بحيث لو حضر كل أحد بلادهم لايرى فيها الا مساكنهم ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك الجزاء الفظيع ﴿ نجزى القوم المجرمين ﴾ وقد مر تفصيل القصة فى سورة الأعراف وقد روى أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها فى الجو حتى ترى كأنها جرادة قيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروى أن أول ماعرفوا به أنه عذاب ماراوا ما كان فى الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم فأمال الله تعالى الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم فى البحر وروى أن هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود ومن معه فى حظيرة مايصيبهم من الريح الا مايلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة ﴿ ولقد مكناهم ﴾ أى قررناعادا أو أقدرناهم وما فى قوله تعالى ﴿ فيما ان مكناكم فيه ﴾ موصولة أو موصوفة وان نافية أى فى الذى أو فى شىء مامكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادى التصرفات كما فى قوله تعالى ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم ومما يحسن موقع ان ههنا التفصى عن تكرر لفظة ماوهو الداعى الى قلب ألفها هاء فى مهما وجعلها شرطية أو زائدة مما لايليق بالمقام ﴿ وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ﴾ ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤن منعمها عز وجل ويداوموا على شكره ﴿ فما أغنى عنهم سمعهم ﴾ حيث لم يستعملوه فى استماع الوحى ومواعظ الرسل ﴿ ولا أبصارهم ﴾ حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة فى صحائف العالم ﴿ ولا أفئدتهم ﴾ حيث لم يستعملوها فى معرفة الله تعالى ﴿ من شىء ﴾ أى شيئا من الاغناء ومن مزيدة للتأكيد وقوله تعالى ﴿ اذ كانوا يجحدون بآيات الله ﴾ متعلق بما أغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ماأضيف اليه فان قولك أكرمته اذ أكرمنى فى قوة قولك أكرمته لاكرامه لانك اذا أكرمته وقت أكرامه فانما أكرمته فيه لوجود اكرامه فيه وكذا الحال فى حيث ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ من العذاب الذى كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ﴿ ولقد أهلكنا ماحولكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ من القرى ﴾ كحجر ثمود وقرى قوم لوط ﴿ وصرفنا الآيات ﴾ كررناها لهم ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ لكى يرجعوا عما هم فيه من الكفر

والمعاصى ﴿فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة﴾ القربان مايتقرب به الى الله تعالى وأحد مفعولى اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثانى آلهة وقربانا حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال كونها متقربا بها الى الله تعالى حيث كانوا يقولون مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فان البدل وان كان هو المقصود لكنه لابد فى غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب فى أن قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا أى متقربا به مما لاصحة له قطعا لأنه تعالى متقرب اليه لامتقرب به فلا يصح أنهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله فى ذلك وقرىء قربانا بضم الراء ﴿بل ضلوا عنهم﴾ أى غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرهم لغيبتهم أوضاعوا عنهم أى ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور ﴿وذلك﴾ أى ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرهم ﴿افكهم﴾ أى أثر افكهم الذى هو اتخاذهم اياها آلهة ونتيجة شركهم وقرىء افكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقرىء أفكهم على صيغة الماضى فذلك اشارة حينئذ الى الاتخاذ أى وذلك الاتخاذ الذى هذه ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرىء افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم من الافعال أى جعلهم آفكين وقرىء آفكهم على صيغة اسم الفاعل مضافا الى ضمير هم أى قولهم الافك أى ذو الافك كما يقال قول كاذب ﴿وما كانوا يفترون﴾ عطف على افكهم أى وأثر افترائهم على الله تعالى أوأثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرىء وذلك افك مما كانوا يفترون أى بعض ما كانوا يفترون من الافك ﴿واذصرفنا اليك نفرا من الجن﴾ أملناهم اليك وأقبلنابهم نحوك وقرىء صرفنا بالتشديد للتكثير لانهم جماعة وهوالسر فى جمع الضمير فى قوله تعالى ﴿يستمعون القرآن﴾ ومابعده وهوحال مقدرة من نفرا لتخصصه بالصفة أو صفة أخرى له أى واذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا كائنا من الجن مقدرا استماعهم القرآن ﴿فلما حضروه﴾ أى القرآن عند تلاوته أو الرسول عند تلاوته له على الالتفات والأول هو الاظهر ﴿قالوا﴾ أى قال بعضهم لبعض ﴿أنصتوا﴾ أى اسكتوا لنسمعه ﴿فلما قضى﴾ أتم وفرغ عن تلاوته وقرىء على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا يؤيد عود ضمير حضروه اليه عليه الصلاة والسلام ﴿ولوا الى قومهم منذرين﴾ مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم . روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو ستة نفر من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادى نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى جوف الليل يصلى أو فى صلاة الفجر فاستمعوا القراءته وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ماقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو فى صلاته فروا به فوقفوا مستمعين وهو لايشعر بهم فأنبأه الله تعالى باستماعهم وقيل بل أمره الله تعالى أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال عليه الصلاة والسلام انى أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى قالها ثلاثا فأطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة فى شعب الحجون خط لى خطا فقال لاتخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ماأسمع صوته عليه الصلاة والسلام ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيأ قلت نعم رجالا سودا مستشعرى ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر ألفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك ﴿قالوا﴾ أى عند رجوعهم الى قومهم ﴿يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى﴾ قيل قالوه

لأنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام ﴿ مصدقا لما بين يديه ﴾ أرادوا به التوراة ﴿ يهدى الى الحق ﴾ من العقائد الصحيحة ﴿ والى طريق مستقيم ﴾ موصل اليه وهو الشرائع والأعمال الصالحة ﴿ ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به ﴾ أرادوا به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تعالى بعد ما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما دعوهم الى ذلك بعد بيان حقيته واستقامته ترغيبا لهم فى الاجابة ثم أكدوه بقولهم ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ أى بعض ذنوبكم وهو ما كان فى خالص حق الله تعالى فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان ﴿ ويجركم من عذاب أليم ﴾ معد للكفرة واختلف فى أن لهم أجرا غير هذا أو لا والأظهر أنهم فى حكم بنى آدم ثوابا وعقابا وقوله تعالى ﴿ ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض ﴾ ايجاب للاجابة بطريق الترهيب اثر ايجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين واظهار داعى الله من غير اكتفاء بأحد الضميرين للمبالغة فى الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه فى الأرض لتوسيع الدائرة أى فليس بمعجز له تعالى بالهرب وان هرب كل مهرب من أقطارها أودخل فى أعماقها وقوله تعالى ﴿ وليس له من دونه أولياء ﴾ بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الأولياء باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد الى الآحاد كما أن الجمع فى قوله تعالى ﴿ أولئك ﴾ بذلك الاعتبار أى أولئك الموصوفون بعدم اجابة داعى الله ﴿ فى ضلال مبين ﴾ أى ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على أحد حيث أعرضوا عن اجابة من هذا شأنه ﴿ أولم يروا ﴾ الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية أى ألم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما متاخما للمشاهدة والعيان أن الله ﴿ الذى خلق السموات والأرض ﴾ ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ﴿ ولم يعى بخلقهن ﴾ أى لم يتعب ولم ينصب بذلك أصلا أو لم يعجز عنه يقال عييت بالأمر اذا لم يعرف وجهه وقوله تعالى ﴿ بقادر ﴾ فى حيز الرفع لأنه خبر أن كما ينبئ عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها فى القراءة الأولى اشتمال النفى الوارد فى صدر الآية على أن وما فى حيزها كأنه قيل أوليس الله بقادر ﴿ على أن يحيى الموتى ﴾ ولذلك أجيب عنه بقوله تعالى ﴿ بلى انه على كل شئ قدير ﴾ تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار ﴾ ظرف عامله قول مضمر مقوله ﴿ أليس هذا بالحق ﴾ على أن الاشارة الى ما يشاهدونه حينئذ من حيث هو من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه اذ هو اللائق بتهويله وتفخيمه وقد مر فى سورة الاحزاب وقيل هى الى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين ﴿ قالوا بلى وربنا ﴾ أكدوا جوابهم بالقسم كأنهم يطمعون فى الخلاص بالاعتراف بحقيتها كما فى الدنيا وأنى لهم ذلك ﴿ قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ بها فى الدنيا ومعنى الأمر الاهانة بهم والتوبيخ لهم والفاء فى قوله تعالى ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ جواب شرط محذوف أى اذا كان عاقبة أمر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر أولو الثبات والحزم من الرسل فانك من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد بأولى العزم أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا فى تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع

لبثة على لبثة صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين ﴿ولا تستعجل لهم﴾ أى لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون﴾ من العذاب ﴿لم يلبثوا﴾ فى الدنيا ﴿الا ساعة﴾ يسيرة ﴿من نهار﴾ لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى ﴿بلاغ﴾ خبر مبتدا محذوف أى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة أو تبليغ من الرسول ويؤيده أنه قرئ بلغ وقرئ بلاغا أى بلغوا بلاغا ﴿فهل يهلك الا القوم الفاسقون﴾ أى الخارجون عن الاتعاظ به أو عن الطاعة وقرئ بفتح الياء وكسر اللام وبفتحهما من هلك وهلك وبنون العظمة من الاهلاك ونصب القوم ووصفه . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى سورة القتال

﴿وهى مدنية وقيل مكية وآيها تسع أو ثمان وثلاثون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ أى أعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا أو منعوا الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من أهل الشرك كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل فى الاسلام وقيل هو عام فى كل من كفر وصد ﴿أضل أعمالهم﴾ أى أبطلها وأحبطها وجعلها ضائعة لا أثر لها أصلا لكن لا بمعنى أنه أبطلها وأحبطها بعد أن لم تكن كذلك بل بمعنى أنه حكم ببطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملون من أعمال البر كصلة الأرحام وقرى الاضياف وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها أثر من أصلها لعدم مقارنتها للايمان أو أبطل ما عملوا من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سيأتى من قوله تعالى فتعسا لهم وأضل أعمالهم وقوله تعالى فاذا لقيتم الخ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ قيل هم ناس من قريش وقيل من الأنصار وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب وقيل عام للكل ﴿وآمنوا بما نزل على محمد﴾ خص بالذكر الايمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها بشأنه وتنبيها على سمو مكانه من بين سائر ما يجب الايمان به وأنه الاصل فى الكل ولذلك أكد بقوله تعالى ﴿وهو الحق من ربهم﴾ بطريق حصر الحقية فيه وقيل حقيته بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الأول مقابل الباطل وأيا ما كان فقوله تعالى من ربهم حال من ضمير الحق وقرئ نزل على البناء للفاعل وأنزل على البناءين ونزل بالتخفيف ﴿كفر عنهم سيئاتهم﴾ أى سترها بالايمان والعمل الصالح ﴿وأصلح بالهم﴾ أى حالهم فى الدين والدنيا بالتأييد والتوفيق ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما مر من اضلال الأعمال وتكفير السيئات واصلاح البال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم﴾ أى ذلك كائن بسبب أن الأولين اتبعوا الشيطان كما قاله مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعه للاضلال المذكور متضمن لبيان سببيتهما له لكونه أصلا مستتبعا لهما قطعا وبسبب أن الآخرين اتبعوا الحق الذى لا محيد عنه كائنا من ربهم ففعلوا ما فعلوا من الايمان به وبكتابه ومن الأعمال الصالحة فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيتهما له لكونه مبدأ ومنشأ لهما حتما فلا تدافع بين الاشعار والتصريح فى شئ من الموضعين ويجوز أن يحمل الباطل

على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب الذى لا أصل له أصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال أعمالهم وابطالها لبيان أن ابطالها لبطلان مبناها وزواله وأما حمله على مالا ينتفع به فليس كما ينبغى لما أن الكفر والصد أخش منه فلاوجه للتصريح بسببيته لما ذكر من اضلال أعمالهم بطريق القصر بعد الاشعار بسببيتهما له فتدبر ويجوز أن يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان والأعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا بالسببية المشعر بها فى الموقعين ﴿كذلك﴾ أى مثل ذلك الضرب البديع ﴿يضرب الله﴾ أى يبين ﴿للناس أمثالهم﴾ أى أحوال الفريقين وأوصافهما الجارية فى الغرابة مجرى الأمثال وهى اتباع الأولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الآخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء فى قوله تعالى ﴿فاذا لقيتم الذين كفروا﴾ لترتيب مافى حيزها من الأمر على ماقبلها فان ضلال أعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح أحوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب أن يترتب على كل من الجانبين مايليق به من الأحكام أى فاذا كان الأمر كما ذكر فاذا لقيتموهم فى المحاربة ﴿فضرب الرقاب﴾ أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتأكيد بليغ والتعبير به عن القتل تصوير له بأشنع صورة وتهويل لأمره وارشاد للغزاة الى أيسر مايكون منه ﴿حتى اذا أثخنتموهم﴾ أى أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشىء الثخين وهو الغليظ أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض ﴿فشدوا الوثاق﴾ فأسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرىء بذلك ﴿فاما منا بعد واما فداء﴾ أى فاما تمنون منا بعد ذلك أو تفدون فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعى رحمه الله تعالى وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل أو الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق وقرىء فدا كعصا ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التى لاتقوم الابها من السلاح والكراع وأسند وضعها اليها وهو لأهلها اسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعى لأحد الامور الأربعة أو للمجموع والمعنى أنهم لايزالون على ذلك أبدا الى أن لايكون مع المشركين حرب بأن لاتبقى لهم شوكة وقيل بأن ينزل عيسى عليه السلام وأما عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى فان حمل الحرب على حرب بدر فهى غاية للمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها وان حملت على الجنس فهى غاية للضرب والشد والمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب أوزارها بأن لايبقى للمشركين شوكة وقيل أوزارها آثامها أى حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بأن أسلموا ﴿ذلك﴾ أى الأمر ذلك أو افعلوا ذلك ﴿ولو يشاء الله لانتصر منهم﴾ لانتقم منهم ببعض أسباب الهلكة والاستئصال ﴿ولكن﴾ لم يشأ ذلك ﴿ليبلو بعضكم ببعض﴾ فأمركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على أيديكم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر ﴿والذين قتلوا فى سبيل الله﴾ أى استشهدوا وقرىء قاتلوا أى جاهدوا وقتلوا وقتلوا ﴿فلن يضل أعمالهم﴾ أى فلن يضيعها وقرىء يضل أعمالهم على البناء للمفعول ويضل أعمالهم من ضل وعن قتادة أنها نزلت فى يوم أحد ﴿سيهديهم﴾ فى الدنيا الى أرشد الامور وفى الآخرة الى الثواب أو سيثبت هدايتهم ﴿ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ فى الدنيا بذكر أوصافها بحيث اشتاقوا اليها أو بينها لهم بحيث يعلم كل أحد منزله ويهتدى اليه كأنه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل أن الملك الموكل بعمله فى الدنيا يمشى بين يديه فيعرفه كل شىء أعطاه الله تعالى أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة أو حددها لهم وأفرزها من عرف الدار فجنة كل منهم محددة مفرزة والجملة اما مستأنفة أو حال باضمار قد أو بدونه ﴿ياأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله﴾ أى دينه ورسوله

﴿ينصركم﴾ على أعدائكم ويفتح لكم ﴿ويثبت أقدامكم﴾ فى مواطن الحرب ومواقفها أو على محجة الاسلام ﴿والذين كفروا فتعساً لهم﴾ التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط ورجل تاعس وتعس وانتصابه بفعله الواجب حذفه سماعاً أى فقال تعساً لهم أو فقضى تعساً لهم وقوله تعالى ﴿وأضل أعمالهم﴾ عطف عليه داخل معه فى حيز الخبرية للموصول ﴿ذلك﴾ أى ماذكر من التعس واضلال الأعمال ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿كرهوا ما أنزل الله﴾ من القرآن لما فيه من التوحيد وسائر الأحكام المخالفة لما ألفوه واشتهته أنفسهم الامارة بالسوء ﴿فأحبط﴾ لأجل ذلك ﴿أعمالهم﴾ التى لو كانوا عملوها مع الايمان لأثيبوا عليها ﴿أفلم يسيروا فى الارض﴾ أى أقعدوا فى أماكنهم فلم يسيروا فيها ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ من الامم المكذبة فان آثار ديارهم تنبئ عن أخبارهم وقوله تعالى ﴿دمر الله عليهم﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله تعالى عليهم مااختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم يقال دمره أهلكه ودمر عليه أهلك عليه مايختص به ﴿وللكافرين﴾ أى ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم ﴿أمثالها﴾ أمثال عواقبهم أو عقوباتهم لكن لا على أن لهؤلاء أمثال مالأولئك وأضعافه بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الامم المعذبة وقيل يجوز أن يكون عذابهم أشد من عذاب الأولين وقد قتلوا وأسروا بأيدى من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل أشد الممامن الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كأنه قيل دمر الله عليهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة أمثالها ﴿ذلك﴾ اشارة الى ثبوت أمثال عقوبة الامم السالفة لهؤلاء ﴿بأن الله مولى الذين آمنوا﴾ أى ناصرهم على أعدائهم وقرئ ولى الذين ﴿وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ فيدفع عنهم ماحل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الاخروية ﴿والذين كفروا يتمتعون﴾ أى ينتفعون فى الدنيا بمتاعها ﴿ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾ غافلين عن عواقبهم ﴿والنار مثوى لهم﴾ أى منزل ثواء واقامة والجملة اما حال مقدرة من واو يأكلون أو استئناف ﴿وكأين﴾ كلمة مركبة من الكاف وأى بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى ﴿من قرية﴾ تمييز لها وقوله تعالى ﴿هى أشد قوة من قريتك﴾ صفة لقرية كما أن قوله تعالى ﴿التى أخرجتك﴾ صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف وأجرى أحكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذى هو قوله تعالى ﴿أهلكناهم﴾ أى وكم من أهل قرية هم أشد قوة من أهل قريتك الذين كانوا سبباً لخروجك من بينهم ووصف القرية الاولى بشدة القوة للايذان بأولوية الثانية منها بالاهلاك لضعف قوتها كما أن وصف الثانية باخراجه عليه الصلاة والسلام للايذان بأولويتها به لقوة جنايتها وعلى طريقته قول النابغة

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا وأيسر جرما منك ضرج بالدم

وقوله تعالى ﴿فلا ناصر لهم﴾ بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بأنفسهم والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية حال ماضية ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ تقرير لتباين حالى فريقى المؤمنين والكافرين وكون الاولين فى أعلى عليين والآخرين فى أسفل سافلين وبيان لعلة مالكل منهما من الحال والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين بأدلة الدين وجعلها عبارة عن النبى عليه الصلاة والسلام أو عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على أن الموازنة بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم مما يأباه منصبه الجليل والتقدير أليس الأمر كما ذكر فمن كان مستقراً على حجة ظاهرة

وبرهان نير من مالك أمره ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية ﴿كمن زين له سوء عمله﴾ من الشرك وسائر المعاصي مع كونه في نفسه أقبح القبائح ﴿واتبعوا﴾ بسبب ذلك التزيين ﴿أهواءهم﴾ الزائغة وانهمكوا في فنون الضلالات من غير أن يكون لهم شبهة توهم صحة ماهم عليه فضلا عن حجة تدل عليه وجمع الضميرين الاخيرين باعتبار معنى من كما أن افراد الأولين باعتبار لفظها ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفا للمؤمنين وبيان كيفية أنهارها التي أشير الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا بأن الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذي هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها وصفها العجيب الشأن وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله تعالى ﴿فيها أنهار﴾ الخ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب لصدر النظم الكريم وقيل المثل زائدة كزيادة الاسم في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما والجنة مبتدأ خبره فيها أنهار الخ ﴿من ماء غير آسن﴾ أي غير متغير الطعم والرائحة وقرئ غير أسن ﴿وأنهار من لبن لم يتغير طعمه﴾ بأن صار قارصا ولا حازرا كألبان الدنيا ﴿وأنهار من خمر لذة للشاربين﴾ لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر ولا خمار وانما هي تلذذ محض ولذة اما تأنيث لذ بمعنى لذيذ أو مصدر نعت به مبالغة وقرئ لذة بالرفع على أنها صفة أنهار وبالنصب على العلة أي لأجل لذة الشاربين ﴿وأنهار من عسل مصفى﴾ لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجري مجرى الاشربة في الجنة بأنواع ما يستطاب منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينغصها وينقصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها ﴿ولهم فيها﴾ مع ما ذكر من فنون الانهار ﴿من كل الثمرات﴾ أي صنف من كل الثمرات ﴿ومغفرة﴾ أي ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى ﴿من ربهم﴾ متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أي كائنة من ربهم وقوله تعالى ﴿كمن هو خالد في النار﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره أمن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على أن في الكلام حذفا تقديره أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار أو أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالد في النار فعرى عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار ﴿وسقوا ماء حميما﴾ مكان تلك الأشربة ﴿فقطع أمعاءهم﴾ من فرط الحرارة قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع أمعاءهم ﴿ومنهم من يستمع اليك﴾ هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظ من كما أن جمعه فيما سيأتي باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم ﴿حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم﴾ من الصحابة رضي الله عنهم ﴿ماذا قال آنفا﴾ أي ما الذي قال الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وآنفا من قولهم أنف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشيء وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا أو حال من الضمير في قال وقرئ أنفا ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿الذين طبع الله على قلوبهم﴾ لعدم توجههم نحو الخير أصلا ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه ﴿والذين اهتدوا﴾ الى طريق الحق ﴿زادهم﴾ أي الله تعالى ﴿هدى﴾ بالتوفيق والالهام ﴿وآتاهم تقواهم﴾ أعانهم على تقواهم أو أعطاهم جزاءها أو بين لهم ما يتقون ﴿فهل ينظرون الا الساعة﴾ أي القيامة وقوله تعالى ﴿أن تأتيهم بغتة﴾ أي تباغتهم بغتة وهي المفاجأة بدل اشتمال من الساعة والمعنى أنهم لا يتذكرون بذكر أهوال

لأمم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها من عظائم الأهوال وما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة
وقرئ بغتة بفتح الغين وقوله تعالى ﴿فقد جاء أشراطها﴾ تعليل لمفاجأتها لا لاتيانها مطلقا على معنى أنه لم يبق من الأمور
الموجبة للتذكر أمر مترقب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة اذ قد جاء أشراطها فلم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من
مبادى اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجأة لا محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهى العلامة والمراد بها مبعثه صلى
الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى ﴿فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم﴾ حكم بخطئهم وفساد رأيهم فى تأخير
التذكر الى اتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى أى وكيف لهم ذكراهم
اذا جاءتهم على أن أنى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق
المجىء عن قيد البغتة لما أن مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئه مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ ان تأتهم على أنه
شرط مستأنف جزاؤه فأنى لهم الخ والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر أماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم اذا
جاءتهم ﴿فاعلم أنه لا اله الا الله﴾ أى اذا علمت أن مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك
والعصيان فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه ﴿واستغفر لذنبك﴾ وهو الذى ربما يصدر
عنه عليه الصلاة والسلام من ترك الأولى عبر عنه بالذنب نظرا الى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الابرار سيئات المقربين
وارشاد له عليه الصلاة والسلام الى التواضع وهضم النفس واستقصار العمل ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ أى لذنوبهم
بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعى غفرانهم وفى اعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفى حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم فى الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار ﴿والله يعلم متقلبكم﴾ فى الدنيا فانها
مراحل لابد من قطعها لا محالة ﴿ومثواكم﴾ فى العقبى فانها موطن اقامتكم فلا يأمركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا
الى الامتثال بما أمركم به فانه المهم لكم فى المقامين وقيل يعلم جميع أحوالكم فلا يخفى عليه شىء منها ﴿ويقول الذين آمنوا﴾
حرصا منهم على الجهاد ﴿لولا نزلت سورة﴾ أى هلا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد ﴿فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها
القتال﴾ بطريق الأمر به أى سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها لوجه آخر سوى وجوب القتال . عن قتادة كل سورة
فيها ذكر القتال فهى محكمة لم تنسخ وقرئ فاذا نزلت سورة وقرئ وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال
﴿رأيت الذين فى قلوبهم مرض﴾ أى ضعف فى الدين وقيل نفاق وهو الأظهر الاوفق لسياق النظم الكريم ﴿ينظرون
اليك نظر المغشى عليه من الموت﴾ أى تشخص أبصارهم جبنا وهلعا كدأب من أصابته غشية الموت ﴿فأولى لهم﴾
أى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه أو يؤول اليه أمرهم
وقيل هو مشتق من الويل وأصله أويل نقلت العين الى ما بعد اللام فوزنه أفلع ﴿طاعة وقول معروف﴾ كلام
مستأنف أى أمرهم طاعة الخ أو طاعة وقول معروف خير لهم أو حكاية لقولهم ويؤيده قراءة أبى يقولون طاعة وقول
معروف أى أمرنا ذلك ﴿فاذا عزم الأمر﴾ أسند العزم وهو الجد الى الأمر وهو لأصحابه مجازا كما فى قوله تعالى ان
ذلك من عزم الأمور وعامل الظرف محذوف أى خالفوا وتخلفوا وقيل ناقضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى
﴿فلو صدقوا الله﴾ على طريقة قولك اذا حضرنى طعام فلو جئتنى لأطعمتك أى فلو صدقوه تعالى فيما قالوا من الكلام المنبئ
عن الحرص على الجهاد بالجرى على موجبه ﴿لكان﴾ أى الصدق ﴿خيرا لهم﴾ وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكى
عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوه فى الايمان وواطأت قلوبهم فى ذلك ألسنتهم وأياما كان فالمراد
بهم الذين فى قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى ﴿فهل عسيتم﴾ الخ بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد

التقريع أى هل يتوقع منكم ﴿ان توليتم﴾ أمور الناس وتأمرتم عليهم ﴿أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا فان من شاهد أحوالكم الدالة على الضعف فى الدين والحرص على الدنيا حين أمرتم بالجهاد الذى هو عبارة عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وأنتم مأمورون شأنكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا أطلقت أعنتكم وصرتم آمرين ما ذكر من الافساد وقطع الأرحام وقيل ان أعرضتم عن الاسلام أن ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الافساد فى الأرض بالتغاور والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأقارب بعضا ووأد البنات وفيه أن الواقع فى حيز الشرط فى مثل هذا المقام لابد أن تكون محذوريته باعتبار مايستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب فى أن الاعراض عن الاسلام رأس كل شر وفساد فحقه أن يجعل عمدة فى التوبيخ لا وسيلة للتوبيخ بما دونه من المفاسد وقرىء وليتم على البناء للمفعول أى جعلتم ولاة وقرىء توليتم أى تولاكم ولاة جور خرجتم معهم وساعدتموهم فى الافساد وقطيعة الرحم وقرىء وتقطعوا من التقطع بحذف احدى التاءين فانتصاب أرحامكم حينئذ على نزع الجار أى فى أرحامكم وقرىء وتقطعوا من القطع والحاق الضمير بعسى لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا ﴿أولئك﴾ اشارة الى المخاطبين بطريق الالتفات ايذانا بأن ذكر هناتهم أوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية أحوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدأ خبره ﴿الذين لعنهم الله﴾ أى أبعدهم من رحمته ﴿فأصمهم﴾ عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم ﴿وأعمى أبصارهم﴾ لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة فى الانفس والآفاق ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ أى ألا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لايقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات ﴿أم على قلوب أقفالها﴾ فلا يكاد يصل اليها ذكر أصلا وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لاتقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب اما لتهويل حالها وتفظيع شأنها بابهام أمرها فى القساوة والجهالة كأنه قيل على قلوب منكرة لايعرف حالها ولايقادر قدرها فى القساوة واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال اليها للدلالة على أنها أقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرىء أقفلها واقفالها على المصدر ﴿ان الذين ارتدوا على أدبارهم﴾ أى رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به عليه الصلاة والسلام ﴿من بعد ما تبين لهم الهدى﴾ بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل أهل الكتابين جميعا كفروا به عليه الصلاة والسلام بعدما وجدوا نعته فى كتابهم وعرفوا أنه المنعوت بذلك وقوله تعالى ﴿الشيطان سول لهم﴾ جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان أى سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المخفف من السؤل لاستمرار القلب فمعنى سول له أمرا حينئذ أوقعه فى أمنيته فان السؤل الامنية وقرىء سول مبنيا للمفعول على حذف المضاف أى كيد الشيطان ﴿وأملى لهم﴾ ومد لهم فى الامانى والآمال وقيل أمهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرىء وأملى لهم على صيغة المتكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم فالواو للحال أو للاستئناف وقرىء أملى لهم على البناء للمفعول أى أمهلوا ومد فى عمرهم ﴿ذلك﴾ اشارة الى ماذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدى ولا الى التسويل كما قيل لان شيأ منهما ليس مسببا عن القول الآتى وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿بأنهم﴾ أى بسبب أنهم ﴿قالوا﴾ يعنى المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين به عليه الصلاة والسلام بعد ما وجدوا نعته فى التوراة كما قيل فان كفرهم به ليس بسبب هذا القول ولو فرض صدوره عنهم سواء

كان المقول لهم المنافقين أو المشركين على رأى القائل بل من حين بعثه عليه الصلاة والسلام ﴿للذين كرهوا مانزل الله﴾ أى لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بأنه من عند الله تعالى حسدا وطمعا فى نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى ﴿سنطيعكم فى بعض الامر﴾ عبارة قطعا عما حكى عنهم بقوله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم وأرادوا بالبعض الذى أشاروا الى عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان أمرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا يأبون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم فى اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿والله يعلم اسرارهم﴾ أى اخفاءهم لما يقولونه لليهود وقرئ أسرارهم أى جميع أسرارهم التى من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للافشاء فى الدنيا والتعذيب فى الآخرة والفاء فى قوله تعالى ﴿فكيف اذا توفتهم الملائكة﴾ لترتيب مابعدها على ماقبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل فى الظرف كأنه قيل يفعلون فى حياتهم مايفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع على أنه خبر لمبتدا محذوف أى فكيف حالهم أو حيلتهم اذا توفتهم الخ وقرئ توفاهم على أنه اما ماض أو مضارع قد حذف احدى تاءيه ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ حال من فاعل توفتهم أو من مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على أهول الوجوه وأفظعها وعن ابن عباس رضى الله عنهما لايتوفى أحد على معصية الا يضرب الملائكة وجهه ودبره ﴿ذلك﴾ التوفى الهائل ﴿بأنهم﴾ أى بسبب أنهم ﴿اتبعوا ما أسخط الله﴾ من الكفر والمعاصى ﴿وكرهوا رضوانه﴾ أى مايرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود ﴿فأحبط﴾ لأجل ذلك ﴿أعمالهم﴾ التى عملوها حال ايمانهم من الطاعات أو بعد ذلك من أعمال البر التى لو عملوها حال الايمان لانتفعوا بها ﴿أم حسب الذين فى قلوبهم مرض﴾ هم المنافقون الذين فصلت أحوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدارا لما نعى عليهم بقوله تعالى ﴿أن لن يخرج الله أضغانهم﴾ فأم منقطعة وأن مخففة من أن وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف ولن بما فى حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد أى بل أحسب الذين فى قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين أنه لن يخرج الله أحقادهم ولن يبرزها لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فتبقى أمورهم مستورة والمعنى أن ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ﴿ولو نشاء﴾ اراءتهم ﴿لأريناكهم﴾ لعرفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات الى نون العظمة لابراز العناية بالاراءة ﴿فلعرفتهم بسيماهم﴾ بعلامتهم التى نسمهم بها وعن أنس رضى الله عنه ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا فى بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت فى المعطوف للتأكيد والفاء لترتيب المعرفة على الاراءة وأما مافى قوله تعالى ﴿ولتعرفنهم فى لحن القول﴾ فلجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه وأسلوبه أو امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب ﴿والله يعلم أعمالكم﴾ فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان بأن حالهم بخلاف حال المنافقين ﴿ولنبلونكم﴾ بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة ﴿حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء ﴿ونبلو أخباركم﴾ ما يخبر به عن أعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرئ ويبلو بالياء وقرئ نبلو بسكون الواو على ونحن نبلوا ﴿ان الذين كفروا

وصدوا﴾ الناس ﴿عن سبيل الله وشاقوا الرسول﴾ وعادوه ﴿من بعد ماتبين لهم الهدى﴾ بما شاهدوا نعته عليه الصلاة والسلام فى التوراة و بما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر ﴿لن يضروا الله﴾ بكفرهم وصدهم ﴿شيئاً﴾ من الأشياء أو شيئاً من الضرر أو لن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته شيأ وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته ﴿وسيحبط أعمالهم﴾ أى مكايدهم التى نصبوها فى ابطال دينه تعالى ومشاقة رسوله عليه الصلاة والسلام فلا يصلون بها الى ماكانوا يبغون من الغوائل و لاتثمر لهم الاالقتل والجلاء عن أوطانهم ﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ بما أبطل به هؤلاء أعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ﴿ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم﴾ حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله فى أصحاب القليب ﴿فلا تهنوا﴾ أى لاتضعفوا ﴿وتدعوا الى السلم﴾ أى ولا تدعوا الكفار الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء الدنية ويجوز أن يكون منصوبا باضمار أن على جواب النهى وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا الصيد وتراموه ومنه تراءوا الهلال فان صيغة التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى عم يتساءلون على أحد الوجهين والفاء لترتيب النهى على ماسبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى ﴿وأنتم الأعلون﴾ جملة حالية مقررة لمعنى النهى مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى ﴿والله معكم﴾ فان كونهم الأعلين وكونه عز وجل ناصرهم من أقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى لأجور الاعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى ﴿ولن يتركم أعمالكم﴾ أى وان يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد أوأخ أو حميم فأفردته عنه من الوتر الذى هو الفرد وعبر عن ترك الاثابة فى مقابلة الاعمال بالوتر الذى هو اضاعة شئ معتد به من الانفس والاموال مع أن الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة أهل السنة ابرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة أعظم الحقوق واتلافها وقد مر فى قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم ﴿انما الحيوة الدنيا لعب ولهو﴾ لاثبات لها و لااعتداد بها ﴿وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم﴾ أى ثواب ايمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التى يتنافس فيها المتنافسون ﴿ولايسألكم أموالكم﴾ بحيث يخل أداؤها بمعاشكم وانما اقتصر على نزر يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم ﴿ان يسألكموها﴾ أى أموالكم ﴿فيحفكم﴾ أى يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال أحفى شاربه اذا استأصله ﴿تبخلوا﴾ فلاتعطوا ﴿ويخرج أضغانكم﴾ أى أحقادكم وضمير يخرج لله تعالى و يعضده القراءة بنون العظمة أو للبخل لانه سبب الأضغان وقرئ يخرج من الخروج بالياء والتاء مسندا الى الاضغان ﴿هاأنتم هؤلاء﴾ أى أنتم أيها المخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى ﴿تدعون لتنفقوا فى سبيل الله﴾ استئناف مقرر لذلك أو صلة لهؤلاء على أنه بمعنى الذين أى ها أنتم الذين تدعون ففيه توبيخ عظيم وتحقير من شأنهم والانفاق فى سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما ﴿فمنكم من يبخل﴾ أى ناس يبخلون وهو فى حيز الدليل على الشرطية السابقة ﴿ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه﴾ فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عائد اليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى ﴿والله الغنى﴾ دون من عداه ﴿وأنتم الفقراء﴾ فما يأمركم به فهو لاحتياجكم الى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وقوله تعالى ﴿وان تتولوا﴾ عطف على ان تؤمنوا أى وان تعرضوا عن الايمان والتقوى ﴿يستبدل قوما غيركم﴾ يخلف مكانكم قوما آخرين ﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾

ن التولى عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة وقيل أهل فارس لما روى أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله عز وجل أن يسقيه من أنهار الجنة

سورة الفتح

(مدنية نزلت فى مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وآيها تسع وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿انا فتحنا لك﴾ فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة أو صلحا بحراب أو بدونه فانه ما لم يظفر به منغلق مأخوذ من فتح باب الدار واسناده الى نون العظمة لاستناد أفعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا والمراد به فتح مكة شرفها الله وهو المروى عن أنس رضى الله عنه بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه من الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضى على سنن سائر الاخبار الربانية للايذان بتحققه لا محالة تأكيدا للتبشير كما أن تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لايخفى وقيل هو ما أتيح له عليه الصلاة والسلام فى تلك السنة من فتح خيبر وهو المروى عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وعن الكلبى ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روى أنه عليه الصلاة والسلام حين بلغه أن رجلا قال ماهذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا قال بل هو أعظم الفتوح وقد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم فى الامان وقد رأوا منكم ما يكرهون وعن الشعبى نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة مالم يصب فى غزوة حيث أصاب أن بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدى محله وأطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان فى فتح الحديبية آية عظيمة هى أنه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وشبع وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له عليه الصلاة والسلام من الفتوح وقيل هو ما فتح الله له عليه الصلاة والسلام من الاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كافة اذلا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على أهل مكة أن تدخلها من قابل وهو المروى عن قتادة رضى الله عنه وأياما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والايذان بأن مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لاخصوصية المفتوح ﴿فتحا مبينا﴾ بينا ظاهر الامر مكشوف الحال أو فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى ﴿ليغفر لك الله﴾ غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عليه الصلاة والسلام فى اعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بأن كل واحد مما انتظم فى سلك الغاية من أفعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى ﴿ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ أى جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته

ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل ﴿ ويتم نعمته عليك ﴾ باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وغيرهما مما أفاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية ﴿ ويهديك صراطا مستقيما ﴾ فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وأصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا قبل ﴿ وينصرك الله ﴾ اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشأن النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله تعالى ﴿ نصرا عزيزا ﴾ أى نصرا فيه عزة ومنعة أو قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة أو عزيزا صاحبه ﴿ هو الذى أنزل السكينة ﴾ بيان لما أفاض عليهم من مبادى الفتح من الثبات والطمأنينة أى أنزلها ﴿ فى قلوب المؤمنين ﴾ بسبب الصلح والأمن اظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف ﴿ ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ﴾ أى يقينا منضما الى يقينهم أو أنزل فيها السكون الى ما جاء به عليه الصلاة والسلام من الشرائع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول ما أتاهم به النبى صلى الله عليه وسلم التوحيد ثم الصلاة والزكاة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله تعالى ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم ﴿ ولله جنود السموات والارض ﴾ يدبر أمرها كيفما يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينهما السلم أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ﴿ وكان الله عليما ﴾ مبالغا فى العلم بجميع الأمور ﴿ حكيما ﴾ فى تقديره وتدبيره وقوله تعالى ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير أى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فى ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة ﴿ ويكفر عنهم سيئاتهم ﴾ أى يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال فى الذكر على التكفير مع أن الترتيب فى الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الأعلى ﴿ وكان ذلك ﴾ أى ما ذكر من الادخال والتكفير ﴿ عند الله فوزا عظيما ﴾ لايقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه أعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه صفته فى الاصل فلما قدم عليه صار حالا أى كائنا عند الله أى فى علمه تعالى وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله ﴿ ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ﴾ عطف على يدخل وفى تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على أنهم أحق منهم بالعذاب ﴿ الظانين بالله ظن السوء ﴾ أى ظن الامر السوء وهو أن لاينصر رسوله والمؤمنين ﴿ عليهم دائرة السوء ﴾ أى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم وقرئ دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا أن المفتوح غلب فى أن يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شئ وأما المضموم فجار مجرى الشر ﴿ وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم ﴾ عطف على ما استحقوه فى الآخرة على ما استوجبوه فى الدنيا والواو فى الاخيرين مع أن حقهما الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان باستقلال كل منهما فى الوعيد واصالته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض ﴿ وساءت مصيرا ﴾ أى جهنم ﴿ ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما ﴾ اعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على أن لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب وأن المراد ههنا جنود العذاب كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة ﴿ انا أرسلناك شاهدا ﴾ أى على أمتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴿ ومبشرا ﴾ على الطاعة ﴿ ونذيرا ﴾ على المعصية ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله ﴾ الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام ولأمته ﴿ وتعزروه ﴾ وتقووه بتقوية دينه ورسوله ﴿ وتوقروه ﴾ وتعظموه ﴿ وتسبحوه ﴾ وتنزهوه أو تصلوا له من السبحة ﴿ بكرة وأصيلا ﴾ غدوة وعشيا عن ابن عباس رضى الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر وقرئ الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرئ

وتعززوه بضم التاء وتخفيف الزاي المكسورة وقرىء بفتح التاء وضم الزاي وكسرها وتعززوه بزاءين وتوقروه من وقره بمعنى وقره ﴿ ان الذين يبايعونك ﴾ أي على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى ﴿ انما يبايعون الله ﴾ خبران يعني أن مبايعتك هي مبايعة الله عز وجل لأن المقصود توثيق العهد بمراعاة أوامره ونواهيه وقوله تعالى ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ حال أو استئناف مؤكد له على طريقة التخييل والمعنى أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقرىء انما يبايعون لله أي لاجله ولوجهه ﴿ فمن نكث فانما ينكث على نفسه ﴾ أي فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه وقرىء بكسر الكاف ﴿ ومن أوفى بما عاهد عليه الله ﴾ بضم الهاء فانه أبقى بعد حذف الواو توسلا بذلك الى تفخيم لام الجلالة وقرىء بكسرها أي ومن وفى بعهده ﴿ فسيؤتيه أجرا عظيما ﴾ هو الجنة وقرىء بما عهد وقرىء فسنؤتيه بنون العظمة ﴿ سيقول لك المخلفون من الأعراب ﴾ هم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والديل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش أن يتعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم عليه الصلاة والسلام وساق معه الهدى ليعلم أنه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم فأوحى الله تعالى اليه عليه الصلاة والسلام بأنهم سيعتلون ويقولون ﴿ شغلتنا أموالنا وأهلونا ﴾ ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرىء شغلتنا بالتشديد للتكثير ﴿ فاستغفر لنا ﴾ الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ﴾ بدل من سيقول أو استئناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار ﴿ قل ﴾ ردا لهم عند اعتذارهم اليك بأباطيلهم ﴿ فمن يملك لكم من الله شيئا ﴾ أي فمن يقدر لاجلكم من مشيئة الله تعالى وقضائه على شيء من النفع ﴿ ان أراد بكم ضرا ﴾ أي ما يضركم من هلاك الأهل والمال وضياعهما حتى تتخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرىء ضرا بالضم ﴿ أو أراد بكم نفعا ﴾ أي ومن يقدر على شيء من الضر ان أراد بكم ما ينفعكم من حفظ أموالكم وأهليكم فأي حاجة الى التخلف لأجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى ﴿ بل كان الله بما تعملون خبيرا ﴾ فانه اضراب عما قالوا وبيان لكذبه بعد بيان فساده على تقدير صدقه أي ليس الأمر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من الأعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى ﴿ بل ظننتم ﴾ الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام أي بل ظننتم ﴿ أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا ﴾ بأن يستأصلهم المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم معهم أن يصيبكم ما أصابهم فلأجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والأهلون جمع أهل وقد يجمع على أهلات كأرضات على تقدير تاء التأنيث وأما الأهالي فاسم جمع كالليالي وقرىء الى أهلهم ﴿ وزين ذلك في قلوبكم ﴾ وقبلتموه واشتغلتم بشأن أنفسكم غير مبالين بهم وقرىء زين على البناء للفاعل باسناده الى الله سبحانه أو الى الشيطان ﴿ وظننتم ظن السوء ﴾ المراد به اما الظن الأول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء أو ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عليه الصلاة والسلام فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستئصال ﴿ وكنتم قوما بورا ﴾ أي هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على أنه جمع بائر كعائذ وعوذ أو فاسدين في أنفسكم

وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور من بار كالهالك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله﴾ كلام مبتدأ من جهته تعالى غير داخل فى الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته أى ومن لم يؤمن بهما كدأب هؤلاء المخلفين ﴿فانا أعتدنا للكافرين سعيرا﴾ أى لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرون ايذانا بأن من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وأنه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل أو لأنها نار مخصوصة ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ وما فيهما يتصرف فى الكل كيف يشاء ﴿يغفر لمن يشاء﴾ أن يغفر له ﴿ويعذب من يشاء﴾ أن يعذبه من غير دخل لأحد فى شىء منهما وجودا وعدما وفيه حسم لأطماعهم الفارغة فى استغفاره عليه الصلاة والسلام لهم ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ مبالغا فى المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضى الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله وأما من عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعا ﴿سيقول المخلفون﴾ أى المذكورون وقوله تعالى ﴿اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها﴾ ظرف لما قبله لا شرط لما بعده أى سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم اياها وخصكم بها عوضا مما فاتكم من غنائم مكة ﴿ذرونا نتبعكم﴾ الى خيبر ونشهد معكم قتال أهلها ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ بأن يشاركوا فى الغنائم التى خصها بأهل الحديبية فانه عليه الصلاة والسلام رجع من الحديبية فى ذى الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالا كثيرة فخصها بهم حسبما أمره الله عز وجل وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة وأيا ما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لأهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا معى أبدا فان ذلك فى غزوة تبوك ﴿قل﴾ اقناطا لهم ﴿لن تتبعونا﴾ أى لا تتبعونا فانه نفى فى معنى النهى للمبالغة ﴿كذلكم قال الله من قبل﴾ أى عند الانصراف من الحديبية ﴿فسيقولون﴾ للمؤمنين عند سماع هذا النهى ﴿بل تحسدوننا﴾ أى ليس ذلك النهى حكم الله بل تحسدوننا أن نشارككم فى الغنائم وقرئ تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى ﴿بل كانوا لا يفقهون﴾ أى لا يفهمون ﴿الا قليلا﴾ الا فهما قليلا وهو فطنتهم لأمور الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو أعظم من الحسد وأطم من الجهل المفرط وسوء الفهم فى أمور الدين ﴿قل للمخلفين من الأعراب﴾ كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة فى ذمهم ﴿ستدعون الى قوم أولى بأس شديد﴾ هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب أو غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المشركون لقوله تعالى ﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾ أى يكون أحد الأمرين اما المقاتلة أبدا أو الاسلام لا غير كما يفصح عنه قراءة أو يسلموا وأما من عداهم فينتهى قتالهم بالجزية كما ينتهى بالاسلام وفيه دليل على امامة أبى بكر رضى الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح أنهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان فى عهد النبوة فيخص دوام نفى الاتباع بما فى غزوة خيبر كما قاله محيى السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم الجزية ﴿فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا﴾ هو الغنيمة فى الدنيا والجنة فى الآخرة ﴿وان تتولوا﴾ عن الدعوة ﴿كما توليتم من قبل﴾ فى الحديبية ﴿يعذبكم عذابا أليما﴾ لتضاعف جرمكم ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ أى فى التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة فان التكليف يدور على الاستطاعة وفى نفى الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بأمرهم وتوسيع لدائرة الرخصة ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ فيما ذكر من الأوامر والنواهى ﴿يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ وقرئ ندخله بنون العظمة ﴿ومن يتول﴾ أى عن الطاعة ﴿يعذبه﴾ وقرئ بالنون ﴿عذابا أليما﴾ لا يقادر

قدره ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين﴾ هم الذين ذكر شأن مبايعتهم وبهذه الآية سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى ﴿اذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ منصوب برضى وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به أو بمحذوف هو حال من مفعوله روى أنه عليه الصلاة والسلام لما نزل الحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعى رسولا الى أهل مكة فهموا به فمنعه الأحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضى الله عنه فأخبرهم أنه عليه الصلاة والسلام لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لأطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال عليه الصلاة والسلام لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة على أن يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروى على الموت دونه وأن لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير أهل الأرض وكانوا ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل ألفا وأربعمائة وقيل ألفا وثلثمائة وقوله تعالى ﴿فعلم ما فى قلوبهم﴾ عطف على يبايعونك لما عرفت من أنه بمعنى بايعوك لا على رضى فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما فى قلوبهم من الصدق والاخلاص عند مبايعتهم له صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ﴿فأنزل السكينة عليهم﴾ عطف على رضى أى فأنزل عليهم الطمأنينة والأمن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح ﴿وأثابهم فتحا قريبا﴾ هو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرىء وآتاهم ﴿ومغانم كثيرة يأخذونها﴾ أى مغانم خيبر والالتفات الى الخطاب على قراءة الأعمش وطلحة ونافع لتشريفهم فى مقام الامتنان ﴿وكان الله عزيزا﴾ غالبا ﴿حكيما﴾ مراعيا لمقتضى الحكمة فى أحكامه وقضاياه ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة﴾ هى ما يفىء على المؤمنين الى يوم القيامة ﴿تأخذونها﴾ فى أوقاتها المقدرة لكل واحدة منها ﴿فعجل لكم هذه﴾ أى غنائم خيبر ﴿وكف أيدى الناس عنكم﴾ أى أيدى أهل خيبر وحلفائهم من بنى أسد وغطفان حيث جاءوا لنصرتهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل أيدى أهل مكة بالصلح ﴿ولتكون آية للمؤمنين﴾ أمارة يعرفون بها صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى وعده اياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة اما بمحذوف مؤخر أى ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف أو بما تعلق به علة أخرى محذوفة من أحد الفعلين أى فعجل لكم هذه أو كف أيدى الناس لتغتنموها ولتكون الخ فالواو على الأول اعتراضية وعلى الثانى عاطفة ﴿ويهديكم﴾ بتلك الآية ﴿صراطا مستقيما﴾ هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه فى كل ما تأتون وما تذرون ﴿وأخرى﴾ عطف على هذه أى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى ﴿لم تقدروا عليها﴾ وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى ﴿قد أحاط الله بها﴾ صفة أخرى لأخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم أى قد قدر الله عليها واستولى وأظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان أخرى منصوب بمضمر يفسره قد أحاط الله بها أى وقضى الله أخرى ولا ريب فى أن الاخبار بقضاء الله اياها بعد اندراجها فى جملة المغانم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة فى بيان تعجيلها ﴿وكان الله على كل شىء قديرا﴾ لأن قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشىء دون شىء ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ أى أهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر ﴿لولوا الادبار﴾ منهزمين ﴿ثم لا يجدون وليا﴾ يحرسهم ﴿ولا نصيرا﴾ ينصرهم ﴿سنة الله التى قد خلت من قبل﴾ أى سن الله غلبة أنبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم

﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ أى تغييرا ﴿وهو الذى كف أيديهم﴾ أى أيدى كفار مكة ﴿عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة﴾ أى فى داخلها ﴿من بعد أن أظفركم عليهم﴾ وذلك أن عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا ﴿وكان الله بما تعملون﴾ من مقاتلتهم وهزمهم أولا والكف عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقرئ بالياء ﴿بصيرا﴾ فيجازيكم بذلك أو يجازيهم ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى﴾ بالنصب عطفا على الضمير المنصوب فى صدوكم وقرئ بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف أى ونحر الهدى وبالرفع على وصد الهدى وقوله تعالى ﴿معكوفا﴾ حال من الهدى أى محبوسا وقوله تعالى ﴿أن يبلغ محله﴾ بدل اشتمال من الهدى أو منصوب بنزع الخافض أى محبوسا من أن يبلغ مكانه الذى يحل فيه نحره وبه استدل أبو حنيفة رحمه الله تعالى على أن المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروى أن خيامه صلى الله عليه وسلم كانت فى الحل ومصلاه فى الحرم وهناك نحرت هداياه صلى الله عليه وسلم والمراد صدها عن محلها المعهود الذى هو منى ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم﴾ لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تعالى ﴿أن تطؤوهم﴾ أى توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب فى تعلموهم ﴿فتصيبكم منهم﴾ أى من جهتهم ﴿معرة﴾ أى مشقة ومكروه كوجوب الدية أو الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار وسوء قالتهم والاثم بالتقصير فى البحث عنهم وهى مفعلة من عره اذا عراه ودهاه ما يكرهه ﴿بغير علم﴾ متعلق بأن تطؤوهم أى غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا أناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف أيديكم عنهم وقوله تعالى ﴿ليدخل الله فى رحمته﴾ متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كأنه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدى الى الفتح بلا محذور فى رحمته الواسعة بقسميها ﴿من يشاء﴾ وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التى من جملتها الأمن مستضعفين تحت أيدى الكفرة وأما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرة لكنهم كانوا قاصرين فى اقامة مراسم العبادة كما ينبغى فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم فى الرحمة الاخروية وقد جوز أن يكون من يشاء عبارة عمن رغب فى الاسلام من المشركين ويأباه قوله تعالى ﴿لو تزيلوا﴾ الخ فان فرض التزيل وترتيب التعذيب عليه يقتضى تحقق المباينة بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التزيل حتما أى لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ لو تزايلوا ﴿لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما﴾ بقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها ﴿اذ جعل الذين كفروا﴾ منصوب باذكر على المفعولية أو بعذبنا على الظرفية وقيل بمضمر هو أحسن الله اليكم وأياما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقاء فقوله تعالى ﴿فى قلوبهم الحمية﴾ أى الأنفة والتكبر متعلق به أو بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له أى جعلوها ثابتة راسخة فى قلوبهم ﴿حمية الجاهلية﴾ بدل من الحمية أى حمية الملة الجاهلية أو الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ على الاول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بتوفيق الله تعالى وسوء صنيع الكفرة وعلى الثانى على ما يدل عليه الجملة الامتناعية كأنه قيل لم يتزيلوا فلم نعذب فأنزل الخ وعلى الثالث على المضمر تفسيرا له والسكينة الثبات والوقار روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشى وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على أن يعرضوا على النبى

صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف ما هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ أي كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم أو محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والثبات عليه واضافتها الى التقوى لأنها سبب التقوى وأساسها أو كلمة أهلها ﴿وكانوا أحق بها﴾ متصفين بمزيد استحقاق لها على أن صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل أحق بها من الكفار ﴿وأهلها﴾ أي المستأهل لها ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ فيعلم حق كل شيء فيسوقه الى مستحقه ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا﴾ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت أي صدقه صلى الله عليه وسلم في رؤياه كما في قولهم صدقني سن بكره وتحقيقه أراه الرؤيا الصادقة وقوله تعالى ﴿بالحق﴾ اما صفة لمصدر مؤكد محذوف أي صدقا ملتبسا بالحق أي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التي هي التمييز بين الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه أو حال من الرؤيا أي ملتبسة بالحق ليست من قبيل أضغاث الأحلام وقد جوز أن يكون قسما بالحق الذي هو من أسماء الله تعالى أو بنقيض الباطل وقوله تعالى ﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾ جوابه وهو على الاولين جواب قسم محذوف أي والله لتدخلن الخ وقوله تعالى ﴿ان شاء الله﴾ تعليق للعدة بالمشيئة لتعليم العباد أو للاشعار بأن بعضهم لا يدخلونه لموت أو غيبة أو غير ذلك أو هي حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لما قاله عليه الصلاة والسلام لأصحابه ﴿آمنين﴾ حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله تعالى ﴿محلقين رؤسكم ومقصرين﴾ أي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون وقيل محلقين حال من ضمير آمنين فتكون متداخلة ﴿لا تخافون﴾ حال مؤكدة من فاعل لتدخلن أو آمنين أو محلقين أو مقصرين أو استئناف أي لا تخافون بعد ذلك ﴿فعلم ما لم تعلموا﴾ عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلي المتعلق بأمر حادث بعد المعطوف عليه أي فعلم عقيب ما أراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم ما يشهد بالصدق علما فعليا ﴿فجعل﴾ لأجله ﴿من دون ذلك﴾ أي من دون تحقق مصداق ما أراه من دخول المسجد الحرام الخ ﴿فتحا قريبا﴾ وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه من غير تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون آية للمؤمنين وأما جعل ما في قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة في تأخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فتأباه الفاء فان علمه تعالى بذلك متقدم على اراءة الرؤيا قطعا ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى﴾ أي ملتبسا به أو بسببه ولأجله ﴿ودين الحق﴾ وبدين الاسلام ﴿ليظهره على الدين كله﴾ ليعليه على جنس الدين بجميع أفراده التي هي الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الأحكام المتبدلة بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلا أو بتسليط المسلمين على أهل سائر الاديان اذ ما من أهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أنه سبحانه سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ على أن ما وعده كائن لا محالة أو على نبوته عليه الصلاة والسلام باظهار المعجزات ﴿محمد﴾ خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى ﴿رسول الله﴾ بدل أو بيان

أو نعتاً أى ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدأ رسول الله خبره والجملة مبينة للمشهود به وقوله تعالى ﴿ والذين معه ﴾ مبتدأ خبره ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ وأشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى أنهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم فى الدين الرحمة والرأفة كقوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقرىء أشداء ورحماء بالنصب على المدح أو على الحال من المستكن فى معه لوقوعه صلة فالخبر حينئذ قوله تعالى ﴿ تراهم ركعا سجدا ﴾ أى تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات وهو على الأول خبر آخر أو استئناف وقوله تعالى ﴿ يبتغون فضلا من الله ورضوانا ﴾ أى ثوابا ورضا اما خبر آخر أو حال من ضمير تراهم أو من المستتر فى ركعا سجدا أو استئناف مبنى على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كأنه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله الخ ﴿ سيماهم ﴾ أى سمتهم وقرىء سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هى السيماء بالمد وهو مبتدأ خبره ﴿ فى وجوههم ﴾ أى فى جباههم وقوله تعالى ﴿ من أثر السجود ﴾ حال من المستكن فى الجار أى من التأثير الذى يؤثره كثرة السجود وما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله عليه الصلاة والسلام لا تعلبوا صوركم أى لا تسموها انما هو فيما اذا اعتمد بجبهته على الارض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث فى جبهة السجاد الذى لا يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل وكان الامام زين العابدين وعلى بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهما يقال لهما ذوا الثفنات لما أحدثت كثرة سجودهما فى مواقعه منهما أشباه ثفنات البعير قال قائلهم

ديار على والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذى الثفنات

وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ماصلوا بالليل قال عليه الصلاة والسلام من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرىء من آثار السجود ومن اثر السجود بكسر الهمزة ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ماذكر من نعوتهم الجليلة ومافيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شأنه وبعد منزلته فى الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿ مثلهم ﴾ أى وصفهم العجيب الشأن الجارى فى الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى ﴿ فى التوراة ﴾ حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة وقوله تعالى ﴿ ومثلهم فى الانجيل ﴾ عطف على مثلهم الاول كأنه قيل ذلك مثلهم فى التوراة والانجيل وتكرير مثلهم لتأكيد غرابته وزيادة تقريرها وقوله تعالى ﴿ كزرع أخرج شطأه ﴾ الخ تمثيل مستأنف أى هم كزرع أخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على أنه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم فى الانجيل على أن الكلام قدتم عند قوله تعالى مثلهم فى التوراة وقرىء شطأه بفتحات وقرىء شطاه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ماقبلها وشطوه بقلبها واوا ﴿ فآزره ﴾ فقواه من المؤازرة بمعنى المعاونة أو من الايزار وهى الاعانة وقرىء فأزره بالتخفيف وأزره بالتشديد أى شد أزره وقوله تعالى ﴿ فاستغلظ ﴾ فصار غليظا بعدما كان دقيقا ﴿ فاستوى على سوقه ﴾ فاستقام على قصبه جمع ساق وقرىء سؤقه بالهمزة ﴿ يعجب الزراع ﴾ بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحابه عليه الصلاة والسلام قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم يوما فيوما بحيث أعجب الناس وقيل مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تعالى ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾ علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه أو لما بعده من قوله تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ فان الكفار اذا

سمعوا بما أعد المؤمنين فى الآخرة مع مالهم فى الدنيا من العزة غاظهم ذلك أشد غيظ ومنهم للبيان . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة

سورة الحجرات

(مدنية وآيها ثمانى عشرة آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على أن مافى حيزه أمر خطير يستدعى مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بأنه داع الى المحافظة عليه ووازع عن الاخلال به ﴿لاتقدموا﴾ أى لاتفعلوا التقديم على أن ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بأمر من الامور على طريقة قولهم فلان يعطى ويمنع أى يفعل الاعطاء والمنع أو لا تقدموا أمرا من الامور على أن حذف المفعول للقصد الى تعميمه والاول أوفى بحق المقام لافادته النهى عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهانى وقد جوز أن يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة من قرأ لاتقدموا بحذف احدى التاءين من تتقدموا وقرىء لاتقدموا من القدوم وقوله تعالى ﴿بين يدى الله ورسوله﴾ مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لاتقطعوا أمرا قبل أن يحكما به وقيل المراد بين يدى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة محله عنده عزوجل قيل نزل فيما جرى بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما لدى النبى صلى الله عليه وسلم فى تأمير الاقرع بن حابس أو القعقاع ابن معبد ﴿واتقوا الله﴾ فى كل ماتأتون وماتذرون من الاقوال والافعال التى من جملتها مانحن فيه ﴿ان الله سميع﴾ لاقوالكم ﴿عليم﴾ بأفعالكم فمن حقه أن يتقى ويراقب ﴿ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى﴾ شروع فى النهى عن التجاوز فى كيفية القول عند النبى عليه الصلاة والسلام بعد النهى عن التجاوز فى نفس القول والفعل واعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة فى الايقاظ والتنبيه والاشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه أى لاتبلغوا بأصواتكم وراء حد يبلغه عليه الصلاة والسلام بصوته وقرىء لاترفعوا بأصواتكم على أن الباء زائدة ﴿ولا تجهروا له بالقول﴾ اذا كلمتموه ﴿كجهر بعضكم لبعض﴾ أى جهرا كائنا كالجهر الجارى فيما بينكم بل اجعلوا صوتكم أخفض من صوته عليه الصلاة والسلام وتعهدوا فى مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لاتقولوا له يامحمد ياأحمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر يارسول الله والله لاأكلمك الا السرار أو أخا السرار حتى ألقى الله تعالى وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يكلمه عليه الصلاة والسلام كأخى السرار لايسمعه حتى يستفهمه وكان أبو بكر رضى الله عنه اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود أرسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ﴿أن تحبط أعمالكم﴾ اما علة للنهى أى لاتجهروا خشية أن تحبط أو كراهة أن تحبط كما فى قوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا أو للنهى أى لاتجهروا لاجل الحبوط فان الجهر حيث كان بصدد الاداء الى الحبوط فكأنه فعل لاجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد بما نهى عنه من الرفع والجهر مايقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل

مايتوهم أن يؤدى اليه مما يجرى بينهم فى أثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى بجهر بعضكم لبعض خلا أن
رفع الصوت فوق صوته عليه الصلاة والسلام لما كان منكرا محضا لم يقيد بشئ و لا مايقع منهما فى حرب أو مجادلة معاند
أو ارهاب عدو أو نحو ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وكان فى أذنه وقر وكان جهورى
الصوت وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن أنس رضى الله عنه أنه لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقده
عليه الصلاة والسلام فأخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يارسول الله لقد أنزلت اليك هذه الآية وانى رجل جهير الصوت فأخاف
أن يكون عملى قد حبط فقال له عليه الصلاة والسلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من أهل الجنة وأما
مايروى عن الحسن من أنها نزلت فى بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون أصواتهم فوق صوته عليه الصلاة والسلام
فقد قيل محمله أن نهيهم مندرج تحت نهى المؤمنين بدلالة النص ﴿وأنتم لاتشعرون﴾ حال من فاعل تحبط أى والحال
أنكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه وقوله تعالى ﴿ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله﴾
الخ ترغيب فى الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الاخلال به أى يخفضونها مراعاة للادب أو خشية من مخالفة النهى
﴿أولئك﴾ اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من
تفخيم شأنه وهو مبتدأ خبره ﴿الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ أى جربها للتقوى ومرنها عليها أو عرفها كائنة للتقوى
خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة لمحذوف أو للفعل باعتبار الأصل أو ضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف
الشاقة لأجل التقوى فانها لاتظهر الا بالاصطبار عليها أو أخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا أذابه وميز ابريزه من خبثه وعن
عمر رضى الله عنه أذهب عنها الشهوات ﴿لهم﴾ فى الآخرة ﴿مغفرة﴾ عظيمة لذنوبهم ﴿وأجر عظيم﴾ لايقادر قدره
والجملة اما خبر آخر لان كالجملة المصدرة باسم الاشارة أو استئناف لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا بسوء حال من
ليس مثلهم ﴿ان الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ أى من خارجها من خلفها أو قدامها ومن ابتدائية دالة على أن
المناداة نشأت من جهة الوراء وأن المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى بحسب الجهة بخلاف مالوقيل
ينادونك وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهى القطعة من الارض المحجورة
بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهى فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد بها حجرات أمهات
المؤمنين ومناداتهم من ورائها اما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه عليه الصلاة والسلام من ورائها أو بأنهم تفرقوا
على الحجرات متطلبين له عليه الصلاة والسلام فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فأسند فعل الابعاض
الى الكل وقد جوز أن يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التى كان عليه الصلاة والسلام فيها ولكنها جمعت اجلالا له عليه
الصلاة والسلام وقيل ان الذى ناداه عيينة بن حصن الفزارى والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما أسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك
أو أمروا به أو لانه وجد فيما بينهم ﴿أكثرهم لايعقلون﴾ اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء
الأدب ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم﴾ أى ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان أن وان دلت بما
فى حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغنى قيامك وبلغنى أنك قائم وحتى تفيد
أن الصبر ينبغى أن يكون مغيا بخروجه عليه الصلاة والسلام فانها مختصة بما هو غاية للشئ فى نفسه ولذلك تقول أكلت
السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها أو ثلثها بخلاف الى فانها عامة وفى اليهم اشعار بأنه لو خرج لا لاجلهم ينبغى أن
يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه اليهم ﴿لكان﴾ أى الصبر المذكور ﴿خيرا لهم﴾ من الاستعجال لما فيه

من رعاية حسن الأدب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤل اذ روى أنهم وفدوا شافعين فى أسارى بنى العنبر فأطلق النصف وفادى النصف ﴿ والله غفور رحيم ﴾ بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا وأصلحوا ﴿ يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ أى فتعرفوا وتفحصوا روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بن عقبة أخا عثمان رضى الله عنه لأمه مصدقا الى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب أنهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم عليه الصلاة والسلام بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفى ترتيب الأمر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل فى بعض المواد وقرىء فتثبتوا أى توقفوا الى أن يتبين لكم الحال ﴿ أن تصيبوا ﴾ حذار أن تصيبوا ﴿ قوما بجهالة ﴾ ملتبسين بجهالة حالهم ﴿ فتصبحوا ﴾ بعد ظهور براءتهم عما أسند اليهم ﴿ على مافعلتم ﴾ فى حقهم ﴿ نادمين ﴾ مغتمين غما لازما متمنين أنه لم يقع فان تركيب هذه الأحرف الثلاثة يدور مع الدوام ﴿ واعلموا أن فيكم رسول الله ﴾ أن بما فى حيزها ساد مسد مفعولى اعلموا باعتبار مابعده من قوله تعالى ﴿ لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ﴾ فانه حال من أحد الضميرين فى فيكم والمعنى أن فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها أو كائنين على حالة الخ وهى أنكم تريدون أن يتبع عليه الصلاة والسلام رأيكم فى كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم فى الجهد والهلاك وفيه ايذان بأن بعضهم زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببنى المصطلق تصديقا لقول الوليد وأنه عليه الصلاة والسلام لم يطع رأيهم وأما صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة على أن امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم لان عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الأمور اذ فيه اختلال أمر الايالة وانقلاب الرئيس مرؤسا لامن اطاعته فى بعض مايرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلا معرة وقيل انها للدلالة على أن امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته عليه الصلاة والسلام لهم فى ذلك فان المضارع المنفى قد يدل على استمرار النفى بحسب المقام كما فى نظائر قوله تعالى ولاهم يحزنون والتحقيق أن الاستمرار الذى تفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى مايتعلق بالفعل من الأمور الزمانية المتجددة وذلك بأن يعتبر الاستمرار فى نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلق مايتعلق به بيانا لما فيه الاستمرار وأخرى بالنسبة الى مايتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به أولا ثم اعتبر استمراره فيتعين أن يكون ذلك بحسب الزمان فان أريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد مواقعها الكثيرة التى يفصح عنها قوله تعالى فى كثير من الأمر فالحق هو الأول ضرورة أن مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة فى أمر ما من تلك الأمور الكثيرة أصلا أو بعدم وقوعها فى كلها مع وقوعها فى بعض يسير منها حتى لولم يمتنع ذلك الاستمرار بأحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير من الأمر فى وقت من الأوقات وقع العنت قطعا وان أريد به استمرار الطاعة الواقعة فى الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمراره فالحق هو الثانى فان مناط امتناع العنت حينئذ ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة أنه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزمانى لامتناع تلك الطاعة الواقعة فى تلك الأمور الكثيرة بأحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها بأن وقعت تلك الطاعة فى وقت من الأوقات وقع العنت حتما واعلم أن الأحق بالاختيار والأولى بالاعتبار هو الوجه الأول لانه أوفق بالقياس المقتضى لاعتبار الامتناع واردا على الاستمرار حسب ورود كلمة لو المفيدة للأول على صيغة المضارع المفيدة للثانى على أن اعتبار الاستمرار واردا على النفى على خلاف القياس بمعونة المقام انما يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب القياس أو لم يكن فيه مزيد مزية

كما فى مثل قوله تعالى ولاهم يحزنون حيث حمل على استمرار نفى الحزن عنهم اذ ليس فى نفى استمرار الحزن مزيد فائدة وأما اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه تمحل لايخفى وقوله تعالى ﴿ ولكن الله حبب اليكم الايمان ﴾ الخ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم عن أوصاف الأولين واحمادا لافعالهم أى ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم ﴿ وزينه فى قلوبكم ﴾ حتى رسخ حبه فيها ولذلك أتيتم بما يليق به من الأقوال والأفعال ﴿ وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴾ ولذلك اجتنبتم عما يليق بها مما لاخير فيه من آثارها وأحكامها ولما كان فى التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الأولين كأنه قيل لم يكن ماصدر عنكم فى حق بنى المصطلق من خلل فى عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان والأول هو الأظهر لقوله تعالى ﴿ أولئك هم الراشدون ﴾ أى السالكون الى الطريق السوى الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة كالذى فى قوله تعالى وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴿ فضلا من الله ونعمة ﴾ أى وانعاما تعليل لحبب أو كره ومابينهما اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر أى جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا ﴿ والله عليم ﴾ مبالغ فى العلم فيعلم أحوال المؤمنين ومابينهم من التفاضل ﴿ حكيم ﴾ يفعل كل مايفعل بموجب الحكمة ﴿ وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ أى تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى ﴿ فأصلحوا بينهما ﴾ بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى ﴿ فان بغت ﴾ أى تعدت ﴿ احداهما على الأخرى ﴾ ولم تتأثر بالنصيحة ﴿ فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ ﴾ أى ترجع ﴿ الى أمر الله ﴾ الى حكمه أو الى ماأمر به ﴿ فان فاءت ﴾ اليه وأقلعت عن القتال حذارا من قتالكم ﴿ فأصلحوا بينهما بالعدل ﴾ بفصل مابينهما على حكم الله تعالى ولاتكتفوا بمجرد متاركتهما عسى يكون بينهما قتال فى وقت آخر وتقييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد أكد ذلك حيث قيل ﴿ وأقسطوا ﴾ أى واعدلوا فى كل ماتأتون وماتذرون ﴿ ان الله يحب المقسطين ﴾ فيجازيهم أحسن الجزاء والآية نزلت فى قتال حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عليه الصلاة والسلام بالسعف والنعال وفيها دلالة على أن الباغى لايخرج بالبغى عن الايمان وأنه اذا أمسك عن الحرب ترك لانه فئ الى أمر الله تعالى وأنه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة ﴿ انما المؤمنون اخوة ﴾ استئناف مقرر لما قبله من الأمر بالاصلاح أى انهم منتسبون الى أصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الأبدية والفاء فى قوله تعالى ﴿ فأصلحوا بين أخويكم ﴾ للايذان بأن الأخوة الدينية موجبة للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافا الى المأمورين للمبالغة فى تأكيد وجوب الاصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالأخوين الأوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم ﴿ واتقوا الله ﴾ فى كل ماتأتون وماتذرون من الامور التى من جملتها ماأمرتم به من الاصلاح ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ راجين أن ترحموا على تقواكم ﴿ ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم ﴾ أى منكم ﴿ من قوم ﴾ آخرين أيضا منكم وقوله تعالى ﴿ عسى أن يكونوا خيرا منهم ﴾ تعليل للنهى أو لموجبه أى عسى أن يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال لانهم القوام على النساء وهو فى الاصل اما جمع قائم كصوم وزور فى جمع صائم وزائر أو مصدر نعت به فشاع فى الجمع وأما تعميمه للفريقين فى مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب أو لانهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية فى المجامع والتنكير اما للتعميم أو للقصد الى نهى بعضهم عن سخرية بعض لما أنها مما يجرى بين بعض وبعض ﴿ ولانساء ﴾ أى ولاتسخر نساء من المؤمنات ﴿ من نساء ﴾ منهن ﴿ عسى أن يكن ﴾ أى المسخور منهن ﴿ خيرا

منهن﴾ أي من الساخرات فإن مناط الخيرية في الفريقين ليس مايظهر للناس من الصور والأشكال ولا الاوضاع والاطوار التي عليها يدور أمر السخرية غالبا بل انما هو الامور الكامنة في القلوب فلايجترىء أحد على استحقار أحد فلعله أجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله تعالى وقرىء عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فعسى حينئذ هي ذات الخبر كما في قوله تعالى فهل عسيتم وأما على الأول فهي التي لاخبر لها ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ أي ولا يعب بعضكم بعضا فإن المؤمنين كنفس واحدة أو لاتفعلوا ماتلمزون به فإن من فعل مايستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرىء بضم الميم ﴿ولا تنابزوا بالالقاب﴾ أي ولايدع بعضكم بعضا بلقب السوء فإن النبز مختص به عرفا ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الايمان﴾ أي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان أو اشتهارهم به فإن الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روي أن الآية نزلت في صفية بنت حيي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يايهودية بنت يهوديين فقال عليه الصلاة والسلام هلا قلت ان أبي هرون وعمي موسى وزوجي محمد عليهم السلام أو الدلالة على أن التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان قبيح ﴿ومن لم يتب﴾ عما نهي عنه ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب ﴿ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ أي كونوا على جانب منه وابهام الكثير لايجاب الاحتياط والتأمل في كل ظن ظن حتى يعلم أنه من أي قبيل فإن من الظن مايجب اتباعه كالظن فيما لاقاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه مايحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه مايباح كالظن في الامور المعاشية ﴿ان بعض الظن اثم﴾ تعليل للامر بالاجتناب أو لموجبه بطريق الاستئناف التحقيقي والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كأنه يثم الأعمال أي يكسرها ﴿ولا تجسسوا﴾ أي ولاتبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب كما أن التلمس بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وأنا لمسنا السماء وقرىء بالحاء من الحس الذي هو أثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفي الحديث لاتتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ أي لايذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيبة ادام كلاب الناس ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريري واسناد الفعل الى أحد ايذانا بأن أحدا من الاحدين لايفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان وجعل المأكول أخا للآكل وميتا واخراج تماثلها مخرج أمرين غني عن الاخبار به وقرىء ميتا بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء في قوله تعالى ﴿فكرهتموه﴾ لترتيب مابعدها على ماقبلها من التمثيل كأنه قيل وحيث كان الأمر كما ذكر فقد كرهتموه وقرىء كرهتموه أي جبلتم على كراهته ﴿واتقوا الله﴾ بترك ماأمرتم باجتنابه والندم على ماصدر عنكم من قبل ﴿ان الله تواب رحيم﴾ مبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولايخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم روي أن رجلين من الصحابة رضي الله عنهم بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان

أسامة على طعامه عليه الصلاة والسلام فقال ماعندى شئ فأخبرهما سلمان فقالا لو بعثناسليمان الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه الصلاة والسلام انكما قد اغتبتما فنزلت ﴿ ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ من آدم وحواء أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء فى ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب وقد جوز أن يكون تأكيدا للنهى السابق بتقرير الاخوة المانعة من الاغتياب ﴿ وجعلناكم شعوبا وقبائل ﴾ الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى أصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب ﴿ لتعارفوا ﴾ ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب فلا يعتزى أحد الى غير آبائه لا لتفاخروا بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل فى الانساب وقرئ لتتعارفوا على الاصل ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا ﴿ ان أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ تعليل للنهى عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف التحقيق كأنه قيل ان الاكرم عنده تعالى هو الاتقى فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرئ بأن المفتوحة على حذف لام التعليل كأنه قيل لم لا نتفاخر بالانساب فقيل لان أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم فان مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلا فعليه بالتقوى قال عليه الصلاة والسلام من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وقال عليه الصلاة والسلام ياأيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله تعالى وفاجر شقى هين على الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى ﴿ ان الله عليم ﴾ بكم وبأعمالكم ﴿ خبير ﴾ ببواطن أحوالكم ﴿ قالت الأعراب آمنا ﴾ نزلت فى نفر من بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدب فأظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه عليه الصلاة والسلام مافعلوا ﴿ قل ﴾ ردا لهم ﴿ لم تؤمنوا ﴾ اذ الايمان هو التصديق المقارن للثقة وطمأنينة القلب ولم يحصل لكم ذلك والا لما مننتم على ماذكرتم كما ينبئ عنه آخر السورة ﴿ ولكن قولوا أسلمنا ﴾ فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به وايثار ماعليه النظم الكريم على أن يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو لم تؤمنوا ولكن أسلمتم للاحتراز من النهى عن التلفظ بالايمان وللتفادى عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه تقولا محضا ﴿ ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ﴾ حال من ضمير قولوا أى ولكن قولوا أسلمنا حال عدم مواطأة قلوبكم لألسنتكم وما فى لما من معنى التوقع مشعر بأن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد ﴿ وان تطيعوا الله ورسوله ﴾ بالاخلاص وترك النفاق ﴿ لا يلتكم من أعمالكم ﴾ لا ينقصكم ﴿ شيئا ﴾ من أجورها من لات يليت ليتا اذا نقص وقرئ لا يألتكم من الالت وهى لغة غطفان أو شيئا من النقص ﴿ ان الله غفور ﴾ لما فرط من المطيعين ﴿ رحيم ﴾ بالتفضل عليهم ﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه فى الشك مع التهمة وفيه اشارة الى أن فيهم مايوجب نفى الايمان عنهم وثم للاشعار بأن اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس فى حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل فهى كما فى قوله تعالى ثم استقاموا ﴿ وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ﴾ فى طاعته على تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد ﴿ أولئك ﴾ الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجميلة ﴿ هم الصادقون ﴾ أى الذين صدقوا فى دعوى الايمان لا غيرهم روى أنه لما نزلت الآية جاؤا وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى

﴿قل أتعلمون الله بدينكم﴾ أى أتخبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم ﴿والله يعلم مافى السموات ومافى الارض﴾ حال من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم وقوله تعالى ﴿والله بكل شئ عليم﴾ تذييل مقرر لما قبله أى مبالغ فى العلم بجميع الاشياء التى من جملتها ماأخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ أى يعدون اسلامهم منة عليك وهى النعمة التى لايطلب موليها ثوابا عن أنعم بها عليه من المن بمعنى القطع لأن المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن ﴿قل لاتمنوا على اسلامكم﴾ أى لاتعدوا اسلامكم منة على أو لا تمنوا على باسلامكم فنصب بنزع الخافض ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان﴾ على مازعمتم مع ان الهداية لاتستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم واذ هداكم ﴿ان كنتم صادقين﴾ فى ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ماقبله أى فلله المنة عليكم وفى سياق النظم الكريم من اللطف مالايخفى فانهم لما سموا ماصدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى كونه ايمانا وسمى اسلاما قيل يمنون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن بل لوصح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لالهم ﴿ان الله يعلم غيب السموات والارض﴾ أى ماغاب فيهما ﴿والله بصير بما تعملون﴾ فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه مافى ضمائركم وقرئ بالياء . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطى من الاجر بعدد من أطاع الله وعصاه

سـورة ق

(مكية وهى خمس وأربعون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ق والقرآن المجيد﴾ أى ذى المجد والشرف على سائر الكتب أو لأنه كلام المجيد أو لأن من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذى فصل فى مطلع سورة ص وقوله تعالى ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ أى لأن جاءهم منذر من جنسهم لامن جنس الملك أو من جلدتهم اضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف كأنه قيل والقرآن المجيد أنزلناه اليك لتنذر به الناس حسبما ورد فى صدر سورة الاعراف كأنه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للنكير والتعجب مع كونهما أوفق شئ لقضية العقول وأقربه الى التلقى بالقبول وقيل التقدير والقرآن المجيد انك لمنذر ثم قيل بعده انهم شكوا فيه ثم أضرب عنه وقيل بل عجبوا أى لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما يفهم من وصف القرآن بالمجيد كأنه قيل ليس سبب امتناعهم من الايمان بالقرآن أنه لامجد له ولكن لجهلهم ﴿فقال الكافرون هذا شئ عجيب﴾ تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة الى كونه عليه الصلاة والسلام منذرا بالقرآن واضمارهم أولا للاشعار بتعينهم بما أسند اليهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه أو عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة على أن هذا اشارة الى مبهم يفسره مابعده من الجملة الانكارية ووضع المظهر موضع المضمر امالسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم واما للايذان بأن تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله سبحانه عنه مع معاينتهم لقدرته تعالى على ماهو أشق منه فى قياس العقل من مصنوعاته البديعة أشنع من الأول وأعرق فى كونه كفرا ﴿أئذا متنا وكنا ترابا﴾ تقرير للتعجب وتأكيد للانكار والعامل فى اذامضمر غنى عن البيان لغاية شهرته مع دلالة مابعده عليه أى أحين نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به

مع كمال التباين بيننا وبين الحياة حينئذ وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر أو على حذف أداة الانكار ﴿ذلك﴾ اشارة الى محل النزاع ﴿رجع بعيد﴾ أى عن الاوهام أو العادة أو الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذى هو الجواب فناصب الظرف حينئذ ماينبئ عنه المنذر من البعث ﴿قد علمنا ماتنقص الارض منهم﴾ رد لاستبعادهم وازاحة له فان من عم علمه ولطف حتى انتهى الى حيث علم ماتنقص الارض من أجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم أحياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وقيل ماتنقص الارض منهم مايموت فيدفن فى الارض منهم ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها أو محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شئ أو تأكيد لعلمه تعالى بها بثبوتها فى اللوح المحفوظ عنده ﴿بل كذبوا بالحق﴾ اضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة الى بيان ماهو أشنع منه وأفظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة ﴿لما جاءهم﴾ من غير تأمل وتفكر وقرئ لما جاءهم بالكسر على أن اللام للتوقيت أى وقت مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن أو الاخبار بالبعث ﴿فهم فى أمر مريج﴾ أى مضطرب لاقرار له من مرج الخاتم فى أصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر وأخرى كاهن ﴿أفلم ينظروا﴾ أى أغفلوا أو أعموا فلم ينظروا ﴿الى السماء فوقهم﴾ بحيث يشاهدونها كل وقت ﴿كيف بنيناها﴾ أى رفعناها بغير عمد ﴿وزيناها﴾ بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع ﴿ومالها من فروج﴾ من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب وخلل ولعل تأخير هذا لمراعاة الفواصل ﴿والارض مددناها﴾ أى بسطناها ﴿وألقينا فيها رواسى﴾ جبالا ثوابت من رسا الشئ اذا ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بأن القاءها بارساء الارض بها ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج﴾ من كل صنف ﴿بهيج﴾ حسن ﴿تبصرة وذكرى﴾ علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا بالفعل الاخير أو لفعل مقدر بطريق الاستئناف أى فعلنا مافعلنا تبصيرا وتذكيرا ﴿لكل عبد منيب﴾ أى راجع الى ربه متفكر فى بدائع صنائعه وقوله تعالى ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا﴾ أى كثير المنافع شروع فى بيان كيفية انبات ماذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على أنبتنا وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على مابعده ﴿فأنبتنا به﴾ أى بذلك الماء ﴿جنات﴾ كثيرة أى أشجارا ذوات ثمار ﴿وحب الحصيد﴾ أى حب الزرع الذى شأنه أن يحصد من البر والشعير وأمثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات ﴿والنخل﴾ عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع مافيه من مراعاة الفواصل ﴿باسقات﴾ أى طوالا أو حوامل من أبسقت الشاة اذا حملت فيكون من باب أفعل فهو فاعل وقرئ باصقات لاجل القاف ﴿لها طلع نضيد﴾ أى منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة مافيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف أو من ضميرها فى باسقات على التداخل أو الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى ﴿رزقا للعباد﴾ أى لرزقهم علة لقوله تعالى فأنبتنا وفى تعليله بذلك بعد تعليل أنبتنا الاول بالتبصرة والتذكير تنبيه على أن الواجب على العبد أن يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار أهم وأقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر من معنى أنبتنا لان الانبات رزق ﴿وأحيينا به﴾ أى بذلك الماء ﴿بلدة ميتا﴾ أرضا جدبة لانماء فيها أصلا بأن جعلناها بحيث ربت وأنبتت أنواع النبات والازهار فصارت تهتز بها بعدما كانت جامدة هامدة وتذكير ميتا لان البلدة بمعنى البلد والمكان ﴿كذلك الخروج﴾ جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة

الى الحياة المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتها أى مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لاشيء مخالف لها وفى التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى أفهام الناس وقوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ الخ استئناف وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتعذيب منكريها ﴿وأصحاب الرس﴾ قيل هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وقيل وقيل كما مر فى سورة الفرقان على التفصيل ﴿وثمود وعاد وفرعون﴾ أى هو وقومه ليلائم ماقبله وما بعده ﴿واخوان لوط﴾ قيل كانوا من أصهاره عليه الصلاة والسلام ﴿وأصحاب الأيكة﴾ هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام غير أهل مدين ﴿وقوم تبع﴾ سبق شرح حالهم فى سورة الدخان ﴿كل كذب الرسل﴾ أى فيما أرسلوا به من الشرائع التى من جملتها البعث الذى أجمعوا عليه قاطبة أى كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم أو كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل أو كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر وأما على تقدير عدمها وهو الاظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم بمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث والى ذلك كان يدعوهم تبع ﴿فحق وعيد﴾ أى فوجب وحل عليهم وعيدى وهى كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم ﴿أفعيينا بالخلق الاول﴾ استئناف مقرر لصحة البعث الذى حكيت أحوال المنكرين له من الامم المهلكة والعى بالأمر العجز عنه يقال عى بالأمر وعيي به اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبىء عنه العى من القصد والمباشرة كأنه قيل أقصدنا الخلق الأول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة ﴿بل هم فى لبس من خلق جديد﴾ عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كأنه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الأول بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان بأنه حقيق بأن يبحث عنه ويهتم بمعرفته ﴿ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ أى ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى والضمير لما ان جعلت موصولة والباء كما فى صوت بكذا أو للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ﴿ونحن أقرب اليه من حبل الوريد﴾ أى أعلم بحاله ممن كان أقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزا لانه موجب له وحبل الوريد مثل فى فرط القرب والحبل العرق واضافته بيانية والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمى وريدا لأن الروح ترده ﴿اذ يتلقى المتلقيان﴾ منصوب بما فى أقرب من معنى الفعل والمعنى أنه لطيف يتوصل علمه الى مالا شىء أخفى منه وهو أقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بأنه تعالى غنى عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى عليهما وانما ذلك لما فى كتبتهما وحفظهما لأعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الأشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطته تعالى بتفاصيل أحواله خبرا من زيادة لطف له فى الكف عن السيئات والرغبة فى الحسنات وعنه عليه الصلاة والسلام ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وأنت تجرى فيما لا يعنيك لا تستحى من الله ولا منهما وقد جوز أن يكون تلقى الملكين بيانا للقرب على معنى أنا أقرب اليه مطلعون على أعماله لأن حفظتنا وكتبتنا موكلون به ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ أى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أى مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الأول لدلالة الثانى عليه كما

فى قول من قال رمانى بأمر كنت منه ووالدى بريئا ومن أجل الطوى رمانى

وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما فى قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ﴿ما يلفظ من قول﴾ ما يرمى به من فيه من خير أو شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول ﴿الا لديه رقيب﴾ ملك يرقب قوله ويكتبه فان كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال ووجه تغيير العنوان غنى عن البيان والافراد مع وقوفهما معا على ما صدر عنه لما أن كلامنهما رقيب لما فوض اليه لا لما فوض الى صاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿عتيد﴾ أى معد مهيأ لكتابة ما أمر به من الخير أو الشر ومن لم يتنبه له توهم أن معناه رقيبان عتيدان وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم فى الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شئ حتى أنينه فى مرضه وقيل انما يكتبان ما فيه أجر أو وزر وهو الأظهر كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يساره وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ بعد ماذكر استبعادهم للبعث والجزاء وأزيح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين أن جميع أعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم أتبع ذلك بيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الأحوال والأهوال وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضى ايذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء اماللتعدية كما فى قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى أحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر الذى نطقت به كتب الله ورسله أو حقيقة الأمر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذى لا بد أن يكون لامحالة من الموت أوالجزاء فان الانسان خلق له واما للملابسة كالتى فى قوله تعالى تنبت بالدهن أى ملتبسة بالحق أى بحقيقة الأمر أو بالحكمة والغاية الجلية وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى أنها السكرة التى كتبت على الانسان بموجب الحكمة وأنها لشدتها توجب زهوق الروح أو تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على أن الاضافة للتهويل وقرئ سكرات الموت ﴿ذلك﴾ أى الموت ﴿ما كنت منه تحيد﴾ أى تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد من أفراده طبعا ﴿ونفخ فى الصور﴾ هى النفخة الثانية ﴿ذلك﴾ أى وقت ذلك النفخ على حذف المضاف ﴿يوم الوعيد﴾ أى يوم انجاز الوعيد الواقع فى الدنيا أى يوم وقوع الوعيد على أنه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع أنه يوم الوعد أيضا لتهويله ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة ﴿وجاءت كل نفس﴾ من النفوس البرة والفاجرة ﴿معها سائق وشهيد﴾ وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا أى معها ملكان أحدهما يسوقها الى المحشر والآخر يشهد بعملها أو ملك جامع بين الوصفين كأنه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله ومحل معها النصب على الحالية من كل لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفة كأنه قيل كل النفوس أو الجر على أنه وصف لنفس أو الرفع على أنه وصف لكل وقوله تعالى ﴿لقد كنت فى غفلة من هذا﴾ محكى باضمار قول هو اما صفة أخرى لنفس أو حال أخرى منها أو استئناف مبنى على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت فى غفلة الخ وخطاب الكل بذلك لما أنه ما من أحد الا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء على اعتبار تأنيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة بتأويل الشخص كما فى قول جبلة بن حريث

يانفس انك باللذات مسرور فاذكر فهل ينفعنك اليوم تذكير

﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ الغطاء الحجاب المغطى لأمور المعاد وهو الغفلة والانهماك فى المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ نافذ لزوال المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف فى المواضع الثلاثة ﴿وقال قرينه﴾ أى الشيطان المقيض له مشيرا اليه ﴿هذا مالدى عتيد﴾ أى هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائى واضلالى وقيل قال الملك الموكل به مشيرا الى مامعه من كتاب عمله هذا مكتوب عندى عتيد مهيأ للعرض وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فهى بدل منها أو خبر بعد خبر أو خبر لمبتدأ محذوف ﴿ألقيا فى جهنم كل كفار﴾ خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال

فان تزجرانى يا ابن عفان أزجر وان تدعانى أحم عرضا ممنعا

أو على أن الألف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده أنه قرئ ألقين بالنون الخفيفة ﴿عنيد﴾ معاند للحق ﴿مناع للخير﴾ كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة لما منع بنى أخيه منه ﴿معتد﴾ ظالم متخط للحق ﴿مريب﴾ شاك فى الله وفى دينه ﴿الذى جعل مع الله إلها آخر﴾ مبتدأ متضمن لمعنى الشرط خبره ﴿فألقياه فى العذاب الشديد﴾ أو بدل من كل كفار وقوله تعالى فألقياه تكرير للتوكيد أو مفعول لمضمر يفسره فألقياه ﴿قال قرينه﴾ أى الشيطان المقيض له وانما استؤنف استئناف الجمل الواقعة فى حكاية المقاولة لما أنه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى ﴿ربنا ما أطغيته﴾ فانه منبئ عن سابقة كلام اعتذر به الكافر كأنه قال هو أطغانى فأجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة الأولى فانها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على أن الجمع بين مفهوميهما فى الحصول أعنى مجئ كل نفس مع الملكين وقول قرينه ﴿ولكن كان﴾ هو بالذات ﴿فى ضلال بعيد﴾ من الحق فأعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء كما فى قوله تعالى وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى ﴿قال﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال ﴿لا تختصموا لدى﴾ أى فى موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة فى ذلك ﴿وقد قدمت اليكم بالوعيد﴾ على الطغيان فى دار الكسب فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فلا تطمعوا فى الخلاص عنه بما أنتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهى على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم أنى قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام فى هذا الوقت والباء مزيدة أو معدية على أن قدم بمعنى تقدم وقد جوز أن يكون قدمت واقعا على قوله تعالى ﴿مايبدل القول لدى﴾ الخ ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول أو الفاعل أى وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به أو قدمته اليكم موعدا لكم به فلا تطمعوا أن أبدل وعيدى والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى ﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾ وارد لتحقيق الحق على الوجه الكلى وتبيين أن عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق له منهم بل انما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما أشير اليه آنفا أى وما أنا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره

عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ماذكر من التعذيب بغير ذنب فى معرض المبالغة فى الظلم وقيل هى لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على أنها مبالغة كما لا كيفا ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾ سؤال وجواب جئ بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل أمرها والمعنى أنها مع اتساعها وتباعد أقطارها تطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلئ أو أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ أو أنها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد والمجيد أو مفعول كالمبيع ويوم امامنصوب باذكر أو أنذر أوظرف لنفخ فيكون ذلك حينئذ اشارة اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف أو لمقدر مؤخر أى يكون من الاحوال والأهوال مايقصر عنه المقال ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ شروع فى بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجئ النفوس الى موقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ أى قربت للمتقين عن الكفر والمعاصى بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على مافيها من فنون المحاسن فيبتهجون بأنهم محشورون اليها فائزون بها وقوله تعالى ﴿غير بعيد﴾ تأكيد للازلاف أى مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها أو حال كونها غير بعيد أى شيأ غير بعيد ويجوز أن يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذى يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث أو لتأويل الجنة بالبستان ﴿هذا ماتوعدون﴾ اشارة الى الجنة والتذكير لما أن المشار اليه هو المسمى من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من أحكام اللفظ العربى كما مر فى قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله ويجوز أن يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو اشارة الى الثواب وقيل الى مصدر أزلفت وقرئ يوعدون والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل منه واما مقدر بقول هو حال من المتقين أومن الجنة والعامل أزلفت أى مقولا لهم أو مقولا فى حقها هذاماتوعدون ﴿لكل أواب﴾ أى رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار ﴿حفيظ﴾ حافظ لتوبته من النقض وقيل هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ لأوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقه ﴿من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب﴾ بدل بعد بدل أو بدل من موصوف أواب ولايجوز أن يكون فى حكمه لأن من لايوصف به ولايوصف الا بالذى أو مبتدأ خبره ﴿ادخلوها﴾ بتأويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشى أومفعوله أوصفة لمصدره أى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهوغائب عنه أوهو غائب عن الاعين لايراه أحد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشارة بأنهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته أو بأن علمهم بسعة رحمته تعالى لايصدهم عن خشيته تعالى وأنهم عاملون بموجب قوله تعالى نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة لما أن العبرة برجوعه الى الله تعالى ﴿بسلام﴾ متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها أى ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم أو بسلام من جهة الله تعالى وملائكته ﴿ذلك﴾ اشارة الى الزمان الممتد الذى وقع فى بعض منه ماذكر من الامور ﴿يوم الخلود﴾ اذ لاانتهاء له أبدا ﴿لهم مايشاؤن﴾ من فنون المطالب كائنا ما كان ﴿فيها﴾ متعلق بيشاؤن وقيل بمحذوف هو حال من الموصول أو من عائده المحذوف من صلته ﴿ولدينا مزيد﴾ هو مالايخطر ببالهم ولايندرج تحت مشيئتهم من معالى الكرامات التى لاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر وقيل ان السحاب تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال تعالى ولدينا مزيد ﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾ أى قبل قومك ﴿من قرن هم أشد منهم بطشا﴾ أى قوة كعاد وأضرابها ﴿فنقبوا فى البلاد﴾ أى خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا

فى أقطارها أوجالوا فى أكناف الارض كل مجال حذار الموت وأصل التنقيب والنقب التنقير عن الأمر والبحث والطلب والفاء للدلالة على أن شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب قيل هى عاطفة فى المعنى كأنه قيل اشتد بطشهم فنقبوا الخ وقرئ بالتخفيف ﴿هل من محيص﴾ أى هل لهم من مخلص من أمر الله تعالى والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو نقبوا أى فنقبوا فى البلاد قائلين هل من محيص أو على اجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول أوهو كلام مستأنف وارد لنفى أن يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لأهل مكة أى ساروا فى مسايرهم وأسفارهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لأنفسهم و يعضده القراءة على صيغة الأمر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو أن ينتقب خف البعير أى أكثروا السير حتى نقبت أقدامهم أوأخفاف ابلهم ﴿ان فى ذلك﴾ أى فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر فى السورة ﴿لذكرى﴾ لتذكرة وعظة ﴿لمن كان له قلب﴾ أى قلب سليم يدرك به كنه مايشاهده من الامور و يتفكر فيها كما ينبغى فان من كان له ذلك يعلم أن مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير ﴿أوألقى السمع﴾ أى الى مايتلى عليه من الوحى الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الأمر فينزجر عما يؤدى اليه من الكفر فكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع فان القاء السمع لايجدى بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى ﴿وهو شهيد﴾ أى حاضر بفطنته لأن من لايحضر ذهنه فكأنه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للايذان بأن من عرى قلبه عنها كمن لاقلب له أصلا ﴿ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما﴾ من أصناف المخلوقات ﴿فى ستة أيام ومامسنا﴾ بذلك مع كونه مما لايفى به القوى والقدر ﴿من لغوب﴾ من اعياء ما ولا تعب فى الجملة وهذا رد على جهلة اليهود فى زعمهم أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ﴿فاصبر على مايقولون﴾ أى مايقوله المشركون فى شأن البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الافاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم أومايقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه ﴿وسبح بحمد ربك﴾ أى نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف فى أخباره التى من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تعالى على ماأنعم به عليك من اصابة الحق وغيرها ﴿قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ هما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة ﴿ومن الليل فسبحه﴾ وسبحه بعض الليل ﴿وأدبار السجود﴾ وأعقاب الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر من أدبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلوات فالمراد بما قبل الطلوع صلاة الفجر و بما قبل الغروب الظهر والعصر و بما من الليل العشاءان والتهجد ومايصلى بأدبار السجود النوافل بعد المكتوبات ﴿واستمع﴾ أى لما يوحى اليك من أحوال القيامة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به ﴿يوم ينادى المنادى﴾ أى اسرافيل أوجبريل عليهما السلام فيقول أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر ﴿من مكان قريب﴾ بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك فى الاعادة مثل كن فى البدء ﴿يوم يسمعون الصيحة﴾ بدل من يوم ينادى الخ وهى النفخة الثانية ﴿بالحق﴾ متعلق بالصيحة والعامل فى الظرف مايدل عليه قوله تعالى ﴿ذلك يوم الخروج﴾ أى يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذى هو البعث يخرجون من القبور ﴿انا نحن نحيى ونميت﴾ فى الدنيا من غير أن يشاركنا فى ذلك أحد ﴿والينا المصير﴾ للجزاء فى الآخرة لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا ﴿يوم تشقق الارض عنهم﴾ بحذف احدى التاءين من تتشقق وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء

للمفعول من التفعيل وتشقق ﴿سراعا﴾ مسرعين ﴿ذلك حشر﴾ بعث وجمع وسوق ﴿علينا يسير﴾ أى هين وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسر به تعالى ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ من نفى البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ بمتسلط تقسرهم على الايمان أو تفعل بهم ما تريد وانما أنت مذكر ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ وأما من عداهم فنحن نفعل بهم ما توجبه أقوالهم وتستدعيه أعمالهم من ألوان العقاب وفنون العذاب . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة والذاريات

(مكية وآيها ستون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والذاريات ذروا﴾ أى الرياح التى تذرو التراب وغيره وقرى بادغام التاء فى الذال ﴿فالحاملات وقرا﴾ أى السحب الحاملة للمطر أو الرياح الحاملة للسحاب وقرى وقرا على تسمية المحمول بالمصدر ﴿فالجاريات يسرا﴾ أى السفن الجارية فى البحر أو الرياح الجارية فى مهابها أو السحب الجارية فى الجو بسوق الرياح أو الكواكب الجارية فى مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر محذوف أى جريا ذا يسر ﴿فالمقسمات أمرا﴾ أى الملائكة التى تقسم الامور من الامطار والأرزاق وغيرها أو السحب التى يقسم الله تعالى بها أرزاق العباد وقد جوز أن يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذرو ما تذروه تثير السحاب وتحمله وتجرى فى الجو جريا سهلا وتقسم الأمطار بتصريف السحاب فى الاقطار فان حملت الأمور المقسم بها على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة والا فهى لترتيب ما صدر عن الريح من الافاعيل فانها تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتجرى به باسطة له الى ما أمرت به فتقسم المطر وقوله تعالى ﴿ان ما توعدون لصادق وان الدين لواقع﴾ جواب للقسم وفى تخصيص الأمور المذكورة بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث انها أمور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة أو مصدرية ، ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين الجزاء ووقوعه حصوله ﴿والسماء ذات الحبك﴾ قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوى وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هى المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبى والضحاك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التى هى مسير الكواكب أو المعقولة التى يسلكها النظار أو النجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها نجومها حيث تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشى وهى اما جمع حباك أو حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرى الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم والحبك كالابل ﴿انكم لفى قول مختلف﴾ أى متخالف متناقض وهو قولهم فى حقه عليه الصلاة والسلام تارة شاعر وأخرى ساحر وأخرى مجنون وفى شأن القرآن الكريم تارة شعر وأخرى سحر وأخرى أساطير وفى هذا الجواب تأييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك من أن قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل النكتة فى هذا القسم تشبيه أقوالهم فى اختلافها وتنافى أغراضها بطرائق السموات فى تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك ﴿يؤفك عنه من أفك﴾ أى يصرف عن القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام من صرف اذ لا صرف أفظع منه وأشد وقيل يصرف عنه من صرف فى علم الله تعالى وقضائه ويجوز أن يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر افك

من أفك عن ذلك القول وقرئ من أفك أي من أفك الناس وهم قريش حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان ﴿قتل الخراصون﴾ دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما أكفره وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرون ما لا صحة له وهم أصحاب القول المختلف كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين أي قتل الله ﴿الذين هم في غمرة﴾ من الجهل والضلال ﴿ساهون﴾ غافلون عما أمروا به ﴿يسألون أيان يوم الدين﴾ أي متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرئ إيان بكسر الهمزة ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ جواب للسؤال أي يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون ويجوز أن يكون يوم خبرا لمبتدا محذوف أي هو يوم هم الخ والفتح لاضافته الى غير متمكن ويؤيده أنه قرئ بالرفع ﴿ذوقوا فتنتكم﴾ أي مقولا لهم هذا القول وقوله تعالى ﴿هذا الذي كنتم به تستعجلون﴾ جملة من مبتدا وخبر داخلة تحت القول المضمر أي هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء ويجوز أن يكون هذا بدلا من فتنتكم بتأويل العذاب والذي صفته ﴿ان المتقين في جنات وعيون﴾ لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها ﴿آخذين ما آتاهم ربهم﴾ أي قابلين لما أعطاهم راضين به على معنى أن كل ما آتاهم حسن مرضي يتلقى بحسن القبول ﴿انهم كانوا قبل ذلك﴾ في الدنيا ﴿محسنين﴾ أي لاعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان بالاجمال ما أشار اليه عليه الصلاة والسلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد فسر بقوله تعالى ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون﴾ أي كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل على أن قليلا ظرف أو كانوا يهجعون هجوعا قليلا على أنه صفة للمصدر وما مزيدة في الوجهين ويجوز أن تكون مصدرية أو موصولة مرتفعة بقليلا على الفاعلية أي كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه وفيه مبالغات في تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت الراحة والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل ما نافية على معنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلا بل يحيونه كله لما أن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ﴿وبالاسحار هم يستغفرون﴾ أي هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الاسحار كأنهم أسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بأنهم الاحقاء بأن يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه ﴿وفي أموالهم حق﴾ أي نصيب وافر يستوجبونه على أنفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس ﴿للسائل والمحروم﴾ للمستجدي والمتعفف الذي يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة ﴿وفي الارض آيات للموقنين﴾ أي دلائل واضحة على شؤونه تعالى على التفصيل من حيث انها مدحوة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين في أقطارها والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وأنها تلقح بالوان النبات وأنواع الاشجار وأصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم ﴿وفي أنفسكم﴾ أي وفي أنفسكم آيات اذ ليس في العالم شيء الا وفي الانفس له نظير يدل دلالته على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة ﴿أفلا تبصرون﴾ أي ألا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة ﴿وفي السماء رزقكم﴾ أي اسباب رزقكم أو تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات ﴿وما توعدون﴾ من الثواب لان الجنة في السماء السابعة أو لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿فورب السماء والارض انه لحق﴾ على أن الضمير لما وأما على الاول فاماله واما لما ذكر من أمر الآيات والرزق على أنه

مستعار لاسم الاشارة ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ أى كما أنه لا شك لكم فى أنكم تنطقون ينبغى أن لا تشكوا فى حقيته ونصبه على الحالية من المستكن فى لحق أو على أنه وصف لمصدر محذوف أى انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت عبارة عن شىء وأن بما فى حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على أنه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع ﴿هل أتاك حديث ضيف ابراهيم﴾ تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على أنه ليس مما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحى والضيف فى الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك آخر معهما عليهم السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف حيث أضافهم ابراهيم عليه السلام أو لانهم كانوا فى حسبانه كذلك ﴿المكرمين﴾ أى المكرمين عند الله تعالى أو عند ابراهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته ﴿اذ دخلوا عليه﴾ ظرف للحديث أو لما فى الضيف من معنى الفعل أو المكرمين ان فسر باكرام ابراهيم ﴿فقالوا سلاما﴾ أى نسلم عليك سلاما ﴿قال﴾ أى ابراهيم ﴿سلام﴾ أى عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات والدوام حتى تكون تحيته عليه الصلاة والسلام أحسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد ﴿قوم منكرون﴾ أنكرهم عليه الصلاة والسلام للسلام الذى هو علم للاسلام أو لانهم ليسوا ممن عهدهم من الناس أو لان أوضاعهم وأشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عليه الصلاة والسلام انما قاله فى نفسه من غير أن يشعرهم بذلك لا أنه خاطبهم به جهرا أو سألهم أن يعرفوه أنفسهم كما قيل والا لكشفوا أحوالهم عند ذلك ولم يتصد عليه الصلاة والسلام لمقدمات الضيافة ﴿فراغ الى أهله﴾ أى ذهب اليهم على خفية من ضيفه فان من أدب المضيف أن يبادره بالقرى ويبادر به حذارا من أن يكفه ويعذره أو يصير منتظرا والفاء فى قوله تعالى ﴿فجاء بعجل سمين﴾ فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بكمال سرعة المجىء بالطعام كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فذبح عجلا فحنذه فجاء به ﴿فقربه اليهم﴾ بأن وضعه لديهم حسبما هو المعتاد ﴿قال ألا تأكلون﴾ انكارا لعدم تعرضهم للاكل ﴿فأوجس منهم﴾ أضمر فى نفسه ﴿خيفة﴾ لتوهم أنهم جاؤا للشر وقيل وقع فى قلبه أنهم ملائكة جاؤا للعذاب ﴿قالوا لا تخف﴾ قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم ﴿وبشروه﴾ وفى سورة الصافات وبشرناه أى بواسطتهم ﴿بغلام﴾ هو اسحق عليه السلام ﴿عليم﴾ عند بلوغه واستوائه ﴿فأقبلت امرأته﴾ سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم ﴿فى صرة﴾ فى صيحة من الصرير ومحله النصب على الحالية أو المفعولية ان جعل أقبلت بمعنى أخذت كما يقال أقبل يشتمنى ﴿فصكت وجهها﴾ أى لطمته من الحياء لما أنها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت بأطراف أصابعها جبينها كما يفعله المتعجب ﴿وقالت عجوز عقيم﴾ أى أنا عجوز عاقر فكيف ألد ﴿قالوا كذلك﴾ مثل ذلك القول الكريم ﴿قال ربك﴾ وانما نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لا أنا نقوله من تلقاء أنفسنا ﴿انه هو الحكيم العليم﴾ فيكون قوله حقا وفعله متقنا لا محالة. روى أن جبريل عليه السلام قال لها انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابراهيم عليه السلام أيضا حسبما شرح فى سورة الحجر وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما أنه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر ههنا وفى سورة هود ﴿قال﴾ أى ابراهيم عليه السلام لما علم أنهم ملائكة أرسلوا الامر ﴿فما خطبكم﴾ أى شأنكم الخطير الذى لاجله أرسلتم سوى البشارة ﴿أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين﴾ يعنون قوم لوط ﴿لنرسل عليهم﴾ أى بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل فى سائر السور الكريمة ﴿حجارة من طين﴾

أى طين متحجر هو السجيل ﴿مسومة﴾ مرسلة من أسمت الماشية أى أرسلتها أو معلمة من السومة وهى العلامة وقدمر تفصيله فى سورة هود ﴿عند ربك للمسرفين﴾ المجاوزين الحد فى الفجور وقوله تعالى ﴿فأخرجنا﴾ الخ حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط عليه السلام بطريق الاجمال بعد حكاية ماجرى بين الملائكة و بين ابراهيم عليه السلام من الكلام والفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها فى مواضع أخر كأنه قيل فباشروا ماأمروا به فأخرجنا بقولنا فأسر بأهلك الخ ﴿من كان فيها﴾ أى فى قرى قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها ﴿من المؤمنين﴾ ممن آمن بلوط ﴿فما وجدنا فيها غير بيت﴾ أى غير أهل بيت ﴿من المسلمين﴾ قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر ﴿وتركنا فيها﴾ أى فى القرية ﴿آية﴾ أى علامة دالة على ماأصابهم من العذاب قيل هى تلك الاحجار أو صخر منضود فيها أو ماء منتن ﴿للذين يخافون العذاب الاليم﴾ أى من شأنهم أن يخافوه لسلامة فطرتهم و رقة قلوبهم دون من عداهم من ذوى القلوب القاسية فانهم لايعتدون بها و لايعدونها آية ﴿وفى موسى﴾ عطف على قوله تعالى و فى الارض أو على قوله تعالى وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا فى موسى آية كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا ﴿اذ أرسلناه﴾ قيل هو منصوب بآية وقيل بمحذوف أى كائنة وقت ارسالنا وقيل بتركنا ﴿الى فرعون بسلطان مبين﴾ هو ماظهر على يديه من المعجزات الباهرة ﴿فتولى بركنه﴾ أى فأعرض عن الايمان به وازور كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فان الركن اسم لما يركن اليه الشئ وقرئ بركنه بضم الكاف ﴿وقال ساحر﴾ أى هو ساحر ﴿أو مجنون﴾ كأنه نسب ماظهر على يديه عليه الصلاة والسلام من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد فى أنه حصل باختياره وسعيه أو بغيرهما ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم﴾ وفيه من الدلالة على غاية عظم شأن القدرة الربانية ونهاية قماءة فرعون وقومه مالايخفى ﴿وهو مليم﴾ أى آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير فى فأخذناه ﴿وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ وصفت بالعقم لانها أهلكتهم وقطعت دابرهم أو لأنها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر أو القاح شجر وهى النكباء أو الدبور أو الجنوب ﴿ماتذر من شئ أتت عليه﴾ أى جرت عليه ﴿الا جعلته كالرميم﴾ هو كل مارم و بلى وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك ﴿وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ وهو قوله تعالى تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام قيل قال لهم صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غدا مصفرة و بعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب ﴿فعتوا عن أمر ربهم﴾ أى فاستكبروا عن الامتثال به ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ قيل لما رأوا العلامات التى بينها صالح عليه السلام من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فأتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهى المرة من الصعق ﴿وهم ينظرون﴾ اليها ويعاينونها ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ كقوله تعالى فأصبحوا فى دارهم جاثمين ﴿وما كانوا منتصرين﴾ بغيرهم كما لم يمتنعوا بأنفسهم ﴿وقوم نوح﴾ أى وأهلكنا قوم نوح فان ماقبله يدل عليه أو واذكر ويجوز أن يكون معطوفا على محل فى عاد و يؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مفعول فأخذناه ﴿من قبل﴾ أى من قبل هؤلاء المهلكين ﴿انهم كانوا قوما فاسقين﴾ خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصى ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ أى بقوة ﴿وانا لموسعون﴾ لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق أو لموسعون السماء أو مابينها وبين الارض أو الرزق ﴿والارض فرشناها﴾ مهدناها و بسطناها ليستقروا عليها ﴿فنعم الماهدون﴾ أى نحن ﴿ومن كل شئ﴾ أى من الاجناس ﴿خلقنا زوجين﴾ أى نوعين ذكرا وأنثى وقيل متقابلين السماء والارض

والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك ﴿لعلكم تذكرون﴾ أى فعلنا ذلك كله كى تتذكروا فتعرفوا أنه خالق الكل ورازقه وأنه المستحق للعبادة وأنه قادر على اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله تعالى ﴿ففروا الى الله﴾ مقدر لقول خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين والفاء اما لترتيب الأمر على ماحكى من آثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن أحكام رحمته المستدعية للفرار اليها كأنه قيل قل لهم اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى الله الذى هذه شؤنه بالايمان والطاعة كى تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه واما للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون كأنه قيل قل لهم فتذكروا ففروا الى الله الخ وقوله تعالى ﴿انى لكم منه نذير مبين﴾ تعليل للامر بالفرار اليه تعالى أو لوجوب الامتثال به فان كونه عليه الصلاة والسلام منذرا منه تعالى موجب عليه عليه الصلاة والسلام أن يأمرهم بالفرار اليه وعليهم أن يمتثلوا به أى انى لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذرا منه تعالى أو مظهر لما يجب اظهاره من العذاب المنذر به وفى أمره تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يأمرهم بالهرب اليه تعالى من عقابه وتعليله بأنه عليه الصلاة والسلام ينذرهم من جهته تعالى لامن تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى ﴿ولا تجعلوا مع الله الها آخر﴾ نهى موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى ﴿انى لكم منه﴾ أى من الجعل المنهى عنه ﴿نذير مبين﴾ فان تعلق كلمة من بالانذار مع كون صلته الباء بتضمينه معنى الافرار يقال فر منه أى هرب وأفره غيره كأنه قيل وفروا من أن تجعلوا معه تعالى اعتقادا أو قولا الها آخر وفيه تأكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه تعالى لكن لابطريق التكرير كما قيل بل بالنهى عن سببه وايجاب الفرار منه ﴿كذلك﴾ أى الامر مثل ماذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا أو مجنونا وقوله تعالى ﴿ما أتى الذين من قبلهم﴾ الخ تفسير له أى ماأتاهم ﴿من رسول﴾ من رسل الله ﴿الا قالوا﴾ فى حقه ﴿ساحر أو مجنون﴾ ولا سبيل الى انتصاب الكاف بأتى لامتناع عمل ما بعد النافية فيما قبلها ﴿أتواصوا به﴾ انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التى لاتكاد تخطر ببال أحد من العقلاء فضلا عن التفوه بها أى أوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى ﴿بل هم قوم طاغون﴾ اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك واثبات لكونه أمرا أقبح من التواصى وأشنع منه من الطغيان الشامل للكل الدال على أن صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لابموجب وصية من قبلهم بذلك من غير أن يكون ذلك مقتضى طباعهم ﴿فتول عنهم﴾ فأعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فأبوا الا الاباء ﴿فما أنت بملوم﴾ على التولى بعد ما بذلت المجهود وجاوزت فى الابلاغ كل حد معهود ﴿وذكر﴾ أى افعل التذكير والموعظة ولا تدعهما بالمرة أو فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر ﴿فان الذكرى تنفع المؤمنين﴾ أى الذين قدر الله تعالى ايمانهم أو الذين آمنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة فى اليقين ﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾ استئناف مؤكد للامر مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم مغيا بعبادته تعالى مما يدعوه عليه الصلاة والسلام الى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن فى الذكر لتقدمه على خلق الانس فى الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها أتم استعداد وأكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتب الغاية على ماهى ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ماهو غرض له فان استتباع أفعاله تعالى لغايات جليلة مما لانزاع فيه قطعا كيف لا وهى رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذى لايليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لافضائه الى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه وأما بمعنى نهاية كمالية يفضى اليها فعل الفاعل الحق فغير منفى من أفعاله تعالى

بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفى فى تحقق معنى التعليل على مايقوله الفقهاء ويتعارفه أهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام وأما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادي وتآخذ المقدمات الموصلة اليها لايمنع كونها غاية كما فى قوله تعالى كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى الا ليؤمروا بعبادتى كما فى قوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد سعداء الجنسين كما أن المراد بقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس أشقياؤهما ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوى معناه الا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف ولعل السر فى التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق اطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على أن المعتبر هى المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة ﴿ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾ بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعاليا عن أن يكون كشأن السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وتهيئة أرزاقهم أى ما أريد أن أصرفهم فى تحصيل رزقى ولا رزقهم بل أتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندى فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتى ﴿ ان الله هو الرزاق ﴾ الذى يرزق كل مايفتقر الى الرزق وفيه تلويح بأنه غنى عنه وقرىء انى أنا الرزاق ﴿ ذو القوة المتين ﴾ بالرفع على أنه نعت للرزاق أو لذو أو خبر بعد خبر أو خبر لمضمر وقرىء بالجر على أنه وصف للقوة على تاويل الاقتدار أو الايد ﴿ فان للذين ظلموا ﴾ أى ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو وضعوا مكان التصديق تكذيبا وهم أهل مكة ﴿ ذنوبا ﴾ أى نصيبا وافرا من العذاب ﴿ مثل ذنوب أصحابهم ﴾ مثل أنصباء نظرائهم من الأمم المحكية وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء ﴿ فلا يستعجلون ﴾ أى لايطلبوا منى أن أعجل فى المجىء به يقال استعجله أى حثه على العجلة وأمره بها ويقال استعجله أى طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴿ فويل للذين كفروا ﴾ وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على أن لهم عذابا عظيما كما أن الفاء الاولى لترتيب النهى عن الاستعجال على ذلك ومن فى قوله تعالى ﴿ من يومهم الذى يوعدون ﴾ للتعليل أى يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الأنسب بما فى صدر السورة الكريمة الآتية والأول هو الأوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوى . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ والذاريات أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا

سورة الطور

(مكية وآيها تسع أو ثمان وأربعون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والطور ﴾ الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى ﴿ وكتاب مسطور ﴾ مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن أو ألواح موسى عليه السلام وهو الانسب بالطور أو ما يكتب فى اللوح أو ما يكتبه الحفظة ﴿ فى رق منشور ﴾ الرق الجلد

الذى يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم أو للاشعار بأنهما ليسا مما يتعارفه الناس ﴿والبيت المعمور﴾ أى الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين أو الضراح وهو فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة ﴿والسقف المرفوع﴾ أى السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور ﴿والبحر المسجور﴾ أى المملوء وهو البحر المحيط أو الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت فالمراد به الجنس روى أن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة نارا يسجر بها نار جهنم ﴿ان عذاب ربك لواقع﴾ أى لنازل حتما جواب للقسم وقوله تعالى ﴿ماله من دافع﴾ اما خبر ثان لان أو صفة لواقع ومن دافع اما مبتدأ للظرف أو مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتأكيد وتخصيص هذه الأمور بالاقسام بها لما أنها أمور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على احاطته تعالى بتفاصيل أعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق أخباره التى من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله تعالى ﴿يوم تمور السماء مورا﴾ ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته والمور الاضطراب والتردد فى المجئ والذهاب وقيل هو تحرك فى تموج قيل تدور السماء كما تدور الرحا وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف أجزاؤها ﴿وتسير الجبال سيرا﴾ أى تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتأكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة أى مورا عجيبا وسيرا بديعا لايدرك كنههما ﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾ أى اذا وقع ذلك أو اذا كان الأمر كما ذكر فويل يوم اذ يقع ذلك لهم ﴿الذين هم فى خوض﴾ أى اندفاع عجيب فى الاباطيل والاكاذيب ﴿يلعبون﴾ يلهون ﴿يوم يدعون الى نار جهنم دعا﴾ أى يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بأن تغل أيديهم الى أعناقهم وتجمع نواصيهم الى أقدامهم فيدفعوا الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم اما بدل من يوم تمور أو ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى ﴿هذه النار التى كنتم بها تكذبون﴾ أى يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحى الناطق بها وقوله تعالى ﴿أفسحر هذا﴾ توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا كأنه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا أيضا سحر وتقديم الخبر لأنه محط الانكار ومدار التوبيخ ﴿أم أنتم لا تبصرون﴾ أى أم أنتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر أو أم سدت أبصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴿اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا﴾ أى ادخلوها وقاسوا شدائدها فافعلوا ماشئتم من الصبر وعدمه ﴿سواء عليكم﴾ أى الأمران فى عدم النفع لايدفع العذاب ولا يخففه وقوله تعالى ﴿انما تجزون ما كنتم تعملون﴾ تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه سواء فى عدم النفع ﴿ان المتقين فى جنات ونعيم﴾ أى فى أية جنات وأى نعيم على أن التنوين للتفخيم أو فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على أنه للتنويع ﴿فاكهين﴾ ناعمين متلذذين ﴿بما آتاهم ربهم﴾ وقرئ فكهين وفاكهون على أنه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر أو خبر آخر ﴿ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾ عطف على آتاهم على أن ما مصدرية أو على خبر ان أو حال باضمار قد اما من المستكن فى الخبر أو فى الحال واما من فاعل آتى أو من مفعوله أو منهما واظهار الرب فى موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل ﴿كلوا واشربوا﴾ أى يقال لهم كلوا واشربوا أكلا وشربا ﴿هنيئا﴾ أو طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه ﴿بما كنتم تعملون﴾ بسببه أو بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا أى هنأ كما كنتم تعملون أى جزاؤه ﴿متكئين على سرر مصفوفة﴾ مصطفة ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته بالتأويل المشهور وقرئ بعين عين والباء مع أن التزويج مما يتعدى الى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والالصاق أو للسببية اذ المعنى صيرناهم أزواجا بسببهن فان الزوجية

لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم وقوله تعالى ﴿والذين آمنوا﴾ الخ كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من أهل الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم فى الايمان وهو مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقوله تعالى ﴿واتبعتهم ذريتهم﴾ عطف على آمنوا وقيل اعتراض وقوله تعالى ﴿بايمان﴾ متعلق بالاتباع أى اتبعتهم ذريتهم بايمان فى الجملة قاصر عن رتبة ايمان الآباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم فى الايمان الكامل أصالة لا الحاقا وقرئ ذرياتهم للمبالغة فى الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرئ وأتبعناهم ذرياتهم أى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقرئ اتبعتهم ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ أى فى الدرجة كما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقربهم عينه ثم تلا هذه الآية ﴿وما ألتناهم﴾ وما نقصنا الآباء بهذا الالحاق ﴿من عملهم﴾ من ثواب عملهم ﴿من شئ﴾ بأن أعطينا بعض مثوباتهم أبناءهم فتنقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم الى منزلتهم بمحض التفضل والاحسان وقرئ ألتناهم بكسر اللام من ألت يألت كعلم يعلم والأول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يلت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا أى بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وأخرى بمؤانسة الاخوان المؤمنين وقوله تعالى واتبعتهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده أى بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم أو بسبب ايمان دانى المنزلة وهو ايمان الذرية كأنه قيل بشئ من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ قيل هو فعيل بمعنى مفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح فان عمله فكه والا أهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب راهن أى دائم ثابت وهذا أنسب بالمقام فان الدوام يقتضى عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته أن لا ينقص من ثواب الآباء شئ فالجملة تعليل لما قبلها ﴿وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون﴾ وزدناهم على ما كان لهم من مبادى التنعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعماء وألوان الآلاء ﴿يتنازعون فيها﴾ أى يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع ﴿كأسا﴾ أى خمرا تسمية لها باسم محلها ﴿لا لغو فيها﴾ أى فى شربها حيث لا يتكلمون فى أثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام ﴿ولا تأثيم﴾ ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أى ينسب الى الاثم لو فعله فى دار التكليف كما هو ديدن المنادمين فى الدنيا وانما يتكلمون بالحكم وأحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم بالفتح ﴿ويطوف عليهم﴾ أى بالكأس ﴿غلمان لهم﴾ أى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم أولادهم الذين سبقوهم ﴿كأنهم لؤلؤ مكنون﴾ مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم أو مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالى القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه الصلاة والسلام ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ أى يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن أحواله وأعماله فيكون كل بعض سائلا ومسؤلا لا أنه يسأل بعض معين منهم بعضا آخر معينا ﴿قالوا﴾ أى المسؤلون وهم كل واحد منهم فى الحقيقة ﴿انا كنا قبل﴾ أى فى الدنيا ﴿فى أهلنا مشفقين﴾ أرقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته أو وجلين من العاقبة ﴿فمن الله علينا﴾ بالرحمة أو التوفيق للحق ﴿ووقانا عذاب السموم﴾ عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد ﴿انا كنا من قبل ندعوه﴾

أى نعبده أو نسأله الوقاية ﴿ انه هو البر ﴾ المحسن ﴿ الرحيم ﴾ الكثير الرحمة الذى اذا عبد أثاب واذا سئل أجاب وقرئ أنه بالفتح بمعنى لانه ﴿ فذكر ﴾ فاثبت على ما أنت عليه من التذكير بما أنزل اليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لاخير فيه من الاباطيل ﴿ فما أنت بنعمة ربك ﴾ بحمده وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل ﴿ بكاهن ولا مجنون ﴾ كما يقولون قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴿ أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ﴾ وهو مايقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو فى الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع أى بل أيقولون ننتظر به نوائب الدهر ﴿ قل تربصوا فانى معكم من المتربصين ﴾ أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى وفيه عدة كريمة باهلاكهم ﴿ أم تأمرهم أحلامهم ﴾ أى عقولهم ﴿ بهذا ﴾ أى بهذا التناقض فى المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر فى الامور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع أوصاف هؤلاء فى واحد وأمر الاحلام بذلك مجاز عن أدائها اليه ﴿ أم هم قوم طاغون ﴾ مجاوزون الحدود فى المكابرة والعناد لايحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون مايقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم ﴿ أم يقولون تقوله ﴾ أى اختلقه من تلقاء نفسه ﴿ بل لا يؤمنون ﴾ فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل التى لايخفى على أحد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلى الله عليه وسلم الا واحد من العرب فكيف أتى بما عجز عنه كافة الامم من العرب والعجم ﴿ فليأتوا بحديث مثله ﴾ مثل القرآن فى النعوت التى استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى ﴿ ان كانوا صادقين ﴾ فيما زعموا فان صدقهم فى ذلك يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه الصلاة والسلام فى البشرية والعربية مع مابهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة فى حفظ الوقائع والايام ولا ريب فى أن القدرة على الشئ من موجبات الاتيان به ودواعى الامر بذلك ﴿ أم خلقوا من غير شئ ﴾ أى أم أحدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل أم خلقوا من أجل لاشئ من عبادة وجزاء ﴿ أم هم الخالقون ﴾ لانفسهم فلذلك لايعبدون الله سبحانه ﴿ أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون ﴾ أى اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والا لما أعرضوا عن عبادته ﴿ أم عندهم خزائن ربك ﴾ أى خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤا ويمسكوها عمن شاؤا أو أعندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره ﴿ أم هم المسيطرون ﴾ أى الغالبون على الامور يدبرونها كيفما شاؤا حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطاء ﴿ أم لهم سلم ﴾ منصوب الى السماء ﴿ يستمعون فيه ﴾ صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ماهو كائن من الامور التى يتقولون فيها رجما بالغيب ويعلقون بها أطماعهم الفارغة ﴿ فليأت مستمعهم بسلطان مبين ﴾ بحجة واضحة تصدق استماعه ﴿ أم له البنات ولكم البنون ﴾ تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وايذان بأن من هذا رأيه لايكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقى الى عالم الملكوت والتطلع على الاسرار الغيبية والالتفات الى الخطاب لتشديد مافى أم المنقطعة من الانكار والتوبيخ ﴿ أم تسألهم أجرا ﴾ رجوع الى خطابه عليه الصلاة والسلام واعراض عنهم أى بل أتسألهم أجرا على تبليغ الرسالة ﴿ فهم ﴾ لذلك ﴿ من مغرم ﴾ من التزام غرامة فادحة ﴿ مثقلون ﴾ محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك ﴿ أم عندهم الغيب ﴾ أى اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب ﴿ فهم يكتبون ﴾ مافيه حتى يتكلموا فى ذلك بنفى أو اثبات ﴿ أم يريدون كيدا ﴾ هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة ﴿ فالذين كفروا ﴾ هم

المذكورون و وضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به أو جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا أوليا ﴿هم المكيدون﴾ أى هم الذين يحيق بهم كيدهم أو يعود عليهم و باله لامن أرادوا أن يكيدوه وهو ما أصابهم يوم بدر أوهم المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته ﴿أم لهم اله غيرالله﴾ يعينهم ويحرسهم من عذابه ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ أى عن اشراكهم أو عن شركة مايشركونه ﴿وان يروا كسفا﴾ قطعة ﴿من السماء ساقطا﴾ لتعذيبهم ﴿يقولوا﴾ من فرط طغيانهم وعنادهم ﴿سحاب مركوم﴾ أى هم فى الطغيان بحيث لو أسقطناه عليهم حسبما قالوا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب ﴿فذرهم حتى يلاقوا﴾ وقرئ حتى يلقوا ﴿يومهم الذى فيه يصعقون﴾ على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة أو من أصعقته وقرئ يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الأولى كما قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا حينئذ ولأن قوله تعالى ﴿يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا﴾ أى شيئا من الاغناء بدل من يومهم ولا يخفى أن التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعى استعمالهم له طمعا فى الانتفاع به وليس ذلك الا مادبروه فى أمره صلى الله عليه وسلم من الكيد الذى من جملته مناصبتهم يوم بدر وأما النفخة الأولى فليست مما يجرى فى مدافعته الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما تأباه الاضافة المنبئة عن اختصاصه بهم ﴿ولاهم ينصرون﴾ من جهة الغير فى دفع العذاب عنهم ﴿وان للذين ظلموا﴾ أى لهم و وضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من قبل أى وان لهؤلاء الظلمة ﴿عذابا﴾ آخر ﴿دون ذلك﴾ دون مالاقوه من القتل أى قبله وهو القحط الذى أصابهم سبع سنين أو وراءه كما فى قوله تريك القذى من دونها وهو دونها وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة وقرئ دون ذلك قريبا ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن الأمر كما ذكر وفيه اشارة الى أن فيهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا أو لا يعلمون شيئا أصلا ﴿واصبر لحكم ربك﴾ بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الأحزان ومعاناة الهموم ﴿فانك بأعيننا﴾ أى فى حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتناء بالحفظ ﴿وسبح﴾ أى نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا ﴿بحمد ربك﴾ على نعمائه الفائتة للحصر ﴿حين تقوم﴾ من أى مكان قمت قال سعيد بن جبير وعطاء أى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه صل لله حين تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقوله تعالى ﴿ومن الليل فسبحه﴾ افراد لبعض الليل بالتسبيح لما أن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل ﴿وادبار النجوم﴾ أى وقت ادبارها من آخر الليل أى غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر وقرئ أدبار النجوم بالفتح أى فى أعقابها اذا غربت أو خفيت . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والطور كان حقا على الله تعالى أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه فى جنته

سورة والنجم

(مكية وآيها احدى أو اثنتان وستون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والنجم اذا هوى﴾ المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب له أو جنس النجوم و بهويه غروبه وقيل طلوعه يقال

هوى هويا بوزن قبول اذا غرب وهويا بوزن دخول اذا علا وصعد وأما النجم من نجوم القرآن فهويه نزوله والعامل في اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما في قولك آتيك اذا احمر البسر وفي الاقسام بذلك على نزاهته عليه الصلاة والسلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه أما على الأولين فلأن النجم شأنه أن يهتدى به السارى الى مسالك الدنيا كأنه قيل والنجم الذى يهتدى به السابلة الى سواء السبيل ﴿ما ضل صاحبكم﴾ أى ما عدل عن طريق الحق الذى هو مسلك الآخرة ﴿وما غوى﴾ أى وما اعتقد باطلا قط أى هو فى غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية فى شيء أصلا وأما على الثالث فلأنه تنويه بشأن القرآن كما أشير اليه فى مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على مناط اهتدائه عليه الصلاة والسلام ومدار رشاده كأنه قيل والقرآن الذى هو علم فى الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق ما ضل عنها محمد عليه الصلاة والسلام وما غوى والخطاب لقريش وايراده عليه الصلاة والسلام بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة واحاطتهم خبرا ببراءته عليه الصلاة والسلام مما نفى عنه بالكلية وباتصافه عليه الصلاة والسلام بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له عليه الصلاة والسلام ومشاهدتهم لمحاسن شئونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوى على الوجه الأخير ظاهر وأما على الأولين فلأن النجم لا يهتدى به السارى عند كونه فى وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدى به عند هبوطه أو صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلى جبريل من الأفق الأعلى ودنوه منه عليهما السلام هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل وأما حمل هويه على انتثاره يوم القيامة أو على انقضاض النجم الذى يرجم به أو حمل النجم على النبات وحمل هويه على سقوطه على الأرض أو على ظهوره منها فمما لا يناسب المقام ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ أى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه أصلا فان المراد استمرار نفى النطق عن الهوى لا نفى استمرار النطق عنه كما مر مرارا ﴿ان هو﴾ أى ما الذى ينطق به من القرآن ﴿الا وحى﴾ من الله تعالى وقوله تعالى ﴿يوحى﴾ صفة مؤكدة لوحى رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددى ﴿علمه شديد القوى﴾ أى ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة فى ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذى هو تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده فى أسرع من رجعة الطرف ﴿ذو مرة﴾ أى حصافة فى عقله ورأيه ومتانة فى دينه ﴿فاستوى﴾ عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى ما أوحى بيان لكيفية التعليم أى فاستقام على صورته التى خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء فطلع له جبريل عليه السلام من المشرق فسد الأرض من المغرب وملأ الأفق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فى صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما رآه أحد من الأنبياء فى صورته غير النبى عليه الصلاة والسلام فانه رآه فيها مرتين مرة فى الأرض ومرة فى السماء وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الأمر وقوله تعالى ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ أى أفق الشمس حال من فاعل استوى ﴿ثم دنا﴾ أى أراد الدنو من النبى عليهما الصلاة والسلام ﴿فتدلى﴾ أى استرسل من الأفق الأعلى مع تعلق به فدنا من النبى يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وأدلى دلوه والدوالى الثمر المعلق ﴿فكان﴾ أى مقدار امتداد ما بينهما ﴿قاب قوسين﴾ أى مقدارهما فان القاب والقيب

والقاد والقيد والقيس المقدار وقيل فكان جبريل عليه السلام كما فى قولك هو منى معقد الازار ﴿أو أدنى﴾ أى على تقديركم كما فى قوله تعالى أو يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحى اليه بنفى البعد الملبس ﴿فأوحى﴾ أى جبريل عليه السلام ﴿الى عبده﴾ عبدالله تعالى واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما فى قوله تعالى ما ترك على ظهرها ﴿ما أوحى﴾ أى من الأمور العظيمة التى لا تفى بها العبارة أو فأوحى الله تعالى حينئذ بواسطة جبريل ما أوحى قيل أوحى اليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك ﴿ما كذب الفؤاد﴾ أى فؤاد محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ما رأى﴾ أى ما رآه ببصره من صورة جبريل عليهما السلام أى ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقرىء ما كذب أى صدقه ولم يشك أنه جبريل بصورته ﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ أى أتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة وأبعد ما ذكر من أحواله المنافية للمماراة تمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كلا من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرىء أفتمرونه أى أفتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه من مراه حقه اذا جحده ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ أى وبالله لقد رأى جبريل فى صورته مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لأن الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة أخرى فنصبها على المصدر ﴿عند سدرة المنتهى﴾ هى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من أصلها الأنهار التى ذكرها الله تعالى فى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة وقيل اليها ينتهى علم الخلائق وأعمالهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل ينتهى اليها أرواح الشهداء وقيل ينتهى اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشىء الى مكانه كقولك أشجار البستان أو اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى علوم الخلائق أو اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور أى سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى الى ربك المنتهى ﴿عندها جنة المأوى﴾ أى الجنة التى يأوى اليها المتقون أو أرواح الشهداء والجملة حالية وقيل الاحسن أن يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى ﴿اذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ ظرف زمان لرآه لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشى أو بمعنى الاتيان يقال فلان يغشانى كل حين أى يأتينى والأول هو الاليق بالمقام وفى ابهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق اليه أى ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفى به البيان كيفا ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة وللايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات أنوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت أقوى من الجبل وأثبت حيث لم يصبها ما أصابه من الدك وقيل يغشاها فراش أو جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عليه الصلاة والسلام يغشاها رفرف من طير خضر ﴿ما زاغ البصر﴾ أى ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه ﴿وما طغى﴾ وما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الأمور العجيبة المذهلة مما لا يحصى بل أثبته اثباتا صحيحا متيقنا أو ما عدل عن رؤية

العجائب التى أمر برؤيتها ومكن منها وماجاوزها ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ أى والله لقد رأى الآيات التى هى كبراها وعظماها حين عرج به الى السماء فأرى من عجائب الملك والملكوت مالا يحيط به نطاق العبارة ويجوز أن تكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف أى شيأ عظيما من آيات ربه وأن تكون من مزيدة ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ هى أصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهى فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وقرئ بتشديد التاء على أنه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزيت ويطعمه الحاج وقيل كان يلت السويق بالطائف ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمى الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الأعز كانت لغطفان وهى سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهى تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لأن دماء النسائك تمنى عندها أى تراق وقرئ ومناءة وهى مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والأخرى صفة ذم لها وهى المتأخرة الوضيعة المقدار وقد جوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع ماذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الأصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتا أفرأيتم الخ والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ماذكر من شئون الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهى قلبية ومفعولها الثانى محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى أعقيب ماسمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل فى ملكه وملكوته وجلاله وجبروته وأحكام قدرته ونفاذ أمره فى الملأ الأعلى وماتحت الثرى ومابينهما رأيتم هذه الأصنام مع غاية حقارتها وقماءتها بنات له تعالى وقيل المعنى أفرأيتم هذه الأصنام مع حقارتها وذلتها شركاء الله تعالى مع ماتقدم من عظمته وقيل أخبرونى عن آلهتكم هل لها شئ من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة فى الآى السابقة وقيل المعنى أظننتم أن هذه الأصنام التى تعبدونها تنفعكم وقيل أظننتم أنها تشفع لكم فى الآخرة وقيل أفرأيتم الى هذه الأصنام ان عبدتموها لاتنفعكم وان تركتموها لاتضركم والأول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى ﴿ ألكم الذكر وله الأنثى ﴾ شهادة بينة فانه توبيخ مبنى على التوبيخ الأول وحيث كان مداره تفضيل جانب أنفسهم على جنابه تعالى بنسبتهم اليه تعالى الاناث مع اختيارهم لأنفسهم الذكور وجب أن يكون مناط الأول نفس تلك النسبة حتى يتسنى بناء التوبيخ الثانى عليه وظاهر أن ليس فى شئ من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا أثر وأما ماقيل من أن هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد الى المفعول الأول لما أن الأصل أخبرونى أن اللات والعزى ومناة ألكم الذكر وله هن أى تلك الأصنام فوضع موضعها الأنثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ فمع مافيه من التمحلات التى ينبغى تنزيه ساحة التنزيل عن أمثالها يقتضى اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جناب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه ﴿ تلك ﴾ اشارة الى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية ﴿ اذا قسمة ضيزى ﴾ أى جائرة حيث جعلتم له تعالى ماتستنكفون منه وهى فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل فى بيض فان فعلى بالكسر لم يأت فى الوصف وقرئ ضئزى بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه على أنه مصدر نعت به وقرئ ضيزى اما على أنه مصدر وصف به كدعوى أو على أنه صفة كسكرى وعطشى ﴿ ان هى ﴾ الضمير للاصنام أى ما الأصنام باعتبار الألوهية التى يدعونها ﴿ الا أسماء ﴾ محضة ليس تحتها مما تنبئ هى عنه من معنى الألوهية شئ ما أصلا وقوله تعالى ﴿ سميتموها ﴾ صفة لأسماء وضميرها

لها لا للاصنام والمعنى جعلتموها أسماء لا جعلتم لها أسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا قيست الى الاسم فمعناها جعله اسما للمسمى وان قيست الى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وانما اختير ههنا المعنى الأول من غير تعرض للمسمى لتحقيق أن تلك الاصنام التى يسمونها آلهة أسماء مجردة ليس لها مسميات قطعا كما فى قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها الآية لا أن هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هى للاسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الأصنام لاعتقادهم أنها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز والتقرب اليها بالقرابين وأنت خبير بأنه لو سلم دلالة الأسماء المذكورة على ثبوت تلك المعانى الخاصة للاصنام فليس فى سلبها عنها مزيد فائدة بل انما هى فى سلب الألوهية عنها كما هو زعمهم المشهور فى حق جميع الأصنام على وجه برهانى فان انتفاء الموصوف يقتضى انتفاء الوصف بطريق الأولوية أى ماهى الا أسماء خالية عن المسميات وضعتموها ﴿أنتم وآباؤكم﴾ بمقتضى أهوائكم الباطلة ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ برهان تتعلقون به ﴿ان يتبعون﴾ التفات الى الغيبة للايذان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم أى ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها ﴿الا الظن﴾ الا توهم أن ماهم عليه حق توهما باطلا ﴿وما تهوى الأنفس﴾ أى تشتهيه أنفسهم الامارة بالسوء ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ قيل هى حال من فاعل يتبعون أو اعتراض وأيا ما كان ففيه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من أى شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى بارسال الرسول صلى الله عليه وسلم وانزال الكتاب أقبح ﴿أم للانسان ما تمنى﴾ أم منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان أن ماهم عليه غير مستند الا الى توهمهم وهوى أنفسهم الى بيان أن ذلك مما لا يجدى نفعا أصلا والهمزة للانكار والنفى أى ليس للانسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الأمور التى من جملتها أطماعهم الفارغة فى شفاعة الآلهة ونظائرها التى لا تكاد تدخل تحت الوجود ﴿فلله الآخرة والأولى﴾ تعليل لانتفاء أن يكون للانسان ما يتمناه حتما فان اختصاص أمور الآخرة والأولى جميعا به تعالى مقتض لانتفاء أن يكون له أمر من الأمور وقوله تعالى ﴿وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً﴾ اقناط لهم عما علقوا به أطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لاقناطهم من شفاعة الأصنام بطريق الأولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هى الجملة المنفية وجمع الضمير فى شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى أى وكثير من الملائكة لا تغنى شفاعتهم عند الله تعالى شيأ من الاغناء فى وقت من الأوقات ﴿الا من بعد أن يأذن الله﴾ لهم فى الشفاعة ﴿لمن يشاء﴾ أن يشفعوا له ﴿ويرضى﴾ ويراه أهلا للشفاعة من أهل التوحيد والايمان وأما من عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى بمعزل وعن الشفاعة بألف منزل فاذا كان حال الملائكة فى باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الأصنام ﴿ان الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصى ﴿ليسمون الملائكة﴾ المنزهين عن سمات النقصان على الاطلاق أى يسمون كل واحد منهم ﴿تسمية الأنثى﴾ فان قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بأن كلا منهم بنته سبحانه وهى التسمية بالأنثى وفى تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بأنها فى الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة فى الآخرة بحيث لا يجترىء عليها الا من لا يؤمن بها رأسا وقوله تعالى ﴿وما لهم به من علم﴾ حال من فاعل يسمون أى يسمونهم والحال أنه لا علم لهم بما يقولون أصلا وقرىء بها أى بالملائكة أو بالتسمية ﴿ان يتبعون﴾ فى ذلك ﴿الا الظن﴾ الفاسد ﴿وان الظن﴾ أى جنس الظن كما يلوح به الاظهار فى موقع الاضمار ﴿لا يغنى من الحق شيئاً﴾ من الاغناء فان الحق الذى هو عبارة عن حقيقة الشىء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداد به فى شأن المعارف الحقيقية وانما يعتد به فى العمليات وما يؤدى اليها ﴿فأعرض عمن تولى

عن ذكرنا﴾ أى عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به الى وصفهم بما فى حيز صلته من الأوصاف القبيحة
وتعليل الحكم بها أى فأعرض عمن أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقينى وهو القرآن المنطوى على علوم الأولين
والآخرين المذكر لأمور الآخرة أو عن ذكرنا كما ينبغى فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة ومافيها من الأمور المرغوب
فيها والمرهوب عنها ﴿ولم يرد الا الحيوة الدنيا﴾ راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد النهى عن دعوته والاعتناء بشأنه
فان من أعرض عما ذكر وانهمك فى الدنيا بحيث كانت هى منتهى همته وقصارى سعيه لاتزيده الدعوة الى خلافها الاعنادا
واصرارا على الباطل ﴿ذلك﴾ أى ماأداهم الى ماهم فيه من التولى وقصر الارادة على الحياة الدنيا ﴿مبلغهم من العلم﴾
لايكادون يجاوزونه الى غيره حتى تجديهم الدعوة والارشاد وجمع الضمير فى مبلغهم باعتبار معنى من كما أن افراده فيما
سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لمضمون ماقبلها من قصر الارادة
على الحياة الدنيا وقوله تعالى ﴿ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾ تعليل للأمر بالاعراض
وتكرير قوله تعالى هو أعلم لزيادة التقرير والايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من أصر عليه ولم يرجع الى الهدى
أصلا وبمن اهتدى من من شأنه الاهتداء فى الجملة أى هو المبالغ فى العلم بمن لايرعوى عن الضلال أبدا أو بمن يقبل الاهتداء
فى الجملة لاغيره فلاتتعب نفسك فى دعوتهم فانهم من القبيل الأول وفى تعليل الأمر باعراضه عليه السلام عن الاعتناء
بأمرهم باقتصار العلم بأحوال الفريقين عليه تعالى رمز الى أنه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزى كلا منهم بما يليق به من
الجزاء ففيه وعيد ووعد ضمنا كما سيأتى صريحا ﴿ولله مافى السموات ومافى الارض﴾ أى خلقا وملكا لالغيره أصلا
لااستقلالا ولااشتراكا وقوله تعالى ﴿ليجزى﴾ الخ متعلق بما دل عليه أعلم الخ ومابينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون
الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تعالى بأحوالهم ألا يعلم من خلق كأنه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى
ويحفظهما ليجزى ﴿الذين أساءوا بما عملوا﴾ أى بعقاب ماعملوا من الضلال الذى عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله أو
بسبب ماعملوا ﴿ويجزى الذين أحسنوا﴾ أى اهتدوا ﴿بالحسنى﴾ أى بالمثوبة الحسنى التى هى الجنة أو بسبب أعمالهم
الحسنى وقيل متعلق بما دل عليه قوله تعالى ولله مافى السموات ومافى الارض كأنه قيل خلق مافيهما ليجزى الخ وقيل
متعلق بضل واهتدى على أن اللام للعاقبة أى هو أعلم بمن ضل ليؤول أمره الى أن يجزيه الله تعالى بعمله وبمن اهتدى
ليؤول أمره الى أن يجزيه بالحسنى وفيه من البعد مالايخفى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء بأمر الجزاء والتنبيه على تباين
الجزاءين ﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم﴾ بدل من الموصول الثانى وصيغة الاستقبال فى صلته للدلالة على تجدد الاجتناب
واستمراره أو بيان أو نعت أو منصوب على المدح وكبائر الاثم مايكبر عقابه من الذنوب وهو مارتب عليه الوعيد
بخصوصه وقرىء كبير الاثم على ارادة الجنس أو الشرك ﴿والفواحش﴾ وما فحش من الكبائر خصوصا ﴿الا اللمم﴾
أى الا ماقل وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر قيل هى النظرة والغمزة والقبلة وقيل هى الخطرة من الذنب وقيل كل
ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولاعذابا وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع ﴿ان ربك واسع المغفرة﴾
حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على أن اخراجه عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه
عن الذنب فى نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل المعنى له أن يغفر لمن يشاء من المؤمنين مايشاء من الذنوب صغيرها
وكبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى ولا يتوهم
وجوب العقاب عليه تعالى ﴿هو أعلم بكم﴾ أى بأحوالكم يعلمها ﴿اذ أنشأكم﴾ فى ضمن انشاء أبيكم آدم عليه السلام
﴿من الارض﴾ انشاء اجماليا حسبما مر تقريره مرارا ﴿واذ أنتم أجنة﴾ أى ووقت كونكم أجنة ﴿فى بطون

أمهاتكم﴾ على أطوار مختلفة مترتبة لايخفى عليه حال من أحوالكم وعمل من أعمالكم التى من جملتها اللمم الذى لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله فالجملة استئناف مقرر لما قبلها والفاء فى قوله تعالى ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ لترتيب النهى عن تزكية النفس على ماسبق من أن عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم أى اذا كان الأمر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصى بالكلية أو بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ المعاصى جميعا وهو استئناف مقرر للنهى ومشعر بأن فيهم من يتقيها بأسرها وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب أو الرياء فأما من اعتقد أن ماعمله من الأعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين أنفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر ﴿أفرأيت الذى تولى﴾ أى عن اتباع الحق والثبات عليه ﴿وأعطى قليلا﴾ أى شيئاً قليلا أو اعطاء قليلا ﴿وأكدى﴾ أى قطع العطاء من قولهم أكدى الحافر اذا بلغ الكدية أى الصلابة كالصخرة فلايمكنه أن يحفر قالوا نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال أخشى عذاب الله فضمن أن يتحمل عنه العذاب ان أعطاه بعض ماله فارتد وأعطاه بعض المشروط وبخل بالباقى وقيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى لما أنه كان يوافق النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور وقيل فى أبى جهل كان ربما يوافق الرسول صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور وكان يقول والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الأخلاق وذلك قوله تعالى وأعطى قليلا وأكدى والاول هو الاشهر المناسب لما بعده من قوله تعالى ﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾ الخ أى أعنده علم بالامور الغيبية التى من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة ﴿أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى﴾ أى وفر وأتم ماابتلى به من الكلمات أو أمر به أو بالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله مالم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى أنه أتاه جبريل عليه السلام حين يلقى فى النار فقال ألك حاجة فقال أما اليك فلا وعلى ذبح الولد ويروى أنه كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه أكرمه والانوى الصوم وتقديم موسى لما أن صحفه التى هى التوراة أشهر عندهم وأكثر ﴿أن لاتزر وازرة وزر أخرى﴾ أى أنه لاتحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس أخرى على أن أن هى المخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على أنها بدل بما فى صحف موسى أو الرفع على أنها خبر مبتدا محذوف كأنه قيل ما فى صحفهما فقيل هو أن لاتزر الخ والمعنى أنه لايؤاخذ أحد بذنب غيره ليتخلص الثانى عن عقابه ولايقدح فى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك وزر الاضلال الذى هو وزره وقوله تعالى ﴿وأن ليس للانسان الاماسعى﴾ بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اليه اثر بيان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه وأماشفاعة الأنبياء عليهم السلام واستغفار الملائكة عليهم السلام ودعاء الاحياء للاموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك بما لايكاد يحصى من الامور النافعة للانسان مع أنها ليست من عمله قطعا فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذى هو الايمان والصلاح ولم يكن لشئ منها نفع مابدونه جعل النافع نفس عمله وان كان بانضمام عمل غيره اليه وأن مخففة كأختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى ﴿وأن سعيه سوف يرى﴾ أى يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة فى صحيفته وميزانه من أريته الشئ ﴿ثم يجزاه﴾ أى يجزى الانسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز أن يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى

﴿الجزاء الاوفى﴾ أو يبدل عنه كما فى قوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا ﴿وأن الى ربك المنتهى﴾ أى انتهاء الخلق ورجوعهم اليه تعالى لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا وقرئ بكسر ان على الابتداء ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ أى هو خلق قوتى الضحك والبكاء ﴿وأنه هو أمات وأحيى﴾ لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان أثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى﴾ تدفق فى الرحم أو تخلق أو يقدر منها الولد من منى بمعنى قدر ﴿وأن عليه النشأة الاخرى﴾ أى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرئ النشاءة بالمد وهى أيضا مصدر نشأه ﴿وأنه هو أغنى وأقنى﴾ وأعطى القنية وهى ما يتأثل من الأموال وافردها بالذكر لأنها أشرف الأموال أو أرضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية ﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ أى رب معبودهم وهى العبور وهى أشد ضياء من الغميصاء وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو كبشة تشبيها له عليه الصلاة والسلام به لمخالفته اياهم فى دينهم ﴿وأنه أهلك عادا الاولى﴾ هى قوم هود عليه السلام وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لأنهم أولى الامم هلاكا بعد قوم نوح وقرئ عاد الاولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى اللام وعادلولى بادغام التنوين فى اللام وطرح همزة أولى ونقل حركتها الى لام التعريف ﴿وثمود﴾ عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرئ وثمودا بالتنوين ﴿فما أبقى﴾ أى أحدا من الفريقين ﴿وقوم نوح﴾ عطف عليه أيضا ﴿من قبل﴾ أى من قبل اهلاك عاد وثمود ﴿انهم كانوا هم أظلم وأطغى﴾ من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه الصلاة والسلام حتى لا يكون به حراك وما أثر فيهم دعاؤه قريبا من ألف سنة ﴿والمؤتفكة﴾ هى قرى قوم لوط ائتفكت بأهلها اى انقلبت بهم ﴿أهوى﴾ أى أسقطها الى الارض بعد أن رفعها على جناح جبريل عليه السلام الى السماء ﴿فغشاها ما غشى﴾ من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه ﴿فبأى آلاء ربك تتمارى﴾ تتشكك والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام على طريقة قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك أو لكل أحد واسناد فعل التمارى الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه فان صيغة التفاعل وان كانت موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن المعنى الثانى فيراد بها المعنى الاول فقط كما فى يتداعونهم أى يدعونهم وقد تجرد عنهم أيضا فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما فيما نحن فيه فان المراء متعدد بتعدد الآلاء فتدبر وتسمية الامور المعدودة آلاء مع أن بعضها نقم لما أنها أيضا نعم من حيث انها نصرة للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين ﴿هذا نذير من النذر الأولى﴾ هذا اما اشارة الى القرآن والنذير مصدر أو الى الرسول عليه الصلاة والسلام والنذير بمعنى المنذر وأياما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد أى هذا القرآن الذى تشاهدونه نذير من قبيل الانذارات المتقدمة التى سمعتم عاقبتها أو هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الاولين والاولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم أحوال قومهم المنذرين وفى تعقيبه بقوله تعالى ﴿أزفت الآزفة﴾ اشعار بأن تعذيبهم مؤخر الى يوم القيامة أى دنت الساعة الموصوفة بالدنو فى نحو قوله تعالى اقتربت الساعة ﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾ أى ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها الا الله تعالى لكنه لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بتأخيرها الا الله تعالى فانه المؤخر لها أو ليس لها كاشفة لوقتها الا الله تعالى كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو أو ليس لها من غير الله تعالى كشف على أن كاشفة مصدر كالعافية ﴿أفمن هذا الحديث﴾ أى القرآن ﴿تعجبون﴾ انكارا ﴿وتضحكون﴾ استهزاء

مع كونه أبعد شئ من ذلك ﴿ ولا تبكون ﴾ حزنا على ما فرطتم فى شأنه وخوفا من أن يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة ﴿ وأنتم سامدون ﴾ أى لاهون أو مستكبرون من سمد البعير اذا رفع رأسه أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير أو خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما فى قول من قال

رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا

والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا أن مضمونها على الوجه الاخير قيد للنفى والانكار وارد على نفى البكاء والسمود معا وعلى الوجوه الأول قيد للنفى والانكار متوجه الى نفى البكاء ووجود السمود والأول أوفى بحق المقام فتدبر والفاء فى قوله تعالى ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ لترتيب الأمر أو موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع أى واذا كان الأمر كذلك فاسجدوا لله الذى أنزله واعبدوه . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والنجم أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة شرفها الله تعالى

سورة القمر

(مكية وآيها خمس وخمسون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ روى أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر قال ابن عباس رضى الله عنهما انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتى القمر وعن عثمان ابن عطاء عن أبيه أن معناه سينشق يوم القيامة ويرده قوله تعالى ﴿ وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ فانه ناطق بأنه قد وقع وأنهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقرئ وقد انشق القمر أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد أو الاستحكام أى وان يروا آية من آيات الله يعرضوا عن التأمل فيها ليقفوا على حقيتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دائم يأتى به محمد على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر أنواع السحر أو قوى مستحكم لا يمكن ازالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لأنفسهم وتعليلا وهو الانسب بغلوهم فى العناد والمكابرة ويؤيده ما سيأتى لرده وقرئ وان يروا على البناء للمفعول من الاراءة ﴿ وكذبوا ﴾ أى بالنبى صلى الله عليه وسلم وما عاينوه مما أظهره الله تعالى على يده من المعجزات ﴿ واتبعوا أهواءهم ﴾ التى زينها الشيطان لهم أو كذبوا الآية التى هى انشقاق القمر واتبعوا أهواءهم وقالوا سحر القمر أو سحر أعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضى للدلالة على التحقق وقوله تعالى ﴿ وكل أمر مستقر ﴾ استئناف مسوق لاقناطهم عما علقوا به أمانيهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه الصلاة والسلام حسبما قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه أى وكل أمر من الأمور منته الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها أمر النبى صلى الله عليه وسلم فسيصير الى غاية يتبين عندها حقيته وعلو شأنه وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به وقيل المعنى كل أمر من أمرهم وأمره عليه الصلاة والسلام مستقر أى سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة فى الدنيا وشقاوة أو سعادة فى الآخرة وقرئ بالفتح على أنه مصدر أو اسم مكان أو اسم زمان أى ذو استقرار أو ذو موضع استقرار أو ذو زمان

استقرار وبالكسر والجر على أنه صفة أمر وكل عطف على الساعة أى اقتربت الساعة وكل أمر مستقر ﴿ ولقد جاءهم ﴾ أى فى القرآن وقوله تعالى ﴿ من الانباء ﴾ أى أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال عما بعده أى وبالله لقد جاءهم كائنا من الانباء ﴿ مافيه مزدجر ﴾ أى ازدجار من تعذيب أو وعيد أو موضع ازدجار على أن فى تجريدية والمعنى أنه فى نفسه موضع ادجار وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاى للتناسب وقرىء مزجر بقلبها زاء وادغامها ﴿ حكمة بالغة ﴾ غايتها لاخلل فيها وهى بدل من ما أو خبر لمحذوف وقرىء بالنصب حالا منها فانها موصولة أو موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها ﴿ فما تغنى النذر ﴾ نفى للاغناء أو انكار له والفاء لترتيب عدم الاغناء على مجىء الحكمة البالغة مع كونه مظنة للاغناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد عدم الاغناء واستمراره حسب تجدد مجىء الزواجر واستمراره وما على الوجه الثانى منصوبة أى فأى اغناء تغنى النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر أو مصدر بمعنى الانذار ﴿ فتول عنهم ﴾ لعلمك بأن الانذار لايؤثر فيهم البتة ﴿ يوم يدع الداع ﴾ منصوب بيخرجون أو باذكر والداعى اسرافيل عليه السلام ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالأمر فى قوله تعالى كن فيكون واسقاط الياء للاكتفاء بالكسر تخفيفا ﴿ الى شىء نكر ﴾ أى منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيامة وقرىء نكر بالتخفيف ونكر بمعنى أنكر ﴿ خشعا أبصارهم ﴾ حال من فاعل ﴿ يخرجون ﴾ والتقديم لأن العامل متصرف أى يخرجون ﴿ من الاجداث ﴾ أذلة أبصارهم من شدة الهول وقرىء خاشعا والافراد والتذكير لأن فاعله ظاهر غير حقيق التأنيث وقرىء خاشعة على الأصل وقرىء خشع أبصارهم على الابتداء والخبر على أن الجملة حال ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ فى الكثرة والتموج والتفرق فى الاقطار ﴿ مهطعين الى الداع ﴾ مسرعين مادى أعناقهم اليه أو ناظرين اليه ﴿ يقول الكافرون ﴾ استئناف وقع جوابا عما نشأ من وصف اليوم بالاهوال وأهله بسوء الحال كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون ﴿ هذا يوم عسر ﴾ أى صعب شديد وفى اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بأن المؤمنين ليسوا فى تلك المرتبة من الشدة ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح ﴾ شروع فى تعداد بعض ماذكر من الانباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تأثرهم بها تقرير لفحوى قوله تعالى فما تغنى النذر أى فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى ﴿ فكذبوا عبدنا ﴾ تفسير لذلك التكذيب المبهم كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقيبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لأنه من جملتهم وفى ذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه الصلاة والسلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه ﴿ وقالوا مجنون ﴾ أى لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون ﴿ وازدجر ﴾ عطف على قالوا أى وزجر عن التبليغ بأنواع الأذية وقيل هو من جملة ما قالوه أى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته ﴿ فدعا ربه أنى ﴾ أى بأنى وقرىء بالكسر على ارادة القول ﴿ مغلوب ﴾ أى من جهة قومى مالى قدرة على الانتقام منهم ﴿ فانتصر ﴾ أى فانتقم لى منهم وذلك بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا والتى فقد روى أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ﴾ منصب وهو تمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها وقرىء ففتحنا بالتشديد لكثرة الأبواب ﴿ وفجرنا الأرض عيونا ﴾ أى جعلنا الارض كلها كأنها عيون متفجرة وأصله وفجرنا عيون الأرض فغير قضاء لحق المقام ﴿ فالتقى الماء ﴾ أى ماء السماء وماء الأرض والافراد لتحقيق أن التقاء

الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرىء الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا ﴿على أمر قد قدر﴾ أى كائنا على حال قد قدرها الله تعالى من غير تفاوت أو على حال قدرت وسويت وهو أن قدر ما أنزل على قدر ما أخرج أو على أمر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان ﴿وحملناه﴾ أى نوحا عليه السلام ﴿على ذات ألواح﴾ أى أخشاب عريضة ﴿ودسر﴾ ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهى صفة للسفينة أقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدى مؤداها ﴿تجرى بأعيننا﴾ بمرأى منا أى محفوظة بحفظنا ﴿جزاء لمن كان كفر﴾ أى فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لأنه كان نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله تعالى على أمته ورحمة وأى نعمة وأى رحمة وقد جوز أن يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير واستتاره فى الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرىء لمن كفر أى للكافرين ﴿ولقد تركناها﴾ أى السفينة أو الفعلة ﴿آية﴾ يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها أوائل هذه الأمة ﴿فهل من مدكر﴾ أى معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار وقرىء مذتكر على الأصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ استفهام تعظيم وتعجيب أى كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار ﴿ولقد يسرنا القرآن﴾ الخ جملة قسمية وردت فى أواخر القصص الأربع تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر وتنبيها على أن كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية فى الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة فى حيز الاعتبار أى وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن أنزلناه على لغتهم وشحناه بأنواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد ﴿للذكر﴾ أى للتذكر والاتعاظ ﴿فهل من مدكر﴾ انكار ونفى للمتعظ على أبلغ وجه وآكده حيث يدل على أنه لا يقدر أحد أن يجيب المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة ألفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام ﴿كذبت عاد﴾ أى هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له روما للاختصار ومسارعة الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كأنه قيل كذبت عاد فهل سمعتم أو فاسمعوا كيف كان عذابى وانذاراتى لهم وقوله تعالى ﴿انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا﴾ استئناف ببيان ما أجمل أولا أى أرسلنا عليهم ريحا باردة أو شديدة الصوت ﴿فى يوم نحس﴾ شؤم ﴿مستمر﴾ أى شؤمه أو مستمر عليهم الى أن أهلكهم أو شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم أو مشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر ﴿تنزع الناس﴾ تقلعهم روى أنهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى ﴿كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾ أى منقلع عن مغارسه قيل شبهوا بأعجاز النخل وهى أصولها بلا فروع لأن الريح كانت تقلع رؤسهم فتبقى أجسادا وجثثا بلا رؤس وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما أن تأنيثها فى قوله تعالى أعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى وقوله تعالى ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ تهويل لهما وتعجيب من أمرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار وما قيل من أن الأول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة يرده ترتيب الثانى على العذاب الدنيوى ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ الكلام فيه كالذى مر فيما سبق ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ أى الانذارات والمواعظ التى سمعوها من صالح أو بالرسل عليهم السلام فان تكذيب أحدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على أصول الشرائع ﴿فقالوا أبشرا منا﴾ أى كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده ﴿واحدا﴾ أى منفردا لا تبع له أو واحدا من آحادهم لا من أشرافهم

وهو صفة أخرى لبشرا وتأخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه على أن كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرئ أبشر منا واحد على الابتداء وقوله تعالى ﴿نتبعه﴾ خبره والأول أوجه للاستفهام ﴿انا اذاً﴾ أى على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن أمة جمة ﴿لفى ضلال﴾ عن الصواب ﴿وسعر﴾ أى جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر أى نيران جمع سعير فعكسوا عليه عليه السلام لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول ﴿أألقى الذكر﴾ أى الكتاب والوحى ﴿عليه من بيننا﴾ وفينا من هو أحق منه بذلك ﴿بل هو كذاب أشر﴾ أى ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله تعالى ﴿سيعلمون غدا من الكذاب الأشر﴾ حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعدا له ووعيدا لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب أى سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الاشر الذى حمله أشره وبطره على الترفع أصالح هو أم من كذبه وقرئ ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ أو على حكاية ما أجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر فى حذر وقرئ الأشر أى الابلغ فى الشرارة وهو أصل مرفوض كالاخير وقيل المراد بالغد يوم القيامة ويأباه قوله تعالى ﴿انا مرسلو الناقة﴾ الخ فانه استئناف مسوق لبيان مبادى الموعود حتما أى مخرجوها من الهضبة حسبما سألوا ﴿فتنة لهم﴾ أى امتحانا ﴿فارتقبهم﴾ أى فانتظرهم وتبصر مايصنعون ﴿واصطبر﴾ على أذيتهم ﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم﴾ مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء ﴿كل شرب محتضر﴾ يحضره صاحبه فى نوبته ﴿فنادوا صاحبهم﴾ هو قدار بن سالف أحيمر ثمود ﴿فتعاطى فعقر﴾ فاجترأ على تعاطى الأمر العظيم غير مكترث له فأحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشئ بتكلف ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ الكلام فيه كالذى مر فى صدر قصة عاد ﴿انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ هى صيحة جبريل عليه السلام ﴿فكانوا﴾ أى فصاروا ﴿كهشيم المحتظر﴾ أى كالشجر اليابس الذى يتخذه من يعمل الحظيرة لأجلها أو كالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشتاء وقرئ بفتح الظاء أى كهشيم الحظيرة أو الشجر المتخذ لها ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا﴾ أى ريحا تحصبهم أى ترميهم بالحصباء ﴿الا آل لوط نجيناهم بسحر﴾ فى سحر وهو آخر الليل وقيل هو السدس الأخير منه أى ملتبسين بسحر ﴿نعمة من عندنا﴾ أى انعاما منا وهو علة لنجينا ﴿كذلك﴾ أى مثل ذلك الجزاء العجيب ﴿نجزى من شكر﴾ نعمتنا بالايمان والطاعة ﴿ولقد أنذرهم﴾ لوط عليه السلام ﴿بطشتنا﴾ أى أخذتنا الشديدة بالعذاب ﴿فتماروا﴾ فكذبوا ﴿بالنذر﴾ متشاكين ﴿ولقد راودوه عن ضيفه﴾ قصدوا الفجور بهم ﴿فطمسنا أعينهم﴾ فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روى أنهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لايهتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط عليه السلام ﴿فذوقوا عذابى ونذر﴾ أى فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة أو ظاهر الحال والمراد به الطمس فانه من جملة ما أنذروه من العذاب ﴿ولقد صبحهم بكرة﴾ وقرئ بكرة غير مصروفة على أن المراد بها أول نهار مخصوص ﴿عذاب مستقر﴾ لايفارقهم حتى يسلمهم الى النار وفى وصفه بالاستقرار ايماء الى أن ماقبله من عذاب الطمس ينتهى اليه ﴿فذوقوا عذابى ونذر﴾ حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ مر مافيه من الكلام ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾ صدرت قصتهم بالتوكيد القسمى لابراز كمال الاعتناء بشأنها لغاية عظم مافيها من الآيات وكثرتها وهول مالاقوه من العذاب وقوة ايجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم

بأن نفسه أولى بذلك أي و بالله لقد جاءهم الانذارات وقوله تعالى ﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيء النذر كأنه قيل فماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا بجميع آياتنا وهي الآيات التسع ﴿فأخذناهم أخذ عزيز﴾ لا يغالب ﴿مقتدر﴾ لا يعجزه شيء ﴿أكفاركم﴾ يا معشر العرب ﴿خير﴾ قوة وشدة وعدة وعدة أو مكانة ﴿من أولئكم﴾ الكفار المعدودين والمعنى أنه أصابهم ما أصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الامور فهل تطمعون أن لا يصيبكم مثل ذلك وأنتم شر منهم مكانا وأسوأ حالا وقوله تعالى ﴿أم لكم براءة في الزبر﴾ اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر أي بل ألكم براءة وأمن من تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصي وغوائلهما في الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما أنتم عليه وقوله تعالى ﴿أم يقولون نحن جميع منتصر﴾ اضراب من التبكيت المذكور الى وجه آخر من التبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم أي بل أيقولون واثقين بشوكتهم نحن أولو حزم ورأي أمرنا مجتمع لا نرام ولا نضام أو منتصر من الاعداء لا نغلب أو متناصر ينصر بعضنا بعضا والافراد باعتبار لفظ الجميع وقوله تعالى ﴿سيهزم الجمع﴾ رد وابطال لذلك والسين للتأكيد أي يهزم جمعهم البتة ﴿ويولون الدبر﴾ أي الادبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لارادة الجنس أو ارادة أن كل واحد منهم يولي دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها وقرئ سيهزم الجمع أي الله عز وعلا ﴿بل الساعة موعدهم﴾ أي ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعد أصل عذابهم وهذا من طلائعه ﴿والساعة أدهى وأمر﴾ أي في أقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية الامر الفظيع الذي لا يهتدى الى الخلاص عنه واظهار الساعة في موقع اضمارها لتربية تهويلها ﴿ان المجرمين﴾ من الأولين والآخرين ﴿في ضلال وسعر﴾ أي في هلاك ونيران مسعرة وقيل في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة وقوله تعالى ﴿يوم يسحبون﴾ الخ منصوب اما بما يفهم من قوله تعالى في ضلال أي كائنون في ضلال وسعر يوم يجرون ﴿في النار على وجوههم﴾ واما بقول مقدر بعده أي يوم يسحبون يقال لهم ﴿ذوقوا مس سقر﴾ أي قاسوا حرها وألمها وسقر علم جهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته والقول المقدر على الوجه الأول حال من ضمير يسحبون ﴿انا كل شيء﴾ من الأشياء ﴿خلقناه بقدر﴾ أي ملتبسا بقدر معين اقتضته الحكمة التي عليها يدور أمر التكوين أو مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ وخلقناه خبره ﴿وما أمرنا الا واحدة﴾ أي كلمة واحدة سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن أو الا فعلة واحدة هو الايجاد بلا معالجة ﴿كلمح بالبصر﴾ في اليسر والسرعة وقيل معناه قوله تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ أي أشباهكم في الكفر من الامم وقيل أتباعكم ﴿فهل من مدكر﴾ يتعظ بذلك ﴿وكل شيء فعلوه﴾ من الكفر والمعاصي مكتوب على التفصيل ﴿في الزبر﴾ أي في ديوان الحفظة ﴿وكل صغير وكبير﴾ من الأعمال ﴿مستطر﴾ مسطور في اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الخ مما يستدعي بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ الترهيب والترغيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق الاجمال فقيل ﴿ان المتقين﴾ أي من الكفر والمعاصي ﴿في جنات﴾ عظيمة الشأن ﴿ونهر﴾ أي أنهار كذلك والافراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرئ نهر جمع نهر كأسد وأسد ﴿في مقعد صدق﴾ في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق ﴿عند مليك مقتدر﴾

أي مقربين عند مليك لايقادر قدر ملكه وسلطانه فلاشيء الاوهو تحت ملكوته سبحانه ماأعظم شانه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر فى كل غب بعثه الله تعالى يوم القيامة و وجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن

(مكية أومدنية أومتبعضة وآيها ست وسبعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لما عدد فى السورة السابقة مانزل بالامم السالفة من ضروب نقم الله عزوجل و بين عقيب كل ضرب منها أن القرآن قديسر لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد فى هذه السورة الكريمة ماأفاض على كافة الانام من فنون نعمه الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية وأنكر عليهم اثر كل فن منها اخلالهم بمواجب شكرها وبدىء بتعليم القرآن فقيل (الرحمن علم القرآن) لأنه أعظم النعم شانا وأرفعها مكانا كيف لاوهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية عيار على سائر الكتب السماوية مامن مرصد يرنو اليه أحداق الامم الاوهو منشؤه ومناطه و لامقصد يمتد اليه أعناق الهمم الاوهو منهجه وصراطه واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان بأنه من آثار الرحمة الواسعة وأحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيها على أصالته وجلالة قدره ثم قيل (خلق الانسان علمه البيان) تعيينا للمعلم وتبيينا لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ماهو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما فى الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره أيضا اذهو الذى يدور عليه تعليم القرآن والجمل الثلاث أخبار مترادفة للرحمن واخلاء الاخيرتين عن العاطف لورودها على منهاج التعديد (الشمس والقمر بحسبان) أى يجريان بحساب مقدر فى بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات وتعلم السنون والحساب (والنجم) أى النبات الذى ينجم اى يطلع من الارض و لاساق له (والشجر) أى الذى له ساق (يسجدان) أى ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجدين من المكلفين طوعا والجملتان خبران آخران للرحمن جردتا عن الرابط اللفظى تعويلا على كمال قوة الارتباط المعنوى اذلايتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى و لاالى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له واخلاء الجملة الاولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينها و بين الثانية لتناسبهما من حيث التقابل لما أن الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لأمر الله عزوجل (والسماء رفعها) أى خلقها مرفوعة محلا و رتبة حيث جعلها منشأ أحكامه وقضاياه ومتنزل أوامره ومحل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء شأنه وعظم ملكه وسلطانه مالايخفى وقرىء بالرفع على الابتداء (ووضع الميزان) أى شرع العدل وأمر به بأن وفر كل مستحق مااستحقه و وفى كل ذى حق حقه حتى انتظم به أمر العالم واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام بالعدل قامت السموات والارض قيل فعلى هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين ابن الفضل كما فى قوله تعالى وأنزلنا معهم الكتاب والميزان وقيل هو مايعرف به مقادير الأشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وماتعبدهم به من التسوية والتعديل فى أخذهم واعطائهم (أن لاتطغوا فى الميزان) أى لئلا تطغوا فيه على أن أن ناصبة و لانافية و لام العلة مقدرة متعلقة بقوله تعالى و وضع الميزان أوأى لاتطغوا على أنها

مفسرة لما فى الشرع من معنى القول و لا ناهية أى لا تعتدوا و لا تتجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول ﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾ قوموا وزنكم بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ أى لا تنقصوه أمر أولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتأكيدا للامر باستعماله والحث عليه وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وبفتح السين أيضا على أن الاصل ولا تخسروا فى الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل ﴿والارض وضعها﴾ أى خفضها مدحوة على الماء ﴿للانام﴾ أى الخلق قيل المراد به كل ذى روح وقيل كل ما على ظهر الارض من دابة وقيل الثقلان وقوله تعالى ﴿فيها فاكهة﴾ الخ استئناف مسوق لتقرير ما أفاده الجملة السابقة من كون الارض موضوعة لمنافع الانام وتفصيل المنافع العائدة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن حينئذ أن يكون الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية أى فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به ﴿والنخل ذات الاكمام﴾ هى أوعية الثمر جمع كم أو كل ما يكم أى يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه ﴿والحب﴾ هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير ﴿ذو العصف﴾ هو ورق الزرع وقيل التبن ﴿والريحان﴾ قيل هو الرزق أريد به اللب أى فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذى له عصف هو علف الأنعام وريحان هو مطعم الناس وقرئ والحب ذا العصف والريحان أى خلق الحب والريحان أو أخص ويجوز أن يراد وذا الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه والريحان اما فيعلان من روح فقلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف أو فعلان قلبت واوه ياء للتخفيف أو للفرق بينه وبين الروحان وهو ما له روح قاله القرطبى ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام وسينطق به قوله تعالى أيها الثقلان والفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بآلائه تعالى كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة فى نفسه كتعليم القرآن وما يستند اليه من النعم الدينية واما بانكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة فى نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة اليهم باسناده الى غيره تعالى استقلالا أو اشتراكا صريحا أو دلالة فان اشراكهم لآلهتهم به تعالى فى العبادة من دواعى اشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة أى فاذا كان الامر كما فصل فبأى فرد من أفراد آلاء مالككما ومربيكما بتلك الآلاء تكذبان مع أن كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق ﴿خلق الانسان من صلصال كالفخار﴾ تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتى كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذى له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا تنافى بين الآية الناطقة بأحدها وبين ما نطق بأحد الآخرين ﴿وخلق الجان﴾ أى الجن أو أبا الجن ﴿من مارج﴾ من لهب صاف ﴿من نار﴾ بيان لمارج فانه فى الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ مما أفاض عليكما فى تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ بالرفع على خبرية مبتدأ محذوف أى الذى فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة رب مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته أن يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتداء والخبر قوله تعالى مرج الخ وقرئ بالجر على أنه بدل من ربكما ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ مما فى ذلك من فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف

الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فى وقته الى غير ذلك ﴿مرج البحرين﴾ أى أرسلهما من مرجت الدابة اذا أرسلتها والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب ﴿يلتقيان﴾ أى يتجاوران و يتماس سطوحهما لا فصل بينهما فى مرأى العين وقيل أرسل بحرى فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه ﴿بينهما برزخ﴾ أى حاجز من قدرة الله عز وجل أو من الأرض ﴿لا يبغيان﴾ أى لا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية أو لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وليس منهما شئ يقبل التكذيب ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الأحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره فنسبة خروجهما حينئذ الى البحرين مع أنهما انما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل انهما لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب أو لانهما لما التقيا وصارا كالشئ الواحد ساغ أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر مع أنهما لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الأظهر وقرئ يخرج مبنيا للمفعول من الاخراج ومبنيا للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان و بنون العظمة ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار﴾ أى السفن جمع جارية وقرئ برفع الراء و بحذف الياء كقول من قال

لها ثنايا أربع حسان وأربع فكلها ثمان

﴿المنشآت﴾ المرفوعات الشرع أو المصنوعات وقرئ بكسر الشين أى الرافعات الشرع أو اللاتى ينشئن الامواج بجريهن ﴿فى البحر كالأعلام﴾ كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ من خلق مواد السفن والارشاد الى أخذها و كيفية تركيبها واجرائها فى البحر بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه ﴿كل من عليها﴾ أى على الارض من الحيوانات أو المركبات ومن للتغليب أو من الثقلين ﴿فان﴾ هالك لا محالة ﴿و يبقى وجه ربك﴾ أى ذاته عز وجل ﴿ذو الجلال والاكرام﴾ أى ذو الاستغناء المطلق والفضل التام وقيل الذى عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام وعنه عليه الصلاة والسلام أنه مر برجل وهو يصلى و يقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك وقرئ ذى الجلال والاكرام على أنه صفة ربك وأيا ما كان ففى وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق و بقائه تعالى ايذان بأنه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم أيضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ فان احياءهم بالحياة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم أجل النعماء وأعظم الآلاء ﴿يسأله من فى السموات والارض﴾ قاطبة ما يحتاجون اليه فى ذواتهم و وجوداتهم حدوثا و بقاء وسائر أحوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال أو بلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم و بين العناية الالهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود أصلا فهم فى كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وقد مر فى تفسير قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها من سورة ابراهيم عليه السلام ﴿كل يوم﴾ أى كل وقت من الأوقات ﴿هو فى شأن﴾ من الشؤن التى من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ أشخاصا و يفنى آخرين و يأتى بأحوال و يذهب بأحوال حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وفى الحديث من شأنه أن يغفر ذنبا و يفرج كربا و يرفع قوما و يضع آخرين قيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضى يوم السبت شيئا ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه ﴿سنفرغ لكم﴾ أى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة عند انتهاء شؤن الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو فى شأن فلا يبقى حينئذ الا شأن واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من قول المتهدد لصاحبه سأفرغ لك أى سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلنى عنه والمراد التوفر

على النكاية فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ سنفرغ اليكم أى سنقصد اليكم ﴿أيها الثقلان﴾ هما الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض أو لرزانة آرائهما أو لانهما مثقلان بالتكليف ﴿فبأى آلاء ربكما﴾ التى من جملتها التنبيه على ماسيلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدى الى سوء الحساب ﴿تكذبان﴾ بآثار الكما وأعمالكما ﴿يامعشر الجن والانس﴾ هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولأن الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان أن قدرتهم لاتفى بما كلفوه ﴿ان استطعتم﴾ ان قدرتم على ﴿أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض﴾ أى أن تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى ومن أقطار سمواتى وأرضى ﴿فانفذوا﴾ منها وخلصوا أنفسكم من عقابى ﴿لاتنفذون﴾ لاتقدرون على النفوذ ﴿الا بسلطان﴾ أى بقوة وقهر وأنتم من ذلك بمعزل بعيد روى أن الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة أحاطت به ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ أى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة ﴿يرسل عليكما شواظ﴾ قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الأحمر وقيل اللهب الأخضر المنقطع من النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ شواظ بكسر الشين ﴿من نار﴾ متعلق بيرسل أو بمضمر هو صفة لشواظ أى كائن من نار والتنوين للتفخيم ﴿ونحاس﴾ أى دخان وقيل صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر عطفا على نار وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسا وقرئ نحس جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرئ ونحس أى نقتل بالعذاب ﴿فلا تنتصران﴾ أى لا تمتنعان ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ فان بيان عاقبة ماهم عليه من الكفر والمعاصى لطف وأى لطف ونعمة وأى نعمة ﴿فاذا انشقت السماء﴾ أى انصدعت يوم القيامة ﴿فكانت وردة﴾ كوردة حمراء وقرئ وردة بالرفع على أن كان تامة أى حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال

ولئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوى الغنائم أو يموت كريم

﴿كالدهان﴾ خبر ثان لكانت أو نعت لوردة أو حال من اسم كانت أى كدهن الزيت وهو اما جمع دهن أو اسم لما يدهن به كالحزام والادام وقيل هو الأديم الأحمر وجواب اذا محذوف أى يكون من الأحوال والأهوال مالايحيط به دائرة المقال ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ مع عظم شأنها ﴿فيومئذ﴾ أى يوم اذ تنشق السماء حسبما ذكر ﴿لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان﴾ لأنهم يعرفون بسيماهم وذلك أول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم وأما قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين ونحوه ففى موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما أن المراد فرد من الانس كأنه قيل لا يسأل عن ذنبه انسى ولا جنى ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ مع كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدى اليه وأما ماقيل مما أنعم الله على عباده المؤمنين فى هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾ استئناف يجرى مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن ﴿فيؤخذ بالنواصى والأقدام﴾ الجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال أخذه اذا كان المأخوذ مقصودا بالأخذ ومنه قوله تعالى خذوا حذركم ونحوه وأخذ به اذا كان المأخوذ شيئا من ملابسات المقصود بالأخذ ومنه قوله تعالى لاتأخذ بلحيتى ولا برأسى وقول المستغيث خذ بيدى أخذ الله بيدك أى يجمع بين نواصيهم وأقدامهم فى سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصى وتارة تأخذ بالأقدام ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون﴾

على ارادة القول أى يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ على أن الجملة اما استئناف وقع جوابا عن سؤال ناشئ من حكاية الأخذ بالنواصى والأقدام كأنه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال الخ أو حال من أصحاب النواصى والأقدام لأن الألف واللام عوض عن المضاف اليه وما بينهما اعتراض ﴿يطوفون بينها﴾ أى بين النار يحرقون بها ﴿وبين حميم آن﴾ ماء بالغ من الحرارة أقصاها يصب عليهم أو يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار أغيثوا بالحميم ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقد أشير الى سر كون بيان أمثال هذه الأمور من قبيل الآلاء مرارا ﴿ولمن خاف مقام ربه﴾ شروع فى تعداد الآلاء الفائضة عليهم فى الآخرة بعد تعداد ما وصل اليهم فى الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية واعلم أن ما عدد فيما بين هذه الآية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما أن أنفسها آلاء جليلة واصلة اليهم فى الآخرة كذلك حكاياتها الواصلة اليهم فى الدنيا آلاء عظيمة لكونها داعية لهم الى السعى فى تحصيل مايؤدى الى نيلها من الايمان والطاعة وأن ما فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم هو فى شأن من النعم الدينية والدنيوية الأنفسية والآفاقية آلاء جليلة واصلة اليهم فى الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث ايجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدى الى استدامتها وأما ما عدد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين هذه الآية من الأحوال الهائلة التى تقع فى الآخرة فليست هى من قبيل الآلاء وانما الآلاء حكاياتها الموجبة للانزجار عما يؤدى الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصى كما أشير اليه فى تضاعيف تعدادها ومقامه تعالى موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين أو قيامه تعالى على أحواله من قام عليه اذا راقبه أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل أو هو مقحم للتعظيم ﴿جنتان﴾ جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى فان الخطاب للفريقين فالمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصى أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿ذواتا أفنان﴾ صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ والافنان اما جمع فن أى ذواتا أنواع من الأشجار والثمار أو جمع فنن أى ذواتا أغصان متشعبة من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لأنها التى تورق وتثمر وتمد الظل ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وليس فيها شئ يقبل التكذيب ﴿فيهما عينان تجريان﴾ صفة أخرى لجنتان أى فى كل واحدة منهما عين تجرى كيف يشاء صاحبها فى الأعالى والأسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن ابن عباس والحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين قال أبو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه فى الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾ أى صنفان معروف وغريب أو رطب ويابس صفة أخرى لجنتان وتوسيط الاعتراض بين الصفات لما مر آنفا ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿متكئين﴾ حال من الخائفين لأن من خاف فى معنى الجمع أو نصب على المدح ﴿على فرش بطائنها من استبرق﴾ من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور ﴿وجنى الجنتين دان﴾ أى ما يجتنى من أشجارها من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع قال ابن عباس رضى الله عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقرئ جنى بكسر الجيم ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿فيهن﴾ أى فى الجنان المدلول عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت أنهما لكل خائفين من الثقلين

أو لكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية فى قوله تعالى متكئين وقيل فيما فيهما من الأماكن والقصور وقيل فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش ﴿قاصرات الطرف﴾ نساء يقصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم ﴿لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان﴾ أى لم يمس الانسيات أحد من الانس ولا الجنيات أحد من الجن قبل أزواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على أن الجن يطمثون وقرئ يطمثهن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف لأن اضافتها لفظية أو حال منها لتخصصها بالاضافة ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ اما صفة لقاصرات الطرف أو حال منها كالتى قبلها أى مشبهات بالياقوت فى حمرة الوجنة والمرجان أى صغار الدر فى بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر أنصع بياضا من كباره قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿هل جزاء الاحسان الا الاحسان﴾ استئناف مقرر لمضمون ما فصل قبله أى ما جزاء الاحسان فى العمل الا الاحسان فى الثواب ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿ومن دونهما جنتان﴾ مبتدأ وخبر أى ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان أخريان لمن دونهم من أصحاب اليمين ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿مدهامتان﴾ صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالانكار والتوبيخ أى خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بأن الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان﴾ أى فوارتان بالماء والنضخ أكثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾ عطف الاخيران على الفاكهة عطف جبريل وميكال على الملائكة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال أبو حنيفة رحمه الله من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانا أو رطبا لم يحنث ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿فيهن خيرات﴾ صفة أخرى لجنتان كالجملة التى قبلها والكلام فى جمع الضمير كالذى مر فيما مر وخيرات مخففة من خيرات لأن خير الذى بمعنى أخير لا يجمع وقد قرئ على الأصل ﴿حسان﴾ أى حسان الخلق والخلق ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿حور﴾ بدل من خيرات ﴿مقصورات فى الخيام﴾ قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة أى مخدرة أو مقصورات الطرف على أزواجهن وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان﴾ كالذى مر فى نظيره من جميع الوجوه ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين﴾ نصب على الاختصاص ﴿على رفرف خضر﴾ الرفرف اما اسم جنس أو اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ما تدلى من الاسرة من أعالى الثياب وقيل هو ضرب من البسط أو البسط وقيل الوسائد وقيل النمارق وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لأطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه ﴿وعبقرى حسان﴾ العبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب والمراد به الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى كما فى رفرف على أحد الوجهين وقرئ على رفارف خضر بضمتين وعباقرى كمدائنى نسبة الى عباقر فى اسم البلد ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿تبارك اسم ربك﴾ تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر فى السورة الكريمة من آلائه الفائضة على الانام أى تعالى اسمه الجليل الذى من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبئ عن افاضته الآلاء المفصلة

وارتفع عما لا يليق بشأنه من الأمور التي من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها واذا كان حال اسمه بملابسة دلالته عليه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما فى قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما ﴿ذى الجلال والاكرام﴾ وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرئ ذو الجلال على أنه نعت للاسم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه

سورة الواقعة

(مكية وهي سبع وتسعون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا وقعت الواقعة﴾ أى اذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للايذان بتحقق وقوعها لا محالة كأنها واقعة فى نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع فى حيز الشرط كأنه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة وانتصاب اذا بمضمر ينبئ عن الهول والفظاعة كأنه قيل اذا وقعت الواقعة يكون من الاهوال مالا يفى به المقال وقيل بالنفى المفهوم من قوله تعالى ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ أى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى أو تكذب فى نفيها كما تكذب اليوم واللام كهى فى قوله تعالى بالبتنى قدمت لحياتى وهذه الجملة على الوجه الأول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على أن الكاذبة مصدر كالعافية أى ليس لاجل وقعتها و فى حقها كذب أصلا بل كل ما ورد فى شأنها من الاخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى ﴿خافضة رافعة﴾ خبر مبتدأ محذوف أى هى خافضة لاقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شأنها كذلك أو بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال فى الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد فى التهويل وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى ﴿اذا رجت الارض رجا﴾ أى زلزلت زلزالا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة أى تخفض وترفع وقت رج الارض اذ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض أو بدل من اذا وقعت ﴿وبست الجبال بسا﴾ أى فتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق اذا لته أو سيقت وسيرت من أماكنها من بس الغنم اذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجت و بست أى ارتجت وذهبت ﴿فكانت﴾ أى فصارت بسبب ذلك ﴿هباء﴾ غبارا ﴿منبثا﴾ منتشرا ﴿وكنتم﴾ اما خطاب للامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا أو للحاضرة فقط ﴿أزواجا﴾ أى أصنافا ﴿ثلاثة﴾ فكل صنف يكون مع صنف آخر فى الوجود أو فى الذكر فهو زوج وقوله تعالى ﴿فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة﴾ تقسيم وتنويع للازواج الثلاثة مع الاشارة الاجمالية الى أحوالهم قبل تفصيلها فقوله تعالى فأصحاب الميمنة مبتدأ وقوله ما أصحاب الميمنة خبره على أن ما الاستفهامية مبتدأ ثان ما بعده خبره والجملة خبر الأول والأصل ما هم أى أى شئ هم فى حالهم وصفتهم فان ما وان شاعت فى طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم أو طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه أدخل فى التفخيم وكذا الكلام فى قوله تعالى وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والمراد تعجيب السامع من شأن الفريقين فى الفخامة والفظاعة كأنه قيل فأصحاب الميمنة فى غاية حسن الحال وأصحاب المشأمة فى نهاية سوء الحال وتكلموا فى الفريقين فقيل أصحاب الميمنة أصحاب

المنزلة السنية وأصحاب المشأمة أصحاب المنزلة الدنية أخذا من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل أصحاب اليمن وأصحاب الشؤم فان السعداء ميامين على أنفسهم بطاعاتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم وقوله تعالى ﴿والسابقون السابقون﴾ هو القسم الثالث من الازواج الثلاثة ولعل تأخير ذكرهم مع كونهم أسبق الاقسام وأقدمهم فى الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن أحوالهم على أن ايرادهم بعنوان السبق مطلقا معرب عن احرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتكلموا فيهم أيضا فقيل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا فى حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين كما قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون فى الخيرات وأياما كان فالجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم كقول أبى النجم

أنا أبو النجم وشعرى شعرى وفيه من تفخيم شأنهم والايذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل مالا يخفى وقيل والسابقون الى طاعة الله تعالى السابقون الى رحمته أو السابقون الى الخير السابقون الى الجنة وقوله تعالى ﴿أولئك﴾ اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره مابعده أى أولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل ﴿المقربون﴾ أى الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم وأعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر القدس نفوسهم الزكية هذا أظهر ماذكر فى اعراب هذه الجمل وأشهره والذى تقتضيه جزالة التنزيل أن قوله تعالى فأصحاب الميمنة خبر مبتدأ محذوف وكذا قوله تعالى وأصحاب المشأمة وقوله تعالى والسابقون فان المترقب عند بيان انقسام الناس الى الاقسام الثلاثة بيان أنفس الاقسام الثلاثة وأما أوصافها وأحوالها فحقها أن تبين بعد ذلك باسنادها اليها والتقدير فأحدها أصحاب الميمنة والآخر أصحاب المشأمة والثالث السابقون خلا أنه لما أخر بيان أحوال القسمين الاولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن ترامى أحوالهما فى الخير والشر انباء اجماليا مشعرا بأن لاحوال كل منهما تفصيلا مترقبا لكن لاعلى أن ما الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبر على مارآه سيبويه فى أمثاله بل على أنها خبر لما بعدها فان مناط الافادة بيان أن أصحاب الميمنة أمر بديع كما يفيده كون ماخبرا لا بيان أن أمرا بديعا أصحاب الميمنة كما يفيده كونها مبتدأ وكذا الحال فى ماأصحاب المشأمة وأما القسم الاخير فحيث قرن بيان محاسن أحواله بذكره لم يحتج فيه الى تقديم الانموذج فقوله تعالى السابقون مبتدأ والاظهار فى مقام الاضمار للتفخيم وأولئك مبتدأ ثان أو بدل من الأول وما بعده خبر له أو للثانى والجملة خبر للاول وقوله تعالى ﴿فى جنات النعيم﴾ متعلق بالمقربون أو بمضمر هو حال من ضميره أى كائنين فى جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه أن الاخبار بكونهم فيها بعد الاخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزية وقرىء فى جنة النعيم وقوله تعالى ﴿ثلة من الأولين﴾ خبر مبتدا محذوف أى هم أمة جمة من الاولين وهم الامم السالفة من لدن آدم الى نبينا عليهما الصلاة والسلام وعلى من بينهما من الانبياء العظام ﴿وقليل من الآخرين﴾ أى من هذه الامة ولا يخالفه قوله عليه الصلاة والسلام ان أمتى يكثرون سائر الامم فان أكثرية سابقى الامم السالفة من سابقى هذه الامة لاتمنع أكثرية تابعى هؤلاء من تابعى أولئك ولا يرده قوله تعالى فى أصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة كل من الفريقين فى أنفسهما لاتنافى أكثرية أحدهما من الآخر وسيأتى أن الثلتين من هذه الامة وقد روى مرفوعا أن الاولين والآخرين هنا أيضا متقدمو هذه الامة ومتأخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر ﴿على سرر

موضونة ﴾ حال أخرى من المقربين أو من ضميرهم فى الحال الاولى وقيل خبر آخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت أو المتواصلة من الوضن وهو النسج ﴿ متكئين عليها متقابلين ﴾ حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر أى مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من أقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب ﴿ يطوف عليهم ﴾ حال أخرى أو استئناف أى يدور حولهم للخدمة ﴿ ولدان مخلدون ﴾ أى مبقون أبدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روى ذلك عن على رضى الله عنه وعن الحسن رحمه الله وفى الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة ﴿ بأكواب ﴾ بآنية لا عرى لها ولا خراطيم ﴿ وأباريق ﴾ أى آنية ذات عرى وخراطيم ﴿ وكأس من معين ﴾ أى خمر جارية من العيون قيل انما أفرد الكأس لانها لا تسمى كأسا الا اذا كانت مملوءة ﴿ لا يصدعون عنها ﴾ أى بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقرىء لا يصدعون أى لا يتصدعون ولا يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وقرىء لا يصدعون أى لا يفرق بعضهم بعضا ﴿ ولا ينزفون ﴾ أى لا يسكرون من أنزف الشارب اذا نفد عقله أو شرابه ﴿ وفاكهة مما يتخيرون ﴾ أى يختارونه ويأخذون خيره وأفضله ﴿ ولحم طير مما يشتهون ﴾ أى يتمنون وقرىء ولحوم طير ﴿ وحور عين ﴾ بالرفع عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أى وفيها أو ولهم حور وقرىء بالجر عطفا على جنات النعيم كأنه قيل هم فى جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور أو على أكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب وبالنصب أى ويؤتون حورا ﴿ كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ صفة لحور أو حال ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ مفعول له أى يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم أو مصدر مؤكد أى يجزون جزاء ﴿ لا يسمعون فيها لغوا ﴾ أى باطلا ﴿ ولا تأثيما ﴾ أى ولا نسبة الى الاثم أى لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر ﴿ الا قيلا ﴾ أى قولا ﴿ سلاما سلاما ﴾ بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما أو صفته أو مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى أنهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام أو لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الا السلام الآخر بدءا أو ردا وقرىء سلام سلام على الحكاية وقوله تعالى ﴿ وأصحاب اليمين ﴾ شروع فى تفصيل ما أجمل عند التقسيم من شئونهم الفاضلة اثر تفصيل شئون السابقين وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿ ما أصحاب اليمين ﴾ جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها محلها اما الرفع على أنها خبر للمبتدا أو معترضة لا محل لها والخبر قوله تعالى ﴿ فى سدر مخضود ﴾ وهو على الاول خبر ثان للمبتدا أو خبر لمبتدا محذوف والجملة استئناف لبيان ما أبهم فى قوله تعالى ما أصحاب اليمين من علو الشأن أى هم فى سدر غير ذى شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كأنه خضد شوكه أى قطع وقيل مخضود أى مثنى أغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب ﴿ وطلح منضود ﴾ قد نضد حمله من أسفله الى أعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز أو أم غيلان وله أنوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وعن على رضى الله عنه أنه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل أو نحولها قال آى القرآن لا تهاج ولا تحول وعن ابن عباس نحوه ﴿ وظل ممدود ﴾ ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس ﴿ وماء مسكوب ﴾ يسكب لهم أينما شاءوا وكيفما أرادوا بلا تعب أو مصبوب سائل يجرى على الارض فى غير أخدود كأنه مثل حال السابقين بأقصى ما يتصور لأهل المدن وحال أصحاب اليمين بأكمل ما يتصور لأهل البوادى ايذانا بالتفاوت بين الحالين ﴿ وفاكهة

كثيرة ﴾ بحسب الانواع والاجناس ﴿ لامقطوعة ﴾ فى وقت من الاوقات كفواكه الدنيا ﴿ ولا ممنوعة ﴾ عن متناولها بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ فاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة الخ كقوله تعالى وحور عين ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ أى رفيعة القدر أو منضدة مرتفعة أو مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الارائك قال تعالى هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى ﴿ انا أنشأناهن انشاء ﴾ وعلى التفسير الاول أضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التى هى المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا أو أبدعناهن من غير ولاد ابداء أو اعادة وفى الحديث من اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد فى الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا وذلك قوله تعالى ﴿ فجعلناهن أبكاراً ﴾ وقوله تعالى ﴿ عربا ﴾ جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل وقرئ عربا بسكون الراء ﴿ أترابا ﴾ مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا أزواجهن واللام فى قوله تعالى ﴿ لأصحاب اليمين ﴾ متعلقة بأنشأنا أو جعلنا أو بأترابا كقولك هذا ترب لهذا أى مساو له فى السن وقيل بمحذوف هو صفة لأبكارا أى كائنات لأصحاب اليمين أو خبر مبتدا محذوف أى هن لأصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى ﴿ ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ﴾ وهو بعيد بل هو خبر مبتدا محذوف ختمت به قصة أصحاب اليمين أى هم أمة من الاولين وأمة من الآخرين وقد مر الكلام فيهما وعن أبى العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من الاولين أى من سابقى هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة فى آخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعا من أمتى ﴿ وأصحاب الشمال ﴾ شروع فى تفصيل أحوالهم التى أشير عند التنويع الى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال أصحاب اليمين والكلام فى قوله تعالى ﴿ ما أصحاب الشمال ﴾ عين ما فصل فى نظيره وكذا فى قوله تعالى ﴿ فى سموم وحميم ﴾ والسموم حر نار ينفذ فى المسام والحميم الماء المتناهى فى الحرارة ﴿ وظل من يحموم ﴾ من دخان أسود بهيم ﴿ لا بارد ﴾ كسائر الظلال ﴿ ولا كريم ﴾ فيه خير ما فى الجملة سمى ذلك ظلا ثم نفى عنه وصفاه البرد والكرم الذى عبر به عن دفع أذى الحر لتحقيق أنه ليس بظل وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع أى لا هو بارد ولا كريم وقوله تعالى ﴿ انهم كانوا قبل ذلك مترفين ﴾ تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب أى انهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب فى الدنيا منعمين بأنواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين فى الشهوات فلا جرم عذبوا بنقائضها ﴿ وكانوا يصرون على الحنث العظيم ﴾ أى الذنب العظيم الذى هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث أى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب ﴿ وكانوا يقولون ﴾ لغاية عتوهم وعنادهم ﴿ أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ﴾ أى كان بعض أجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية واذا متمحضة للظرفية والعامل فيها مادل عليه قوله تعالى ﴿ أئنا لمبعوثون ﴾ لا نفسه لان ما بعد ان واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه فى حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى مثل قوله أفلا تعقلون على رأى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين فى المبعوثية بالفعل فى حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه

من الدلالة على غلوهم فى الكفر وتماديهم فى الضلال مالا مزيد عليه وتكرير الهمزة فى قوله تعالى ﴿أو آباؤنا الاولون﴾ لتأكيد النكير والواو للعطف على المستكن فى لمبعوثون وحسن ذلك الفصل بالهمزة يعنون أن بعث آبائهم الأولين أبعد من الوقوع وقرئ أو آباؤنا ﴿قل﴾ ردا لانكارهم وتحقيقا للحق ﴿ان الأولين والآخرين﴾ من الأمم الذين من جملتهم أنتم وآباؤكم وفى تقديم الأولين مبالغة فى الرد حيث كان انكارهم لبعث آبائهم أشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودى ﴿لمجموعون﴾ بعد البعث وقرئ لمجمعون ﴿الى ميقات يوم معلوم﴾ الى ماوقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة ﴿ثم انكم أيها الضالون﴾ عطف على ان الأولين داخل تحت القول وثم للتراخى زمانا أو رتبة ﴿المكذبون﴾ أى بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم ﴿لآكلون﴾ بعد البعث والجمع ودخول جهنم ﴿من شجر من زقوم﴾ من الأولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره أى مبتدئون الأكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو وصف لشجر أى كائن من زقوم ﴿فمالئون منها البطون﴾ أى بطونكم من شدة الجوع ﴿فشاربون عليه﴾ عقيب ذلك بلا ريث ﴿من الحميم﴾ أى الماء الحار فى الغاية وتأنيث ضمير الشجر أولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل للأكل وقوله تعالى ﴿فشاربون شرب الهيم﴾ كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا أى لايكون شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهى الابل التى بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع أهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على أنه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذى لايتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار فى أحشائهم مايضطرهم الى أكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملؤا منه بطونهم وهو فى غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش مايضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو أيضا مصدر وقرئ بالكسر على أنه اسم المشروب ﴿هذا﴾ الذى ذكر من أنواع العذاب ﴿نزلهم يوم الدين﴾ أى يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو مايعد للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعد مااستقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار فى النار وفيه من التهكم بهم مالايخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاى تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى ﴿نحن خلقناكم فلولا تصدقون﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ماقبلها أى فهلا تصدقون بالخلق فان مالايحققه العمل ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق فى شئ وقيل بالبعث استدلالا عليه بالانشاء فان من قدر عليه قدر على الاعادة حتما والأول هو الوجه كما ستحيط به خبرا ﴿أفرأيتم ماتمنون﴾ أى تقذفون فى الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى أمناها ﴿أأنتم تخلقونه﴾ أى تقدرونه وتصورونه بشرا سويا ﴿أم نحن الخالقون﴾ له من غير دخل شئ فيه وأم قيل منقطعة لأن مابعدها جملة فالمعنى بل أنحن الخالقون على أن الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجئ الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لابطريق الخبرية أصالة ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ أى قسمناه عليكم ووقتنا موت كل أحد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا مخففا ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ أى انا قادرون ﴿على أن نبدل أمثالكم﴾ لايغلبنا أحد على أن نذهبكم ونأتى مكانكم أشباهكم من الخلق ﴿وننشئكم فيما لاتعلمون﴾ من الخلق والاطوار ولا تعهدون بمثلها قال الحسن رحمه الله أى نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم فى البعث على غير صوركم فى الدنيا فمن هذا شأنه كيف يعجز عن اعادتكم وقيل المعنى ومايسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته وعلى أن نبدل الخ اما حال من فاعل قدرنا أو علة للتقدير وعلى

يعنى اللام ومابينهما اعتراض ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ هى خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هى فطرة آدم عليه السلام من التراب ﴿فلولا تذكرون﴾ فهلا تذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى حتما فانه أقل صنعا لحصول المواد وتخصص الأجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرئ فلولا تذكرون من الثلاثى وفى الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور ﴿أفرأيتم ماتحرثون﴾ أى تبذرون حبه وتعملون فى أرضه ﴿أأنتم تزرعونه﴾ تنبتونه وتردونه نباتا يرف ﴿أم نحن الزارعون﴾ أى المنبتون لا أنتم والكلام فى أم كما مر آنفا ﴿لو نشاء لجعلناه حطاما﴾ هشيما متكسرا متفتتا بعد ما أنبتناه وصار بحيث طمعتم فى حيازة غلاله ﴿فظلتم﴾ بسبب ذلك ﴿تفكهون﴾ تعجبون من سوء حاله اثر ماشاهدتموه على أحسن مايكون من الحال أو تندمون على ماتعبتم فيه وأنفقتم عليه أو على ما اقترفتم لأجله من المعاصى فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ تفكنون أى تندمون وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الأصل ﴿انا لمغرمون﴾ أى لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ أئنا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو فى حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون أى قائلين أو تقولون انا لمغرمون ﴿بل نحن محرومون﴾ حرمنا رزقنا أو محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لا مجدودون ﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون﴾ عذبا فراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به ﴿أأنتم أنزلتموه من المزن﴾ أى من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه أعذب ﴿أم نحن المنزلون﴾ له بقدرتنا ﴿لو نشاء جعلناه أجاجا﴾ ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع اثباتها فى الشرطية الاولى للتعويل على علم السامع أو الفرق بين المطعوم والمشروب فى الاهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستأنفتان مسوقتان لبيان أن عصمته تعالى للزرع والماء عما يخل بالتمتع بهما نعمة أخرى بعد نعمة الانبات والانزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى ﴿فلولا تشكرون﴾ تحضيض على شكر الكل ﴿أفرأيتم النار التى تورون﴾ أى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها﴾ التى منها الزناد وهى المرخ والعفار ﴿أم نحن المنشئون﴾ لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالانشاء المنبئ عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الشجر التى لا تخلو عن النار حتى قيل فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما أن التعبير عن نفخ الروح بالانشاء فى قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر لذلك وقوله تعالى ﴿نحن جعلناها تذكرة﴾ استئناف مبين لمنافعها أى جعلناها تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما أوعدوا به من نار جهنم أو تذكرة وأنموذجا من نار جهنم لما روى عن النبى عليه الصلاة والسلام ناركم هذه التى يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم وقيل تبصرة فى أمر البعث فانه ليس بأبدع من اخراج النار من الشئ الرطب ﴿ومتاعا﴾ ومنفعة ﴿للمقوين﴾ للذين ينزلون القواء وهى القفر وتخصيصهم بذلك لأنهم أحوج اليها فان المقيمين أو النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين الى الاقتداح بالزناد وقد جوز أن يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم ومزاودهم من الطعام وهو بعيد لعدم انحصار مايهمهم ويسد خللهم فيما لا يؤكل الا بالطبخ وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على أن الاهم هو النفع الاخروى والفاء فى قوله تعالى ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ لترتيب مابعدها على ماعدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه الموجبة لتسبيحه تعالى اما تنزيها له تعالى عما يقوله الجاحدون بوحدانيته الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها أو تعجبا من أمرهم فى غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور أمرها أو شكرا على تلك النعم السابقة أى فأحدث التسبيح

بذكر اسمه تعالى أو بذكره فان اطلاق الاسم للشىء ذكره والعظيم صفة للاسم أو الرب ﴿ فلا أقسم ﴾ أى فأقسم ولا مزيدة للتأكيد كما فى قوله تعالى لئلا يعلم أو فلأنا أقسم فحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلأقسم أو فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه وأما ماقيل من أن المعنى فلاأقسم اذ الامر أوضح من أن يحتاج الى قسم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به ﴿ بمواقع النجوم ﴾ أى بمساقطها وهى مغاربها وتخصيصها بالقسم لما فى غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لايتغير أو لأن ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تعالى وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم أو بمنازلها ومجاريها فان له تعالى فى ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته مالايحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها وقوله تعالى ﴿ وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ اعتراض فى اعتراض قصد به المبالغة فى تحقيق مضمون الجملة القسمية وتأكيده حيث اعترض بقوله وانه لقسم بين القسم وجوابه الذى هو قوله تعالى ﴿ انه لقرآن كريم ﴾ أى كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة فى صلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضى أو كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو اما متروك أريد به نفى علمهم أو محذوف ثقة بظهوره أى لعظمتموه أو لعملتم بموجبه ﴿ فى كتاب مكنون ﴾ أى مصون من غير المقربين من الملائكة لايطلع عليه من سواهم وهو اللوح ﴿ لايمسه الا المطهرون ﴾ اما صفة أخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية وأوضار الاوزار أو للقرآن فالمراد بهم المطهرون من الأحداث فيكون نفيا بمعنى النهى أى لاينبغى أن يمسه الا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله عليه الصلاة والسلام المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه أى لاينبغى له أن يظلمه أو يسلمه الى من يظلمه وقيل لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرىء المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرون أى أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار أو غيره ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾ صفة أخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرىء تنزيلا ﴿ أفبهذا الحديث ﴾ الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القرآن الكريم ﴿ أنتم مدهنون ﴾ أى متهاونون به كمن يدهن فى الامر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به ﴿ وتجعلون رزقكم ﴾ أى شكر رزقكم ﴿ أنكم تكذبون ﴾ أى تضعون التكذيب موضع الشكر وقرىء وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أى تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله تعالى حيث تنسبونه الى الأنواء والاول هو الأوفق لسباق النظم الكريم وسياقه فان قوله عز وجل ﴿ فلولا اذا بلغت الحلقوم ﴾ الخ تبكيت مبنى على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم الى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر أسباب معايشهم كما ستقف عليه ولولا للتحضيض لاظهار عجزهم واذا ظرفية أى فهلا اذا بلغت النفس أى الروح وقيل نفس أحدكم الحلقوم وتداعت الى الخروج ﴿ وأنتم حينئذ ﴾ أيها الحاضرون حول صاحبها ﴿ تنظرون ﴾ الى ماهو فيه من الغمرات ﴿ ونحن أقرب اليه ﴾ علما وقدرة وتصرفا ﴿ منكم ﴾ حيث لاتعرفون من حاله الا ماتشاهدونه من آثار الشدة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفيتها وأسبابها ولا أن تقدروا على دفع أدنى شىء منها ونحن المتولون لتفاصيل أحواله بعلمنا وقدرتنا أو بملائكة الموت ﴿ ولكن لاتبصرون ﴾ لاتدركون ذلك لجهلكم بشؤوننا وقوله تعالى ﴿ فلولا ان كنتم غير مدينين ﴾ أى غير مربوبين من دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم ناظر الى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان التحضيض يستدعى عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى ﴿ ترجعونها ﴾ أى النفس الى مقرها هو العامل فى اذا والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية مكررة للتأكيد وهى

مع مافي حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فهلا ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم ﴿ان كنتم صادقين﴾ في اعتقادكم فان عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى ﴿فأما ان كان من المقربين﴾ الخ شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة أي فأما ان كان الذي بين حاله من السابقين من الازواج الثلاثة عبر عنهم بأجل أوصافهم ﴿فروح﴾ أي فله استراحة وقرئ فروح بضم الراء وفسر بالرحمة لأنها سبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة ﴿وريحان﴾ ورزق ﴿وجنة نعيم﴾ أي ذات تنعم ﴿وأما ان كان من أصحاب اليمين﴾ عبر عنهم بالعنوان السابق اذ لم يذكرهم فيما سبق وصف واحد ينبئ عن شأنهم سواه كما ذكر للفريقين الآخرين وقوله تعالى ﴿فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية انشاء سلام بعضهم على بعض والا لقيل عليك والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف ﴿وأما ان كان من المكذبين الضالين﴾ وهم أصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى ثم انكم أيها الضالون المكذبون ذما لهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب ﴿فنزل﴾ أي فله نزل كائن ﴿من حميم﴾ يشرب بعد أكل الزقوم كما فصل فيما قبل ﴿وتصلية جحيم﴾ أي ادخال في النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وقيل ذلك ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها ﴿ان هذا﴾ أي الذي ذكر في السورة الكريمة ﴿لهو حق اليقين﴾ أي حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء في قوله تعالى ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ لترتيب التسبيح أو الأمر به على ماقبلها فان حقية مافصل في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لايليق بشأنه الجليل من الأمور التي من جملتها الاشراك به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا

سورة الحديد

(مكية وقيل مدنية وآيها تسع وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سبح لله مافي السموات والأرض﴾ التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لايليق بجنابه سبحانه من سبح في الأرض والماء اذا ذهب وأبعد فيهما وحيث أسند هنا الى غير العقلاء أيضا فان مافي السموات والأرض يعم جميع مافيهما سواء كان مستقرا فيهما أو جزءا منهما كما مر في آية الكرسي أريد به معنى عام مجازي شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من أفراد الموجودات يدل بامكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى وسبحوه واللام اما مزيدة للتأكيد كما في نصحت له وشكرت له أو للتعليل أي فعل التسبيح لأجل الله تعالى وخالصا لوجهه ومجيئه في بعض الفواتح ماضيا وفي البعض مضارعا للايذان بتحققه في جميع الأوقات وفيه تنبيه على أن حق من شأنه التسبيح الاختياري أن يسبحه تعالى في جميع أوقاته كما عليه الملأ الأعلى حيث يسبحون الليل والنهار لايفترون ﴿وهو العزيز﴾ القادر الغالب الذي لايمانعه ولا ينازعه شئ ﴿الحكيم﴾ الذي لايفعل الا ماتقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ماقبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله تعالى ﴿له ملك

السموات والأرض﴾ أى التصرف الكلى فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات عما نعلمه ومالا نعلمه وقوله تعالى ﴿يحيى ويميت﴾ استئناف مبين لبعض أحكام الملك والتصرف وجعله حالا من ضميره ليس كما ينبغى ﴿وهو على كل شئ﴾ من الاشياء التى من جملتها ماذكر من الاحياء والاماتة ﴿قدير﴾ مبالغ فى القدرة ﴿هو الأول﴾ السابق على سائر الموجودات لما أنه مبدئها ومبدعها ﴿والآخر﴾ الباقى بعد فنائها حقيقة أو نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهى فانية ﴿والظاهر﴾ وجوداً لكثرة دلائله الواضحة ﴿والباطن﴾ حقيقة فلا تحوم حوله العقول والواو الأولى والأخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود فى جميع الأوقات والظهور والخفاء ﴿وهو بكل شئ عليم﴾ لايعزب عن علمه شئ من الظاهر والخفى ﴿هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ بيان لبعض أحكام ملكهما وقد مر تفسيره مرارا ﴿يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها وماينزل من السماء ومايعرج فيها﴾ مر بيانه فى سورة سبأ ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما داروا وقوله تعالى ﴿والله بما تعملون بصير﴾ عبارة عن احاطته بأعمالهم وتأخيره عن الخلق لما أن المراد بما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من أنه دليل عليه وقوله تعالى ﴿له ملك السموات والأرض﴾ تكرير للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى ﴿والى الله ترجع الأمور﴾ أى اليه وحده لا الى غيره استقلالا أو اشتراكا ترجع جميع الأمور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا ﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل﴾ مر تفسيره مرارا وقوله تعالى ﴿وهو عليم﴾ أى مبالغ فى العلم ﴿بذات الصدور﴾ أى بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته بأعمالهم التى يظهرونها ﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ أى جعلكم خلفاء فى التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة عبر عما بأيديهم من الأموال والأرزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم فى الانفاق فان من علم أنها لله عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الانفاق أو جعلكم خلفاء عمن قبلكم فيما كان بأيديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به ﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا﴾ حسبما أمروا به ﴿لهم﴾ بسبب ذلك ﴿أجر كبير﴾ وفيه من المبالغات مالا يخفى حيث جعل الجملة اسمية وأعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير ووصف بالكبير وقوله عز وجل ﴿وما لكم لا تؤمنون بالله﴾ استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما أمروا به بانكار أن يكون لهم فى ذلك عذر ما فى الجملة على أن لا تؤمنون حال من الضمير فى لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار أى أى شئ حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفى الى السبب فقط مع تحقق المسبب لا الى السبب والمسبب جميعا كما فى قوله تعالى ومالى لا أعبد الذى فطرنى فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما فى أتضرب أباك وأخرى لانكار الوقوع كما فى أأضرب أبى كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما فيما نحن فيه وفى قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر ونفى سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسريان الى المسبب أيضا كما فى قوله تعالى ومالى لا أعبد الى آخره فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة أمر مفروض حتما قد أنكر ونفى سببه فانتفى نفسه أيضا وقوله تعالى ﴿والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم﴾ حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق مايوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم

مايوجبه أى وأى عذر فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه وقوله تعالى ﴿ وقد أخذ ميثاقكم ﴾ حال من مفعول يدعوكم أى وقد أخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان من قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر وقرىء وقد أخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ لموجب مافان هذا موجب لاموجب وراءه ﴿ هو الذى ينزل على عبده ﴾ حسبما يعن لكم من المصالح ﴿ آيات بينات ﴾ واضحات ﴿ ليخرجكم ﴾ أى الله تعالى أو العبد بها ﴿ من الظلمات الى النور ﴾ من ظلمات الكفر الى نور الايمان ﴿ وان الله بكم لرؤف رحيم ﴾ حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى ﴿ وما لكم أن لاتنفقوا فى سبيل الله ﴾ توبيخ لهم على ترك الانفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار أن يكون لهم فى ذلك أيضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور أنه الذى بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ أى وأى شىء لكم فى أن لاتنفقوا فيما هو قربة الى الله تعالى ماهو له فى الحقيقة وانما أنتم خلفاؤه فى صرفه الى ماعينه من المصارف وقوله تعالى ﴿ ولله ميراث السموات والارض ﴾ حال من فاعل لاتنفقوا ومفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق مايوجب الانفاق أشد فى القبح وأدخل فى الانكار فان بيان بقاء جميع مافى السموات والارض من الاموال بالآخرة لله عز وجل من غير أن يبقى من أصحابها أحد أقوى فى ايجاب الانفاق عليهم من بيان أنها لله تعالى فى الحقيقة وهم خلفاؤه فى التصرف فيها كأنه قيل وما لكم فى ترك انفاقها فى سبيل الله والحال أنه لايبقى لكم منها شىء بل يبقى كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى ﴿ لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ﴾ بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت أحوالهم فى الانفاق بعد بيان أن لهم أجرا كبيرا على الاطلاق حثا لهم على تحرى الافضل وعطف القتال على الانفاق للايذان بأنه من أهم مواد الانفاق مع كونه فى نفسه من أفضل العبادات وأنه لايخلو من الانفاق أصلا وقسيم من أنفق محذوف لظهوره ودلالة مابعده عليه وقرىء قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة ﴿ أولئك ﴾ اشارة الى من أنفق والجمع بالنظر الى معنى من كما أن افراد الضميرين السابقين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم فى الفضل ومحله الرفع على الابتداء أى أولئك المنعوتون بذينك النعتين الجليلين ﴿ أعظم درجة ﴾ وأرفع منزلة ﴿ من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ﴾ لأنهم انما فعلوا مافعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة أهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا مافعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه أفواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال ﴿ وكلا ﴾ أى وكل واحد من الفريقين ﴿ وعد الله الحسنى ﴾ أى المثوبة الحسنى وهى الجنة لا الاولين فقط وقرىء وكل بالرفع على الابتداء أى وكل وعده الله تعالى ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الآية فى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فانه أول من آمن وأول من أنفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا أشرف به على الهلاك وقوله تعالى ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ﴾ ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق فى سبيله بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين أى من ذا الذى ينفق ماله فى سبيله تعالى رجاء أن يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحرى أكرم المال وأفضل الجهات ﴿ فيضاعفه له ﴾ بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كأنه قيل أيقرض الله أحد فيضاعفه له أى فيعطيه أجره أضعافا ﴿ وله أجر كريم ﴾ أى وذلك الاجر المضموم

اليه الاضعاف كريم فى نفسه حقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف أضعافا كثيرة وقرئ بالرفع عطفا على يقرض أو حملا على تقدير مبتدأ أى فهو يضاعفه وقرئ يضعفه بالرفع والنصب ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ﴾ ظرف لقوله تعالى وله أجر كريم أو لقوله تعالى فيضاعفه أو منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم وقوله تعالى ﴿ يسعى نورهم ﴾ حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذى يرى ﴿ بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ وقيل هو هداهم وبأيمانهم كتبهم أى يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين أيديهم وفى أيمانهم كتب أعمالهم وقيل هو القرآن وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وأدناهم نورا من نوره على ابهام رجله ينطفئ تارة ويلمع أخرى قال الحسن يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة ﴿ بشراكم اليوم جنات ﴾ مقدر بقول هو حال أو استئناف أى يقال لهم بشراكم أى ما تبشرون به جنات أو بشراكم دخول جنات ﴿ تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك ﴾ أى ما ذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة ﴿ هو الفوز العظيم ﴾ الذى لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات ﴾ بدل من يوم ترى ﴿ للذين آمنوا انظرونا ﴾ أى انتظرونا يقولون ذلك لما أن المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذى بين أيديهم وقرئ أنظرونا من النظرة وهى الامهال جعل اتئادهم فى المضى الى أن يلحقوا بهم انظارا لهم ﴿ نقتبس من نوركم ﴾ أى نستضئ منه وأصله اتخاذ القبس ﴿ قيل ﴾ طردا لهم وتهكما بهم من جهة المؤمنين أو من جهة الملائكة ﴿ ارجعوا وراءكم ﴾ أى الى الموقف ﴿ فالتمسوا نورا ﴾ فانه من ثم يقتبس أو الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال الصالحة أو ارجعوا خائبين خاسئين فالتمسوا نورا آخر وقد علموا أن لا نور وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم أو أرادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم ﴿ فضرب بينهم ﴾ بين الفريقين ﴿ بسور ﴾ أى حائط والباء زائدة ﴿ له باب باطنه ﴾ أى باطن السور أو الباب وهو الجانب الذى يلى الجنة ﴿ فيه الرحمة وظاهره ﴾ وهو الطرف الذى يلى النار ﴿ من قبله ﴾ من جهته ﴿ العذاب ﴾ وقرئ فضرب على البناء للفاعل ﴿ ينادونهم ﴾ استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم ﴿ ألم نكن ﴾ فى الدنيا ﴿ معكم ﴾ يريدون به موافقتهم لهم فى الظاهر ﴿ قالوا بلى ﴾ كنتم معنا بحسب الظاهر ﴿ ولكنكم فتنتم أنفسكم ﴾ محنتموها بالنفاق وأهلكتموها ﴿ وتربصتم ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿ وارتبتم ﴾ فى أمر الدين ﴿ وغرتكم الأمانى ﴾ الفارغة التى من جملتها الطمع فى انتكاس أمر الاسلام ﴿ حتى جاء أمر الله ﴾ أى الموت ﴿ وغركم بالله ﴾ الكريم ﴿ الغرور ﴾ أى غركم الشيطان بأن الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ﴾ فداء وقرئ تؤخذ بالتاء ﴿ ولا من الذين كفروا ﴾ أى ظاهرا وباطنا ﴿ مأواكم النار ﴾ لا تبرحونها أبدا ﴿ هى مولاكم ﴾ أى أولى بكم وحقيقته مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم أى مكان لقول القائل انه لكريم أو مكانكم عن قريب من الولى وهو القرب أو ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع أو متوليكم تتولاكم كما توليتم موجباتها ﴿ وبئس المصير ﴾ أى النار ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ استئناف ناع عليهم تثاقلهم فى أمور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروى أن المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة وفتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية الا أربع سنين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الله استبطأ قلوب

المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن أى ألم يجئ وقت أن تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال بأوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور من أنى الامر اذا جاء اناه أى وقته وقرئ ألم يئن من آن يئين بمعنى أنى وقرئ ألما يأن وفيه دلالة على أن المنفى متوقع ﴿وما نزل من الحق﴾ أى القرآن وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به أيضا فالعطف لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كما أنه حق نازل من السماء والا فالعطف كما فى قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام لأوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التى من جملتها ماسبق وما لحق من الانفاق فى سبيل الله تعالى وقرئ نزل من التنزيل مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل وأنزل ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهى عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك أن بنى اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم ﴿فطال عليهم الأمد﴾ أى الاجل وقرئ الأمد بتشديد الدال أى الوقت الاطول وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة التى كانت تأتيهم من الكتابين ﴿فقست قلوبهم﴾ فهى كالحجارة أو أشد قسوة ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ أى خارجون عن حدود دينهم رافضون لما فى كتابهم بالكلية ﴿اعلموا أن الله يحيى الارض بعد موتها﴾ تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب فى الخشوع والتحذير عن القساوة ﴿قد بينا لكم الآيات﴾ التى من جملتها هذه الآيات ﴿لعلكم تعقلون﴾ كى تعقلوا مافيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين ﴿ان المصدقين والمصدقات﴾ أى المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ كذلك وقرئ بتخفيف الصاد من التصديق أى الذين صدقوا الله رسوله ﴿وأقرضوا الله قرضا حسنا﴾ قيل هو عطف على مافى المصدقين من معنى الفعل فانه فى حكم الذين اصدقوا أو صدقوا على القراءتين وعقب بأن فيه فصلا بين أجزاء الصلة باجنبى وهو المصدقات وأجيب بأن المعنى ان الناس الذين تصدقوا وتصدقن وأقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيل ان المصدقات ليس بعطف على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كأنه قيل ان المصدقين على العموم تغليبا وأخص المصدقات من بينهم كما تقول ان الذين آمنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن لا على أن مدار التخصيص مزيد استحقاقهن لمضاعفة الاجر كما فى المثال المذكور بل زيادة احتياجهن الى التصدق الداعية الى الاعتناء بحثهن على التصدق لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال يامعشر النساء تصدقن فانى أريتكن أكثر أهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كأنه قيل والذين أقرضوا والقرض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة ﴿يضاعف لهم﴾ على البناء للمفعول مسندا الى مابعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر مافى حيز الصلة على حذف مضاف أى ثواب التصدق وقرئ على البناء للفاعل أى يضاعف الله تعالى وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها ﴿ولهم أجر كريم﴾ مر مافيه من الكلام ﴿والذين آمنوا بالله ورسله﴾ كافة وقد مر بيان كيفية الايمان بهم فى خاتمة سورة البقرة ﴿أولئك﴾ اشارة الى الموصول الذى هو مبتدأ وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه قد مر سره مرارا وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى ﴿هم﴾ مبتدأ ثالث خبره ﴿الصديقون والشهداء﴾ وهو مع خبره خبر للثانى وهو مع خبره خبر للاول أوهم ضمير الفصل ومابعده خبر لأولئك والجملة خبر للموصول أى أولئك ﴿عند ربهم﴾ بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله تعالى أوهم المبالغون فى الصدق

حيث آمنوا وصدقوا جميع أخباره تعالى و رسله والقائمون بالشهادة لله تعالى بالوحدانية ولهم بالايمان أو على الامم يوم القيامة وقوله تعالى ﴿لهم أجرهم ونورهم﴾ بيان لثمرات ماوصفوا به من نعوت الكمال على أنه جملة من مبتدا وخبر محلها الرفع على أنه خبر ثان للموصول أو الخبر هو الجار ومابعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الأول على الوجه الأول للموصول والاخيران للصديقين والشهداء أى لهم مثل أجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف أداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة و بلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين ماللفريق الاول من الاجر والنور و بين تمام ماللفريقين الاخيرين بل بين تمام ماللاول من الأصل والأضعاف و بين ماللاخيرين من الأصل بدون الأضعاف وأما على الوجه الثانى فمرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم هذا هو الذى تقتضيه جزالة النظم الكريم وقد قيل والشهداء مبتدأ وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم أجرهم الخ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك﴾ الموصوفون بتلك الصفة القبيحة ﴿أصحاب الجحيم﴾ بحيث لايفارقونها أبدا ﴿اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب ولهو و زينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد﴾ بعد مابين حال الفريقين فى الآخرة شرح حال الحياة الدنيا التى اطمأن بها الفريق الثانى وأشير الى أنها من محقرات الامور التى لايركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وأنها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل ﴿كمثل غيث أعجب الكفار﴾ أى الحراث ﴿نباته﴾ أى النبات الحاصل به ﴿ثم يهيج﴾ أى يجف بعد خضرته ونضارته ﴿فتراه مصفرا﴾ بعد مارأيته ناضرا مونقا وقرىء مصفارا وانما لم يقل فيصفر ايذانا بأن اصفراره مقارن لجفافه وانما المترتب عليه رؤيته كذلك ﴿ثم يكون حطاما﴾ هشيما متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير فى لعب لأنه فى معنى الوصف وقيل الرفع على أنه خبر بعد خبر للحياة الدنيا بتقدير المضاف أى مثل الحياة الدنيا كمثل الخ و بعد مابين حقارة أمر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها أشير الى فخامة شأن الآخرة وعظم مافيها من اللذات والآلام ترغيبا فى تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا من عذابها الأليم وقدم ذكر العذاب فقيل ﴿وفى الآخرة عذاب شديد﴾ لأنه من نتائج الانهماك فيما فصل من أحوال الحياة الدنيا ﴿ومغفرة﴾ عظيمة ﴿من الله ورضوان﴾ عظيم لايقادر قدره ﴿وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور﴾ أى لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان ألهتك عن طلب الآخرة فأما اذا دعتك الى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة ﴿سابقوا﴾ أى سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم فى المضمار ﴿الى مغفرة﴾ عظيمة كائنة ﴿من ربكم﴾ أى الى موجباتها من الأعمال الصالحة ﴿وجنة عرضها كعرض السماء والارض﴾ أى كعرضهما جميعا واذا كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية ﴿أعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾ فيه دليل على أن الجنة مخلوقة بالفعل وأن الايمان وحده كاف فى استحقاقها ﴿ذلك﴾ الذى وعد من المغفرة والجنة ﴿فضل الله﴾ عطاؤه ﴿يؤتيه﴾ تفضلا واحسانا ﴿من يشاء﴾ ايتاءه اياه من غير ايجاب ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ ولذلك يؤتى من يشاء مثل ذلك الفضل الذى لاغاية وراءه ﴿ما أصاب من مصيبة فى الارض﴾ كجدب وعاهة فى الزروع والثمار ﴿ولا فى أنفسكم﴾ كمرض وآفة ﴿الا فى كتاب﴾ أى الا مكتوبة مثبتة فى علم الله تعالى أو فى اللوح ﴿من قبل أن نبرأها﴾ أى نخلق الانفس أو المصائب أو الارض ﴿ان ذلك﴾ أى اثباتها فى كتاب ﴿على الله يسير﴾ لاستغنائه فيه عن العدة والمدة ﴿لكيلا تأسوا﴾ أى أخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا ﴿على مافاتكم﴾ من نعم الدنيا ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ أى أعطاكم الله تعالى منها فان من علم أن الكل مقدر يفوت ماقدر فواته و يأتى ماقدر

اتيانه لامحالة لا يعظم جزعه على مافات ولا فرحه بما هو آت وقرئ بما أتاكم من الاتيان وفى القراءة الاولى اشعار بأن فوات النعم يلحقها اذا خليت وطباعها وأما حصولها وبقاؤها فلابد لهما من سبب يوجدها ويبقيها وقرئ بما أوتيتم والمراد به نفى الأسى المانع عن التسليم لأمر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى ﴿ والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ فان من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت فى نفسه اختال وافتخر بها لامحالة وفى تخصيص التذييل بالنهى عن الفرح المذكور ايذان بأنه أقبح من الأسى ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ﴾ بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ﴿ ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد ﴾ فان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غنى عنه وعن انفاقه محمود فى ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشئ من نعمه وفيه تهديد واشعار بأن الأمر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرئ فان الله الغنى ﴿ لقد أرسلنا رسلنا ﴾ أى الملائكة الى الأنبياء أو الأنبياء الى الأمم وهو الأظهر ﴿ بالبينات ﴾ أى الحجج والمعجزات ﴿ وأنزلنا معهم الكتاب ﴾ أى جنس الكتاب الشامل للكل ﴿ والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ أى بالعدل روى أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل أريد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به العدوان ﴿ وأنزلنا الحديد ﴾ قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المر والمسحات وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام وذلك أن أوامره تعالى وقضاياه وأحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى ﴿ فيه بأس شديد ﴾ لأن آلات الحروب انما تتخذ منه ﴿ ومنافع للناس ﴾ اذ ما من صنعة الا والحديد أو ما يعمل بالحديد آلتها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى ﴿ وليعلم الله من ينصره ورسله ﴾ عطف على محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كأنه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر الأسلحة فى مجاهدة أعدائه أو متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية أى وليعلم الله من ينصره ورسله أنزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى ﴿ بالغيب ﴾ حال من فاعل ينصر أو مفعوله أى غائبا عنهم أو غائبين عنه وقوله تعالى ﴿ ان الله قوى عزيز ﴾ اعتراض تذييلى جئ به تحقيقا للحق وتنبيها على أن تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجته فى اعلاء كلمته واظهار دينه الى نصرتهم بل انما هو لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الأمر فيه الى الثواب والا فهو غنى بقدرته وعزته عنهم فى كل ما يريده ﴿ ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم ﴾ نوع تفصيل لما أجمل فى قوله تعالى لقد أرسلنا رسلنا الخ وتكرير القسم لاظهار مزيد الاعتناء بالأمر أى وبالله لقد أرسلناهما ﴿ وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب ﴾ بأن استنبأناهم وأوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم ﴿ فمنهم ﴾ أى من الذرية أو من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين ﴿ مهتد ﴾ الى الحق ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرتهم ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا ﴾ أى ثم أرسلنا بعدهم رسلنا ﴿ وقفينا بعيسى ابن مريم ﴾ أى أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى ابن مريم عليه السلام والضمير لنوح وابراهيم ومن أرسلا اليهم أو من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية ﴿ وآتيناه الانجيل ﴾ وقرئ بفتح الهمزة فانه أعجمى لا يلزم فيه مراعاة أبنية العرب ﴿ وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ﴾ وقرئ رآفة على فعالة ﴿ ورحمة ﴾ أى وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه فى شأن أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام رحماء بينهم ﴿ ورهبانية ﴾ منصوب

اما بفعل مضمر يفسره الظاهر أى وابتدعوا رهبانية ﴿ ابتدعوها ﴾ واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها
أى وجعلنا فى قلوبهم رأفة و رحمة و رهبانية مبتدعة من عندهم أى وفقناهم للتراحم بينهم و لابتداع الرهبانية واستحداثها
وهى المبالغة فى العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب
كخشيان من خشى وقرئ بضم الراء كأنها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب و ركبان وسبب ابتداعهم
اياها أن الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل
فخافوا أن يفتتنوا فى دينهم فاختاروا الرهبانية فى قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين أنفسهم للعبادة وقوله تعالى
﴿ ما كتبناها عليهم ﴾ جملة مستأنفة وقيل صفة أخرى لرهبانية والنفى على الوجه الأول متوجه الى أصل الفعل وقوله
تعالى ﴿ الا ابتغاء رضوان الله ﴾ استثناء منقطع أى ما فرضناها نحن عليهم رأسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان
الله فذمهم حينئذ بقوله تعالى ﴿ فما رعوها حق رعايتها ﴾ من حيث ان النذر عهد مع الله لا يحل نكثه لا سيما اذا
قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه الثانى متوجه الى قيده لا الى نفسه والاستثناء متصل من أعم العلل أى ما كتبناها عليهم
بان وفقناهم لابتداعها لشئ من الأشياء الا ليبتغوا بها رضوان الله و يستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك أن يحافظوا
عليها و يراعوها حق رعايتها فما رعاها كلهم بل بعضهم ﴿ فآتينا الذين آمنوا منهم ﴾ ايمانا صحيحا وهو الايمان
برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية رهبانيتهم لا بمجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وأنى لها استتباع
الأجر ﴿ أجرهم ﴾ أى ما يخص بهم من الأجر ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين
على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير
تعرض لايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم و كفرهم به مما لا يساعده المقام ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ أى بالرسل المتقدمة
﴿ اتقوا الله ﴾ فيما نهاكم عنه ﴿ وآمنوا برسوله ﴾ أى بمحمد عليه الصلاة والسلام و فى اطلاقه ايذان بأنه علم فرد
فى الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره ﴿ يؤتكم كفلين ﴾ نصيبين ﴿ من رحمته ﴾ لايمانكم بالرسول و بمن قبله من
الرسل عليهم الصلاة والسلام لكن لا على معنى أن شريعتهم باقية بعد البعثة بل على أنها كانت حقة قبل النسخ
﴿ ويجعل لكم نورا تمشون به ﴾ يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم ﴿ ويغفر
لكم ﴾ ما أسلفتم من الكفر والمعاصى ﴿ والله غفور رحيم ﴾ أى مبالغ فى المغفرة والرحمة وقوله تعالى ﴿ لئلا يعلم
أهل الكتاب ﴾ متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم
كذا و كذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من أهل الكتاب أى ليعلموا و لا مزيدة كما ينبئ عنه قراءة ليعلم ولكى يعلم و لأن
يعلم بادغام النون فى الياء وأن فى قوله تعالى ﴿ أن لا يقدرون على شئ من فضل الله ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها الذى
هو ضمير الشأن محذوف والجملة فى حيز النصب على أنها مفعول يعلم أى ليعلموا أنه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله
من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذى هو الايمان برسوله وقوله تعالى
﴿ وأن الفضل بيد الله ﴾ عطف على أن لا يقدرون وقوله تعالى ﴿ يؤتيه من يشاء ﴾ خبر ثان لأن وقيل هو الخبر
والجار حال لازمة وقوله تعالى ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ماقبله وقد جوز أن
يكون الأمر بالتقوى والايمان لغير أهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم
يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين فى قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين ولا ينقصكم من
مثل أجرهم لأنكم مثلهم فى الايمانين لا تفرقون بين أحد من رسله و روى أن مؤمنى أهل الكتاب افتخروا على سائر

المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ ليلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة وقرئ بسكون الياء وفتح اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرئ أن لا يقدروا هذا وقد قيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون للنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه والمعنى لئلا يعتقد أهل الكتاب أنه لا يقدر النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنون به على شئ من فضل الله الذي هو عبارة عما أوتوه من سعادة الدارين على أن عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى وأن الفضل بيد الله الخ عطفا على أن لا يعلم . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة

(مدنية وقيل العشر الأول مكي والباقي مدني وآيها ثنتان وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قد سمع الله﴾ باظهار الدال وقرئ بادغامها في السين ﴿قول التي تجادلك في زوجها﴾ أي تراجعك الكلام في شأنه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك وتحاولك أي تسائلك ﴿وتشتكي الى الله﴾ عطف على تجادلك أي تتضرع اليه تعالى وقيل حال من فاعله أي تجادلك وهي متضرعة اليه تعالى وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية ظاهر عنها زوجها أوس بن الصامت أخو عبادة ثم ندم على ماقال فقال لها ما أظنك الا قد حرمت على فشق عليها ذلك فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه وفي رواية ما أراك الا قد حرمت عليه في المرار كلها فقالت أشكو الى الله فاقتي ووجدي وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال عليه الصلاة والسلام حرمت عليه هتفت وشكت الى الله تعالى فنزلت وفي كلمة قد اشعار بأن الرسول عليه الصلاة والسلام والمجادلة كانا يتوقعان أن ينزل الله تعالى حكم الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح به ماروي أنه عليه الصلاة والسلام قال لها عند استفتائها ما عندي في أمرك شئ وأنها كانت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم اني أشكو اليك فأنزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها اجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ أي يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها في المسئلة ومبالغتها في التضرع الى الله تعالى ومدافعته عليه الصلاة والسلام اياها بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعي الاجابة وقيل هي حال وهو بعيد وقوله عز وجل ﴿ان الله سميع بصير﴾ تعليل لما قبله بطريق التحقيق أي مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته أن يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع واظهار الاسم الجليل في الموقعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية وتأكيد استقلال الجملتين وقوله تعالى ﴿الذين يظاهرون منكم من نسائهم﴾ شروع في بيان شأن الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي مشتق من الظهر وقد مر تفصيله في الاحزاب وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم فيه فانه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقرئ يظاهرون من اظاهر ويتظاهرون ويظهرون وقوله تعالى ﴿ماهن أمهاتهم﴾ خبر

للموصول أي مانساؤهم أمهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرئ أمهاتهم بالرفع على لغة تميم وبامهاتهم ﴿ان أمهاتهم﴾ أي ماهن ﴿الا اللائي ولدنهم﴾ فلا تشبه بهن في الحرمة الامن ألحقها الشرع بهن من المرضعات وأزواج النبي عليه الصلاة والسلام فدخلن بذلك في حكم الامهات وأما الزوجات فأبعد شيء من الامومة ﴿وانهم ليقولون﴾ بقولهم ذلك ﴿منكرا من القول﴾ على أن مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فانه أمر محقق بل كونه منكرا أي عند الشرع وعند العقل والطبع أيضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا عظيما ﴿وزورا﴾ أي محرفا عن الحق ﴿وان الله لعفو غفور﴾ أي مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الاطلاق أو بالمتاب عنه وقوله تعالى ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه أمرا منكرا بطريق التشريع الكلي المنتظم لحكم الحادثة انتظاما أوليا أي والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا أي الى ماقالوا بالتدارك والتلافي لابالتقرير والتكرير كما في قوله تعالى أن تعودوا لمثله أبدا فان اللام والى تتعاقبان كثيرا كما في قوله تعالى هدانا لهذا وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوله تعالى بأن ربك أوحى لها وقوله تعالى وأوحى الى نوح ﴿فتحرير رقبة﴾ أي فتداركه أوفعليه أو فالواجب اعتاق رقبة أي رقبة كانت وعند الشافعي رحمه الله تعالى يشترط الايمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ماقالوا عبارة عما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر في قوله تعالى ونرثه مايقول أي المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع فتحرير رقبة ﴿من قبل أن يتماسا﴾ أي من قبل أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وان وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفروان أعتق بعض الرقبة ثم مس عليه أن يستأنف عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى ﴿ذلكم﴾ اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره ﴿توعظون به﴾ أي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان أن المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة مايوجبه ﴿والله بما تعملون﴾ من الاعمال التي من جملتها التكفير ومايوجبه من جناية الظهار ﴿خبير﴾ أي عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ماشرع لكم ولا تخلوا بشيء منها ﴿فمن لم يجد﴾ أي الرقبة ﴿فصيام شهرين﴾ أي فعليه صيام شهرين ﴿متتابعين من قبل أن يتماسا﴾ ليلا أو نهارا عمدا أو خطأ ﴿فمن لم يستطع﴾ أي الصيام لسبب من الاسباب ﴿فاطعام ستين مسكينا﴾ لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس لكن لايستأنف ان مس في خلال الاطعام ﴿ذلك﴾ اشارة الى مامر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها ومافيه من معنى البعد قد مر سره مرارا ومحله اما الرفع على الابتداء أو النصب بمضمر معلل بما بعده أي ذلك واقع أو فعلنا ذلك ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم ﴿وتلك﴾ اشارة الى الاحكام المذكورة ومافيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة ﴿حدود الله﴾ التي لايجوز تعديها ﴿وللكافرين﴾ أي الذين لايعملون بها ﴿عذاب أليم﴾ عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين ﴿ان الذين يحادون الله ورسوله﴾ أي يعادونهما ويشاقونهما فان كلا من المتعاديين كما أنه يكون في عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر غير أن لورود المحادة في أثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع مالا غاية وراءه ﴿كبتوا﴾ أي أخزوا وقيل خذلوا وقيل أذلوا وقيل أهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ماوقع يوم الخندق

قالوا معنى كبتوا سيكبتون على طريقة قوله تعالى أتى أمر الله وقيل أصل الكبت الكب ﴿ كما كبت الذين من قبلهم ﴾ من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿ وقد أنزلنا آيات بينات ﴾ حال من واو كبتوا أى كبتوا لمحادتهم والحال أنا قد أنزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله و رسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل على صدق الرسول وصحة ماجاء به ﴿ وللكافرين ﴾ أى بتلك الآيات أو بكل مايجب الايمان به فيدخل فيه تلك الآيات دخولا أوليا ﴿ عذاب مهين ﴾ يذهب بعزهم و كبرهم ﴿ يوم يبعثهم الله ﴾ منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار أو بمهين أو باضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له ﴿ جميعا ﴾ أى كلهم بحيث لايبقى منهم أحد غير مبعوث أو مجتمعين فى حالة واحدة ﴿ فينبئهم بما عملوا ﴾ من القبائح ببيان صدورها عنهم أو بتصويرها فى تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى ﴿ أحصاه الله ﴾ استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله من السؤال اما عن كيفية التنبئة أو عن سببها كأنه قيل كيف ينبئهم بأعمالهم وهى أعراض متقضية متلاشية فقيل أحصاه الله عددا لم يفته منه شئ فقوله تعالى ﴿ ونسوه ﴾ حينئذ حال من مفعول أحصى باضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور أو قيل لم ينبئهم بذلك فقيل أحصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا أن ما عاينوه من العذاب انما حاق بهم لاجله وفيه مزيد توبيخ وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير ﴿ والله على كل شئ شهيد ﴾ لايغيب عنه أمر من الامور قط والجملة اعتراض تذييلى مقرر لاحصائه تعالى وقوله تعالى ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض ﴾ استشهاد على شمول شهادته تعالى كما فى قوله تعالى ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه وفى قوله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون أى ألم تعلم علما يقينيا متاخما للمشاهدة بأنه تعالى يعلم مافيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو بالجزئية منهما وقوله تعالى ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة ﴾ الخ استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرئ تكون بالتاء اعتبارا لتأنيث النجوى وان كان غير حقيقى أى مايقع من تناجى ثلاثة نفر أى من مسارتهم على أن نجوى مضافة الى ثلاثة أو على أنها موصوفة بها اما بتقدير مضاف أى من أهل نجوى ثلاثة أو بجعلهم نجوى فى أنفسهم مبالغة ﴿ الا هو ﴾ أى الله عز وجل ﴿ رابعهم ﴾ أى جاعلهم أربعة من حيث انه تعالى يشاركهم فى الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من أعم الاحوال ﴿ ولا خمسة ﴾ ولا نجوى خمسة ﴿ الا هو سادسهم ﴾ وتخصيص العددين بالذكر اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت فى تناجى المنافقين واما لبناء الكلام على أغلب عادات المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك فقيل ﴿ ولا أدنى من ذلك ﴾ أى مما ذكر كالواحد والاثنين ﴿ ولا أكثر ﴾ كالستة وما فوقها ﴿ الا هو معهم ﴾ يعلم ما يجرى بينهم وقرئ ولا أكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى أو محل ولا أدنى بأن جعل لا لنفى الجنس ﴿ أينما كانوا ﴾ من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا و بعدا ﴿ ثم ينبئهم ﴾ وقرئ ينبئهم بالتخفيف ﴿ بما عملوا يوم القيامة ﴾ تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم ﴿ ان الله بكل شئ عليم ﴾ لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء ﴿ ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ﴾ نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم و يتغامزون بأعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والهمزة للتعجيب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى ﴿ ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ﴾ عطف عليه داخل فى حكمه أى بما هو اثم فى نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول عليه الصلاة والسلام وذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة بين الخطابين

المتوجهين اليه عليه الصلاة والسلام لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرئ ويتنجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول ﴿ واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ﴾ فيقولون السام عليك أو انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على المرسلين ﴿ و يقولون فى أنفسهم ﴾ أى فيما بينهم ﴿ لولا يعذبنا الله بما نقول ﴾ أى هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا ﴿ حسبهم جهنم ﴾ عذابا ﴿ يصلونها ﴾ يدخلونها ﴿ فبئس المصير ﴾ أى جهنم ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم ﴾ فى أنديتكم وفى خلواتكم ﴿ فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ﴾ كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنتجوا وفلا تناجوا بحذف احدى التاءين ﴿ وتناجوا بالبر والتقوى ﴾ أى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ واتقوا الله الذى اليه تحشرون ﴾ وحده لا الى غيره استقلالا أو اشتراكا فيجازيكم بكل ما تأتون وتذرون ﴿ انما النجوى ﴾ المعهودة التى هى التناجى بالاثم والعدوان ﴿ من الشيطان ﴾ لا من غيره فانه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى ﴿ ليحزن الذين آمنوا ﴾ خبر آخر أى انما هى ليحزن المؤمنين بتوهمهم أنها فى نكبة أصابتهم ﴿ وليس بضارهم ﴾ أى الشيطان أو التناجى بضار المؤمنين ﴿ شيئا ﴾ من الاشياء أو شيئا من الضرر ﴿ الا باذن الله ﴾ أى بمشيئته ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ ولا يبالوا بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شره وضره ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا ﴾ أى توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عنى أى تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى ﴿ فى المجالس ﴾ متعلق بقيل وقرئ فى المجلس على أن المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام وكانوا يتضامون تنافسا فى القرب منه عليه الصلاة والسلام وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهى مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتى الصف و يقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ فى المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعا أى توسعوا فى جلوسكم ولا تتضايقوا فيه ﴿ فافسحوا يفسح الله لكم ﴾ أى فى كل ماتريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها ﴿ واذا قيل انشزوا ﴾ أى انهضوا للتوسعة على المقبلين أو لما أمرتم به من صلاة أو جهاد أو غيرهما من أعمال الخير ﴿ فانشزوا ﴾ فانهضوا ولا تتثبطوا و لا تفرطوا وقرئ بكسر الشين ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم ﴾ بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا والايواء الى غرف الجنان فى الآخرة ﴿ والذين أوتوا العلم ﴾ منهم خصوصا ﴿ درجات ﴾ عالية بما جمعوا من أثرى العلم والعمل فان العلم مع علو رتبته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العارى عنه وان كان فى غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم فى أفعاله ولا يقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ تهديد لمن لم يمتثل بالامر وقرئ يعملون بالياء التحتانية ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول ﴾ فى بعض شؤونكم المهمة الداعية الى مناجاته عليه الصلاة والسلام ﴿ فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ﴾ أى فتصدقوا قبلها مستعار ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وانفاع الفقراء والزجر عن الافراط فى السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف فى أنه للندب أو للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أأشفقتم وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا وعن على رضى الله عنه ان فى كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيرى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته عليه الصلاة والسلام تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على أنه لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدة بقائه اذ روى أنه لم يبق الا عشرا وقيل الاساعة ﴿ ذلك ﴾ أى التصدق ﴿ خير لكم وأطهر ﴾ أى لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى ﴿ فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ﴾ منبئ عن الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد فى المناجاة بلا تصدق ﴿ أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات ﴾ أى أخفتم الفقر من تقديم

الصدقات أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين ﴿فاذ لم تفعلوا﴾ ما أمرتم به وشق عليكم ذلك ﴿وتاب الله عليكم﴾ بأن رخص لكم أن لا تفعلوه وفيه اشعار بأن اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ما قام مقام توبتهم واذ على بابها من المضى وقيل بمعنى اذا كما فى قوله تعالى اذ الاغلال فى أعناقهم وقيل بمعنى ان ﴿فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة﴾ أى فاذ فرطتم فيما أمرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ فى سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر لما وقع فى ذلك من التفريط ﴿والله خبير بما تعملون﴾ ظاهرا وباطنا ﴿ألم تر﴾ تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء ويناصحونهم وينقلون اليهم أسرار المؤمنين أى ألم تنظر ﴿الى الذين تولوا﴾ أى والوا ﴿قوما غضب الله عليهم﴾ وهم اليهود كما أنبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ﴿ماهم منكم ولا منهم﴾ لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك والجملة مستأنفة أو حال من فاعل تولوا ﴿ويحلفون على الكذب﴾ أى يقولون والله انا لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل فى حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه وقوله تعالى ﴿وهم يعلمون﴾ حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم أنه كذب فى غاية القبح وفيه دلالة على أن الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه روى أنه عليه الصلاة والسلام كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان أزرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه الصلاة والسلام فعلت فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت ﴿أعد الله لهم﴾ بسبب ذلك ﴿عذابا شديدا﴾ نوعا من العذاب متفاقما ﴿انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وضروا به وأصروا عليه ﴿اتخذوا أيمانهم﴾ الفاجرة التى يحلفون بها عند الحاجة وقرىء بكسر الهمزة أى ايمانهم الذى أظهروه لاهل الاسلام ﴿جنة﴾ وقاية وسترة دون دمائهم وأموالهم فالاتخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بما أظهروه بالفعل وأما على القراءة الاولى فهو عبارة عن اعدادهم لأيمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لا بد أن يكون قبل المؤاخذة وعن سببها أيضا كما يعرب عنه الفاء فى قوله تعالى ﴿فصدوا﴾ أى الناس ﴿عن سبيل الله﴾ فى خلال أمنهم بتثبيط من لقوا عن الدخول فى الاسلام وتضعيف أمر المسلمين عندهم ﴿فلهم عذاب مهين﴾ وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة ﴿لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله﴾ أى من عذابه تعالى ﴿شيئا﴾ من الاغناء روى أن رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة ﴿أصحاب النار﴾ أى ملازموها ومقارنوها ﴿هم فيها خالدون﴾ لا يخرجون منها أبدا ﴿يوم يبعثهم الله جميعا﴾ قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين ﴿فيحلفون له﴾ أى لله تعالى يومئذ على أنهم مسلمون ﴿كما يحلفون لكم﴾ فى الدنيا ﴿ويحسبون﴾ فى الآخرة ﴿أنهم﴾ بتلك الايمان الفاجرة ﴿على شىء﴾ من جلب منفعة أو دفع مضرة كما كانوا عليه فى الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن أرواحهم وأموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية ﴿ألا انهم هم الكاذبون﴾ البالغون فى الكذب الى غاية لا مطمح وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدى علام الغيوب وزعموا أن أيمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين ﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾ أى استولى عليهم من حذت الابل اذا استوليت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الأصل كاستصوب واستنوق

أى مالكهم ﴿فأنساهم ذكر الله﴾ بحيث لم يذكروه بقلوبهم ولا بألسنتهم ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من القبائح حزب الشيطان أى جنوده وأتباعه ﴿ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ أى الموصوفون بالخسران الذى لاغاية وراءه حيث فوتوا على أنفسهم النعيم المقيم وأخذوا بدله العذاب الأليم وفى تصدير الجملة بحرفى التنبيه والتحقيق واظهار المضافين معا فى موقع الاضمار بأحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التأكيد مالايخفى ﴿ان الذين يحادون الله ورسوله﴾ استئناف مسوق لتعليل ماقبله من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما فى حيز الصلة على أن موادة من حاد الله ورسوله محادة لهما والاشعار بعلة الحكم ﴿أولئك﴾ بما فعلوا من التولى والموادة ﴿فى الاذلين﴾ أى فى جملة من هو أذل خلق الله من الأولين والآخرين لان ذلة أحد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك ﴿كتب الله﴾ استئناف وارد لتعليل كونهم فى الأذلين أى قضى وأثبت فى اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم أجيب بما يجاب به فقيل ﴿لأغلبن أنا ورسلى﴾ أى بالحجة والسيف ومايجرى مجراه أو بأحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرىء ورسلى بفتح الياء ﴿ان الله قوى﴾ على نصر أنبيائه ﴿عزيز﴾ لايغلب عليه فى مراده ﴿لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تعالى ﴿يوادون من حاد الله ورسوله﴾ مفعوله الثانى أو الى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة أخرى له أى قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الآخر وبين موادة أعداء الله ورسوله والمراد بنفى الوجدان نفى الموادة على معنى أنه لا ينبغى أن يتحقق ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال وان جد فى طلبه كل أحد ﴿ولوكانوا﴾ أى من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فيما قبله باعتبار لفظها ﴿آباءهم﴾ آباء الموادين ﴿أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم﴾ فان قضية الايمان بالله تعالى أن يهجر الجميع بالمرة والكلام فى لو قد مر على التفصيل مرارا ﴿أولئك﴾ اشارة الى الذين لايوادونهم وان كانوا أقرب الناس اليهم وأمس رحما ومافيه من معنى البعد لرفعة درجتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره ﴿كتب فى قلوبهم الايمان﴾ أى أثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب ثابت فيه قطعا ولاشىء من أعمال الجوارح يثبت فيه ﴿وأيدهم﴾ أى قواهم ﴿بروح منه﴾ أى من عند الله تعالى وهو نور القلب أو القرآن أو النصر على العدو وقيل الضمير للايمان لحياة القلوب به فمن تجريدية وقوله تعالى ﴿ويدخلهم﴾ الخ بيان لآثار رحمته الأخروية اثر بيان ألطافه الدنيوية أى ويدخلهم فى الآخرة ﴿جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ أبد الآبدين وقوله تعالى ﴿رضى الله عنهم﴾ استئناف جار مجرى التعليل لما أفاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة وقوله تعالى ﴿ورضوا عنه﴾ بيان لابتهاجهم بما أوتوه عاجلا وآجلا وقوله تعالى ﴿أولئك حزب الله﴾ تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى ﴿ألا ان حزب الله هم المفلحون﴾ بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة الدارين والفوز بسعادة النشأتين والكلام فى تحلية الجملة بفنون التأكيد كما مر فى مثلها . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

سورة الحشر

(مدنية وآيها أربع وعشرون)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم ﴾ مر ما فيه من الكلام فى صدر سورة الحديد وقد كرر الموصول هنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روى أنه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بنى النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة فى فتن بنى اسرائيل انتظاراً لبعثة النبى عليه الصلاة والسلام وعاهدهم أن لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه الصلاة والسلام يوم بدر قالوا هو النبى الذى نعته فى التوراة لا ترد له راية فلما كان يوم أحد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف فى أربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عليه الصلاة والسلام فأمر عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كعبا غيلة وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة فاستمهلوه عليه الصلاة والسلام عشرة أيام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن أبى المنافق وأصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبى عليه الصلاة والسلام احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله فى قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم الا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشأم الى أريحا وأذرعات الا أهل بيتين منهم آل أبى الحقيق وآل حيى بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة فأنزل الله تعالى سبح لله ما فى السموات الى قوله والله على كل شىء قدير وقوله تعالى ﴿ هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم ﴾ بيان لبعض آثار عزته تعالى وأحكام حكمته اثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الاطلاق والضمير راجع اليه تعالى بذلك العنوان اما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام أو على جعله مستعاراً لاسم الاشارة كما فى قوله تعالى قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به أى بذلك وعليه قول رؤبة بن العجاج

كأنه فى الجلد توليع البهق

كما هو المشهور كأنه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذى أخرج الخ ففيه اشعار بأن فى الاخراج حكمة باهرة وقوله تعالى ﴿ لأول الحشر ﴾ أى فى أول حشرهم الى الشأم وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من جزيرة العرب الى الشام أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لان المحشر يكون بالشام ﴿ ما ظننتم ﴾ أيها المسلمون ﴿ أن يخرجوا ﴾ من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة بأسهم وقوة منعتهم ﴿ وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ﴾ أى ظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم من بأس الله تعالى وتغيير النظم بتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع فى معازتهم ويجوز أن يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم مرتفعا على الفاعلية ﴿ فأتاهم الله ﴾ أى أمر الله تعالى وقدره المقدور لهم ﴿ من حيث لم يحتسبوا ﴾ ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف فانه مما أضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الأمن والطمأنينة وقيل الضمير فى أتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين أى فأتاهم نصر الله وقرىء فآتاهم أى فآتاهم الله العذاب أو النصر ﴿ وقذف فى قلوبهم الرعب ﴾ أى أثبت فيها الخوف الذى يرعبها أى يملؤها ﴿ يخربون بيوتهم بأيديهم ﴾ ليسدوا بما نقضوا

منها من الخشب والحجارة أفواه الازقة ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل ﴿وأيدى المؤمنين﴾ حيث كانوا يخربونها ازالة لمتحصنهم ومتمنعهم وتوسيعا لمجال القتال ونكاية لهم واسناد هذا اليهم لما أنهم السبب فيه فكأنهم كلفوهم اياه وأمروهم به قيل الجملة حال أو تفسير للرعب وقرئ يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الاخراب التعطيل أو ترك الشئ خرابا والتخريب النقض والهدم ﴿فاعتبروا يا أولى الأبصار﴾ فاتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا يكاد يهتدى اليه الأفكار واتقوا مباشرة ما أداهم اليه من الكفر والمعاصى أو انتقلوا من حال الفريقين الى حال أنفسكم فلا تعولوا على تعاضد الأسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما فصل فى موقعه ﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء﴾ أى الخروج عن أوطانهم على ذلك الوجه الفظيع ﴿لعذبهم فى الدنيا﴾ بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة ﴿ولهم فى الآخرة عذاب النار﴾ استئناف غير متعلق بجواب لولا جئ به لبيان أنهم ان نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة ﴿ذلك﴾ أى ما حاق بهم وما سيحيق ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿شاقوا الله ورسوله﴾ وفعلوا ما فعلوا مما حكى عنهم من القبائح ﴿ومن يشاق الله﴾ وقرئ يشاقق الله كما فى الأنفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها لمشاقته عليه الصلاة والسلام وليوافق قوله تعالى ﴿فان الله شديد العقاب﴾ وهو اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من عند من يلتزمه أى شديد العقاب له أو تعليل للجزاء المحذوف أى يعاقبه الله فان الله شديد العقاب وأيا ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهانى كأنه قيل ذلك الذى حاق بهم من العقاب العاجل والآجل بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاق الله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم عقاب شديد ﴿ما قطعتم من لينة﴾ أى أى شئ قطعتم من نخلة وهى فعلة من اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها كديمة وتجمع على ألوان وقيل من اللين وتجمع على لين وهى النخلة الكريمة ﴿أو تركتموها﴾ الضمير لما وتأنيثه لتفسيره باللينة كما فى قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ﴿قائمة على أصولها﴾ كما كانت من غير أن تتعرضوا لها بشئ ما وقرئ على أصلها اما على الاكتفاء من الواو بالضم أو على أنه جمع كرهن وقرئ قائما على أصوله ذهابا الى لفظ ما ﴿فباذن الله﴾ فذاك أى قطعها وتركها بأمر الله تعالى ﴿وليخزى الفاسقين﴾ أى وليذل اليهود ويغيظهم اذن فى قطعها وتركها لأنهم اذا رأوا المؤمنين يتحكمون فى أموالهم كيف أحبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤا من القطع والترك يزدادون غيظا ويتضاعفون حسرة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع أشجارهم واحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع ان كانت من الألوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وان كانت هى الكرام ليكون غيظهم أشد وقوله تعالى ﴿وما أفاء الله على رسوله﴾ شروع فى بيان حال ما أخذ من أموالهم بعد بيان ما حل بأنفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع أى ما أعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بأنه كان حقيقا بأن يكون له عليه الصلاة والسلام وانما وقع فى أيديهم بغير حق فرجعه الله تعالى الى مستحقه لأنه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين ﴿منهم﴾ أى من بنى النضير ﴿فما أوجفتم عليه﴾ أى فما أجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير ﴿من خيل ولا ركاب﴾ هى ما يركب من الابل خاصة كما أن الراكب عندهم راكبها لا غير وأما راكب الفرس فانما يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها وانما الواحدة منها راحلة والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لأنه كانت قراهم على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا وما كان فيهم راكب الا النبى عليه الصلاة

والسلام فافتتحها صلحا من غير أن يجرى بينهم مسايفة كأنه قيل وما أفاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين ﴿ ولكن الله يسلط رسله على من يشاء ﴾ أى سنته تعالى جارية على أن يسلطهم على من يشاء من أعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط النبى عليه الصلاة والسلام على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير أن تقتحموا مضايق الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم فى أموالهم ﴿ والله على كل شىء قدير ﴾ فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة وأخرى على غيرها وقوله تعالى ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ﴾ بيان لمصارف الفىء بعد بيان افاءته عليه عليه الصلاة والسلام من غير أن يكون للمقاتلة فيه حق واعادة عين العبارة الأولى لزيادة التقرير ووضع أهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشمول ما لعقاراتهم أيضا ﴿ فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ اختلف فى قسمة الفىء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله الى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لأن ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول عليه الصلاة والسلام الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه الصلاة والسلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الأخماس الأربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور ﴿ كيلا يكون ﴾ أى الفىء الذى حقه أن يكون للفقراء يعيشون به ﴿ دولة ﴾ بضم الدال وقرىء بفتحها وهى مايدول للانسان أى يدور من الغنى والجد والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم وبالضم من الملك بكسرها أو بالضم فى المال وبالفتح فى النصرة أى كيلا يكون جدا ﴿ بين الأغنياء منكم ﴾ يتكاثرون به أو كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم مايتداول كالغرفة اسم مايغترف فالمعنى كيلا يكون الفىء شيئا يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم أو كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرىء دولة بالرفع على أن كان تامة أى كيلا يقع دولة على ما فصل من المعانى ﴿ وما آتاكم الرسول ﴾ أى ما أعطاكموه من الفىء أو من الأمر ﴿ فخذوه ﴾ فانه حقكم أو فتمسكوا به فانه واجب عليكم ﴿ وما نهاكم عنه ﴾ عن أخذه أو عن تعاطيه ﴿ فانتهوا ﴾ عنه ﴿ واتقوا الله ﴾ فى مخالفته عليه الصلاة والسلام ﴿ ان الله شديد العقاب ﴾ فيعاقب من يخالف أمره ونهيه ﴿ للفقراء المهاجرين ﴾ بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يسمى فقيرا ومن أعطى أغنياء ذوى القربى خص الابدال بما بعده وأما تخصيص اعتبار الفقر بفىء بنى النضير فتعسف ظاهر ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ﴾ حيث اضطرهم كفار مكة وأحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها ﴿ يبتغون فضلا من الله ورضوانا ﴾ أى طالبين منه تعالى رزقا فى الدنيا ومرضاة فى الآخرة وصفوا أولا بما يدل على استحقاقهم للفىء من الاخراج من الديار والأموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكده ﴿ وينصرون الله ورسوله ﴾ عطف على يبتغون فهى حال مقدرة أى ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله أو مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة وأى نصرة ﴿ أولئك ﴾ الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة ﴿ هم الصادقون ﴾ الراسخون فى الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا ﴿ والذين تبوءوا الدار والايمان ﴾ كلام مستأنف مسوق لمدح الأنصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفىء بهم أحسن رضا وأكمله ومعنى تبوئهم الدار أنهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما أشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوؤ معنى اللزوم وقيل تبوءوا الدار وأخلصوا الايمان كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا وقيل المعنى

تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الأول وعوض منه اللام وقيل سمى المدينة بالايمان لكونها مظهره ومنشأه ﴿من قبلهم﴾ أى من قبل هجرة المهاجرين على المعانى الأول ومن قبل تبوؤ المهاجرين على الاخيرين ويجوز أن يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه على المعانى الأول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التى من جملتها اظهار عامة شعائره وأحكامه ولا ريب فى تقدم الأنصار فى ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم فى ذلك ﴿يحبون من هاجر اليهم﴾ خبر للموصول أى يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان ﴿ولا يجدون فى صدورهم﴾ أى فى نفوسهم ﴿حاجة﴾ أى شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك أى ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ ﴿مما أوتوا﴾ أى مما أوتى المهاجرون من الفىء وغيره ﴿ويؤثرون﴾ أى يقدمون المهاجرين ﴿على أنفسهم﴾ فى كل شىء من أسباب المعاش حتى أن من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها واحدا منهم ﴿ولو كان بهم خصاصة﴾ أى حاجة وخلة وأصلها خصاص البيت وهى فرجه والجملة فى حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وكان النبى عليه الصلاة والسلام قسم أموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الأنصار الا ثلاثة نفر محتاجين أبا دجانة سماك ابن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شىء من الغنيمة فقالت الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح فى أن قوله تعالى والذين تبوؤا الخ مستأنف غير معطوف على الفقراء أو المهاجرين نعم يجوز عطفه على أولئك فان ذلك انما يستدعى شركة الأنصار للمهاجرين فى الصدق دون الفىء فيكون قوله تعالى يحبون وما عطف عليه استئنافا مقررا لصدقهم أو حالا من ضمير تبوؤا ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ الشح بالضم والكسر وقد قرىء به أيضا اللؤم واضافته الى النفس لأنه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذى هو البخل أى ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق ﴿فأولئك﴾ اشارة الى من باعتبار معناها العام المنتظم للمذكورين انتظاما أوليا ﴿هم المفلحون﴾ الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الأنصار والثناء عليهم وقرىء يوق بالتشديد ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾ هم الذين هاجروا بعد ماقوى الاسلام أو التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين وأياما كان فالموصول مبتدأ خبره ﴿يقولون﴾ الخ والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة فى الدين والسبق بالايمان كما أن ما عطفت عليه من الجملة السابقة لمدح الأنصار أى يدعون لهم ﴿ربنا اغفر لنا ولاخواننا﴾ أى فى الدين الذى هو أعز وأشرف عندهم من النسب ﴿الذين سبقونا بالايمان﴾ وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم ﴿ولا تجعل فى قلوبنا غلا﴾ وقرىء غمرا وهما الحقد ﴿للذين آمنوا﴾ على الاطلاق ﴿ربنا انك رؤف رحيم﴾ أى مبالغ فى الرأفة والرحمة فحقيق بأن تجيب دعاءنا ﴿ألم تر الى الذين نافقوا﴾ حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الأقوال الكاذبة والأحوال الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية محاسن أحوال المؤمنين وأقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى ﴿يقولون﴾ الخ استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم أو لاستحضار صورته واللام فى قوله تعالى ﴿لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ للتبليغ والمراد بأخوتهم اما توافقهم فى الكفر

أو صدافهم ومو الاتهم واللام فى قوله تعالى ﴿لئن أخرجتم﴾ أى من دياركم قسرا موطئة للقسم وقوله تعالى ﴿لنخرجن معكم﴾ جواب القسم أى والله لئن أخرجتم لنخرجن معكم البتة ونذهبن فى صحبتكم أينما ذهبتم ﴿ولا نطيع فيكم﴾ أى فى شأنكم ﴿أحدا﴾ يمنعنا من الخروج معكم ﴿أبدا﴾ وان طال الزمان وقيل لانطيع فى قتالكم أو خذلانكم وليس بذاك لأن تقدير القتال مترقب بعد ولأن وعدهم لهم على ذلك التقدير ليس بمجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم الى قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى ﴿وان قوتلتم لننصرنكم﴾ أى لنعاونكم على عدوكم على أن دعوتهم الى خذلان اليهود مما لا يمكن صدوره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى يدعوا عدم طاعتهم فيها ضرورة أنها لو كانت لكانت عند استعدادهم لنصرتهم واظهار كفرهم ولا ريب فى أن مايفعله عليه الصلاة والسلام عند ذلك قتلهم لادعوتهم الى ترك نصرتهم وأما الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من اظهار الكفر لجواز أن يدعوا أن خروجهم معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للموافقة فى الدين ﴿والله يشهد انهم لكاذبون﴾ فى مواعيدهم المؤكدة بالأيمان الفاجرة وقوله تعالى ﴿لئن أخرجوا لايخرجون معهم﴾ الخ تكذيب لهم فى كل واحد من أقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم فى الكل على الاجمال ﴿ولئن قوتلوا لاينصرونهم﴾ وكان الأمر كذلك فان ابن أبى وأصحابه أرسلوا الى بنى النضير ذلك سرا ثم أخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن ﴿ولئن نصروهم﴾ على الفرض والتقدير ﴿ليولن الادبار﴾ فرارا ﴿ثم لاينصرون﴾ أى المنافقون بعد ذلك أى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو ليزمن اليهود ثم لاينفعهم نصرة المنافقين ﴿لأنتم أشد رهبة﴾ أى أشد مرهوبية على أنها مصدر من المبنى للمفعول ﴿فى صدورهم من الله﴾ أى رهبتهم منكم فى السر أشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فانهم كانوا يدعون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى ﴿ذلك﴾ أى ماذكر من كون رهبتهم منكم أشد من رهبة الله ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿قوم لايفقهون﴾ أى شيأ حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته ﴿لايقاتلونكم﴾ أى اليهود والمنافقون بمعنى لايقدرون على قتالكم ﴿جميعا﴾ أى مجتمعين متفقين فى موطن من المواطن ﴿الا فى قرى محصنة﴾ بالدروب والخنادق ﴿أو من وراء جدر﴾ دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار وبامالة فتحة الدال وجدر وجدر وهما الجدار ﴿بأسهم بينهم شديد﴾ استئناف سيق لبيان أن ماذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم فى أنفسهم فان بأسهم بالنسبة الى أقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله تعالى فى قلوبهم من الرعب ﴿تحسبهم جميعا﴾ مجتمعين متفقين ﴿وقلوبهم شتى﴾ متفرقة لاألفة بينها ﴿ذلك بأنهم﴾ أى ماذكر من تشتت قلوبهم بسبب أنهم ﴿قوم لايعقلون﴾ أى لايعقلون شيأ حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون فى تيه الضلال وتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفرق فنونه وأما ماقيل من أن المعنى لايعقلون أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم فبمعزل من السداد وقوله تعالى ﴿كمثل الذين من قبلهم﴾ خبر مبتدا محذوف تقديره مثلهم أى مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل أهل بدر أو بنى قينقاع على ماقيل انهم أخرجوا قبل بنى النضير ﴿قريبا﴾ فى زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الخ ﴿ذاقوا وبال أمرهم﴾ أى سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا ﴿ولهم فى الآخرة عذاب أليم﴾ لايقادر قدره والمعنى أن حال هؤلاء كحال أولئك فى الدنيا والآخرة لكن لاعلى أن حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك وأما حال المنافقين فهى مانطق به قوله تعالى ﴿كمثل الشيطان﴾ فانه خبر ثان للمبتدا المقدر مبين لحالهم متضمن لحال أخرى لليهود وهى اغترارهم بمقالة المنافقين أولا وخيبتهم آخرا

وقد أجمل فى النظم الكريم حيث أسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما أسند اليه بخصوصه ثقة بأن السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كأنه قيل مثل اليهود فى حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم الخ ومثل المنافقين فى اغرائهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان ﴿اذ قال للانسان اكفر﴾ أى أغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور على المأمور به ﴿فلما كفر قال انى برىء منك﴾ وقرىء أنا برىء منك ان أريد بالانسان الجنس فهذا التبرؤ من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبىء عنه قوله تعالى ﴿انى أخاف الله رب العالمين﴾ وان أريد به أبو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله الآية ﴿فكان عاقبتهما﴾ بالنصب على أنه خبر كان واسمها ﴿أنهما فى النار﴾ وقرىء بالعكس وقد مر أنه أوضح ﴿خالدين فيها﴾ وقرىء خالدان فيها على أنه خبر أن وفى النار لغو ﴿وذلك جزاء الظالمين﴾ أى الخلود فى النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء خاصة ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ أى فى كل ما تأتون وما تذرون ﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ أى أى شىء قدمت من الاعمال ليوم القيامة عبر عنه بذلك لدنوه أو لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره لتفخيمه وتهويله كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه وأما تنكير نفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كأنه قيل ولتنظر نفس واحدة فى ذلك ﴿واتقوا الله﴾ تكرير للتأكيد أو الاول فى أداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا فى ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى ﴿ان الله خبير بما تعملون﴾ أى من المعاصى ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله﴾ أى نسوا حقوقه تعالى وما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب أوامره ونواهيه حق رعايتها ﴿فأنساهم﴾ بسبب ذلك ﴿أنفسهم﴾ أى جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها أو أراهم يوم القيامة من الاهوال ما أنساهم أنفسهم ﴿أولئك هم الفاسقون﴾ الكاملون فى الفسوق ﴿لا يستوى أصحاب النار﴾ الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود فى النار ﴿وأصحاب الجنة﴾ الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود فى الجنة ولعل تقديم أصحاب النار فى الذكر للايذان من أول الامر بأن القصور الذى ينبىء عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع وأما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول والأعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة فى الآية الكريمة على أن المسلم لا يقتص بالكافر وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء فى الاحوال الاخروية كما ينبىء عنه التعبير عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى ﴿أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ فانه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين أى هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه ﴿لو أنزلنا هذا القرآن﴾ العظيم الشان المنطوى على فنون القوارع ﴿على جبل﴾ من الجبال ﴿لرأيته﴾ مع كونه علما فى القسوة وعدم التأثر بما يصادمه ﴿خاشعا متصدعا من خشية الله﴾ أى متشققا منها وقرىء مصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ كما ينطق به قوله تعالى ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ أريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه ﴿هو الله الذى لا اله الا هو﴾ وحده ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أى ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها

وما حضر له من الاجرام وأعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به أو المعدوم والموجود أو السر والعلانية ﴿هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو﴾ كرر لابراز الاعتناء بأمر التوحيد ﴿الملك القدوس﴾ البليغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا ما وقرئ بالفتح وهى لغة فيه ﴿السلام﴾ ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة ﴿المؤمن﴾ واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار ﴿المهيمن﴾ الرقيب الحافظ لكل شئ مفيعل من الامن بقلب همزته هاء ﴿العزيز﴾ الغالب ﴿الجبار﴾ الذى جبر خلقه على ما أراد أو جبر أحوالهم أى أصلحها ﴿المتكبر﴾ الذى تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصانا أو البليغ الكبرياء والعظمة ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ تنزيه له تعالى عما يشركونه به تعالى أو عن اشراكهم به تعالى اثر تعداد صفاته التى لا يمكن أن يشاركه تعالى فى شئ منها شئ ما أصلا ﴿هو الله الخالق﴾ المقدر للاشياء على مقتضى حكمته ﴿البارئ﴾ الموجد لها بريئا من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالاشكال المختلفة ﴿المصور﴾ الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد ﴿له الاسماء الحسنى﴾ لدلالتها على المعانى الحسنة ﴿يسبح له ما فى السموات والارض﴾ ينطق بتنزهه تعالى عن جميع النقائص تنزها ظاهرا ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ الجامع للكمالات كافة فانها مع تكثرها وتشعبها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة

(مدنية وآيها ثلاث عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء﴾ نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة وذلك أنه لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب الى أهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وأرسله مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فأدركوها ثمة فجحدت فسل على سيفه فأخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش وليس لى فيهم من يحمى أهلى فأردت أن آخذ عندهم يدا وقد علمت أن كتابى لن يغنى عنهم شيأ فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عذره ﴿تلقون اليهم بالمودة﴾ أى توصلون اليهم المودة على أن الباء زائدة كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو تلقون اليهم أخبار النبى عليه الصلاة والسلام بسبب المودة التى بينكم وبينهم والجملة اما حال من فاعل لا تتخذوا أو صفة لأولياء وابراز الضمير فى الصفات الجارية على غير من هى له انما يشترط فى الاسم دون الفعل أو استئناف ﴿وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاءكم أى كفروا لأجل ما جاءكم بمعنى جعل ما هو سبب الايمان سببا للكفر ﴿يخرجون الرسول واياكم﴾ أى من مكة وهو اما حال من فاعل كفروا أو استئناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى ﴿أن تؤمنوا بالله ربكم﴾ تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب والتفات

من التكلم الى الغيبة للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية ﴿ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى﴾ متعلق بلا تتخذوا كأنه قيل لا تتولوا أعدائى ان كنتم أوليائى وقوله تعالى ﴿تسرون اليهم بالمودة﴾ استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ أى تسرون اليهم المودة أو الأخبار بسبب المودة ﴿وأنا أعلم﴾ أى والحال أنى أعلم منكم ﴿بما أخفيتم وما أعلنتم﴾ ومطلع رسولى على ما تسرون فأى طائل لكم فى الاسرار وقيل أعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة أو مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان قد مر وجهه فى قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴿ومن يفعله منكم﴾ أى الاتخاذ ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ فقد أخطأ طريق الحق والصواب ﴿ان يثقفوكم﴾ أى ان يظفروا بكم ﴿يكونوا لكم أعداء﴾ أى يظهروا ما فى قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها أحكامها ﴿ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء﴾ بما يسوؤكم من القتل والأسر والشتم ﴿وودوا لو تكفرون﴾ أى تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضى للايذان بتحقق ودادتهم قبل أن يثقفوهم أيضا ﴿لن تنفعكم أرحامكم﴾ قراباتكم ﴿ولا أولادكم﴾ الذين توالون المشركين لأجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ﴿يوم القيامة﴾ بجلب نفع أو دفع ضر ﴿يفصل بينكم﴾ استئناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ أى يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه الآية فمالكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شأنه وقرئ يفصل ويفصل مبنيا للمفعول ويفصل ويفصل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى وتفصل ونفصل بالنون ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم به ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة﴾ أى خصلة حميدة حقيقة بأن يؤتسى ويقتدى بها وقوله تعالى ﴿فى ابراهيم والذين معه﴾ أى من أصحابه المؤمنين صفة ثانية لأسوة أو خبر لكان ولكم للبيان أو حال من المستكن فى حسنة أو صلة لها لا لأسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف ﴿اذ قالوا﴾ ظرف لخبر كان ﴿لقومهم انا برآء منكم﴾ جمع برئ كظريف وظرفاء وقرئ براء كظراف وبراء كرخال وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة ﴿ومما تعبدون من دون الله﴾ من الاصنام ﴿كفرنا بكم﴾ أى بدينكم أو بمعبودكم أو بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم ﴿وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا﴾ أى هذا دأبنا معكم لا نتركه ﴿حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة ﴿الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك﴾ استثناء من قوله تعالى أسوة حسنة فان استغفاره عليه الصلاة والسلام لابيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين أنه من أصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغى أن يؤتسى به أصلا اذ المراد به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سيأتى من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد فاستثناؤه من الأسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل وأما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا وأما تعليل عدم كون استغفاره عليه الصلاة والسلام لابيه الكافر مما ينبغى أن يؤتسى به بأنه كان قبل النهى أو لموعدة وعدها اياه فبمعزل من السداد بالكلية لابتنائه على تناول النهى لاستغفاره عليه الصلاة والسلام له وابانه عن كونه مؤتسى به لو لم ينه عنه وكلاهما بين البطلان لما أن مورد النهى هو الاستغفار للكافر بعد تبين أمره وقد عرفت أن استغفاره عليه الصلاة والسلام لابيه كان قبل ذلك قطعا وأن ما يؤتسى به ما يجب الائتساء به لا ما يجوز فعله فى الجملة وتجويز أن يكون استغفاره عليه الصلاة والسلام له بعد النهى كما هو المفهوم من ظاهر قوله أو لموعدة وعدها اياه مما لا مساغ له وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لأبى الآية لانها كانت هى الحاملة له عليه الصلاة والسلام على الاستغفار وتخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع فى سورة مريم من قوله تعالى سأستغفر لك ربى

لورودها على طريق التوكيد القسمى وأما جعل الاستغفار دائراً عليها وترتيب التبرؤ على تبين الامر فقد مر تحقيقه فى سورة التوبة وقوله تعالى ﴿ وما أملك لك من الله من شئ ﴾ من تمام القول المستثنى محله النصب على أنه حال من فاعل لأستغفرن لك أى أستغفر لك وليس فى طاقتى الا الاستغفار فورد الاستثناء نفس الاستغفار لاقيده الذى هو فى نفسه من خصال الخير لكونه اظهاراً للعجز وتفويضاً للامر الى الله تعالى وقوله تعالى ﴿ ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ﴾ الخ من تمام مانقل عن ابراهيم عليه السلام ومن معه من الأسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله تعالى فى جميع أمورهم لاسيما فى مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى ﴿ ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا ﴾ بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لانطيقه ﴿ واغفر لنا ﴾ مافرط منا من الذنوب ﴿ ربنا انك أنت العزيز ﴾ الغالب الذى لايذل من التجأ اليه ولايخيب رجاء من توكل عليه ﴿ الحكيم ﴾ الذى لايفعل الامافيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة فى التضرع والجؤار هذا وأما جعل الآيتين تلقيناً للمؤمنين من جهته تعالى وأمرالهم بأن يتوكلوا عليه وينيبوا اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا عما فرط منهم تكملة لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلايساعده النظم الكريم ﴿ لقد كان لكم فيهم ﴾ أى فى ابراهيم ومن معه ﴿ أسوة حسنة ﴾ تكرير للمبالغة فى الحث على الائتساء به عليه الصلاة والسلام ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى ﴿ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ بدل من لكم فائدته الايذان بأن من يؤمن بالله واليوم الآخر لايترك الاقتداء بهم وأن تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿ ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد ﴾ فانه مما يوعد بأمثاله الكفرة ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم ﴾ أى من أقاربكم المشركين ﴿ مودة ﴾ بأن يوافقوكم فى الدين وعدهم الله تعالى بذلك لما رأى منهم من التصلب فى الدين والتشدد فى معاداة آبائهم وأبنائهم وسائر أقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييباً لقلوبهم ولقد أنجز وعده الكريم حين أتاح لهم الفتح فأسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافى ماتم ﴿ والله قدير ﴾ أى مبالغ فى القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودة ﴿ والله غفور رحيم ﴾ فيغفر لمن أسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم ﴿ لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ﴾ أى لاينهاكم عن البر بهؤلاء فان قوله تعالى ﴿ أن تبروهم ﴾ بدل من الموصول ﴿ وتقسطوا اليهم ﴾ أى تفضوا اليهم بالقسط أى العدل ﴿ ان الله يحب المقسطين ﴾ أى العادلين . روى أن قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لايقاتلوه ولا يعينوا عليه ﴿ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم ﴾ وهم عتاة أهل مكة ﴿ وظاهروا على اخراجكم ﴾ وهم سائر أهلها ﴿ أن تولوهم ﴾ بدل اشتمال من الموصول أى انما ينهاكم عن أن تتولوهم ﴿ ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ لوضعهم الولاية فى موضع العداوة أوهم الظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب ﴿ ياأيها الذين آمنوا ﴾ بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريق الكافرين ﴿ اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ﴾ من بين الكفار ﴿ فامتحنوهن ﴾ فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن فى الايمان . يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للتى يمتحنها بالله الذى لااله الاهو ماخرجت من بغض زوج بالله ماخرجت رغبة عن أرض الى أرض بالله ماخرجت التماس دنيا بالله ماخرجت الاحباً لله ورسوله ﴿ الله أعلم بايمانهن ﴾ لأنه المطلع على مافى قلوبهن والجملة اعتراض

﴿فان علمتموهن﴾ بعد الامتحان ﴿مؤمنات﴾ علما يمكنكم تحصيله وتبلغه طاقتكم بعد اللتيا والتي من الاستدلال بالعلائم والدلائل والاستشهاد بالأمارات والمخايل وهو الظن الغالب وتسميته علما للايذان بأنه جار مجرى العلم في وجوب العمل به ﴿فلا ترجعوهن الى الكفار﴾ أي الى أزواجهن الكفرة لقوله تعالى ﴿لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن﴾ فانه تعليل للنهي عن رجعهن اليهم والتكرير اما لتأكيد الحرمة أو لان الأول لبيان زوال النكاح الأول والثاني لبيان امتناع النكاح الجديد ﴿وآتوهم ما أنفقوا﴾ أي وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك أن صلح الحديبية كان على أن من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة والنبي عليه الصلاة والسلام بالحديبية فأقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد على امرأتي فانك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا فنزلت لبيان أن الشرط انما كان في الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر رضى الله عنه ﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن﴾ فان اسلامهن حال بينهن وبين أزواجهن الكفار ﴿اذا آتيتموهن أجورهن﴾ شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بأن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد وسبب أي لا يكن بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضى الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي رحمه الله هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد أمرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرىء ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بحذف احدى التاءين من تتمسكوا ﴿واسألوا ما أنفقتم﴾ من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار ﴿وليسألوا ما أنفقوا﴾ من مهور أزواجهم المهاجرات ﴿ذلكم﴾ الذي ذكر ﴿حكم الله﴾ وقوله تعالى ﴿يحكم بينكم﴾ كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير أي يحكمه الله أو جعل الحكم حاكما على المبالغة ﴿والله عليم حكيم﴾ يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة. روى أنه لما نزلت الآية أدى المؤمنون ما أمروا به من مهور المهاجرات الى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يؤدوا شيئاً من مهور الكوافر الى أزواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى ﴿وان فاتكم﴾ أي سبقكم وانفلت منكم ﴿شىء من أزواجكم الى الكفار﴾ أي أحد من أزواجكم وقد قرىء كذلك وايقاع شىء موقعه للتحقير والاشباع في التعميم أو شىء من مهور أزواجكم ﴿فعاقبتم﴾ أي فجاءت عقبتكم أي نوبتكم من أداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ﴿فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا﴾ من مهر المهاجرة التي تزوجتموها ولا تؤتوه زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فأصبتم من الكفار عقبي هي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة وقرىء فأعقبتم وعقبتم بالتشديد وعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وبكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان وفاطمة بنت أمية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت أبي جهل وكلثوم بنت جرول ﴿واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾ فان الايمان به تعالى يقتضي التقوى منه تعالى ﴿يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ أي مبايعات لك أي قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع في بيعة النساء ﴿على أن لا يشركن بالله شيئاً﴾ أي شيأ من الاشياء أو شيأ من الاشراك ﴿ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن﴾ أريد به وأد البنات وقرىء ولا يقتلن بالتشديد ﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى عنه بالبهتان المفترى

بين يديها ورجليها لان بطنها الذى تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها ﴿ ولا يعصينك فى معروف ﴾ أى فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لايأمر الا به لتنبيه على أنه لايجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر فى حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن ﴿ فبايعهن ﴾ أى على ماذكر ومالم يذكر لوضوح أمره وظهور أصالته فى المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر أركان الدين وشعائر الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها ﴿ واستغفر لهن الله ﴾ زيادة على مافى ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عليه الصلاة والسلام بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ أى مبالغ فى المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه واختلف فى كيفية مبايعته عليه الصلاة والسلام لهن يومئذ فروى أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر رضى الله تعالى عنه أسفل منه فجعل عليه الصلاة والسلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروى أنه كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن أيديهن وروى أنه عليه الصلاة والسلام بايعهن وبين يديه وأيديهن ثوب قطرى والأظهر الأشهر ماقالت عائشة رضى الله عنها والله ماأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط الا بما أمر الله تعالى وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط وكان يقول اذا أخذ عليهن قد بايعتكن كلاما وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقول الله عز وجل ياأيها النبى اذا جاءك المؤمنات الى آخر الآية فاذا أقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتولوا قوما غضب الله عليهم ﴾ هم عامة الكفرة وقيل اليهود لما روى أنها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم ﴿ قد يئسوا من الآخرة ﴾ لكفرهم بها أو لعلمهم بأنه لاخلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت فى التوراة المؤيد بالآيات ﴿ كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾ أى كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الأليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى كما يئسوا من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا أحياء والاظهار فى موقع الاضمار للاشعار بعلة يأسهم . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

سورة الصف

(مدنية وقيل مكية وآيها أربع عشرة)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سبح لله مافى السموات ومافى الأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ الكلام فيه كالذى مر فى نظيره ﴿ ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ﴾ روى أن المسلمين قالوا لوعلمنا أحب الأعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من أن النازل قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا بين الاختلال وروى أنهم قالوا يارسول الله لو نعلم أحب الأعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت هل أدلكم على تجارة الى قوله تعالى وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم فولوا يوم أحد وفيه التزام أن ترتيب الآيات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما أخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فنزلت وقيل

انها نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فنزلت فى المنتحل وقيل نزلت فى المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم و بايمانهم وليس بذاك كما ستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت ألفها تخفيفا لكثرة استعمالهما معا كما فى عم وفيم ونظائرهما معناها لأى شئ تقولون نفعل مالا تفعلون من الخير والمعروف على أن مدار التعيير والتوبيخ فى الحقيقة عدم فعلهم وانما وجها الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان أن المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به أيضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لا تفعلون ماتقولون لفهم منه أن المنكر هو ترك الموعود ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾ بيان لغاية قبح مافعلوه وفرط سماجته و كبر من باب نعم و بئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وأن تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه وأسند الى أن تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على أن قولهم مالا يفعلون مقت خالص لاشوب فيه كبر عند من يحقر دونه كل عظيم وقوله تعالى ﴿ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا﴾ بيان لما هو مرضى عنده تعالى بعد بيان ماهو ممقوت عنده وهذا صريح فى أن ماقالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا عما تقوله المتمدح أو انتحله المنتحل أو ادعاه المنافق وأن مناط التعيير والتوبيخ هو اخلافهم لاوعدهم كما أشير اليه وقرئ يقاتلون بفتح التاء و يقتلون وصفا مصدر وقع موقع الفاعل أو المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون أى صافين أنفسهم أو مصفوفين وقوله تعالى ﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾ حال من المستكن فى الحال الأولى أى مشبهين فى تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض و رصف حتى صار شيئا واحدا وقوله تعالى ﴿واذ قال موسى لقومه﴾ كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين أى واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبنى اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم و لا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بأمره وعصوه أشد عصيان حيث قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله تعالى فاذهب أنت و ربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وأصروا على ذلك و آذوه عليه الصلاة والسلام كل الأذية ﴿ياقوم لم تؤذوننى﴾ أى بالمخالفة والعصيان فيما أمرتكم به وقوله تعالى ﴿وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم﴾ جملة حالية مؤكدة لانكار الايذاء ونفى سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره أى والحال أنكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدى من المعجزات القاهرة التى معظمها اهلاك عدوكم وانجاؤكم من ملكته أنى رسول الله اليكم لأرشدكم الى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك أن تبالغوا فى تعظيمى وتسارعوا الى طاعتى ﴿فلما زاغوا﴾ أى أصروا على الزيغ عن الحق الذى جاء به موسى عليه السلام واستمروا عليه ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾ أى صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغى والضلال وقوله تعالى ﴿والله لايهدى القوم الفاسقين﴾ اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة ومؤذن بعلته أى لايهدى القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة الى البغية لاهداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد بهم اما المذكورون خاصة والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به أو جنس الفاسقين وهم داخلون فى حكمه دخولا أوليا وأياما كان فوصفهم بالفسق ناظر الى ما فى قوله تعالى فافرق بيننا و بين القوم الفاسقين وقوله تعالى فلا تأس على القوم الفاسقين هذا هو الذى تقتضيه جزالة النظم الكريم و يرتضيه الذوق السليم . وأما ما قيل بصدد بيان أسباب الأذية من أنهم كانوا يؤذونه عليه الصلاة والسلام بأنواع الأذى من انتقاصه

وعيسى في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه فيما لا تعلق له بالمقام وقوله تعالى ﴿ واذ قال عيسى ابن مريم ﴾ اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على عاملها ﴿ يابنى اسرائيل ﴾ ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه فى قوله ﴿ انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ﴾ فان تصديقه عليه الصلاة والسلام اياها من أقوى الدواعى الى تصديقهم اياه وقوله تعالى ﴿ ومبشرا برسول يأتى من بعدى ﴾ معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عليه الصلاة والسلام مثله من حيث ان البشارة به واقعة فى التوراة والعامل فيهما ما فى الرسول من معنى الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلات بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل أى أرسلت اليكم حال كونى مصدقاً لما تقدمنى من التوراة ومبشراً بمن يأتى من بعدى من رسول ﴿ اسمه أحمد ﴾ أى محمد صلى الله عليه وسلم يريد أن دينى التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرىء من بعدى بفتح الياء ﴿ فلما جاءهم بالبينات ﴾ أى بالمعجزات الظاهرة ﴿ قالوا هذا سحر مبين ﴾ مشيرين الى ماجاء به أو اليه عليه الصلاة والسلام وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا ساحر ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام ﴾ أى أى الناس أشد ظلماً ممن يدعى الى الاسلام الذى يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله عز وجل بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر أى هو أظلم من كل ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفى المساوى وقد مر بيانه غير مرة وقرىء يدعى يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه ﴿ والله لايهدى القوم الظالمين ﴾ أى لايرشدهم الى مافيه فلاحهم لعدم توجههم اليه ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله ﴾ أى يريدون أن يطفئوا دينه أو كتابه أو حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيداً لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيداً لها فى لا أبالك أو يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله ﴿ بأفواههم ﴾ بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه ﴿ والله متم نوره ﴾ أى مبلغه الى غايته بنشره فى الآفاق واعلائه وقرىء متم نوره بلا اضافة ﴿ ولو كره الكافرون ﴾ أى ارغاما لهم والجملة فى حيز الحال على ما بين مرارا ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ﴾ بالقرآن أو المعجزة ﴿ ودين الحق ﴾ والملة الحنيفية ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ ليعليه على جميع الاديان المخالفة له ولقد أنجز الله عز وعلا وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ﴿ ولو كره المشركون ﴾ ذلك وقرىء هو الذى أرسل نبيه ﴿ ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ﴾ وقرىء تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى ﴿ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾ استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كأنهم قالوا كيف نعمل أوماذا نصنع فقيل تؤمنون بالله الخ وهو خبر فى معنى الأمر جىء به للايذان بوجوب الامتثال فكأنه قد وقع فأخبر بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرىء تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر ﴿ ذلكم ﴾ اشارة الى ماذكر من الايمان والجهاد بقسميه ومافيه من معنى البعد لما مر غير مرة ﴿ خير لكم ﴾ على الاطلاق أو من أموالكم وأنفسكم ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ أى ان كنتم من أهل العلم فان الجهلة لا يعتد بأفعالهم أو ان كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لأنكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الايمان والجهاد فوق ماتحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون ﴿ يغفر لكم ذنوبكم ﴾ جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر أو لشرط أو استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا أو هل تقبلون أن أدلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل أدلكم بعيد لأن مجرد الدلالة لايوجب المغفرة ﴿ ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات

عدن ذلك ﴾ أى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بما ذكر من الأوصاف الجليلة ﴿ الفوز العظيم ﴾ الذى لا فوز وراءه ﴿ وأخرى ﴾ ولكم الى هذه النعم العظيمة نعمة أخرى عاجلة ﴿ تحبونها ﴾ وترغبون فيها وفيه تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل أخرى منصوبة باضمار يعطكم أو تحبون أو مبتدأ خبره ﴿ نصر من الله ﴾ وهو على الأول بدل أو بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف ﴿ وفتح قريب ﴾ أى عاجل عطف على نصر على الوجوه المذكورة وقرئ نصرا وفتحا قريبا على الاختصاص أوعلى المصدر أى تنصرون نصرا و يفتح لكم فتحا أوعلى البدلية من أخرى على تقدير نصبها أى يعطكم نعمة أخرى نصرا وفتحا ﴿ و بشر المؤمنين ﴾ عطف على محذوف مثل قل يا أيها الذين آمنوا و بشر أوعلى تؤمنون فانه فى معنى آمنوا كانه قيل آمنوا وجاهدوا أيها المؤمنون و بشرهم يا أيها الرسول بما وعدتهم على ذلك عاجلا وآجلا ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ﴾ وقرئ أنصارا لله بلا اضافة لأن المعنى كونوا بعض أنصار الله وقرئ كونوا أنتم أنصار الله ﴿ كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله ﴾ أى من جندى متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه قوله تعالى ﴿ قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾ والاضافة الأولى اضافة أحد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى أى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصاره حين قال لهم عيسى من أنصارى الى الله أوقل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا ﴿ فآمنت طائفة من بنى اسرائيل ﴾ أى بعيسى وأطاعوه فيما أمرهم به من نصرة الدين ﴿ و كفرت طائفة ﴾ أخرى به وقاتلوهم ﴿ فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ﴾ أى قويناهم بالحجة أو بالسيف وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام ﴿ فأصبحوا ظاهرين ﴾ غالبين . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

سورة الجمعة

(مدنية وآيها احدى عشرة)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض ﴾ تسبيحا مستمرا ﴿ الملك القدوس العزيز الحكيم ﴾ وقد قرئ الصفات الأربع بالرفع على المدح ﴿ هو الذى بعث فى الأميين ﴾ أى فى العرب لأن أكثرهم لا يكتبون و لا يقرءون قيل بدئت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة وهم من أهل الانبار ﴿ رسولا منهم ﴾ أى كائنا من جملتهم أميا مثلهم ﴿ يتلو عليهم آياته ﴾ مع كونه أميا مثلهم لم يعهد منه قراءة و لا تعلم ﴿ و يزكيهم ﴾ صفة أخرى لرسولا معطوفة على يتلو أى يحملهم على ما يصيرون به أزكياء من خبائث العقائد والاعمال ﴿ و يعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ صفة أخرى لرسولا مترتبة فى الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بأن كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعى ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر فى سورة البقرة وهو السر فى التعبير عن القرآن تارة بالآيات وأخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما فى تضاعيف الاحاديث النبوية من الاحكام والشرائع ﴿ وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما عسى يتوهم من تعلمه

عليه الصلاة والسلام من الغير وان هي المخففة واللام هي الفارقة ﴿وآخرين منهم﴾ عطف على الاميين أو على المنصوب في يعلمهم أي يعلمهم ويعلم آخرين منهم أي من الاميين وهم الذين جاءوا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته عليه الصلاة والسلام وتعليمه يعم الجميع ﴿لما يلحقوا بهم﴾ صفة لآخرين أي لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ المبالغ في العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم واصطفاه من بين كافة البشر ﴿ذلك﴾ الذي امتاز به من بين سائر الأفراد ﴿فضل الله﴾ واحسانه ﴿يؤتيه من يشاء﴾ تفضلا وعطية ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الآخرة ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ أي علموها وكلفوا العمل بها ﴿ثم لم يحملوها﴾ أي لم يعملوا بما في تضاعيفها من الآيات التي من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ أي كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل أو صفة للحمار اذ ليس المراد به معينا فهو في حكم النكرة كما في قول من قال ولقد أمر على اللئيم يسبني ﴿بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ أي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على أن التمييز محذوف والفاعل المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم أو بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا الخ على أن مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بحذف المضاف أو بئس مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء على أن الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما في التوراة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الواضعين للتكذيب في موضع التصديق أو الظالمين لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ﴿قل يا أيها الذين هادوا﴾ أي تهودوا ﴿ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس﴾ كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه ويدعون أن الدار الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك ﴿فتمنوا الموت﴾ أي فتمنوا من الله أن يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ﴿ان كنتم صادقين﴾ جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أي ان كنتم صادقين في زعمكم واثقين بأنه حق فتمنوا الموت فان من أيقن بأنه من أهل الجنة أحب أن يتخلص اليها من هذه الدار التي هي قرارة الاكدار ﴿ولا يتمنونه أبدا﴾ اخبار بما سيكون منهم والباء في قوله تعالى ﴿بما قدمت أيديهم﴾ متعلقة بما يدل عليه النفي أي يأبون التمني بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة أفاعيله عبر بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة ﴿والله عليم بالظالمين﴾ أي بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في كل ما يأتون وما يذرون من الامور التي من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه أي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى أفانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الأمر كما ذكر فلم يتمن منهم موته أحد كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿قل ان الموت الذي تفرون منه﴾ فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمني وقد قال عليه الصلاة السلام لو تمنوا لماتوا من ساعتهم وهذه احدى المعجزات أي ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون على أن تتمنوه مخافة أن تؤخذوا بوبال كفركم ﴿فانه ملاقيكم﴾ البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وقرىء بدونها وقرىء تفرون منه ملاقيكم ﴿ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة﴾ الذي لا تخفى عليه خافية ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ من الكفر والمعاصي بأن يجازيكم بها ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة﴾

أى فعل النداء لها أى أذن لها ﴿من يوم الجمعة﴾ بيان لاذا وتفسير لها وقيل من بمعنى فى كما فى قوله تعالى أرونى ماذا خلقوا من الارض أى فى الأرض وانما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وقيل أول من سماها جمعة كعب بن لؤى وكانت العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله آية الجمعة فهى أول جمعة كانت فى الاسلام . وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أنه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة ﴿فاسعوا الى ذكر الله﴾ أى امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلاة ﴿وذروا البيع﴾ واتركوا المعاملة ﴿ذلكم﴾ أى السعى الى ذكر الله وترك البيع ﴿خير لكم﴾ من مباشرته فان نفع الآخرة أجل وأبقى ﴿ان كنتم تعلمون﴾ أى الخير والشر الحقيقيين أو ان كنتم أهل العلم ﴿فاذا قضيت الصلاة﴾ أى أديت وفرغ منها ﴿فانتشروا فى الارض﴾ لاقامة مصالحكم ﴿وابتغوا من فضل الله﴾ أى الربح فالأمر للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمروا بطلب شئ من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع ﴿واذكروا الله كثيرا﴾ ذكرا كثيرا أو زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة ﴿لعلكم تفلحون﴾ كى تفوزوا بخير الدارين ﴿واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها﴾ روى أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى عليه الصلاة والسلام يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية أن يسبقوا اليه فما بقى معه عليه الصلاة والسلام الا ثمانية وقيل أحد عشر وقيل اثنا عشر وقيل أربعون فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لأضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا اذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لأنها المقصودة أو لأن الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم فى نفسه وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها أو لهوا انفضوا اليه فحذف الثانى لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما ﴿وتركوك قائما﴾ أى على المنبر ﴿قل ما عند الله﴾ من الثواب ﴿خير من اللهو ومن التجارة﴾ فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم ﴿والله خير الرازقين﴾ فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها فى أمصار المسلمين

سورة المنافقون

(مدنية وآيها احدى عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا جاءك المنافقون﴾ أى حضروا مجلسك ﴿قالوا نشهد انك لرسول الله﴾ مؤكدين كلامهم بان واللام للايذان بأن شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى ﴿والله يعلم انك لرسوله﴾ اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى ﴿والله يشهد ان المنافقين لكاذبون﴾ تحقيقا

وتعيينا لما نيط به التكذيب من أنهم قالوه عن اعتقاد كما أشير اليه واماطة من أول الأمر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم أى والله يشهد انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من أنها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم والاشعار بعلة الحكم ﴿اتخذوا أيمانهم﴾ الفاجرة التى من جملتها ماحكى عنهم ﴿جنة﴾ أى وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبي أو غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها و يتخلصوا عن المؤاخذة لاعن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لابد أن يكون قبل المؤاخذة وعن سببها أيضا كما يفصح عنه الفاء فى قوله تعالى ﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ أى فصدوا من أراد الدخول فى الاسلام بأنه عليه الصلاة والسلام ليس برسول ومن أراد الانفاق فى سبيل الله بالنهى عنه كما سيحكى عنهم و لاريب فى أن هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرىء ايمانهم أى ما أظهروه على ألسنتهم فاتخاذه جنة عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمائهم وأموالهم فمعنى قوله تعالى فصدوا حينئذ فاستمروا على ما كانوا عليه من الصد و الاعراض عن سبيله تعالى ﴿انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ من النفاق والصد وفى ساء معنى التعجب وتعظيم أمرهم عند السامعين ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما تقدم من القول الناعى عليهم أنهم أسوأ الناس أعمالا أو الى ما وصف من حالهم فى النفاق والكذب و الاستتار بالايمان الصورى وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته فى الشر ﴿بأنهم﴾ أى بسبب أنهم ﴿آمنوا﴾ أى نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل فى الاسلام ﴿ثم كفروا﴾ أى ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله أو نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم ﴿فطبع على قلوبهم﴾ حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وقرىء على البناء للفاعل وقرىء فطبع الله ﴿فهم لايفقهون﴾ حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيته أصلا ﴿واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ لضخامتها ويروقك منظرهم لصباحة وجوههم ﴿وان يقولوا تسمع لقولهم﴾ لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم وحلاوة كلامهم و كان ابن أبى جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أمثاله وهم رؤساء المدينة و كان عليه الصلاة والسلام ومن معه يعجبون بهيا كلهم و يسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب لكل أحد ممن يصلح للخطاب و يؤيده قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله تعالى ﴿كأنهم خشب مسندة﴾ فى حيز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو كلام مستأنف لامحل له شبهوا فى جلوسهم فى مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم أشباحا خالية عن العلم و الخير وقرىء خشب على أنه جمع خشبة كبدن جمع بدنة وقيل هو جمع خشباء وهى الخشبة التى دعر جوفها أى فسد شبهوا بها فى نفاقهم وفساد بواطنهم وقرىء خشب كمدرة ومدر ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ أى واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار الرعب فى قلوبهم وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم مايهتك أستارهم و يبيح دماءهم وأموالهم ﴿هم العدو﴾ أى هم الكاملون فى العداوة والراسخون فيها فان أعدى الاعادى العدو المكاشر الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى والجملة مستأنفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما لايساعده النظم الكريم أصلا فان الفاء فى قوله تعالى ﴿فاحذرهم﴾ لترتيب الامر بالحذر على كونهم أعدى الاعداء ﴿قاتلهم الله﴾ دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى أن يلعنهم ويخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك وقوله تعالى ﴿أنى يؤفكون﴾ تعجيب من حالهم أى كيف يصرفون عن الحق الى ماهم عليه من الكفر والضلال ﴿واذا قيل لهم﴾ عند ظهور جنايتهم بطريق النصيحة ﴿تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم﴾ أى عطفوها استكبارا ﴿ورأيتهم يصدون﴾ يعرضون عن القائل أو عن الاستغفار

﴿وهم مستكبرون﴾ عن ذلك ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم﴾ كما اذا جاءوك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت بحذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة أم عليه وقرئ آستغفرت باشباع همزة الاستفهام لا بقلب همزة الوصل ألفا ﴿أم لم تستغفر لهم﴾ كما اذا أصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار ﴿لن يغفر الله لهم﴾ أبدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم فى الكفر ﴿ان الله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ الكاملين فى الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين فى الكفر والنفاق والمراد اما هم بأعيانهم والاظهار فى موقع الاضمار لبيان غلوهم فى الفسق أو الجنس وهم داخلون فى زمرتهم دخولا أوليا وقوله تعالى ﴿هم الذين يقولون﴾ أى للانصار ﴿لا تنفقوا على من عند رسول الله﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿حتى ينفضوا﴾ يعنون فقراء المهاجرين استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم أو لعدم مغفرته تعالى لهم وقرئ حتى ينفضوا من أنفض القوم اذا فنيت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم وقوله تعالى ﴿ولله خزائن السموات والارض﴾ رد وابطال لما زعموا من أن عدم انفاقهم يؤدى الى انفضاض الفقراء من حوله عليه الصلاة والسلام ببيان أن خزائن الارزاق بيد الله تعالى خاصة يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشئونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون ﴿يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ روى أن جهجاه بن سعيد أجير عمر رضى الله عنه نازع سنانا الجهنى حليف ابن أبى واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فأعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى الى ابن أبى فقال للانصار لا تنفقوا الخ والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل عنى بالأعز نفسه وبالأذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ أى ولله الغلبة والقوة ولمن أعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم ﴿ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون. روى أن عبد الله بن أبى لما أراد أن يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبى وكان مخلصا وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لأضربن عنقك فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبى عليه الصلاة والسلام لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ أى لا يشغلكم الاهتمام بتدبير أمورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل من الصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهى بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة كما فى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أى التلهى بالدنيا من الدين ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ أى الكاملون فى الخسران حيث باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى ﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ أى بعض ما أعطيناكم تفضلا من غير أن يكون حصوله من جهتكم ادخارا للآخرة ﴿من قبل أن يأتى أحدكم الموت﴾ بأن يشاهد دلائله ويعاين أماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما أخر ﴿فيقول﴾ عند تيقنه بحلوله ﴿رب لولا أخرتنى﴾ أى أمهلتنى ﴿الى أجل قريب﴾ أى أمد قصير ﴿فأصدق﴾ بالنصب على جواب التمنى وقرئ فأتصدق ﴿وأكن من الصالحين﴾ بالجزم عطفا على محل فأصدق كأنه قيل ان أخرتنى أصدق وأكن وقرئ وأكون بالنصب عطفا على لفظه وقرئ وأكون بالرفع أى وأنا أكون عدة منه بالصلاح ﴿ولن يؤخر الله نفسا﴾ أى ولن يمهلها ﴿اذا جاء أجلها﴾ أى آخر عمرها أو انتهى ان أريد بالاجل الزمان الممتد من أول العمر الى آخره ﴿والله خبير بما تعملون﴾ فمجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا فى الخيرات واستعدوا لما هو

آت وقرئ يعملون بالياء التحتانية . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن

(مختلف فيها وآيها ثماني عشرة)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يسبح لله ما في السموات وما في الارض ﴾ أي ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا ﴿ له الملك وله الحمد ﴾ لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شئ وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولى لاصول النعم وفروعها وأما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده ﴿ وهو على كل شئ قدير ﴾ لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء ﴿ هو الذي خلقكم ﴾ خلقا بديعا حاويا لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك ﴿ فمنكم كافر ﴾ أي فبعضكم أو فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته ﴿ ومنكم مؤمن ﴾ مختار للايمان كاسب له حسبما تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا أن تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الأغلب فيما بينهم والأنسب بمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه مما لا يلائم المقام ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان ﴿ خلق السموات والارض بالحق ﴾ بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾ حيث برأكم في أحسن تقويم وأودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم أنموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة ﴿ واليه المصير ﴾ في النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا أو اشتراكا فأحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له ﴿ يعلم ما في السموات والارض ﴾ من الأمور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية ﴿ ويعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾ أي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله تعالى ﴿ والله عليم بذات الصدور ﴾ اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم أي هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها أصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتأكيد استقلال الجملة قبل وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء ﴿ ألم يأتكم ﴾ أيها الكفرة ﴿ نبأ الذين كفروا من قبل ﴾ كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر ﴿ فذاقوا وبال أمرهم ﴾ عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على أمر من الامور وأمرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بأنه أمر هائل وجناية عظيمة أي ألم يأتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم في الدنيا ﴿ ولهم ﴾ في الآخرة ﴿ عذاب أليم ﴾ لا يقادر قدره ﴿ ذلك ﴾ أي ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الآخرة ﴿ بأنه ﴾ بسبب أن الشأن ﴿ كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ﴾ أي بالمعجزات الظاهرة ﴿ فقالوا ﴾ عطف على كانت ﴿ أبشر يهدوننا ﴾ أي قال كل قوم من

المذكورين فى حق رسولهم الذى أتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك أبشر يهدينا كما قالت ثمود أبشرا منا واحدا نتبعه وقد أجمل فى الحكاية فأسند القول الى جميع الاقوام وأريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما أجمل الخطاب والأمر فى قوله تعالى ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ﴿فكفروا﴾ أى بالرسل ﴿وتولوا﴾ عن التدبر فيما أتوا به من البينات وعن الايمان بهم ﴿واستغنى الله﴾ أى اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث أهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك ﴿والله غنى﴾ عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم ﴿حميد﴾ يحمده كل مخلوق بلسان الحال أو مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا﴾ الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما أن المخففة مع مافى حيزها والمراد بالموصول كفار مكة أى زعموا أن الشأن لن يبعثوا بعد موتهم أبدا ﴿قل﴾ ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه ﴿بلى﴾ أى تبعثون وقوله ﴿وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم﴾ أى لتحاسبن ولتجزون بأعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الامر واردة لتأكيد ما أفاده كلمة بلى من اثبات البعث وبيان تحقق أمر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقق البعث بوجهين ﴿وذلك﴾ أى ما ذكر من البعث والجزاء ﴿على الله يسير﴾ لتحقق القدرة التامة وقبول المادة والفاء فى قوله تعالى ﴿فآمنوا﴾ فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة بغاية ظهوره أى اذا كان الامر كذلك فآمنوا ﴿بالله ورسوله﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿والنور الذى أنزلنا﴾ وهو القرآن فانه باعجازه بين بنفسه مبين لغيره كما أن النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية بأمر الانزال ﴿والله بما تعملون﴾ من الامتثال بالأمر وعدمه ﴿خبير﴾ فمجاز لكم عليه والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتأكيد استقلال الجملة ﴿يوم يجمعكم﴾ ظرف لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله مجازيكم ومعاقبكم يوم يجمعكم أو مفعول لاذكر وقرئ نجمعكم بنون العظمة ﴿ليوم الجمع﴾ ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون أى لاجل مافيه من الحساب والجزاء ﴿ذلك يوم التغابن﴾ أى يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لوكانوا سعداء وبالعكس وفى الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بأن التغابن فى الحقيقة هو الذى يقع فيه لا ما يقع فى أمور الدنيا ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا﴾ أى عملا صالحا ﴿يكفر﴾ أى الله عز وجل وقرئ بنون العظمة ﴿عنه سيئاته﴾ يوم القيامة ﴿ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا﴾ وقرئ ندخله بالنون ﴿ذلك﴾ أى ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات ﴿الفوز العظيم﴾ الذى لا فوز وراءه لانطوائه على النجاة من أعظم الهلكات والظفر بأجل الطلبات ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير﴾ أى النار كأن هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن ﴿ما أصاب من مصيبة﴾ من المصائب الدنيوية ﴿الا باذن الله﴾ أى بتقديره وارادته كأنها بذاتها متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ عند اصابتها للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه أى يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدأ قلبه بالهمزة أى يسكن ﴿والله بكل شئ﴾ من الأشياء التى من جملتها القلوب وأحوالها ﴿عليم﴾ فيعلم ايمان المؤمن ويهدى قلبه الى ما ذكر ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ كرر

الأمر للتأكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين فى الكيفية وتوضيح مورد التولى فى قوله تعالى ﴿فان توليتم﴾ أى عن اطاعة الرسول وقوله تعالى ﴿فانما على رسولنا البلاغ المبين﴾ تعليل للجواب المحذوف أى فلا بأس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة فى مقام اضماره لتشريفه عليه الصلاة والسلام والاشعار بمدار الحكم الذى هو كون وظيفته عليه الصلاة والسلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولى عنه ﴿الله لا اله الا هو﴾ جملة من مبتدأ وخبر أى هو المستحق للعبودية لا غيره وفى اضمار خبر لا مثل فى الوجود أو يصح أن يوجد خلاف للنحاة معروف ﴿وعلى الله﴾ أى عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ واظهار الجلالة فى موقع الاضمار للاشعار بعلة التوكل والأمر به فان الألوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة ﴿يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم﴾ يشغلونكم عن طاعة الله تعالى أو يخاصمونكم فى أمور الدين أو الدنيا ﴿فاحذروهم﴾ الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فانهم عدو لى أو للازواج والأولاد جميعا فالمأمور به على الأول الحذر عن الكل وعلى الثانى اما الحذر عن البعض لأن منهم من ليس بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتمالهم على العدو ﴿وان تعفوا﴾ عن ذنوبهم القابلة للعفو بأن تكون متعلقة بأمور الدنيا أو بأمور الدين لكن مقارنة للتوبة ﴿وتصفحوا﴾ بترك التثريب والتعيير ﴿وتغفروا﴾ باخفائها وتمهيد عذرها ﴿فان الله غفور رحيم﴾ يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المؤمنين أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الأولين قد فقهوا فى الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله فى دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على أن يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة ﴿انما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ بلاء ومحنة يوقعونكم فى الاثم من حيث لا تحتسبون ﴿والله عنده أجر عظيم﴾ لمن آثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الأموال والأولاد والسعى فى تدبير مصالحهم ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ أى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم ﴿واسمعوا﴾ مواعظه ﴿وأطيعوا﴾ أوامره ﴿وأنفقوا﴾ مما رزقكم فى الوجوه التى أمركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه ﴿خيرا لأنفسكم﴾ أى ائتوا خيرا لأنفسكم وافعلوا ما هو خير لها وأنفع وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة خيرا لأنفسهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف أى انفاقا خيرا أو خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر أى يكن خيرا لأنفسكم ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بكل مرام ﴿ان تقرضوا الله﴾ بصرف أموالكم الى المصارف التى عينها ﴿قرضا حسنا﴾ مقرونا بالاخلاص وطيب النفس ﴿يضاعفه لكم﴾ بالواحد عشرة الى سبعمائة وأكثر وقرئ يضعفه لكم ﴿ويغفر لكم﴾ ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب ﴿والله شكور﴾ يعطى الجزيل بمقابلة النزر القليل ﴿حليم﴾ لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ لا يخفى عليه خافية ﴿العزيز الحكيم﴾ المبالغ فى القدرة والحكمة . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

سورة الطلاق

(مدنية وآيها احدى عشرة أو اثنا عشرة)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يا أيها النبي اذا طلقتم النساء ﴾ تخصيص النداء به عليه الصلاة والسلام مع عموم الخطاب لأمته أيضا لتشريفه عليه الصلاة والسلام واظهار جلالة منصبه وتحقيق أنه المخاطب حقيقة ودخولهم فى الخطاب بطريق استتباعه عليه الصلاة والسلام اياهم وتغليبه عليهم لا لان نداءه كندائهم فان ذلك الاعتبار لوكان فى حيز الرعاية لكان الخطاب هو الأحق به لشمول حكمه للكل قطعا والمعنى اذا أردتم تطليقهن وعزمتم عليه كما فى قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة ﴿ فطلقوهن لعدتهن ﴾ أى مستقبلات لها كقولك أتيته لليلة خلت من شهر كذا فان المرأة اذا طلقت فى طهر يعقبه القرء الأول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن يطلقن فى طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن وهذا أحسن الطلاق وأدخله فى السنة ﴿ وأحصوا العدة ﴾ واضبطوها وأكملوها ثلاثة أقراء كوامل ﴿ واتقوا الله ربكم ﴾ فى تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفى وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للامر ومبالغة فى ايجاب الاتقاء ﴿ لا تخرجوهن من بيوتهن ﴾ من مساكنهن عند الفراق الى أن تنقضى عدتهن واضافتها اليهن وهى لأزواجهن لتأكيد النهى ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كأنها أملاكهن ﴿ ولا يخرجن ﴾ ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج فى حكم الاخراج وقيل المعنى لا يخرجن باستبداد منهن أما اذا اتفقا على الخروج جاز اذ الحق لا يعدوهما ﴿ الا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ استثناء من الاول قيل هى الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا أن يبذون على الازواج فيحل حينئذ اخراجهن ويؤيده قراءة الا أن يفحشن عليكم أو من الثانى للمبالغة فى النهى عن الخروج ببيان أن خروجها فاحشة ﴿ وتلك ﴾ اشارة الى ما ذكر من الأحكام وما فى اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها ﴿ حدود الله ﴾ التى عينها لعباده ﴿ ومن يتعد حدود الله ﴾ أى حدوده المذكورة بأن أخل بشىء منها على أن الاظهار فى حيز الاضمار لتهويل أمر التعدى والاشعار بعلة الحكم فى قوله تعالى ﴿ فقد ظلم نفسه ﴾ أى أضربها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه قوله تعالى ﴿ لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ﴾ فانه استئناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا ان الامر الذى يحدثه الله تعالى أن يقلب قلبه عما فعله بالتعدى الى خلافه فلا بد أن يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوى يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه أو عن مطلق الضرر الشامل للدنيوى والاخروى ويخص التعليل بالدنيوى لكون احتراز الناس منه أشد واهتمامهم بدفعه أقوى وقوله تعالى لا تدرى خطاب للمتعدى بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدى لا للنبى عليه الصلاة والسلام كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد أضر بنفسه فانك لا تدرى أيها المتعدى عاقبة الامر لعل الله يحدث فى قلبك بعد ذلك الذى فعلت من التعدى أمرا يقتضى خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ويتسنى تلافيه رجعة أو استئناف نكاح ﴿ فاذا بلغن أجلهن ﴾ شارفن آخر عدتهن ﴿ فأمسكوهن ﴾ فراجعوهن ﴿ بمعروف ﴾ بحسن معاشرة وانفاق لائق ﴿ أو فارقوهن بمعروف ﴾ بايفاء الحق واتقاء الضرار بأن يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة ﴿ وأشهدوا ذوى عدل منكم ﴾ عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع وهذا أمر ندب كما فى قوله تعالى وأشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعى أنه للوجوب فى الرجعة ﴿ وأقيموا الشهادة لله ﴾ أيها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تعالى ﴿ ذلكم ﴾ اشارة الى الحث على

الاشهاد والاقامة أو على جميع مافى الآية ﴿ يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ اذهو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تعالى ﴿ ومن يتق الله ﴾ الخ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تعالى بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما أن ما تقدم من قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكد له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فى الاشهاد وغيره من الامور ﴿ يجعل له مخرجا ﴾ مما عسى يقع فى شأن الازواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه مايعتريه من الكروب ﴿ ويرزقه من حيث لايحتسب ﴾ أى من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز أن يكون كلاما جئ به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله الى آخره فالمعنى ومن يتق الله فى كل ما يأتى وما يذر يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه مانحن فيه اندراجا أوليا عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام انى لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فمازال يقرؤها ويعيدها . وروى أن عوف بن مالك الأشجعى أسر المشركون ابنا له فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسر ابنى وشكا اليه الفاقة فقال عليه الصلاة والسلام اتق الله وأكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ففعل فبينا هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ أى كافيه فى جميع أموره ﴿ ان الله بالغ أمره ﴾ بالاضافة أى منفذ أمره وقرئ بتنوين بالغ ونصب أمره أى يبلغ مايريده لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ برفع أمره على أنه مبتدأ وبالغ خبر مقدم والجملة خبر ان او بالغ خبر ان وأمره مرتفع به على الفاعلية أى نافذ أمره وقرئ بالغا أمره على أنه حال وخبر ان قوله تعالى ﴿ قد جعل الله لكل شئ قدرا ﴾ أى تقديرا وتوقيتا أو مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الامر اليه لانه اذا علم أن كل شئ من الرزق وغيره لا يكون الا بتقديره تعالى لا يبقى الا التسليم للقدر والتوكل على الله تعالى ﴿ واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ﴾ لكبرهن وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين ﴿ ان ارتبتم ﴾ أى شككتم وجهلتم كيف عدتهن ﴿ فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن ﴾ بعد لصغرهن أى فعدتهن أيضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ماقبله عليه ﴿ وأولات الأحمال أجلهن ﴾ أى منتهى عدتهن ﴿ أن يضعن حملهن ﴾ سواء كن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا لتراخى نزوله عن ذلك لما هو المشهور من قول ابن مسعود رضى الله عنه من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التى فى سورة البقرة وقد صح أن سبيعة بنت الحرث الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فتزوجى ﴿ ومن يتق الله ﴾ فى شأن أحكامه ومراعاة حقوقها ﴿ يجعل له من أمره يسرا ﴾ أى يسهل عليه أمره ويوفقه للخير ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ماذكر من الأحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى الفضل وافراد الكاف مع أن الخطاب للجمع كما يفصح عنه قوله تعالى ﴿ أمر الله أنزله اليكم ﴾ لما أنها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضى لا لتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر فى قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله من سورة البقرة ﴿ ومن يتق الله ﴾ بالمحافظة على أحكامه ﴿ يكفر عنه سيئاته ﴾ فان الحسنات يذهبن السيئات ﴿ ويعظم له أجرا ﴾ بالمضاعفة وقوله تعالى ﴿ أسكنوهن من حيث سكنتم ﴾ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عما قبله من الحث على التقوى كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شأن المعتدات فقيل أسكنوهن مسكنا من حيث سكنتم أى بعض مكان سكناكم وقوله تعالى ﴿ من وجدكم ﴾ أى من وسعكم أى مما تطيقونه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم

وتفسيره له ﴿ولا تضاروهن﴾ أى فى السكنى ﴿لتضيقوا عليهن﴾ وتلجئوهن الى الخروج ﴿وان كن﴾ أى المطلقات ﴿أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾ فيخرجن من العدة أما المتوفى عنهن أزواجهن فلا نفقة لهن ﴿فان ارضعن لكم﴾ بعد ذلك ﴿فآتوهن أجورهن﴾ على الارضاع ﴿وائتمروا بينكم بمعروف﴾ أى تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والأجر ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معاسرة ﴿وان تعاسرتم﴾ أى تضايقتم ﴿فسترضع له أخرى﴾ أى فستوجد ولا تعوز مرضعة أخرى وفيه معاتبة للأم على المعاسرة ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾ وان قل أى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه ﴿لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها﴾ جل أو قل فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له فى بذل مجهوده وقد أكد ذلك بالوعد حيث قيل ﴿سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾ أى عاجلا أو آجلا ﴿وكأى من قرية﴾ أى كثير من أهل قرية ﴿عتت﴾ أى أعرضت ﴿عن أمر ربها ورسله﴾ بالعتو والتمرد والعناد ﴿فحاسبناها حسابا شديدا﴾ بالاستقصاء والتنقير والمناقشة فى كل نقير وقطمير ﴿وعذبناها عذابا نكرا﴾ أى منكرا عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضى للدلالة على تحققهما كما فى قوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ﴿فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا﴾ هائلا لا خسر وراءه ﴿أعد الله لهم عذابا شديدا﴾ تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قيل أعد الله لهم هذا العذاب ﴿فاتقوا الله يا أولى الالباب﴾ ويجوز أن يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها فى صحائف الحفظة وبالعذاب ما أصابهم عاجلا وقد جوز أن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لقوله تعالى كأى ﴿الذين آمنوا﴾ منصوب باضمار أعنى بيانا للمنادى أو عطف بيان له أو نعت وفى ابداله منه ضعف لتعذر حلوله محله ﴿قد أنزل الله اليكم ذكرا﴾ هو جبريل عليه السلام سمى به لكثرة ذكره أو لنزوله بالذكر الذى هو القرآن كما ينبئ عنه ابداله قوله تعالى ﴿رسولا﴾ منه أو لانه مذكور فى السموات وفى الامم أو أريد بالذكر الشرف كما فى قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك كأنه فى نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله تعالى كقوله تعالى عند ذى العرش مكين أو هو النبى عليه الصلاة والسلام وعليه الاكثر عبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح أو لانه مسبب عن انزال الوحى اليه وأبدل منه رسولا للبيان أو هو القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل أرسل أو بذكرا على اعمال المصدر المنون أو بدل منه على أنه بمعنى الرسالة وقوله تعالى ﴿يتلو عليكم آيات الله مبينات﴾ نعت لرسولا وآيات الله القرآن ومبينات حال منها أى حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام وقرئ مبينات أى بينها الله تعالى لقوله تعالى قد بينا لكم الآيات واللام فى قوله تعالى ﴿ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ متعلقة بيتلو أو بأنزل وفاعل يخرج على الاول ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام أو ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزاله أى ليحصل لهم الرسول أو الله عز وعلا ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح أو ليخرج من علم أو قدر أنه سيؤمن ﴿من الظلمات الى النور﴾ من الضلالة الى الهدى ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا﴾ حسبما بين فى تضاعيف ما أنزل من الآيات المبينات ﴿يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ وقرئ ندخله بالنون وقوله تعالى ﴿خالدين فيها أبدا﴾ حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فى الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها وقوله تعالى ﴿قد أحسن الله له رزقا﴾ حال أخرى منه أو من الضمير فى خالدين بطريق التداخل وافراد ضمير له قد مر وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب ﴿الله الذى خلق سبع سموات﴾ مبتدأ وخبر ﴿ومن الأرض مثلهن﴾ أى

خلق من الارض مثلهن فى العدد وقرئ مثلهن بالرفع على أنه مبتدأ ومن الارض خبره واختلف فى كيفية طبقات الارض قالوا الجمهور على أنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والارض وفى كل أرض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبى والاول أصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخارى وغيره من أن كعبا حلف بالذى فلق البحر لموسى أن صهيبا حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر من فيها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة أو جن قال الماوردى وعلى هذا تختص دعوة الاسلام بأهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق وفى مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان أحدهما أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها والثانى أنهم لا يشاهدون السماء وأن الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه وحكى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها سبع أرضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء ﴿يتنزل الأمر بينهن﴾ أى يجرى أمره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة فى كل سماء وفى كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو مايدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الأمر ﴿لتعلموا أن الله على كل شئ قدير﴾ متعلق بخلق أو يتنزل أو بمضمر يعمهما أى فعل ذلك لتعلموا أن من قدر على ماذكر قادر على كل شئ ﴿وأن الله قد أحاط بكل شئ علما﴾ لاستحالة صدور الأفاعيل المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز أن يكون العامل فى اللام بيان ماذكر من الخلق وتنزل الامر أى أوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التى تشاهدونها والتى تتلقونها من الوحى من عجائب المصنوعات أنه لايخرج عن قدرته وعلمه شئ ما أصلا وقرئ ليعلموا . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم

(مدنية وآيها اثنتا عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ياأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك﴾ روى أن النبى عليه الصلاة والسلام خلا بمارية فى يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على فقد حرمت مارية على نفسى وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمتى فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها فى يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل عليه السلام فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك فى الجنة وروى أنه عليه الصلاة والسلام شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسل ﴿تبتغى مرضاة أزواجك﴾ اما تفسير لتحرم أو حال من فاعله أو استئناف ببيان مادعاه اليه مؤذن بعدم صلاحيته لذلك ﴿والله غفور﴾ مبالغ فى الغفران قد غفر لك هذه الزلة ﴿رحيم﴾ قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك محاماة على عصمتك ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ أى شرع لكم تحليلها وهو حل ماعقده بالكفارة أو بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والأول هو

المراد هنا ﴿والله مولاكم﴾ سيدكم ومتولى أموركم ﴿وهو العليم﴾ بما يصلحكم فيشرعه لكم ﴿الحكيم﴾ المتقن فى أفعاله وأحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم الا حسبما تقتضيه الحكمة ﴿واذ أسر النبى الى بعض أزواجه﴾ وهى حفصة ﴿حديثا﴾ أى حديث تحريم مارية أو العسل أو أمر الخلافة ﴿فلما نبأت به﴾ أى أخبرت حفصة عائشة بالحديث وأفشته اليها وقرىء أنبأت به ﴿وأظهره الله عليه﴾ أى أطلع الله تعالى النبى عليه الصلاة والسلام على افشاء حفصة ﴿عرف﴾ أى النبى عليه الصلاة والسلام حفصة ﴿بعضه﴾ بعض الحديث الذى أفشته قيل هو حديث الامامة روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لها ألم أقل لك اكتمى على قالت والذى بعثك بالحق ماملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله تعالى بها أباها ﴿وأعرض عن بعض﴾ أى عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث مارية ﴿فلما نبأها به﴾ أى أخبر النبى عليه الصلاة والسلام حفصة بما عرفه من الحديث ﴿قالت من أنبأك هذا﴾ أى افشاءها الحديث ﴿قال نبأنى العليم الخبير﴾ الذى لا تخفى عليه خافية ﴿ان تتوبا الى الله﴾ خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة فى العتاب ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ الفاء للتعليل كما فى قولك اعبد ربك فالعبادة حق أى فقد وجد منكما مايوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب مايحبه وكراهة مايكرهه وقرىء فقد زاغت ﴿وان تظاهرا عليه﴾ باسقاط احدى التاءين وقرىء على الاصل وبتشديد الظاء وتظهرا أى تتعاونا عليه بما يسوؤه من الافراط فى الغيرة وافشاء سره ﴿فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾ أى فلن يعدم من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أراد بصالح المؤمنين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وقد روى ذلك مرفوعا الى النبى عليه الصلاة والسلام وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة عليهم السلام فانه جمع بين الظهير المعنوى والظهير الصورى كيف لا وان جبريل ظهير له عليهما السلام يؤيده بالتأييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه فى تدبير أمور الرسالة وتمشية أحكامها الظاهرة ولأن بيان مظاهرتهما له عليه الصلاة والسلام أشد تأثيرا فى قلوب بنتيهما وتوهينا لأمرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا أريد به جنس الصالحين كما هو المشهور ﴿والملائكة﴾ مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم ﴿بعد ذلك﴾ قيل أى بعد نصرة الله عز وجل وناموسه الأعظم وصالح المؤمنين ﴿ظهير﴾ أى فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه ومايبنىء عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث أن نصرة الكل نصرة الله تعالى وان نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم أفضل من سائر وجوه نصرته هذا ماقالوه ولعل الأنسب أن يحمل ذلك اشارة الى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب الذكرى من أفضلية المقدم فكأنه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه الصلاة والسلام ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبرا لفصلها عن مظاهرة جبريل عليه السلام ﴿عسى ربه ان طلقكن أن يبدله﴾ أى يعطيه عليه السلام بدلكن ﴿أزواجا خيرا منكن﴾ على التغليب أو تعميم الخطاب وليس فيه مايدل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يطلق حفصة وأن فى النساء خيرا منهن فان تعليق طلاق الكل لا ينافى تطليق واحدة وماعلق بمالم يقع لا يجب وقوعه وقرىء أن يبدله بالتشديد ﴿مسلمات مؤمنات﴾ مقرات مخلصات أو منقادات مصدقات ﴿قانتات﴾ مصليات أو مواظبات على الطاعة ﴿تائبات﴾ من الذنوب ﴿عابدات﴾ متعبدات أو متذللات لأمر الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿سائحات﴾ صائمات سمى الصائم سائحا لأنه يسيح فى النهار بلا زاد أو مهاجرات وقرىء سيحات ﴿ثيبات وأبكارا﴾ وسط بينهما

العاطف لتنافيهما ﴿ يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم ﴾ بترك المعاصى وفعل الطاعات ﴿ وأهليكم ﴾ بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم وقرئ أهلوكم عطفا على واو قوا فيكون أنفسكم عبارة عن أنفس الكل على تغليب المخاطبين أى قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم ﴿ نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ أى نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب وأمر المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه فى سورة البقرة للمبالغة فى التحذير ﴿ عليها ملائكة ﴾ أى تلى أمرها وتعذيب أهلها وهم الزبانية ﴿ غلاظ شداد ﴾ غلاظ الاقوال شداد الافعال أو غلاظ الخلق شداد الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة ﴿ لايعصون الله ماأمرهم ﴾ أى أمره على أنه بدل اشتمال من الله أو فيما أمرهم به على نزع الخافض أى لايمتنعون من قبول الامر ويلتزمونه ﴿ ويفعلون مايؤمرون ﴾ أى ويؤدون مايؤمرون به من غير تثاقل ولاتوان وقوله تعالى ﴿ يأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم ﴾ مقول لقول قد حذف ثقة بدلالة الحال عليه أى يقال لهم ذلك عند ادخال الملائكة اياهم النار حسبما أمروا به ﴿ انما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ فى الدنيا من الكفر والمعاصى بعدمانهيتم عنهما أشد النهى وأمرتم بالايمان والطاعة فلاعذر لكم قطعا ﴿ يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ﴾ أى بالغة فى النصح وصفت التوبة بذلك على الاسناد المجازى وهو وصف التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على طريقها وذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لايعودون فى قبيح من القبائح موطنين أنفسهم على ذلك بحيث لايلويهم عنه صارف أصلا عن على رضى الله عنه أن التوبة يجمعها ستة أشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لاتعود وأن تذيب نفسك فى طاعة الله تعالى كما ربيتها فى المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية وعن شهر بن حوشب أن لايعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب أى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أى تدعوهم الى مثلها لظهور أثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل بمقتضياتها وقرئ توبا نصوحا وقرئ نصوحا وهو مصدر نصح فان النصح والنصوح كالشكر والشكور أى ذات نصوح أوتنصح نصوحا أوتوبوا النصح أنفسكم على أنه مفعول له ﴿ عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ﴾ وورود صيغة الاطماع للجرى على سنن الكبرياء والاشعار بأنه تفضل والتوبة غير موجبة له وأن العبد ينبغى أن يكون بين خوف ورجاء وان بالغ فى اقامة وظائف العبادة ﴿ يوم لايخزى الله النبى ﴾ ظرف ليدخلكم ﴿ والذين آمنوا معه ﴾ عطف على النبى وفيه تعريض بمن أخزاهم الله تعالى من أهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿ نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ أى على الصراط وهو على الأول استئناف أو حال وكذا قوله تعالى ﴿ يقولون ﴾ الخ وعلى الثانى خبر آخر للموصول أى يقولون اذا طفئ نور المنافقين ﴿ ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير ﴾ وقيل يدعون تقربا الى الله مع تمام نورهم وقيل تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا وأولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا ﴿ يأيها النبى جاهد الكفار ﴾ بالسيف ﴿ والمنافقين ﴾ بالحجة ﴿ واغلظ عليهم ﴾ واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما من القتال والمحاجة ﴿ ومأواهم جهنم ﴾ سيرون فيها عذابا غليظا ﴿ وبئس المصير ﴾ أى جهنم أو مصيرهم ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا ﴾ ضرب المثل فى أمثال هذه المواقع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة أخرى مشاكلة

لهما فى الغرابة أى جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة حالا وما لا على أن مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى ﴿امرأة نوح وامرأة لوط﴾ أى حالهما مفعوله الأول أخر عنه ليتصل به ماهو شرح وتفصيل لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى ﴿كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين﴾ بيان لحالهما الداعية لهما الى الخير والصلاح أى كانتا فى عصمة نبيين عظيمى الشأن متمكنتين من تحصيل خيرى الدنيا والآخرة وحيازة سعادتيهما وقوله تعالى ﴿فخانتاهما﴾ بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة النبى أى خانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة فى خيانتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تعالى ﴿فلم يغنيا﴾ الخ بيان لما أدى اليه خيانتهما أى فلم يغن النبيان ﴿عنهما﴾ بحق الزواج ﴿من الله﴾ أى من عذابه تعالى ﴿شيئاً﴾ أى شيئاً من الاغناء ﴿وقيل﴾ لهما عند موتهما أو يوم القيامة ﴿ادخلا النار مع الداخلين﴾ أى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ أى جعل حالها مثلا لحال المؤمنين فى أن وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت فى الدنيا تحت أعدى أعداء الله وهى فى أعلى غرف الجنة وقوله تعالى ﴿اذ قالت﴾ ظرف لمحذوف أشير اليه أى ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها اذ قالت ﴿رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة﴾ قريبا من رحمتك أو فى أعلى درجات المقربين . روى أنها لما قالت ذلك أريت بيتها فى الجنة من درة وانتزع روحها ﴿ونجنى من فرعون وعمله﴾ أى من نفسه الخبيثة وعمله السيء ﴿ونجنى من القوم الظالمين﴾ من القبط التابعين له فى الظلم ﴿ومريم ابنة عمران﴾ عطف على امرأة فرعون تسلية للأرامل أى وضرب الله مثلا للذين آمنوا حالها وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا ﴿التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه﴾ وقرىء فيها أى مريم ﴿من روحنا﴾ من روح خلقناه بلا توسط أصلا ﴿وصدقت بكلمات ربها﴾ بصحفه المنزلة أو بما أوحى الى أنبيائه ﴿وكتبه﴾ بجميع كتبه المنزلة وقرىء بكلمة الله وكتابه أى بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل ﴿وكانت من القانتين﴾ أى من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم أو من نسلهم لأنها من أعقاب هارون أخى موسى عليهما السلام . وعن النبى عليه الصلاة والسلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلوات الله عليه وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك

(مكية وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقى وتنجى قارئها من عذاب القبر وآيها ثلاثون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿تبارك الذى بيده الملك﴾ البركة والنماء والزيادة حسية كانت أو عقلية وكثرة الخير ودوامه أيضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الأول وهو الأليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته وصفاته وأفعاله وصيغة التفاعل للمبالغة فى ذلك فان ما لا يتصور نسبته اليه تعالى من الصيغ كالتكبر ونحوه انما تنسب اليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثانى باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغة حينئذ يجوز أن تكون لافادة نماء تلك الخيرات

وازديادها شيئاً فشيئاً وآناً فآناً بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وانبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها فى حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ فى حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما فى حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل أى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا الذى بقبضة قدرته التصرف الكلى فى كل الأمور ﴿ وهو على كل شئ ﴾ من الأشياء ﴿ قدير ﴾ مبالغ فى القدرة عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان أحكام ملكه تعالى فى جلائل الأمور ودقائقها وقوله تعالى ﴿ الذى خلق الموت والحيوة ﴾ شروع فى تفصيل بعض أحكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائهما على قوانين الحكم والمصالح واستتباعهما لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الأول داخل معه فى حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت عند أصحابنا صفة وجودية مضادة للحياة وأما ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من أنه تعالى خلق الموت فى صورة كبش أملح لا يمر بشئ ولا يجد رائحته شئ الا مات وخلق الحياة فى صورة فرس بلقاء لا تمر بشئ ولا يجد رائحتها شئ الا حى فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحياة فمعنى خلقه حينئذ تقديره أو ازالة الحياة وأياما كان فالأقرب أن المراد به الموت الطارئ وبالحياة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما لما ينطق به قوله تعالى ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ فان استدعاء ملاحظتهما لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع أن نفس العمل لا يتحقق بدون الحياة الدنيوية وتقديم الموت لكونه أدعى الى احسان العمل واللام متعلقة بخلق أى خلق موتكم وحياتكم على أن الألف واللام عوض عن المضاف اليه ليعاملكم معاملة من يختبركم أيكم أحسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم وأعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه الصلاة والسلام بقوله أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما أن الأول أشرف من الثانى كذلك الحال فى عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد اثر ذى أثير وانما طريقها النظرى التفكر فى بدائع صنع الله تعالى والتدبر فى آياته المنصوبة فى الأنفس والآفاق وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لا تفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وانما كان ذلك التفكر فى أمر الله عز وجل الذى هو عمل القلب ضرورة أن أحدا لا يقدر على أن يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل أهل الأرض وتعليق فعل البلوى أى تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذى يقتضى عدم ايراد المفعول أصلا مع اختصاصه بأفعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك أجرى مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل لهم باعتبار أعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح أيضا لا الى الحسن والأحسن فقط للايذان بأن المراد بالذات والمقصد الأصلى من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق أصل الايمان والطاعة فى الباقين أيضا لكمال تعاضد الموجبات له وأما الاعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام فى سلك الغاية للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب فى الترقى الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها ما لا يخفى ﴿ وهو العزيز ﴾ الغالب الذى لا يفوته من أساء العمل ﴿ الغفور ﴾ لمن تاب منهم ﴿ الذى خلق سبع سموات ﴾ قيل هو نعت للعزيز الغفور أو بيان أو بدل والأوجه أنه نصب أو رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وان كان منقطعا عنهما اعرابا كما مر تفصيله فى قوله تعالى

الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما فى سلك الشهادة بتعاليه سبحانه ومع الموصول الثانى فى كونه مدارا للبلوى كما نطق به قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا وقوله تعالى ﴿طباقا﴾ صفة لسبع سموات أى مطابقة على أنه مصدر طابقت النعل اذا خصفتها وصف به المفعول أو مصدر مؤكد لمحذوف هو صفتها أى طوبقت طباقا وقوله تعالى ﴿ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت﴾ صفة أخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بعلة الحكم وبأنه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وبأن فى ابداعها نعما جليلة أو استئناف والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب ومن لتأكيد النفى أى ما ترى فيه شيأ من تفاوت أى اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما فى الآخر وقرىء من تفوت ومعناهما واحد وقوله تعالى ﴿فارجع البصر هل ترى من فطور﴾ متعلق به على معنى التسبيب حيث أخبر أولا بأنه لاتفاوت فى خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ أى رجعتين أخريين فى ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك أى رجعة بعد رجعة وان كثرت ﴿ينقلب اليك البصر خاسئا﴾ أى بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كأنه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة ﴿وهو حسير﴾ أى كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تعالى ﴿ولقد زينا السماء الدنيا﴾ بيان لكون خلق السموات فى غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها أى وبالله لقد زينا أقرب السموات الى الأرض ﴿بمصابيح﴾ أى بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت تتراءى كأن كلها مركوزة فيها مع أن بعضها فى سائر السموات وما ذاك الا لأن كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق تحار فى فهمه الأفكار وطراز فائق تهيم فى دركه الأنظار ﴿وجعلناها رجوما للشياطين﴾ وجعلنا لها فائدة أخرى هى رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون ولا يساعده المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به ﴿وأعتدنا لهم﴾ فى الآخرة ﴿عذاب السعير﴾ بعد الاحتراق فى الدنيا بالشهب ﴿وللذين كفروا بربهم﴾ من الشياطين وغيرهم ﴿عذاب جهنم﴾ وقرىء بالنصب على أنه عطف على عذاب السعير وللذين على لهم ﴿وبئس المصير﴾ أى جهنم ﴿اذا ألقوا فيها سمعوا لها﴾ أى لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى ﴿شهيقا﴾ لأنه فى الأصل صفته فلما قدمت صارت حالا أى سمعوا كائنا لها شهيقا أى صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع قالوا الشهيق فى الصدر والزفير فى الحلق ﴿وهى تفور﴾ أى والحال أنها تغلى بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لأهلها منهم وممن طرح فيها قبلهم كما فى قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق يرده قوله تعالى ﴿تكاد تميز﴾ أى تتميز وتتفرق ﴿من الغيظ﴾ أى من شدة الغضب عليهم فانه صريح فى أنه من آثار الغضب عليهم كما فى قوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فأين هو من شهيقهم الناشىء من شدة ما يقاسونه من العذاب الأليم والجملة اما حال من فاعل تفور أو خبر آخر وقوله تعالى ﴿كلما ألقى فيها فوج﴾ استئناف مسوق لبيان حال أهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضميرها أى كلما ألقى فيها جماعة من الكفرة ﴿سألهم خزنتها﴾ بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة على حسرة ﴿ألم يأتكم نذير﴾ يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع فى سورة الزمر ويعرب عنه جوابهم أيضا ﴿قالوا﴾ اعترافا بأنه تعالى قد أزاح عللهم بالكلية ﴿بلى قد جاءنا نذير﴾ جامعين بين حرف

الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة فى الاعتراف بمجئ النذير وتحسرا على مافاتهم من السعادة فى تصديقهم وتمهيدا لبيان ما وقع منهم من التفريط تندما واغتماما على ذلك أى قال كل فوج من تلك الأفواج قد جاءنا نذير أى واحد حقيقة أوحكما كانبياء بنى اسرائيل فانهم فى حكم نذير واحد فأنذرنا وتلا علينا مانزل الله تعالى عليه من آياته ﴿فكذبنا﴾ ذلك النذير فى كونه نذيرا من جهته تعالى ﴿وقلنا﴾ فى حق ما تلاه من الآيات افراطا فى التكذيب وتماديا فى النكير ﴿مانزل الله﴾ على أحد ﴿من شئ﴾ من الأشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم ﴿ان أنتم﴾ أى ما أنتم فى ادعاء أنه تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها ﴿الا فى ضلال كبير﴾ بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع أن مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على أمثاله مبالغة فى التكذيب وتماديا فى التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه ملوح بعمومه حتما وأما اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فأمر تحقيق يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجنايات لامساغ لاعتباره من جهتهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة اجماع النذر على مالا يختلف من الشرائع والأحكام باختلاف العصور والأعوام وأين هم من ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا اذا جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الأفواج وأما اذا جعل حكاية عن الكل فالنذير اما بمعنى الجمع لأنه فعيل أو مصدر مقدر بمضاف عام أى أهل نذير أو منعوت به فيتفق كلا طرفى الخطاب فى الجمعية ومن اعتبر الجمعية بأحد الوجوه الثلاثة على التقدير الأول ولم يخص اعتبارها بالتقدير الأخير فقد اشتبه عليه الشئون واختلط به الظنون وقد جوز أن يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على أن مرادهم بالضلال ما كانوا عليه فى الدنيا أو هلاكهم أو عقاب ضلالهم تسمية له باسم سببه وأن يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة فتأمل وكن على الحق المبين ﴿وقالوا﴾ أيضا معترفين بأنهم لم يكونوا ممن يسمع أو يعقل ﴿لوكنا نسمع﴾ كلاما ﴿أونعقل﴾ شيأ ﴿ما كنا فى أصحاب السعير﴾ أى فى عدادهم ومن أتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى وأعتدنا لهم عذاب السعير كأن الخزنة قالوا لهم فى تضاعيف التوبيخ ألم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فأجابوا بذلك ﴿فاعترفوا بذنبهم﴾ الذى هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله ﴿فسحقا﴾ بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد اما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد كما فى قعدك الله أى فأسحقهم الله أى أبعدهم من رحمته سحقا أى اسحاقا أو لفعل مترتب على ذلك الفعل أى فأسحقهم الله فسحقوا أى بعدوا سحقا أى بعدا كما فى قول من قال

وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع   من المال الا مسحت أو مجلف

أى لم تدع فلم يبق الا مسحت الخ وعلى هذين الوجهين قوله تعالى وأنبتها نباتا حسنا واللام فى قوله تعالى ﴿لأصحاب السعير﴾ للبيان كما فى هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون فى عدادهم بطريق التغليب ﴿ان الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أى يخافون عذابه غائبا عنهم أو غائبين عنه أو عن أعين الناس أو بما خفى منهم وهو قلوبهم ﴿لهم مغفرة﴾ عظيمة لذنوبهم ﴿وأجر كبير﴾ لايقادر قدره ﴿وأسروا قولكم أواجهروا به﴾ بيان لتساوى السر والجهر بالنسبة الى علمه تعالى كما فى قوله سواء منكم من أسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى المشركين كانوا ينالون من النبى عليه الصلاة والسلام فيوحى اليه عليه الصلاة والسلام فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم أسروا ذلك أواجهروا به فان الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع مايحذرونه من أول الأمر والمبالغة فى بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه أقدم منه بما يجهرون به مع كونهما فى الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ

فى نفسه على بالنسبة اليه تعالى أو لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شئ يجهر به الا وهو أو مباديه مضمر فى القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى ﴿ انه عليم بذات الصدور ﴾ تعليل لما قبله وتقرير له وفى صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبتها من الجزالة مالا غاية وراءه كأنه قيل انه مبالغ فى الاحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة فى صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها أصلا فكيف يخفى عليه ماتسرونه وتجهرون به ويجوز أن يراد بذات الصدور القلوب التى فى الصدور والمعنى أنه عليم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سر من أسرارها وقوله تعالى ﴿ ألا يعلم من خلق ﴾ انكار ونفى لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر أى ألا يعلم السر والجهر من أوجد بموجب حكمته جميع الأشياء التى هما من جملتها وقوله تعالى ﴿ وهو اللطيف الخبير ﴾ حال من فاعل يعلم مؤكدة للانكار والنفى أى ألا يعلم ذلك والحال أنه المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوبا والمعنى ألا يعلم الله من خلقه والحال أنه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم عن المفعول باجرائه مجرى يعطى ويمنع على معنى ألا يكون عالما من خلق لأن الخلق لا يتأتى بدون العلم لخلو الحال حينئذ من الافادة لان نظم الكلام حينئذ ألا يكون عالما وهو مبالغ فى العلم ﴿ هو الذى جعل لكم الارض ذلولا ﴾ لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على مفعولى الجعل مع أن حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما أخر فان ما حقه التقديم اذا أخر لاسيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء فى قوله تعالى ﴿ فامشوا فى مناكبها ﴾ لترتيب الامر على الجعل المذكور أى فاسلكوا فى جوانبها أو جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير أرق أعضائه وأنباها عن أن يطأه الراكب بقدمه فاذا جعل الارض فى الذل بحيث يتأتى المشى فى مناكبها لم يبق منها شئ لم يتذلل ﴿ وكلوا من رزقه ﴾ والتمسوا من نعم الله تعالى ﴿ واليه النشور ﴾ أى المرجع بعد البعث لا الى غيره فبالغوا فى شكر نعمه وآلائه ﴿ أأمنتم من فى السماء ﴾ أى الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم أو الله سبحانه على تأويل من فى السماء أمره وقضاؤه أو على زعم العرب حيث كانوا يزعمون أنه تعالى فى السماء أى أأمنتم من تزعمون أنه فى السماء وهو متعال عن المكان ﴿ أن يخسف بكم الأرض ﴾ بعد ما جعلها لكم ذلولا تمشون فى مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة أى يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من وقيل هو على حذف الجار أى من أن يخسف ﴿ فاذا هى تمور ﴾ أى تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان ﴿ أم أمنتم من فى السماء ﴾ اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه آخر أى بل أأمنتم من فى السماء ﴿ أن يرسل عليكم حاصبا ﴾ أى حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء كأنها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هى سحاب فيها حجارة ﴿ فستعلمون ﴾ عن قريب البتة ﴿ كيف نذير ﴾ أى انذارى عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرئ فسيعلمون بالياء ﴿ ولقد كذب الذين من قبلهم ﴾ أى من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد وأضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم ﴿ فكيف كان نكير ﴾ أى انكارى عليهم بانزال العذاب أى كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التأكيد القسمى لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة فى تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى ﴿ أولم يروا ﴾ أغفلوا ولم ينظروا ﴿ الى الطير فوقهم صافات ﴾ باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ﴿ ويقبضن ﴾ ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك

وهو السر فى ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات ﴿ مايمسكهن ﴾ فى الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع ﴿ الا الرحمن ﴾ الواسع رحمته كل شئ بأن برأهن على أشكال وخصائص وهيأهن للجرى فى الهواء والجملة مستأنفة أو حال من الضمير فى يقبضن ﴿ انه بكل شئ بصير ﴾ يعلم كيفية ابداع المبدعات وتدبير المصنوعات وقوله تعالى ﴿ أم من هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ﴾ تبكيت لهم بنفى أن يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية و يعضده قوله تعالى ما يمسكهن الا الرحمن أو ناصر من عذابه تعالى كما هو الأنسب بما سيأتى من قوله تعالى ان أمسك رزقه كقوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا فى المعنيين معا خلا أن الاستفهام هناك متوجه الى نفس المانع وتحققه وههنا الى تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وأم منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله عز وجل الى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد فى ذلك ولا سبيل الى تقدير الهمزة معها لان ما بعدها من الاستفهامية وهى مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته كما فى قوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده وايثار هذا لتحقير المشار اليه و ينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الاول اما حال من فاعل ينصركم أو نعت لمصدره وعلى الثانى متعلق بينصركم كما فى قوله تعالى من ينصرنى من الله فالمعنى بل من هذا الحقير الذى هو فى زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن أو ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى أو ينصركم من عذاب كائن من عند الله عز وجل وتوهم أن أم معادلة لقوله تعالى أولم يروا الخ مع القول بأن من استفهامية مما لا تقريب له أصلا وقوله تعالى ﴿ ان الكافرون الا فى غرور ﴾ اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ماهم فيه من غاية الضلال أى ماهم فى زعمهم أنهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط أو أن آلهتهم تحفظهم من بأس الله الا فى غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم فى ذلك شئ يعتد به فى الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم و بيان قبائحهم لغيرهم والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام فى قوله تعالى ﴿ أم من هذا الذى يرزقكم ان أمسك ﴾ أى الله عز وجل ﴿ رزقه ﴾ بامساك المطر وسائر مباديه كالذى مر تفصيله خلا أن قوله تعالى ﴿ بل لجوا فى عتو ونفور ﴾ منبئ عن مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا فى عتو أى عناد واستكبار وطغيان ونفور أى شراد عن الحق وقوله تعالى ﴿ أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى ﴾ الخ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحالهما وتحقيقا لشأن مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ماظهر من سوء حالهم وخرورهم فى مهاوى الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم فى مسالك المحاجة الى جهة يتوهم فيها رشد فى الجملة فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة وأما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشى مكبا الخ والمكب الساقط على وجهه يقال أكب خر على وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل فى الكب كأقشع الغمام أى صار ذا قشع والمعنى أفمن يمشى وهو يعثر فى كل ساعة و يخر على وجهه فى كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه أهدى الى المقصد الذى يؤمه ﴿ أم من يمشى سويا ﴾ أى قائما سالما من الخبط والعثار ﴿ على صراط مستقيم ﴾ مستوى الأجزاء لاعوج فيه ولا انحراف قيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الاولى عليه و لا حاجة الى ذلك فان الثانية معطوفة على الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك أزيد أفضل أم عمرو وقيل أريد بالمكب الاعمى و بالسوى البصير وقيل من يمشى مكبا هو الذى يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا الذى يحشر على قدميه الى الجنة ﴿ قل

هو الذى أنشأكم﴾ انشاء بديعا ﴿وجعل لكم السمع﴾ لتسمعوا آيات الله وتمتثلوا بما فيها من الاوامر والنواهى وتتعظوا بمواعظها ﴿والأبصار﴾ لتنظروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشئون الله عز وجل ﴿والأفئدة﴾ لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا فى معارج الايمان والطاعة ﴿قليلا ما تشكرون﴾ أى باستعمالها فيما خلقت لأجله من الامور المذكورة وقليلا نعت لمحذوف وما مزيدة لتأكيد القلة أى شكرا قليلا أو زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم ﴿قل هو الذى ذرأكم فى الأرض﴾ أى خلقكم وكثركم فيها لا غيره ﴿واليه تحشرون﴾ للجزاء لا الى غيره اشتراكا أو استقلالا فابنوا أموركم على ذلك ﴿ويقولون﴾ من فرط عتوهم وعنادهم ﴿متى هذا الوعد﴾ أى الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون ﴿ان كنتم صادقين﴾ يخاطبون به النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه الصلاة والسلام فى الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف أى ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجئ الساعة والحشر فبينوا وقته ﴿قل انما العلم﴾ أى العلم بوقته ﴿عند الله﴾ عز وجل لا يطلع عليه غيره كقوله تعالى قل انما علمها عند ربى ﴿وانما أنا نذير مبين﴾ أنذركم وقوع الموعود لا محالة وأما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الانذار والفاء فى قوله تعالى ﴿فلما رأوه﴾ فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كأنه قيل وقد أتاهم الموعود فرأوه فلما رأوه الى آخره كما مر تحقيقه فى قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده الا أن المقدر هناك أمر واقع مرتب على ما قبله بالفاء وههنا أمر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستئناف وقوله تعالى ﴿زلفة﴾ حال من مفعول رأوا اما بتقدير المضاف أى ذا زلفة وقرب أو على أنه مصدر بمعنى الفاعل أى مزدلفا أو على أنه مصدر نعت به مبالغة أو ظرف أى رأوه فى مكان ذى زلفة ﴿سيئت وجوه الذين كفروا﴾ بأن غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به ﴿وقيل﴾ توبيخا لهم وتشديدا لعذابهم ﴿هذا الذى كنتم به تدعون﴾ أى تطلبونه فى الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على أنه تفتعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى أى تدعون أن لا بعث ولا حشر وقرئ تدعون هذا وقد روى عن مجاهد أن الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد ﴿قل أرأيتم﴾ أى أخبرونى ﴿ان أهلكنى الله﴾ أى أماتنى والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك ﴿ومن معى﴾ من المؤمنين ﴿أو رحمنا﴾ بتأخير آجالنا فنحن فى جوار رحمته متربصون لاحدى الحسنيين ﴿فمن يجير الكافرين من عذاب أليم﴾ أى لا ينجيكم منه أحد متنا أو بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفى الانجاء به ﴿قل هو الرحمن﴾ أى الذى أدعوكم الى عبادته مولى النعم كلها ﴿آمنا به﴾ وحده لما علمنا أن كل ما سواه اما نعمة أو منعم عليه ﴿وعليه توكلنا﴾ لا على غيره أصلا لعلمنا بأن ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر ﴿فستعلمون﴾ عن قريب ألبتة ﴿من هو فى ضلال مبين﴾ منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحتانية ﴿قل أرأيتم﴾ أى أخبرونى ﴿ان أصبح ماؤكم غورا﴾ أى غائرا فى الارض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف به ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ جار أو ظاهر سهل المأخذ. عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر

سورة ن

(مكية وآيها ثنتان وخمسون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ن) بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر و بالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لأفعلن بالجر وأن يكون ذلك نصبا باضمار اذكر لا فتحا كما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث على أنه علم للسورة ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على نمط التعديد للتحدي بأحد الطريقين المذكورين في موقعه أو اسما للسورة منصوبا على الوجه المذكور أو مرفوعا على أنه خبر لمبتدا محذوف فالواو في قوله تعالى (والقلم) للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه وأيا ما كان فان أريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للاعظام بالاقسام به ظاهر وان أريد به الجنس فاستحقاق ما في أيدي الناس لذلك لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز وعلا لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه وقرئ بادغام النون في الواو (وما يسطرون) الضمير لأصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على أن المراد به أصحابه كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم على أن ما موصولة أو وسطرهم على أنها مصدرية وقيل للقلم نفسه باسناد الفعل الى الآلة واجرائه مجرى العقلاء لاقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبرها والعامل فيها معنى النفي كأنه قيل أنت برئ من الجنون ملتبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه عليه الصلاة والسلام والايذان بأنه تعالى يتم نعمته عليه و يبلغه من العلو الى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه عليه الصلاة والسلام عما كانوا ينسبونه عليه الصلاة والسلام اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بأنه عليه الصلاة والسلام في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية من حصانة العقل و رزانة الرأي (وان لك) بمقابلة مقاساتك ألوان الشدائد من جهتهم وتحملك لأعباء الرسالة (لأجرا) لثوابا عظيما لا يقادر قدره (غير ممنون) مع عظمه كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ أو غير ممنون عليك من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط (وانك لعلى خلق عظيم) لا يدرك شأوه أحد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه عليه الصلاة والسلام فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون والجملتان معطوفتان على جواب القسم (فستبصر ويبصرون) قال ابن عباس رضي الله عنهما فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة أمركم بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما في قلوب العالمين وكونهم أذلة صاغرين قال مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر (بأيكم المفتون) أي أيكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة أو بأيكم الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أو بأي الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الأشر وقوله تعالى (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على أحد وتأكيد لما فيه من الوعد والوعيد أي هو أعلم بمن ضل عن سبيله تعالى المؤدي الى سعادة الدارين وهام في تيه

الضلال متوجها الى ما يفضيه الى الشقاوة الأبدية وهذا هو المجنون الذى لا يفرق بين النفع والضرر بل يحسب الضرر نفعا فيؤثره والنفع ضررا فيهجره ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزى كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو أعلم لزيادة التقرير والفاء فى قوله تعالى ﴿فلا تطع المكذبين﴾ لترتيب النهى على ماينبئ عنه ماقبله من اهتدائه عليه الصلاة والسلام وضلالهم أو على جميع مافصل من أول السورة وهذا تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم أى دم على ماأنت عليه من عدم طاعتهم وتصلب فى ذلك أو نهى عن مداهنتهم ومداراتهم باظهار خلاف ما فى ضميره عليه الصلاة والسلام استجلابا لقلوبهم لاعن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿ودوا لوتدهن﴾ فانه تعليل للنهى أو للانتهاء وانما عبر عنها بالطاعة للمبالغة فى الزجر والتنفير أى أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم فى بعض الأمور ﴿فيدهنون﴾ أى فهم يدهنون حينئذ أو فهم الآن يدهنون طمعا فى ادهانك وقيل هو معطوف على تدهن داخل فى حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك ويأباه ما سيأتى من بدئهم بالادهان على أن ادهانهم أمر محقق لايناسب ادخاله تحت التمنى وأياما كان فالمعتبر فى جانبهم حقيقة الادهان الذى هو اظهار الملاينة واضمار خلافها وأما فى جانبه عليه الصلاة والسلام فالمعتبر بالنسبة الى ودادتهم هو اظهار الملاينة فقط وأما اضمار خلافها فليس فى حيز الاعتبار بل هم فى غاية الكراهة له وانما اعتباره بالنسبة اليه عليه الصلاة والسلام وفى بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمنى المفهوم من ودوا أو أن ما بعده حكاية لودادتهم وقيل على أنه عطف على تدهن بناء على أن لو بمنزلة أن الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا كأنه قيل ودوا أن تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا أى ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك ﴿ولا تطع كل حلاف﴾ كثير الحلف فى الحق والباطل تقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه أدخل فى الزجر ﴿مهين﴾ حقير الرأى والتدبير ﴿هماز﴾ عياب طعان ﴿مشاء بنميم﴾ مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية ﴿مناع للخير﴾ أى بخيل أو مناع للناس من الخير الذى هو الايمان والطاعة والانفاق ﴿معتد﴾ متجاوز فى الظلم ﴿أثيم﴾ كثير الآثام ﴿عتل﴾ جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة ﴿بعد ذلك﴾ بعد ماعد من مثالبه ﴿زنيم﴾ دعى مأخوذ من الزنمة وهى الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى متدلية فى حلقها وفى قوله تعالى بعد ذلك دلالة على أن دعوته أشد معايبه وأقبح قبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة فانه كان دعيا فى قريش وليس من سنخهم ادعاه المغيرة بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده فى زهرة ﴿أن كان ذا مال وبنين﴾ متعلق بقوله تعالى لاتطع أى لاتطع من هذه مثالبه لأن كان متمولا مستظهرا بالبنين وقوله تعالى ﴿اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين﴾ استئناف جار مجرى التعليل للنهى وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لأن ما بعد الشرط لايعمل فيما قبله كأنه قيل لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب بآياتنا وفيه أنه يدل على أن مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير أن يكون لسائر قبائحه دخل فى ذلك وقرئ أأن كان على معنى ألأن كان ذا مال كذب بها أو أتطيعه لأن كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر والشرط للمخاطب أى لاتطع كل حلاف شارطا يساره لأن اطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه فى الطاعة ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ بالكى على أكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله قيل أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناسنعلمه

يوم القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة ﴿ انا بلوناهم ﴾ أى أهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ كما بلونا أصحاب الجنة ﴾ وهم قوم من أهل الصلاة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنة و يتصدق بالباقى وكان ينادى الفقراء وقت الصرام و يترك لهم ما اخطأه المنجل وما فى أسفل الاكداس وما اخطأه القطاف من العنب وما بقى على البساط الذى يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شئ كثير فلما مات أبوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى ﴿ اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ﴾ ليقطعنها داخلين فى الصباح ﴿ ولا يستثنون ﴾ أى لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع أنه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لأخرجن ان شاء الله ولا أخرج الا أن يشاء الله بمعنى واحد أو ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله أبوهم والجملة مستأنفة ﴿ فطاف عليها ﴾ أى على الجنة ﴿ طائف ﴾ بلاء طائف وقرئ طيف ﴿ من ربك ﴾ مبتدأ من جهته تعالى ﴿ وهم نائمون ﴾ غافلون عما جرت به المقادير ﴿ فأصبحت كالصريم ﴾ كالبستان الذى صرمت ثماره بحيث لم يبق منها شئ فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل أى احترقت فاسودت وقيل كالنهار أى يبست وابيضت سميا بذلك لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال ﴿ فتنادوا ﴾ أى نادى بعضهم بعضا ﴿ مصبحين ﴾ داخلين فى الصباح ﴿ أن اغدوا ﴾ أى اغدوا على أن أن مفسرة أو بأن اغدوا على أنها مصدرية أى اخرجوا غدوة ﴿ على حرثكم ﴾ بستانكم وضيعتكم وتعدية الغدو بعلى لتضمينه معنى الاقبال أو الاستيلاء ﴿ ان كنتم صارمين ﴾ قاصدين للصرم ﴿ فانطلقوا وهم يتخافتون ﴾ أى يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة وخفى وخفت وخفد ثلاثتها فى معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ﴿ أن لا يدخلنها ﴾ أى الجنة ﴿ اليوم عليكم مسكين ﴾ أن مفسرة لما فى التخافت من معنى القول وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا أرينك ههنا ﴿ وغدوا على حرد قادرين ﴾ أى على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى أنهم أرادوا أن يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة أو وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها أى غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد الحرد وقد قرئ بذلك أى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة أى غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة ﴿ فلما رأوها قالوا ﴾ فى بديهة رؤيتهم ﴿ انا لضالون ﴾ أى طريق جنتنا وما هى بها ﴿ بل نحن محرومون ﴾ قالوه بعد ما تأملوا ووقفوا على حقيقة الامر مضربين عن قولهم الأول أى لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا على أنفسنا ﴿ قال أوسطهم ﴾ أى رأيا أوسنا ﴿ ألم أقل لكم لولا تسبحون ﴾ لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿ قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين ﴾ وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما فى التعظيم أو لانه تنزيه له تعالى عن أن يجرى فى ملكه ما لا يشاؤه ﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ﴾ أى يلوم بعضهم بعضا فان منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من أنكره ﴿ قالوا ياويلنا انا كنا طاغين ﴾ متجاوزين حدود الله ﴿ عسى ربنا أن يبدلنا ﴾ وقرئ بالتشديد أى يعطينا بدلا

منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة ﴿خيرا منها انا الى ربنا راغبون﴾ راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع عن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها وروى أنهم تعاقدوا وقالوا ان أبدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع أبونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا اليه فأبدلهم الله تعالى من ليلتهم ماهو خير منها قالوا ان الله تعالى أمر جبريل عليه السلام أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من أرض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان القوم لما أخلصوا وعرف الله منهم الصدق أبدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا وقال أبو خالد اليمانى دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلفتنى تعبا وعن الحسن رحمه الله تعالى قول أصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا أدرى ايمانا كان ذلك منهم أو على حد مايكون من المشركين اذا أصابتهم الشدة فتوقف فى أمرهم والاكثرون على أنهم تابوا وأخلصوا حكاه القشيرى ﴿كذلك العذاب﴾ جملة من مبتدا وخبر مقدم لافادة القصر والالف واللام للعهد أى مثل الذى بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا ﴿ولعذاب الآخرة أكبر﴾ أعظم وأشد ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أنه أكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه ﴿ان للمتقين﴾ أى من الكفر والمعاصى ﴿عند ربهم﴾ أى فى الآخرة أو فى جوار القدس ﴿جنات النعيم﴾ جنات ليس فيها الا التنعم الخالص عن شائبة ماينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين فيها فانهم كانوا يقولون ان صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ماهى فى الدنيا والالم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أنحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده ﴿مالكم كيف تحكمون﴾ تعجيبا من حكمهم واستبعادا له وايذانا بأنه لا يصدر عن عاقل ﴿أم لكم كتاب﴾ نازل من السماء ﴿فيه تدرسون﴾ أى تقرؤن ﴿ان لكم فيه لما تخيرون﴾ أى ماتخيرونه وتشتهونه وأصله أن لكم بالفتح لأنه مدروس فلما جىء باللام كسرت ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين وتخير الشىء واختياره أخذ خيره ﴿أم لكم أيمان علينا﴾ أى عهود مؤكدة بالأيمان ﴿بالغة﴾ متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها أحد الظرفين ﴿الى يوم القيامة﴾ متعلق بالمقدر فى لكم أى ثابتة لكم الى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ماتحكمون أو ببالغة أى أيمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها يمين ﴿ان لكم لما تحكمون﴾ جواب القسم لأن معنى أم لكم علينا أيمان أم أقسمنا لكم ﴿سلهم﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة الخطاب أى سلهم مبكتا لهم ﴿أيهم بذلك﴾ الحكم الخارج عن العقول ﴿زعيم﴾ أى قائم يتصدى لتصحيحه ﴿أم لهم شركاء﴾ يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم ﴿فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين﴾ فى دعواهم اذلا أقل من التقليد وقد نبه فى هذه الآيات الكريمة على أن ليس لهم شىء يتوهم أن يتشبثوا به حتى التقليد الذى لا يفلح من تشبث بذيله وقيل المعنى أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين فى الآخرة ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ أى يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال حاتم

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ... وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقيل ساق الشيء أصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان أي يوم يكشف عن أصل الامر فتظهر حقائق الامور وأصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل أو التعظيم وقرىء تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة أو الحال وقرىء نكشف بالنون وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف الامر أي دخل فى الكشف وناصب الظرف فليأتوا أو مضمر مقدم أي اذكر يوم الخ أو مؤخر أي يوم يكشف عن ساق الخ يكون من الاهوال وعظائم الاحوال مالا يبلغه الوصف ﴿ويدعون الى السجود﴾ توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه فى الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم فى ذلك ﴿فلا يستطيعون﴾ لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على أنهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه تعقم أصلابهم أي ترد عظاما بلا مفاصل لاتنثنى عند الرفع والخفض وفى الحديث وتبقى أصلابهم طبقا واحدا أي فقارة واحدة ﴿خاشعة أبصارهم﴾ حال من مرفوع يدعون على أن أبصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور أثره فيها ﴿ترهقهم﴾ تلحقهم وتغشاهم ﴿ذلة﴾ شديدة ﴿وقد كانوا يدعون الى السجود﴾ فى الدنيا والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة التقرير أو لان المراد به الصلاة أو ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف ﴿وهم سالمون﴾ متمكنون منه أقوى تمكن أي فلا يجيبون اليه ويأبونه وانما ترك ذكره ثقة بظهوره ﴿فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث﴾ أي كله الى فانى أكفيك أمره أي حسبك فى الايقاع به والانتقام منه أن تكل أمره الى وتخلى بينى وبينه فانى عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب الامر على ما قبلها من أحوالهم المحكية أي واذا كان حالهم فى الآخرة كذلك فذرنى ومن يكذب بهذا القرآن وتوكل على فى الانتقام منه وقوله تعالى ﴿سنستدرجهم﴾ استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق اجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما أن الافراد فى يكذب باعتبار لفظها أي سنستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة وازدياد النعمة ﴿من حيث لايعلمون﴾ أنه استدراج وهو الانعام عليهم بل يزعمون أنه ايثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع أنه سبب لهلاكهم ﴿وأملى لهم﴾ وأمهلهم ليزدادوا آثاما وهم يزعمون أن ذلك لارادة الخير بهم ﴿ان كيدى متين﴾ لا يوقف عليه ولا يدفع بشيء وتسمية ذلك كيدا لكونه فى صورة الكيد ﴿أم تسألهم﴾ على الابلاغ والارشاد ﴿أجرا﴾ دنيويا ﴿فهم﴾ لاجل ذلك ﴿من مغرم﴾ أي غرامة مالية ﴿مثقلون﴾ مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك ﴿أم عندهم الغيب﴾ أي اللوح أو المغيبات ﴿فهم يكتبون﴾ منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ أي يونس عليه السلام ﴿اذ نادى﴾ فى بطن الحوت ﴿وهو مكظوم﴾ مملوء غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهى لا على النداء فانه أمر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف أي لايكن حالك كحاله وقت ندائه أي لايوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه ﴿لولا أن تداركه نعمة من ربه﴾ وقرىء رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وقرىء تداركته وتداركه أي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه تداركه ﴿لنبذ بالعراء﴾ بالارض الخالية من الاشجار ﴿وهو مذموم﴾ مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هى المنتفية لا النبذ بالعراء كما مر فى الحال الاولى والجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهى عنه أمرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تعالى ﴿فاجتباه ربه﴾ عطف على مقدر أي فتداركته نعمة من ربه فاجتباه بأن رد اليه الوحى وأرسله الى مائة الف أو يزيدون وقيل استنبأه ان صح أنه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة ﴿فجعله من الصالحين﴾ من الكاملين فى الصلاح بأن عصمه من أن يفعل فعلا يكون

تركه أولى . روى أنها نزلت بأحد حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المنهزمين من المؤمنين وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف ﴿ وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم ﴾ وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى أزلقه و يزهقونك وان هى المخففة واللام دليلها والمعنى أنهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى أى لو أمكنه بنظره الصرع لفعله أو أنهم يكادون يصيبونك بالعين اذ قد روى أنه كان فى بنى أسد عيانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفى الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن دواء الاصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية ﴿ لما سمعوا الذكر ﴾ أى وقت سماعهم بالقرآن على أن لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه ﴿ ويقولون ﴾ لغاية حيرتهم فى أمره عليه الصلاة والسلام ونهاية جهلهم بما فى تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم و بدائع العلوم المحجوبة عن العقول المنغمسة بأحكام الطبائع و لتنفير الناس عنه ﴿ انه لمجنون ﴾ وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه الصلاة والسلام رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيل ﴿ وما هو الا ذكر للعالمين ﴾ على أنه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب السامعين من جرأتهم على تفوه تلك العظيمة أى يقولون ذلك والحال أنه ذكر للعالمين أى تذكير و بيان لجميع ما يحتاجون اليه من أمور دينهم فأين من أنزل عليه ذلك وهو مطلع على أسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه خبرا مما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم

سورة الحاقة

(مكية وآيها احدى وخمسون)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الحاقة ﴾ أى الساعة أو الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجئ لا محالة أو التى يحق فيها الامور الحقة من الحساب والثواب والعقاب أو التى تحق فيها الامور أى تعرف على الحقيقة من حقه يحقه اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور أو لمن فيها من أولى العلم وأياما كان فحذف الموصوف للايذان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء خبرها ﴿ ما الحاقة ﴾ على أن ما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والاصل ما هى أى أى شئ هى فى حالها وصفتها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تأكيدا لهولها هذا ما ذكروه فى اعراب هذه الجملة ونظائرها وقد سبق فى سورة الواقعة أن مقتضى التحقيق أن تكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط الافادة بيان أن الحاقة أمر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان أن أمرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدأ وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى ﴿ وما أدراك ﴾ أى وأى شئ أعلمك ﴿ ما الحاقة ﴾ تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات على معنى أن عظم شأنها ومدى هولها وشدتها بحيث لا تكاد تبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهى أعظم من ذلك وأعظم فلا يتسنى الاعلام وما فى حيز الرفع على الابتداء وأدراك خبره ولا مساغ ههنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدا وخبر على الوجه الذى عرفته محلها النصب على اسقاط الخافض لان أدرى يتعدى الى المفعول الثانى بالباء كما فى قوله تعالى ولا أدراكم به فلما

وثمت جملة الاستفهام معلقة له كانت فى موضع المفعول الثانى والجملة الكبيرة معطوفة على ماقبلها من الجملة الواقعة خبرا لقوله تعالى الحاقة مؤكدة لهولها كامر ﴿ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ﴾ أى بالحالة التى تقرع الناس بفنون الأفزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا لهولها والجملة استئناف مسوق لاعلام بعض أحوال الحاقة له عليه الصلاة والسلام اثر تقرير أنه ما أدراه عليه الصلاة والسلام بها أحد كما فى قوله تعالى وما أدراك ماهيه نار حامية ونظائره خلا أن المبين هناك نفس المسئول عنها وههنا حال من أحوالها كما فى قوله تعالى وما أدراك ماليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر فكما أن المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول الحاقة وعظم شأنها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كأنه قيل وما أدراك ما الحاقة كذبت بها ثمود وعاد فأهلكوا ﴿ فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ﴾ أى بالواقعة المجاوزة للحد وهى الصيحة أو الراجفة ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر ﴾ أى شديدة الصوت لها صرصرة أو شديدة البرد تحرق ببردها ﴿ عاتية ﴾ شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها أو على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله تعالى ﴿ سخرها عليهم ﴾ الخ استئناف جئ به بيانا لكيفية اهلاكهم بالريح أى سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة ﴿ سبع ليال وثمانية أيام حسوما ﴾ أى متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها أو نحسات حسمت كل خير واستأصله أو قاطعات قطعت دابرهم ويجوز أن يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا أو على المصدر لفعله المقدر حالا أى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهى كانت أيام العجوز من صبيحة أربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لأن عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هى أيام العجز وهى آخر الشتاء وأسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل ومكفئ الظعن ﴿ فترى القوم ﴾ ان كنت حاضرا حينئذ ﴿ فيها ﴾ فى مهابها أو فى تلك الليالى والأيام ﴿ صرعى ﴾ موتى جمع صريع ﴿ كأنهم أعجاز نخل ﴾ أى أصول نخل ﴿ خاوية ﴾ متآكلة الاجواف ﴿ فهل ترى لهم من باقية ﴾ أى بقية أو نفس باقية أو بقاء على أنها مصدر كالكاذبة والطاغية ﴿ وجاء فرعون ومن قبله ﴾ أى ومن تقدمه وقرئ ومن قبله أى ومن عنده من أتباعه ويؤيده أنه قرئ ومن معه ﴿ والمؤتفكات ﴾ أى قرى قوم لوط أى أهلها ﴿ بالخاطئة ﴾ بالخطأ أو بالفعلة أو الأفعال ذات الخطأ التى من جملتها تكذيب البعث والقيامة ﴿ فعصوا رسول ربهم ﴾ أى فعصى كل أمة رسولها حين نهوهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح ﴿ فأخذهم ﴾ أى الله عز وجل ﴿ أخذة رابية ﴾ أى زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح من ربا الشئ اذا زاد ﴿ انا لما طغا الماء ﴾ بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصى ومبالغتهم فى تكذيبه عليه الصلاة والسلام فيما أوحى اليه من الأحكام التى من جملتها أحوال القيامة ﴿ حملناكم ﴾ أى فى أصلاب آبائكم ﴿ فى الجارية ﴾ فى سفينة نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء الى انقضاء أيام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة فى فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله أى رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم فى السفينة الجارية بأمرنا وحفظنا وفيه تنبيه على أن مدار نجاتهم محض عصمته تعالى انما السفينة سبب صورى ﴿ لنجعلها ﴾ أى لنجعل الفعلة التى هى عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين ﴿ لكم تذكرة ﴾ عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته ﴿ وتعيها ﴾ أى تحفظها والوعى أن تحفظ الشئ فى نفسك والايعاء

أن تحفظه فى غير نفسك من وعاء وقرئ تعيها بسكون العين تشبيها له بكتف ﴿أذن واعية﴾ أى أذن من شأنها أن تحفظ مايجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه و لاتضيعه بترك العمل به والتنكير للدلالة على قلتها وأن من هذا شأنه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم وقرئ أذن بالتخفيف ﴿فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة﴾ شروع فى بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شأنها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقييده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الأولى التى عندها خراب العالم ﴿وحملت الأرض والجبال﴾ أى قلعت ورفعت من أماكنها بمجرد القدرة الالهية أو بتوسط الزلزلة أو الريح العاصفة ﴿فدكتا دكة واحدة﴾ أى فضربت الجملتان اثر رفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا من قولهم اندك السنام اذا تفرش وبعير أدك وناقة دكاء ومنه الدكان ﴿فيومئذ﴾ فحينئذ ﴿وقعت الواقعة﴾ أى قامت القيامة ﴿وانشقت السماء﴾ لنزول الملائكة ﴿فهى﴾ أى السماء ﴿يومئذ واهية﴾ ضعيفة مسترخية بعد ما كانت محكمة ﴿والملك﴾ أى الخلق المعروف بالملك ﴿على أرجائها﴾ أى جوانبها جمع رجا بالقصر أى تنشق السماء التى هى مساكنهم فيلجأون الى أكنافها وحافاتها ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم﴾ فوق الملائكة الذين هم على الأرجاء أو فوق الثمانية ﴿يومئذ ثمانية﴾ من الملائكة عن النبى عليه الصلاة والسلام هم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله تعالى بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وروى ثمانية أملاك أرجلهم فى تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الأسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروى ثمانية أملاك فى خلق الأوعال مابين أظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله أعلم أثمانية أم ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لايعلم عددهم الا الله تعالى ويجوز أن يكون الثمانية من الروح أو من خلق آخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام لكونها أقصى مايتصور من العظمة والجلال والا فشؤنه سبحانه أجل من كل مايحيط به فلك العبارة والاشارة ﴿يومئذ تعرضون﴾ أى تسألون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر لتعرف أحوالهم . روى أن فى يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار صح جعله ظرفا للكل ﴿لاتخفى منكم خافية﴾ حال من مرفوع تعرضون أى تعرضون غير خاف عليه تعالى سر من أسراركم قبل ذلك أيضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة فى العدل أو غير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء التحتانية ﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه﴾ تفصيل لأحكام العرض ﴿فيقول﴾ تبجحا وابتهاجا ﴿هاؤم اقرؤا كتابيه﴾ هااسم لخذوفيه ثلاث لغات أجودهن هاء يارجل وهاء يا امرأة وهاؤما يارجلان أو امرأتان وهاؤم يارجال وهاؤن يانسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لأنه أقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الأولى اضماره حيث أمكن والهاء فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل واستحب اثباتها لثباتها فى الامام ﴿انى ظننت أنى ملاق حسابيه﴾ أى علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بأنه لايقدح فى الاعتقاد مايهجس فى النفس من الخطرات التى لاينفك

عنها العلوم النظرية غالبا ﴿فهو فى عيشة راضية﴾ ذات رضا على النسبة بالصيغة كما يقال دارع فى النسبة بالحرف أو جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم ﴿فى جنة عالية﴾ مرتفعة المكان لانها فى السماء او الدرجات او الابنية والاشجار ﴿قطوفها﴾ جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر ﴿دانية﴾ يتناولها القاعد ﴿كلوا واشربوا﴾ باضمار القول والجمع باعتبار المعنى ﴿هنيئا﴾ أكلا وشربا هنيئا أو هنئتم هنيئا ﴿بما أسلفتم﴾ بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة ﴿فى الأيام الخالية﴾ أى الماضية فى الدنيا وعن مجاهد أيام الصيام وروى يقول الله تعالى يا أوليائى طالما نظرت اليكم فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيمكم وكلوا واشربوا الآية ﴿وأما من أوتى كتابه بشماله﴾ ورأى ما فيه من قبائح الاعمال ﴿فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه﴾ لما شاهد من سوء العاقبة ﴿ياليتها﴾ ياليت الموتة التى متها ﴿كانت القاضية﴾ أى القاطعة لامرى ولم أبعث بعدها ولم ألق ما ألق فضمير ليتها للموتة ويجوز أن يكون لما شاهده من الحالة أى ياليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على لما أنه وجدها أمر من الموت فتمناه عندها وقد جوز أن يكون للحياة الدنيا أى ياليت الحياة الدنيا كانت الموتة ولم أخلق حيا ﴿ما أغنى عنى ماليه﴾ مالى من المال والأتباع على أن ما نافية والمفعول محذوف أو استفهامية للانكار أى أى شىء أغنى عنى ما كان لى من اليسار ﴿هلك عنى سلطانيه﴾ أى ملكى وتسلطى على الناس أو حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا أو تسلطى على القوى والآلات فعجزت عن استعمالها فى العبادات ﴿خذوه﴾ حكاية لما يقوله الله تعالى يومئذ لخزنة النار ﴿فغلوه﴾ أى شدوه بالأغلال ﴿ثم الجحيم صلوه﴾ أى لاتصلوه الا الجحيم وهى النار العظيمة ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعاظم على الناس ﴿ثم فى سلسلة ذرعها﴾ أى طولها ﴿سبعون ذراعا فاسلكوه﴾ فأدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده فهو فيما بينها مرهق لا يستطع حراكا ما وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر ألوان ما يعذب به وثم لتفاوت ما بين الغل والتصلية وما بينهما وبين السلك فى السلسلة فى الشدة ﴿أنه كان لا يؤمن بالله العظيم﴾ تعليل بطريق الاستئناف التحقيق ووصفه تعالى بالعظم للايذان بأنه المستحق للعظمة فحسب فمن نسبها الى نفسه استحق أعظم العقوبات ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ ولا يحث على بذل طعامه أو على اطعامه فضلا أن يبذل من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه على أن تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة قالوا تخصيص الامرين بالذكر لما أن أقبح العقائد الكفر وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب ﴿فليس له اليوم ههنا حميم﴾ أى قريب يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لأن أولياءه يتحامونه ويفرون منه ﴿ولا طعام الا من غسلين﴾ أى من غسالة أهل النار وصديدهم فعلين من الغسل ﴿لا يأكله الا الخاطئون﴾ أصحاب الخطايا من خطىء الرجل اذا تعمد الذنب لا من الخطأ المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم المشركون وقرىء الخاطيون بابدال الهمزة ياء وقرىء بطرحها وقد جوز أن يراد بهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله ﴿فلا أقسم﴾ أى فأقسم على أن لا مزيدة للتأكيد وأما حمله على معنى نفى الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى ﴿بما تبصرون وما لا تبصرون﴾ كما مر فى سورة الواقعة أى أقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والآخرة وقيل بالأجسام والأرواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والأول منتظم للكل ﴿انه﴾ أى القرآن ﴿لقول رسول﴾ يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه ﴿كريم﴾ على الله تعالى وهو النبى أو جبريل عليهما السلام ﴿وما هو بقول شاعر﴾ كما تزعمون تارة ﴿قليلا

ماتؤمنون﴾ ايمانا قليلا تؤمنون ﴿ولا بقول كاهن﴾ كما تدعون ذلك تارة أخرى ﴿قليلا ماتذكرون﴾ أى تذكرا قليلا أو زمانا قليلا تتذكرون على أن القلة بمعنى النفى أى لا تؤمنون ولا تتذكرون أصلا قيل ذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لما أن عدم مشابهة القرآن الشعر أمر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر أحواله عليه الصلاة والسلام ومعانى القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعانى أقوالهم وأنت خبير بأن ذلك أيضا مما لا يتوقف على تأمل قطعا وقرئ بالياء فيهما ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ نزله على لسان جبريل عليه السلام ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾ سمى الافتراء تقولا لأنه قول متكلف والأقوال المفتراة أقاويل تحقيرا لها كأنها جمع أفعولة من القول كالأضاحيك ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ أى بيمينه ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ أى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بأفظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو أن يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة قال قائلهم

اذا ماراية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

﴿فما منكم﴾ أيها الناس ﴿من أحد عنه﴾ عن القتل أو المقتول ﴿حاجزين﴾ دافعين وصف لأحد فانه عام ﴿وانه﴾ أى وان القرآن ﴿لتذكرة للمتقين﴾ لأنهم المنتفعون به ﴿وانا لنعلم أن منكم مكذبين﴾ فنجازيهم على تكذيبهم ﴿وانه لحسرة على الكافرين﴾ عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين ﴿وانه لحق اليقين﴾ الذى لا يحوم حوله ريب ما ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أى فسبح بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما أوحى اليك . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج

(مكية وآيها أربع وأربعون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سال سائل﴾ أى دعا داع ﴿بعذاب واقع﴾ أى استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحرث حيث قال انكارا واستهزاء ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقيل أبو جهل حيث قال أسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو الحرث بن النعمان الفهرى وذلك أنه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله عنه من كنت مولاه فعلى مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من أسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول عليه الصلاة والسلام استعجل عذابهم وقرئ سال وهو اما من السؤال على لغة قريش فالمعنى ما مر أو من السيلان ويؤيده أنه قرئ سال سيل أى اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد مر حال الفهرى واما فى الآخرة فهو عذاب النار والله أعلم ﴿للكافرين﴾ صفة أخرى لعذاب أى كائن للكافرين أوصلة لواقع أو متعلق بسال أى دعا للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى ﴿ليس له دافع﴾ صفة أخرى لعذاب أو حال منه لتخصصه بالصفة أو بالعمل أو من الضمير فى للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب أو استئناف ﴿من الله﴾ متعلق بواقع أو بدافع أى ليس له دافع من جهته تعالى ﴿ذى المعارج﴾ ذى المصاعد التى يصعد فيها الملائكة بالأوامر والنواهى أو هى عبارة عن السموات المترتبة بعضها فوق بعض ﴿تعرج الملائكة والروح﴾ أى جبريل عليه السلام

أفرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة على الناس ﴿اليه﴾ الى عرشه تعالى والى حيث تهبط منه أوامره تعالى وقيل هو من قبيل قول ابراهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى أى الى حيث أمرنى به ﴿فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ مما يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى أنها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها فى زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين ألف سنة من سنى الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه تعالى فى يوم كان مقداره كمقدار خمسين ألف سنة أى يقطعون فى يوم ما يقطعه الانسان فى خمسين ألف سنة لو فرض ذلك وقيل فى يوم متعلق بواقع وقيل بسال على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيامة واستطالته اما لأنه كذلك فى الحقيقة أو لشدته على الكفار أو لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وأياما كان فذلك فى حق الكافر وأما فى حق المؤمن فلا لما روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطول هذا اليوم فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفسى بيده انه ليخف على المؤمن حتى انه يكون أخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا وقوله تعالى ﴿فاصبر صبرا جميلا﴾ متعلق بسأل لأن السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحى وذلك مما يضجره عليه الصلاة والسلام أو كان عن تضجر واستبطاء للنصر أو بسال سائل أو سال سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام ﴿انهم يرونه﴾ أى العذاب الواقع أو يوم القيامة على تقدير تعلق فى يوم بواقع ﴿بعيدا﴾ أى يستبعدونه بطريق الاحالة فلذلك يسألون به ﴿ونراه قريبا﴾ هينا فى قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على أن البعد والقرب معتبران بالنسبة الى الامكان والجملة تعليل للأمر بالصبر وقوله تعالى ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ متعلق بقريبا أى يمكن ولا يتعذر فى ذلك اليوم أو بمضمر دل عليه واقع أو بمضمر مؤخر أى يوم تكون السماء كالمهل الخ يكون من الأحوال والأهوال ما لا يوصف أو بدل من فى يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الأقرب أن قوله تعالى سأل سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر أو أبو جهل أو الفهرى فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما فى قوله تعالى فاسأل به خبيرا وقوله تعالى ليس له دافع الخ استئناف مسوق لبيان وقوع المسؤول عنه لا محالة وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا مترتب عليه وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل للأمر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون الخ متعلق بليس له دافع أو بما يدل هو عليه أى يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما أذيب على مهل من الفلزات وقيل دردى الزيت ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ كالصوف المصبوغ ألوانا لاختلاف ألوان الجبال منها جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ﴿ولا يسأل حميم حميما﴾ أى لا يسأل قريب قريبا عن أحواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك وقرئ على البناء للمفعول أى لا يطلب من حميم حميم أو لا يسأل منه حاله ﴿يبصرونهم﴾ أى يبصر الأحماء الأحماء فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من التساؤل الا تشاغلهم بحال أنفسهم وقيل ما يغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده والأول أدخل فى التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم والجملة استئناف ﴿يود المجرم﴾ أى يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى ﴿لو يفتدى من عذاب يومئذ﴾ أى العذاب الذى ابتلوا به يومئذ ﴿ببنيه وصاحبته وأخيه﴾ حكاية لودادتهم ولو فى معنى التمنى وقيل هى بمنزلة أن الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير يود افتداءه ببنيه الخ والجملة استئناف لبيان أن اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى أن يفتدى بأقرب الناس اليه وأعلقهم بقلبه

فضلا أن يهتم بحاله و يسأل عنها وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن و بتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه فى معنى تعذيب ﴿ وفصيلته ﴾ أى عشيرته التى فصل عنهم ﴿ التى تؤويه ﴾ أى تضمه فى النسب أو عند الشدائد ﴿ ومن فى الأرض جميعا ﴾ من الثقلين والخلائق ومن للتغليب ﴿ ثم ينجيه ﴾ عطف على يفتدى أى يود لو يفتدى ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعنى يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده و بذلهم فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات ﴿ كلا ﴾ ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء الافتداء وضمير ﴿ انها ﴾ اما للنار المدلول عليها بذكر العذاب أو هو مبهم ترجم عنه الخبر الذى هو قوله تعالى ﴿ لظى ﴾ وهى علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ﴿ نزاعة للشوى ﴾ نصب على الاختصاص أو حال مؤكدة والشوى الاطراف أو جمع شواة وهى جلدة الرأس وقرئ نزاعة بالرفع على أنه خبر ثان لان أو هو الخبر ولظى بدل من الضمير أو الضمير للقصة ولظى مبتدأ ونزاعة خبره ﴿ تدعو ﴾ أى تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم الى الى يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو زبانيتها ﴿ من أدبر ﴾ أى عن الحق ﴿ وتولى ﴾ أعرض عن الطاعة ﴿ وجمع فأوعى ﴾ أى جمع المال فجعله فى وعاء و كنزه ولم يؤد زكاته وحقوقه وتشاغل به عن الدين و زهى باقتنائه حرصا وتأميلا ﴿ ان الانسان خلق هلوعا ﴾ الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره أحسن تفسير قوله تعالى ﴿ اذا مسه الشر ﴾ أى الفقر والمرض ونحوهما ﴿ جزوعا ﴾ أى مبالغا فى الجزع مكثرا منه ﴿ واذا مسه الخير ﴾ أى السعة والصحة ﴿ منوعا ﴾ مبالغا فى المنع والامساك والاوصاف الثلاثة أحوال مقدرة أو محققة لأنها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا ﴿ الا المصلين ﴾ استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على القبائح الماضية لاباء نعوتهم عن الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة و كسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة الناشئة من الانهماك فى حب العاجل وقصر النظر عليه ﴿ الذين هم على صلوتهم دائمون ﴾ لا يشغلهم عنها شاغل ﴿ والذين فى أموالهم حق معلوم ﴾ أى نصيب معين يستوجبونه على أنفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكاة المفروضة والصدقات الموظفة ﴿ للسائل ﴾ للذى يسأله ﴿ والمحروم ﴾ الذى لا يسأله فيظن أنه غنى فيحرم ﴿ والذين يصدقون بيوم الدين ﴾ أى بأعمالهم حيث يتعبون أنفسهم فى الطاعات البدنية والمالية طمعا فى المثوبة الاخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء ﴿ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ﴾ خائفون على أنفسهم مع مالهم من الأعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لجنابه عز وجل كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون وقوله تعالى ﴿ ان عذاب ربهم غير مأمون ﴾ اعتراض مؤذن بأنه لا ينبغى لأحد أن يأمن عذابه تعالى وان بالغ فى الطاعة ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ﴾ سلف تفسيره فى سورة المؤمنين ﴿ فمن ابتغى ﴾ أى طلب لنفسه ﴿ وراء ذلك ﴾ وراء ما ذكر من الأزواج والمملوكات ﴿ فأولئك ﴾ المبتغون ﴿ هم العادون ﴾ المتعدون لحدود الله تعالى ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ لا يخلون بشئ من حقوقها ﴿ والذين هم بشهاداتهم قائمون ﴾ أى مقيمون لها بالعدل احياء لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الأمانات لابانة فضلها وقرئ لأمانتهم وبشهادتهم على ارادة الجنس ﴿ والذين هم على صلوتهم يحافظون ﴾ أى يراعون شرائطها و يكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلاة و وصفهم بها أولا و آخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات

لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات كما فى قول من قال

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب فى المزدحم

ايذانا بأن كل واحد من الأوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لأحكام جمة حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شئ منها تتمة للآخر ﴿أولئك﴾ اشارة الى الموصوفين بما ذكر من الصفات ومافيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليهم للايذان بعلو شأنهم و بعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره ﴿فى جنات﴾ أى مستقرون فى جنات لايقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى ﴿مكرمون﴾ خبر آخر أوهو الخبر و فى جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل أو بمضمر هو حال من الضمير فى الخبر أى مكرمون كائنين فى جنات ﴿فما للذين كفروا قبلك﴾ حولك ﴿مهطعين﴾ مسرعين نحوك مادى أعناقهم اليك مقبلين بأبصارهم عليك ﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ أى فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة من العز و كأن كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا و يستهزؤن بكلامه عليه الصلاة والسلام و يقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت ﴿أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ بلا ايمان ﴿كلا﴾ ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ ﴿انا خلقناهم مما يعلمون﴾ قيل هو تعليل للردع والمعنى انا خلقناهم من أجل مايعلمون كما فى قول الأعشى

أأزمعت من آل ليلى ابتكارا وشطت على ذى هوى أن تزارا

وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من أن يتبوأ مبوأ الكاملين فمن أين لهم أن يطمعوا فى دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وانكار البعث وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن أين يتشرفون و يدعون التقدم و يقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل انهم مخلوقون من نطفة قذرة لاتناسب عالم القدس فمتى لم تستكمل الايمان والطاعة ولم تتخلق بالاخلاق الملكية لم تستعد لدخولها ولايخفى مافى الكل من التمحل والأقرب أنه كلام مستأنف قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم و بما نزل عليه من الوحى وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوما آخرين فان قدرته تعالى على مايعلمون من النشأة الاولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة فى قوله تعالى ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾ والمعنى اذا كان الامر كما ذكر من أنا خلقناهم مما يعلمون فأقسم برب المشارق والمغارب ﴿انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم﴾ أى نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتى بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ بمغلوبين ان أردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم ﴿فذرهم﴾ فخلهم وشأنهم ﴿يخوضوا﴾ فى باطلهم الذى من جملته ماحكى عنهم ﴿ويلعبوا﴾ فى دنياهم ﴿حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون﴾ وهو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الاولى كما توهم فان قوله تعالى ﴿يوم يخرجون من الأجداث﴾ بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البناء للمفعول من الاخراج ﴿سراعا﴾ حال من مرفوع يخرجون أى مسرعين ﴿كأنهم الى نصب﴾ وهو كل مانصب فعبد من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد و بفتح النون وسكون الصاد أيضا ﴿يوفضون﴾ يسرعون ﴿خاشعة أبصارهم﴾ وصفت أبصارهم بالخشوع مع أنه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها ﴿ترهقهم ذلة﴾ تغشاهم ذلة شديدة ﴿ذلك﴾ الذى ذكر ماسيقع فيه من الأحوال الهائلة ﴿اليوم الذى كانوا يوعدون﴾ فى الدنيا . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ

سورة سأل سائل أعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح عليه السلام

(مكية وآيها تسع أو ثمان وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك﴾ أى بأن أنذرهم على أن أن مصدرية حذف منها الجار وأوصل اليها الفعل فان حذفه مع أن وان مطرد وجعلت صلتها أمرا كما فى قوله تعالى وأن أقم وجهك لأن مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والانشائية و وجوب كون الصلة خبرية فى الموصول الاسمى انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهى لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفى كذلك وحيث استوى الخبر والانشاء فى الدلالة على المصدر استويا فى صحة الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبق الحدث المجرد عن معنى الأمر والنهى والمضى والاستقبال كأنه قيل أرسلناه بالانذار وقيل المعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أى أرسلناه بالأمر بالانذار ويجوز أن تكون أن مفسرة لما فى الارسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الاعراب وعلى الاول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائى كما هو المعروف وقرئ أنذر بغير أن على ارادة القول ﴿من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾ عاجل أو آجل لئلا يبقى لهم عذر ما أصلا ﴿قال﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية ارساله عليه الصلاة والسلام بالوجه المذكور كأنه قيل مافعل عليه الصلاة والسلام فقيل قال لهم ﴿ياقوم انى لكم نذير مبين﴾ منذر موضح لحقيقة الامر وقوله تعالى ﴿أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾ متعلق بنذير على الوجهين المذكورين ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ أى بعض ذنوبكم وهو ماسلف فى الجاهلية فان الاسلام يجبه ﴿ويؤخركم الى أجل مسمى﴾ هو الامد الاقصى الذى قدره الله تعالى لهم بشرط الايمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم اليه بالايمان والطاعة صريح فى أن لهم أجلا آخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى ﴿ان أجل الله﴾ أى ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر ﴿اذا جاء﴾ وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر ﴿لا يؤخر﴾ فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذى هو بقاؤكم على الكفر فلا يجئ ويتحقق شرط التأخير الى الأجل المسمى فتؤخروا اليه ويجوز أن يراد به وقت اتيان العذاب المذكور فى قوله تعالى من قبل أن يأتيهم عذاب أليم فانه أجل موقت له حتما وحمله على الاجل الأطول مما لا يساعده المقام كيف لا والجملة تعليل للأمر بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتأخير الى الاجل المسمى فلا بد أن يكون المنفى عند مجئ الاجل هو التأخير الموعود فكيف يتصور أن يكون ما فرض مجيئه هو الاجل المسمى ﴿لو كنتم تعلمون﴾ أى لو كنتم تعلمون شيئا لسارعتم الى ما أمرتكم به ﴿قال﴾ أى نوح عليه الصلاة والسلام مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو أعلم بحاله ماجرى بينه و بين قومه من القيل والقال فى تلك المدد الطوال بعد مابذل فى الدعوة غاية المجهود و جاوز فى الانذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل ﴿رب انى دعوت قومى﴾ الى الايمان والطاعة ﴿ليلا ونهارا﴾ أى دائما من غير فتور ولا توان ﴿فلم يزدهم دعائى الا فرارا﴾ مما دعوتهم اليه واسناد الزيادة الى الدعاء لسببيته لها كما فى قوله تعالى زادتهم ايمانا ﴿وانى كلما دعوتهم﴾ أى الى الايمان ﴿لتغفر لهم﴾ بسببه ﴿جعلوا أصابعهم فى آذانهم﴾ أى سدوا مسامعهم

من استماع الدعوة ﴿ واستغشوا ثيابهم ﴾ أى بالغوا فى التغطى بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر اليه أو لئلا يعرفهم فيدعوهم ﴿ وأصروا ﴾ أى أكبوا على الكفر والمعاصى مستعار من أصر الحمار على العانة اذا أصر أذنيه وأقبل عليها ﴿ واستكبروا ﴾ عن اتباعى وطاعتى ﴿ استكبارا ﴾ شديدا ﴿ ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا ﴾ أى دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار أشد من الاسرار والجمع بينهما أغلظ من الافراد أو لتراخى بعضها عن بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لانه أحد نوعى الدعاء أو أريد بدعوتهم جاهرتهم أو هو صفة لمصدر أى دعوتهم دعاء جهارا أى مجاهرا به أو مصدر فى موقع الحال أى مجاهرا ﴿ فقلت استغفروا ربكم ﴾ بالتوبة عن الكفر والمعاصى ﴿ انه كان غفارا ﴾ للتائبين كأنهم تعللوا وقالوا ان كنا على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما عكفنا عليه دهرا طويلا فأمرهم بما يمحق ما سلف منهم من المعاصى ويجلب اليهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو أوقع فى قلوبهم وأحب اليهم من الفوائد العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم أنهم ان آمنوا أن يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه ﴿ يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ أى كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة أو السحاب ﴿ ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ﴾ بساتين ﴿ ويجعل لكم ﴾ فيها ﴿ أنهارا ﴾ جارية ﴿ مالكم لا ترجون لله وقارا ﴾ انكار لأن يكون لهم سبب ما فى عدم رجائهم لله تعالى وقارا على أن الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار فى لكم على أن الانكار متوجه الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما فى قوله تعالى ومالى لا أعبد الذى فطرنى ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تأخر لكان صفة له أى أى سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة له ﴿ وقد خلقكم أطوارا ﴾ أى والحال أنكم على حال منافية لما أنتم عليه بالكلية وهى أنكم تعلمون أنه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم أغذية ثم أخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم أنشأكم خلقا آخر فان التقصير فى توقير من هذه شئونه فى القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجاء بمعنى الأمل أى مالكم لا تؤملون له تعالى توقيرا أى تعظيما لمن عبده وأطاعه ولا تكونون على حال تؤملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم فى دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار والأول هو الذى تستدعيه الجزالة التنزيلية فان اللائق بحال الكفرة استبعاد أن لا يعتقدوا وقار الله تعالى وعظمته مع مشاهدتهم لآثارها وأحكامها الموجبة للاعتقاد حتما وأما عدم رجائهم لتعظيم الله اياهم فى دار الثواب فليس فى حيز الاستبعاد والانكار مع أن فى جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف وفى قوله ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فان كونه بيانا للموقر يقتضى أن يكون التوقير صادرا عنه تعالى والوقار وصفا للمخاطبين وكونه صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفا له تعالى وقيل مالكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على أخذكم بالعقوبة أى أى عذر لكم فى ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مالكم لا تخشون لله عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك مالكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هى لغة حجازية يقولون لم أرج أى لم أبال وقوله تعالى ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ﴾ أى متطابقة بعضها فوق بعض ﴿ وجعل القمر فيهن نورا ﴾ أى منورا لوجه الأرض فى ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع أنه فى السماء الدنيا لما أنها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون فى الكل أو لأن كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى

الكل كأنها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك أن يكون ما فى واحدة منها كأنه فى الكل ﴿ وجعل الشمس سراجا ﴾ يزيل ظلمة الليل ويبصر أهل الدنيا فى ضوئها وجه الأرض ويشاهدون الآفاق كما يبصر أهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انما هو نور فى الجملة ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتا ﴾ أى أنشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لكونه أدل على الحدوث والتكون من الأرض ونباتا اما مصدر مؤكد لأنبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر أو لما يترتب عليه من فعله أى أنبتكم من الارض فنبتم نباتا ويجوز أن يكون الأصل أنبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فيحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء فى كل منهما بما ذكر فى الاخرى كما مر فى قوله تعالى أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ﴿ ثم يعيدكم فيها ﴾ بالدفن عند موتكم ﴿ ويخرجكم ﴾ منها عند البعث والحشر ﴿ اخراجا ﴾ محققا لا ريب فيه ﴿ والله جعل لكم الارض بساطا ﴾ تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم فى بيوتكم وتوسيط لكم بين الجعل ومفعوليه مع أن حقه التأخير لما مر مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن ﴿ لتسلكوا منها سبلا فجاجا ﴾ أى طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ أو بمضمر هو حال من سبلا أى كائنة من الأرض ولو تأخر لكان صفة لها ﴿ قال نوح ﴾ أعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه أى قال مناجيا له تعالى ﴿ رب انهم عصونى ﴾ أى تموا على عصيانى فيما أمرتهم به مع ما بالغت فى ارشادهم بالعظة والتذكير ﴿ واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ﴾ أى واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم أموالهم وغرتهم أولادهم وصار ذلك سبب الزيادة خسارهم فى الآخرة فصاروا أسوة لهم فى الخسار وفى وصفهم بذلك اشعار بأنهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الأموال والأولاد لا لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع فى الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون على أنه لغة كالحزن أو جمع كالأسد ﴿ ومكروا ﴾ عطف على صلة من والجمع باعتبار معناها كما أن الافراد فى الضمائر الأول باعتبار لفظها ﴿ مكرا كبارا ﴾ أى كبيرا فى الغاية وقرئ بالتخفيف والأول أبلغ منه وهو أبلغ من الكبير وذلك احتيالهم فى الدين وصدهم للناس عنه وتحريشهم لهم على أذية نوح عليه السلام ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ﴾ أى لا تتركوا عبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح ﴿ ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ أى ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الأصنام عنهم الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هى أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من أولاد آدم عليه السلام ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم وتتبركون بهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ﴿ وقد أضلوا ﴾ أى الرؤساء ﴿ كثيرا ﴾ خلقا كثيرا أو الاصنام كقوله تعالى رب انهن أضللن كثيرا من الناس ﴿ ولا تزد الظالمين الا ضلالا ﴾ عطف على قوله تعالى رب انهم عصونى على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه أى قال رب انهم عصونى وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به والمطلوب هو الضلال فى تمشية مكرهم

ومصالح دنياهم أو الضياع والهلاك كما فى قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر ويؤيده ماسيأتى من دعائه عليه الصلاة والسلام ﴿مما خطيئاتهم﴾ أى من أجل خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم يرزيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرئ مما خطاياهم ومما خطيئاتهم أى بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم ﴿أغرقوا﴾ بالطوفان لا بسبب آخر ﴿فأدخلوا نارا﴾ المراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا فى الماء عن الضحاك أنهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب أو عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لامحالة وتنكير النار اما لتعظيمها وتهويلها أو لانه تعالى أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار ﴿فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا﴾ أى لم يجد أحد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى وبأنها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم ﴿وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا﴾ عطف على نظيره السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه الصلاة والسلام للايذان من أول الأمر بأن ماأصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم التى عددها نوح عليه السلام وأشار الى استحقاقهم للاهلاك لاجلها لا أنها حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم من الاحوال والاقوال والا لأخر عن حكاية دعائه هذا وديارا من الاسماء المستعملة فى النفى العام يقال ما بالدار ديار أو ديور كقيام وقيوم أى أحد وهو فيعال من الدور أو من الدار أصله ديوار قد فعل به ما فعل بأصل سيد لافعال والا لكان دوارا ﴿انك ان تذرهم﴾ عليها كلا أو بعضا ﴿يضلوا عبادك﴾ عن طريق الحق ﴿ولايلدوا الا فاجرا كفارا﴾ أى الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه وكأنه اعتذار مما عسى يرد عليه من أن الدعاء بالاستئصال مع احتمال أن يكون من أخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن أعقابهم بعد ما جربهم واستقرأ أحوالهم قريبا من ألف سنة ﴿رب اغفرلى ولوالدى﴾ أبوه لمك بن متوشلخ وأمه شمخا بنت أنوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرئ ولولدى يريد ساما وحاما ﴿ولمن دخل بيتى﴾ أى منزلى وقيل مسجدى وقيل سفينتى ﴿مؤمنا﴾ بهذا القيد خرجت امرأته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه الصلاة والسلام بخروجه الابعد ما قيل له انه ليس من أهلك وقد مر تفصيله فى سورة هود ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ عمهم بالدعاء اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا ﴿ولاتزد الظالمين الا تبارا﴾ أى هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم أيضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم باراءة هلاك أطفالهم الذين كانوا أعز عليهم من أنفسهم قال عليه الصلاة والسلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب وقيل أعقم الله تعالى أرحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة فلم يكن معهم صبى حين غرقوا . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن

(مكية وآيها ثمان وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قل أوحى الى﴾ وقرئ أحى الى أصله وحى وقد قرئ كذلك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كاعد وأزن فى وعد ووزن ﴿أنه﴾ بالفتح لانه فاعل أوحى والضمير للشان ﴿استمع﴾ أى القرآن كما ذكر فى الاحقاف وقد

حذف لدلالة ما بعده عليه ﴿نفر من الجن﴾ النفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أو الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة عن أبدانها وفيه دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام لم يشعر بهم و باستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبره الله تعالى بذلك وقد مر مافيه من التفصيل في الاحقاف ﴿فقالوا﴾ لقومهم عند رجوعهم اليهم ﴿انا سمعنا قرآنا﴾ كتابا مقروءا ﴿عجبا﴾ بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة ﴿يهدى الى الرشد﴾ الى الحق والصواب ﴿فآمنا به﴾ أي بذلك القرآن ﴿ولن نشرك بربنا أحدا﴾ حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرة بأن في أحد عشر موضعا عطف على محل الجار والمجرور في فآمنا به كأنه قيل فصدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا أي ارتفع عظمته من جد فلان في عيني أي عظم تمكنه أو سلطانه أو غناه على أنه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغناه وقرئ بالكسر وكذا الجمل المذكورة عطفا على المحكي بعد القول وهو الأظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول وأما اندراج الجمل الآتية تحت الايمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط به خبرا وقوله تعالى ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولدا﴾ بيان لحكم تعالى جده وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر أي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه ﴿وأنه كان يقول سفيهنا﴾ أي ابليس أو مردة الجن ﴿على الله شططا﴾ أي قولا ذا شطط أي بعد عن القصد ومجاوزة للحد أو هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وتعلق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم كانوا عالمين بقول سفهائهم من قبل أيضا بل باعتبار كونه شططا كأنه قيل وصدقنا أن ما كان يقوله سفيهنا في حقه تعالى كان شططا وأما تعلقهما بقوله تعالى ﴿وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا﴾ فغير ظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم أي كنا نظن أنه لن يكذب على الله تعالى أحد أبدا ولذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول أو وصف لمصدره المحذوف أي قولا كذبا أي مكذوبا فيه وقرئ أن لن تقول بحذف احدى التاءين فكذبا مصدر مؤكد له لان الكذب هو التقول ﴿وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن﴾ كان الرجل من العرب اذا أمسى في واد قفر وخاف على نفسه يقول أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى ﴿فزادوهم﴾ أي زاد الرجال العائذون الجن ﴿رهقا﴾ أي تكبرا وعتوا أو فزاد الجن العائذين غيا بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم ﴿وأنهم ظنوا﴾ أي الانس ﴿كما ظننتم﴾ أيها الجن على أنه كلام بعضهم لبعض ﴿أن لن يبعث الله أحدا﴾ وقيل المعنى أن الجن ظنوا كما ظننتم أيها الكفرة الخ فتكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والأقرب أنهما كذلك على كل تقدير عطفا على أنه استمع اذ لا معنى لاندراجهما تحت ما ذكر من الايمان والتصديق وكذا قوله تعالى ﴿وأنا لمسنا السماء﴾ وما بعده من الجمل المصدرة بأنا ينبغي أن تكون معطوفة على ذلك على أن الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كأنه قيل قل أوحى الى كيت وكيت وهذه العبارات أي طلبنا بلوغ السماء أو خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ﴿فوجدناها ملئت حرسا﴾ أي حراسا اسم جمع كخدم مفرد اللفظ ولذلك قيل ﴿شديدا﴾ قويا وهم الملائكة يمنعونهم

عنها ﴿وشهبا﴾ جمع شهاب وهى الشعلة المقتبسة من نار الكواكب ﴿وأنا كنا نقعد﴾ قبل هذا ﴿منها﴾ من السماء ﴿مقاعد للسمع﴾ خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد أى لاجل السمع أو بمضمر هو صفة لمقاعد أى مقاعد كائنة للسمع ﴿فمن يستمع الآن﴾ فى مقعد من المقاعد ﴿يجد له شهابا رصدا﴾ أى شهابا راصدا له ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم أو ذوى شهاب راصدين له على أنه اسم مفرد فى معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبى عليه الصلاة والسلام والصحيح أنه كان قبل البعث أيضا لكنه كثر الرجم بعد البعثة وزاد زيادة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق أصلا فقالوا ما هذا الا لأمر أراده الله تعالى بأهل الارض وذلك قولهم ﴿وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض﴾ بحراسة السماء ﴿أم أراد بهم ربهم رشدا﴾ أى خيرا ونسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية كما فى قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره ﴿وأنا منا الصالحون﴾ أى الموصوفون بصلاح الحال فى شأن أنفسهم وفى معاملتهم مع غيرهم المائلون الى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة ﴿ومنا دون ذلك﴾ أى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون فى صلاح الحال على الوجه المذكور لا فى الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿كنا طرائق قددا﴾ وأما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله تعالى وأنا لما سمعنا الهدى الى قوله تعالى وأنا منا المسلمون أى كنا قبل هذا ذوى طرائق أى مذاهب أو مثل طرائق فى اختلاف الاحوال أو كانت طرائقنا طرائق قددا أى متفرقة مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع ﴿وأنا ظننا﴾ أى علمنا الآن ﴿أن لن نعجز الله﴾ أى أن الشأن لن نعجز الله كائنين ﴿فى الارض﴾ أينما كنا من أقطارها ﴿ولن نعجزه هربا﴾ هاربين منها الى السماء أو لن نعجزه فى الارض اذ أراد بنا أمرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا ﴿وأنا لما سمعنا الهدى﴾ أى القرآن الذى هو الهدى بعينه ﴿آمنا به﴾ من غير تلعثم وتردد ﴿فمن يؤمن بربه﴾ وبما أنزله ﴿فلا يخاف﴾ فهو لا يخاف ﴿بخسا﴾ أى نقصا فى الجزاء ﴿ولا رهقا﴾ ولا أن ترهقه ذلة أو جزاء بخس ولا رهق اذ لم يبخس أحدا حقا ولا رهق ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله تعالى أن يجتنب المظالم وقرىء فلا يخف والاول أدل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به ﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون﴾ الجائرون عن طريق الحق الذى هو الايمان والطاعة ﴿فمن أسلم فأولئك﴾ اشارة الى من أسلم والجمع باعتبار المعنى ﴿تحروا﴾ توخوا ﴿رشدا﴾ عظيما يبلغهم الى دار الثواب ﴿وأما القاسطون﴾ الجائرون عن سنن الاسلام ﴿فكانوا لجهنم حطبا﴾ توقد بهم كما توقد بكفرة الانس ﴿وأن لو استقاموا﴾ أن مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على أنه استمع والمعنى وأوحى الى أن الشأن لو استقام الجن والانس أو كلاهما ﴿على الطريقة﴾ التى هى ملة الاسلام ﴿لأسقيناهم ماء غدقا﴾ أى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لأنه أصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن عن الطريقة المثلى أى لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يتكبر عن السجود لآدم عليه السلام ولم يكفر وتبعه ولده فى الاسلام لأنعمنا عليهم ووسعنا رزقهم ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه أنه لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفران النعمة ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه﴾ عن عبادته أو عن موعظته أو وحيه ﴿يسلكه﴾ يدخله ﴿عذابا صعدا﴾ أى شاقا صعبا يعلو المعذب ويغلبه على أنه مصدر وصف به مبالغة ﴿وأن المساجد لله﴾ عطف على قوله تعالى أنه استمع أى وأوحى الى أن المساجد مختصة بالله تعالى وقيل معناه ولأن المساجد لله ﴿فلا تدعوا﴾

أي لاتعبدوا فيها ﴿مع الله أحداً﴾ غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد الحرام والجمع لأن كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة أو لانه قبلة المساجد وقيل الارض كلها لانها جعلت مسجدا للنبي عليه الصلاة والسلام وقيل مواضع السجود على أن المراد نهي السجود لغير الله تعالى وقيل أعضاء السجود السبعة وقيل السجدات على أنه جمع المصدر الميمي ﴿وأنه﴾ من جملة الموحى أي وأوحي الى أن الشأن ﴿لما قام عبد الله﴾ أي النبي عليه الصلاة والسلام وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضي لقيامه وعبادته وللتواضع لأنه واقع موقع كلامه عن نفسه ﴿يدعوه﴾ حال من فاعل قام أي يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما مر تفصيله في سورة الاحقاف ﴿كادوا﴾ أي الجن ﴿يكونون عليه لبدا﴾ متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء أصحابه به قياما وركوعا وسجودا لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام عليه الصلاة والسلام يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الأسد وقرئ لبدا جمع لبدة وهي بمعنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله الا أن يظهره على من ناوأه ﴿قل انما ادعو﴾ أي أعبد ﴿ربي ولا أشرك به﴾ ربي في العبادة ﴿أحدا﴾ فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب أو الاطباق على عدواتي وقرئ قال على أنه حكاية لقوله عليه الصلاة والسلام للمتراكمين عليه والاول هو الأظهر والأوفق لقوله تعالى ﴿قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا﴾ كأنه أريد لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فترك من كلا المتقابلين ما ذكر في الآخر ﴿قل اني لن يجيرني من الله أحد﴾ ان أرادني بسوء ﴿ولن أجد من دونه ملتحدا﴾ ملتجأ ومعدلا وهذا بيان لعجزه عليه الصلاة والسلام عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عليه الصلاة والسلام عن شؤون غيره وقوله تعالى ﴿الا بلاغا من الله﴾ استثناء من قوله لا أملك فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة أو من ملتحدا أي لن أجد من دونه منجا الا أن أبلغ عنه ما أرسلني به وقيل الا مركبة من ان الشرطية ولا النافية ومعناه ان لا أبلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه ﴿ورسالاته﴾ عطف على بلاغا ومن الله صفته لاصلته أي لا أملك لكم الا تبليغا كائنا منه تعالى ورسالاته التي أرسلني بها ﴿ومن يعص الله ورسوله﴾ في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه ﴿فان له نار جهنم﴾ وقرئ بفتح الهمزة على فحقه أو فجزاؤه أن له نار جهنم ﴿خالدين فيها﴾ في النار أو في جهنم والجمع باعتبار المعنى ﴿أبدا﴾ بلا نهاية وقوله تعالى ﴿حتى اذا رأوا ما يوعدون﴾ غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لأنصاره عليه الصلاة والسلام واستقلالهم لعدده كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا ما يوعدون من فنون العذاب في الآخرة ﴿فسيعلمون﴾ حينئذ ﴿من أضعف ناصراً وأقل عددا﴾ وحمل ما يوعدون على ما رأوه يوم بدر يأباه قوله تعالى ﴿قل ان أدري﴾ أي ما أدري ﴿أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا﴾ فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود انكارا له واستهزاء به فقيل قل انه كائن لامحالة وأما وقته فما أدري متى يكون ﴿علم الغيب﴾ بالرفع قيل هو بدل من ربي أو بيان له ويأباه الفاء في قوله تعالى ﴿فلا يظهر على غيبه أحداً﴾ اذ يكون النظم حينئذ أم يجعل له عالم الغيب أمدا فلا يظهر عليه أحدا وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدا محذوف أي هو عالم الغيب والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق أي فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين أحدا من خلقه ﴿الا من ارتضى من رسول﴾ أي

الا رسولا ارتضاه لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا تاما اما لكونه من مبادئ رسالته بأن يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من أركانها وأحكامها كعامة التكاليف الشرعية التى أمر بها المكلفون وكيفيات أعمالهم وأجزيتها المترتبة عليها فى الآخرة وما تتوقف هى عليه من أحوال الآخرة التى من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التى بيانها من وظائف الرسالة وأما مالا يتعلق بها على أحد الوجهين من الغيوب التى من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه أحدا أبدا على أن بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التى عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفى كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم أصلا ولا يدعى أحد لاحد من الاولياء ما فى رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحى الصريح وقوله تعالى ﴿فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾ تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته أى فانه يسلك من جميع جوانب الرسول عليه السلام عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما أظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تعالى ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وأن مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذى أريد اظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد أفراده وضمير أبلغوا اما للرصد فالمعنى أنه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم أن الشأن قد أبلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزاء وهو أن يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما فى قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية فى الحقيقة هو الابلاغ والجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنائه تعالى بأمرهما والاشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة فى الحث عليهما والتحذير عن التفريط فيهما واما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فى الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم أنه قد أبلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى أممهم كما هى من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما أبلغها الرصد اليهم كذلك وقوله تعالى ﴿وأحاط بما لديهم﴾ أى بما عند الرصد أو الرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك باضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور جئ بها لتحقيق استغنائه تعالى فى العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور أى يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه علمه تعالى بما ذكر والحال أنه تعالى قد أحاط بما لديهم من الاحوال جميعا ﴿وأحصى كل شئ﴾ مما كان وما سيكون ﴿عددا﴾ أى فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا والاصل أحصى عدد كل شئ وقيل هو حال أى معدودا محصورا أو مصدر بمعنى احصاء وأيا ما كان ففائدته بيان أن علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلى اجمالى بل على وجه جزئى تفصيلى فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما فى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها أى لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان أصل الاحصاء أن الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الأعداد كالعشرة والمائة والألف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبنى على ذلك حسابه هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى وأحاط بما لديهم الخ معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كأنه قيل قد علم ذلك وأحاط بما لديهم الخ فبمعزل من السداد . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق محمدا وكذب به عتق رقبة

سورة المزمل

(مكية وآيها تسع عشرة أو عشرون)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يا أيها المزمل ﴾ أى المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فأدغم التاء فى الزاء وقد قرئ على الاصل وقرئ المزمل من زمله مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان عليه الصلاة والسلام متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن فأمر بان يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقيل دخل عليه الصلاة والسلام على خديجة وقد جئث فرقا أول ما أتاه جبريل عليهما السلام و بوادره ترعد فقال زملونى زملونى فحسب أنه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل فقال يا أيها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما فى قوله عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه حين غاضب فاطمة رضى الله عنها فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب قم يا أبا تراب ملاطفة له واشعارا بانه غير عاتب عليه وقيل المعنى يا أيها الذى زمل أمرا عظيما هو أمر النبوة أى حمله والزمل الحمل وازدمله أى احتمله فالتعرض للوصف حينئذ للاشعار بعليته للقيام أو للامر به فان تحميله عليه الصلاة والسلام لأعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد فى العبادة ﴿ قم الليل ﴾ أى قم الى الصلاة وانتصاب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلاة ومعنى قم صل وقرئ بضم الميم و بفتحها ﴿ الا قليلا ﴾ استثناء من الليل وقوله تعالى ﴿ نصفه ﴾ بدل من الليل الباقى بعد الثنيا بدل الكل أى قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام فى أكثره فى كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر ﴿ أو انقص منه ﴾ أى انقص القيام من النصف المقارن له فى الصورة الاولى ﴿ قليلا ﴾ أى نقصا قليلا أو مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف النصف ﴿ أو زد عليه ﴾ أى زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى تخييره عليه الصلاة والسلام بين أن يقوم نصفه أو أقل منه أو أكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد أما أولا فلان الحقيق بالاعتناء الذى ينبئ عنه الابدال هو الجزء الباقى بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج العارى عنه وأما ثانيا فلان نقص القيام و زيادته انما يعتبران بالقياس الى معياره الذى هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام و زيادته بالقياس الى ماهو عار عنه بالكلية والاعتذار بتساوى النصفين مع كونه تمحلا ظاهرا اعتراف بأن الحق هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف والضمير فى منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البتات و بين أن يختار أحد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضميران للاقل من النصف كأنه قيل قم أقل من نصفه أو قم أنقص من ذلك الأقل أو أزيد منه قليلا وقيل وقيل والذى يليق بجزالة التنزيل هو الاول والله أعلم بما فى كتابه الجليل ﴿ ورتل القرآن ﴾ فى أثناء ما ذكر من القيام أى اقرأه على تؤدة وتبيين حروف ﴿ ترتيلا ﴾ بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل و رتل اذا كان مفلجا ﴿ انا سنلقى عليك ﴾ أى سنوحى اليك وايثار الالقاء عليه لقوله تعالى ﴿ قولا ثقيلا ﴾ وهو القرآن العظيم المنطوى على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لاسيما على الرسول عليه الصلاة والسلام فانه عليه الصلاة والسلام مأمور بتحملها وتحميلها للأمة والجملة اعتراض بين الأمر

وتعليله لتسهيل ما كلفه عليه الصلاة والسلام من القيام وقيل معنى كونه ثقيلا أنه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه أو ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر أو ثقيل فى الميزان أو على الكفار والفجار أو ثقيل تلقيه عن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا نزل عليه الوحى ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضى الله تعالى عنها رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا ﴿ان ناشئة الليل﴾ أى ان النفس التى تنشأ من مضجعها الى العبادة أى تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض أو ان قيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ كالعافية أو ان العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث أو ان ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة أو ساعاتها الاول من نشأ اذا ابتدأ ﴿هى أشد وطأ﴾ أى هى خاصة أشد ثبات قدم أو كلفة فلابد من الاعتناء بالقيام وقرىء وطاء أى أشد مواطأة يواطىء قلبها لسانها ان أريد بها النفس أو يواطىء فيها قلب القائم لسانه أن أريد بها القيام أو العبادة أو الساعات أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص ﴿وأقوم قيلا﴾ وأسد مقالا وأثبت قراءة لحضور القلب وهدو الأصوات ﴿ان لك فى النهار سبحا طويلا﴾ أى تقلبا وتصرفا فى مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع أن تتفرغ للعبادة فعليك بها فى الليل وهذا بيان للداعى الخارجى الى قيام الليل بعد بيان مافى نفسه من الداعى وقرىء سبخا أى تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه ﴿واذكر اسم ربك﴾ ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على أى وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم ﴿وتبتل اليه﴾ أى وانقطع اليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة فى مراقبته وحيث لم يكن ذلك الا بتجريد نفسه عليه الصلاة والسلام عن العوائق الصادة عن مراقبة الله تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل ﴿تبتيلا﴾ مكان تبتلا مع مافيه من رعاية الفواصل ﴿رب المشرق والمغرب﴾ مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره ﴿لا اله الا هو﴾ وقرىء بالجر على أنه بدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو والفاء فى قوله تعالى ﴿فاتخذه وكيلا﴾ لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به تعالى ﴿واصبر على مايقولون﴾ مما لا خير فيه من الخرافات ﴿واهجرهم هجرا جميلا﴾ بأن تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل أمورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿وذرنى والمكذبين﴾ أى دعنى واياهم وكل أمرهم الى فانى أكفيكهم ﴿أولى النعمة﴾ أرباب التنعم وهم صناديد قريش ﴿ومهلهم قليلا﴾ زمانا قليلا ﴿ان لدينا أنكالا﴾ جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر أى أن لدينا أمورا مضادة لتنعمهم ﴿وجحيما وطعاما ذا غصة﴾ ينشب فى الحلوق ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم ﴿وعذابا أليما﴾ ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تعالى ﴿يوم ترجف الارض والجبال﴾ أى تضطرب وتتزلزل ظرف للاستقرار الذى تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا أى عذابا واقعا يوم ترجف ﴿وكانت الجبال﴾ مع صلابتها وارتفاعها ﴿كثيبا﴾ رملا مجتمعا من كثب الشىء اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول ﴿مهيلا﴾ منثورا من هيل هيلا اذا نثر وأسيل ﴿انا أرسلنا اليكم﴾ ياأهل مكة ﴿رسولا شاهدا عليكم﴾ يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان ﴿كما أرسلنا الى فرعون رسولا﴾ هو موسى عليه السلام وعدم تعيينه لعدم دخله فى التشبيه ﴿فعصى فرعون الرسول﴾ الذى أرسلناه اليه ومحل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر محذوف أى انا أرسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى ﴿فأخذناه أخذا وبيلا﴾ خارج من التشبيه جىء به للتنبيه على أنه سيحيق بهؤلاء ماحاق بأولئك لامحالة والوبيل الثقيل الغليظ من قولهم كلأ وبيل أى وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة ﴿فكيف تتقون﴾ أى كيف تقون أنفسكم ﴿ان كفرتم﴾

أى بقيتم على الكفر ﴿ يوما ﴾ أى عذاب يوم ﴿ يجعل الولدان ﴾ من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهى ﴿ شيبا ﴾ شيوخا جمع أشيب اما حقيقة أو تمثيلا وأصله أن الهموم والأحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه وأسرع فيه الشيب وقد جوز أن يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك ﴿ السماء منفطر ﴾ أى منشق وقرئ متفطر أى متشقق والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر أى شئ منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على أنه تبدلت حقيقتها و زال عنها اسمها و رسمها و لم يبق منها الا مايعبر عنه بالشئ وقيل لتأويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسب أى ذات انفطار والباء فى قوله تعالى ﴿ به ﴾ مثلها فى فطرت العود بالقدوم ﴿ كان وعده مفعولا ﴾ الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الى فاعله أو لليوم وهو مضاف الى مفعوله ﴿ ان هذه ﴾ اشارة الى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة ﴿ تذكرة ﴾ موعظة ﴿ فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ﴾ بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته ﴿ ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ﴾ أى أقل منهما استعير له الأدنى لما أن المسافة بين الشيئين اذا دنت قل مابينهما من الاحياز ﴿ ونصفه وثلثه ﴾ بالنصب عطفا على أدنى وقرئا بالجر عطفا على ثلثى الليل ﴿ وطائفة من الذين معك ﴾ أى و يقوم معك طائفة من أصحابك ﴿ والله يقدر الليل والنهار ﴾ وحده لا يقدر على تقديرهما أحد أصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ و بناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿ علم أن لن تحصوه ﴾ أى علم أن الشأن لن تقدروا على تقدير الأوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات أبدا ﴿ فتاب عليكم ﴾ بالترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم فى تركه ﴿ فاقرؤا ماتيسر من القرآن ﴾ فصلوا ماتيسر لكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر أركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هى قراءة القرآن بعينها قالوا من قرأ مائة آية من القرآن فى ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية ﴿ علم أن سيكون منكم مرضى ﴾ استئناف مبين لحكمة أخرى داعية الى الترخيص والتخفيف ﴿ وآخرون يضربون فى الأرض ﴾ يسافرون فيها للتجارة يبتغون من فضل الله ﴾ وهو الربح وقد عمم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم ﴿ وآخرون يقاتلون فى سبيل الله ﴾ واذا كان الأمر كما ذكر وتعاضدت الدواعى الى الترخيص ﴿ فاقرؤا ماتيسر منه ﴾ من غير تحمل المشاق ﴿ وأقيموا الصلوة ﴾ أى المفروضة ﴿ وآتوا الزكوة ﴾ الواجبة وقيل هى زكاة الفطر اذ لم يكن بمكة زكاة ومن فسرها بالزكاة المفروضة جعل آخر السورة مدنيا ﴿ وأقرضوا الله قرضا حسنا ﴾ أريد به الانفاقات فى سبل الخيرات أو أداء الزكاة على أحسن الوجوه وأنفعها للفقراء ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير ﴾ أى خير كان مما ذكر ومالم يذكر ﴿ تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا ﴾ من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيرا ثانى مفعولى تجدوا وهو تأكيد أو فصل وان لم يقع بين معرفتين فان أفعل من فى حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر ﴿ واستغفروا الله ﴾ فى كافة أحوالكم فان الانسان قلما يخلو من تفريط ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

سورة المدثر

(مكية وآيها ست وخمسون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ياأيها المدثر﴾ أى المتدثر وهو لابس الدثار وهو مايلبس فوق الشعار الذى يلى الجسد قيل هى أول سورة نزلت . روى عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كنت على جبل حراء فنوديت يامحمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى ويسارى فلم أرشيأ فنظرت فوقى فاذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فنزل جبريل وقال ياأيها المدثر وعن الزهرى أن أول مانزل سورة اقرأ الى قوله تعالى مالم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فأتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبي الله فرجع الى خديجة فقال دثرونى وصبوا على ماء باردا فنزل جبريل فقال ياأيها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فأمر أن لايدع انذارهم وان أسمعوه وآذوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره أى الذى دثر هذا الأمر العظيم وعصب به وفى حرف أبى المتدثر ياأيها المتدثر على الأصل ﴿قم﴾ أى من مضجعك أوقم قيام عزم وتصميم ﴿فأنذر﴾ أى افعل الانذار وأحدثه وقيل أنذر قومك كقوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين أو جميع الناس حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴿وربك فكبر﴾ واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا ويروى أنه لما نزل قال رسول الله الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحى وقد يحمل على تكبير الصلاة والفاء لمعنى الشرط كأنه قيل ما كان أى أى شئ حدث فلاتدع تكبيره أو للدلالة على أن المقصود الأولى من الأمر بالقيام أن يكبر ربه وينزهه من الشرك فان أول ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه ﴿وثيابك فطهر﴾ مما ليس بطاهر فانه واجب فى الصلاة وأولى وأحب فى غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها وبتقصيرها أيضا فان طولها يؤدى الى جر الذيول على القاذورات وهو أول ماأمر به عليه الصلاة والسلام من رفض العادات المذمومة وقيل هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الأفعال ويستهجن من الأحوال يقال فلان طاهر الذيل والأردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الأخلاق ﴿والرجز فاهجر﴾ أى واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدى اليه من المآثم وقرئ بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر ﴿ولاتمنن تستكثر﴾ ولاتعط مستكثرا أى رائيا لما تعطيه كثيرا أوطالبا للكثير على أنه نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيأ وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر مما أعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهى اما للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى اختار له أشرف الأخلاق وأحسن الآداب أو للتنزيه للكل وقرئ تستكثر بالسكون اعتبارا بحال الوقف أو ابدالا من تمنن كأنه قيل ولا تمنن ولا تستكثر على أنه من المن الذى فى قوله تعالى منا ولا أذى لأن من يمن بما يعطى يستكثره ويعتد به وقرئ بالنصب باضمار أن مع ابقاء عملها كقول من قال ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى وقد قرئ باثباتها ويجوز فى قراءة الرفع أن يحذف أن ويبطل عملها كما يروى أحضر الوغى بالرفع ﴿ولربك﴾ أى لوجهه تعالى أو لأمره ﴿فاصبر﴾ فاستعمل الصبر وقيل على أذية المشركين وقيل على أداء الفرائض ﴿فاذا نقر فى الناقور﴾ أى نفخ فى الصور وهو فاعل من

النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الذى هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قيل اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل فى اذا مادل عليه قوله تعالى ﴿ فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين ﴾ فان معناه عسر الأمر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى الهول والفظاعة ومحله الرفع على الابتداء ويومئذ بدل منه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر اذ التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير أو حال من المستكن فيه وقوله تعالى ﴿ غير يسير ﴾ تأكيد لعسره عليهم مشعر بيسره على المؤمنين واختلف فى أن المراد به يوم النفخة الأولى أو الثانية والحق أنها الثانية اذ هى التى يختص عسرها بالكافرين وأما النفخة الأولى فحكمها الذى هو الاصعاق يعم البر والفاجر على أنها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء فى الأخبار أن فى الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وأنها تجمع فى تلك الثقوب فى النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذى نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى ﴿ ذرنى ومن خلقت وحيدا ﴾ حال اما من الياء أى ذرنى وحدى معه فانى أكفيكه فى الانتقام منه أو من التاء أى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد أو من العائد المحذوف أى ومن خلقته وحيدا فريدا لامال له ولا ولد وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يلقب فى قومه بالوحيد فهو تهكم به وبلقبه وصرف له عن الغرض الذى يؤمونه من مدحه الى جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد أو وحيدا من أبيه لأنه كان زنيما كما مر أو وحيدا فى الشرارة ﴿ وجعلت له مالا ممدودا ﴾ مبسوطا كثيرا أو ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بالطائف بستان لاينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كان له ألف دينار وقال قتادة ستة آلاف دينار وقال سفيان الثورى أربعة آلاف دينار وقال الثورى أيضا ألف ألف دينار ﴿ وبنين شهودا ﴾ حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لايفارقونه للتصرف فى عمل أو تجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم أو حضورا فى الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص والقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة ﴿ ومهدت له تمهيدا ﴾ وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش ﴿ ثم يطمع أن أزيد ﴾ على ما أوتيه وهو استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه اما لانه لامزيد على ما أوتى سعة وكثرة أو لانه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لى ﴿ كلا ﴾ ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب وقوله تعالى ﴿ انه كان لآياتنا عنيدا ﴾ تعليل لذلك على وجه الاستئناف التحقيق فان معاندة آيات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما أوتى ما أوتى استدراجا قيل مازال بعد نزول هذه الآية فى نقصان من ماله حتى هلك ﴿ سأرهقه صعودا ﴾ سأغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة أو الجنة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذى لايطاق وعن النبى صلى الله عليه وسلم يكلف أن يصعد عقبة فى النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا ﴿ انه فكر وقدر ﴾ تعليل للوعيد واستحقاقه له أو بيان لعناده لآياته تعالى أى فكر ماذا يقول فى شأن القرآن وقدر فى نفسه مايقوله ﴿ فقتل كيف قدر ﴾ تعجيب من تقديره واصابته فيه الغرض الذى كان ينتحيه قريش قاتلهم الله أو ثناء عليه بطريق الاستهزاء

به أو حكاية لما كرر ومن قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم و باعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما أشجعه أو أخزاه الله ما أشعره الاشعار بأنه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقيا بأن يدعو عليه حاسده بذلك . روى أن الوليد قال لبنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس و لا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو ومايعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال ابن أخيه أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ماهو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله و ولده ومواليه وما الذى يقوله الا سحر يأثره عن أهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ تكرير للمبالغة وثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الاولى وفيما بعد على أصلها من التراخى الزمانى ﴿ثم نظر﴾ أى فى القرآن مرة بعد مرة ﴿ثم عبس﴾ قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا و لم يدر ماذا يقول وقيل نظر فى وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قطب فى وجهه ﴿و بسر﴾ اتباع لعبس ﴿ثم أدبر﴾ عن الحق أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿واستكبر﴾ عن اتباعه ﴿فقال ان هذا الا سحر يؤثر﴾ أى يروى و يتعلم والفاء للدلالة على أن هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غير تلعثم وتلبث وقوله تعالى ﴿ان هذا الا قول البشر﴾ تأكيد لما قبله ولذلك أخلى عن العاطف ﴿سأصليه سقر﴾ بدل من سأرهقه صعودا ﴿وما أدراك ماسقر﴾ أى أى شىء أعلمك ماسقر على أن ما الاولى مبتدأ وأدراك خبره وما الثانية خبر لانها المفيدة لما قصد افادته من التهويل والتفظيع وسقر مبتدأ أى أى شىء هى فى وصفها لما مر مرارا من أن ماقد يطلب بها الوصف وان كان الغالب أن يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى ﴿لاتبقى و لاتذر﴾ بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمنى الذى يلوح به وما أدراك ماسقر وقيل حال من سقر وليس بذاك أى لاتبقى شيأ يلقى فيها الا أهلكته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد أو لاتبقى على شىء و لاتدعه من الهلاك بل كل مايطرح فيها هالك لامحالة ﴿لواحة للبشر﴾ مغيرة لأعالى الجلد مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين وقرىء لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل ﴿عليها تسعة عشر﴾ أى ملكا أوصنفا أوصفا أونقيبا من الملائكة يلون أمرها و يتسلطون على أهلها وقرىء بسكون عين عشر حذرا من توالى الحركات فيما هو فى حكم اسم واحد وقرىء تسعة أعشر جمع عشير مثل يمين وأيمن ﴿وما جعلنا أصحاب النار﴾ أى المدبرين لأمرها القائمين بتعذيب أهلها ﴿الا ملائكة﴾ ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم و لايستروحوا اليهم و لأنهم أقوى الخلق وأقومهم بحق الله عز وجل و بالغضب له تعالى وأشدهم بأسا عن النبى صلى الله عليه وسلم لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمى بهم فى النار و يرمى بالجبل عليهم و روى أنه لما نزل عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الاشد بن أسيد بن كلدة الجمحى وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفونى أنتم اثنين فنزلت أى ماجعلناهم رجالا من جنسكم ﴿وماجعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا﴾ أى ماجعلنا عددهم الا العدد الذى تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالأثر عن المؤثر تنبيها على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين فى نفس الأمر بل جعله فى القرآن أيضا كذلك وهو الحكم بأن عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق افتتانهم

باستقلالهم له واستبعادهم لتولى هذا العدد القليل لتعذيب أكثر الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ماسياتى
من استيقان أهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا قالوا المخصص لهذا العدد أن اختلاف النفوس البشرية فى النظر
والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعية السبع أو أن جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفرة
كل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل أنواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك أو صنف أو صف
يتولاه و واحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه و يتولاه واحد أو أن الساعات أربع وعشرون
خمسة منها مصروفة للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف الى مايؤاخذ به بأنواع العذاب يتولاها الزبانية
﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ متعلق بالجعل على المعنى المذكور أى ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه الصلاة
والسلام وصدق القرآن لما شاهدوا مافيه موافقا لما فى كتابهم ﴿ويزداد الذين آمنوا ايمانا﴾ أى يزداد ايمانهم
كيفية بما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك أو كمية بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما أنزل
﴿ولا يرتاب أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان ونفى لما قد يعترى
المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المؤمنون فى سلك أهل الكتاب فى نفى الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه
على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من أهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما
يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث
للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده و رسوخهم فى ذلك ﴿وليقول الذين فى قلوبهم مرض﴾ شك أو نفاق
فيكون اخبارا بما سيكون فى المدينة بعد الهجرة ﴿والكافرون﴾ المصرون على التكذيب ﴿ماذا أراد الله
بهذا مثلا﴾ أى أى شىء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا أنه مثل مضروب
وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله فى الشناعة ﴿كذلك يضل الله من يشاء﴾
ذلك اشارة الى ماقبله من معنى الاضلال والهداية ومحل الكاف فى الأصل النصب على أنها صفة لمصدر محذوف
وأصل التقدير يضل الله من يشاء ﴿ويهدى من يشاء﴾ اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية
فحذف المصدر وأقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل الله
من يشاء اضلاله لصرف اختياره الى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق ويهدى من يشاء هدايته
لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الآيات الى جانب الهدى لا اضلالا وهداية أدنى منهما ﴿ومايعلم جنود ربك﴾
أى جموع خلقه التى من جملتها الملائكة المذكورون ﴿الا هو﴾ اذلاسبيل لأحد الى حصر الممكنات والوقوف على
حقائقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل أحوالها من كم وكيف ونسبة ﴿وماهى﴾ أى سقر أو عدة
خزنتها أو الآيات الناطقة بأحوالها ﴿الا ذكرى للبشر﴾ الا تذكرة لهم ﴿كلا﴾ ردع لمن أنكرها أو انكار ونفى لأن
يكون لهم تذكر ﴿والقمر والليل اذ أدبر﴾ وقرىء اذا دبر بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل ومنه قولهم صاروا كأمس الدابر
وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه ﴿والصبح اذا أسفر﴾ أى أضاء وانكشف ﴿انها لاحدى الكبر﴾ جواب
للقسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتائها فكما جمعت فعلة على
فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع فى جمع القاصعاء كأنها جمع قاصعة أى لاحدى البلايا أو لاحدى الدواهى الكبر
على معنى أن البلايا الكبر أو الدواهى الكبر كثيرة وهذه واحدة فى العظم لانظيرة لها ﴿نذيرا للبشر﴾ تميز أى لاحدى
الكبر انذارا أو حال مما دلت عليه الجملة أى كبرت منذرة وقرىء نذير بالرفع على أنه خبر بعد خبر لان أو لمبتدا محذوف

﴿لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ بدل من للبشر أى نذيرا لمن شاء منكم أن يسبق الى الخير فيهديه الله تعالى أو لم يشأ ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر وأن يتقدم أو يتأخر مبتدأ فيكون فى معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم لاصفة والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لايدخله التاء ﴿الا أصحاب اليمين﴾ فانهم فاكون رقابهم باحسنوا من أعمالهم كما يفك الراهن رهنه بأداء الدين وقيل هم الملائكة وقيل الأطفال وقيل هم الذين سبقت لهم من الله تعالى الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين آدم عليه السلام يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بأيمانهم ﴿فى جنات﴾ لايكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر لمبتدا محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من استثناء أصحاب اليمين كأنه قيل ما بالهم فقيل هم فى جنات وقيل حال من أصحاب اليمين وقيل من ضميرهم فى قوله تعالى ﴿يتساءلون﴾ وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد بتساؤلهم أن يسأل بعضهم بعضا على أن يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤلا معا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم فان صيغة التفاعل وان وضعت فى الأصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما فى قولك ترامى القوم أى رأى كل واحد منهم الآخر لكنها قد تجرد عن المعنى الثانى ويقصد بها الدلالة على الأول فقط فيذكر للفعل حينئذ مفعول كما فى قولك تراءوا الهلال فمعنى يتساءلون ﴿عن المجرمين﴾ يسألونهم عن أحوالهم وقد حذف المسؤل لكونه عين المسؤل عنه وقوله تعالى ﴿ما سلككم فى سقر﴾ مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون أى يسألونهم قائلين أى شئ أدخلكم فيها فتأمل ودع عنك ماتكلف فيه المتكلفون ﴿قالوا﴾ أى المجرمون مجيبين للسائلين ﴿لم نك من المصلين﴾ للصلوات الواجبة ﴿ولم نك نطعم المسكين﴾ على معنى استمرار نفى الاطعام لاعلى نفى استمرار الاطعام كما مر مرارا وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة ﴿وكنا نخوض مع الخائضين﴾ أى نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه ﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾ أى بيوم الجزاء أضافوه الى الجزاء مع أن فيه من الدواهى والاهوال مالاغاية له لانه أدهاها وأهولها وأنهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهى وتأخير جنايتهم هذه مع كونها أعظم من الكل لتفخيمها كأنهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبما نطق به قولهم ﴿حتى أتانا اليقين﴾ أى الموت ومقدماته ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ لو شفعوا لهم جميعا والفاء فى قوله تعالى ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ لترتيب انكار اعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير فى الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به أى فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فأى شئ حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتآخذ الدواعى الى الايمان به وقوله تعالى ﴿كأنهم حمر مستنفرة﴾ حال من المستكن فى معرضين بطريق التداخل أى مشبهين بحمر نافرة ﴿فرت من قسورة﴾ أى من أسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وقيل هى جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا فى اعراضهم عن القرآن واستماع مافيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت فى نفارها مما أفزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم مالا يخفى وقوله تعالى ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة﴾ عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا

تقرؤه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون ﴿ كلا ﴾ ردع لهم عن تلك الجراءة ﴿ بل لا يخافون الآخرة ﴾ فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف ﴿ كلا ﴾ ردع عن اعراضهم ﴿ انه ﴾ أى القرآن ﴿ تذكرة ﴾ وأى تذكرة ﴿ فمن شاء ﴾ أن يذكره ﴿ ذكره ﴾ وحاز بسببه سعادة الدارين ﴿ وما يذكرون ﴾ بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا تأثير لمشيئة العبد وارادته فى أفعاله وقوله تعالى ﴿ الا أن يشاء الله ﴾ استثناء مفرغ من أعم العلل أو من أعم الأحوال أى وما يذكرون بعلة من العلل أو فى حال من الأحوال الا بأن يشاء الله أو حال أن يشاء الله ذلك وهو تصريح بأن أفعال العباد بمشيئة الله عز وجل وقرئ تذكرون على الخطاب التفاتا وقرئ بهما مشددا ﴿ هو أهل التقوى ﴾ أى حقيق بأن يتقى عقابه و يؤمن به و يطاع ﴿ وأهل المغفرة ﴾ حقيق بأن يغفر لمن آمن به وأطاعه . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به بمكة

سورة القيامة

(مكية وآيها تسع وثلاثون)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ ادخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم قالوا انها صلة مثلها فى قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب وقيل هى للنفى لكن لا لنفى نفس الاقسام بل لنفى ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى لا أقسم بكذا لا أعظمه باقسامى به حق اعظامه فانه حقيق بأكثر من ذلك وأكثر وأما ما قيل من أن المعنى نفى الاقسام لوضوح الأمر فقد عرفت ما فيه فى قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفى ورد لكلام معهود قبل القسم كأنهم أنكروا البعث فقيل لا أى ليس الأمر كذلك ثم قيل أقسم بيوم القيامة كقولك لا والله ان البعث حق وأيا ما كان فى الاقسام على تحقق البعث بيوم القيامة من الجزالة ما لا مزيد عليه وقد مر تفصيله فى سورة يس وسورة الزخرف ﴿ ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ أى بالنفس المتقية التى تلوم النفوس يومئذ على تقصيرهن فى التقوى ففيه طرف من البراعة التى فى القسم السابق أو بالنفس التى لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت فى الطاعات أو بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الأمارة وقيل بالجنس لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم أزدد وان عملت شرا قالت ليتنى كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر من اللوم لا يكون مدارا للاعظام بالاقسام وان صدر عن النفس المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل بنفس آدم عليه السلام فانها لا تزال تتلوم على فعلها الذى خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى ﴿ أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ﴾ وهو ليبعثن والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وأن مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف أى أيحسب أن الشأن لن نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تشتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها فى أقطار الأرض والقتها فى البحار وقيل ان عدى بن أبى ربيعة ختن الأخنس بن شريق وهما اللذان كان النبى عليه الصلاة والسلام يقول فيهما اللهم اكفنى جارى السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثنى عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك أو يجمع الله هذه العظام ﴿ بلى ﴾ أى نجمعها حال كوننا ﴿ قادرين على أن نسوى بنانه ﴾ أى

بجمع سلامياته وتضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام أو على أن نسوى أصابعه التى هى أطرافه و آخر مايتم به خلقه وقرئ قادرون ﴿بل يريد الانسان ليفجر أمامه﴾ عطف على أيحسب اما على أنه استفهام مثله أضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا أو على أنه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام أى بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لايرعوى عنه ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾ أى متى يكون استبعادا أو استهزاء ﴿فاذا برق البصر﴾ أى تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ بفتح الراء وهى لغة أو من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق أى انفتح وانفرج ﴿وخسف القمر﴾ أى ذهب ضوؤه وقرئ على البناء للمفعول ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ بأن يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل جمعا فى ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران فى النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف ﴿يقول الانسان يومئذ﴾ أى يوم اذ تقع هذه الامور ﴿أين المفر﴾ أى الفرار يأسا منه وقرئ بالكسر أى موضع الفرار وقد جوز أن يكون هو أيضا مصدرا كالمرجع ﴿كلا﴾ ردع من طلب المفر وتمنيه ﴿لاوزر﴾ لاملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ماالتجأت اليه وتخلصت به فهو وزرك ﴿الى ربك يومئذ المستقر﴾ أى اليه وحده استقرار العباد أو الى حكمه استقرار أمرهم أو الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ﴿ينبأ الانسان يومئذ﴾ أى يخبر كل امرئ برا كان أو فاجرا عند وزن الاعمال ﴿بما قدم﴾ أى عمل من عمل خيرا كان أو شرا فيثاب بالأول و يعاقب بالثانى ﴿وأخر﴾ أى لم يعمل خيرا كان أو شرا فيعاقب بالاول و يثاب بالثانى أو بما قدم من حسنة أو سيئة و بما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده أو بما قدم من مال تصدق به فى حياته و بما أخر خلفه أو وقفه أو أوصى به أو بأول عمله و آخره ﴿بل الانسان على نفسه بصيرة﴾ أى حجة بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما سيأتى من الجملة الحالية ووصفت بالبصارة مجازا كما وصفت الآيات بالابصار فى قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أو عين بصيرة أو التاء للمبالغة ومعنى بل الترقى أى ينبأ الانسان بأعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل أحواله شاهد على نفسه لأن جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ أى ولو جاء بكل معذرة يمكن أن يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن فى بصيرة أو من مرفوع ينبأ أى هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة أو ينبأ بأعماله ولو اعتذر الخ والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر أى ولو أرخى ستوره . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحى نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر الى أن يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من أن ينفلت منه فأمر عليه الصلاة والسلام بأن يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضى اليه الوحى ثم يقفيه بالدراسة الى أن يرسخ فيه فقيل ﴿لاتحرك به﴾ أى بالقرآن ﴿لسانك﴾ عند القاء الوحى ﴿لتعجل به﴾ أى لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك ﴿ان علينا جمعه﴾ فى صدرك بحيث لايذهب عليك شئ من معانيه ﴿وقرآنه﴾ أى اثبات قراءته فى لسانك ﴿فاذا قرأناه﴾ أى أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة فى ايجاب التأنى ﴿فاتبع قرآنه﴾ فكن مقفيا له ولا تراسله ﴿ثم ان علينا بيانه﴾ أى بيان ما أشكل عليك من معانيه وأحكامه ﴿كلا﴾ ردع له عليه الصلاة والسلام عن عادة العجلة وترغيب له فى الأناة وأكد ذلك بقوله تعالى ﴿بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة﴾ على تعميم الخطاب للكل أى بل أنتم يابنى آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون فى كل شئ ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل كلا ردع للانسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير فى

الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ أى وجوه كثيرة وهى وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيامة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم على أن وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة فى قوله تعالى ﴿الى ربها ناظرة﴾ خبر ثان للمبتدا أو نعت لناضرة والى ربها متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لان المقام مقام تفصيل لاعلى أن ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من أن حق الصفة أن تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقه أن يخبر به ومعنى كونها ناظرة الى ربها أنها تراه تعالى مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وليس هذا فى جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بأن الانتظار لايسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وأن المستعمل بمعناه لايعدى بالى ﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾ شديدة العبوس وهى وجوه الكفرة ﴿تظن﴾ بتوقع أربابها ﴿أن يفعل بها فاقرة﴾ داهية عظيمة تقصم فقار الظهر ﴿كلا﴾ ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة أى ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين أيديكم من الموت الذى ينقطع عنده مابينكم وبين العاجلة من العلاقة ﴿اذا بلغت التراقى﴾ أى بلغت النفس أعالى الصدر وهى العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ﴿وقيل من راق﴾ أى قال من حضر صاحبها من يرقيه وينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب من الرقى ﴿وظن أنه الفراق﴾ وأيقن المحتضر أن مانزل به الفراق من الدنيا ونعيمها ﴿والتفت الساق بالساق﴾ والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند حلول الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الآخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان فى أكفانه ﴿الى ربك يومئذ المساق﴾ أى الى الله والى حكمه يساق لاالى غيره ﴿فلا صدق﴾ مايجب تصديقه من الرسول عليه الصلاة والسلام والقرآن الذى نزل عليه أو فلا صدق ماله ولا زكاه ﴿ولا صلى﴾ مافرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور فى قوله تعالى أيحسب الانسان وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة كما مر ﴿ولكن كذب﴾ ماذكر من الرسول والقرآن ﴿وتولى﴾ عن الطاعة ﴿ثم ذهب الى أهله يتمطى﴾ يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون أصله يتمطط أو من المطا وهو الظهر فانه يلويه ﴿أولى لك فأولى﴾ أى ويل لك وأصله أولاك الله ماتكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم أو أولى لك الهلاك وقيل هو أفعل من الويل بعد القلب كأدنى من دون أو فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ﴿ثم أولى لك فأولى﴾ أى يتكرر عليه ذلك مرة بعد أخرى ﴿أيحسب الانسان أن يترك سدى﴾ أى يخلى مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل أن يترك فى قبره ولا يبعث وقوله تعالى ﴿ألم يك نطفة من منى يمنى﴾ الخ استئناف وارد لابطال الحسبان المذكور فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق ﴿ثم كان علقة﴾ أى بقدرة الله تعالى لقوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة ﴿فخلق﴾ أى فقدر بأن جعلها مضغة مخلقة ﴿فسوى﴾ فعدل وكمل نشأته ﴿فجعل منه﴾ من الانسان ﴿الزوجين﴾ أى الصنفين ﴿الذكر والانثى﴾ بدل من الزوجين ﴿أليس ذلك﴾ العظيم الشأن الذى أنشأ هذا الانشاء البديع ﴿بقادر على أن يحيي الموتى﴾ وهو أهون من البدء فى قياس العقل. روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنا يوم القيامة

سورة الانسان

(مكية وآيها احدى وثلاثون)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ هل أتى ﴾ استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل أهل أتى ﴿ على الانسان ﴾ قبل زمان قريب ﴿ حين من الدهر ﴾ أى طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد ﴿ لم يكن شيأ مذكورا ﴾ بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية أصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان أى غير مذكور أو صفة أخرى لحين على حذف العائد الى الموصوف أى لم يكن فيه شيئاً مذكورا والمراد بالانسان الجنس فالاظهار فى قوله تعالى ﴿ انا خلقنا الانسان من نطفة ﴾ لزيادة التقرير أو آدم عليه السلام وهو المروى عن ابن عباس وقتادة والثورى وعكرمة والشعبي قال ابن عباس فى رواية أبى صالح عنه مرت به أربعون سنة قبل أن ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفى رواية الضحاك عنه أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون فأقام أربعين سنة ثم من صلصال فأقام أربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذى لا يعرف مقداره فيكون الأول اشارة الى خلقه عليه الصلاة والسلام وهذا بيانا لخلق بنيه ﴿ أمشاج ﴾ أخلاط جمع مشج أو مشيج من مشجت الشىء اذا خلطته وصف النطفة به لما أن المراد بها مجموع الماءين ولكل منهما أوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة فان ماء الرجل أبيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة أصفر رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبي وقد روى هذا مرفوعا وقيل مفرد كأعشار وأكياش وقيل أمشاج ألوان وأطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى ﴿ نبتليه ﴾ حال من فاعل خلقنا أى مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سيأتى أو ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما نصرفه فى بطن أمه نطفة ثم علقة الى آخره ﴿ فجعلناه سميعا بصيرا ﴾ ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب عن الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله تعالى ﴿ انا هديناه السبيل ﴾ بانزال الآيات ونصب الدلائل ﴿ اما شاكرا واما كفورا ﴾ حالان من مفعول هدينا أى مكناه وأقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية فى حالتيه جميعا واما للتفصيل أو التقسيم أى هديناه الى ما يوصل اليها فى حاليه جميعا أو مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والأخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه وقيل من السبيل أى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا أو كفورا على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا وقرىء أما بالفتح على حذف الجواب أى أما شاكرا فبتوفيقنا وأما كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبارنا من غير اختيار من قبله وايراد الكفور لمراعاة الفواصل والاشعار بأن الانسان قلما يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط ﴿ انا أعتدنا للكافرين ﴾ من أفراد الانسان الذى هديناه السبيل ﴿ سلاسل ﴾ بها يقادون ﴿ وأغلالا ﴾ بها يقيدون ﴿ وسعيرا ﴾ بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخرهم للجمع بينهما فى الذكر كما فى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم الآية ولأن الانذار أهم وأنفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن على أن فى وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم وقرىء سلاسلا

للتناسب ﴿ان الأبرار﴾ شروع فى بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والأبرار جمع بر أو بار كرب وأرباب وشاهد وأشهاد قيل هو من يبر خالقه أى يطيعه وقيل من يمتثل بأمره تعالى وقيل من يؤدى حق الله تعالى و يوفى بالنذر وعن الحسن البر من لا يؤذى الذر ﴿يشربون من كأس﴾ هى الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر أيضا فمن على الأول ابتدائية وعلى الثانى تبعيضية أو بيانية ﴿كان مزاجها﴾ أى ماتمزج به ﴿كافورا﴾ أى ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كأس وقوله تعالى ﴿عينا﴾ بدل من كافورا وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور فعينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير مضاف أى يشربون خمرا خمر عين أو نصب على الاختصاص وقوله تعالى ﴿يشرب بها عباد الله﴾ صفة عينا أى يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من وقيل زائدة و يعضده قراءة ابن أبى عبلة يشربها عباد الله وقيل الضمير للكأس والمعنى يشربون العين بتلك الكأس ﴿يفجرونها تفجيرا﴾ أى يجرونها حيثما شاءوا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل يجرى جريا بقوة واندفاع والجملة صفة أخرى لعينا وقوله تعالى ﴿يوفون بالنذر﴾ استئناف مسوق لبيان ما لأجله رزقوا ماذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الأبرار اجمالا كأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما أوجبوه على أنفسهم فكيف بما أوجبه الله تعالى عليهم ﴿ويخافون يوما كان شره﴾ عذابه ﴿مستطيرا﴾ فاشيا منتشرا فى الأقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ أى كائنين على حب الطعام والحاجة اليه كما فى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون أو على حب الاطعام بأن يكون ذلك بطيب النفس أو كائنين على حب الله تعالى أو اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الأنسب لما سيأتى من قوله تعالى لوجه الله ﴿مسكينا ويتيما وأسيرا﴾ أى أسير فانه كان عليه الصلاة والسلام يؤتى بالأسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول أحسن اليه أو أسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم أسيرا فقال غريمك أسيرك فأحسن الى أسيرك ﴿انما نطعمكم لوجه الله﴾ على ارادة قول هو فى موقع الحال من فاعل يطعمون أى قائلين ذلك بلسان الحال أو بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة المنقصة للأجر وعن الصديقة رضى الله تعالى عنها أنها كانت تبعث بالصدقة الى أهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى ﴿لا نريد منكم جزاء ولا شكورا﴾ أى شكرا وهو تقرير وتأكيد لما قبله ﴿انا نخاف من ربنا يوما﴾ أى عذاب يوم ﴿عبوسا﴾ يعبس فيه الوجوه أو يشبه الأسد العبوس فى الشدة والضراوة ﴿قمطريرا﴾ شديد العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء أن يقينا ربنا بذلك شره وقيل هو تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكور أى انا نخاف عقاب الله تعالى ان أردناهما ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾ بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ﴿ولقاهم نضرة وسرورا﴾ أى أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة فى الوجوه وسرورا فى القلوب ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ بصبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس فى اجتناب المحرمات وايثار الأموال ﴿جنة﴾ بستانا يأكلون منه ما شاءوا ﴿وحريرا﴾ يلبسونه و يتزينون به وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما مرضا فعادهما النبى صلى الله عليه وسلم فى ناس معه فقالوا لعلى رضى الله عنه لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة رضى الله تعالى عنهما

وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا ومامعهم شيء فاستقرض على رضى الله عنه من شمعون الخيبرى ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة رضى الله تعالى عنها صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعمونى أطعمكم الله تعالى من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم فى الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ على بيد الحسن والحسين رضى الله عنهم فأقبلوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه الصلاة والسلام ما أشد ما يسوؤنى ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله تعالى فى أهل بيتك فأقرأه السورة ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ حال من هم فى جزاهم والعامل فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والأرائك هى السرر فى الحجال وقوله تعالى ﴿لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا﴾ اما حال ثانية من الضمير أو المستكن فى متكئين والمعنى أنه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر فى لغة طيء والمعنى أن هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر ﴿ودانية عليهم ظلالها﴾ عطف على ما قبلها حال مثلها أو صفة لمحذوف معطوف على جنة أى وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين كما فى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرىء دانية بالرفع على أنه خبر لظلالها والجملة فى حيز الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال أن ظلالها دانية قالوا معناه أن ظلال أشجار الجنة قريبة من الأبرار مظلة عليهم زيادة فى نعيمهم على معنى أنه لو كان هناك شمس مؤذية لكانت أشجارها مظلة عليهم مع أنه لا شمس ثمة ولا قمر ﴿وذللت قطوفها تذليلا﴾ أى سخرت ثمارها لمتناولها وسهل أخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية أى تدنو ظلالها عليهم مذللة لهم قطوفها أو معطوفة على دانية أى دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وعلى تقدير رفع دانية فهى جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب﴾ الكوب الكوز العظيم الذى لا أذن له ولا عروة ﴿كانت قواريرا قوارير من فضة﴾ أى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة صفة الأكواب وقرىء بتنوين قوارير الثانى أيضا وقرئا بغير تنوين وقرىء الثانى بالرفع على هى قوارير ﴿قدروها تقديرا﴾ صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها فى أنفسهم وأرادوا أن تكون على مقادير وأشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها أو قدروها بأعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها على قدر اشتهائهم وقرىء قدروها على البناء للمفعول أى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشيء ﴿ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا﴾ أى ما يشبه الزنجبيل فى الطعم وكان الشراب الممزوج به أطيب ما تستطيبه العرب وألذ ما تستلذ به ﴿عينا﴾ بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه أو يخلق الله تعالى طعمه فيها فعينا حينئذ بدل من كأسا كأنه قيل ويسقون فيها كأسا كأس عين أو نصب على الاختصاص ﴿فيها تسمى سلسبيلا﴾ لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان أنها فى طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه بل نقيض اللذع هو السلاسة ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ أى دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء ﴿اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا﴾ لحسنهم وصفاء ألوانهم واشراق وجوههم وانبثاثهم فى مجالسهم ومنازلهم وانعكاس أشعة بعضهم الى بعض ﴿واذا رأيت ثم﴾ ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوى بل معناه أن بصرك أينما وقع فى الجنة

﴿رأيت نعيما وملكا كبيرا﴾ أى هنيئا واسعا وفى الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل لا زوال له وقيل اذا أرادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة و يستأذنون عليهم ﴿عاليهم ثياب سندس خضر﴾ قيل عاليهم ظرف على أنه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة صفة أخرى لولدان كأنه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ وقيل حال من ضمير عليهم أو حسبتهم أى يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الخ أو حسبتهم لؤلؤا منثورا عاليا لهم ثياب الخ وقرئ عاليهم بالرفع على أنه مبتدأ خبره ثياب أى ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس ﴿و إستبرق﴾ بالرفع عطفا على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثانى وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على أنه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى أساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلى أهل الجنة يختلف حسب اختلاف أعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم حليا وأنوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة أو حال من ضمير عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز أن يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين ﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾ هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين و وصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن دنس الميل الى الملاذ الحسية والركون الى ماسوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهى الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار ﴿ان هذا﴾ على اضمار القول أى يقال لهم ان هذا الذى ذكر من فنون الكرامات ﴿كان لكم جزاء﴾ بمقابلة أعمالكم الحسنة ﴿وكان سعيكم مشكورا﴾ مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب ﴿انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا﴾ أى مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ بتأخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة ﴿ولا تطع منهم آثما أو كفورا﴾ أى كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه وأو للدلالة على أنهما سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار مايدعونه اليه فان ترتب النهى على الوصفين مشعر بعليتهما له فلابد أن يكون النهى عن الاطاعة فى الاثم والكفر فيما ليس باثم ولا كفر وقيل الآثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غاليا فى الكفر شديد الشكيمة فى العتو ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا﴾ وداوم على ذكره فى جميع الاوقات أودم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل ينتظمهما ﴿ومن الليل فاسجد له﴾ وبعض الليل فصل له ولعله صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما فى صلاة الليل من مزيد كلفة وخلوص ﴿وسبحه ليلا طويلا﴾ وتهجد له قطعا من الليل طويلا ﴿ان هؤلاء﴾ الكفرة ﴿يحبون العاجلة﴾ و ينهمكون فى لذاتها الفانية ﴿ويذرون وراءهم﴾ أى أمامهم لا يستعدون أو ينبذون وراء ظهورهم ﴿يوما ثقيلا﴾ لا يعبأون به و وصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شئ فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه ﴿نحن خلقناهم﴾ لا غيرنا ﴿وشددنا أسرهم﴾ أى أحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب ﴿واذا شئنا بدلنا أمثالهم﴾ بعد اهلاكهم ﴿تبديلا﴾ بديعا لا ريب فيه هو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا أو بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم واذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية ﴿ان هذه تذكرة﴾ اشارة الى السورة أو الآيات القريبة ﴿فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا﴾ أى فمن شاء أن يتخذ اليه تعالى سبيلا أى وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه أى تقرب اليه بالعمل بما فى تضاعيفها وقوله تعالى ﴿وما تشاؤن الا أن يشاء الله﴾ تحقيق للحق ببيان أن مجرد مشيئتهم

غير كافية فى اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية أى وما تشاؤن اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله فى وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لادخل لمشيئة العبد الا فى الكسب وانما التأثير والخلق لمشيئة الله عز وجل وقرئ يشاؤن بالياء وقرئ الا ما يشاء الله وقوله تعالى ﴿ان الله عليما حكيما﴾ بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على أساس العلم والحكمة والمعنى أنه تعالى مبالغ فى العلم والحكمة فيعلم مايستأهله كل أحد فلا يشاء لهم الا مايستدعيه علمه وتقتضيه حكمته وقوله تعالى ﴿يدخل من يشاء فى رحمته﴾ بيان لأحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته أى يدخل فى رحمته من يشاء أن يدخله فيها وهو الذى يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدى الى دخول الجنة من الايمان والطاعة ﴿والظالمين﴾ وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ماذكر ﴿أعد لهم عذابا اليما﴾ أى متناهيا فى الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ماقبله منصوب أى يدخل من يشاء فى رحمته ويعذب الظالمين ويكون أعد لهم تفسيرا لهذا المضمر وقرئ بالرفع على الابتداء. عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله تعالى جنة وحريرا

سورة والمرسلات

(مكية وآيها خمسون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا﴾ اقسام من الله عز وجل بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن فى مضيهن عصف الرياح مسارعة فى الامتثال بالامر وبطوائف أخرى نشرن أجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى أو نشرن الشرائع فى الأقطار أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا الى الانبياء ﴿عذرا﴾ للمحقين ﴿أو نذرا﴾ للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الالقاء للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها أو للاشعار بأن كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن ولو جىء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم أن مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق أو اقسام برياح عذاب أرسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله تعالى ويجعله كسفا أو بسحائب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن سائر الاصناف بالشكل واللون وسائر الخواص أو فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فألقين ذكرا اما عذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لآثار رحمته تعالى فى الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يكفرونها وينسبونها الى الأنواء واسناد القاء الذكر اليهن لكونهن سببا فى حصوله اذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت أو اقسام بآيات القرآن المرسلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى من مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فألقين ذكر الحق فى أكناف العالمين والعرف اما نقيض النكر وانتصابه على العلة أى أرسلنا للاحسان والمعروف فان ارسال ملائكة العذاب معروف للانبياء عليهم السلام والمؤمنين أو بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن أنذر اذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكرا أو على العلية وقرئا بالتثقيل ﴿ان ما توعدون لواقع﴾ جواب للقسم أى ان الذى توعدونه من مجىء القيامة كائن لامحالة ﴿فاذا النجوم طمست﴾ محيت ومحقت أوذهب

بنورها ﴿وإذا السماء فرجت﴾ صدعت وفتحت فكانت أبوابا ﴿وإذا الجبال نسفت﴾ جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل أخذت من مقارها بسرعة من انتسفت الشيء اذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة ﴿وإذا الرسل أقتت﴾ أي عين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذ لا يتعين لهم قبله أو بلغوا الميقات الذي كانوا ينتظرونه وقرئ وقتت على الأصل وبالتخفيف فيهما ﴿لأي يوم أجلت﴾ مقدر بقول هو جواب لاذا في قوله تعالى وإذا الرسل أقتت أو حال من مرفوع أقتت أي يقال لأي يوم أخرت الامور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله وقوله تعالى ﴿ليوم الفصل﴾ بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق ﴿وما أدراك ما يوم الفصل﴾ ما مبتدأ أدراك خبره أي أي شيء جعلك داريا ما هو فوضع موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على أن ما خبر ويوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لأن محط الفائدة بيان كون يوم الفصل أمرا بديعا هائلا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون أمر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ أي في ذلك اليوم الهائل وويل في الأصل مصدر منصوب ساد مسد فعله لكن عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ ظرفه أو صفته ﴿ألم نهلك الاولين﴾ كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرئ نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى أهلكه ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ بالرفع على ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرائهم السالكين لمسلكهم في الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم سنتبعهم وقرئ نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك فيكون المراد بالآخرين المتأخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الفعل الفظيع ﴿نفعل بالمجرمين﴾ أي سنتنا جارية على ذلك ﴿ويل يومئذ﴾ أي يوم اذ أهلكناهم ﴿للمكذبين﴾ بآيات الله تعالى وأنبيائه وليس فيه تكرير لما أن الويل الأول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا ﴿ألم نخلقكم﴾ أي ألم نقدركم ﴿من ماء مهين﴾ أي من نطفة قذرة مهينة ﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ هو الرحم ﴿الى قدر معلوم﴾ الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر ﴿فقدرنا﴾ أي فقدرناه وقد قرئ مشددا أو فقدرنا على ذلك على أن المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل ﴿فنعم القادرون﴾ أي نحن ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ بقدرتنا على ذلك أو على الاعادة ﴿ألم نجعل الارض كفاتا﴾ الكفات اسم ما يكفت أي يضم ويجمع من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع أي ألم نجعلها كفاتا تكفت ﴿أحياء﴾ كثيرة على ظهرها ﴿وأمواتا﴾ غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام أو كفت وهو الوعاء أجرى على الارض باعتبار بقاعها وقيل تنكير أحياء وأمواتا لأن أحياء الانس وأمواتهم بعض الأحياء والأموات وقيل انتصابهما على الحالية من محذوف أي كفاتا تكفتكم أحياء وأمواتا ﴿وجعلنا فيها رواسي﴾ أي جبالا ثوابت ﴿شامخات﴾ طوالا شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كداجن ودواجن وأشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم أو للاشعار بأن فيها ما لم يعرف ﴿وأسقيناكم ماء فراتا﴾ بأن خلقنا فيها أنهارا ومنابع ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ بأمثال هذه النعم العظيمة ﴿انطلقوا﴾ أي يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع انطلقوا ﴿الى ما كنتم به تكذبون﴾ في الدنيا من العذاب ﴿انطلقوا﴾ خصوصا ﴿الى ظل﴾ أي ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الأمر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم اليه طوعا أو كرها ﴿ذي ثلاث شعب﴾ يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق

ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق و يتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من
حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش قيل خصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم
أو لأن المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة فى الدماغ والقوة الغضبية السبعية التى عن يمين القلب والقوة
الشهوية البهيمية التى عن يساره و لذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره ﴿ لا ظليل ﴾
تهكم بهم أو رد لما أوهمه لفظ الظل ﴿ و لا يغنى من اللهب ﴾ أى غير مغن لهم من حر اللهب شيأ ﴿ انها ترمى بشرر كالقصر ﴾
أى كل شررة كالقصر من القصور فى عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمر وجمرة وقرئ كالقصر
بفتحتين وهى أعناق الابل أو أعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرئ
كالقصر جمع قصرة ﴿ كأنه جمالة ﴾ قيل هو جمع جمل والتاء لتأنيث الجمع يقال جمل وجمال وجمالة وقيل اسم جمع
كالحجارة ﴿ صفر ﴾ فان الشرار لما فيه من النارية يكون أصفر وقيل سود لأن سواد الابل يضرب الى الصفرة
والاول تشبيه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقرئ جمالات جمع جمال أو جمالة
وقرئ جمالات جمع جمالة وقد قرئ بها وهى الحبال العظام من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه فى امتداده
والتفافه ﴿ ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ﴾ اشارة الى وقت دخولهم النار أى هذا يوم لا ينطقون فيه بشئ
لما أن السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك و يوم القيامة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون فى وقت دون
وقت فعبر عن كل وقت بيوم أو لا ينطقون بشئ ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرئ بنصب اليوم أى هذا الذى فصل
واقع يوم لا ينطقون ﴿ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ عطف على يؤذن منتظم فى سلك النفى أى لا يكون لهم اذن واعتذار
متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب ﴿ ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل ﴾ بين الحق
والباطل والمحق والمبطل ﴿ جمعناكم ﴾ خطاب لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ والأولين ﴾ من الامم وهذا تقرير
وبيان للفصل ﴿ فان كان لكم كيد فكيدون ﴾ فان جميع من كنتم تقلدونهم وتقتدون بهم حاضرون وهذا تقريع لهم
على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا واظهار لعجزهم ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ حيث ظهر أن لا حيلة لهم فى الخلاص من العذاب
﴿ ان المتقين ﴾ من الكفر والتكذيب ﴿ فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون ﴾ أى مستقرون فى فنون الترفه وأنواع
التنعم ﴿ كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ﴾ مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين فى الخبر أى مقولا لهم كلوا
واشربوا هنيئا بما كنتم تعملونه فى الدنيا من الأعمال الصالحة ﴿ انا كذلك ﴾ الجزاء العظيم ﴿ نجزى المحسنين ﴾
أى فى عقائدهم وأعمالهم لا جزاء أدنى منه ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ حيث نال اعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا
فى العذاب المخلد الوبيل ﴿ كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ﴾ مقدر بقول هو حال من المكذبين أى الويل ثابت
لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا و بما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع الفانى عن قريب على النعيم الخالد وعلل
ذلك باجرامهم دلالة على أن كل مجرم ماله هذا وقيل هو كلام مستأنف خوطب به المكذبون فى الدنيا بعد بيان مآل
حالهم وقرر ذلك بقوله تعالى ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ لزيادة التوبيخ والتقريع ﴿ واذا قيل لهم اركعوا ﴾ أى أطيعوا
الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة ﴿ لا يركعون ﴾ لا يخشعون
ولا يقبلون ذلك و يصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل اذا أمروا بالصلاة أو بالركوع لا يفعلون اذ روى أنه
نزل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبى فانها مسبة علينا فقال عليه الصلاة والسلام لا خير
فى دين ليس فيه ركوع و لا سجود وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون ﴿ ويل يومئذ

المكذبين﴾ وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة ﴿فبأى حديث بعده﴾ أى بعد القرآن الناطق بأحاديث الدارين وأخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة و براهين ساطعة ﴿يؤمنون﴾ اذالم يؤمنوا به وقرئ تؤمنون على الخطاب . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

سورة النبأ

(مكية وآيها أربعون أو احدى وأربعون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿عم﴾ أصله عما فحذف منه الالف اما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها أو قصدا للخفة لكثرة استعمالها وقد قرئ على الاصل وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شأن المسؤل عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة أى عن أى شئ عظيم الشأن ﴿يتساءلون﴾ أى أهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذى هو حال من أحواله و وصف من أوصافه فان ما وان وضعت لطلب حقائق الاشياء ومسميات أسمائها كما فى قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم أو طبيب وقيل كانوا يسألون عنه الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم أى يدعونهم وتحقيقه أن صيغة التفاعل فى الأفعال المتعدية موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد و وقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنه يرفع باسناد الفعل اليه ترجيحا لجانب فاعليته و يحال بمفعوليته على دلالة العقل كما فى قولك ترامى القوم أى رأى كل واحد منهم الآخر وقد تجرد عن المعنى الثانى فيراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعددا كما فى المثال المذكور أو واحدا كما فى قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما فيما نحن فيه فالمعنى عن أى شئ يسأل هؤلاء القوم الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين و ربما تجرد عن صدور الفعل عن المتعدد أيضا فيراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما فى قوله تعالى فبأى آلاء ربك تتمارى وقوله تعالى ﴿عن النبأ العظيم﴾ بيان لشأن المسؤل عنه اثر تفخيمه بابهام أمره وتوجيه أذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فان ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على أنه لانقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليق بأن يعتنى بمعرفته ويسأل عنه كأنه قيل عن أى شئ يتساءلون هل أخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه أن يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو الحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل هى متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمر مفسر به وأيد ذلك بأنه قرئ عمه والأظهر أنه مبنى على اجراء الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاولى للتعليل كأنه قيل لم يتساءلون عن النبأ العظيم وقيل قبل عن الثانية استفهام مضمر كأنه قيل عم يتساءلون أعن النبأ العظيم والنبأ الخبر الذى له شأن وخطر وقد وصف بقوله تعالى ﴿الذى هم فيه مختلفون﴾ بعد وصفه بالعظيم تأكيدا لخطره اثر تأكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به و رعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات أى هم راسخون فى الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول ان هى الا حياتنا الدنيا نموت

ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك يقول ماندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسمانى فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف فى كيفية الانكار فمنهم من ينكره لانكاره الصانع المختار ومنهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفى والاثبات بناء على تعميم التساؤل لفريقى المسلمين والكافرين على أن سؤال الاولين ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال الآخرين ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله تعالى ﴿كلا سيعلمون﴾ الخ فانه صريح فى أن المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له اذ عليه يدور الردع والوعيد لا على خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما ينبغى تنزيه التنزيل عن أمثاله هذا ما أدى اليه جليل النظر والذى يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق أن يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبى عليه الصلاة والسلام بأن يعتبر فى الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر فى التساؤل فان الافتعال والتفاعل صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق والانتصال والتناضل الى غير ذلك يجرى فى كل منهما مايجرى فى الاخرى لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لأن الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذ لاحقية فى شئ منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه الصلاة والسلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما فى قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت الى قوله تعالى ليبين لهم الذى يختلفون فيه الآية فان ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهى والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه فى معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى ﴿ثم كلا سيعلمون﴾ تكرير للردع والوعيد للمبالغة فى التأكيد والتشديد وثم للدلالة على أن الوعيد الثانى أبلغ وأشد وقيل الاول عند النزع والثانى فى القيامة وقيل الاول للبعث والثانى للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم مالايخفى وقوله تعالى ﴿ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا﴾ الخ استئناف مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر مانبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن ههنا اتضح أن المتساءل عنه هو البعث لا القرآن أو نبوة النبي عليه الصلاة والسلام كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة فى الالزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبى وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال أوتادا لها ارساؤها بها كما يرسى البيت بالاوتاد ﴿وخلقناكم﴾ عطف على المضارع المنفى بلم داخل فى حكمه فانه فى قوة أما جعلنا الخ أو على مايقتضيه الانكار التقريرى فانه فى قوة أن يقال قد جعلنا الخ ﴿أزواجا﴾ أصنافا ذكرا وأنثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم أمر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل ﴿وجعلنا نومكم سباتا﴾ أى موتا لانه أحد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة فى انقطاع أحكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها وقيل قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه ﴿وجعلنا الليل﴾ الذى فيه يقع النوم غالبا ﴿لباسا﴾ يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد بهما يستتر به عند

النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به أكمل واعتباره فى تحقيق المقصد أدخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذى جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحياة فى قوله تعالى ﴿وجعلنا النهار معاشا﴾ أى وقت حياة تبعثون فيه من نومكم الذى هو أخو الموت كما فى قوله تعالى وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيون لمن أراد هربا من عدو أو بياتا له أو نحو ذلك مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب فى تحصيل المعايش والحوائج ﴿وبنينا فوقكم سبعا شدادا﴾ أى سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبناء مبنى على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه التقديم اذا أخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن ﴿وجعلنا سراجا وهاجا﴾ هذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق خلا أنه مختص بالانشاء التكوينى وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما فى الآية الكريمة وللتشريعى أيضا كما فى قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الخ وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وأياما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشئ آخر بان يكون فيه أوله أو منه أو نحو ذلك ملابسة مصححة لأن يتوسط بينهما شئ من الظروف لغوا كان أو مستقرا لكن لا على أن يكون عمدة فى الكلام بل قيدا فيه كما فى قوله تعالى وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسى وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة وأياما كان فهو قيد فى الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما فى قوله تعالى يجعلون أصابعهم فى آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن أنه عمدة فيه وهو فى الحقيقة قيد بأحد الوجهين كما سلف فى قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة والوهاج الوقاد المتلألئ من وهجت النار اذا أضاءت أو البالغ فى الحرارة من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء ﴿وأنزلنا من المعصرات﴾ هى السحائب اذا أعصرت أى شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كما فى أحصد الزرع اذا حان له أن يحصد ومنه أعصرت الجارية اذا دنت أن تحيض او الرياح التى حان لها أن تعصر السحاب وقرئ بالمعصرات ووجه ذلك أن الانزال حيث كان من المعصرات سواء أريد بها السحائب أو الرياح فقد كان بها كما يقال أعطاه من يده وبيده وقد فسرت المعصرات بالرياح ذوات الاعاصير ووجهه أن الرياح هى التى تنشئ السحاب وتدر أخلافه فصلحت أن تجعل مبتدأ للانزال ﴿ماء ثجاجا﴾ أى منصبا بكثرة يقال ثج الماء أى سال بكثرة وثجه أى أساله ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أفضل الحج العج والثج أى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وقرئ ثجاجا بالحاء بعد الجيم قالوا مثاجح الماء مصابه ﴿لنخرج به﴾ بذلك الماء ﴿حبا﴾ يقتات كالحنطة والشعير ونحوهما ﴿ونباتا﴾ يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تأخره عن النبات فى الاخراج لأصالته وشرفه لأن غالبه غذاء الانسان ﴿وجنات﴾ الجنة فى الاصل هى المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير بن أبى سلمى

كأن عينى فى غربى مقتلة ... من النواضح تسقى جنة سحقا

وعلى الأرض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والاول هو المراد وقوله تعالى ﴿ألفافا﴾ أى ملتفة تداخل بعضها فى بعض قالوا لا واحد له كالأوزاع والأخياف وقيل الواحد لف ككن وأكنان أو لفيف كشريف وأشراف وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء وقيل جمع ملتفة بحذف الزوائد واعلم أن

فيما ذكر من أفعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة الأول باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة أقدر وأقوى الثانى باعتبار علمه وحكمته فان من أبدع هذه المصنوعات على نمط رائع مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة الى الخلق يستحيل أن يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم أنموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الأرض الميتة يعاينونه كل حين كأنه قيل ألم نفعل هذه الأفعال الآفاقية والأنفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون عنه استهزاء وقوله تعالى ﴿ان يوم الفصل كان ميقاتا﴾ شروع فى بيان سر تأخير مايتساءلون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفيته وقرعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد اجمالا أى ان يوم فصل الله عز وجل بين الخلائق كان فى علمه وتقديره ميقاتا وميعادا لبعث الاولين والآخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر وقيل حدا توقت به الدنيا وتنتهى عنده أو حدا للخلائق ينتهون اليه ولا ريب فى أنهما بمعزل من التقريب الذى أشير اليه على أن الدنيا تنتهى عند النفخة الاولى وقوله تعالى ﴿يوم ينفخ فى الصور﴾ أى نفخة ثانية بدل من يوم الفصل أو عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير فى تأخر الفصل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع فى مبدئه النفخة وفى بقيته الفصل ومباديه وآثاره والصور هو القرن الذى ينفخ فيه أسرافيل عليه السلام. عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فيؤمر به فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها فى الحياة غير من شاء الله وذلك قوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم يؤمر بأخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون والفاء فى قوله تعالى ﴿فتأتون﴾ فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فتبعثون من قبوركم فتأتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث أصلا ﴿أفواجا﴾ أى أمما كل أمة مع امامها كما فى قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم أو زمرا وجماعات مختلفة الاحوال متباينة الأوضاع حسب اختلاف أعمالهم وتباينها. عن معاذ رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام يامعاذ سألت عن أمر عظيم من الامور ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة أصناف من أمتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمى فالذين يجورون فى الحكم وأما الصم البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء الذين خالفت أقوالهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى فى أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء ﴿وفتحت السماء﴾

عطف على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقرئ فتحت بالتشديد وهو الأنسب بقوله تعالى ﴿ فكانت أبوابا ﴾ أي كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد حتى صارت كأنها ليست الا أبوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كأن كلها عيون متفجرة وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله أي أمره وبأسه في ظلل من الغمام والملائكة وقيل الابواب الطرق والمسالك أي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شئ ﴿ وسيرت الجبال ﴾ أي في الجو على هيآتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب أي تراها رأى العين ساكنة في أماكنها والحال أنها تمر مر السحاب الذي يسيره الرياح سيرا حثيثا وذلك أن الأجرام العظام اذا تحركت نحوا من الأنحاء لا تكاد يتبين حركتها وان كانت في غاية السرعة لاسيما من بعيد وعليه قول من قال

بارعن مثل الطود تحسب أنهم   وقوف لحاج والركاب تهملج

وقد أدمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله تعالى الارض ويغير هيآتها ويسير الجبال على تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها في الهواء وذلك قوله تعالى ﴿ فكانت سرابا ﴾ أي فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا أي غبارا منتشرا وهي وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الأرض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية ﴿ ان جهنم كانت مرصادا ﴾ شروع في تفصيل أحكام الفصل الذي أضيف اليه اليوم اثر بيان هوله وجه تقديم بيان حال الكفار غنى عن البيان والمرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه كالمضمار الذي هو اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه أي انها كانت في حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها ﴿ للطاغين ﴾ متعلق بمضمر هو اما نعت لمرصادا أي كائنا للطاغين وقوله تعالى ﴿ مآبا ﴾ بدل منه أي مرجعا يرجعون اليه لا محالة واما حال من مآبا قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له وقد جوز أن يتعلق بنفس مآبا على أنها مرصاد للفريقين مآب للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فان المتبادر من كونها مرصادا لطائفة كونهم معذبين بها وقد قيل انها مرصاد لأهل الجنة يرصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازهم عليها وهي مآب للطاغين وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى أنها جدة في ترصد الكفار لئلا يشذ منهم أحد وقرئ أن بالفتح على تعليل قيام الساعة بأنها مرصاد للطاغين ﴿ لابثين فيها ﴾ حال مقدرة من المستكن في للطاغين وقرئ لبثين وقوله تعالى ﴿ أحقابا ﴾ ظرف للبثهم أي دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر الى غير نهاية فان الحقب لايكاد يستعمل الا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها فليس فيه ما يدل على تناهي تلك الاحقاب ولو أريد بالحقب ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة وقوله تعالى ﴿ لايذوقون فيها بردا ولاشرابا الا حميما وغساقا ﴾ جملة مبتدأة أخبر عنهم بأنهم لايذوقون فيها شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وقرئ غساقا بالتخفيف وكلاهما مايسيل من صديدهم ﴿ جزاء ﴾ أي جوزوا

بذلك جزاء ﴿وفاقا﴾ ذا وفاق لأعمالهم أو نفس الوفاق مبالغة أو وافقها وفاقا وقرئ وفاقا على أنه فعال من وفقه كذا أى لاقه ﴿انهم كانوا لايرجون حسابا﴾ تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور أى كانوا لايخافون أن يحاسبوا بأعمالهم ﴿وكذبوا بآياتنا﴾ الناطقة بذلك ﴿كذابا﴾ أى تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصى وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب قال

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه

وانتصابه اما بفعله المدلول عليه بكذبوا أى وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا واما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فان كل من يكذب بالحق فهو كاذب وقرئ كذابا وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية أى كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ فى الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا أى تكذيبا كذابا مفرطا كذبه ﴿وكل شئ﴾ من الاشياء التى من جملتها أعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره ﴿أحصيناه﴾ أى حفظناه وضبطناه وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿كتابا﴾ مصدر مؤكد لأحصيناه لما أن الاحصاء والكتبة من واد واحد أو لفعله المقدر أو حال بمعنى مكتوبا فى اللوح أو فى صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى ﴿فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا﴾ مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفى الالتفات المنبئ عن التشديد فى التهديد وايراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل مالايدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب مالايخفى وقد روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أن هذه الآية أشد مافى القرآن على أهل النار ﴿ان للمتقين مفازا﴾ شروع فى بيان محاسن أحوال المؤمنين اثر بيان سوء أحوال الكفرة أى ان للذين يتقون الكفر وسائر قبائح أعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم أو موضع فوز وقيل نجاة مما فيه أولئك أو موضع نجاة وقوله تعالى ﴿حدائق وأعنابا﴾ أى بساتين فيها أنواع الاشجار المثمرة وكروما بدل من مفازا ﴿وكواعب﴾ أى نساء فلكت ثديهن وهن النواهد ﴿أترابا﴾ أى لدات ﴿وكأسا دهاقا﴾ أى مترعة يقال أدهق الحوض أى ملأه ﴿لايسمعون فيها﴾ أى فى الجنة وقيل فى الكأس ﴿لغوا ولا كذابا﴾ أى لاينطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ كذابا بالتخفيف أى لايكذبه أو لايكاذبه ﴿جزاء من ربك﴾ مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه فى قوة أن يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيأ فشيأ مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام مزيد تشريف له صلى الله عليه وسلم ﴿عطاء﴾ أى تفضلا واحسانا منه تعالى اذ لايجب عليه شئ وهو بدل من جزاء ﴿حسابا﴾ صفة لعطاء بمعنى كافيا على أنه مصدر أقيم مقام الوصف أو بولغ فيه من أحسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبى وقيل على حسب أعمالهم وقرئ حسابا بالتشديد على أنه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك ﴿رب السموات والارض ومابينهما﴾ بدل من ربك وقوله تعالى ﴿الرحمن﴾ صفته وقيل صفة للاول وأيا ما كان ففى ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى ﴿لايملكون منه خطابا﴾ استئناف مقرر لما أفاده الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير ان يكون لأحد قدرة عليه وقرئ برفعهما فقيل على أنهما خبران لمبتدا مضمر وقيل الثانى نعت للاول وقيل الاول مبتدأ والثانى خبره ولا يملكون خبر آخر أو هو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لايملكون حال لازمة وقيل الاول مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتدا بمعناه على رأى من يقول به والأوجه أن يكون كلاهما مرفوعا على المدح أو يكون الثانى نعتا للاول ولايملكون استئنافا على حاله ففيه ماذكر من الاشعار بمدار الجزاء

والعطاء كما في البداية لما أن المرفوع أو المنصوب بدحا تابع لما قبله معنى وان كان منقطعا عنه اعرابا كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرئ بجر الاول على البدلية و رفع الثاني على الابتداء والخبر مابعده أو على أنه خبر لمبتدا مضمر ومابعده استئناف أو خبر ثان أو حال وضمير لايملكون لاهل السموات والارض أى لايملكون أن يخاطبوه تعالى من تلقاء أنفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك خطابا ما في شئ ما والمراد نفي قدرتهم على أن يخاطبوه تعالى بشئ من نقص العذاب أو زيادة الثواب من غير اذنه على أبلغ وجه وآكده وقيل ليس في أيديهم مما يخاطب الله به ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا﴾ قيل الروح خلق أعظم من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ماخلق الله عز وجل بعد العرش خلقا أعظم منه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه اذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفا والملائكة كلهم صفا وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤس وأيد وأرجل يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول أبي صالح ومجاهد قالوا ماينزل من السماء ملك الاومعه واحد منهم نقله البغوي وقيل هم أشراف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة وقيل جبريل عليه السلام وصفا حال أى مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد أو متعدد والملائكة صف وقيل صفوف وهو الأوفق لقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا واحدا ويوم ظرف لقوله تعالى ﴿لايتكلمون﴾ وقوله تعالى ﴿الا من أذن له الرحمن وقال صوابا﴾ بدل من ضمير لايتكلمون العائد الى أهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة الى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لايملكون الخ ومؤكد له على معنى أن أهل السموات والارض اذا لم يقدروا يومئذ على أن يتكلموا بشئ من جنس الكلام الا من أذن الله تعالى له منهم في التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا أى حقا فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه أخص من مطلق الكلام وأعز منه مراما لا على معنى أن الروح والملائكة مع كونهم أفضل الخلائق وأقربهم من الله تعالى اذا لم يقدروا أن يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فانه مؤسس على قاعدة الاعتزال فمن سلكه مع تجويزه أن يكون يوم ظرفا للا يملكون فقد اشتبه عليه الشئون واختلط به الظنون وقيل الا من أذن الخ منصوب على أصل الاستثناء والمعنى لايتكلمون الا في حق شخص أذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا أى حقا هو التوحيد واظهار الرحمن في موضع الاضمار للايذان بأن مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا أن أحدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى ﴿ذلك﴾ اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة ومحله الرفع على الابتداء خبره مابعده أى ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال ﴿اليوم الحق﴾ أى الثابت المتحقق لامحالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء في قوله تعالى ﴿فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا﴾ فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقه بها حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كأنه قيل واذا كان الأمر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لامحالة فمن شاء أن يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة مآبا أى سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما مر في قوله تعالى من

استطاع اليه سبيلا ﴿انا أنذرناكم﴾ أى بما ذكر فى السورة من الآيات الناطقة بالبعث و بما بعده من الدواهى أو بها و بسائر القوارع الواردة فى القرآن ﴿عذابا قريبا﴾ هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولأنه قريب بالنسبة اليه تعالى وان رأوه بعيدا وسيرونه قريبا لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها وعن قتادة هو عقوبة الدنيا لأنه أقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر و يأباه قوله تعالى ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ فانه اما بدل من عذابا أو ظرف لمضمر هو صفة له أى عذابا كائنا يوم ينظر المرء أى يشاهده ما قدمه من خير أو شر على أن ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف أو ينظر أى شىء قدمت يداه على أنها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما فى قوله تعالى ﴿و يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا﴾ ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم قيل معنى تمنيه ليتنى كنت ترابا فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أو ليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى أن يكون الشىء الذى احتقره حين قال خلقتنى من نار وخلقته من طين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة والحمد لله وحده

سورة والنازعات

(مكية وآيها خمس أو ست وأربعون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا﴾ اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون الأرواح من الأجساد على الاطلاق كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد أو أرواح الكفرة كما قاله على رضى الله عنه وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق و ينشطونها أى يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها و يسبحون فى اخراجها سبح الغواص الذى يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بأرواح الكفرة الى النار و بأرواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون أمر عقابها وثوابها بأن يهيئوها لادراك ما أعد لها من الآلام واللذات والعطف مع اتحاد الكل بتنزيل التغاير العنوانى منزلة التغاير الذاتى كما فى قوله

الى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتائب فى المزدحم

للاشعار بأن كل واحد من الأوصاف المعدودة من معظمات الأمور حقيق بأن يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الأوصاف الأخر اليه والفاء فى الأخيرين للدلالة على ترتبهما على ماقبلهما بغير مهلة كما فى قوله

يالهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآئب

وغرقا مصدر مؤكد بحذف الزوائد أى اغراقا فى النزع حيث تنزعها من أقاصى الاجساد قال ابن مسعود رضى الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الأظافير وأصول القدمين ثم تغرقها فى جسده ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج تردها فى جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه فى وقت النزع كأنها تغرق واتصاب نشطا وسبحا وسبقا أيضا على المصدرية وأما أمرا فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم و يجوز أن يراد بالسابحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون فى مضيهم أى يسرعون فيه فيسبقون الى ما أمروا به من الأمور الدنيوية والأخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا على اشارة ما قبله من المقسم به اليه ودلالة ما بعده من أحوال القيامة عليه وهو لتبعثن فان

الاقسام بمن يتولى نزع الأرواح و يقوم بتدبير أمورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الأمور لامحالة وفيه من الجزالة مالايخفى وقدجوز أن يكون اقساما بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بأن تقطع الفلك حتى تنحط في أقصى الغرب وتنشط من برج الى برج أي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها بعضا فتدبر أمرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة عبر عن الأولى بالنزع وعن الثانية بالنشط أو بأنفس الغزاة أو أيديهم التي تنزع القسي باغراق السهام و ينشطون بالسهم للرمى و يسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون أمرها أو بخيلهم التي تنزع في أعنتها نزعا تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها لأنها عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح في جريها لتسبق الى الغاية فتدبر أمر الظفر والغلبة واسناد التدبير اليها لانها من أسبابه هذا والذي يليق بشأن التنزيل هو الاول وقوله تعالى ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف عندها الأجرام الساكنة أي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالأرض والجبال وهي النفخة الاولى وقيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله تعالى ﴿تتبعها الرادفة﴾ أي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث أي لتبعثن يوم النفخة الأولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذي يقع فيه النفختان و بينهما أربعون سنة واعتبار امتداده مع أن البعث لايكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الأولى حي الامات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام ووجه اضافته الى الاولى ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فتكون الجملة استئنافا مقررا لمضمون الجواب المضمر كأنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى ﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ أي يوم ترجف وجفت القلوب قيل قلوب مبتدأ و يومئذ متعلق بواجفة وهي صفة لقلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ وقوله تعالى ﴿أبصارها﴾ أي أبصار أصحابها ﴿خاشعة﴾ جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبراً لقلوب وقد مر أن حق الصفة أن تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها صفات بحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع لأبصار أصحابها سواء في المعرفة والجهالة كان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثاني مخبرا به مقصود الافادة تحكما بحتا على أن الوجيف الذي هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل أشد من خشوع البصر وأهول فجعل أهون الشرين عمدة وأشدهما فضلة مما لا عهد له في الكلام وأيضا فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب في موقع التهويل فالوجه أن يقال تنكير قلوب يقوم مقام الوصف المختص سواء حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه أو على التكثير كما في شر أهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية أيضا كأنه قيل قلوب كثيرة يوم اذ يقع النفختان واجفة أي شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضي الله عنهما خائفة وجلة وقال السدي زائلة عن أماكنها كما في قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى ﴿يقولون أئنا لمردودون في الحافرة﴾ حكاية لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون بالآيات الناطقة به اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمي وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والأبصار أي يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متعجبين منه أئنا لمردودون بعد موتنا في الحافرة أي في الحالة

الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان فى حافرته أى فى طريقته التى جاء فيها فحفرها أى أثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع أنها محفورة كقوله تعالى فى عيشة راضية أى منسوبة الى الحفر والرضا أو كقولهم نهاره صائم على تشبيه القابل بالفاعل وقرىء فى الحفرة وهى بمعنى المحفورة وقوله تعالى ﴿ أئذا كنا عظاما نخرة ﴾ تأكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له والعامل فى اذا مضمر يدل عليه مردودون أى أئذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها أبعد شىء من الحياة وقرىء اذا كنا على الخبر أو اسقاط حرف الانكار وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالى الأجوف الذى يمر به الريح فيسمع له نخير ﴿ قالوا ﴾ حكاية لكفر آخر لهم متفرع على كفرهم السابق ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان بأن صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم فى كافة أوقاتهم حسبما ينبىء عنه حكايته بصيغة المضارع أى قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما أنكروه من الردة فى الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع ﴿ تلك اذا كرة خاسرة ﴾ أى ذات خسران أو خاسرة أصحابها أى ان صحت فنحن اذن خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى ﴿ فانما هى زجرة واحدة ﴾ تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام النخرة التى عبروا عنها بالكرة فان مداره لما كان استصعابهم اياها رد عليهم ذلك فقيل لاتستصعبوها فانما هى صيحة واحدة أى حاصلة بصيحة واحدة وهى النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها كأنها عينها وقيل هى راجع الى الرادفة فقوله تعالى ﴿ فاذا هم بالساهرة ﴾ حينئذ بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجأة أى فاذا هم أحياء على وجه الارض بعد ما كانوا أمواتا فى جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التى عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة وقيل لان سالكها لاينام خوف الهلكة وقيل اسم لجهنم وقال الراغب هى وجه الارض وقيل هى أرض القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الساهرة أرض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل هى أرض يجددها الله عز وجل يوم القيامة وقيل هى اسم الارض السابعة يأتى بها الله تعالى فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثورى الساهرة أرض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى ﴿ هل أتاك حديث موسى ﴾ كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بأنه يصيبهم مثل ما أصاب من كان أقوى منهم وأعظم ومعنى هل أتاك ان اعتبر هذا أول ما أتاه عليه الصلاة والسلام من حديثه عليه السلام ترغيب له عليه الصلاة والسلام فى استماع حديثه كأنه قيل هل أتاك حديثه أنا أخبرك به وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز فى الاقتصاص حمله عليه الصلاة والسلام على أن يقر بأمر يعرفه قبل ذلك كأنه قيل أليس قد أتاك حديثه وقوله تعالى ﴿ اذ ناداه ربه بالواد المقدس ﴾ ظرف للحديث لا للاتيان لاختلاف وقتيهما ﴿ طوى ﴾ بضم الطاء غير منون وقرىء منونا وقرىء بالكسر منونا وغير منون فمن نونه أوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى مصدر لنادى أو المقدس أى ناداه نداءين أو المقدس مرة بعد أخرى ﴿ اذهب الى فرعون ﴾ على ارادة القول وقيل هو تفسير للنداء أى ناداه اذهب وقيل هو على حذف أن المفسرة ويدل عليه قراءة عبد الله أن اذهب لان فى النداء معنى القول ﴿ انه طغى ﴾ تعليل للامر أو لوجوب الامتثال به ﴿ فقل ﴾ بعد ما أتيته ﴿ هل لك ﴾ رغبة وتوجه ﴿ الى أن تزكى ﴾ بحذف احدى التاءين من تتزكى أى تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرىء تزكى بالتشديد ﴿ وأهديك الى ربك ﴾ وأرشدك الى معرفته عز وجل فتعرفه ﴿ فتخشى ﴾ اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته تعالى قال عز وجل انما يخشى الله من عباده

العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك الامر من خشى الله تعالى أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر أمر عليه الصلاة والسلام بأن يخاطبه بالاستفهام الذى معناه العرض ليستدعيه بالتلطف فى القول و يستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى والفاء فى قوله تعالى ﴿ فأراه الآية الكبرى ﴾ فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها فى السور الاخرى فانه عليه الصلاة والسلام ما أراه اياها عقيب هذا الامر بل بعد ماجرى بينه و بين الله تعالى ماجرى من الاستدعاء والاجابة وغيرهما من المراجعات و بعد ماجرى بينه و بين فرعون ماجرى من المحاورات الى أن قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين والاراءة اما بمعنى التبصير أو التعريف فان اللعين حين أبصرها عرفها وادعاء سحريتها انما كان ارائة منه واظهارا للتجلد ونسبتها اليه عليه الصلاة والسلام بالنظر الى الظاهر كما أن نسبتها الى نون العظمة فى قوله تعالى ولقد أريناه آياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما فانها كانت المقدمة والاصل والأخرى كالتبع لها أوهما جميعا وهو قول مجاهد فانهما كالآية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قال اذهب أنت وأخوك بآياتى باعتبار مافى تضاعيفهما من بدائع الامور التى كل منها آية بينة لقوم يعقلون كما مر تفصيله فى سورة طه و لامساغ لحملها على مجموع معجزاته فان ماعدا هاتين الآيتين من الآيات التسع انما ظهرت على يده عليه الصلاة والسلام بعد ماغلب السحرة على مهل فى نحو من عشرين سنة كما مر فى سورة الاعراف ولاريب فى أن هذا مطلع القصة وأمر السحرة مترقب بعد ﴿ فكذب ﴾ بموسى عليه السلام وسمى معجزته سحرا ﴿ وعصى ﴾ الله عز وجل بالتمرد بعد ماعلم صحة الامر ووجوب الطاعة أشد عصيان وأقبحه حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين رأسا وكان اللعين وقومه مأمورين بعبادته عز وجل وترك العظيمة التى كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لا بارسال بنى اسرائيل من الأسر والقسر فقط ﴿ ثم أدبر ﴾ أى تولى عن الطاعة أو انصرف عن المجلس ﴿ يسعى ﴾ أى يجتهد فى معارضة الآية أو أريد ثم أقبل أى أنشأ يسعى فوضع موضعه أدبر تحاشيا عن وصفه بالاقبال وقيل أدبر هاربا من الثعبان فانه روى أنه عليه الصلاة والسلام لما ألقى العصا انقلبت ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والأعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا من قومه وقيل انها حين انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول ياموسى مرنى بما شئت ويقول فرعون أنشدك بالذى أرسلك الا أخذته فأخذه فعاد عصا و يأباه أن ذلك كان قبل الاصرار على التكذيب والعصيان والتصدى للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿ فحشر ﴾ أى فجمع السحرة لقوله فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده أى ما يكاد به من السحرة و آلاتهم وقيل جنوده ويجوز أن يراد جميع الناس ﴿ فنادى ﴾ فى المجمع بنفسه أو بواسطة المنادى ﴿ فقال أنا ربكم الأعلى ﴾ قيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة ﴿ فأخذه الله نكال الآخرة والاولى ﴾ النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذى ينكل من رآه أو سمعه و يمنعه من تعاطى ما يفضى اليه ومحله النصب على أنه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والاولى وهو الاحراق فى الآخرة والاغراق فى الدنيا وقيل مصدر لأخذ أى أخذه الله أخذ نكال الآخرة الخ وقيل مفعول له أى أخذه لاجل نكال الخ وقيل نصب على نزع الخافض أى أخذه بنكال الآخرة والاولى واضافته الى الدارين باعتبار وقوع نفس الأخذ فيهما لا باعتبار أن ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك لا يتصور فى الآخرة بل فى الدنيا فان العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطى ما يؤدى اليها

لامحالة وقيل المراد بالآخرة والاولى قوله أنا ربكم الأعلى وقوله ماعلمت لكم من اله غيرى قيل كان بين الكلمتين أربعون سنة فالاضافة اضافة المسبب الى السبب ﴿ان فى ذلك﴾ أى فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل وما فعل به ﴿لعبرة﴾ عظيمة ﴿لمن يخشى﴾ أى لمن من شأنه أن يخشى وهو من من شأنه المعرفة وقوله تعالى ﴿أأنتم أشد خلقا﴾ خطاب لأهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته فى زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد مابين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله تعالى بقوله تعالى فانما هى زجرة واحدة أى أخلقكم بعد موتكم أشد أى أشق وأصعب فى تقديركم ﴿أم السماء﴾ أى أم خلق السماء على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدائع التى تحار العقول عن ملاحظة أدناها كقوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقوله تعالى أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى ﴿بناها﴾ الخ بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله أم السماء وفى عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه من الافعال من التنبيه على تعينه وتفخيم شأنه عز وجل مالا يخفى وقوله تعالى ﴿رفع سمكها﴾ بيان للبناء أى جعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها الى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام ﴿فسواها﴾ فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به من الكواكب والتداوير وغيرها مما لا يعلمه الا الخلاق العليم من قولهم سوى أمر فلان اذا أصلحه ﴿وأغطش ليلها﴾ أى جعله مظلما يقال غطش الليل وأغطشه الله تعالى كما يقال ظلم وأظلمه وقد مر هذا فى قوله تعالى واذا أظلم عليهم قاموا و يقال أيضا أغطش الليل كما يقال أظلم ﴿وأخرج ضحاها﴾ أى أبرز نهارها عبر عنه بالضحى لأنه أشرف أوقاته وأطيبها فكان أحق بالذكر فى مقام الامتنان وهو السر فى تأخير ذكره عن ذكر الليل وفى التعبير عن احداثه بالاخراج فان افاضة النور بعد الظلمة أتم فى الانعام وأكمل فى الاحسان واضافة الليل والضحى الى السماء لدوران حدوثهما على حركتها ويجوز أن تكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس أى أبرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لانه وقت قيام سلطانها وكمال اشراقها ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ أى بسطها ومهدها لسكنى أهلها وتقلبهم فى أقطارها وانتصاب الأرض بمضمر يفسره دحاها ﴿أخرج منها ماءها﴾ بأن فجر منها عيونا وأجرى أنهارا ﴿ومرعاها﴾ أى رعيها وهو فى الاصل موضع الرعى وقيل هو مصدر ميمى بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف اما لأنها بيان وتفسير لدحاها وتكملة له فان السكنى لاتتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لابد من تسوية أمر المعاش من المأكل والمشرب حتما وأما لانها حال من فاعله باضمار قد عند الجمهور أو بدونه عند الكوفيين والاخفش كما فى قوله تعالى أو جاؤكم حصرت صدورهم ﴿والجبال﴾ منصوب بمضمر يفسره ﴿أرساها﴾ أى أثبتها وأثبت بها الأرض أن تميد بأهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على أن الرسو المنسوب اليها فى مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسى ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت فى أنفسها فضلا عن اثباتها للارض وقرىء والأرض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم الارساء عليه وجودا وشدة تعلقه بالدحو لابراز كمال الاعتناء بأمر المأكل والمشرب مع مافيه من دفع توهم رجوع ضميرى الماء والمرعى الى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تأخر دحو الأرض عن خلق السماء وما فيها كما يروى عن الحسن من أنه تعالى خلق الأرض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وقد مر فى سورة حم السجدة أن قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين الى قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان الآية ان حمل مافيه من الخلق وماعطف عليه من الافعال

الثلاثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما فى سورة البقرة من قوله تعالى هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الارض ومافيها على خلق السماء ومافيها وعليه اطباق أكثر أهل التفسير وقد روى أن العرش كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى أحدث فى الماء اضطرابا فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى أنه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق مافيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام فى آخر ساعة منه وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة فالأقرب كما قيل تأويل هذه الآية بأن يجعل ذلك اشارة الى ذكر ماذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى أنفسها ويحمل بعدية الدحو عنها على البعدية فى الذكر كما هو المعهود فى ألسنة العرب والعجم لا فى الوجود لما عرفت من أن انتصاب الارض بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر وتعين البعدية فى الوجود وفائدة تأخيره فى الذكر اما التنبيه على أنه قاصر فى الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة الى احوال السماء واما الاشعار بأنه أدخل فى الالزام لما أن المنافع المنوطة بما فى الارض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر واحاطتهم بتفاصيل أحواله أكمل وليس ماروى عن الحسن نصا فى تأخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو التى هى بمعزل من الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ماذكر فى آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة وأما اذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها الا على تقدم تقدير الارض وما فيها على ايجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب أصلا اذا حملت كلمة ثم فيها وفيما فى سورة البقرة على التراخى فى الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام فى السورة المذكورة وقوله تعالى ﴿متاعا لكم ولأنعامكم﴾ اما مفعول له أى فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم والى أنعامهم فان المراد بالمرعى مايعم ما يأكله الانسان وغيره بناء على استعارة الرعى لتناول المأكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف وقيل مصدر مؤكد لفعله المضمر أى متعكم بذلك متاعا أو مصدر من غير لفظه فان قوله تعالى أخرج منها ماءها ومرعاها فى معنى متع بذلك وقوله تعالى ﴿فاذا جاءت الطامة الكبرى﴾ أى الداهية العظمى التى تطم على سائر الطامات أى تعلوها وتغلبها وهى القيامة أو النفخة الثانية وقيل هى الساعة التى يساق فيها الخلائق الى محشرهم وقيل التى يساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار شروع فى بيان أحوال معادهم اثر بيان أحوال معاشهم بقوله تعالى متاعا لكم الخ والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبىء منه لفظ المتاع ﴿يوم يتذكر الانسان ما سعى﴾ قيل هو بدل من اذا جاءت والأظهر أنه منصوب بأعنى كما قيل تفسيراً للطامة الكبرى فان الابدال منها بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز أن يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا لاضافته الى الفعل على رأى الكوفيين أى يتذكر فيه كل أحد ما عمله من خير أو شر بأن يشاهده مدونا فى صحيفة أعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه ويجوز أن تكون ما مصدرية ﴿وبرزت الجحيم﴾ عطف على جاءت أى أظهرت اظهارا بينا لا يخفى على أحد ﴿لمن يرى﴾ كائنا من كان يروى أنه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذى بصر وقرىء وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على أن فيه ضمير الجحيم كما فى قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد وعلى أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى لمن تراه من الكفار وقوله تعالى ﴿فأما من طغى﴾ الخ جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تعالى

فاما يأتينكم منى هدى الآية وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم الراؤون قسمين فأما من الخ والذى تستدعيه فخامة التنزيل و يقتضيه مقام التهويل أن الجواب المحذوف كان من عظائم الشئون مالم تشاهده العيون كما مر فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل أى فأما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد فى العصيان ﴿ وآثر الحيوة الدنيا ﴾ الفانية التى هى على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها و لم يستعد للحياة الأخروية الأبدية بالايمان والطاعة ﴿ فان الجحيم ﴾ التى ذكر شأنها ﴿ هى المأوى ﴾ أى هى مأواه واللام سادة مسد الاضافة للعلم بأن صاحب المأوى هو الطاغى كما فى قولك غض الطرف ودخول اللام فى المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهى اما ضمير فصل أو مبتدأ قيل نزلت الآية فى النضر وأبيه الحرث المشهورين بالغلو فى الكفر والطغيان ﴿ وأما من خاف مقام ربه ﴾ أى مقامه بين يدى مالك أمره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾ عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا و زهرتها ولم يغتر بزخارفها و زينتها علما منه بوخامة عاقبتها ﴿ فان الجنة هى المأوى ﴾ له لا غيرها وقيل نزلت الآيتان فى أبى عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز يوم أحد و وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد رضى الله عنه هذا وقد قيل جواب اذا ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الخ أى فاذا جاءت الطامة الكبرى يتذكر الانسان ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت وأخرت فيكون قوله تعالى و برزت الجحيم عطفا عليه وصيغة الماضى للدلالة على التحقق أو حالا من الانسان باضمار قد أو بدونه على اختلاف الرأيين ولمن يرى مغن عن العائد وقوله تعالى فأما من طغى الخ تفصيلا لحالى الانسان الذى يتذكر ما سعى وتقسيما له بحسب أعماله الى القسمين المذكورين ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ﴾ متى ارساؤها أى اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى و يثبتها و يكونها وقيل أيان منتهاها ومستقرها كما أن مرسى السفينة حيث تنتهى اليه وتستقر فيه وقوله تعالى ﴿ فيم أنت من ذكراها ﴾ انكار و رد لسؤال المشركين عنها أى فى أى شىء أنت من أن تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى يسألونك كأنك حفى عنها أى ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شىء لأن ذلك فرع علمك به وأنى لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا فقد نأى عن الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستئناف تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال أى فيم هذا السؤال ثم ابتدىء فقيل أنت من ذكراه أى ارسالك وأنت خاتم الانبياء المبعوث فى نسم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فمعنى قوله تعالى ﴿ الى ربك منتهاها ﴾ على هذا الوجه اليه تعالى يرجع منتهى علمها أى علمها بكنهها وتفاصيل أمرها و وقت وقوعها لا الى أحد غيره وانما وظيفتهم أن يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمبعثك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك وأما على الوجه الأول فمعناه اليه تعالى انتهاء علمها ليس لأحد منه شىء ما كائنا من كان فلأى شىء يسألونك عنها وقوله تعالى ﴿ انما أنت منذر من يخشاها ﴾ على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم أنت من ذكراها وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه الصلاة والسلام فى ذلك الشأن فان انكار كونه عليه الصلاة والسلام فى شىء من ذكراها مما يوهم بظاهره أن ليس له عليه الصلاة والسلام أن يذكرها بوجه من الوجوه فأزيح ذلك ببيان أن المنفى عنه عليه الصلاة والسلام ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألونه عليه الصلاة والسلام عنها فالمعنى انما أنت منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال بما أمرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط بخبره لا تعيين وقتها الذى لم يفوض اليك فمالهم يسألونك عنها

ليس من وظائفك بيانه وعلى الوجه الثاني هو تقرير لقوله تعالى أنت من ذكراها ببيان أن ارساله عليه الصلاة والسلام وهو خاتم الانبياء عليهم السلام منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله عليه الصلاة والسلام بعثت أنا والساعة كهاتين ان كادت لتسبقني وقرىء منذر بالتنوين وهو الأصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فاذا أريد الماضي تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها﴾ اما تقرير وتأكيد لما ينبيء عنه الانذار من سرعة مجيء المنذر به لا سيما على الوجه الثاني أى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار بها الا عشية يوم واحد أو ضحاه فلما ترك اليوم أضيف ضحاه الى عشيته واما رد لما أدمجوه في سؤالهم فانهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فالمعنى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية أو ضحاها واعتبار كون اللبث في الدنيا أو في القبور لا يقتضيه المقام وانما الذي يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار أو بعد الوعيد تحقيقا للانذار وردا لاستبطائهم والجملة على الأول حال من الموصول فانه على تقديري الاضافة وعدمها مفعول لمنذر كما أن قوله تعالى كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار حال من ضمير المفعول في يحشرهم أى يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا الا ساعة خلا أن الشبه هناك في الأحوال الظاهرة من الزي والهيئة وفيما نحن فيه في الاعتقاد كأنه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستأنفة لا محل لها من الاعراب . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله عز وجل في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة والله أعلم

سورة عبس

(مكية وآيها إحدى وأربعون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ روى أن ابن أم مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن أبي ربيعة الفهرى وأم مكتوم اسم أم أبيه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه الصلاة والسلام بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرىء عبس بالتشديد للمبالغة وأن جاءه علة لتولى أو عبس على اختلاف الرأيين أى لأن جاءه الأعمى والتعرض لعنوان عماه اما لتمهيد عذره في الاقدام على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام بالقوم والايذان باستحقاقه بالرفق والرأفة واما لزيادة الانكار كأنه قيل تولى لكونه أعمى كما أن الالتفات في قوله تعالى ﴿وما يدريك﴾ لذلك فان المشافهة أدخل في تشديد العتاب أى وأى شيء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى ﴿لعله يزكى﴾ استئناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع اشعاره بأن له شأنا منافيا للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير وادراكه مؤذن بأنه تعالى يدريه ذلك أى لعله يتطهر بما يقتبس منك من أوضار الأوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكي واردة على سنن الكبرياء أو على اعتبار معنى الترجي بالنسبة اليه عليه

الصلاة والسلام للتنبيه على أن الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على مافعلت وفيه اشارة الى أن من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكي والتذكر أصلا وقوله تعالى ﴿أو يذكر﴾ عطف على يزكى داخل معه فى حكم الترجي وقوله تعالى ﴿فتنفعه الذكرى﴾ بالنصب على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفا على يذكر أى أو يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكي التام وقيل الضمير فى لعله للكافر فالمعنى انك طمعت فى أن يتزكى أو يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق ولذلك توليت عن الأعمى وما يدريك أن ذلك مرجو الوقوع ﴿أما من استغنى﴾ أى عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التى ينطوى عليها القرآن ﴿فأنت له تصدى﴾ أى تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه الصلاة والسلام عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكبار وقرئ تصدى بادغام التاء فى الصاد وقرئ تصدى بضم التاء أى تعرض ومعناه يدعوك الى التصدى له داع من الحرص والتهالك على اسلامه ﴿وما عليك أن لا يزكى﴾ وليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالاسلام حتى تهتم بأمره وتعرض عمن أسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للانكار أى أى شئ عليك فى أن لا يتزكى ومآله النفى أيضا ﴿وأما من جاءك يسعى﴾ أى حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من أحكام الرشد وخصال الخير ﴿وهو يخشى﴾ أى الله تعالى وقيل يخشى أذية الكفار فى اتيانك وقيل يخشى الكبوة اذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما أنه حال من فاعل جاءك ﴿فأنت عنه تلهى﴾ تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى وقرئ تلهى وتلهى أى يلهيك شأن الصناديد وفى تقديم ضميره عليه الصلاة والسلام على الفعلين تنبيه على أن مناط الانكار خصوصيته عليه الصلاة والسلام أى مثلك خصوصا لا ينبغى أن يتصدى للمستغنى ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه الصلاة والسلام بمضمونهما. روى أنه عليه الصلاة والسلام ما عبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى ﴿كلا﴾ ردع له عليه الصلاة والسلام عما عوتب عليه من التصدى لمن استغنى عما دعاه اليه من الايمان والطاعة وما يوجبهما من القرآن الكريم مبالغا فى الاهتمام بأمره متهالكا على اسلامه معرضا بسبب ذلك عن ارشاد من يسترشده وقوله تعالى ﴿انها تذكرة﴾ أى موعظة يجب أن يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القرآن العظيم الذى استغنى عنه من تصدى عليه الصلاة والسلام له وتحقيق أن شأنه أن يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها فمن رغب فيها اتعظ بها كما نطق به قوله تعالى ﴿فمن شاء ذكره﴾ أى حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعل المستغنى فلا حاجة الى الاهتمام بأمره فالضميران للقرآن وتأنيث الأول لتأنيث خبره وقيل الأول للسورة أو للآيات السابقة والثانى للتذكرة والتذكير لأنها فى معنى الذكر والوعظ وليس بذاك فان السورة والآيات وان كانت متصفة بما سيأتى من الصفات الشريفة لكنها ليست مما ألقى على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ماسيأتى من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة وأما من جوز رجوعهما الى العتاب المذكور فقد أخطأ وأساء الأدب وخبط خبطا يقضى منه العجب فتأمل وكن على الحق المبين وقوله تعالى ﴿فى صحف﴾ متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جئ به للترغيب فيها والحث على حفظها أى كائنة فى صحف منتسخة من اللوح أو خبر ثان لان ﴿مكرمة﴾ عند الله عز وجل ﴿مرفوعة﴾ أى فى السماء السابعة أو مرفوعة المقدار والذكر ﴿مطهرة﴾ منزهة عن مساس أيدى الشياطين ﴿بأيدى سفرة﴾ أى كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على أنه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بأيدى رسل من الملائكة يسفرون بالوحى بينه تعالى وبين الأنبياء على أنه جمع سفير من السفارة وحملهم على الأنبياء عليهم السلام بعيد فان وظيفتهم التلقى

من الوحى لا الكتب منه وارشاد الأمة بالأمر والنهى وتعليم الشرائع والأحكام لا لمجرد السفارة اليهم وكذا حملهم على القراء لقراءتهم الأسفار أو على أصحابه عليه الصلاة والسلام وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يمسها الا الملائكة المطهرون أضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها وقال القرطبي ان المراد بما فى قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة ﴿كرام﴾ عند الله عز وجل أو متعطفين على المؤمنين يكلمونهم و يستغفرون لهم ﴿بررة﴾ اتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه أى يطيعه وقيل صادقين من بر فى يمينه ﴿قتل الانسان﴾ دعاء عليه بأشنع الدعوات وقوله تعالى ﴿ما أكفره﴾ تعجب من افراطه فى الكفران وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد به اما من استغنى عن القرآن الكريم الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للاقبال عليه والايمان به واما الجنس باعتبار انتظامه له ولأمثاله من أفراده لا باعتبار جميع أفراده وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من الانباء عن سخط عظيم ومذمة بالغة ما لا غاية وراءه وقوله تعالى ﴿من أى شئ خلقه﴾ شروع فى بيان افراطه فى الكفران بتفصيل ما أفاض عليه من مبدأ فطرته الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك وفى الاستفهام عن مبدأ خلقه ثم بيانه بقوله تعالى ﴿من نطفة خلقه﴾ تحقير له أى من أى شئ حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه ﴿فقدره﴾ فهيأه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والأشكال أو فقدره أطوارا الى أن تم خلقه وقوله تعالى ﴿ثم السبيل يسره﴾ منصوب بمضمر يفسره الظاهر أى ثم سهل مخرجه من البطن بأن فتح فم الرحم وألهمه أن ينتكس أو يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف السبيل باللام دون الاضافة للاشعار بعمومه ﴿ثم أماته فأقبره﴾ أى جعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه وأقبره اذا أمر بدفنه أو مكن منه وعد الاماتة من النعم لأنها وصلة فى الجملة الى الحياة الأبدية والنعيم المقيم ﴿ثم اذا شاء أنشره﴾ أى اذا شاء انشاره أنشره على القاعدة المستمرة فى حذف مفعول المشيئة وفى تعليق الانشار بمشيئته تعالى ايذان بأن وقته غير متعين بل هو تابع لها وقرئ نشره ﴿كلا﴾ ردع للانسان عما هو عليه وقوله تعالى ﴿لما يقض ما أمره﴾ بيان لسبب الردع أى لم يقض بعد من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما أمره الله تعالى بأسره اذ لا يخلو أحد عن تقصير ما كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب فى أن مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر أن ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه أحد من أفراده كيف لا وقد قال عليه الصلاة والسلام شيبتنى سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما أمرت فالوجه أن يحمل عدم القضاء على عموم النفى لا على نفى العموم اما على أن المحكوم عليه هو المستغنى أو هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على أن مصداق الحكم بعدم القضاء بعض أفراده وقد أسند الى الكل كما فى قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار للاشباع فى اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واما على أن مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الايجاب الكلى دون السلب الكلى فالمعنى لما يقض جميع أفراده ما أمره بل أخل به بعضها بالكفر والعصيان مع أن مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل أن لا يتخلف عنه أحد أصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا فيتعلق بما بعده أى حقا لم يعمل بما أمره به ﴿فلينظر الانسان الى طعامه﴾ شروع فى تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه أى فلينظر الى طعامه الذى عليه يدور أمر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى ﴿أنا صببنا الماء صبا﴾ أى الغيث بدل اشتمال من طعامه لأن الماء

سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ انا على الاستئناف وقرئ أنى بالامالة أى كيف صببنا الى آخره أى صببناه صبا عجيبا ﴿ثم شققنا الأرض﴾ أى بالنبات ﴿شقا﴾ بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيئة وحمل شقها على ما بالكراب بجعل اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه كلمة ثم والفاء فى قوله تعالى ﴿فأنبتنا فيها حبا﴾ فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين الامطار أصلا ولا بينه وبين انبات الحب بلا مهلة وانما الترتيب بين الأمطار وبين الشق بالنبات على التراخى المعهود وبين الشق المذكور وبين انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ماينبت من الأرض الى أن يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق الأرض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك المرتبة على أن مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبئ عنه تأكيد الفعلين بالمصدرين فتوسيط فعل المنعم عليه فى حصول تلك النعم مخل بالمرام وقوله تعالى ﴿وعنبا﴾ عطف على حبا وليس من لوازم العطف أن يقيد المعطوف بجميع ماقيد به المعطوف عليه فلا ضير فى خلو انبات العنب عن شق الأرض ﴿وقضبا﴾ أى رطبة سميت بمصدر قضبه أى قطعه مبالغة كأنها لتكرر قطعها وتكثره نفس القطع ﴿وزيتونا ونخلا﴾ الكلام فيهما وفى أمثالها كما فى العنب ﴿وحدائق غلبا﴾ أى عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها أو لأنها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب ﴿وفاكهة وأبا﴾ أى مرعى من أبه اذا أمه أى قصده لأنه يؤم وينتجع أو من أب لكذا اذا تهيأ له لأنه متهيئ للرعى أو فاكهة يابسة تؤب للشتاء وعن الصديق رضى الله عنه أنه سئل عن الأب فقال أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله ما لا علم لى به وعن عمر رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدرى ما الأب ثم قال اتبعوا ماتبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه ﴿متاعا لكم ولأنعامكم﴾ اما مفعول له أى فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان واما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوائد أى متعكم بذلك متاعا أو لفعل مترتب عليه أى متعكم بذلك فتمتعتم متاعا أى تمتعا كما مر غير مرة أو مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الأفعال الثلاثة فى معنى التمتيع ﴿فاذا جاءت الصاخة﴾ شروع فى بيان أحوال معادهم اثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هى الداهية العظيمة التى يصخ لها الخلائق أى يصيخون لها من صخ لحديثه اذا أصاخ له واستمع وصفت بها النفخة الثانية لأن الناس يصيخون لها وقيل هى الصيحة التى تصخ الآذان أى تصمها لشدة وقعها وقيل هى مأخوذة من صخه بالحجر أى صكه وقوله تعالى ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾ اما منصوب بأعنى تفسيرا للصاخة أو بدل منها مبنى على الفتح بالاضافة الى الفعل على رأى الكوفيين وقيل بدل من اذا جاءت كما مر فى قوله تعالى يوم يتذكر الخ أى يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما فى الدنيا لاشتغاله بحال نفسه وأما تعليل ذلك بعلمه بأنهم لا يغنون عنه شيئا أو بالحذر من مطالبتهم بالتبعات فيأباه قوله تعالى ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ فانه استئناف وارد لبيان سبب الفرار أى لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه فى الاهتمام به وأما الفرار حذرا من مطالبتهم أو بغضا لهم كما يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه يفر قابيل من أخيه هابيل ويفر النبى عليه الصلاة والسلام من أمه ويفر ابراهيم عليه السلام من أبيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط عليه السلام من امرأته فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما يروى أن الرجل يفر من أصحابه

وأقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة أى يهمه من عناه الأمر اذا أهمه أى أوقعه فى الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه اذا قصده كما قيل وقوله تعالى ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ بيان لمآل أمر المذكورين وانقسامهم الى السعداء والأشقياء بعد ذكر وقوعهم فى داهية دهياء فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة لكونها فى حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به أى مضيئة متهللة من أسفر الصبح اذا أضاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن ذلك من قيام الليل وفى الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله ﴿ضاحكة مستبشرة﴾ بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾ أى غبار وكدورة ﴿ترهقها﴾ أى تعلوها وتغشاها ﴿قترة﴾ أى سواد وظلمة ﴿أولئك﴾ اشارة الى أصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم فى سوء الحال أى أولئك الموصوفون بسواد الوجوه وغيره ﴿هم الكفرة الفجرة﴾ الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله تعالى الى سواد وجوههم الغبرة . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير

(مكية وآيها تسع وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا الشمس كورت﴾ أى لفت من كورت العمامة اذا لففتها على أن المراد بذلك اما رفعها وازالتها من مقرها فان الثوب اذا أريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوى السماء واما لف ضوئها المنبسط فى الآفاق المنتشر فى الأقطار على أنه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم أو ألقيت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طمنه فكوره اذا ألقاه على الأرض وعن أبى صالح كورت نكست وعن ابن عباس رضى الله عنهما تكويرها ادخالها فى العرش ومدار التركيب على الادارة والجمع وارتفاع الشمس على أنه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور وعند البعض على الابتداء ﴿واذا النجوم انكدرت﴾ أى انقضت وقيل تناثرت وتساقطت . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط فى الأرض وعنه رضى الله عنه أن النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بأيدى ملائكة من نور فاذا مات من فى السموات ومن فى الارض تساقطت من أيديهم وقيل انكدارها انطماس نورها ويروى أن الشمس والنجوم تطرح فى جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴿واذا الجبال سيرت﴾ أى عن أماكنها بالرجفة الحاصلة لا فى الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية ﴿واذا العشار﴾ جمع عشراء وهى الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر وهو اسمها الى أن تضع لتمام السنة وهى أنفس ما يكون عند أهلها وأعزها عليهم ﴿عطلت﴾ تركت مهملة لاشتغال أهلها بأنفسهم وقيل العشار السحائب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف ﴿واذا الوحوش حشرت﴾ أى جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبنى آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد ﴿واذا البحار سجرت﴾ أى أحميت أو ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت

بالتخفيف ﴿ واذا النفوس زوجت ﴾ أى قرنت باجسادها أوقرنت كل نفس بشكلها أو بكتابها أو بعملها أونفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين ﴿ واذا الموءودة ﴾ أى المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق أولحوق العار بهم من أجلهن قيل كان الرجل منهم اذا ولدت له بنت ألبسها جبة من صوف أوشعر حتى اذا بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحراء وقدحفر لها حفرة فيلقيها فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل اذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها وان ولدت ابنا حبسته ﴿ سئلت بأى ذنب قتلت ﴾ توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة فى تبكيته كما فى قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين وقرئ سألت أى خاصمت أوسألت الله تعالى أوقاتلها وانما قيل قتلت لما أن الكلام اخبار عنها لاحكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولاحكاية لكلامها حين سألت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقد قرئ كذلك وبالتشديد أيضا وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن أطفال المشركين فقال لايعذبون واحتج بهذه الآية ﴿ واذا الصحف نشرت ﴾ أى صحف الأعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب . عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت أم سلمة فكيف بالنساء فقال شغل الناس ياأم سلمة قالت وماشغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت أى فرقت بين أصحابها وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن فى يده فى جنة عالية وتقع صحيفة الكافر فى يده فى سموم وحميم أى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الأعمال ﴿ واذا السماء كشطت ﴾ قلعت وأزيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشىء المستور به وقرئ قشطت واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور والقافور ﴿ واذا الجحيم سعرت ﴾ أى أوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله عزوجل وخطايابنى آدم وقرئ سعرت بالتخفيف ﴿ واذا الجنة أزلفت ﴾ أى قربت من المتقين كقوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها فى الدنيا أى فيما بين النفختين وهن من أول السورة الى قوله تعالى واذا البحار سجرت على أن المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لابعثها للقصاص وست فى الآخرة أى بعد النفخة الثانية وقوله تعالى ﴿ علمت نفس ماأحضرت ﴾ جواب اذا على أن المراد بها زمان واحد ممتد يسع مافى سياقها وسياق ماعطف عليها من الخصال مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لابمعنى أنها تعلم ماتعلم فى كل جزء من أجزاء ذلك الوقت المديد أوعند وقوع داهية من تلك الدواهى بل عند نشر الصحف الا أنه لما كان بعض تلك الدواهى من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال والمراد بما أحضرت أعمالها من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واماحضور أنفسها على ماقالوا من أن الأعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيآت معينة حتى ان الذنوب والمعاصى تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وكذا قوله عليه الصلاة والسلام فى حق من يشرب من آنية الذهب والفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم ولابعد فى ذلك ألا يرى أن العلم يظهر فى عالم المثال على صورة اللبن كما لايخفى على من له خبرة بأحوال الحضرات الخمس وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع فى الميزان وأياما كان فاسناد احضارها الى النفس مع أنها تحضر بأمر الله تعالى كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس

ماعملت من خير محضرا الآية لأنها لما عملتها فى الدنيا فكأنها أحضرتها فى الموقف ومعنى علمها بها حينئذ أنها تشاهدها على ماهى عليه فى الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها على صور أحسن مما كانت تشاهدها عليه فى الدنيا لأن الطاعات لاتخلو فيها عن نوع مشقة وان كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه ههنا لأنها كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس أولبعض منها للايذان بأن ثبوته لجميع أفرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لايكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعا يعرفه كل أحد ولوجىء بعبارة تدل على خلافه وللرمز الى أن تلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفر أفرادها وتكثر أعدادها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء الذى أشير الى بعض بدائع شئونه المنبئة عن عظم سلطانه وأما ماقيل من أن هذا من قبيل عكس كلامهم الذى يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه وتمثيله بقوله تعالى ربما يود الذين كفروا لوكانوا مسلمين وبقول من قال

قد أترك القرن مصفرا أنامله وبقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه رب فارس عندى وعنده المقانب قاصدا بذلك التمادى فى تكثير فرسانه واظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل كثير ماعنده فضلا أن يتزيد فمن لوائح النظر الجليل لأن الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الأمثلة مما يقبل الافراط والتمادى فيه فانه فى الاول كثيرا مايود وفى الثانى كثيرا ماأترك وفى الثالث كثير من الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للافراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ماذكر من التمادى فى التكثير حسبما فصل أما فيما نحن فيه فالكلام الذى عكس عنه علمت كل نفس ماأحضرت كما صرح به القائل وليس فيه امكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتمادى فيه وانما الذى يمكن فيه من المبالغة ماذكرناه فتأمل ويجوز أن يكون ذلك للاشعار بأنه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ماأحضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة أن تكون هى تلك التى علمت ماأحضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على مافعلت وربما ندم الانسان على مافعل فانك لاتقصد بذلك أن ندمه مرجو الوجود لامتيقن به أونادر الوقوع بل تريد أن العاقل يجب عليه أن يجتنب أمرا يرجى فيه الندم أو قلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعى الوجود كثير الوقوع ﴿فلا أقسم بالخنس﴾ أى الكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهى ماعدا النيرين من الدرارى الخمسة وهى بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى ووصفت بقوله تعالى ﴿الجوار الكنس﴾ لأنها تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها من كنس الوحشى اذا دخل كناسه وهو البيت الذى يتخذه من أغصان الشجر وقيل هى جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أى تطلع فى أماكنها كالوحش فى كنسها ﴿والليل اذا عسعس﴾ أى أدبر ظلامه أو أقبل فانه من الاضداد وكذلك سعسع قال الفراء أجمع المفسرون على أن معنى عسعس أدبر وعليه قول العجاج

حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقيل هى لغة قريش خاصة وقيل معنى اقبال ظلامه أوفق لقوله تعالى ﴿والصبح اذا تنفس﴾ لأنه أول النهار وقيل ادباره أقرب من تنفس الصبح ومعناه أن الصبح اذا أقبل يقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفساله مجازا فقيل تنفس الصبح ﴿انه﴾ أى القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهى الهائلة ﴿لقول رسول كريم﴾ هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله عزوجل ﴿ذى قوة﴾ شديدة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة فى أداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها من أول الخلق الى آخر زمان التكليف ﴿عند ذى العرش مكين﴾ ذى مكانة رفيعة عند الله تعالى عندية اكرام وتشريف لاعندية مكان ﴿مطاع﴾ فيما بين ملائكته المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه ﴿ثم أمين﴾ على الوحى وثم ظرف

لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا لها على سائر الأوصاف ﴿وماصاحبكم﴾ هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿بمجنون﴾ كما تبهته الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم بتفاصيل أحواله عليه الصلاة والسلام خبرا وعلمهم بنزاهته عليه السلام عمانسبوه اليه بالكلية وقد استدل به على فضل جبريل عليه عليهما السلام للتباين البين بين وصفيهما وهو ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة فى حقه عليه الصلاة والسلام انما يعلمه بشر أفترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما ﴿ولقد رآه﴾ أى و بالله لقد رأى رسول الله جبريل عليهما الصلاة والسلام ﴿بالأفق المبين﴾ بمطلع الشمس الأعلى ﴿وماهو﴾ أى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿على الغيب﴾ على مايخبره من الوحى اليه وغيره من الغيوب ﴿بضنين﴾ أى بخيل لايبخل بالوحى ولا يقصر فى التبليغ والتعليم وقرئ بظنين أى بمتهم من الظنة وهى التهمة ﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾ أى قول بعض المسترقة للسمع وهو نفى لقولهم انه كهانة وسحر ﴿فأين تذهبون﴾ استضلال لهم فيما يسلكونه فى أمر القرآن والفاء لترتيب مابعدها على ماقبلها من ظهور أنه وحى مبين وليس مما يقولون فى شئ كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فأين تذهب ﴿ان هو﴾ ماهو ﴿الا ذكر للعالمين﴾ موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى ﴿لمن شاء منكم﴾ بدل من العالمين باعادة الجار وقوله تعالى ﴿أن يستقيم﴾ مفعول شاء أى لمن شاء منكم الاستقامة بتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير ﴿وماتشاؤن﴾ أى الاستقامة مشيئة مستتبعة لها فى وقت من الاوقات ﴿الا أن يشاء الله﴾ أى الا وقت أن يشاء الله تعالى تلك المشيئة أى المستتبعة للاستقامة فان مشيئتكم لا تستتبعها بدون مشيئة الله تعالى لها ﴿رب العالمين﴾ مالك الخلق ومربيهم أجمعين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكوير أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة انفطرت

(مكية وآيها تسع عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا السماء انفطرت﴾ أى انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى و يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقوله تعالى وفتحت السماء فكانت أبوابا والكلام فى ارتفاع السماء كما مر فى ارتفاع الشمس ﴿واذا الكواكب انتثرت﴾ أى تساقطت متفرقة ﴿واذا البحار فجرت﴾ فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالأجاج و زال مابينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار بحرا واحداً و روى أن الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن رضى الله عنه وقيل ان مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل أيضا بمعنى بغت من الفجور نظرا الى قوله تعالى لايبغيان ﴿واذا القبور بعثرت﴾ أى قلب ترابها وأخرج موتاها ونظيره بحثر لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت اليهما وقوله تعالى ﴿علمت نفس ماقدمت وأخرت﴾ جواب اذا لكن لاعلى أنها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من أن المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا أزمنة متعددة حسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل مافى حيزها من الدواهى والكلام فيه كالذى مر تفصيله فى نظيره ومعنى ماقدم وأخر ما أسلف من عمل خير أو شر وأخر من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وعن ابن عباس أيضا

ماقدم من معصية وأخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ماقدم من أمواله لنفسه وما أخر لورثته وقيل ماقدم من فرض وأخر من فرض وقيل أول عمله وآخره ومعنى علمها بهما علمها التفصيلي حسبما ذكر فيما مر مرارا ﴿ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم﴾ أى أى شئ خدعك وجرأك على عصيانه وقد علمت مابين يديك من الدواهى التامة والعراقيل الطامة وما سيكون حينئذ من مشاهدة أعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بأنه ليس مما يصلح أن يكون مدارا لاغتراره حسبما يغويه الشيطان ويقول له أفعل ماشئت فان ربك كريم قد تفضل عليك فى الدنيا وسيفعل مثله فى الآخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة فى الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كأنه قيل ماحملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية الى خلافه وقوله تعالى ﴿الذى خلقك فسواك فعدلك﴾ صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على أن من قدر على ذلك بدءا قدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سليمة سوية معدة لمنافعها وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت أو صرفها عن خلقة غير ملائمة لها وقرئ فعدلك بالتشديد أى صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه ﴿فى أى صورة ماشاء ركبك﴾ أى ركبك فى أى صورة شاءها من الصور المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة أى ركبك فى أى صورة شاءها واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة كقوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وانما لم يعطف الجملة على ماقبلها لانها بيان لعدلك ﴿كلا﴾ ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصى مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى ﴿بل تكذبون بالدين﴾ اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كأنه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وأنتم لاترتدعون عن ذلك بل تجترئون على أعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأسا أو بدين الاسلام الذى هما من جملة أحكامه فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا وقيل كأنه قيل انكم لاتستقيمون على ماتوجبه نعمى عليكم وارشادى لكم بل تكذبون الخ وقال القفال ليس الامر كما تقولون من أنه لابعث ولا نشور ثم قيل أنتم لاتتبينون بهذا البيان بل تكذبون بيوم الدين وقوله تعالى ﴿وان عليكم لحافظين﴾ حال من فاعل تكذبون مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقق مايكذبون به أى تكذبون بالجزاء والحال أن عليكم من قبلنا لحافظين لأعمالكم ﴿كراما﴾ لدينا ﴿كاتبين﴾ لها ﴿يعلمون ماتفعلون﴾ من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه نقيرا وقطميرا لتجازوا بذلك وفى تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لأمر الجزاء وأنه عند الله عز وجل من جلائل الامور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى ﴿ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم﴾ استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفى تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل مالا يخفى وقوله تعالى ﴿يصلونها﴾ اما صفة لجحيم أو استئناف مبنى على سؤال نشأ من تهويلها كأنه قيل ماحالهم فيها فقيل يقاسون حرها ﴿يوم الدين﴾ يوم الجزاء الذى كانوا يكذبون به ﴿وماهم عنها بغائبين﴾ طرفة عين فان المراد دوام نفى الغيبة لانفى دوام الغيبة لما مر مرارا من أن الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها استمرار النفى لانفى الاستمرار باعتبار ماتفيده من الدوام والثبات بعد النفى لاقبله وقيل معناه وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها فى قبورهم حسبما قال النبى عليه الصلاة والسلام القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران وقوله تعالى ﴿وما أدراك مايوم الدين ثم ماأدراك مايوم الدين﴾ تفخيم لشأن يوم الدين الذى يكذبون به اثر تفخيم وتهويل لامره بعد تهويل ببيان أنه خارج عن دائرة دراية الخلق على أى صورة تصوروه فهو فوقها وكيفما تخيلوه فهو أطم من ذلك وأعظم أى وأى شئ جعلك داريا مايوم الدين على أن ما الاستفهامية خبر ليوم الدين لا بالعكس كما هو رأى سيبويه لما مر من أن مدار

الافادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب فى أن مناط افادة الهول والفخامة هنا هو ما لا يوم الدين أى أى شئ عجيب هو فى الهول والفظاعة لما مر غير مرة أن كلمة ما قد يطلب بها الوصف وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال فى الجواب كاتب أو طبيب وفى اظهار يوم الدين فى موقع الاضمار تأكيد لهوله وفخامته وقوله تعالى ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله﴾ بيان اجمالى لشأن يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفى ادرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما فى القرآن من قوله تعالى ما أدراك فقد أدراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على أنه خبر مبتدا محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كأنه قيل هو يوم لا تملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئا من الاشياء الخ أو منصوب باضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر يوم الدين وتشويقه عليه الصلاة والسلام الى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس الخ فانه يدريك ما هو وقيل باضمار يدانون وليس بذاك فانه عار عن افادة ما يفيده ما قبله كما أن ابداله من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق حينئذ الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفطار كتب الله تعالى له بعدد كل قطرة من السماء وبعدد كل قبر حسنة والله تعالى أعلم

سورة المطففين

(مختلف فيها وآيها ست وثلاثون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ويل للمطففين﴾ قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وقيل وقيل وأيا ما كان فهو مبتدأ وان كان نكرة لوقوعه فى موقع الدعاء والتطفيف البخس فى الكيل والوزن لأن ما يبخس شئ طفيف حقير وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان أهلها من أخبث الناس كيلا فنزلت فأحسنوا الكيل وقيل قدمها عليه الصلاة والسلام وبها رجل يعرف بأبى جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان أهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى ﴿الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾ الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذى استحقوا به الذم والدعاء بالويل أى اذا اكتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافيا وافرا وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء أو للاشارة الى أنه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر فى حيز الشرط الذى يتضمنه كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل فى نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس أخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافى الوافر حسبما أرادوا بأى وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال فى ملئه وأما ما قيل من أن ذلك للدلالة على أن اكتيالهم لما لهم على الناس فمع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل أن يكون لهم على الناس شئ بطريق الشراء ونحوه مع أنه الشائع فيما بينهم يقتضى أن يكون معنى الاستيفاء أخذ ما لهم عليهم وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق فى معرض الحق فلا يكون مدارا للذم والدعاء عليهم .

وحمل مالهم عليهم على معنى ماسيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا مما لايجدى نفعا فان اعتبار كون المكيل لهم حالا كان أوما لا يستدعى كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما وهكذا حال ما نقل عن الفراء من أن من وعلى تعتقبان فى هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك فتأمل وقد جوز أن تكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لافادة الخصوصية أى يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها وأنت خبير بأن القصر بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور أيضا حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق القلب أو الافراد أو التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب فى أن الاستيفاء الذى هو عبارة عن الاخذ الوافى مما لا يتصور أن يكون على أنفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على أن الحديث واقع فى الفعل لافيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز فى قوله تعالى ﴿ واذا كالوهم أو وزنوهم ﴾ للناس أى اذا كالوا لهم أو وزنوا لهم للبيع ونحوه ﴿ يخسرون ﴾ أى ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره فحذف الجار وأوصل الفعل كما فى قوله ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا أى جنيت لك وجعل البارز تأكيدا للمستكن مما لايليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن فى صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال فى صورة الاستيفاء لما أنهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون فى الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم فى الاخذ والاعطاء لافى خصوصية المأخوذ والمعطى وقوله تعالى ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ﴾ استئناف وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه وأولئك اشارة الى المطففين ووضعه موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذى هو وصفهم فان الاشارة الى الشئ متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه وأما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللايذان بأنهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس أكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية ومافيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم فى الشرارة والفساد أى ألا يظن أولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل أنهم مبعوثون ﴿ ليوم عظيم ﴾ لايقادر قدر عظمه وعظم ما فيه ومحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا متاخما للشك والوهم لايكاد يتجاسر على أمثال هاتيك القبائح فكيف بمن تيقنه وقوله تعالى ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ أى لحكمه وقضائه منصوب باضمار أعنى وقيل بمبعوثون أو مرفوع المحل خبرا لمبتدا مضمر أو مجرور بدلا من يوم عظيم مبنى على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأى الكوفيين ويؤيد الاخيرين القراءة بالرفع وبالجر وفى هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم فى التطفيف وأمثاله مالايخفى ﴿ كلا ﴾ ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى ﴿ ان كتاب الفجار لفى سجين ﴾ الخ تعليل للردع أو وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم وأصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق فى جهنم أو لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة فى مكان مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون أى ما يكتب من أعمالهم أو كتابة أعمالهم لفى ذلك الكتاب المدون فيه قبائح أعمال المذكورين وقوله تعالى ﴿ وماأدراك ماسجين ﴾ تهويل لامره أى هو بحيث لايبلغه دراية أحد وقوله تعالى ﴿ كتاب مرقوم ﴾ أى مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه أنه لاخير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين أو محل كتاب مرقوم وقوله تعالى ﴿ ويل يومئذ

للمكذبين﴾ متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض وقوله تعالى ﴿الذين يكذبون بيوم الدين﴾ اما مجرور على أنه صفة ذامة للمكذبين أو بدل منه أو مرفوع أو منصوب على الذم ﴿وما يكذب به الا كل معتد﴾ أى متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه عن الاعادة مع مشاهدته للبدء ﴿أثيم﴾ أى منهمك فى الشهوات المخدجة الفانية بحيث شغلته عما وراءها من اللذات التامة الباقية وحملته على انكارها ﴿اذا تتلى عليه آياتنا﴾ الناطقة بذلك ﴿قال﴾ من فرط جهله واعراضه عن الحق الذى لا محيد عنه ﴿أساطير الأولين﴾ أى هى حكايات الاولين قال الكلبى المراد بالمعتدى الاثيم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر ابن الحرث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة وقرىء اذا يتلى بتذكير الفعل وقرىء أاذا تتلى على الاستفهام الانكارى ﴿كلا﴾ ردع للمعتدى الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى ﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ بيان لما أدى بهم الى التفوه بتلك العظيمة أى ليس فى آياتنا ما يصح أن يقال فى شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب على قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونها من الكفر والمعاصى حتى صارت كالصدأ فى المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما أذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين الصدأ يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم أى رسخ فيه وقرىء بادغام اللام فى الراء ﴿كلا﴾ ردع وزجر عن الكسب الرائن ﴿انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ فلا يكادون يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك وعن ابن عباس وقتادة وابن أبى مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته ﴿ثم انهم لصالوا الجحيم﴾ أى داخلو النار وثم لتراخى الرتبة فان صلى الجحيم أشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة ﴿ثم يقال﴾ لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية ﴿هذا الذى كنتم به تكذبون﴾ فذوقوا عذابه ﴿كلا﴾ ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر اثر زجر وقوله تعالى ﴿ان كتاب الأبرار لفى عليين﴾ استئناف مسوق لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان سوء حال الفجار متصلا ببيان سوء حال كتابهم وفيه تأكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من أعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو سمى بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى أعالى الدرجات فى الجنة واما لانه مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما والكلام فى قوله تعالى ﴿وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم﴾ كما مر فى نظيره وقوله تعالى ﴿يشهده المقربون﴾ صفة أخرى لكتاب أى يحضرونه ويحفظونه أو يشهدون بما فيه يوم القيامة ﴿ان الأبرار لفى نعيم﴾ شروع فى بيان محاسن أحوالهم اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر فى شأن الفجار ﴿على الأرائك﴾ أى على الأسرة فى الحجال ولا يكاد تطلق الأريكة على السرير عندهم الا عند كونه فى الحجلة ﴿ينظرون﴾ أى الى ما شاؤا مد أعينهم اليه من رغائب مناظر الجنة والى ما أولاهم الله تعالى من النعمة والكرامة والى أعدائهم يعذبون فى النار وما تحجب الحجال أبصارهم عن الادراك ﴿تعرف فى وجوههم نضرة النعيم﴾ أى بهجة التنعم وماءه ورونقه والخطاب لكل أحد ممن له حظ من الخطاب للايذان بأن مالهم من آثار النعمة وأحكام البهجة بحيث لا يختص برؤية راء دون راء ﴿يسقون من رحيق﴾ شراب خالص لا غش فيه ﴿مختوم ختامه مسك﴾ أى مختوم أوانيه وأكوابه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك أى مقطعه رائحة مسك وقرىء خاتمه بفتح التاء وكسرها أى ما يختم به ويقطع ﴿وفى ذلك﴾ اشارة الى الرحيق وهو الأنسب لما بعده أو الى ما ذكر من أحوالهم وما فيه من معنى البعد أما للاشعار بعلو مرتبته وبعد

منزلته أو لكونه فى الجنة أى فى ذلك خاصة دون غيره ﴿فليتنافس المتنافسون﴾ أى فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون وأصل التنافس التغالب فى الشئ النفيس وأصله من النفس لعزتها قال الواحدى نفست الشئ أنفسه نفاسة والتنافس تفاعل منه كأن كل واحد من الشخصين يريد أن يستأثر به وقال البغوى وأصله من الشئ النفيس الذى يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أى يضن به ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ عطف على ختامه صفة أخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته أى مايمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على أن من بيانية أو تبعيضية أو من نفسه على أنها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت به اما لانها أرفع شراب فى الجنة واما لأنها تأتيهم من فوق. روى أنها تجرى فى الهواء متسنمة فتنصب فى أوانيهم ﴿عينا﴾ نصب على الاختصاص وجواز أن يكون حالا من تسنيم مع كونه جامداً لاتصافه بقوله تعالى ﴿يشرب بها المقربون﴾ فانهم يشربونها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة فالباء مزيدة أو بمعنى من وقوله تعالى ﴿ان الذين أجرموا﴾ الخ حكاية لبعض قبائح مشركى قريش جئ بها تمهيداً لذكر بعض أحوال الابرار فى الجنة ﴿كانوا﴾ فى الدنيا ﴿من الذين آمنوا يضحكون﴾ أى يستهزئون بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة مافعلوا أى كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى أفى الله شك أو لمراعاة الفواصل ﴿واذا مروا﴾ أى فقراء المؤمنين ﴿بهم﴾ أى بالمشركين وهم فى أنديتهم وهو الأظهر وان جاز العكس أيضا ﴿يتغامزون﴾ أى يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم ﴿واذا انقلبوا﴾ من مجالسهم ﴿الى أهلهم انقلبوا فكهين﴾ ملتذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة الى أنهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ فاكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين أشرين وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين ﴿واذا رأوهم﴾ أينما كانوا ﴿قالوا ان هؤلاء لضالون﴾ أى نسبوا المسلمين ممن رأوهم ومن غيرهم الى الضلال بطريق التأكيد ﴿وما أرسلوا عليهم﴾ على المسلمين ﴿حافظين﴾ حال من واو قالوا أى قالوا ذلك والحال أنهم ما أرسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيمنون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بأن ما اجترؤا عليه من القول من وظائف من أرسل من جهته تعالى وقد جوز أن يكون ذلك من جملة قول المجرمين كأنهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما فى قولك حلف ليفعلن لا بالعبارة كما فى قولك حلف لأفعلن ﴿فاليوم الذين آمنوا﴾ أى المعهودون من الفقراء ﴿من الكفار﴾ أى من المعهودين وهو الأظهر وان أمكن التعميم من الجانبين ﴿يضحكون﴾ حين يرونهم أذلاء مغلولين قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العزة والكبر ورهقهم ألوان العذاب بعد التنعم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة أى فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون فى الدنيا وقوله تعالى ﴿على الأرائك ينظرون﴾ حال من فاعل يضحكون أى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها أغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا ويضحك المؤمنون منهم ويأباه قوله تعالى ﴿هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾ فانه صريح فى أن ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم فى الدنيا فلابد من المجانسة والمشاكلة حتما والتثويب والاثابة المجازاة وقرئ بادغام اللام فى الثاء . وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم

سورة الانشقاق

(مكية وآيها خمس وعشرون)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿اذا السماء انشقت﴾ أى بالغمام كما فى قوله تعالى و يوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله تعالى عنه تنشق من المجرة ﴿وأذنت لربها﴾ أى واستمعت أى انقادت وأذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت ارادته بانشقاقها انقياد المأمور المطواع اذا ورد عليه أمر الآمر المطاع والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها الآتية بمنزلة قوله تعالى أتينا طائعين فى الانباء عن كون ما نسب الى السماء والأرض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة كما أشير اليه فيما سلف ﴿وحقت﴾ أى جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد أن لم تكن كذلك بل فى نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهى حقيقة بذلك لكن لا على أن المراد خصوصية ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية التى يتأتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها أمر من الأمور فحق الجملة أن تكون اعتراضا مقررا لما قبلها لا معطوفة عليه ﴿واذا الأرض مدت﴾ أى بسطت بازالة جبالها وآكامها من مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا أو زيدت سعة و بسطة من مده بمعنى أمده أى زاده ﴿وألقت ما فيها﴾ أى رمت ما فى جوفها من الموتى والكنوز كقوله تعالى وأخرجت الأرض أثقالها ﴿وتخلت﴾ وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شىء منه كأنها تكلفت فى ذلك أقصى جهدها ﴿وأذنت لربها﴾ فى الالقاء والتخلى ﴿وحقت﴾ أى وهى حقيقة بذلك أى شأنها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع اتحاد الافعال المنسوبة الى السماء والارض وقوعا فى الوقت الممتد الذى هو مدلولها قد مر سره فيما مر ﴿يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا﴾ أى جاهد ومجد الى الموت وما بعده من الأحوال التى مثلت باللقاء مبالغ فى ذلك فان الكدح جهد النفس فى العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ﴿فملاقيه﴾ أى فملاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى ﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾ الخ قيل جواب اذا كما فى قوله تعالى فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يا أيها الانسان الخ اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والايماء الى قصور العبارة عن بيانه أو للتعويل على دلالة ما مر فى سورة التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى يا أيها الانسان الخ تقديره لاقى الانسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه وما قبله اعتراض وقيل هو يا أيها الانسان الخ باضمار القول ومعنى يسيرا سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضى الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه ﴿وينقلب الى أهله مسرورا﴾ أى عشيرته المؤمنين أو فريق المؤمنين مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه وقيل الى أهله فى الجنة من الحور والغلمان ﴿وأما من أوتى كتابه وراء ظهره﴾ أى يؤتاه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه ويجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره ﴿فسوف يدعو ثبورا﴾ أى يتمنى الثبور وهو الهلاك و يدعوه ياثبوراه تعال فانه أوانك وأنى له ذلك ﴿ويصلى سعيرا﴾ أى يدخلها وقرئ يصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ و يصلى كما فى قوله تعالى ونصليه جهنم ﴿انه كان فى أهله﴾ فيما بين أهله وعشيرته فى الدنيا ﴿مسرورا﴾ مترفا بطرا مستبشرا كديدن الفجار الذين لا يهمهم ولا يخطر ببالهم أمور

الآخرة ولا يتفكرون فى العواقب ولم يكن حزينا متفكرا فى حاله ومآله كسنة الصلحاء والمتقين والجملة استئناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى ﴿ انه ظن أن لن يحور ﴾ تعليل لسروره فى الدنيا أى ظن أن لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وأن مخففة من أن سادة مع ما فى حيزها مسد مفعولى الظن أو أحدهما على الخلاف المعروف ﴿ بلى ﴾ ايجاب لما بعد لن وقوله تعالى ﴿ ان ربه كان به بصيرا ﴾ تحقيق وتعليل له أى بلى ليحورن البتة ان ربه الذى خلقه كان به وبأعماله الموجبة للجزاء بصيرا بحيث لا يخفى منها خافية فلابد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما وقيل نزلت الآيتان فى أبى سلمة بن عبد الأشد وأخيه الأسود ﴿ فلا أقسم بالشفق ﴾ هى الحمرة التى تشاهد فى أفق المغرب بعد الغروب أو البياض الذى يليها سمى به لرقته ومنه الشفقة التى هى عبارة عن رقة القلب ﴿ والليل وما وسق ﴾ وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق أى جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوى الى مكانه من الدواب وغيرها ﴿ والقمر اذا اتسق ﴾ أى اجتمع وتم بدرا ليلة أربع عشرة ﴿ لتركبن طبقا عن طبق ﴾ أى لتلاقن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة لأختها فى الشدة والفظاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهى المرتبة وهو الأوفق للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هى طبقات فى الشدة بعضها أرفع من بعض وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لأفراده كالقراءة الأولى وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء أى ليركبن الانسان ومحل عن طبق النصب على أنه صفة لطبقا أى طبقا مجاوزا الطبق أو حال من الضمير فى لتركبن أى لتركبن طبقا مجاوزين أو مجاوزا أو مجاوزة على حسب القراءة والفاء فى قوله تعالى ﴿ فما لهم لا يؤمنون ﴾ لترتيب ما بعدها من الانكار والتعجيب على ما قبلها من أحوال يوم القيامة وأهوالها الموجبة للايمان والسجود أى اذا كان حالهم يوم القيامة كما ذكر فأى شئ لهم حال كونهم غير مؤمنين أى أى شئ يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى ﴿ واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون ﴾ جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها أى فأى مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبى عليه الصلاة والسلام ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله تعالى على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس فى المفصل سجدة وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت الا بعد أن رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن أنس رضى الله عنه صليت خلف أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فسجدوا وعن الحسن هى غير واجبة ﴿ بل الذين كفروا يكذبون ﴾ بالقرآن الناطق بما ذكر من أحوال القيامة وأهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته ﴿ والله أعلم بما يوعون ﴾ بما يضمرون فى قلوبهم ويجمعون فى صدورهم من الكفر والحسد والبغى والبغضاء أو بما يجمعون فى صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب علما فعليا ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما ﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل ان أريد به من آمن منهم بعد ذلك وقوله تعالى ﴿ لهم أجر غير ممنون ﴾ أى غير مقطوع أو ممنون به عليهم استئناف مقرر لما أفاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله تعالى أن يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج

(مكية وآيها ثنتان وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والسماء ذات البروج﴾ هى البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها أو أبواب السماء فان النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور ﴿واليوم الموعود﴾ أى يوم القيامة ﴿وشاهد ومشهود﴾ أى ومن يشهد فى ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام فى الوصف أى وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما أو للمبالغة فى الكثرة وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة وقيل عيسى عليه السلام وأمته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا الخ وقيل أمة محمد وسائر الأمم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الأسود والحجيج وقيل الأيام والليالى وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم الا وينادى انى يوم جديد وانى على ما يعمل فى شهيد فاغتنمنى فلو غابت شمسى لم تدركنى الى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الأنبياء ومحمد عليهم الصلاة والسلام ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول والأصل لقتل كما فى قول من قال

حلفت لها بالله حلفة فاجر　　لناموا فما ان من حديث ولا صال

وقيل تقديره لقد قتل وأيا ما كان فالجملة خبرية والأظهر أنها دعائية دالة على الجواب كأنه قيل أقسم بهذه الأشياء أنهم أى كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود لما أن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان وتصبيرهم على أذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة أولئك المعذبين ملعونون مثلهم أحقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرىء قتل بالتشديد والأخدود الخد فى الأرض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الحق والأحقوق . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان فى طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى فى طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة أسدا فأخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرىء الأكمه والأبرص ويشفى من الأدواء وعمى جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربى فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وأبى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد وتصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فأمر بأخاديد فى أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست فقال الصبى يا أماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعى ولا تنافقى ما هى الا غميضة فصبرت قيل أخرج الغلام من قبره فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وعن على رضى الله عنه أن بعض ملوك المجوس وقع على أخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تخطب

بالناس فتقول ان الله قد أحل نكاح الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله قد حرمه نخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابـ ط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فأمر بالأخاديد وايقاد النار وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم الله تعالى بقوله قتل أصحاب الأخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فأجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودى بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثنى عشر ألفاً فى الأخاديد وقيل سبعين ألفاً وذكر أن طول الأخدود أربعون ذراعاً وعرضه اثنا عشر ذراعاً ﴿النار﴾ بدل اشتمال من الأخدود ﴿ذات الوقود﴾ وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب و كثرة مايوجبه من الحطب وأبدان الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله تعالى ﴿اذ هم عليها قعود﴾ ظرف لقتل أى لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها فى مكان مشرف عليها من حافات الأخدود كما فى قوله وبات على النار الندى والمحلق ﴿وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ أى يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحداً لم يقصر فيما أمر به أو أنهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وقيل على بمعنى مع والمعنى وهم مع مايفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذى يستدعيه النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة وقد روى أن الجبابرة لما ألقوا المؤمنين فى النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فأحرقتهم ونجى الله عز وجل المؤمنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن أنس والواحدى وعلى ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق ﴿وما نقموا منهم﴾ أى ما أنكروا منهم وماعابوا ﴿الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ استثناء مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله

ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم تلام بنسيان الأحبة والوطن

ووصفه تعالى بكونه عزيزاً غالباً يخشى عقابه وحميداً منعماً يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله تعالى ﴿الذى له ملك السموات والأرض﴾ للاشعار بمناط ايمانهم وقوله تعالى ﴿والله على كل شئ شهيد﴾ وعدلهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الأشياء التى من جملتها أعمال الفريقين يستدعى توفير جزاء كل منهما حتماً ﴿ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ أى محنوهم فى دينهم ليرجعوا عنه والمراد بهم اما أصحاب الاخدود خاصة وبالمفتونين المطرحون فى الاخدود واما الذين بلوهم فى ذلك بالأذية والتعذيب على الاطلاق وهم داخلون فى جملتهم دخولاً أولياً ﴿ثم لم يتوبوا﴾ أى عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة فى الدين لا يتصور من غير الكافر قطعاً وقوله تعالى ﴿فلهم عذاب جهنم﴾ جملة وقعت خبراً لان أو الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الأحسن والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ولا ضير فى نسخه بان وان خالف الأخفش والمعنى لهم فى الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ﴿ولهم عذاب الحريق﴾ وهى نار أخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ على الاطلاق من المفتونين وغيرهم ﴿لهم﴾ بسبب ماذكر من الايمان والعمل الصالح ﴿جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ ان أريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان أريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر فان أشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مراراً ﴿ذلك﴾ اشارة اما الى الجنات الموصوفة والتذكير لتأويلها بما ذكر للاشعار بأن مدار الحكم عنوانها الذى يتنافس فيه المتنافسون فان اسم الاشارة متعرض لذات المشار اليه من حيث اتصافه بأوصافه المذكورة لا لذاته فقط كما هو شأن الضمير فاذا أشير الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتماً واما الى مايفيده قوله تعالى لهم جنات الخ من حيازتهم لها فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعاً وأياً ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته فى الفضل والشرف

ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده أى ذلك المذكور العظيم الشأن ﴿الفوز الكبير﴾ الذى يصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر أطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى مصدر على حاله ﴿ان بطش ربك لشديد﴾ استئناف خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم ايذانا بأن لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذه اياهم بالعذاب والانتقام كقوله تعالى و كذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة أن أخذه أليم شديد ﴿انه هو يبدئ ويعيد﴾ أى هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لأحد فى شئ منهما ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه أو هو يبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الآخرة ﴿وهو الغفور﴾ لمن تاب وآمن ﴿الودود﴾ المحب لمن أطاع ﴿ذو العرش﴾ خالقه وقيل المراد بالعرش الملك أى ذو السلطنة القاهرة وقرئ ذى العرش على أنه صفة ربك ﴿المجيد﴾ العظيم فى ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرئ بالجر على أنه صفة لربك أو للعرش ومجده علوه وعظمته ﴿فعال لما يريد﴾ بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من أفعاله تعالى وأفعال غيره وهو خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى ﴿هل أتاك حديث الجنود﴾ استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسليته عليه الصلاة والسلام بالاشعار بأنه سيصيب قومه ما أصاب الجنود ﴿فرعون وثمود﴾ بدل من الجنود لأن المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادى فى الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال والمعنى قد أتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشؤن الله تعالى وأنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم وقوله تعالى ﴿بل الذين كفروا فى تكذيب﴾ اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم أشد منهم فى الكفر والطغيان كأنه قيل ليسوا مثلهم فى ذلك بل هم أشد منهم فى استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فانهم مستقرون فى تكذيب شديد للقرآن الكريم أو قيل ليست جنايتهم بمجرد عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك فى تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لا أنهم يكذبون بوقوع الحادثة بل يكون ما نطق به قرآنا من عند الله تعالى مع وضوح أمره وظهور حاله بالبينات الباهرة ﴿والله من ورائهم محيط﴾ تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله تعالى بعدم فوت المحاط المحيط وقوله تعالى ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق أى ليس الامر كما قالوا بل هو كتاب شريف عالى الطبقة فيما بين الكتب الالهية فى النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة أى قرآن رب مجيد ﴿فى لوح محفوظ﴾ أى من التحريف ووصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع على أنه صفة قرآن وقرئ فى لوح وهو الهواء أى ما فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة تكون فى الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق

(مكية وآيها سبع عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والسماء والطارق﴾ الطارق فى الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردى وأصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمى قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع فى كل ما ظهر بالليل كائنا

ما كان ثم أشبع فى التوسع حتى أطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال

طرق الخيال ولا كليلة مدلج سدكا بأرجلنا ولم يتعرج

والمراد ههنا الكوكب البادى بالليل اما على أنه اسم جنس أو كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذى يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى ﴿ وما أدراك ما الطارق ﴾ تنويه بشأنه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على أن رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدأ وأدراك خبر والثانية خبر والطارق مبتدأ حسبما بين فى نظائره أى وأى شىء أعلمك ما الطارق وقوله تعالى ﴿ النجم الثاقب ﴾ خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام نشأ مما قبله كأنه قيل ما هو فقيل النجم المضىء فى الغاية كأنه يثقب الظلام أو الأفلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لامحالة واما كوكب معهود قيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدى وقيل النجم الثاقب نجم فى السماء السابعة لا يسكنها غيره فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفى ايراده عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى أن ذلك الوصف غير كاشف عن كنه أمره وأن ذلك مما لا تبلغه أفكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شأنه واجلال محله مالا يخفى وقوله تعالى ﴿ ان كل نفس لما عليها حافظ ﴾ جواب للقسم ومابينهما اعتراض جىء به لما ذكر من تأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا أى ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما فى قوله تعالى وكان الله على كل شىء رقيبا وقيل هو من يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر كما فى قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرىء لما مخففة على أن ان مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف واللام هى الفارقة وما مزيدة أى ان الشأن كل نفس لعليها حافظ والفاء فى قوله تعالى ﴿ فلينظر الانسان مم خلق ﴾ للتنبيه على أنما بين من أن كل نفس عليها حافظ يحصى عليها كل مايصدر عنها من قول وفعل مستوجب على الانسان أن يتفكر فى مبدأ فطرته حق التفكر حتى يتضح له أن من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على اعادته بل أقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يملى على حافظه مايرديه وقوله تعالى ﴿ خلق من ماء دافق ﴾ استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كأنه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذى دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من الماءين فى الرحم كما ينبىء عنه قوله تعالى ﴿ يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ أى صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لأن يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ أعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبهه ويورث الافراط فى الجماع الضعف فيه وله خليفة هى النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما أقرب الى أوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرىء الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة هى صالب ﴿ انه ﴾ الضمير للخالق تعالى فان قوله خلق يدل عليه أى ان ذلك الذى خلقه ابتداء مما ذكر ﴿ على رجعه ﴾ أى على اعادته بعد موته ﴿ لقادر ﴾ لبين القدرة ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ أى يتعرف ويتصفح ماأسر فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الأعمال ويميز بين ماطاب منها وماخبث وهو ظرف لرجعه ﴿ فما له ﴾ أى للانسان ﴿ من قوة ﴾ فى نفسه يمتنع بها ﴿ ولا ناصر ﴾ ينتصر به ﴿ والسماء ذات الرجع ﴾ أى المطر سمى رجعا لما أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب

يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض أو أرادوا بذلك التفاؤل ليرجع و لذلك سموه أو با أو لان الله تعالى يرجعه حينا فحينا ﴿والأرض ذات الصدع﴾ هو ماتتصدع عنه الارض من النبات أو مصدر من المبنى للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقية القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى أنهما فى أنفسهما من شواهده وهو السر فى التعبير بالصدع عنه وعن المطر بالرجع وذلك فى تشقق الارض بالنبات المحاكى للنشور حسبما ذكر فى مواقع من التنزيل لافى تشققها بالعيون ﴿انه﴾ أى القرآن الذى من جملته ماتلى من الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان ومعاده ﴿لقول فصل﴾ أى فاصل بين الحق والباطل مبالغ فى ذلك كأنه نفس الفصل ﴿وما هو بالهزل﴾ ليس فى شئ منه شائبة هزل بل كله جد محض لاهوادة فيه فمن حقه أن يهتدى به الغواة وتخضع له رقاب العتاة ﴿انهم﴾ أى أهل مكة ﴿يكيدون﴾ فى ابطال أمره واطفاء نوره ﴿كيدا﴾ حسبما تفى به قدرتهم ﴿وأكيد كيدا﴾ أى أقابلهم بكيد متين لايمكن رده حيث أستدرجهم من حيث لايعلمون ﴿فمهل الكافرين﴾ أى لاتشتغل بالانتقام منهم و لا تدع عليهم بالهلاك أو لا تستعجل به والفاء لترتيب مابعدها على ماقبلها فان الاخبار بتوليه تعالى لكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدى لمكايدتهم قطعا وقوله تعالى ﴿أمهلهم﴾ بدل من مهل وقوله تعالى ﴿رويدا﴾ اما مصدر مؤكد لمعنى العامل أو نعت لمصدره المحذوف أى أمهلهم امهالا رويدا أى قريبا كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما أوقليلا كما قاله قتادة قال أبو عبيدة هو فى الاصل تصغير رود بالضم وأنشد كأنها ثمل تمشى على رود أى على مهل وقيل تصغير ارواد مصدر أرود بالترخيم وله فى الاستعمال وجهان آخران كونه اسم فعل نحو رويد زيدا و كونه حالا نحو سار القوم رويدا أى متمهلين وفى ايراد البدل بصيغة لاتحتمل التكثير وتقييده برويدا على أحد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه مالايخفى . وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالى بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات والله أعلم

سورة الأعلى

(مكية وآيها تسع عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ اى نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لاعلى وجه الاعظام والاجلال والأعلى اماصفة للرب وهو الأظهر أو للاسم وقرئ سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت ﴿الذى خلق فسوى﴾ صفة أخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثانى لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره أى خلق كل شئ فسوى خلقه بأن جعل له مابه يتأتى كماله و يتسنى معاشه وقوله تعالى ﴿والذى قدر﴾ اماصفة أخرى للرب كالموصول الاول أومعطوف عليه وكذاحال مابعده قدر أجناس الاشياء وأنواعها وأفرادها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها ﴿فهدى﴾ أى فوجه كل واحد منها الى مايصدر عنه وينبغى له طبعا أواختيارا و يسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات و نصب الدلائل وانزال الآيات ولوتتبعت أحوال النباتات

والحيوانات لرأيت كل منها ما تحار فيه العقول يروى أن الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى أن تمسح عينها بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها فى برية بينها و بين الريف مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لاتخطئها فتحك عينها بورقها وترجع باصرة باذن الله عز وجل ويروى أن التمساح لايكون له دبر وانما يخرج فضلات ما يأكله من فمه حيث قيض الله له طائرا قدر غذاؤه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل مافيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه هذا وأما فنون هداياته سبحانه وتعالى للانسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لاسيما من حيث الانسانية فمما لايحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا العليم الخبير ﴿والذى أخرج المرعى﴾ أى أنبت مايرعاه الدواب غضا طريا يرف ﴿فجعله﴾ بعد ذلك ﴿غثاء أحوى﴾ أى دريناً أسود وقيل أحوى حال من المرعى أى أخرجه أحوى من شدة الخضرة والرى فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ بيان لهداية الله تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته تعالى العامة لكافة مخلوقاته وهى هدايته عليه الصلاة والسلام لتلقى الوحى وحفظ القرآن الذى هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه الصلاة والسلام لهداية الناس أجمعين والسين اما للتأكيد واما لان المراد اقراء ماأوحى الله اليه حينئذ وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحى فى ضمن الوعد بالاقراء أى سنقرئك مانوحى اليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام أو سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلاتنسى أصلا من قوة الحفظ والاتقان مع أنك أمى لاتدرى ماالكتاب وما القراءة ليكون ذلك آية أخرى لك مع مافى تضاعيف ماتقرؤه من الآيات البينات من حيث الاعجاز ومن حيث الاخبار بالمغيبات وقيل فلا تنس نهى والألف لمراعاة الفاصلة كما فى قوله تعالى فأضلونا السبيلا وقوله تعالى ﴿الاماشاء الله﴾ استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أى لاتنسى مما تقرؤه شيئاً من الاشياء الاماشاء الله أن تنساه أبدا بأن نسخ تلاوته والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشيئة على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان فى الجملة على القلة والندرة كما روى أنه عليه الصلاة والسلام أسقط آية فى قراءته فى الصلاة فحسب أبى أنها نسخت فسأله فقال عليه الصلاة والسلام نسيتها وقيل نفى النسيان رأسا فان القلة قد تستعمل فى النفى فالمراد بالنسيان حينئذ النسيان بالكلية اذ هو المنفى رأسا الا ماقد ينسى ثم يذكر ﴿انه يعلم الجهر وما يخفى﴾ تعليل لما قبله أى يعلم ماظهر وما بطن من الامور التى من جملتها ماأوحى اليك فينسى مايشاء انساءه ويبقى محفوظا مايشاء ابقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم ﴿ونيسرك لليسرى﴾ عطف على نقرئك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به عليه الصلاة والسلام مع أن الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما فى قوله تعالى ويسر لى أمرى للايذان بقوة تمكينه عليه الصلاة والسلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه الصلاة والسلام جبل عليها كما فى قوله عليه الصلاة والسلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له أى نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى فى كل باب من أبواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقى الوحى والاحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه الصلاة والسلام وتكميل غيره كما تفصح عنه الفاء فى قوله تعالى ﴿فذكر ان نفعت الذكرى﴾ أى فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى مافى تضاعيفه من الأحكام الشرعية كما كنت تفعله لابعد ماتستتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز فى الجد كل حد معهود حرصا على ايمانهم وما كان يزيد ذلك بعضهم

الا كفرا وعنادا فأمر عليه الصلاة والسلام بان يخص التذكير بمواد النفع فى الجملة بأن يكون من يذكره كلا أو بعضا من يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه فى تذكير من لا يورثه التذكير الاعتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما فى قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكرين واخبار عن حالهم واستبعاد لتأثير التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للوعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قصدا الى أنه مما لا يكون والاول أنسب لقوله تعالى ﴿ سيذكر من يخشى ﴾ أى سيتذكر بتذكيرك من من شأنه أن يخشى الله تعالى حق خشيته أو من يخشى الله تعالى فى الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر فى أمر ماتذكر به فيقف على حقيته فيؤمن به وقيل ان بمعنى اذكما فى قوله تعالى وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين أى اذ كنتم وقيل هى بمعنى ما أى فذكر ما نفعت الذكرى فانها لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل هناك محذوف والتقدير ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجانى والزهراوى ﴿ ويتجنبها ﴾ أى الذكرى ﴿ الأشقى ﴾ من الكفرة لتوغله فى عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن أبى ربيعة ﴿ الذى يصلى النار الكبرى ﴾ أى الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله عليه الصلاة والسلام ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ﴿ ثم لا يموت فيها ﴾ حتى يستريح ﴿ ولا يحيى ﴾ حياة تنفعه وثم للتراخى فى مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحياة أفظع من الصلى ﴿ قد أفلح ﴾ أى نجا من المكروه وظفر بما يرجوه ﴿ من تزكى ﴾ أى تطهر من الكفر والمعاصى بتذكره واتعاظه بالذكرى أو تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلاة وقيل تزكى تفعل من الزكاة وكلمة قد لما أن عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى فى الآخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره ﴿ وذكر اسم ربه ﴾ بقلبه ولسانه ﴿ فصلى ﴾ أقام الصلوات الخمس كقوله تعالى أقم الصلاة لذكرى أو كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى أى تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه أى كبره يوم العيد فصلى أى صلاته ﴿ بل تؤثرون الحيوة الدنيا ﴾ اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كأنه قيل اثر بيان ما يؤدى الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والاعراض عن الآخرة بالكلية كما فى قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الآية أو للكل فالمراد بايثارها ما هو أعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الانسان غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة فى السعى وترتيب المبادى والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثانى كذلك فى حق الكفرة وتشديد العتاب فى حق المسلمين وقرىء يؤثرون بالياء وقوله تعالى ﴿ والآخرة خير وأبقى ﴾ حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب أى تؤثرونها على الآخرة والحال أن الآخرة خير فى نفسها لما أن نعيمها مع كونه فى غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة أبدى لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره ﴿ ان هذا ﴾ اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد أفلح من تزكى وقيل الى ما فى السورة جميعا ﴿ لفى الصحف الاولى ﴾ أى ثابت فيها معناه ﴿ صحف ابراهيم وموسى ﴾ بدل من الصحف الاولى وفى ابهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شأنها ما لا يخفى. روى أن جميع ما أنزل الله عز وجل من كتاب مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عليه السلام عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف عليهم السلام والتوراة والانجيل والزبور والفرقان . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله تعالى على ابراهيم وموسى

و محمد عليهم السلام

سورة الغاشية

(مكية وآيها ست وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أتاك حديث الغاشية) قيل هل بمعنى قد كما فى قوله تعالى هل أتى على الانسان الآية قال قطرب أى قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذاك بل هو استفهام أريد به التعجيب مما فى حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار بأنه من الاحاديث البديعة التى حقها أن يتناقلها الرواة ويتنافس فى تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التى تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم بأهوالها وهى القيامة من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب الخ وقيل هى النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والاول هو الحق فان ما سيروى من حديثها ليس مختصا بالنار وأهلها بل ناطق بأحوال أهل الجنة أيضا وقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة) الى قوله تعالى مبثوثة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقى كأنه قيل من جهته عليه الصلاة والسلام ما أتانى حديثها فما هو فقيل وجوه يومئذ أى يوم اذ غشيت ذليلة قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن أتاه عليه الصلاة والسلام حديثها فأخبره عليه الصلاة والسلام عنها فقال وجوه الخ فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لانها فى موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى (عاملة ناصبة) خبران آخران لوجوه اذ المراد بها أصحابها أى تعمل أعمالا شاقة تتعب فيها وهى جر السلاسل والاغلال والخوض فى النار خوض الابل فى الوحل والصعود والهبوط فى تلال النار ووهادها وقيل عملت فى الدنيا أعمال السوء والتذت بها فهى يومئذ فى نصب منها وقيل عملت ونصبت فى أعمال لا تجدى عليها فى الآخرة وقوله تعالى (تصلى) أى تدخل (نارا حامية) أى متناهية فى الحر خبر آخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد مر غير مرة أن الصفة حقها أن تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب فى أن صلى النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب أمور متساوية فى الانتساب الى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع قيدا مفروغا عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة تحكم بحت ويجوز أن يكون هذا وما بعده من الجملتين استئنافا مبينا لتفاصيل أحوالها (تسقى من عين آنية) أى متناهية فى الحر كما فى قوله تعالى وبين حميم آن (ليس لهم طعام الا من ضريع) بيان لطعامهم اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هى شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمى بذلك وهذا طعام لبعض أهل النار والزقوم والغسلين لآخرين (لا يسمن ولا يغنى من جوع) أى ليس من شأنه الاسمان والاشباع كما هو شأن طعام الدنيا وانما هو شىء يضطرون الى أكله من غير أن يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على أن لهم استعدادا للشبع والسمن الا أنه لا يفيدهم شيئا منهما بل على أنه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك أن جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما فى هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرهما عند استقرارهما فى المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار فى

أحشائهم الى ادخال شئ كثيف يملؤها و يخرج ما فيها من اللهب وأما أن يكون لهم شوق الى مطعوم ما أو التذاذ به عند الاكل واستغناء به عن الغير أو استفادة قوة فهيهات و كذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند أكل الضريع والتهابه فى بطونهم الى شئ مائع بارد يطفئه من غير أن يكون لهم التذاذ بشربه أو استفادة قوة به فى الجملة وهو المعنى بما روى أنه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى أكل الضريع فاذا أكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوى وجوههم و يقطع أمعاءهم و تنكير الجوع للتحقير أى لا يغنى من جوع ما وتأخير نفى الاغناء منه لمراعاة الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفى كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفى الاسمان ضرورة استلزام نفى الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس و لذلك كرر لا لتأكيد النفى وقوله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناعمة ﴾ شروع فى رواية حديث أهل الجنة وتقديم حكاية حال أهل النار لانه أدخل فى تهويل الغاشية وتفخيم حديثها ولان حكاية حسن حال أهل الجنة بعد حكاية سوء حال أهل النار مما يزيد المحكى حسنا و بهجة والكلام فى اعراب الجملة كالذى مر فى نظيرتها وانما لم تعطف عليها ايذانا بكمال تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم أو متنعمة ﴿ لسعيها راضية ﴾ أى لعملها الذى عملته فى الدنيا حيث شاهدت ثمرته ﴿ فى جنة عالية ﴾ مرتفعة المحل أو علية المقدار ﴿ لا تسمع ﴾ أى أنت أو الوجوه ﴿ فيها لاغية ﴾ لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو فان كلام أهل الجنة كله أذكار وحكم وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء و رفع لاغية ﴿ فيها عين جارية ﴾ أى عيون كثيرة تجرى مياهها كقوله تعالى علمت نفس ﴿ فيها سرر مرفوعة ﴾ رفيعة السمك أو المقدار ﴿ وأكواب ﴾ جمع كوب وهو اناء لا عروة له ﴿ موضوعة ﴾ أى بين أيديهم ﴿ ونمارق ﴾ وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم ﴿ مصفوفة ﴾ بعضها الى بعض ﴿ وزرابى ﴾ أى بسط فاخرة جمع زربية ﴿ مبثوثة ﴾ أى مبسوطة ﴿ أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ﴾ استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية وما هو مبنى عليه من البعث الذى هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها كما فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة فى حيز الجر على أنها بدل اشتمال من الابل أى أينكرون ما ذكر من البعث وأحكامه و يستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل التى هى نصب أعينهم يستعملونها كل حين الى أنها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر أنواع الحيوانات فى عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيأتها اللائقة بتأتى ما يصدر عنها من الأفاعيل الشاقة كالنوء بالأوقار الثقيلة وجر الأثقال الفادحة الى الأقطار النازحة وفى صبرها على الجوع والعطش حتى ان أظماءها لتبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير و رعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفى انقيادها مع ذلك للانسان فى الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها فى ذلك كيفما يشاء و يقتادها بقطارها كل صغير و كبير ﴿ والى السماء ﴾ التى يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار ﴿ كيف رفعت ﴾ رفعا سحيق المدى بلا عماد و لا امساك بحيث لا يناله الفهم والادراك ﴿ والى الجبال ﴾ التى ينزلون فى أقطارها و ينتفعون بمياهها وأشجارها ﴿ كيف نصبت ﴾ نصبا رصينا فهى راسخة لا تميل و لا تميد ﴿ والى الأرض ﴾ التى يضربون فيها و يتقلبون عليها ﴿ كيف سطحت ﴾ سطحا بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق وقرئ سطحت مشددا وقرئت الأفعال الأربعة على بناء الفاعل للتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى أفلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من

الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا القائه بالايمان والطاعة والفاء فى قوله تعالى ﴿فذكر﴾ لترتيب الأمر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر أى فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى ﴿انما أنت مذكر﴾ تعليل للأمر وقوله تعالى ﴿لست عليهم بمصيطر﴾ تقرير له وتحقيق لمعنى الانذار أى لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما أنت عليهم بجبار وقرئ بالسين على الأصل وبالاشمام وقرئ بفتح الطاء قيل هى لغة بنى تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم تسيطر وقوله تعالى ﴿الا من تولى وكفر﴾ استثناء منقطع أى لكن من تولى منهم فان لله تعالى الولاية والقهر ﴿فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾ الذى هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله تعالى فذكر أى فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الأول أنه قرئ ألا على التنبيه وقوله تعالى ﴿ان الينا ايابهم﴾ تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الأكبر أى ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى أحد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما أن افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ ايابهم على أنه فيعال مصدر فيعل من الاياب أو فعال من أوب كفسار من فسر ثم قيل ايوابا كديوان فى دوان ثم قلبت الواو ياء فأدغمت الياء الأولى فى الثانية ﴿ثم ان علينا حسابهم﴾ فى المحشر لا على غيرنا وثم للتراخى فى الرتبة لا فى الزمان فان الترتب الزمانى بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما أمران مستمران وفى تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الأولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب فى الشدة من الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية يحاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

سورة الفجر

(مكية وآيها تسع وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والفجر﴾ أقسم سبحانه بالفجر كما أقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلاته ﴿وليال عشر﴾ هن عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو العشر الأواخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على أن المراد بالعشر الأيام ﴿والشفع والوتر﴾ أى الأشياء كلها شفعها ووترها أو شفع هذه الليالى ووترها وقد روى أن النبى عليه الصلاة والسلام فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الأقوال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح فى العدد وبالكسر فى الذحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء ﴿والليل اذا يسر﴾ أى يمضى كقوله تعالى والليل اذ أدبر والليل اذا عسعس والتقييد لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة أو يسرى فيه من قولهم صلى المقام أى صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسر وقرئ باثباتها على الاطلاق وبحذفها فى الوقف خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ والفجر والوتر وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الاطلاق ﴿هل فى ذلك قسم﴾ الخ تحقيق وتقرير لفخامة شأن المقسم بها وكونها أمورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند أرباب العقول وتنبيه على أن الاقسام بها أمر معتد به خليق بأن يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى الأمور المقسم بها والتذكير بتأويل ما ذكر كما مر تحقيقه أو الى الاقسام بها وأيا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار

اليه و بعد منزلته فى الشرف والفضل أى هل فيما ذكر من الأشياء قسم أى مقسم به ﴿لذى حجر﴾ يراه حقيقا بان
يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق أن الكل كذلك وانما أوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وايذانا بظهور الأمر
أو هل فى اقسامى بتلك الأشياء اقسام لذى حجر مقبول عنده يعتد به و يفعل مثله و يؤكد به المقسم عليه والحجر العقل
لأنه يحجر صاحبه أى يمنعه من التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لأنه يعقل و ينهى وحصاة أيضا من الاحصاء
وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ
عنه قوله تعالى ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾ الخ فانه استشهاد بعلمه عليه الصلاة والسلام بما يدل عليه من تعذيب
عاد وأضرابهم المشاركين لقومه عليه الصلاة والسلام فى الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى ألم تر الى الذى حاج
ابراهيم فى ربه الآية وقوله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون كأنه قيل ألم تعلم علما يقينيا كيف عذب ربك عادا
ونظائرهم فيعذب هؤلاء أيضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصى والمراد بعاد أولاد عاد بن عوص بن ارم
ابن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم أبيهم كما سمى بنو هاشم هاشما وقد قيل لأوائلهم عاد
الأولى ولأواخرهم عاد الآخرة قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد فى القرآن خبر عاد الأولى الا ما فى سورة الأحقاف
وقوله تعالى ﴿إرم﴾ عطف بيان لعاد للايذان بأنهم عاد الأولى بتقدير مضاف أى سبط ارم أو أهل ارم على ما قيل
من أن ارم اسم بلدتهم أو أرضهم التى كانوا فيها و يؤيده القراءة بالاضافة وأيا ما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث
وقرئ إرم باسكان الراء تخفيفا كما قرئ بورقكم ﴿ذات العماد﴾ صفة لارم أى ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم
بالأعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا أو ذات الخيام والأعمدة حيث كانوا بدويين أهل عمد أو ذات
البناء الرفيع أو ذات الأساطين على أن ارم اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم
أى بعاد أهل أعلام ذات العماد على أنها اسم بلدتهم وقرئ أرم ذات العماد أى جعلها الله تعالى رميما بدل من فعل ربك
وقيل هى جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة و روى أنه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات
شديد وخلص الأمر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى
عدن فى ثلثمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف
الأشجار والأنهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى
عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمة
و بلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من
المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت الى ابن قلابة
فقال هذا والله ذلك الرجل ﴿التى لم يخلق مثلها فى البلاد﴾ صفة أخرى لارم أى لم يخلق مثلهم فى عظم الأجرام
والقوة حيث كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتى الصخرة العظيمة فيحملها و يلقيها على الحى فيهلكهم
أو لم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا وقرئ لم يخلق على اسناده الى الله تعالى ﴿وثمود﴾ عطف على عاد
وهى قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود أخى جديس وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عربا من
العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد ﴿الذين جابوا الصخر بالواد﴾ أى قطعوا
صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل هم أول من نحت الجبال
والصخور والرخام وقد بنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة ﴿وفرعون ذى الأوتاد﴾ وصف بذلك لكثرة

جنوده وخيامهم التى يضربونها فى منازلهم أو لتعذيبه بالاوتاد ﴿الذين طغوا فى البلاد﴾ اما مجرور على أنه صفة للمذكورين أو منصوب أو مرفوع على الذم أى طغى كل طائفة منهم فى بلادهم وكذا الكلام فى قوله تعالى ﴿فأكثروا فيها الفساد﴾ أى بالكفر وسائر المعاصى ﴿فصب عليهم ربك﴾ أى أنزل انزالا شديدا على كل طائفة من أولئك الطوائف عقيب مافعلته من الطغيان والفساد ﴿سوط عذاب﴾ أى عذاب شديد لايدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التى شرحت فى سائر السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى أن ذلك بالنسبة الى ماأعدلهم فى الآخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شئ مائع أو جار مجراه فى السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع أنه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه فى نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشئ المصبوب وقيل السوط خلط الشئ بعضه ببعض فالمعنى ماخلط لهم من أنواع العذاب وقد فسر بالنصيب وبالشدة أيضا لان السوط يطلق على كل منهما لغة فلا حاجة حينئذ فى تشبيهه بالمصبوب الى اعتبار تكرر تعلقه بالمعذب كما فى المعنى الأول فان كل واحد من هذه المعانى مما يقبل الاستمرار فى نفسه وقوله تعالى ﴿ان ربك لبالمرصاد﴾ تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه عليه الصلاة والسلام سيصيبهم مثل ماأصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام وقيل هو جواب القسم ومابينهما اعتراض والمرصاد المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وأنهم لايفوتونه وقوله تعالى ﴿فأما الانسان﴾ الخ متصل بما قبله كأنه قيل انه تعالى بصدد مراقبة أحوال عباده ومجازاتهم بأعمالهم خيرا وشرا فأما الانسان فلا يهمه ذلك وانما مطمح أنظاره ومرصد أفكاره الدنيا ولذائذها ﴿اذا ما ابتلاه ربه﴾ أى عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفاء فى قوله تعالى ﴿فأكرمه ونعمه﴾ تفسيرية فان الاكرام والتنعيم من الابتلاء ﴿فيقول ربى أكرمن﴾ أى فضلنى بما أعطانى من المال والجاه حسبما كنت استحقه ولايخطر بباله أنه فضل تفضل به عليه ليبلوه أيشكر أم يكفر وهو خبر للمبتدا الذى هو الانسان والفاء لما فى أما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كأنه قيل فأما الانسان فيقول ربى أكرمن وقت ابتلائه بالانعام وانما تقديمه للايذان من أول الأمر بأن الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكى ﴿وأما اذا ما ابتلاه﴾ أى وأما هو اذا ما ابتلاه ربه ﴿فقدر عليه رزقه﴾ حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ﴿فيقول ربى أهانن﴾ ولايخطر بباله أن ذلك ليبلوه أيصبر أم يجزع مع أنه ليس من الاهانة فى شئ بل التقتير قد يؤدى الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضى الى خسرانهما وقرئ فقدر بالتشديد وقرئ أكرمنى وأهاننى باثبات الياء وأكرمن وأهانن بسكون النون فى الوقف ﴿كلا﴾ ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيها فى كلتا الحالتين قال ابن عباس رضى الله عنهما المعنى لم أبتله بالغنى لكرامته على ولم أبتله بالفقر لهوانه على بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب الى قوله الأخير بعيد وقوله تعالى ﴿بل لاتكرمون اليتيم﴾ انتقال من بيان سوء أقواله الى بيان سوء أفعاله والالتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتأكيدا للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس أى بل لكم أحوال أشد شرا مما ذكر وأدل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون مايلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لايكرمون ﴿ولا تحاضون﴾ بحذف احدى التاءين من تتحاضون أى لايحض بعضكم بعضا ﴿على طعام المسكين﴾ أى على اطعامه وقرئ تحاضون من المحاضة وقرئ يحضون بالياء والتاء ﴿وتأكلون

التراث ﴾ أى الميراث وأصله وراث ﴿ أكلا لما ﴾ أى ذا لم أى جمع بين الحلال والحرام فإنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان و يأكلون أنصباءهم أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك ﴿ وتحبون المال حبا جما ﴾ كثيرا مع حرص وشره وقرئ و يحبون بالياء ﴿ كلا ﴾ ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى ﴿ اذا دكت الارض دكا دكا ﴾ الخ استئناف جئ به بطريق الوعيد تعليلا للردع أى اذا دكت الأرض دكا متتابعا حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وأبنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شئ حتى صارت كالصخرة الملساء وأيا ما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية ﴿ وجاء ربك ﴾ أى ظهرت آيات قدرته و آثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من أحكام هيبته وسياسته وقيل جاء أمره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل ﴿ والملك صفا صفا ﴾ أى مصطفين أو ذوى صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والانس ﴿ وجئ يومئذ بجهنم ﴾ كقوله تعالى و برزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام معه سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ و زفير وقد رواه مسلم فى صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا ﴿ يومئذ ﴾ بدل من اذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى ﴿ يتذكر الانسان ﴾ أى يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره وأحكامه أو بمعاينة عينه على أن الأعمال تتجسم فى النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة أو يتعظ وقوله تعالى ﴿ وأنى له الذكرى ﴾ اعتراض جئ به لتحقيق أنه ليس بتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه فى أوانه وأنى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق به الخبر أى ومن أين يكون له الذكرى وقد فات أوانها وقيل هناك مضاف محذوف أى وأنى له منفعة الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة فى دار التكليف مما لا وجه له على أن تذكره ليس من التوبة فى شئ فانه عالم بأنها انما تكون فى الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿ يقول ياليتنى قدمت لحياتى ﴾ وهو بدل اشتمال من يتذكر أو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول ياليتنى عملت لاجل حياتى هذه أو وقت حياتى فى الدنيا أعمالا صالحة أنتفع بها اليوم وليس فى هذا التمنى شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وانما الذى يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة وأما أن ذلك بمحض قدرته أو بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة اليه فكلا وأما ما قيل من أن المحجور قد يتمنى أن كان ممكنا منه فربما يوهم أن من صرف قدرته الى أحد طرفى الفعل يعتقد أنه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل أحد جازم بأنه لو صرف قدرته الى أى طرف كان من أفعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة ﴿ فيومئذ ﴾ أى يوم اذ يكون ما ذكر من الأحوال والأقوال ﴿ لا يعذب عذابه أحد و لا يوثق وثاقه أحد ﴾ الهاء لله تعالى أى لا يتولى عذاب الله تعالى و وثاقه أحد سواه اذ الأمر كله له أو للانسان أى لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ الفعلان على البناء للمفعول والضمير للانسان أيضا وقيل المراد به أبى بن خلف أى لا يعذب أحد مثل عذابه و لا يوثق بالسلاسل والأغلال مثل وثاقه لتناهيه فى الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب الانسان أحد كقوله تعالى و لا تزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى ﴿ ياأيتها النفس المطمئنة ﴾ حكاية لاحوال من اطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته اثر حكاية أحوال من اطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان لأنها تترقى فى معارج الأسباب والمسببات الى المبدأ المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغنى به فى وجودها وسائر شئونها عن غيره بالكلية وقيل هى النفس المؤمنة المطمئنة الى الحق الواصلة الى ثلج اليقين بحيث

لا يخالجها شك ما وقيل هي الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن ويؤيده أنه قرئ يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة أي يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام أو على لسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الاظهر وقيل عند البعث وقيل عند الموت ﴿ ارجعي الى ربك ﴾ أي الى موعده أو الى أمره ﴿ راضية ﴾ بما أوتيت من النعيم المقيم ﴿ مرضية ﴾ عند الله عز وجل ﴿ فادخلي في عبادي ﴾ في زمرة عبادي الصالحين المختصين بي ﴿ وادخلي جنتي ﴾ معهم أو انتظمي في سلك المقربين واستضيئي بأنوارهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي أجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي في عبدي وقرئ في جسد عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في حبيب بن عدي رضي الله عنهما والظاهر العموم . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

سورة البلد

(مكية وآيها عشرون)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على أن الانسان خلق ممنوا بمقاساة الشدائد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى ﴿ وأنت حل بهذا البلد ﴾ اما لتشريفه عليه الصلاة والسلام بجعل حلوله به مناطا لاعظامه بالاقسام به أو للتنبيه من أول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان أنه عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك أو لتسليته عليه الصلاة والسلام بالوعد بفتحه على معنى وأنت حل به في المستقبل كما في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر وقد كان كذلك حيث أحل له عليه الصلاة والسلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل عليه الصلاة والسلام فيها ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال عليه الصلاة والسلام الا الاذخر ﴿ ووالد ﴾ عطف على هذا البلد والمراد به ابراهيم وبقوله تعالى ﴿ وما ولد ﴾ اسمعيل والنبي صلوات الله عليهم أجمعين حسبما ينبئ عنه المعطوف عليه فانه حرم ابراهيم ومنشأ اسمعيل ومسقط رأس رسول الله عليهم الصلاة والسلام والتعبير عنهما بما دون من للتفخيم والتعظيم كتنكير والد وايرادهم بعنوان الولاد ترشيح لمضمون الجواب وايماء الى أنه متحقق في حالتي الوالدية والولدية وقيل آدم عليه السلام ونسله وهو أنسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل الا أن التفخيم المستفاد من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولده ﴿ لقد خلقنا الانسان في كبد ﴾ أي تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده وأصله كبده اذا أصاب كبده ثم اتسع فيه

حتى استعمل فى كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبده بمعنى أهلكه وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يكابده من كفار قريش والضمير فى قوله تعالى ﴿أيحسب﴾ لبعضهم الذى كان عليه الصلاة والسلام يكابد منهم مايكابد كالوليد بن المغيرة وأضرابه وقيل هو أبو الاشد بن كلدة الجمحى و كان شديد القوة مغترا بقوته و كان يبسط له الاديم العكاظى فيقوم عليه و يقول من أزالنى عنه فله كذا فيجذبه عشرة فيتقطع قطعا و لا تزل قدماه أى أيظن هذا القوى المارد المتضعف للمؤمنين ﴿أن لن يقدر عليه أحد﴾ أن مخففة من أن واسمها الذى هو ضمير الشان محذوف أى أيحسب أنه لن يقدر على الانتقام منه أحد ﴿يقول أهلكت مالا لبدا﴾ يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم و يدعونها معالى ومفاخر ﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾ حين كان ينفق وأنه تعالى لا يسأله عنه و لا يجازيه عليه ﴿ألم نجعل له عينين﴾ يبصر بهما ﴿ولسانا﴾ يترجم به عن ضمائره ﴿وشفتين﴾ يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها ﴿وهديناه النجدين﴾ أى طريق الخير والشر أو الثديين وأصل النجد المكان المرتفع ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ أى فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التى هى الطريق فى الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ أى أى شىء أعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة ﴿فك رقبة﴾ أى هو اعتاق رقبة ﴿أو اطعام فى يوم ذى مسغبة﴾ أى مجاعة ﴿يتيما ذا مقربة﴾ أى قرابة ﴿أو مسكينا ذا متربة﴾ أى افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الأمور حسن دخول لا على الماضى فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتيما أو مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب من النسب وترب اذا افتقر وقرىء فك رقبة أو أطعم على الابدال من اقتحم ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾ عطف على المنفى بلا وثم للدلالة على تراخى رتبة الايمان و رفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به ﴿وتواصوا بالصبر﴾ عطف على آمنوا أى أوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله ﴿وتواصوا بالمرحمة﴾ بالرحمة على عباده أو بموجبات رحمته من الخيرات ﴿أولئك﴾ اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد درجتهم فى الشرف والفضل أى أولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة ﴿أصحاب الميمنة﴾ أى اليمين أو اليمن ﴿والذين كفروا بآياتنا﴾ بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن ﴿هم أصحاب المشأمة﴾ أى الشمال أو الشؤم ﴿عليهم نار مؤصدة﴾ مطبقة من آصدت الباب اذا أطبقته وأغلقته وقرىء موصدة بغير همزة من أوصدته . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيامة

سورة والشمس

(مكية وآيها خمس عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والشمس وضحاها﴾ أى ضوئها اذا أشرقت وقام سلطانها وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف ﴿والقمر اذا تلاها﴾ بأن طلع بعد غروبها وقيل اذا تلا طلوعه طلوعها وقيل اذا تلاها فى الاستدارة وكمال النور ﴿والنهار اذا جلاها﴾ أى جلى الشمس فانها تتجلى عند انبساط النهار فكأنه جلاها مع أنها التى تبسطه أو جلى الظلمة أو الدنيا أو الارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها ﴿والليل اذا يغشاها﴾ أى الشمس فيغطى

ضوؤها أو الآفاق أو الارض وحيث كانت الواوات العاطفة نوائب للواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا فى قولك أقسم بالله حققن أن يعملن عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا ﴿والسماء وما بناها﴾ أى ومن بناها وايثار ما على من لارادة الوصفية تفخيما كأنه قيل والقادر العظيم الشأن الذى بناها وجعلها مصدرية مخل بالنظم الكريم وكذا الكلام فى قوله تعالى ﴿والأرض وما طحاها﴾ أى بسطها من كل جانب كدحاها ﴿ونفس وما سواها﴾ أى انشأها وأبدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على أن المراد نفس آدم عليه السلام أو للتكثير وهو الأنسب للجواب ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ أى أفهمها اياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدى اليه كل منهما ومكنها من اختيار أيهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل ﴿قد أفلح من زكاها﴾ أى فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من أنماها وأعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد فى قوله تعالى ﴿وقد خاب من دساها﴾ لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتعلق القسم به أيضا أصالة أى خسر من نقصها وأخفاها بالفجور وأصل دسى دسس كتقضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها بطريق الاستطراد وانما الجواب ما حذف تعويلا على دلالة قوله تعالى ﴿كذبت ثمود بطغواها﴾ عليه كأنه قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام وهو على الأول استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية أى فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمنى بجرأته على الله تعالى أو صلة للتكذيب أى كذبت بما أوعدت به من العذاب ذى الطغوى كقوله تعالى فأهلكوا بالطاغية وقرىء بطغواها بضم الطاء وهو أيضا مصدر كالرجعى ﴿اذ انبعث أشقاها﴾ منصوب بكذبت أو بالطغوى أى حين قام أشقى ثمود وهو قدار بن سالف أو هو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان أفعل التفضيل اذا أضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل فى الرضا به ﴿فقال لهم﴾ أى لثمود ﴿رسول الله﴾ أى صالح عليه السلام عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم فى الطغيان وهو السر فى اضافة الناقة الى الله تعالى فى قوله تعالى ﴿ناقة الله﴾ أى ذروا ناقة الله ﴿وسقياها﴾ ولا تذودوها عنها فى نوبتها ﴿فكذبوه﴾ أى فى وعيده بقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم وقد جوز أن يكون ضمير لهم للاشقين ولا يلائمه ذكر سقياها ﴿فعقروها﴾ أى الأشقى والجمع على تقدير وحدته لرضا الكل بفعله وقال قتادة بلغنا أنه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان أفضل الناس ﴿فدمدم عليهم ربهم﴾ فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمدمة اذا ألبسها الشحم ﴿بذنبهم﴾ بسبب ذنبهم المحكى والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للانذار بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب ﴿فسواها﴾ أى الدمدمة بينهم لم يفلت منهم أحد من صغير وكبير أو فسوى ثمود بالارض أو سواها فى الهلاك ﴿ولا يخاف عقباها﴾ أى عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقى بعض الابقاء وذلك أنه تعالى لا يفعل فعلا الا بحق وكل من فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وان كان من شأنه الخوف والواو للحال أو للاستئناف وقرىء فلا يخاف وقرىء ولم يخف . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شىء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة والليل

(مكية وآيها احدى وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والليل اذا يغشى﴾ أي حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل اذا يغشاها أوالنهار أو كل مايواريه بظلامه ﴿والنهار اذا تجلى﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل أوتبين وتكشف بطلوع الشمس ﴿وماخلق الذكر والانثى﴾ أي والقادر العظيم القدرة الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل ماله توالد وقيل هما آدم وحواء وقرئ والذكر والانثى وقرئ والذي خلق الذكر والانثى وقيل مامصدرية ﴿ان سعيكم لشتى﴾ جواب القسم وشتى جمع شتيت أي ان مساعيكم لأشتات مختلفة وقوله تعالى ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى﴾ الخ تفصيل لتلك المساعي المشتتة وتبيين لأحكامها أي فأما من أعطى حقوق ماله واتقى محارم الله تعالى التي نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهي الايمان أو بالكلمة الحسنى وهي كلمة التوحيد أو بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنة ﴿فسنيسره لليسرى﴾ فسنهيئه للخصلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه من يسر الفرس للركوب اذا أسرجها وألجمها ﴿وأما من بخل﴾ أي بماله فلم يبذله في سبيل الخير ﴿واستغنى﴾ أي زهد فيما عنده تعالى كأنه مستغن عنه فلم يتقه أواستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة ﴿وكذب بالحسنى﴾ أي بما ذكر من المعاني المتلازمة ﴿فسنيسره للعسرى﴾ أي للخصلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختيارهما ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع أن كلامنهما أدنى رتبة مما بعدهما في استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للايذان بأن كلامنهما أصل فيما ذكر لاتتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الأول باعطاء الطاعة والثاني بالبخل بما أمر به مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى ﴿ومايغني عنه﴾ أي ولايغني أوأي شئ يغني عنه ﴿ماله﴾ الذي يبخل به ﴿اذا تردى﴾ أي هلك تفعل من الردى الذي هو الهلاك أوتردى في الحفرة اذاقبر أوتردى في قعر جهنم ﴿ان علينا للهدى﴾ استئناف مقرر لما قبله أي ان علينا بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة أن نبين لهم طريق الهدى ومايؤدي اليه من طريق الضلال ومايؤدي اليه وقد فعلنا ذلك بما لامزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن ههنا تبين أن الهداية هي الدلالة على مايوصل الى البغية لاالدلالة الموصلة اليها قطعا ﴿وان لنا للآخرة والاولى﴾ أي التصرف الكلي فيهما كيفما نشاء فنفعل فيهما مانشاء من الأفعال التي من جملتها ماوعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل ان لنا كل مافي الدنيا والآخرة فلايضرنا تركتم الاهتداء بهدانا ﴿فأنذرتكم نارا تلظى﴾ بحذف احدى التاءين من تتلظى أي تتلهب وقرئ على الأصل ﴿لايصلاها﴾ صليا لازما ﴿الا الأشقى﴾ الا الكافر فان الفاسق لايصلاها صليا لازما وقد صرح به قوله تعالى ﴿الذي كذب وتولى﴾ أي كذب بالحق وأعرض عن الطاعة ﴿وسيجنبها﴾ أي سيبعد عنها ﴿الأتقى﴾ المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي فلايحوم حولها فضلا عن دخولها أوصليها الابدي وأما من دونه ممن يتقي الكفر دون المعاصي فلايبعد عنها هذا التبعيد وذلك لايستلزم صليها بالمعنى المذكور فلايقدح في الحصر السابق ﴿الذي يؤتي ماله﴾ يعطيه ويصرفه في وجوه البر والحسنات وقوله تعالى ﴿يتزكى﴾ امابدل من يؤتي داخل في حكم الصلة لامحل له أو في حيز النصب على أنه حال من ضمير يؤتي أي يطلب أن يكون عند الله تعالى زاكيا ناميا لايريد به رياء ولاسمعة ﴿ومالأحد عنده من نعمة تجزى﴾

استئناف مقرر لكون ايتائه للتزكى خالصا لوجه الله تعالى أى ليس لأحد عنده نعمة من شأنها أن تجزى وتكافأ فيقصد بايتاء مايؤتى مجازاتها وقوله تعالى ﴿الاابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ استثناء منقطع من نعمة وقرئ بالرفع على البدل من محل نعمة فانه الرفع اما على الفاعلية أوعلى الابتداء ومن مزيدة ويجوز أن يكون مفعولا له لأن المعنى لايؤتى ماله الاابتغاء وجه ربه لالمكافأة نعمة والآيات نزلت فى حق أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين اشترى بلالا فى جماعة كان يؤذيهم المشركون فأعتقهم ولذلك قالوا المراد بالأشقى أبوجهل أوأمية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عذب المشركون بلالا وبلال يقول أحد أحد فمر به النبى عليه الصلاة والسلام فقال أحد يعنى الله تعالى ينجيك ثم قال لأبى بكر رضى الله عنه ان بلالا يعذب فى الله فعرف مراده عليه الصلاة والسلام فانصرف الى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى به الى أمية بن خلف فقال له أتبيعنى بلالا قال نعم فاشتراه فأعتقه فقال المشركون ماأعتقه أبو بكر الاليد كانت له عنده فنزلت وقوله تعالى ﴿ولسوف يرضى﴾ جواب قسم مضمر أى والله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع مايبتغيه على أكمل الوجوه وأجلها اذبه يتحقق الرضا وقرئ يرضى مبنيا للمفعول من الارضاء . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل أعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

ســورة والضحى

(مكية وآيها احدى عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والضحى﴾ هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالاقسام به لأنها الساعة التى كلم فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وأن يحشر الناس ضحى وقيل أريد به النهار كما فى قوله تعالى أن يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا ﴿والليل﴾ أى جنس الليل ﴿اذا سجى﴾ أى سكن أهله أو ركد ظلامه من سجا البحر سجوا اذا سكنت أمواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق أن المراد بالضحى هو الضحى الذى كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى ﴿ماودعك ربك﴾ جواب القسم أى ماقطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف أى ماتركك ﴿وماقلى﴾ أى وماأبغضك وحذف المفعول اما للاستغناء عنه بذكره من قبل أوللقصد الى نفى صدور الفعل عنه تعالى بالكلية مع أن فيه مراعاة للفواصل . روى أن الوحى تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما لتركه الاستثناء كما مر فى سورة الكهف أولزجره سائلا ملحا فقال المشركون أن محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت رداعليهم وتبشيراله عليه الصلاة والسلام بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما يشعر به ايراد اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام وحيث تضمن ماسبق من نفى التوديع والقلى أنه تعالى يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا بشره عليه الصلاة والسلام بأن ماسيؤتيه فى الآخرة أجل وأعظم من ذلك فقيل ﴿وللآخرة خير لك من الاولى﴾ لما أنها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما أوتى عليه الصلاة والسلام من شرف النبوة وان كان مما لايعادله شرف ولايدانيه فضل لكنه لايخلو فى الدنيا من بعض العوارض القادحة فى تمشية الأحكام مع أنه عند ماأعد له عليه الصلاة والسلام فى الآخرة من السبق والتقدم على كافة الأنبياء والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون أمته شهداء على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من

الكرامات السنية التي لاتحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادي بالنسبة الى المطالب وقيل المراد بالآخرة عاقبة أمره عليه الصلاة والسلام أى لنهاية أمرك خير من بدايته لاتزال تتزايد قوة وتتصاعد رفعة وقوله تعالى ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ عدة كريمة شاملة لما أعطاه الله تعالى فى الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والآخرين وظهور الأمر واعلاء الدين بالفتوح الواقعة فى عصره عليه الصلاة والسلام وفى أيام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة والاسلام فى مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التى لا يعلمها الا الله تعالى وقد أنبأ ابن عباس رضى الله عنهما عن شمة منها حيث قال له عليه الصلاة والسلام فى الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك واللام للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك الخ لا للقسم لأنها لاتدخل على المضارع الامع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على أن الاعطاء كائن لامحالة وان تراخى لحكمة وقيل هى للقسم وقاعدة التلازم بينها و بين نون التأكيد قد استثنى النحاة منها صورتين احداهما أن يفصل بينها و بين الفعل بحرف التنفيس كهذه الآية و كقوله والله لسأعطيك والثانية أن يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى لالى الله تحشرون وقال أبو على الفارسى ليست هذه اللام هى التى فى قولك ان زيداً لقائم بل هى التى فى قولك لأقومن ونابت سوف عن احدى نونى التأكيد فكأنه قيل وليعطينك وكذلك اللام فى قوله تعالى وللآخرة الخ وقوله تعالى ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى ﴾ تعديد لما أفاض عليه عليه الصلاة والسلام من أول أمره الى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه و ينشرح صدره والهمزة لانكار النفى وتقرير المنفى على أبلغ وجه كأنه قيل قدوجدك الخ والوجود بمعنى العلم و يتيما مفعوله الثانى وقيل بمعنى المصادفة و يتيما حال من مفعوله . روى أن أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته وذلك ايواؤه وقرىء فأوى وهو اما من أواه بمعنى آواه أو من أوى له اذا رحمه وقوله تعالى ﴿ ووجدك ضالا ﴾ عطف على ما يقتضيه الانكار السابق كما أشير اليه أو على المضارع المنفى بلم داخل فى حكمه كأنه قيل أما وجدك يتيما فآوى و وجدك غافلا عن الشرائع التى لاتهتدى اليها العقول كما فى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب وقيل ضل فى صباه فى بعض شعاب مكة فرده أبو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة أخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا ينادى من السماء يامعشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لايخذله و لايضيعه وان محمدا بوادى تهامة عند شجر السمر فسار عبد المطلب و ورقة بن نوفل فاذا النبى عليه الصلاة والسلام قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان والاوراق وقيل أضلته مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل فى طريق الشام حين خرج به أبو طالب . يروى أن ابليس أخذ بزمام ناقته فى ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى أرض الهند و رده الى القافلة ﴿ فهدى ﴾ فهداك الى مناهج الشرائع المنطوية فى تضاعيف ما أوحى اليك من الكتاب المبين وعلمك مالم تكن تعلم أو أزال ضلالك عن جدك أو عمك ﴿ ووجدك عائلا ﴾ أى فقيرا وقرىء عيلا وقرىء عديما ﴿ فأغنى ﴾ فأغناك بمال خديجة أو بمال حصل لك من ربح التجارة أو بما أفاء عليك من الغنائم قال عليه الصلاة والسلام جعل رزقى تحت ظل رمحى وقيل قنعك وأغنى قلبك ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ﴾ فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لاتحتقر وقرىء فلا تكهر أى فلا تعبس فى وجهه ﴿ وأما السائل فلا تنهر ﴾ فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا قال ابراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعى السائل يريد الآخرة يجىء الى باب

أحدكم فيقول أتبعثون الى أهليكم بشئ وقيل المراد بالسائل ههنا الذى يسأل عن الدين ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ بشكرها واشاعتها واظهار آثارها وأحكامها أريد بها ما أفاضه الله تعالى عليه عليه الصلاة والسلام من فنون النعم التى من جملتها النعم المعدودة الموجودة منها والموعودة والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله تعالى وهداك وأغناك فمهما يكن من شئ فلا تنس حقوق نعمة الله تعالى عليك فى هذه الثلاث واقتد بالله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك فتعطف على اليتيم فآوه وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الأمر هدايته عليه الصلاة والسلام للضلال وتعليمه للشرائع والأحكام حسبما هداه الله عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة ألم نشرح

(مكية وآيها ثمان)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ لما كان الصدر محلا لأحوال النفس ومخزنا لسرائرها من العلوم والادراكات والملكات والارادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتأييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الانسية أى ألم نفسحه حتى حوى عالمى الغيب والشهادة وجمع بين ملكتى الاستفادة والافادة فما صدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس أنوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق فى شئون الحق وقيل أريد به ما روى أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه أو يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله تمثيل لما ذكر أو أنموذج جسمانى مما سيظهر له عليه الصلاة والسلام من الكمال الروحانى والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكارى عن انتفائه للايذان بأن ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للايذان من أول الأمر بأن الشرح من منافعه عليه الصلاة والسلام ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة فى قلبه عليه الصلاة والسلام وتشويقا له الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن وقوله تعالى ﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴾ عطف على ما أشير اليه من مدلول الجملة السابقة كأنه قد شرحنا صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لما مر آنفا من القصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما أن فى وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب أطراف النظم الكريم أى حططنا عنك عبأك الثقيل ﴿ الذى أنقض ظهرك ﴾ أى حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعى الى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عليه الصلاة والسلام مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من عدم احاطته بتفاصيل الأحكام والشرائع أو من تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعد أن بلغ وبالغ وقرئ وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرئ وحللنا عنك وقرك ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ بعنوان النبوة وأحكامها أى رفع حيث قرن اسمه باسم الله تعالى فى كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وسمى رسول الله ونبى الله والكلام فى العطف وزيادة لك كالذى سلف وقوله تعالى ﴿ فان مع العسر يسرا ﴾ تقرير لما قبله ووعد

كريم بتيسير كل عسير له عليه الصلاة والسلام والمؤمنين كأنه قيل خولناك ما خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفى كلمة مع اشعار بغاية سرعة مجئ اليسر كأنه مقارن للعسر ﴿ ان مع العسر يسرا ﴾ تكرير للتأكيد أو عدة مستأنفة بأن العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتان للصائم فرحة أى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه الصلاة والسلام لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا أعيد يكون الثانى عين الأول سواء كان معهودا أو جنسا وأما المنكر فيحتمل أن يراد بالثانى فرد مغاير لما أريد بالاول ﴿ فاذا فرغت ﴾ أى من التبليغ وقيل من الغزو ﴿ فانصب ﴾ فاجتهد فى العبادة واتعب شكرا لما أوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآنفة وقيل فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد فى الدعاء وقيل اذا فرغت من دنياك فانصب فى صلاتك ﴿ والى ربك ﴾ وحده ﴿ فارغب ﴾ بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر على اسعافك لا غيره وقرئ فرغب أى فرغب الناس الى طلب ماعنده . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءنى وأنا مغتم ففرج عنى

سورة والتين

(مكية وقيل مدنية وآيها ثمان)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والتين والزيتون ﴾ هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما فى المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى أبو ذر رضى الله عنه أنه أهدى للنبى عليه الصلاة والسلام سل من تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن على بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الفالج وأما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله فى بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلا وشجرته هى الشجرة المباركة المشهود لها فى التنزيل ومر معاذ بن جبل رضى الله عنه بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبى عليه الصلاة والسلام يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هو سواكى وسواك الانبياء قبلى وقيل هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طورتينا وطورزيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال مابين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبرى وقال محمد بن كعب التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس رضى الله عنهما التين مسجد نوح عليه السلام الذى بناه على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى والصحيح هو الأول قال ابن عباس رضى الله عنهما هو تينكم الذى تأكلون وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وابراهيم النخعى وعطاء وجابر وزيد ومقاتل والكلبى ﴿ وطور سينين ﴾ هو الجبل الذى ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء علمان للموضع الذى

هو فيه و لذلك أضيف اليهما وسينون كبيرون فى جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بالحركات الاعرابية ﴿وهذا البلد الأمين﴾ أى الآمن من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو مكة شرفها الله تعالى وأمانتها أنها تحفظ من دخلها كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول من أمنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالآمن فى قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذى أمن و وجه الاقسام بهاتيك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غنى عن الشرح والتبيين ﴿لقد خلقنا الانسان﴾ أى جنس الانسان ﴿فى أحسن تقويم﴾ أى كائنا فى أحسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث برأه الله تعالى مستوى القامة متناسب الاعضاء متصفا بالحياة والعلم والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التى هى من أنموذجات من الصفات السبحانية وآثارها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق آدم على صورته وفى رواية على صورة الرحمن وبنى عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال ان النفس الانسانية مجردة ليست حالة فى البدن ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف تستعمله كيفما شاءت فاذا أرادت فعلا من الافاعيل الجسمانية تلقيه الى مافى القلب من الروح الحيوانى الذى هو أعدل الأرواح وأصفاها وأقربها منها وأقواها مناسبة الى عالم المجردات القاهرة روحانيا وهو يلقيه بواسطة مافى الشرايين من الارواح الى الدماغ الذى هو منبت الاعصاب التى فيها القوى المحركة للانسان فعند ذلك يحرك من الاعضاء مايليق بذلك الفعل من مباديه البعيدة والقريبة فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة فمن عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها وأفعالها تسنى له أن يترقى الى معارج معرفة رب العزة عز سلطانه ويطلع على أنه سبحانه منزه عن كونه داخلا فى العالم أو خارجا عنه يفعل فيه مايشاء ويحكم ما يريد بواسطة مارتبه فيه من الملائكة الذين يستدل على شئونهم بما ذكر من الأرواح والقوى المرتبة فى العالم الانسانى الذى هو نسخة للعالم الأكبر وأنموذج منه وقوله تعالى ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ أى جعلناه من أهل النار الذين هم أقبح من كل قبيح وأسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التى لو عمل بمقتضاها لكان فى أعلى عليين وقيل رددناه الى أرذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق وأياما كان فأسفل سافلين اما حال من المفعول أى رددناه حال كونه أسفل سافلين أو صفة لمكان محذوف أى رددناه مكانا أسفل سافلين والاول أظهر وقرىء أسفل السافلين وقوله تعالى ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ على الأول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه فى معنى الجمع وعلى الثانى منقطع أى لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم أو غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب فى قوله تعالى ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾ للرسول عليه الصلاة والسلام أى فأى شىء يكذبك دلالة أو نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريق الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت أى فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذه الدلائل والمعنى أن خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من أوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فأى شىء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى أن تكون كاذبا بسبب تكذيبه أيها الانسان ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ أى أليس الذى فعل ما ذكر بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه أحكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهى وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما يستحقونه

من العذاب . عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرأها يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين . وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والتين أعطاه الله تعالى الخصلتين العافية واليقين مادام فى دار الدنيا واذا مات أعطاه الله تعالى من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق

(مكية وآيها تسع عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿اقرأ﴾ أى ما يوحى اليك فان الأمر بالقراءة يقتضى المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب أن يكون ذلك ما يتصل بالأمر حتما سواء كانت السورة أول ما نزل أولا والأقرب أن هذا الى قوله تعالى مالم يعلم أول ما نزل عليه عليه الصلاة والسلام كما ينطق به حديث الزهرى المشهور وقوله تعالى ﴿باسم ربك﴾ متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل أى اقرأ ملتبسا باسمه تعالى أى مبتدئا به لتتحقق مقارنته لجميع أجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للاشعار بتبليغه عليه السلام الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحى المتواتر ووصف الرب بقوله تعالى ﴿الذى خلق﴾ لتذكير أول النعماء الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام منه تعالى والتنبيه على أن من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحى العالم المتكلم أى الذى أنشأ الخلق واستأثر به أو خلق كل شئ وقوله تعالى ﴿خلق الانسان﴾ على الأول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثانى افراد للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه اذ هو أشرفهم واليه التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز أن يراد بالفعل الأول أيضا خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير روما لتفخيم فطرته وقوله تعالى ﴿من علق﴾ أى دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالته الاولى والآخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على أن الانسان فى معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله هو السر فى تخصيصه بالذكر من بين سائر أطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب أدل منه على كمال القدرة لكونهما أبعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان أول النعم الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام منه تعالى وأقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك أولا ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى له من القراءة ثم كرر الأمر بقوله تعالى ﴿اقرأ﴾ أى افعل ما أمرت به تأكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى ﴿وربك الأكرم﴾ الخ فانه كلام مستأنف وارد لازاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله عليه السلام ما أنا بقارئ يريد أن القراءة شأن من يكتب ويقرأ وأنا أمى فقيل له وربك الذى أمرك بالقراءة مبتدئا باسمه هو الأكرم ﴿الذى علم بالقلم﴾ أى علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقوله تعالى ﴿علم الانسان مالم يعلم﴾ بدل اشتمال من علم بالقلم أى علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية مالم يخطر بباله وفى حذف المفعول أولا وايراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والاشعار بأنه تعالى يعلمه من العلوم مالا تحيط به العقول مالا يخفى ﴿كلا﴾ ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى بطغيانه

وان لم يسبق ذكره للمبالغة فى الزجر وقوله تعالى ﴿ان الانسان ليطغى﴾ أى ليجاوز الحد و يستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا الى آخر السورة نزل فى أبى جهل بعد زمان وهو الظاهر وقوله تعالى ﴿أن رآه استغنى﴾ مفعول له أى يطغى لان رأى نفسه مستغنيا على أن استغنى مفعول ثان لرأى لانه بمعنى علم و لذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميري واحد كما فى علمتنى وان جوزه بعضهم فى الرؤية البصرية أيضا وجعل من ذلك قول عائشة رضى الله عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء كما ينبئ عنه قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض للايذان بأن مدار طغيانه زعمه الفاسد. روى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة و ذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم مافعلنا بأصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تعالى ﴿ان الى ربك الرجعى﴾ تهديد للطاغى وتحذير له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد فى التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم الجار والمجرور عليه لقصره عليه أى ان الى مالك أمرك رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى ﴿أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى﴾ تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايذان بأنها من الشناعة والغرابة بحيث يجب أن يراها كل من يتأتى منه الرؤية و يقضى منها العجب. روى أن أبا جهل قال فى ملأ من طغاة قريش لئن رأيت محمدا يصلى لأطأن عنقه فرآه عليه السلام فى الصلاة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا مالك قال ان بينى و بينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه عليه السلام واستعظام النهى وتأكيد التعجب منه والرؤية ههنا بصرية وأما مافى قوله تعالى ﴿أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى﴾ وما فى قوله تعالى ﴿أرأيت ان كذب وتولى﴾ فقلبية معناه أخبرنى فان الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن المرئى أجرى الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الامر والتكذيب والتولى فى سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس فى حيز التردد أصلا بل باعتبار أوصافها التى هى كونها أمرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا كما فى قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به كما مر والمفعول الاول لأرأيت محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول أو اسم اشارة يشاربه اليه ومفعوله الثانى سد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثانى لأرأيت لايكون الا جملة استفهامية أو قسمية والمعنى أخبرنى ذلك الناهى ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى أو آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده أو مكذبا للحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ أى يطلع على أحواله فيجازيه بها حتى اجترأ على مافعل وانما أفرد التكذيب والتولى بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستأنف ولم ينظما فى سلك الشرط الاول بعطفهما على كان للايذان باستقلالهما بالوقوع فى نفس الامر واستتباع الوعيد الذى ينطق به الجواب وأما القسم الاول فأمر مستحيل قد ذكر فى حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر فى تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل أرأيت الاول بمعنى أخبرنى مفعوله الاول الموصول ومفعوله الثانى الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وأرأيت فى الموضعين تكرير للتأكيد ومعناه أخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهى على طريقة سديدة فيما ينهى عن عبادة الله تعالى أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده و كذلك ان كان

على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما تقول نحن ألم يعلم بأن الله يرى و يطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فتأمل وقيل المعنى أرأيت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهى عن الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما أعجب من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر أخرى وكأنه قال يا كافر أخبرني ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله تعالى أمرا بالتقوى أتنهاه وقيل هو أمية ابن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة ﴿ كلا ﴾ ردع للناهي اللعين وخسوء له واللام في قوله تعالى ﴿ لئن لم ينته ﴾ موطئة للقسم أي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر ﴿ لنسفعا بالناصية ﴾ لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لأسفعن و كتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الاضافة لظهور أن المراد ناصية المذكور ﴿ ناصية كاذبة خاطئة ﴾ بدل من الناصية وانما جاز ابدالها من المعرفة وهي نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية و بالنصب وكلاهما على الذم والشتم و وصفها بالكذب والخطأ على الاسناد المجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ماليس في قولك ناصية كاذب خاطئ ﴿ فليدع ناديه ﴾ أي أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم أي يجتمعون . روي أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال ألم أنهك فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فنزلت ﴿ سندع الزبانية ﴾ ليجروه الى النار والزبانية الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب الى الزبن ثم غير كأمسي وأصلها زباني فقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب وعن النبي عليه السلام لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا ﴿ كلا ﴾ ردع بعد ردع و زجر اثر زجر ﴿ لا تطعه ﴾ أي دم على ما أنت عليه من معاصاته ﴿ واسجد ﴾ و واظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به ﴿ واقترب ﴾ وتقرب بذلك الى ربك وفي الحديث أقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الاجر كأنما قرأ المفصل كله

سورة القدر

(مختلف فيها وآيها خمس)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ انا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ تنويه بشأن القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كأنه حاضر في جميع الاذهان و باسناد انزاله الى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به وتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى ﴿ وما أدراك ما ليلة القدر ﴾ لما فيه من الدلالة على أن علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها و لا يدريها الا علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى ﴿ ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ فانه بيان اجمالي لشأنها اثر تشويقه عليه السلام الى درايتها فان ذلك معرب عن الوعد بادرائها وقد مر بيان كيفية اعراب الجملتين وفي اظهار ليلة القدر في الموضعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزاله كله الى السماء الدنيا كما روي أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وأملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي عليه السلام نجوما في ثلاث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى أنزلناه في شأن ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضي الله عنه خشيت أن ينزل في قرآن وقول عائشة رضي الله عنها لأنا أحقر في نفسي من أن ينزل في قرآن فالأنسب أن يجعل الضمير

حينئذ للسورة التى هى جزء من القرآن لا للكل واختلفوا فى وقتها فأكثرهم على أنها فى شهر رمضان فى العشر الأواخر فى أوتارها وأكثر الاقوال أنها السابعة منها ولعل السر فى اخفائها تعريض من يريدها للثواب الكثير باحياء الليالى الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم أو لخطرها وشرفها على سائر الليالى وتخصيص الألف بالذكر اما للتكثير أو لما روى أنه عليه السلام ذكر رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فأعطوا ليلة ان أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد وقيل أرى النبى عليه السلام أعمار الأمم كافة فاستقصر أعمار أمته فخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم فى طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من ألف شهر لسائر الأمم وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذى القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل فى هذه الليلة لمن أدركها خيرا من ملكهما وقوله تعالى ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق فى سورة النبأ ما قيل فى شأن الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة الا تلك الليلة أى تنزل الملائكة والروح فى تلك الليلة من كل سماء الى الارض أو الى السماء الدنيا ﴿باذن ربهم﴾ متعلق بتنزل أو بمحذوف هو حال من فاعله أى ملتبسين باذن ربهم أى بأمره ﴿من كل أمر﴾ أى من أجل كل أمر قضاه الله عز وجل لتلك السنة الى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وقرىء من كل امرىء أى من أجل كل انسان قيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه ﴿سلام هى﴾ أى ماهى الا سلامة أى لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير وأما فى غيرها فيقضى سلامة و بلاء أو ماهى الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين ﴿حتى مطلع الفجر﴾ أى وقت طلوعه وقرىء بالكسر على أنه مصدر كالمرجع أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على أنها غاية لحكم التنزل أى لمكثهم فى محل تنزلهم أو لنفس تنزلهم بأن لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على أن الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدا مغتفر فى الجار . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطى من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر

سورة لم يكن

(مختلف فيها وآيها ثمان)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ أى اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلة ما نسب اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له فى كتابهم وايراد الصلة فعلا لما أن كفرهم حادث بعد أنبيائهم ﴿والمشركين﴾ أى عبدة الاصنام وقرىء والمشركون عطفا على الموصول ﴿منفكين﴾ أى عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث فى آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من أهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى أنهم كانوا يستفتحون و يقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان و يقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وأما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من أهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على أسلافهم كما يشهد به أنهم كانوا يسألونهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور فى كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام وانفكاك الشىء

عن الشيء أن يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم أى لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه ﴿حتى تأتيهم البينة﴾ التى كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكى لا باعتبار حال الحكاية كما فى قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين أى تلت وقوله تعالى ﴿رسول﴾ بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بالبينة للايذان بغاية ظهور أمره و كونه ذلك الموعود فى الكتابين وقوله تعالى ﴿من الله﴾ متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أى رسول وأى رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى ﴿يتلو﴾ صفة أخرى له أو حال من الضمير فى متعلق الجار ﴿صحفا مطهرة﴾ أى منزهة عن الباطل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أو من أن يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه عليه السلام من حيث ان تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى ﴿فيها كتب قيمة﴾ صفة لصحفا أو حال من ضميرها فى مطهرة ويجوز أن يكون الصفة أو الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعا به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب﴾ الخ كلام مسوق لغاية تشنيع أهل الكتاب خاصة وتغليظ جناياتهم ببيان أن ما نسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه ما فى الأمر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الأعذار بالكلية وهو السر فى وصفهم بايتاء الكتاب المنبئ عن كمال تمكنهم من مطالعته والاحاطة بما فى تضاعيفه من الأحكام والأخبار التى من جملتها نعوت النبى عليه الصلاة والسلام بعد ذكرهم فيما سبق بما هو جار مجرى اسم الجنس للطائفتين ولما كان هؤلاء والمشركون باعتبار اتفاقهم على الرأى المذكور فى حكم فريق واحد عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبارا لاستقلال كل من فريقى أهل الكتاب وايذانا بأن انفكاكهم عن الرأى المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأى آخر بل بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى ﴿الا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ استثناء مفرغ من أعم الاوقات أى وما تفرقوا فى وقت من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود فى كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى ﴿وما أمروا الا ليعبدوا الله﴾ جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا أى والحال أنهم ما أمروا وانما أمروا فى كتابهم الا لاجل أن يعبدوا الله وقيل اللام بمعنى أن أى الا بأن يعبدوا الله ويعضده قراءة الا أن يعبدوا الله ﴿مخلصين له الدين﴾ أى جاعلين دينهم خالصا له تعالى أو جاعلين أنفسهم خالصة له تعالى فى الدين ﴿حنفاء﴾ مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام ﴿ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة﴾ ان أريد بهما ما فى شريعتهم من الصلاة والزكاة فالامر ظاهر وان أريد بهما ما فى شريعتنا فمعنى أمرهم بهما فى الكتابين أن أمرهم باتباع شريعتنا أمر لهم بجميع أحكامها التى هما من جملتها ﴿وذلك﴾ اشارة الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته ﴿دين القيمة﴾ أى دين الملة القيمة وقرئ الدين القيمة على تأويل الدين بالملة هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه عليه السلام من أنهم لا ينفكون عن دينهم الى مبعثه ويعدون أن ينفكوا عنه حينئذ ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الخ بيان لاخلافهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم عن دينهم الباطل حسبما وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم عنه ومثل ذلك بأن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا أنفك عما أنا فيه حتى أستغنى فيستغنى فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن

الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق الا بعد اليسار وأنت خبير بأن هذا انما يتسنى بعد اللتيا والتى على تقدير أن يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بأن يقال التفرق عن الحق مستلزم للثبات على الباطل فكأنه قيل وما أجمعوا على دينهم الا من بعد ماجاءتهم البينة وأما على تقدير أن يردا به تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من أنكر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه القائل فلا فتأمل ﴿ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم﴾ بيان لحال الفريقين فى الآخرة بعد بيان حالهم فى الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم بأهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة فى الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها أنهم يصيرون اليها يوم القيامة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لا محالة أو أنهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على أن ماهم فيه من الكفر والمعاصى عين النار الا أنها ظهرت فى هذه النشأة بصور عرضية وستخلعها فى النشأة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر فى قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين فى سورة الأعراف ﴿خالدين فيها﴾ حال من المستكن فى الخبر واشتراك الفريقين فى دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافى تفاوت عذابهم فى الكيفية فان جهنم دركات وعذابها ألوان ﴿أولئك﴾ اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم فى الشر أى أولئك البعداء المذكورون ﴿هم شر البرية﴾ شر الخليقة أى أعمالا وهو الموافق لما سيأتى فى حق المؤمنين فيكون فى حيز التعليل لخلودهم فى النار أو شرهم مقاما ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وقرىء بالهمز على الأصل ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ بيان لمحاسن أحوال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب ﴿أولئك﴾ المنعوتون بما هو فى الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة ﴿هم خير البرية﴾ وقرىء خيار البرية وهو جمع خير نحو جيد وجياد ﴿جزاؤهم﴾ بمقابلة مالهم من الايمان والطاعة ﴿عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار﴾ ان أريد بالجنات الأشجار الملتفة الأغصان كما هو الظاهر فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وان أريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر وأياما كان فالمراد جريانها بغير أخدود ﴿خالدين فيها أبدا﴾ متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وفى تقديم مدحهم بخيرية البرية وذكر الجزاء المؤذن بكون مامنحوه فى مقابلة ماوصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالاضافة وبما يزيدها نعيما وتأبيد الخلود بالابود من الدلالة على غاية حسن حالهم مالايخفى ﴿رضى الله عنهم﴾ استئناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة على ماذكر من أجزية أعمالهم ﴿ورضوا عنه﴾ حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها وأتيح لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ذلك﴾ أى ماذكر من الجزاء والرضوان ﴿لمن خشى ربه﴾ فان الخشية التى هى من خصائص العلماء بشئون الله عز وجل مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للاشعار بعلة الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة

(مختلف فيها وآيها تسع)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا زلزلت الأرض﴾ أى حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا ﴿زلزالها﴾ أى الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذى لا غاية وراءه أو زلزالها العجيب الذى لا يقادر قدره أو زلزالها الداخل فى حيز الامكان وقرئ بفتح الزاى وهو اسم وليس فى الابنية فعلال بالفتح الا فى المضاعف وقولهم ناقة خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح أيضا مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية لقوله عز وجل ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ أى ما فى جوفها من الأموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت واظهار الأرض فى موقع الاضمار لزيادة التقرير أو للايماء الى تبدل الارض غير الأرض أو لأن اخراج الأثقال حال بعض أجزائها ﴿وقال الانسان﴾ أى كل فرد من أفراده لما يدهمهم من الطامة التامة و يبهرهم من الداهية العامة ﴿مالها﴾ زلزلت هذه المرتبة الشديدة من الزلزال وأخرجت مافيها من الأثقال استعظاما لما شاهدوه من الأمر الهائل وقد سيرت الجبال فى الجو وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر اذ لم يكن مؤمنا بالبعث والأظهر هو الأول على أن المؤمن يقوله بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب ﴿يومئذ﴾ بدل من اذا وقوله تعالى ﴿تحدث أخبارها﴾ عامل فيهما ويجوز أن يكون اذا منتصبا بمضمر أى يوم اذ زلزلت الأرض تحدث الخلق أخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها واخراج أثقالها واما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنها تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها وقرئ تنبئ أخبارها وقرئ تنبى من الانباء ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ أى تحدث أخبارها بسبب ايحاء ربك لها وأمره اياها بالتحديث على أحد الوجهين ويجوز أن يكون بدلا من أخبارها كأنه قيل تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لأن التحديث يستعمل بالباء وبدونها وأوحى لها بمعنى أوحى اليها ﴿يومئذ﴾ أى يوم اذ يقع ماذكر ﴿يصدر الناس﴾ من قبورهم الى موقف الحساب ﴿أشتاتا﴾ متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر فى قوله تعالى فتأتون أفواجا وقيل يصدرون عن الموقف أشتاتا ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار ﴿ليروا أعمالهم﴾ أى أجزية أعمالهم خيرا كان أو شرا وقرئ ليروا بالفتح وقوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ تفصيل ليروا وقرئ يره والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى فى شعاع الشمس من الهباء وأياما كان فمعنى رؤية ما يعادلها من خير وشر اما مشاهدة جزائه فمن الأولى مختصة بالسعداء والثانية بالأشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من أن حسنة الكافر تؤثر فى نقص العقاب يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا واما مشاهدة نفسه من غير أن يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا الا أراه الله تعالى اياه أما المؤمن فيغفر له سيئآته و يثيبه بحسناته وأما الكافر فيرد حسناته تحسرا و يعاقبه بسيئآته . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله والله أعلم

ســورة والعاديات

(مختلف فيها وآيها احدى عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والعاديات﴾ أقسم سبحانه بخيل الغزاة التى تعدو نحو العدو وقوله تعالى ﴿ضبحا﴾ مصدر منصوب اما بفعله المحذوف الواقع حالا منها أى تضبح ضبحا وهو صوت أنفاسها عند عدوها أو بالعاديات فان العدو مستلزم للضبح كأنه قيل والضابحات أو حال على أنه مصدر بمعنى الفاعل أى ضابحات ﴿فالموريات قدحا﴾ الايراء اخراج النار والقدح الصك يقال قدح فأورى أى فالتى تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلاثة ﴿فالمغيرات﴾ أسند الاغارة التى هى مباغتة العدو للنهب أو للقتل أو للاسر اليها وهى حال أهلها ايذانا بأنها العمدة فى اغارتهم ﴿صبحا﴾ أى فى وقت الصبح وهو المعتاد فى الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو و يهجمون عليهم صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى ﴿فأثرن به﴾ عطف على الفعل الذى دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتى عدون فأورين فأغرن فأثرن به أى فهيجن بذلك الوقت ﴿نقعا﴾ أى غبارا وتخصيص اثارته بالصبح لأنه لا يثور أولا يظهر ثورانه بالليل و بهذا ظهر أن الايراء الذى لا يظهر فى النهار واقع فى الليل ولله در شأن التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ فأثرن بالتشديد بمعنى فأظهرن به غبارا لأن التأثير فيه معنى الاظهار ﴿فوسطن به﴾ أى توسطن بذلك الوقت أو توسطن ملتبسات بالنقع ﴿جمعا﴾ من جموع الاعداء والفاآت للدلالة على ترتب مابعد كل منها على ماقبلها كما فى قوله

يا لهف زيابة للحارث الـــصابح فالغانم فالآيب

فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة الاغارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو وقوله تعالى ﴿ان الانسان لربه لكنود﴾ أى لكفور من كند النعمة كنودا جواب القسم والمراد بالانسان بعض أفراده . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى أناس من بنى كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصارى وكان أحد النقباء فأبطأ عليه عليه الصلاة والسلام خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبى عليه الصلاة والسلام بسلامتها و بشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين فى حقهم ماهم فيه من الكنود وفى تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة مالا مزيد عليه كأنه قيل وخيل الغزاة التى فعلت كيت وكيت وقد أرجف هؤلاء فى حق أربابها ما أرجفوا أنهم مبالغون فى الكفران ﴿وانه على ذلك﴾ أى وان الانسان على كنوده ﴿لشهيد﴾ يشهد على نفسه بالكنود لظهور أثره عليه ﴿وانه لحب الخير﴾ أى المال كما فى قوله تعالى ان ترك خيرا ﴿لشديد﴾ أى قوى مطيق مجد فى طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا وقيل الشديد البخيل أى انه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى أن من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم ويحوزون من الغنائم نصيبا وقوله تعالى ﴿أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور﴾ الخ تهديد و وعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أيفعل ما يفعل من القبائح أو ألا يلاحظ فلا يعلم حاله اذا بعث من فى القبور من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقرئ بحثر وبحث وبحثر وبحث على بنائهما للفاعل ﴿وحصل﴾ أى جمع

محصلا أو ميز خيره من شره وقرئ وحصل مبنيا للفاعل وحصل مخففا ﴿ مافى الصدور ﴾ من الأسرار الخفية التى من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصى فضلا عن الاعمال الجلية ﴿ ان ربهم ﴾ أى المبعوثين كنى عنهم بعد الاحياء الثانى بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم فى الحالين كما فعل نظيره بعد الاحياء الاول حيث التفت الى الخطاب فى قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار الآية بعد قوله ثم سواه ونفخ فيه من روحه ايذانا بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما أشير اليه هناك ﴿ بهم ﴾ بذواتهم وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها ﴿ يومئذ ﴾ يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما فى القبور وتحصيل ما فى الصدور ﴿ لخبير ﴾ أى عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرأ ابن السماك أن ربهم بهم يومئذ خبير . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة

(مكية وآيها عشر)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ القارعة ﴾ القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهى القيامة التى مبدؤها النفخة الاولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما مر فى سورة التكوير سميت بها لأنها تقرع القلوب والأسماع بفنون الأفزاع والاهوال وتخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتشار والارض بالزلزال والتبديل والجبال بالدك والنسف وهى مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿ ما القارعة ﴾ على أن ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة أن محط الفائدة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب فى أن مدار افادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة ما لا القارعة أى أى شئ عجيب هى فى الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيدا للتهويل وقوله تعالى ﴿ وما أدراك ما القارعة ﴾ تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى أن عظم شأنها ومدى شدتها بحيث لا تكاد تناله دراية أحد حتى يدريك بها وما فى حيز الرفع على الابتداء وأدراك هو الخبر ولا سبيل الى العكس ههنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لان أدرى يتعدى الى المفعول الثانى بالباء كما فى قوله تعالى ولا أدراكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له كانت فى موقع المفعول الثانى له والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا للمبتدأ الاول أى وأى شئ أعلمك ما شأن القارعة ولما كان هذا منبئا عن الوعد الكريم باعلامها أنجز ذلك بقوله تعالى ﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ﴾ على أن يوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأى الكوفيين أى هى يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعى كتطاير الفراش الى النار أو منصوب باضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه الصلاة والسلام الى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فانه يدريك ما هى هذا وقد قيل انه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة أى تقرع يوم يكون الناس الخ وقيل تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون الخ ﴿ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ أى

كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف فى تفرق أجزائها وتطايرها فى الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب وكلا الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عندحشر الخلق يبدل الله عزوجل الأرض غير الأرض و يغير هيئاتها و يسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهى وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الأرض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الوحد القهار فان اتباع الداعى الذى هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون الا بعد البعث قطعا وقد مر تمام الكلام فى سورة النمل وقوله تعالى ﴿فأما من ثقلت موازينه﴾ الخ بيان اجمالى لتحزب الناس الى حزبين وتنبيه على كيفية الاحوال الخاصة بكل منهما اثر بيان الاحوال الشاملة للكل والموازين اما جمع الموزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله كما قاله الفراء أو جمع ميزان قال ابن عباس رضى الله عنهما انه ميزان له لسان وكفتان لايوزن فيه الا الاعمال قالوا توضع فيه صحائف الأعمال فينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل وبه قال مجاهد والأعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين قالوا ان الميزان لا يتوصل به الا الى معرفة مقادير الأجسام فكيف يمكن أن يعرف به مقادير الأعمال التى هى أعراض منقضية وقيل ان الأعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع فى الميزان أى فمن ترجحت مقادير حسناته ﴿فهو فى عيشة راضية﴾ أى ذات رضا أو مرضية ﴿وأما من خفت موازينه﴾ بأن لم يكن له حسنة يعتد بها أو ترجحت سيئاته على حسناته ﴿فأمه﴾ أى فمأواه ﴿هاوية﴾ هى من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها . روى أن أهل النار تهوى فيها سبعين خريفا وقيل انها اسم للباب الأسفل منها وتعبير عن المأوى بالأم لان أهلها يأوون اليها كما يأوى الولد الى أمه وعن قتادة وعكرمة والكلبى أن المعنى فأم رأسه هاوية فى قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا والاول هو الموافق لقوله تعالى ﴿وما أدراك ماهيه نارحامية﴾ فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهى ضمير الهاوية والهاء للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه أن لايدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة فى المصحف وقد أجيز اثباتها مع الوصل . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيامة

سورة التكاثر

(مختلف فيها وآيها ثمان)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ألهاكم التكاثر﴾ أى شغلكم التغالب فى الكثرة والتفاخر بها . روى أن بنى عبدمناف وبنى سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسادة والأشراف فى الاسلام فقال كل من الفريقين نحن أكثر منكم سيدا وأعز عزيزا وأعظم نفرا فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغى افنانا فى الجاهلية فعادونا بالأحياء والأموات فكثرهم بنو سهم والمعنى أنكم تكاثرتم بالأحياء ﴿حتى زرتم المقابر﴾ أى حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى

بزيارة القبور تمكابهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد الى أن متم وقبرتم مضيعين أعماركم فى طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعى لأخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرئ أألهاكم على الاستفهام التقريرى ﴿ كلا ﴾ ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغى أن لايكون معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة ﴿ سوف تعلمون ﴾ سوء مغبة ما أنتم عليه اذا عاينتم عاقبته ﴿ ثم كلا سوف تعلمون ﴾ تكرير للتأكيد وثم للدلالة على أن الثانى أبلغ من الأول أو الأول عند الموت أو فى القبر والثانى عند النشور ﴿ كلا لو تعلمون علم اليقين ﴾ أى لو تعلمون ما بين أيديكم علم الامر اليقين أى كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم مالا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى ﴿ لترون الجحيم ﴾ جواب قسم مضمر أكد به الوعيد وشدد به التهديد وأوضح به ما أنذروه بعد ابهامه تفخيما ﴿ ثم لترونها ﴾ تكرير للتأكيد أو الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها أو المراد بالاولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة ﴿ عين اليقين ﴾ أى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة أقصى مراتب اليقين ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ أى عن النعيم الذى ألهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لايعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فأما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الآية مخصوصة بالكفار - عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذى أنعم به عليه فى دار الدنيا وأعطى من الأجر كأنما قرأ ألف آية

سورة والعصر

(مكية وآيها ثلاث)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والعصر ﴾ أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها الباهر أو بالعشى الذى هو ما بين الزوال والغروب كما أقسم بالضحى أو بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الأعصار أو بالدهر لانطوائه على تعاجيب الأمور القارة والمارة ﴿ ان الانسان لفى خسر ﴾ أى خسران فى متاجرهم ومساعيهم وصرف أعمارهم فى مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم ﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ فانهم فى تجارة لن تبور حيث باعوا الفانى الخسيس واشتروا الباقى النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيالها من صفقة ما أربحها وهذا بيان لتكميلهم لأنفسهم وقوله تعالى ﴿ وتواصوا بالحق ﴾ الخ بيان لتكميلهم لغيرهم أى وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذى لاسبيل الى انكاره ولا زوال فى الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله فى كل عقد وعمل ﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ أى عن المعاصى التى تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التى يشق عليها اداؤها أو على ما يبلو الله عز وجل به عباده وتخصيص هذا التواصى بالذكر مع اندراجه تحت التواصى بالحق لابراز كمال الاعتناء به أو لأن الاول عبارة عن رتبة العبادة التى هى فعل ما يرضى به الله تعالى والثانى عن رتبة العبودية التى هى الرضا بما فعل الله تعالى فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتشوق اليه من فعل وترك بل هو تلقى ما ورد منه تعالى بالجميل والرضا به ظاهرا وباطنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله تعالى له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة

(مكية وآيها تسع)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ويل﴾ مبتدأ خبره ﴿لكل همزة لمزة﴾ وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لأنه دعاء عليهم بالهلكة أو بشدة الشر والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا فى الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة على أن ذلك منه عادة مستمرة قد ضرى بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرئ لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذى يأتى بالاضاحيك فيضحك منه ويستهزأ به وقيل نزلت فى الاخنس بن شريق فانه كان ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه من جنابه الرفيع واختصاص السبب لايستدعى خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب منه مثل ذنوبهم ﴿الذى جمع مالا﴾ بدل من كل أو منصوب أو مرفوع على الذم وقرئ جمع بالتشديد للتكثير وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى ﴿وعدده﴾ وقيل معنى عدده جعله عدة لنوائب الدهر وقرئ وعدده أى جمع المال وضبط عدده أو جمع ماله وعدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الأنصار والأعوان وقيل هو فعل ماض بفك الادغام ﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ أى يعمل عمل من يظن أن ماله يبقيه حيا والاظهار فى موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال أمله ومناه الامانى البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه خالدا فى الدنيا لايموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد فى الدنيا وأنه هو الذى أخلد صاحبه فى الحياة الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بخالد ولا بمخلد وروى أن الاخنس كان له أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف والجملة مستأنفة أو حال من فاعل جمع ﴿كلا﴾ ردع له عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى ﴿لينبذن﴾ جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعلة الردع أى والله ليطرحن بسبب تعاطيه للافعال المذكورة ﴿فى الحطمة﴾ أى فى النار التى شأنها أن تحطم وتكسر كل مايلقى فيها كما أن شأنه كسر أعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما الحطمة﴾ لتهويل أمرها ببيان أنها ليست من الأمور التى تنالها عقول الخلق وقوله تعالى ﴿نار الله﴾ خبر مبتدا محذوف والجملة بيان لشأن المسئول عنها أى هى نار الله ﴿الموقدة﴾ بأمر الله عز سلطانه وفى اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل أمرها مالامزيد عليه ﴿التى تطلع على الأفئدة﴾ أى تعلو أوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما أن الفؤاد ألطف مافى الجسد وأشده تألما بأدنى أذى يمسه أو لأنه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الأعمال السيئة ﴿انها عليهم مؤصدة﴾ أى مطبقة من أوصدت الباب وآصدته أى أطبقته ﴿فى عمد ممددة﴾ اما حال من الضمير المجرور فى عليهم أى كائنين فى عمد ممددة أى موثقين فيها مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص أو خبر مبتدا مضمر أى هم فى عمد أو صفة لمؤصدة قاله أبو البقاء أى كائنة فى عمد ممددة بأن توصد عليهم الأبواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا فى استيثاق اللهم أجرنا منها ياخير مستجار وقرئ عمد بضمتين . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه

سورة الفيل

(مكية وآيها خمس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته عليه الصلاة والسلام بانكار عدمها و كيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية أى ألم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعيان باستماع الأخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بأن يقال ألم تر مافعل ربك الخ لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله عليه الصلاة والسلام فان ذلك من الارهاصات لما روى أن القصة وقعت فى السنة التى ولد فيها النبى عليه الصلاة والسلام وتفصيلها أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشى بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس وأراد أن يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل أججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع جيشه ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل ألف وقيل كان معه وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبا جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن أوالى غيره من الجهات هرول فأرسل الله تعالى طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا فى كل طريق ومنهل وروى أن أبرهة تساقطت أنامله وآرابه ومامات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل ان أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فى شأنها فلما رآه أبرهة عظم فى عينه وكان رجلا وسيما جسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فنزل أبرهة عن سريره وجلس على بساطه وقيل أجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ماحاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى حيث جئت لأهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم فى قديم الدهر لاتكلمنى فيه الهاك عنه ذود أخذت لك فقال عبد المطلب أنارب الابل وان للبيت ربا يحميه ثم رجع وأتى باب الكعبة فأخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ماهى نجدية ولا تهامية فأرسل حلقة الباب ثم انطلق مع أصحابه ينتظرون ماذا يفعل أبرهة فأرسل الله تعالى عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان أبرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن النبى عليه الصلاة والسلام وعن عائشة رضى الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان وقرئ ألم تر بسكون الراء للجد فى اظهار أثر الجازم وقوله تعالى ﴿ألم يجعل كيدهم فى تضليل﴾ الخ بيان اجمالى لما فعله الله تعالى بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كأنه قيل قد جعل كيدهم فى تعطيل الكعبة وتخريبها فى تضييع وابطال بأن دمرهم أشنع تدمير ﴿وأرسل عليهم طيرا أبابيل﴾ أى طوائف وجماعات جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل أبابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها ﴿ترميهم بحجارة﴾ صفة لطيرا وقرئ يرميهم بالتذكير لأن الطير اسم جمع تأنيثه باعتبار

المعنى ﴿من سجيل﴾ من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كأنه علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجينا علم للديوان الذى يكتب فيه أعمالهم كأنه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ كورق زرع وقع فيه الاكال وهو أن يأكله الدود أو أكل حبه فبقى صفرا منه أو كتبن أكلته الدواب وراثته أشير اليه بأول أحواله . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل أعفاه الله تعالى أيام حياته من الخسف والمسخ والله أعلم

سورة قريش

(مكية وآيها أربع)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿لايلاف قريش﴾ متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اذ المعنى أن نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك أصحاب الفيل لايلاف الخ وقيل تقديره اعجبوا لايلاف الخ وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف مأكول ويؤيده أنهما فى مصحف أبى سورة واحدة بلا فصل والمعنى أهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوا لهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن فى رحلتيهم فلا يجترئ عليهم أحد وكانت لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا فى رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله تعالى وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب والايلاف من قولك آلفت المكان ايلافا اذا ألفته وقرئ لالاف قريش أى لمؤالفتهم وقيل يقال ألفته الفا والافا وقرئ لالف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد وقوله تعالى ﴿ايلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾ بدل من الأول ورحلة مفعول لايلافهم وافرادها مع أن المراد رحلتى الشتاء والصيف لأمن الالباس وفى اطلاق الايلاف عن المفعول أولا وابدال هذا منه تفخيم لأمره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقرئ رحلة بالضم وهى الجهة التى يرحل اليها ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم﴾ بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا فيهما بواسطة كونهم من جيرانه ﴿من جوع﴾ شديد كانوا فيه قبلهما وقيل أريد به القحط الذى أكلوا فيه الجيف والعظام ﴿وآمنهم من خوف﴾ عظيم لا يقادر قدره وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف فى بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم فى بلدهم . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة قريش أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الماعون

(مختلف فيها وآيها سبع)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿أرأيت الذى يكذب بالدين﴾ استفهام أريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام والتعجيب منه والخطاب

لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ أرأيتك بزيادة حرف الخطاب والفاء في قوله تعالى ﴿فذلك الذي يدع اليتيم﴾ جواب شرط محذوف على أن ذلك مبتدأ والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء أو بالاسلام أن لم تعرفه أو ان أردت أن تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد قيل هو ابو جهل كان وصيا ليتيم فأتاه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا وقيل أبو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرئ يدع اليتيم أي يتركه ويجفوه ﴿ولا يحض﴾ أي أهله وغيرهم من الموسرين ﴿على طعام المسكين﴾ واذا كان حال من ترك حث غيره على ماذكر فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء في قوله تعالى ﴿فويل﴾ الخ اما لربط مابعدها بشرط محذوف كأنه قيل اذا كان ماذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل ﴿للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون﴾ غافلون غير مبالين بها ﴿الذين هم يراءون﴾ أي يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليها ﴿ويمنعون الماعون﴾ أي الزكاة أو مايتعاور عادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلاة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التي هي قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق أحق بذلك واما لترتيب الدعاء عليهم بالويل على ماذكر من قبائحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم ليتوسل بذلك الى بيان ان لهم قبائح أخر غير ماذكر . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الدين غفر له ان كان للزكاة مؤديا

سـورة الكوثر

(مكية وآيها ثلاث)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿انا أعطيناك﴾ وقرئ انطيناك ﴿الكوثر﴾ أي الخير المفرط الكثير من شرف النبوة الجامعة لخيري الدارين والرياسة العامة المستتبعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هو نهر في الجنة وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قرأها فقال أتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروى في صفته أنه أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروى لا يظمأ من شرب منه أبدا أول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد يموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو أقسم على الله لأبره وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو أولاده وأتباعه أو علماء أمته أو القرآن الحاوي لخير الدنيا والدين والفاء في قوله تعالى ﴿فصل لربك﴾ لترتيب مابعدها على ماقبلها فان اعطاءه تعالى اياه عليه السلام ماذكر من العطية التي لم يعطها ولن يعطيها أحدا من العالمين مستوجب للمأمور به أي استيجاب أي فدم على الصلاة لربك الذي أفاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا يضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها أداء لحقوق شكرها فان الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر ﴿وانحر﴾ البدن التي هي خيار أموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون وعن عطية

هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو أن يرفع يديه فى التكبير الى نحره هو المروى عن النبي عليه الصلاة والسلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وأبي الاحوص ﴿ان شانئك﴾ أي مبغضك كائنا من كان ﴿هو الأبتر﴾ الذى لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل و لا حسن ذكر وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك فى الآخرة مالا يندرج تحت البيان وقيل نزلت فى العاص بن وائل وأيا ما كان فلا ريب فى عموم الحكم. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر فى الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر

سورة الكافرون

(مكية وآياتها ست)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قل يأيها الكافرون﴾ هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى أنه لا يتأتى منهم الايمان أبدا. روى أن رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ أى فيما يستقبل لأن لا لا تدخل غالبا الا على مضارع فى معنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل الا على مضارع فى معنى الحال والمعنى لا أفعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ اى ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة الهى ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ أى وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه أى لم يعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف ترجى منى فى الاسلام ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أى وما عبدتم فى وقت من الاوقات ما أنا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفى العبادة حالا كما أن الأوليين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لأنهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه السلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وايثار ما فى أعبد على من لان المراد هو الوصف كأنه قيل ما أعبد من المعبود العظيم الشأن الذى لا يقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية أي لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى وقيل الاوليان بمعنى الذى والاخريان مصدريتان وقيل قوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم تأكيد لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد ثانيا تأكيد لمثله المذكور أولا وقوله تعالى ﴿لكم دينكم﴾ تقرير لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم كما أن قوله تعالى ﴿ولى دين﴾ تقرير لقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد والمعنى أن دينكم الذى هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لى أيضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به أمانيكم الفارغة فان ذلك من المحالات وأن دينى الذى هو التوحيد مقصور على الحصول لى لا يتجاوزه الى الحصول لكم أيضا لأنكم علقتموه بالمحال الذى هو عبادتى لآلهتكم أو استلامى اياها ولأن ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين فى كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما ويجوز أن يكون هذا تقريرا لقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم أى ولى دينى لا دينكم كما هو فى قوله تعالى ولكم ما كسبتم وقيل المعنى انى نبي مبعوث اليكم لأدعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا منى ولم تتبعونى فدعونى كفافا ولا تدعونى الى الشرك فتأمل. عن النبي صلى الله عليه وسلم من

قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين و برئ من الشرك وتعافى من الفزع الأكبر

سورة النصر

(مدنية وآيها ثلاث)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا جاء نصر الله﴾ أى اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك ﴿والفتح﴾ أى فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما أن نفسها أم القرى وامامها جعل مجيئه بمنزلة مجئ سائر الفتوح وعلق به أمره عليه السلام بالتسبيح والحمد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجئ للايذان بأنهما متوجهان نحوه عليه السلام وأنهما على جناح الوصول اليه عليه السلام عن قريب . روى أنها نزلت قبل الفتح وعليه الأكثر وقيل فى أيام التشريق بمنى فى حجة الوداع فكلمة اذا حينئذ باعتبار أن بعض مافى حيزها أعنى رؤية دخول الناس الخ غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع النبى عليه الصلاة والسلام عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب وأقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لاشريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ماترون أنى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيأ ولذلك سمى أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن ﴿ورأيت الناس﴾ أى أبصرتهم أو علمتهم ﴿يدخلون فى دين الله﴾ أى ملة الاسلام التى لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على الأول حال من الناس وعلى الثانى مفعول ثان لرأيت وقوله تعالى ﴿أفواجا﴾ حال من فاعل يدخلون أى يدخلون فيه جماعات كثيفة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين . روى أنه عليه السلام لما فتح مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر بأهل الحرم فلن يقاومه أحد وقد كان الله تعالى أجارهم من أصحاب الفيل ومن كل من أرادهم فكانوا يدخلون فى دين الاسلام أفواجا من غير قتال وقرئ فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول ﴿فسبح بحمد ربك﴾ فقل سبحان الله حامدا له أو فتعجب لتيسير الله تعالى مالم يخطر ببال أحد من أن يغلب أحد على أهل حرمه المحترم واحمده على جميل صنعه هذا على الرواية الأولى ظاهر وأما على الثانية فلعله عليه السلام أمر بأن يداوم على ذلك استعظاما لنعمه لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح أوفاذكره مسبحا حامدا زيادة فى عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك أوفصل له حامدا على نعمه روى أنه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثمانى ركعات أو فنزهه عما يقوله الظلمة حامدا له على أن صدق وعده أوفأثن على الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام ﴿واستغفره﴾ هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله تعالى واستدراكا لما فرط منك من ترك الأولى . عن عائشة رضى الله عنها أنه كان عليه الصلاة والسلام يكثر قبل موته أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك وعنه عليه السلام انى لأستغفر فى اليوم والليلة مائة مرة وروى أنه لما قرأها النبى عليه الصلاة والسلام على أصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك ياعم فقال نعيت اليك نفسك قال عليه السلام انها لكما تقول فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذى قال ذلك فقال عليه السلام لقد أوتى هذا الغلام علما كثيرا ولعل ذلك

للدلالة على تمام أمر الدعوة وتكامل أمر الدين كقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وروى أنها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم أبو بكر رضى الله عنه فقال فديناك بأنفسنا وآبائنا وأولادنا وعنه عليه السلام أنه دعا فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الى نفسى فبكت فقال لا تبكى فانك أول أهلى لحوقا بى وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو أمر بالاستغفار لأمته ﴿ انه كان توابا ﴾ منذ خلق المكلفين أى مبالغا فى قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النصر أعطى من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت

(مكية وآيها خمس)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ تبت ﴾ أى هلكت ﴿ يدا أبى لهب ﴾ هو عبد العزى بن عبد المطلب وايثار التباب على الهلاك واسناده الى يديه لما روى أنه لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا وأخذ حجرا ليرميه عليه السلام به ﴿ وتب ﴾ أى وهلك كله وقيل المراد بالأول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقول من قال

جزانى جزاه الله شر جزائه   جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب وقيل الأول اخبار عن هلاك عمله لأن الأعمال تزاول غالبا بالأيدى والثانى اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثانى اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا ولاشتهاره بها ولكراهة ذكر اسمه القبيح وقرئ أبو لهب كما قيل على بن أبو طالب وقرئ أبى لهب بسكون الهاء ﴿ ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ أى لم يغن عنه حين حل به التباب على أن ما نافية أو أى شئ أغنى عنه على أنها استفهامية فى معنى الانكار منصوبة بما بعدها أصل ماله وما كسبه من الأرباح والنتائج والمنافع والوجاهة والأتباع أو ماله الموروث من أبيه والذى كسبه بنفسه أو عمله الخبيث الذى هو كيده فى عداوة النبى عليه الصلاة والسلام أو عمله الذى ظن أنه منه على شئ كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كسب ولده وروى أنه كان يقول ان كان ما يقول ابن أخى حقا فأنا أفتدى منه نفسى بمالى وولدى فأستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة أسد فى طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان عليه السلام دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال فاجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقى ثلاثا حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان الامر كما أخبر به القرآن ﴿ سيصلى ﴾ بفتح الياء وقرئ بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتأكيد الوعيد وتشديده أى سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل فى الآخرة ﴿ نارا ذات لهب ﴾ أى نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهى نار جهنم وليس هذا نصا فى أنه لا يؤمن أبدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن أن يكون مكلفا بأن يؤمن بأنه لا يؤمن أبدا فيكون مأمورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم أبو لهب من هذا أن دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور من أن ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبى عليه الصلاة

والسلام اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم أن يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر ﴿ وامرأته ﴾ عطف على المستكن فى سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهى أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل فى طريق النبى عليه الصلاة والسلام وكان عليه السلام يطؤه كما يطأ الحرير وقيل كانت تمشى بالنميمة ويقال لمن يمشى بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم أى يوقد بينهم النار ﴿ حمالة الحطب ﴾ بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على أن الاضافة غير حقيقية اذ المراد أنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة أنها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتما وقرىء بالرفع على أنه خبر وامرأته مبتدأ وقرىء حمالة للحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرىء مريته بالتصغير للتحقير ﴿ فى جيدها حبل من مسد ﴾ جملة من خبر مقدم ومبتدا مؤخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف المقل وقيل من أى ليف كان وقيل من لحاء شجر باليمن وقد يكون من جلود الابل وأوبارها والمعنى فى عنقها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا بحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما فى بيت العز والشرف قال مرة الهمدانى كانت أم جميل تأتى كل يوم بابالة من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هى ذات ليلة حاملة حزمة أعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبى لهب فى دار واحدة

سورة الاخلاص

(مختلف فيها وآيها أربع)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قل هو الله أحد ﴾ الضمير للشأن ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الايذان بأنه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل أحد واليه يشير كل مشير واليه يعود كل ضمير كما ينبىء عنه اسمه الذى أصله القصد أطلق على المفعول مبالغة ومحله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة الى الربط لأنها عين الشأن الذى عبر عنه بالضمير والسر فى تصدير الجملة به التنبيه من أول الامر على فخامة مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم منه من أول الامر الا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما أمامه مما يفسره ويزيل ابهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وهمزة أحد مبدلة من الواو وأصله وحد لا كهمزة ما يلازم النفى ويراد به العموم كما فى قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين وما فى قوله عليه السلام ما أحلت الغنائم لأحد سود الرؤس غيركم فانها أصلية وقال مكى أصل أحد واحد فابدلت الواو همزة فاجتمع ألفان لأن الهمزة تشبه الألف فحذفت احداهما تخفيفا وقال ثعلب ان أحدا لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال أحد واثنان كما يقال واحد واثنان ولا يقال رجل أحد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالى أو هو لما سئل عنه أى الذى سألتم عنه هو الله اذ روى أن قريشا قالوا صف لنا ربك الذى تدعونا اليه وانسبه فنزلت فالضمير مبتدأ والله خبره وأحد بدل منه أو خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف وقرىء هو الله أحد بغير قل وقرىء الله أحد بغير قل هو وقرىء قل هو الواحد وقوله تعالى ﴿ الله الصمد ﴾ مبتدأ وخبر والصمد فعل بمعنى

مفعول لمن صمد اليه اذا قصده أى هو السيد المصمود اليه فى الحوائج المستغنى بذاته و كل ما عداه محتاج اليه فى جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقى الذى لم يزل و لا يزال وقيل الذى يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار بأن من لم يتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الألوهية وتعرية الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة الاولى بين أولا ألوهيته عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم أحديته الموجبة تنزهه عن شائبة التعدد والتركيب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة فى الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتى عما سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه فى وجودها و بقائها وسائر أحوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سننه الواضح ثم صرح ببعض أحكام جزئية مندرجة تحت الأحكام السابقة فقيل ﴿لم يلد﴾ تنصيصا على ابطال زعم المفترين فى حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفى على صيغة الماضى أى لم يصدر عنه ولد لانه لايجانسه شىء ليمكن أن يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله تعالى أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة و لايفتقر الى ما يعينه أو يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه ﴿ولم يولد﴾ أى لم يصدر عن شىء لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا ولاحقا والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ماقبله وتحقيقه بالاشارة الى أنهما متلازمان اذ المعهود أن ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بأنه لم يولد الاعتراف بأنه لايلد فهو قريب من عطف لايستقدمون على لايستأخرون كما مر تحقيقه ﴿ولم يكن له كفوًا أحد﴾ أى لم يكافئه أحد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوًا قدمت عليه مع أن حقها التأخر عنه للاهتمام بها لان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى وقد جوز أن يكون خبرا لا صلة فيكون كفوًا حالا من أحد وليس بذاك وأما تأخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غنى عن البيان وقرىء بضم الكاف والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطواء السورة الكريمة مع تقارب قطريها على أشتات المعارف الالهية والرد على من ألحد فيها ورد فى الحديث النبوى أنها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده منحصرة فى بيان العقائد والأحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله أحد أى ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التى نطقت بها هذه السورة . وعنه عليه السلام أنه سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت فقيل وما وجبت يارسول الله قال وجبت له الجنة

سورة الفلق

(مختلف فيها وآيها خمس)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ الفلق الصبح كالفرق لانه يفلق عنه الليل و يفرق فعل بمعنى مفعول فان كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وقيل هو ما انفلق من عموده وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الأمطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك و فى تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق المنبىء عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يعوذ منه وانجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له فى الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه تعالى وأما الاشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ ما يخافه كما قيل فلا اذ لاريب للعائذ فى

قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج الى التنبيه عليها ﴿من شر ما خلق﴾ أى من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائناما كان من ذوات الطبائع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم أن الاستعاذة ههنا من المضار البدنية وأنها تعم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدارا لاضافة الرب الى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد وأما عالم الأمر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالمرة وقوله تعالى ﴿ومن شر غاسق﴾ تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولان تعيين المستعاذ منه أدل على الاعتناء بالاستعاذة وأدعى الى الاعاذة أى ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل وأصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل هو السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع أفراده ولا لكل أجزائه وتقييده بقوله تعالى ﴿اذا وقب﴾ أى دخل ظلامه فى كل شىء لان حدوثه فيه أكثر والتحرز منه أصعب وأعسر ولذلك قيل الليل أخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله فى الخسوف واسوداده لما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فأشار الى القمر فقال تعوذى بالله تعالى من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق فى آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا فى ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الأمراض والطواعين وقيل هو كل شر يعترى الانسان ووقوبه هجومه ﴿ومن شر النفاثات فى العقد﴾ أى ومن شر النفوس أو النساء السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرىء النافثات كما قرىء النفثات بغير ألف وتعريفها اما للعهد أو للايذان بشمول الشر لجميع أفرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس وعائشة رضى الله عنهم أنه كان غلام من اليهود يخدم النبى عليه الصلاة والسلام وكان عنده أسنان من مشطه عليه السلام فأعطاها اليهود فسحروه عليه السلام فيها وتولاه لبيد بن الأعصم اليهودى وبناته وهن النافثات فى العقد فدفنها فى بئر أريس فمرض النبى عليه الصلاة والسلام فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين وأخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فأرسل عليه الصلاة والسلام عليا كرم الله وجهه والزبير وعمارا رضى الله عنهما فنزحوا ماء البئر فكأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة البئر وهى الصخرة التى توضع فى أسفل البئر فأخرجوا من تحتها الأسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغرزة بالابر فجاؤا بها النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام كأنما أنشط من عقال فقالوا يا رسول الله أفلا نقتل الخبيث فقال عليه السلام أما أنا فقد عافانى الله عز وجل وأكره أن أثير على الناس شرا قالت عائشة رضى الله عنها ما غضب النبى عليه الصلاة والسلام غضبا ينتقم لنفسه قط الا أن يكون شيئا هو لله تعالى فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها ﴿ومن شر حاسد اذا حسد﴾ أى اذا أظهر ما فى نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادىء الاضرار بالمحسود قولا أو فعلا والتقييد بذلك لما أن ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير ۔ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى أنزلها الله تعالى

سورة الناس

(مختلف فيها وآيها ست)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قل أعوذ﴾ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ﴿برب الناس﴾ أي مالك أمورهم ومربيهم بافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى ﴿ملك الناس﴾ عطف بيان جيء به لبيان أن تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت أيديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى ﴿اله الناس﴾ فانه لبيان أن ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير أمورهم وسياستهم والتولي لترتيب مبادئ حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى أمر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهم احياء وامانة وايجاداً واعداما وتخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالى وملكوتيته وألوهيته للارشاد الى منهاج الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالاعاذة فان توسل العائذ بربه وانتسابه اليه تعالى بالمربوبية والمملوكية والعبودية في ضمن جنس هو فرد من أفراده من دواعي مزيد الرحمة والرأفة وأمره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالاعاذة لامحالة ولان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص الاضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر في توفية المقام حقه وأما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة ﴿من شر الوسواس﴾ هو اسم بمعنى الوسوسة وهي الصوت الخفي كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمي بفعله مبالغة كأنه نفس الوسوسة ﴿الخناس﴾ الذي عادته أن يخنس أي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾ اذا غفلوا عن ذكره تعالى ومحل الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع أو النصب على الذم ﴿من الجنة والناس﴾ بيان للذي يوسوس على أنه ضربان جني وانسي كما قال عز وجل شياطين الانس والجن أو متعلق بيوسوس أي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الانس وقد جوز أن يكون بيانا للناس على أنه يطلق على الجن أيضا حسب اطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه وأقرب منه أن يراد بالناس الناسي ويجعل سقوط الياء كسقوطها في قوله تعالى يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من أفراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى الا من تداركه شوافع عصمته وتناوله واسع رحمته عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق شكره

خاتمة المؤلف

قال العبد الذليل متضرعا الى ربه الجليل اللهم يا ولى العصمة والارشاد وهادى الغواة الى سنن الرشاد بارىء البرية مالك الرقاب عليك توكلى واليك متاب أنت المغيث لكل حائر ملهوف والمجير من كل هائل مخوف ألوذ بحرمك المأمون من غوائل ريب المنون وألتجىء الى حرزك الحريز وآوى الى ركنك العزيز وأسألك من خزائن برك المخزون فى مكامن سرك المكنون خير ما جرى به قلم التكوين من أمور الدنيا والدين وأعوذ بك من فنون الفتن والشرور لاسيما الاطمئنان بدار الغرور والاغترار بنعيمها وزهرتها والافتتان بزخارفها وزينتها فأعذنى بحمايتك وأعنى بعنايتك وأفض على من شوارق الأنوار الربانية وبوارق الآثار السبحانية ما يخلصنى من العوائق الظلمانية ويجردنى من العلائق الجسمانية وهذب نفسى الأبية من دنس الطبائع والاخلاق ونور قلبى القاسى بلوامع الاشراق ليستعد للعبور على سرائر الأنس ويتهيأ للحضور فى حظائر القدس وثبتنى على مناهج الحق والهدى وأرشدنى الى مسالك البر والتقى واجعل أعز مرامى ابتغاء رضاك وأشرف أيامى يوم لقاك يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقا فريقا واحشرنى مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وفق طائفة من المتقين لتفسير كتابه المجيد وأطلعهم على لطائف أسراره فجاءوا فى كشف أستاره بكل قول سديد والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى بهر الفصحاء بعباراته الساحرة وسحر البلغاء بمحاسن أساليبه الباهرة وعلى آله الذين أوردهم مناهل فضله فأرواهم وأصحابه الذين تقدموا بفضل محبته على من سواهم

(أما بعد) فان نفائس الكنوز لا تحصل فى يد كل قاصد كما أن أقمار دائرة المشترى لا تتبين الا لكل حاذق راصد وان منظار العقول الى ادراك فضائل الرجال هو ما يظهر على أيديهم من فضائل الأعمال

هذا وقد فاق أولئك السادة العاملين وتقدم على جملة أرباب النباهة الكاملين حضرة ذلك الشريف الحسينى العلوى المتحلى بكل خلق جميل نبوى السيد محمد محمد عبد اللطيف الخطيب فانه قد جاء فى أعماله بالعجيب وما فوق العجيب

ومما بذل فى تصحيحه غاية المجهود وأتمه فكان عنوانا على اتصافه بتلك الفضائل الجمة طبع التفسير المسمى بارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ألا وهو تفسير قاضى القضاة العلامة أبى السعود المحيط بأسرار المعانى الذى أنسانا ببلاغته ذكر الشيخ عبد القاهر الجرجانى ومن ذكر معه السكاكى فقد أخطأ وما عرف وبرهن على أنه لم يدر التفاوت فى مراتب الشرف

ولعمرى ان هذا التفسير لأحق التفاسير بالمطالعة وأولاها بتكرار النظر فيه وكثرة المراجعة فجزى الله حضرة السيد أحسن الجزاء على ما أبداه ووفقه للمثابرة على خدمة الشرع الشريف وحفظه وأبقاه

القاهرة فى يوم الخميس
١١ صفر سنة ١٣٤٨ هـ
١٨ يوليه سنة ١٩٢٩ م

حسن محمد المسعودى
المدرس بالقسم العالى للازهر

صحيفة

٢ ﴿ســـورة المؤمن﴾

٧ تفسير قوله تعالى ﴿أو لم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الارض﴾

١٠ تفسير قوله تعالى ﴿ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم﴾

١٣ تفسير قوله تعالى ﴿قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى﴾

١٦ ﴿ســـورة السجدة﴾

٢٢ تفسير قوله تعالى ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس﴾

٢٦ الجزء الخامس والعشرون

٢٦ تفسير قوله تعالى ﴿اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه﴾

٢٨ ﴿سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى﴾

٣١ تفسير قوله تعالى ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى﴾

٣٦ تفسير قوله تعالى ﴿ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره﴾

٣٩ ﴿ســـورة الزخرف﴾

٤٤ تفسير قوله تعالى ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل﴾

٤٨ تفسير قوله تعالى ﴿فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم﴾

٥١ ﴿سورة الدخان﴾

٥٦ ﴿سورة الجاثية﴾

٥٩ تفسير قوله تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)

٦٢ الجزء السادس والعشرون

٦٢ ﴿سورة الأحقاف﴾

٦٧ تفسير قوله تعالى ﴿واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾

٧١ ﴿ســورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى ســورة القتال﴾

٧٤ تفسير قوله تعالى ﴿مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه﴾

٧٩ ﴿سورة الفتح﴾

٨٣ تفسير قوله تعالى ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم﴾

٨٧ ﴿سورة الحجرات﴾

٩٣ ﴿سورة ق﴾

١٠٠ ﴿سورة والذاريات﴾

صحيفة
١٠٢ الجزء السابع والعشرون
١٠٥ ﴿سورة الطور﴾
١٠٩ ﴿سورة والنجم﴾
١١٧ ﴿سورة القمر﴾
١٢٢ ﴿سورة الرحمن﴾
١٢٨ ﴿سورة الواقعة﴾
١٢٥ ﴿سورة الحديد﴾
١٣٨ تفسير قوله تعالى ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ولايكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾
١٤٣ الجزء الثامن والعشرون
١٤٣ ﴿سورة المجادلة﴾
١٤٩ ﴿سورة الحشر﴾
١٥٥ ﴿سورة الممتحنة﴾
١٥٩ ﴿سورة الصف﴾
١٦٢ ﴿سورة الجمعة﴾
١٦٤ ﴿سورة المنافقون﴾
١٦٧ ﴿سورة التغابن﴾
١٧٠ ﴿سورة الطلاق﴾
١٧٣ ﴿سورة التحريم﴾
١٧٦ الجزء التاسع والعشرون
١٧٦ ﴿سورة الملك﴾
١٨٣ ﴿سورة ن﴾
١٨٨ ﴿سورة الحاقة﴾
١٩٢ ﴿سورة المعارج﴾
١٩٦ ﴿سورة نوح عليه السلام﴾
١٩٩ ﴿سورة الجن﴾
٢٠٤ ﴿سورة المزمل﴾
٢٠٧ ﴿سورة المدثر﴾
٢١٢ ﴿سورة القيامة﴾
٢١٥ ﴿سورة الانسان﴾

صحيفة

٢١٩ سورة والمرسلات

الجزء الثلاثون

٢٢٢ سورة النبأ
٢٢٩ سورة والنازعات
٢٣٦ سورة عبس
٢٤٠ سورة التكوير
٢٤٣ سورة انفطرت
٢٤٥ سورة المطففين
٢٤٩ سورة الانشقاق
٢٥١ سورة البروج
٢٥٣ سورة الطارق
٢٥٥ سورة الاعلى
٢٥٨ سورة الغاشية
٢٦٠ سورة الفجر
٢٦٤ سورة البلد
٢٦٥ سورة والشمس
٢٦٧ سورة والليل
٢٦٨ سورة والضحى
٢٧٠ سورة ألم نشرح
٢٧١ سورة والتين
٢٧٣ سورة العلق
٢٧٥ سورة القدر
٢٧٦ سورة لم يكن
٢٧٩ سورة الزلزلة
٢٨٠ سورة والعاديات
٢٨١ سورة القارعة
٢٨٢ سورة التكاثر
٢٨٣ سورة والعصر
٢٨٤ سورة الهمزة
٢٨٥ سورة الفيل

صحيفة

٢٨٦ ﴿سورة قريش﴾
٢٨٦ ﴿سورة الماعون﴾
٢٨٧ ﴿سورة الكوثر﴾
٢٨٨ ﴿سورة الكافرون﴾
٢٨٩ ﴿سورة النصر﴾
٢٩٠ ﴿سورة تبت﴾
٢٩١ ﴿سورة الاخلاص﴾
٢٩٢ ﴿سورة الفلق﴾
٢٩٤ ﴿سورة الناس﴾

﴿تم فهرس الجزء الخامس من تفسير العلامة أبي السعود﴾

COLUMBIA UNIVERSITY
0026814862

895.7K84
DI96
v. 4-5